

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَوَارِدُ الظَّمَانِ لِدُرُوسِ الزَّمَانِ

خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان

تأليف الفقيه إبي عفون ربه

عبد العزيز المحمّد السليمان

المدرس في معهد إمام الدعوة بالرياض

سابقاً

الجزء السادس

الطبعة الثلاثون (٣٠)

طبع على نفقة جماعة من المحبين للخير

الموكل عنهم إبراهيم بن علي العودة

جزاهم الله كلهم خيراً

اللهم صلي على محمد وعلى آله وسلم

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

١٤٢٤ هـ

شِعْرًا : أَلَايَتِ أَنِّي يَوْمَ تَدْنُو مِنِّي
وَأَخْرُ رَمَقِي مِنْ حَيَاتِي خِتَامُهُ
آخِر :

أَقْلُبُ كُتُبًا طَالَمَا قَدْ جَمَعْتُهَا
وَأَصْبَحْتُ ذَا ظَنٍّ بِهَا وَتَمَسُّكِي
وَأَحْذَرُ جُهْدِي أَنْ تُنَالَ بِنَائِلِي
رَأَعْلَمُ حَقًّا أَنِّي لَسْتُ بَاقِيًا
آخِر : جَنَحَتْ شَمْسُ حَيَاتِي

وَتَوَلَّى لَيْلُ رَأْسِي
رَبِّي خَلَّصَنِي فَإِنِّي
وَأَنْزَلَنِي الْعَفْوَ يَا مَنْ

آخِر : وَمِنَ الْمَصَائِبِ وَالْمَصَائِبُ جَمَّةٌ
وَالْإِنْكَبَابُ عَلَى صُحُفٍ قَدْ ائْتَلَأَتْ
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَحْفَظْ ثَلَاثًا فَخَلَّهْ

فَأَوَّلُهَا الْإِخْلَاصُ لِلَّهِ وَخَدُّهُ
وَتَالِثُهَا جَنْبٌ هَوَاءٌ وَتَكْبُرًا
آخِر : إِنِّي أَبُتُّكَ مِنْ حَدِيثِي

غَيَّرْتُ مَرْقَدَ نَوْمِي
قُلْ لِي فَأَوْلُ لَيْلِيَّةٍ
آخِر : يَا مَنْ سَيْنًا عَنْ بَيْتِهِ

مَثَلٌ لِنَفْسِكَ قَوْلُهُ
وَتَحَلَّلُوا مِنْ ظُلْمِهِ

أَلْزِمُ ذِكْرَ اللَّهِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ
بِكَلِمَةٍ إِخْلَاصٍ لِبَارِي الْبَرِيَّةِ

وَأَفْنَيْتُ فِيهَا الْعَيْنَ وَالْعَيْنَ وَالْيَدَا
لِعِلْمِي بِمَا قَدْ صُعُتُ فِيهَا مُنْضِدًا
مَهِينٍ وَأَنْ يَغْتَالَهَا غَائِلُ الرَّدَى
فِيَا لَيْتَ شِعْرِي مَنْ يُقَلِّبُهَا غَدَا
وَتَدَلَّلْتُ لِلْعُرُوبِ

وَبَدَ فَجْرُ الْمَشِيبِ
غَرِيقِ بَحْرِ الذَّنُوبِ
ظَاقَرَبُ مِنْ كُلِّ قَرِيبِ

هَجْرُ كِتَابِ الْوَاحِدِ الرَّحْمَنِ
بِالْمُنْكَرَاتِ وَتَضْيِيعِ الْأَزْمَانِ
وَرَى الظُّهْرِ وَاصْحَبِ مُخْلِصًا لِإِلَهِهِ

وَتَأْنِيهَا تَابِعَ مَنْ أَتَى بِالرِّسَالَةِ
لِتَسْلَمَ مِنْ نَارِ الْجَحِيمِ الْعَظِيمَةِ
وَالْحَدِيثُ لَهُ شُجُونٌ

لَيْلًا فَنَافَرَنِي السُّكُونُ
فِي الْقَبْرِ تَرَى يَكُونُ
كَمَا نَأَى عَنْهُ أَبُوهُ

جَاءَ الْبَيْتَيْنِ فَوَجَّهَهُ
قَبْلَ الْمَمَاتِ وَحَلَّلَهُ

آخر :

أَعْوَامٌ لَهُمْ كَانَ يُحْزِنُ ذِكْرَهَا
لَوْ أَنَّهَا مُلِئَتْ بِذِكْرِ الْهِنَا
آخر : قَدَّمْ لِنَفْسِكَ فِي الْحَيَاةِ
وَاهْتَمَّ لِلسَّفَرِ الْقَرِيبِ فَإِنَّهُ
وَأَجْعَلْ تَزُودَكَ الْمَخَافَةَ وَالتُّقَى
قَلْبَ اللَّيْبِ لِفَقْدِهَا لِلطَّاعَةِ
وَتِلَاوَةَ الْقُرْآنِ زَالَ نَدَامَتِي
تَزُودًا فَلَقَدْ تَفَارَقَهَا وَأَنْتَ مُودَعٌ
أَنَايَ مِنَ السَّفَرِ الْبَعِيدِ وَأَشْنَعُ
فَلَعَلَّ حَتْفَكَ فِي مَسَائِكَ أُسْرَعُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَقَفَ قَوْمٌ عَلَى عَالِمٍ فَقَالُوا إِنَّا سَأَلُوكَ أَمْجِئِينَ أَنْتَ قَالَ سَلُوا وَلَا تُكْثِرُوا ، فَإِنَّ النَّهَارَ لَنْ يَرْجِعَ وَالْعُمُرَ لَنْ يَعُودَ ، وَالطَّالِبَ حَيْثُ فِي طَلْبِهِ ، قَالُوا فَأَوْصِنَا ، قَالَ تَزَوَّدُوا عَلَى قَدْرِ سَفَرِكُمْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ مَا أُبْلِغَ الْبُعِيَّةَ ، ثُمَّ قَالَ الْأَيَّامُ صَحَائِفُ الْأَعْمَارِ فَخَلِّدُوهَا أَحْسَنَ الْأَعْمَالِ ، فَإِنَّ الْفُرْصَ تَمُرٌ مَرَّ السَّحَابِ ، وَالتَّوَانِي مِنْ أَخْلَاقِ الْكُسَالَى وَالْحَوَالِفِ ، وَمَنْ اسْتَوْطَنَ مَرْكَبَ الْعَجْزِ عَثَرَ بِهِ ، وَتَزَوَّجَ التَّوَانِي بِالْكَسَلِ فَوُلِدَ بَيْنَهُمَا الْخُسْرَانُ اهـ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

شِعْرًا : تَزَوَّجَتِ الْبَطَالَةُ بِالتَّوَانِي
فَأَمَّا الْإِبْنُ سَمَّوَهُ بِفَقْرٍ
فَأَوْلَدَهَا غُلَامًا مَعَ غُلَامَةٍ
وَأَمَّا الْبِنْتُ سَمَّوَهَا نَدَمَهُ

آخِر :

الدُّكْرُ أَصْدَقُ قَوْلٍ فَافْهَمِ الْخَبْرَا
فَاعْمَلْ بِهِ إِنْ تُرِدُ فَهَمًّا وَمَعْرِفَةً
لَأَنَّهُ قَوْلٌ مَنْ قَدْ أَنْشَأَ الْبَشْرَا
يَأْذَا النَّهْيَ كَيْ تَنَالَ الْعِزَّ وَالْفَخْرَا
وَتَحْمَدُ اللَّهَ فِي يَوْمِ الْمَعَادِ إِذَا
جَاءَ الْحِسَابُ وَعَمَّ الْخَوْفُ وَانْتَشْرَا
لِلَّهِ دَرُّ رَجَالٍ عَامِلِينَ بِهِ
فِيمَا يَدِقُّ وَمَا قَدْ جَلَّ وَاشْتَهْرَا
قَالَ بَعْضُهُمْ :

أُيْهَا الْأَخُ تَدَبَّرْ أَمْرَكَ فَإِنَّكَ فِي زَمَنِ الرَّيْحِ وَوَقْتِ الْبَدْرِ وَاحْذَرْ أَنْ يَخْدَعَكَ
الْعَدُوُّ عَنِ نَفْسِ هَذَا الْجَوْهَرِ فَتُنْفِقُهُ بِكَفِّ التَّبْدِيرِ ، وَاللَّهُ لَئِنْ فَعَلْتَ لَتَعْرَسَنَّ
شَجَرَةَ النَّدَامَةِ فَيَتَسَاقَطُ عَلَيْكَ مِنْ كُلِّ فَنٍّ مِنْهَا حَسْرَةٌ وَنَدَامَةٌ وَاحْذَرْ مِنْ
إِحْتِلَاسِ الْأَعْدَاءِ لَهُ ، وَالْأَعْدَاءُ أَرْبَعَةٌ إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ ، وَالْدُنْيَا ، وَالنَّفْسُ الْأَمَّارَةُ
بِالسُّوءِ ، وَالْهَوَى .

شِعْرٌ : إِنْ بُلِيْتُ بِأَرْبَعٍ مَا سَلَطُوا
إِلَّا لِأَجْلِ شِقَاوَتِي وَعَنَائِي
إِبْلِيسُ وَالدُّنْيَا وَنَفْسِي وَالهَوَى
كَيْفَ الْخَلَاصُ وَكُلُّهُمْ أَعْدَائِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُلاحَظَةٌ : لا يَسمحُ لأيِّ إنسانٍ أنْ يَحْتَصِرَهُ أو يَتَعَرَّضَ
لَهُ بِما يُسَمُّونَهُ تَحْقِيقاً لِأَنَّ الإِختِصارَ سَبَبٌ
لِتَعْطِيلِ الأَصْلِ والتَّحْقِيقِ أرى أَنَّهُ إِتِهامٌ
لِلْمُؤَلَّفِ ، ولا يُطَبَعُ إلا وَقفاً لِلَّهِ تَعَالَى عَلى مَنْ
يَنْتَفِعُ بِهِ مِنَ المُسْلِمِينَ .

(فَائِدَةٌ عَظِيمَةٌ النَّفْعُ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ)

ما أَنْعمَ اللَّهُ عَلى عَبدٍ نِعْمَةً أَفْضَلَ مِنْ أنْ
عَرَّفَهُ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ ، وَفَهَّمَهُ مَعْنَاهَا ، وَوَفَّقَهُ
لِلْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا ، وَالدَّعْوَةَ إِلَيْهَا .

فوائد :

وَاعْجَباً مِنْكَ يَضِيعُ الشَّيْءُ القَلِيلُ وَتَتَكَدَّرُ وَتَتَأَسَّفُ ، وَقَدْ ضَاعَ عُمْرُكَ
الَّذِي لا عَوضَ لَهُ ، وَأَنْتَ عِنْدَ قَتَلاتِ الأَوْقاتِ ، الكُورَةِ والتَّلْفَازِ والمِذْياعِ
وَنحوها مِنْ قُطاعِ الطَّرِيقِ عَنِ الأَعْمالِ الصَّالِحَةِ ، وَلَكِنْ سَتَنْدَمُ ﴿ يَوْمَ يُنَادِ
المُنَادِي مِنْ مَكانٍ قَريبٍ يَوْمَ يَسْمَعُونَ النِّصِحةَ بِالْحَقِّ ذَلِكِ يَوْمِ
الخُرُوجِ ﴾ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَوَائِدُ عَظِيمَةٌ النَّفْعُ جَدًّا لِبَعْضِ الْعُلَمَاءِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى

(١)

اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ يَعْمَلَانِ فِيكَ فَاعْمَلْ فِيهِمَا أَعْمَالًا صَالِحَةً
تَرْبِحَ وَتَحْمَدَ الْعَاقِبَةَ الْحَمِيدَةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَلَيْلِكَ شَطْرُ عُمْرِكَ فَاعْتَنِمْهُ وَلَا تَذْهَبْ بِشَطْرِ الْعُمْرِ نَوْمًا
آخِرَ: عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ فَمَا نَحَابُ عَبْدًا لِلْمُهَيِّمِينَ يَذْكُرُ

(٢)

الْمَلَائِكَةُ يَكْتُبَانِ مَا تَلْفَظُ بِهِ فَاحْرَصْ عَلَى أَنْ لَا تَنْطِقَ إِلَّا بِمَا يَسُرُّكَ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ .

إِنَّ الشَّرَائِعَ أَلْقَتْ بَيْنَنَا حِكْمًا وَأَوْرَثْنَا أَفَانِينَ الْمَوَدَّاتِ
وَهَلْ رَأَيْتَ كَمَثَلِ الدِّينِ مَنْفَعَةً لِلْعَبْدِ تُوَصِّلُهُ أَعْلَى الْكَرَمَاتِ

(٣)

إِعْلَمْ أَنَّ قِصَرَ الْأَمَلِ عَلَيْهِ مَدَارٌ عَظِيمٌ ، وَخِصْنُ الْأَمَلِ ذِكْرُ الْمَوْتِ ، وَحِصْنُ
حِصْنِهِ ذِكْرُ فَجَاءَةِ الْمَوْتِ وَأَخْذُ الْإِنْسَانِ عَلَى غِرَّةٍ وَغَفْلَةٍ وَهُوَ فِي غُرُورٍ وَفُتُورٍ
عَنِ الْعَمَلِ لِلْآخِرَةِ . نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوقِضَ قُلُوبَنَا إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . اللَّهُمَّ
صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

فَائِدَةٌ :

الْعِلْمُ بِمَا جَاءَ عَنِ اللَّهِ وَعَنِ رَسُولِهِ خَيْرٌ مِيرَاثٍ ، وَالتَّوْفِيقُ مِنَ اللَّهِ خَيْرٌ
قَائِدٍ ، وَالاجْتِهَادُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ خَيْرٌ بِضَاعَةٍ ، وَلَا مَالٌ أَحْسَنَ مِنْ عَمَلِ الرَّجُلِ
بِيَدِهِ ، وَلَا مُصِيبَةٌ أَعْظَمَ مِنَ الْكُفْرِ بِاللَّهِ ، وَلَا عَوَيْنٌ أَوْثَقَ مِنَ الْإِعْتِمَادِ عَلَى اللَّهِ

ثم مُشَاوَرَةَ أَصْحَابِ الرَّأْيِ وَالِدِّينِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا أَوْحَشَ مِنَ الْكِبَرِ وَالْعُجْبِ
وَالنَّفَاقِ .

آخر :

سَلَّ اللَّهُ عَقْلاً نَافِعاً وَاسْتَعِذَ بِهِ مِنَ الْجَهْلِ تَسْأَلُ خَيْرَ مُعْطٍ لِسَائِلٍ
فَبِالْعَقْلِ تَسْتَوْفِي الْفَضَائِلَ كُلَّهَا كَمَا الْجَهْلُ مُسْتَوْفٍ جَمِيعَ الرِّذَائِلِ
تَبَيَّنَ :

وَمَنْ أَرَادَ طَبَاعَتَهُ ابْتِغَاءً وَجِهَ اللَّهُ لَا يُرِيدُ بِهِ عَرَضاً مِنَ الدُّنْيَا فَقَدْ أَذِنَ لَهُ
وَجَزَى اللَّهُ خَيْراً مِنْ طَبَعِهِ وَقَفَا أَوْ أَعَانَ عَلَى طَبَعِهِ أَوْ تَسَبَّبَ لَطَبَعِهِ وَتَوَزَّيَعَهُ عَلَى
إِخْوَانِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَدْ وَرَدَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ « مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أُجْرِهِ
فَاعْمَلْ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ ، وَوَرَدَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ « إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ
ثَلَاثَةَ نَفَرٍ الْجَنَّةَ : صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الْخَيْرَ ، وَالرَّامِي بِهِ ، وَمُنْبَلَهُ »
الْحَدِيثُ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَوَرَدَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ
عَمَلُهُ لِأَنَّ مِنْ ثَلَاثِ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو
لَهُ » . الْحَدِيثُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

« فَصْلٌ فِي الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ »

إِعْلَمْ وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ أَفْضَلُ تَطَوُّعِ الْبَدَنِ ، وَعَدَّهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ رُكْنًا سَادِسًا لِدِينِ
الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ ذِرْوَةٌ سَنَامِ الْإِسْلَامِ ، وَمُوجِبُ الْهَدَايَةِ ، وَحَقِيقَةُ
الْإِخْلَاصِ ، وَالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا ، وَمَنَازِلُ أَهْلِهَا أَعْلَى الْمَنَازِلِ فِي
الْجَنَّةِ ، كَمَا لَهُمُ الرَّفْعَةُ فِي الدُّنْيَا ، فَهَمُ الْأَعْمَلُونَ فِي الْآخِرَةِ ، وَكَانَ
كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَتَلَهَّفُونَ عَلَى الْجِهَادِ الَّذِي أُغْلِقَتْ أَبْوَابُهُ مِنْ زَمَنِ
بَعِيدٍ ، مِنْ عَهْدِ أَنْ كَانَ الرَّجُلُ يَخْرُجُ بِنَفْسِهِ وَبِمَالِهِ ، أَمَلًا أَنْ يُنْفِقَ

كُلِّ مَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَأَنْ يَحْظَى بِالشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَإِذَا رَجَعَ سَالِمًا إِلَى أَهْلِهِ ، رَجَعَ حَزِينًا عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْ مَقَامِ الشَّهَادَةِ الَّتِي كَانَ يَحْرُصُ عَلَيْهَا كُلَّ الْحِرْصِ ، وَلَقَدْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ فِي أَوَّلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَقَلِّيَّةً بَيْنَ الْأُمَمِ ، وَكَانُوا مَعَ ذَلِكَ فَقَرَاءَ مِنَ الْمَالِ ، وَلَكِنْ كَانُوا أَغْنِيَاءَ ، بِمَا وَهَبَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْبُطُولَةِ ، غِنَى لَمْ يَرَوْا لَنَا التَّارِيخُ نَظِيرَهُ بَيْنَ ذَوِي الْبُطُولَاتِ ، يَعْتَمِدُونَ فِي تِلْكَ الْبُطُولَةِ عَلَى مَعُونَةِ مَوْلَاهُمْ لَهُمْ فِي كُلِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ .

وَلَقَدْ كَانَتْ أَحْوَالُهُمْ وَأَعْمَالُهُمْ تُبَيِّضُ السُّجُوهَ ، وَتَمَلُّ الْقُلُوبَ سُرُورًا وَفَرَحًا ، كَانُوا إِذَا نَازَلُوا الْأَعْدَاءَ رَجَعُوا ظَافِرِينَ مُتَّصِرِينَ ، لَا يُرَى عَلَيْهِمْ أَثَرُ كَابِيَةٍ ، اللَّهُمَّ إِلَّا كَابَةُ الْحُزْنِ ، عَلَى أَنْ أَحَدَهُمْ لَمْ يَفُزْ بِمَقَامِ الشَّهَادَةِ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهُمْ مُنْتَهَى الْأَمَالِ ، لِذَلِكَ دَوَّخُوا الدُّنْيَا ، وَكَانُوا عِنْدَ الْكُلِّ سَادَةَ الْأَعْزَاءِ ، كَانُوا لَا يَطْمَعُ فِيهِمْ طَامِعٌ ، مَعَ أَنَّهُمْ أَقَلِّيَّةٌ ، وَكَانُوا إِذَا نُسِبُوا لغيرِهِمْ فَقَرَاءَ ، وَلَكِنَّهُمْ أَغْنِيَاءَ بِالتَّوَكُّلِ عَلَى مَنْ بِيَدِهِ الْقُلُوبُ ، وَبِيَدِهِ كُلُّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ .

وَلَقَدْ كَانَ مَعَهُمْ صَفْوَةُ الْخَلْقِ ، وَعَنْ إِرْشَادَاتِهِ يُصْدِرُونَ مَا يُصْدِرُونَ مِنْ أَعْمَالٍ ، وَهُوَ كَانَ لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ، إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ، كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا بِذَلِكَ ، أَمَا نَحْنُ فَعُدُّ مِنَّا بِمِثَالِ الْأُلُوفِ وَقُلْ مَا تُرِيدُ فِي غِنَانَا فَالسَّوَادُ مِنَّا يَمْلِكُ الْمَلَائِكِينَ ، وَمِنْ الْعَقَارَاتِ الشَّيْءَ الْكَثِيرَ ، وَلَكِنَّا مَعَ ذَلِكَ غَنَاءٌ كَغَنَاءِ السَّيْلِ ، نُحِبُّ هَذِهِ الْحَيَاةَ ، حُبًّا مَلِكٌ مَشَاعِرِنَا كُلُّهَا اللَّحْمَ وَالْعَظْمَ وَالْعُرُوقَ وَكُلَّ شَيْءٍ ، وَنَكْرَهُ الْمَوْتَ كَرَاهَةً شَدِيدَةً وَالسَّبَبَ فِي ذَلِكَ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ -

أَنْ حُبِّ الدُّنْيَا ، وَالتَّعَلُّقِ بِهَا ، هُوَ الَّذِي أَنَسَانَا ، وَأَلْهَانَا عَنْ تَذَكُّرِ
 الْجِهَادِ ، وَالْحَثِّ عَلَيْهِ وَتَمَتِّهِ ، وَبَذْلِ النَّفْسِ فِيمَا يُقْرَبُ إِلَيْهِ ، نَسَأُ
 اللَّهَ أَنْ يُوقِظَ قُلُوبَنَا ، وَيُوقِنَا لِسُلُوكِ سَبِيلِ سَلَفِنَا . لِنُقِيمَ عِلْمَ
 الْجِهَادِ ، وَنَجْعَلَنَا مِنْ أَنْصَارِ دِينِهِ ، وَحِزْبِهِ الْمُفْلِحِينَ وَأَنْ يَغْفِرَ لَنَا
 وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ) وَقَدْ وَرَدَ فِي فَضْلِ الْجِهَادِ ، وَالْحَثِّ عَلَيْهِ ، وَبَيَانِ عَظِيمِ ثَوَابِهِ ،
 آيَاتٌ وَأَحَادِيثٌ كَثِيرَةٌ ، نَذَكُرُ طَرَفًا مِنْهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

فَمِنَ الْآيَاتِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ
 وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ ، يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَيُقْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ ،
 وَعَدَاً عَلَيْهِ حَقًّا ، فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ
 اللَّهِ ؟ فَاسْتَبَشِرُوا ببيعِكُمْ الَّذِي بَاعْتُمْ بِهِ ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾
 فِيهِ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ تَرْغِيبٌ فِي الْجِهَادِ ، عَلَى أْبْلَغِ وَجْهِ ، وَأَحْسَنِ
 صُورَةٍ ، قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ : فَجَعَلَ سُبْحَانَهُ هَا
 هُنَا الْجَنَّةَ ثَمَنًا لِنَفْسِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَمْوَالِهِمْ ، إِذَا بَدَلُوهَا فِيهِ اسْتَحَقُّوا
 الثَّمَنَ ، وَعَقَدَ مَعَهُمْ هَذَا الْعَقْدَ ، وَأَكَّدَهُ بِأَنْوَاعٍ مِنَ التَّكْيِيدَاتِ .

١- أولاً : إِخْبَارُهُمْ بِصِغَةِ الْخَبَرِ الْمُؤَكَّدِ بِأَدَاءِ إِنَّ .

٢- ثانياً : الْأَخْبَارُ بِذَلِكَ بِصِغَةِ الْمَاضِي الَّذِي وَقَعَ وَثَبَّتْ وَاسْتَقَرَّتْ .

٣- ثالثاً : إِضَافَةُ هَذَا الْعَقْدِ إِلَى نَفْسِهِ سُبْحَانَهُ ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي
 اشْتَرَى هَذَا الْمَبِيعَ .

٤- رابعاً : أنه أُخْبِرَ بأنه وَعَدَ بِتَسْلِيمِ هَذَا الثَّمَنِ ، وَعَدَاً لَا يُخْلِفُهُ وَلَا يَتْرُكُهُ .

٥- خامساً : أنه أُمِّي بِصِيغَةِ (عَلَى) الَّتِي لِلْوُجُوبِ ، إِعْلَاماً لِعِبَادِهِ بِأَنَّ ذَلِكَ حَقٌّ عَلَيْهِ ، أَحَقُّهُ هُوَ عَلَى نَفْسِهِ .

٦- سادساً : أنه أَكَّدَ ذَلِكَ بِكَوْنِهِ حَقًّا عَلَيْهِ .

٧- سابعاً . أنه أُخْبِرَ عَنْ مَحَلِّ هَذَا الْوَعْدِ ، وَأَنَّهُ فِي أَفْضَلِ كُتُبِهِ الْمُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ ، وَهِيَ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ وَالْقُرْآنُ .

٨- ثامناً : إِعْلَامُهُ لِعِبَادِهِ بِصِيغَةِ اسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِ ، وَأَنَّهُ لَا أَحَدٌ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ .

٩- تاسعاً : أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَمْرَهُمْ أَنْ يَسْتَبْشِرُوا بِهَذَا الْعَقْدِ ، وَيُبَشِّرَ بِهِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، بِشَارَةَ مَنْ قَدْ تَمَّ لَهُ الْعَقْدُ وَلَزِمَ ، بِحَيْثُ لَا يَبُتُّ فِيهِ خِيَارٌ ، وَلَا يَعْرِضُ لَهُ مَا يَفْسُخُهُ .

١٠- عاشراً : أنه أُخْبِرَهُمْ إِخْبَارًا مُؤَكَّدًا بِأَنَّ ذَلِكَ الْبَيْعَ الَّذِي بَايَعُوهُ بِهِ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ، وَالْبَيْعُ هَا هُنَا بِمَعْنَى الْمَبِيعِ الَّذِي أَخَذُوهُ بِهَذَا الثَّمَنِ ، وَهُوَ الْجَنَّةُ ، وَقَوْلُهُ (بَايَعْتُمْ بِهِ) أَيِ عَاوَضْتُمْ وَثَامَنْتُمْ بِهِ ، ثُمَّ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ أَهْلَ هَذَا الْعَقْدِ الَّذِي وَقَعَ الْعَقْدُ وَتَمَّ لَهُمْ دُونَ غَيْرِهِمْ ، وَهُمْ التَّائِبُونَ الْخِ انْتَهَى .

شِعْرًا : إِذَا قَلَّ دَيْنُ قَلِّ بِهَاؤُهُ وَضَاقَتْ عَلَيْهِ أَرْضُهُ وَسَمَاؤُهُ
وَأَصْبَحَ لَا يَدْرِي وَإِنْ كَانَ حَازِمًا أَقْدَامُهُ خَيْرٌ لَهُ أَمْ وَرَاؤُهُ
فَإِنْ كَانَ ذَا دَيْنٍ عَلَيْهِ بِهَاؤُهُ وَأَصْبَحَ مَسْرُورًا بِهِ أَصْدَقَاؤُهُ

وَيَقُولُ سَيِّدُ قُطْبٍ رَحِمَهُ اللهُ عَلَى الْآيَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ قَرِيباً هَذَا النَّصُّ
النَّصُّ الَّذِي تَلَوْتُهُ مِنْ قَبْلُ وَسَمِعْتُهُ أَلْفَ مَرَّةٍ أَوْ تَزِيدُ فِي
أَثْنَاءِ حِفْظِي لِلْقُرْآنِ ، وَفِي أَثْنَاءِ تِلَاوَتِهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَدِرَاسَتِهِ ، فِي أَكْثَرِ
مِنْ رُبْعِ قَرْنٍ ، هَذَا النَّصُّ أَشْهَدُ أَنْبِيَّ أُدْرِكُ مِنْهُ اللَّحْظَةَ مَا لَمْ أُدْرِكْهُ
فِي أَلْفِ مَرَّةٍ أَوْ تَزِيدُ ، إِنَّهُ نَصٌّ رَهِيْبٌ ، يَكْشِفُ عَنْ حَقِيْقَةِ الْعِلَاقَةِ
الَّتِي تَرِبُّطُ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ بِاللَّهِ ، وَعَنْ حَقِيْقَةِ الْبَيْعَةِ الَّتِي فِي
أَعْنَاقِهِمْ طَوَّلَ الْحَيَاةِ ، فَمَنْ بَايَعَ الْبَيْعَةَ ، وَوَفَّى بِهَا فَهُوَ الْمُؤْمِنُ
الْحَقُّ ، الَّذِي يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ مَعْنَى الْمُؤْمِنِ وَحَقِيْقَتِهِ ، وَإِلَّا فَهِيَ دَعْوَى
تَحْتَاجُ إِلَى التَّصْدِيقِ وَالتَّحْقِيقِ .

حَقِيْقَةُ هَذِهِ الْبَيْعَةِ - أَوْ هَذِهِ الْمُبَايَعَةِ كَمَا سَمَّاها اللهُ كَرَمًا مِنْهُ
وَفَضْلًا - أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ اسْتَخْلَصَ لِنَفْسِهِ أَنْفُسَ الْمُؤْمِنِينَ
وَأَمْوَالَهُمْ ، فَلَمْ يَعُدْ لَهُمْ مِنْهَا شَيْءٌ ، لَمْ يَعُدْ لَهُمْ أَنْ يَسْتَبْقُوا
مِنْهَا بَقِيَّةً ، لَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، لَمْ يَعُدْ لَهُمْ خِيَارٌ فِي أَنْ يَبْذُلُوا
أَوْ يُمَسِّكُوا ، كَلَّا إِنَّهَا بَيْعَةٌ كَامِلَةٌ ، فَالْتَمَنُ الْجَنَّةَ وَالطَّرِيقَ الْجِهَادُ ،
وَالنِّهَايَةُ هِيَ النُّصْرُ أَوْ الْاسْتِشْهَادُ ، وَمِنْ رَحْمَتِهِ أَنْ جَعَلَ لِلصَّفَقَةِ
ثَمَنًا ، وَإِلَّا فَهُوَ مَالِكُ الْأَنْفُسِ وَالْأَمْوَالِ وَلِكِنَّهُ كَرَّمَ هَذَا الْإِنْسَانَ ،
فَجَعَلَهُ مُرِيدًا ، وَكَرَّمَهُ فَجَعَلَ لَهُ أَنْ يَعْقِدَ الْعُقُودَ وَيُمْضِيهَا حَتَّى مَعَ اللَّهِ
وَكَرَّمَهُ فَضَيْدَهُ بَعْقُودِهِ وَعَهْودِهِ ، وَجَعَلَ وَفَاءَهُ بِهَا مِقْيَاسَ آدَمِيَّتِهِ الْكَرِيمَةِ ،
كَمَا جَعَلَهُ مَنَاطَ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ .

وَإِنهَا لَبَيْعَةٌ رَهِيْبَةٌ بَلَا شَكِّ ، وَلَكِنَّهَا فِي عُنُقِ كُلِّ مُؤْمِنٍ ، لَا
تَسْقُطُ عَنْهُ إِلَّا بِسُقُوطِ إِيمَانِهِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ ، يَا اللَّهُ عَوْنَكَ ، فَإِنَّ الْعَقْدَ
رَهِيْبٌ ، وَهُؤُلَاءِ الْقَاعِدُونَ بِالْمَلَائِينَ ، فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا
يَدْعُونَ أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ بِكَ ، وَهُمْ قَاعِدُونَ ، لَا يُقَاتِلُونَ لِإِعْلَاءِ

كَلِمَتِكَ ، وَلَا يُقْتَلُونَ وَلَا يُقْتَلُونَ ، وَلَا يُجَاهِدُونَ جِهَاداً مَا ، دُونَ الْقِتَالِ وَالْقَتْلِ ، يَسُدُّونَ بِهِ ثَغْرَهُ وَيُسَاهِمُونَ بِهِ فِي الدِّفَاعِ عَنِ دِينِكَ الَّذِي أُرِدَّتْ لَهُ النُّصْرَ وَالِاسْتِعْلَاءَ ، قَالَ .

ولقد كانت هذه الكلمات تَدْخُلُ إلى قلوب مُسْتَمِعِيهَا الْأَوْلِيْنَ ، عَلَى عَهْدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَتَتَحَوَّلُ مِنْ فَوْرِهَا إِلَى وَاقِعٍ مِنْ وَاقِعِ حَيَاتِهِمْ ، وَلَمْ تَكُنْ مُجَرَّدَ مَعَانٍ يَتَمَلَّوْنَهَا بِأَذْهَانِهِمْ ، وَيُحْسِنُونَهَا مُجَرَّدَةً فِي مَشَاعِرِهِمْ ، كَانُوا يَتَلَقَّوْنَهَا لِلْعَمَلِ الْمُبَاشِرِ بِهَا ، لِتَحْوِيلِهَا إِلَى حَرَكَةٍ مَنْظُورَةٍ ، لَا إِلَى صُورَةٍ مُتَأَمَّلَةٍ ، هَكَذَا أَدْرَكَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ .

قال محمدُ بنُ كعبِ القُرَظِيِّ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَعْنِي لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ - اشْتَرَطَ لِرَبِّكَ وَلِنَفْسِكَ مَا شِئْتَ ، فَقَالَ « اشْتَرَطَ لِرَبِّي أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ، وَأَشْتَرَطَ لِنَفْسِي أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ » قَالَ : فَمَا لَنَا إِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ ؟ قَالَ « الْجَنَّةُ » قَالُوا : رَيْحَ الْبَيْعِ ، لَا نُقِيلُ وَلَا نَسْتَقِيلُ ، فَنَزَلَتْ ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ﴾ انتهى باختصار .

اللَّهُمَّ يَا عَالِمَ الْخَفِيَّاتِ وَيَا سَامِعَ الْأَصْوَاتِ وَيَا بَاعِثَ الْأَمْوَاتِ وَيَا مُجِيبَ الدَّعَوَاتِ وَيَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ يَا خَالِقَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ أَنْتَ اللَّهُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ الْوَهَّابُ الَّذِي لَا يَبْخُلُ وَالْحَلِيمُ الَّذِي لَا يَعْجَلُ لَا رَادَّ لِأَمْرِكَ وَلَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِكَ نَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ ذُنُوبَنَا وَتُنَوِّرَ قُلُوبَنَا وَتَثْبِتَ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَتُسَكِّنَنَا دَارَ كَرَامَتِكَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

تَأَلَّفَ بَرَقُ الْحَقِّ فِي الْعَارِضِ النَّجْدِيِّ فَعَمَّ جَمِيعَ الْكَوْنِ فِي الْعَوْرِ وَالنَّجْدِ
بِهِ زُعُزَعَتْ أَرْكَانُ كِسْرَى وَقَيْصِرِ
وَلَمْ يُجَدِّ مَا حَازَا مِنَ الْمَالِ وَالْجُنْدِ
وَأُمَّئِلَهَا فِي السَّالِكِينَ طَرِيقَهُمْ
أَرْنَا كَمَا قَدْ قَالَهُ صَادِقُ الْوَعْدِ
فَلِلَّهِ حَمْدٌ يَرْتَضِيهِ لِنَفْسِهِ
عَلَى نَعَمٍ زَادَتْ عَنِ الْحَضَرِ وَالْعَدِّ
فَأَعْظَمَهُمَا بَعَثَ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ
أَمِينُ إِلَهِ الْحَقِّ وَاسِطَةُ الْعِقْدِ
دَعَانَا إِلَى الْإِسْلَامِ دِينِ الْهِنَا
وَتَوْحِيدِهِ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَالْقَصْدِ
هَدَانَا بِهِ بَعْدَ الضَّلَالَةِ وَالْعَمَى
وَأَنْقَذَنَا بَعْدَ الْغَوَايَةِ بِالرُّشْدِ
حَبَانَا وَأَعْطَانَا الَّذِي فَوْقَ وَهْمِنَا
وَأَمَكَّنَنَا مِنْ كُلِّ طَاغٍ وَمُعْتَدِّ
وَأَيَّدَنَا بِالنُّصْرِ وَأَتَّسَعَتْ لَنَا
مَمَالِكُ لَا تَدْعُو سِوَى الْوَاحِدِ الْفَرْدِ
فَنَسَأَلُهُ إِتِمَامَ نِعْمَتِهِ بِأَنْ
يُثَبِّتَنَا عِنْدَ الْمَصَادِرِ كَالْوَرْدِ
فِيَا فَوْزَ عَبْدٍ قَامَ لِلَّهِ جَاهِدًا
عَلَى قَدَمِ التَّجْرِيدِ يَهْدِي وَيَسْتَهْدِي
وَجَرَّدَ فِي نَصْرِ الشَّرِيعَةِ صَارِمًا
بِعَزْمٍ يُرَى أَمْضَى مِنَ الصَّارِمِ الْهِنْدِيِّ

وَتَابَعِ هَدْيَ الْمُصْطَفَى الطُّهْرَ مُخْلِصاً
 لِخَالِقِهِ فِيمَا يُسِرُّ وَمَا يُبْدِي
 وَيَا حَسْرَةَ الْمَحْرُومِ رَحْمَةَ رَبِّهِ
 بِإِعْرَاضِهِ عَنِ دِينِ ذِي الْجُودِ وَالْمَجْدِ
 لَقَدْ فَاتَهُ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ وَمَا دَرَى
 وَقَدْ خَابَ وَاخْتَارَ النُّحُوسَ عَلَى السُّعْدِ
 وَمِنْ بَعْدِ حَمْدِ اللَّهِ أَزْكَى صَلَاتِهِ
 وَتَسْلِيمِهِ الْأَوْفَى الْكَثِيرِ بِلَا حَدٍ
 عَلَى الْمُصْطَفَى خَيْرِ الْأَنْامِ وَالْإِلَهِ
 وَأَصْحَابِهِ أَهْلِ السَّوَابِقِ وَالزُّهْدِ
 اللَّهُمَّ ثَبِّتْ إِيْمَانَنَا بِكَ وَبِمَلَائِكَتِكَ وَكُتُبِكَ وَرُسُلِكَ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
 وَالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ .
 اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا وَاشْرَحْ صُدُورَنَا وَاسْتُرْ عِيُونَنَا وَأَمِّنْ خَوْفَنَا وَاخْتِمِ
 بِالصَّالِحَاتِ أَعْمَالَنَا وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَحِزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ الَّذِينَ لَا
 خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
 أَجْمَعِينَ .

فصل

وَمِنْ الْآيَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي الْحَثِّ عَلَى الْجِهَادِ ، وَالتَّرغِيبِ
 فِيهِ ، وَمِلَازِمَةِ الصَّبْرِ عَلَيْهِ ، قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي
 سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ، بَلْ أَحْيَاءٌ ، وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَلَا
 تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ، بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ
 يُرْزَقُونَ ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ

يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ ، أَنْ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ،
يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ ، وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٠﴾ .

وقال تعالى ﴿٤١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ
مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ، تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ، ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، يَغْفِرْ لَكُمْ
ذُنُوبَكُمْ ، وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً
فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ، ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٤٢﴾ .

وقال تعالى ﴿٤٣﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ، أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ
يُسِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ ، وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ ،
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ، إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٤٤﴾ .

وقال تعالى ﴿٤٥﴾ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، غَيْرُ أُولِي
الضَّرَرِ ، وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ، فَضَّلَ اللَّهُ
الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ، وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ
الْحُسْنَى ، وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ،
دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٤٦﴾ .

وقال تعالى ﴿٤٧﴾ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ، وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٨﴾ .
شعر :

أَطِيبُ الطَّيِّبَاتِ فِعْلُ الْفَرَائِضِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِقَتْلِ الْأَعَادِي

وقال تعالى ﴿ لَكِن الرِّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ، وَأَوْلِيَّتِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ ، وَأَوْلِيَّتِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ ، أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، خَالِدِينَ فِيهَا ، ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ .

وَأَمَّا الْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ فِي فَضْلِ الْجِهَادِ ، وَالْحَثِّ عَلَيْهِ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ ، فَإِنَّكَ مِنْهَا طَرَفًا ، فَتَأَمَّلْهُ ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُقِيمَ عَلَّمَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ ، وَأَنْ يَرْزُقَنَا وَإِيَّاكَ الشَّهَادَةَ ، وَأَنْ يُلْحِقَنَا بِالسَّلَفِ الصَّالِحِ ، وَيَجْمَعَنَا وَإِبَائِهِمْ فِي مُسْتَقَرِّ رَحْمَتِهِ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ .

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ « إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ » قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ « الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ « حَجٌّ مَبْرُورٌ » متفق عليه .

وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ؟ قَالَ « الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا » قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ « بِرُّ الْوَالِدِينَ » قُلْتُ : ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ « الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » متفق عليه .

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ « الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ » متفق عليه .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَعْدَوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » متفق عليه .

شِعْرًا :

وَلَمْ أَرَى فِي عُيُوبِ النَّاسِ عَيْبًا كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى الْجَهَادِ
جِهَادِ النَّفْسِ مَعَ قَتْلِ الْأَعَادِي لِدِينِ اللَّهِ فَافْهَمُ مِنْ مُرَادِ
وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ « مُؤْمِنٌ
يُجَاهِدُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ « مُؤْمِنٌ فِي
شِعْبٍ مِنَ الشُّعَابِ ، يَعْْبُدُ اللَّهَ ، وَيَدْعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ » متفقٌ عليه ،
وعن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَالَ « رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا ،
وَالرُّوحَةُ يَرُوحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى ، أَوْ الْغَدْوَةُ ، خَيْرٌ مِنَ
الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا » متفقٌ عليه .

وَعَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ
وَقِيَامِهِ ، وَإِنْ مَاتَ فِيهِ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ وَأُجْرِي عَلَيْهِ
رِزْقُهُ ، وَأَمِنَ الْفِتَانَ » رواه مسلم .

وَعَنْ فُضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الْمُرَابِطَ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ ، فَإِنَّهُ يُنْمَى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَيُؤْمَنُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ » رواه
أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِي ، وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

وَعَنْ عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ
فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَنَازِلِ » رواه التِّرْمِذِي وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

اللَّهُمَّ اغْصِنَا عَنِ الْمَعَاصِي وَالزَّلَّاتِ وَوَقِّنَا لِلْعَمَلِ بِالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ
وَإغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تَضَمَّنَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادٌ فِي سَبِيلِي ، وَإِيمَانٌ بِي ، وَتَضَدِيقٌ بِرُسُلِي ، فَهُوَ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ ، بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَةِ يَوْمِ كَلِمٍ ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ ، وَرِيحُهُ رِيحُ مِسْكِ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَوْ لَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَبَدًا وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلُهُمْ ، وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً ، وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنْ أَغْزَوْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَقْتَلَ ، ثُمَّ أَغْزَوْ فَأَقْتَلَ » رواه مسلم ، وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَكَلِمُهُ يَدْمَى ، اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ ، وَالرَّيْحُ رِيحُ مِسْكِ » متفق عليه .

وعن معاوية رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ ، فُؤَاقَ نَاقَةٍ ، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ، وَمَنْ جُرِحَ جُرْحًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَوْ نُكِبَ نَكْبَةً ، فَإِنَّهَا تَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَغْزَرٍ مَا كَانَتْ ، لَوْنُهَا الزَّعْفَرَانُ ، وَرِيحُهَا كَالْمِسْكِ » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال مرَّ رجلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشُعْبٍ فِيهِ عُيَيْنَةٌ مِنْ مَاءٍ عَذْبَةٍ ،

فَاعْجَبْتَهُ فَقَالَ : لَوْ اعْتَزَلْتُ النَّاسَ ، فَأَقَمْتُ فِي هَذَا الشَّعْبِ ، وَلَنْ أَفْعَلَ حَتَّى اسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ « لَا تَفْعَلْ ، فَإِنَّ مَقَامَ أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ سَبْعِينَ عَامًا ، أَلَّا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ، وَيُدْخِلَكُمُ الْجَنَّةَ أُغْرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُوقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ . وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ .

وعنه قَالَ قَيْلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا يَعْدِلُ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؟ قَالَ « لَا تَسْتَطِيعُونَهُ » فَأَعَادُوا عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ « لَا تَسْتَطِيعُونَهُ » ثُمَّ قَالَ « مِثْلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، كَمِثْلِ الصَّائِمِ ، الْقَانِتِ بآيَاتِ اللَّهِ ، لَا يَفْتُرُ مِنْ صَلَاةٍ وَلَا صِيَامٍ ، حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، وَهَذَا لَفْظُ مُسْلِمٍ ،

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الْجِهَادَ : قَالَ « لَا أَجِدُهُ » ثُمَّ قَالَ « هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ الْمُجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ ، فَتَقُومَ وَلَا تَقُتْرَ ، وَتَصُومَ وَلَا تُفْطِرَ ؟ » فَقَالَ : وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ ؟ .

وعنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ رَجُلٌ مُمْسِكٌ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ ، كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَرْعَةً طَارَ عَلَى مَتْنِهِ يَبْتَغِي الْقَتْلَ أَوْ الْمَوْتَ مِظَانَهُ ، أَوْ رَجُلٌ فِي غَنِيمَةٍ أَوْ شَعْفَةٍ مِنْ هَذِهِ الشَّعْفِ ، أَوْ بَطْنٍ وَاوٍ مِنْ هَذِهِ الْأَوْدِيَةِ ، يُقِيمُ الصَّلَاةَ وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْيَقِينُ ، لَيْسَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا فِي خَيْرٍ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

شعرا :

أَفَادَتْنِي الدِّيَانَةُ كُلَّ عِزٍّ وَهَلْ شَيْءٌ أَعَزُّ مِنَ الدِّيَانَةِ

فَصَيَّرَهَا لِنَفْسِكَ رَأْسَ مَالٍ وَصَيَّرَ بَعْدَهَا التَّقْوَى بِضَاعَةً
 آخر : وما بُيالي إذا أدياننا سلّمت بما فقدناه من مال ومن تشب
 فالمالُ مكتسبٌ والعزُّ مطلبُهُ في طاعةِ الله لا في المال والنسبِ
 وعنه أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال « إن في الجنةِ
 مائةَ درجةٍ ، أعدّها الله للمجاهدين في سبيلِ الله ، ما بين الدرجتين
 كما بين السماء والأرض » .

اللهم وقفنا لقولِ الحقِ واتِّباعِهِ وَخَلَصْنَا مِنْ وَسْوَيسِ قُلُوبِنَا
 الحاملةِ على التورطِ في هُوءِ الباطلِ وابتداعِهِ واجعلْ إيماننا إيماناً
 خالصاً صادقاً قوياً وَكُنْ لَنَا مُؤَيِّداً وَلا تَجْعَلْ لِفاجِرِ عَلِينَا يداً واجعلْ
 عيشنا عيشاً رَغداً . وَلا تُشْمِتْ بِنَا عَدُوّاً وَلا حاسِداً وَارزُقنا في
 مَحَبَّتِكَ عِلْماً نافعاً وَرِزْقاً واسعاً وَعَمَلاً مُتَقَبَّلاً وَحِفْظاً كاملاً وَفَهْماً ذِكِيّاً
 وَطَبْعاً صَفِيّاً وَأدباً مُرْضِياً وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
 اللهم أَلْهِمْنَا الْقِيامَ بِحَقِّكَ ، وَبَارِكْ لَنَا فِي الْحَلالِ مِنْ رِزْقِكَ ، وَلا
 تَفْضَحْنا بَيْنَ خَلْقِكَ ، يا خَيْرَ مَنْ دَعاهُ دَاعٍ وَأَفْضَلَ مَنْ رَجاهُ راجٍ يا قاضيَ
 الْحاجاتِ ويا مُجيبَ الدَّعواتِ هَبْ لَنَا ما سألناهُ وَحَقِّقْ رِجاءنا فِيمَا تَمَنَّيناهُ
 وَأَمْلناهُ يا مَنْ يَمْلِكُ حوائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ ما في ضَمائِرِ الصَّامِتِينَ ، اذِقْنا بَرْدَ
 عَفْوَكَ ، وَحلاوةَ مَغْفِرَتِكَ ، يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصلى اللهُ على مُحَمَّدٍ وآلِهِ
 وَصحبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَضْلٌ »

عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبّاً ، وَبِالْإِسْلامِ دِيناً ، وَبِمُحَمَّدٍ
 رَسُولاً ، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ » فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعِيدٍ ، فَقَالَ أَعِدَّهَا عَلَيَّ يا

رسول الله . فأعادها عليه ، قال « وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة في الجنة ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض » قال : وما هي يا رسول الله ؟ قال « الجهاد في سبيل الله ، الجهاد في سبيل الله » رواه مسلم .

وعن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري قال : سمعتُ أبي رضي الله عنه - وهو بحضرة العدو - يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أبواب الجنة تحت ظلل السيف » فقام رجل رث الهيئة ، فقال : يا أبا موسى أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا ؟ قال : نعم . فرجع إلى أصحابه فقال : اقرأ عليكم السلام ، ثم كسر جفن سيفه ، فألقاه ، ثم مشى بسيفه إلى العدو ، فضرب به حتى قتل ، رواه مسلم .

وعن أبي عباس عبد الرحمن بن جبر رضي الله عنه ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار » رواه البخاري .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يلج النار رجل بكى من خشية الله ، حتى يعود اللبن في الضرع ، ولا يجتمع على عبد عبار في سبيل الله ودخان جهنم » رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « عینان لا تمسهما النار ، عین بكت من خشية الله ، وعین باتت تحرس في سبيل الله » رواه الترمذي وقال حديث حسن .

وعن زيد بن خالد رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال « مَنْ جَهَّزَ غَازِيَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا ، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيَا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا » متفقٌ عليه .

وعن أنسٍ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما أحدٌ يدخلُ الجنةَ يُحِبُّ أن يَرْجَعَ إلى الدنيا ، وله ما على الأرضِ من شيءٍ ، إلا الشهيدُ ، يَتَمَنَّى أن يَرْجَعَ إلى الدنيا ، فيقتلَ عَشْرَ مرَّاتٍ ، لما يرى من الكرامةِ » وفي روايةٍ « لما برى من فضلِ الشَّهادةِ » .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يُعْفَرُ للشَّهيدِ كلُّ ذَنْبٍ إلا الدَّينَ » رواه مسلم ، وفي روايةٍ له « القتلُ في سبيلِ اللهِ يُكْفِرُ كُلَّ شَيْءٍ إلا الدَّينَ » .

اللَّهُمَّ أَعِصْمْنَا وَأَحْمِنَا عَنِ الرُّكُونِ إِلَى عِدَاكَ وَاِرْزُقْنَا بُغْضَهُمْ وَأَعْوَانَهُمْ وَوَفِّقْنَا لِمَحَبَّتِكَ وَمَحَبَّةِ رُسُلِكَ وَأَوْلِيَائِكَ واجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ اللَّهُمَّ نَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ النَّارِ وَعَافِنَا مِنْ دَارِ الْخِزْيِ وَالْبَوَارِ وَأَدْخِلْنَا بِفَضْلِكَ الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَارِ وَعَامِلِنَا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ يَا كَرِيمُ يَا غَفَّارُ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

موعظة عبادة الله ، إن الأولادَ بدونِ تربيةٍ لا قيمةَ لهم بين صفوفِ الأولادِ ، بل هم بدونِ تربيةٍ مُصيبةٌ كبرى على الوالدين خاصةً وعلى المجتمعِ كُلِّهِ وخيرٌ من وجودهم بدونِ تربيةٍ أو بتربيةٍ فاسدةٍ عدمهم ، لأنه ليس في عدمهم ضررٌ ، لا على الوالدين ولا على الجماعةِ ولا على الأفرادِ ، بل في عدمهم مصالحٌ مُتعددةٌ ، هذا بيانُ حالهم بلا تربيةٍ أو بتربيةٍ فاسدةٍ ، فليعلمه الرجلُ الحكيمُ ، أما التربيةُ فشيءٌ هينٌ

يسير لمن وفقه الله عز وجل فمن الأسباب إذا أراد الله أن لا تعمل أنت وزوجتك أمام أولادكما شيئاً يكون فاعله متوجهاً عليه قدر من اللوم ، بل تلتزمان الآداب السامية والأخلاق الفاضلة ليقتدوا بكم ، ذلك لأن الولد يقلد غالباً أمه وأباه تقليداً مطلقاً لا عقال له ولا زمام ويتحدث عن سيرة أبويه وأفعالهما ويفتخر بهما وبما لهما من سجايا ويمدحهما ويذم عنهما بكل ما يستطيع هذا في الغالب كما ذكرنا وينذر خلافه تأمل ما حكاه القرآن الكريم لتعلم أن ذلك صدق وأن صلاح الأبوين وتوجيههما توجيهاً حسناً عليه مدار عظيم ذكر الله في كتابه العزيز مرات أن الرسل بعد أظهار المعجزات يدعون قومهم للكمال فيكذبونهم في دعوتهم وهم رسل الله بحجة أن آباءهم ليست أعمالهم كهذه الأعمال فيرجحون عمل آباءهم وهو كفر على ما جاء به الرسل وهو دين ربنا ذي الجلال والإكرام قال تعالى عن ما قالوه ﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ﴾ وفي الآية الأخرى ﴿ وإنا على آثارهم مهتدون ﴾ هكذا الآباء عند الأبناء بهذه المنزلة العظيمة التي عندهم لا تدانيتها منزلة عظيم واسمع إلى قول الفرزدق يتحدى جريراً :

أولئك آباي فجنني بمثلهم
إذا جمعنا يا جرير المجمع

ويقول الآخر

إنا لنبني على ما شئدته لنا
آباؤنا الغر من مجدو من كرم

آخر :

وَيَنْشَأُ نَاشِيءُ الْفِتْيَانِ مِنَّا
عَلَى مَا كَانَ عَوْدُهُ أَبَوْهُ

حتى إنهم كانوا في الجاهلية يحلفون بأبائهم حتى نهاهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال « لا تحلفوا بأبائكم وكذلك نهى عن الحلف بغير الآباء ، ولذلك أبناء الوالدين الكاملين لا يعملان إلا الأعمال الحسنة التي رأوا والذينهم يعملانها فيشبون ويشبون لا يعرفون إلا الكمال ولو كلفتهم غيره قالوا : إن هذا والدانا لا يعرفانه ، وتجد أبناء المنحرفين الفاسدين فاسدين كأبائهم غالباً ، لأنهم ورثوا الفساد من أبويهم ، ولذلك تجد أبناء الفاسدين الفاسقين يحكون عن آبائهم ما يتغير له وجه صاحب الدين ومن النادر أن تجد ولد الفاسدين ليس فاسداً ومن الشذوذ أيضاً أن تجد ولد التقى والتقية شقيفاً فاسداً هذا يعرف قديماً قبل أن يتولى تعليم الشباب ضعاف الدين ومن لا دين لهم ولا أخلاق وإن شئت فاقراً قول الله تعالى ﴿ يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً ﴾ ولم يرثها قومها من الفاحشة إلا بعد أن برأها الله جل وعلا عقب الولادة على لسان ولدها عيسى عليه السلام عرف قومها أن الولد يتبع أبويه في الغالب حسب العادة التي أجراها الله جل وعلا في الصلاح والفساد في الأبوين فاستغربوا من مريم الطاهرة العفيفة أن تفعل الفاحشة لِمَا رَأَوْا بِأَعْيُنِهِمْ عَلَى كَتِفِهَا وَلَدًا مِنْ الْأَوْلَادِ وَيَحْسَبُ مَا أُجْرَى اللَّهُ مِنَ الْعَادَةِ أَنَّهُ لَا يَجِيءُ الْوَلَدُ إِلَّا مِنْ وَالِدٍ لِذَلِكَ فَهَمَّ قَوْمُهَا فِيهَا أَنهَاءَ جَاءَتْ هَكَذَا مِنَ الْوَالِدِينَ صَالِحِينَ عَلَى خِلَافِ الْمَعْتَادِ وَلَمْ يَعْرِفُوا أَنهَاءَ جَاءَتْ كَالْعَادَةِ صَالِحَةً مِنْ صَالِحِينَ إِلَّا

بَعْدَ أَنْ كَلَّمَهُمْ وَلَدَّمَا عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَقِبَ وِلادَتِهِ بِمَا يُرَوُّهَا رُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا سَمِعَ كَلَامَهُمْ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ وَتَرَكَ الرُّضَاعَ وَأَشَارَ بِيَمِينِهِ ، ثُمَّ بَدَأَ يَتَكَلَّمُ فَوَصَفَ نَفْسَهُ بِجُمْلَةٍ صِفَاتٍ فَقَالَ ﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْمًا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ، وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ ، وَيَوْمَ أَمُوتُ ، وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ .

فَوِلادَةُ عَيْسَى عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيًّا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَجَبِيَّةٌ حَقًّا بِالْقِيَّاسِ إِلَى مَأْلُوفِ الْبَشَرِ وَلَكِنْ لَا غَرَابَةَ فِيهَا عِنْدَمَا تُقَاسُ إِلَى خَلْقِ آدَمَ أَبِي الْبَشَرِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ إِنَّ مَثَلَ عَيْسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ فَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَالْهَدَفُ الْمَقْصُودُ مِنْ مَا تَقَدَّمَ الْحِرْصُ وَالْجِدُّ وَالْاجْتِهَادُ عَلَى تَوْجِيهِ الْأَوْلَادِ إِلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ وَأَنْ يَحْرِصُوا جِدًّا عَلَى مُلَاحَظَتِهِمْ وَحِفْظِهِمْ عَنْ مُرَافَقَةِ الْأَشْرَارِ وَمَنْعِهِمْ مِنْ حُضُورِ الْمَلَاهِي وَالْمُنْكَرَاتِ كَالْتَلْفِزِيُونَ مَقْبَرَةَ الْأَخْلَاقِ وَالْفَيْدِيُو مُعَلِّمِ الْفَسَادِ وَالْكُورَةِ مُورِثَةِ الْعِدَاوَةِ وَالْفَرْقَةِ بَيْنَ الْقُلُوبِ وَالْأَبْدَانِ وَمِنْ الْخُرُوجِ لَيْلًا حَسَبَ الْإِسْتِطَاعَةِ وَالْقُدْرَةِ وَالْهَدَايَةِ وَالتَّوْفِيقِ بِيَدِ اللَّهِ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَلَوْ كَانَ مِنْ ذُرِّيَةِ الرُّسُلِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَوْلَادِ الْفِرَاعِنَةِ وَالْكَفَرَةِ قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُخْلَقْ سَعِيدًا تَخَلَّفَتْ ظُنُونُ مُرِيهِ وَخَابَ الْوُمْلُ
فَمُوسَى الَّذِي رَبَّاهُ جِبْرِيْلُ كَافِرٌ وَمُوسَى الَّذِي رَبَّاهُ فِرَوْنُ مُرْسَلٌ
اللَّهُمَّ ارزُقْنَا عِلْمًا نَافِعًا وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا وَرِزْقًا وَاسِعًا نَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى طَاعَتِكَ ، وَقَلْبًا خَاشِعًا ، وَلِسَانًا ذَاكِرًا ، وَإِيمَانًا خَالِصًا ، وَهَبْ لَنَا إِيَابَةَ الْمُخْلِصِينَ ، وَخُشُوعَ الْمُخْبِتِينَ ، وَأَعْمَالَ الصَّالِحِينَ ، وَتَقِيْمِ الصَّادِقِينَ ،

وَسَعَادَةَ الْمُتَّقِينَ ، وَدَرَجَاتِ الْفَائِزِينَ ، يَا أَفْضَلَ مَنْ رُجِيَ وَقُصِدَ ، وَأَكْرَمَ مَنْ سُئِلَ

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أُيْقِظْنَا مِنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ
وَنَبِّهْنَا لِإِغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهْلَةِ وَوَقْفِنَا لِصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَذُنُوبِنَا وَلَا
تُوَخِّدْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَأَكْتَنَهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ
اللَّهُمَّ أَرِنَا الْحَقَّ حَقًّا وَارْزُقْنَا اتِّبَاعَهُ وَأَرِنَا الْبَاطِلَ بَاطِلًا وَارْزُقْنَا
اجْتِنَابَهُ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَضْلٌ »

في هذه الآيات الكريمة ، والأحاديث الشريفة بيان فضل
الجهاد والشهداء وكرامتهم ، وما من الله عليهم به من فضله وإحسانه ،
وفي ضمنها تسلية للأحياء عن قتلاهم ، وتعزية لهم ، وتشسيط لهم على
القتال في سبيل الله والمثابرة عليه ، والتعرض للشهادة ، والجِدِّ
والاجتهاد في الحصول عليها ، نسأل الله الحي القيوم ، العليّ
العظيم ، أن يوفّقنا لها ، إنه القادر على ذلك .

عن أنس بن مالك - في أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، الذين أرسلهم نبي الله إلى بئر معونة - قال لا أدري أربعين أو
سبعين ، وعلى ذلك الماء عامر بن الطفيل الجعفري ، فخرج أولئك
النفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أتوا غاراً
مُشرفاً على الماء ، فقعّدوا فيه ، ثم قال بعضهم لبعض : أيكم يبلغ
رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل هذا الماء ؟ فقال - أراه -
أبو ملحان الأنصاري : أنا أبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فخرج حتى أتى حول بيتهم ، فاخْتَبَأَ أمام البيوت ، ثم قال : يا
أهل بئر معونة ، إني رسول رسول الله إليكم ، أني أشهد أن لا إله إلا

الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، فآمنوا بالله ورسوله ، فخرج رجلٌ من كسر البيت برمح ، فضربه في جنبه حتى خرج من الشق الآخر ، فقال : الله أكبر فزت ورب الكعبة ، فاتبعوا أثره ، حتى أتوا أصحابه في الغار ، فقتلهم أجمعين عامر بن الطفيل ، وقال اسحاق وهو ابن أبي طلحة حدثني أنس بن مالك أن الله أنزل فيهم قرآناً ﴿ بَلِّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا أَنَا قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا ، وَرَضِينَا عَنْهُ ﴾ ثم نسخت ، فرفعت بعد ما قرأناها زماناً ، وأنزل الله تعالى ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا ، بَلْ أحياءٌ عند ربِّهم يُرزقون ﴾ فقال : أما أنا قد سألتنا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أرواحهم في جوف طير خضر ، لها قناديل معلقة بالعرش ، تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلى تلك القناديل ، فاطلع عليهم ربهم إطلاعةً ، فقال « هل تشتهون شيئاً ؟ فقالوا : أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا : يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا ، حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى ، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا » .

قال ابن القيم رحمه الله : عزى الله نبيه وأوليائه عمّن قتل منهم في سبيله ، أحسن تعزية والطفها ، وأدعاهما إلى الرضا بما قضاه لهم ، فقال ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا ﴾ الآية فجمع لهم إلى الحياة الدائمة منزلة القرب منه ، وأنهم عنده ، وجريان الرزق المستمر عليهم وفرحهم بما آتاهم الله من فضله وهو فوق الرضا واستبشارهم باخوانهم الذين باجتماعهم بهم يتم سرورهم ونعيمهم

واستبشارهم بما يُجدد لهم كل وقتٍ من نعمته وكرامته .

وعن أنسٍ أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال « ما من نفسٍ تموتُ لها عندَ الله خيرٌ ، يسرها أن ترجعَ إلى الدنيا ، إلا الشهيد ، فإنه يسره أن يرجعَ إلى الدنيا ، فيقتلَ مرةً أخرى مما يرى من فضلِ الشهادة » تفردَ به مسلم .

وعن جابر قال قال لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « أعلِمتُ أن الله أحيا أباك ، فقال له : تمنن . فقال له : أردُّ إلى الدنيا ، فأقتلُ فيك مرةً أخرى ، قال : إني قضيتُ أنهم إليها لا يرجعون » وعن جابر بن عبد الله قال لما قُتلَ أبي جعلتُ أبكي ، وأكشفتُ الثوبَ عن وجهه ، فجعلَ أصحابُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ينهونني ، والنبِيُّ صلى الله عليه وسلم لم ينه ، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم « لا تبكيه - أو ما تبكيه - ، ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع » وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « لما أصيبَ إخوانكم يومَ أُحُدٍ ، جعلَ الله أرواحهم في أجوافِ طيرٍ خضرٍ ، تردُّ أنهارَ الجنة ، وتأكلُ من ثمارها ، وتأوي إلى قناديلٍ من ذهبٍ في ظلِّ العرشِ ، فلما وجدوا طيبَ ماكلهم ومشربهم ، وحسنَ مقيلهم ، قالوا : يا ليت إخواننا يعلمون ما صنعَ الله بنا لئلا يزهدوا في الجهاد ، ولا ينكلوا عن الحرب ، فقال الله عزَّ وجلَّ : أنا أبلغهم عنكم ، فأنزلَ هذه الآياتِ ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا ، بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ ، أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا

هُمْ يَحْزَنُونَ ، يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ ، وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
المؤمنين ﴿ الآيات .

قال ابن القيم رحمه الله :

فالشَّانُ لِلأَرْوَاحِ بَعْدَ فِرَاقِهَا
أبدانها واللهِ أعظمُ شَانِ
إِذَا عَذَابٌ أَوْ نَعِيمٌ دَائِمٌ
قَدْ نَعِمَتْ بِالرُّوحِ والرُّيحَانِ
وَتَصِيرُ طَيْرًا سَارِحًا مَعَ شِكْلِهَا
تَجْنِي الثِّمَارَ بَجَنَّةِ الحَيَوَانِ
وَتَظَلُّ وَارِدَةً لِأَنهَارِ بِهَا
حَتَّى تَعُودَ لِذَلِكَ الجُثْمَانِ
لَكِنَّ أَرْوَاحَ الَّذِينَ اسْتَشْهَدُوا
فِي جَوْفِ طَيْرٍ أَخْضَرَ رِيَانِ
فَلَهُمْ بِذَلِكَ مَزِيَّةٌ فِي عَيْشِهِمْ
وَنَعِيمُهُمْ لِلرُّوحِ والأَبْدَانِ
بَذَلُوا الجُسُومَ لِربِّهِمْ فَأَعَاضَهُمْ
أَجْسَامَ تِلْكَ الطَّيْرِ بِالِإِحْسَانِ
وَلَهَا قَنَادِيلٌ إِلَيْهَا تَنْتَهِي
مَأْوَى لَهَا كَمَا سَاكِنِ الْإِنْسَانِ
فَالرُّوحُ بَعْدَ المَوْتِ أَكْمَلُ حَالَةٍ
مِنْهَا بِهِدْيِ الدَّارِ فِي جُثْمَانِ
وَعَذَابٌ أَشْقَاهَا أَشَدُّ مِنَ القَلْبِ عَايِنَتْ أَبْصَارُنَا بَعِيَانِ

اللهم يا فائق الحب والنوى ، يا مُنشىء الأجسادِ بَعْدَ البلى يا مُؤيِّ
المنقَطعينَ إليه ، يا كافي المتوكِّلينَ عليه ، انقَطعَ الرَّجاءُ إلا مِنكَ ، وخابَتِ
الظُّنونُ إلا فِيكَ ، وَضَعَفَ الاِعْتِقادُ إلا عَلَيكَ نَسألكَ أن تُمَطِّرَ مَحَلَّ قُلُوبِنَا
مِن سَحَابِ بَرِّكَ وإِحسانِكَ وَأَنْ تُوفِّقَنَا لِمَوْجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وَعِزَائِمِ مَغْفِرَتِكَ
إِنَّكَ جَوادٌ كَرِيمٌ رُؤُوفٌ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

اللهم إِنَّا نَسألكَ قَلْباً سَلِيماً ، وَلِساناً صَادِقاً ، وَعَمَلاً مُتَقَبِّلاً ، ونَسألكَ
بِرِكةِ الحِياةِ وخَيْرِ الحِياةِ ، ونَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ الحِياةِ ، وَشَرِّ الوفاةِ اللَّهُمَّ
اغفِرْ لَنَا وَلِوالِدِينَا وَجَمِيعِ المُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

وقال عبدُ اللهِ بنُ عَمْرٍو بنِ حَرَامٍ : رَأَيْتُ فِي النُّومِ قَبْلَ أُحُدٍ
مُبَشِّرَ بنِ عَبْدِ المُنذِرِ يَقُولُ لِي : أَنْتَ قَادِمٌ عَلَيْنَا فِي أَيَّامٍ . فَقُلْتُ وَأَيَّنَ
أَنْتَ ؟ فَقَالَ : فِي الجَنَّةِ نَسْرُحُ فِيهَا حَيْثُ نَشَاءُ ، قُلْتُ لَهُ أَلَمْ تُقْتَلْ يَوْمَ
بَدْرٍ ؟ فَقَالَ : بَلَى ، ثُمَّ أُحْيِيْتُ ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ « هَذِهِ الشَّهادَةُ يا جَابِرُ وَقَالَ خِيَمَةُ وَكانَ ابْنُهُ قَدْ
اسْتَشْهَدَ مَعَ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ بَدْرٍ - : لَقَدْ أَخْطَأْتَنِي
وَقَعَةُ بَدْرٍ ، وَكُنْتُ وَاللهِ عَلَيْهَا حَرِيصًا .

حَتَّى سَاهَمْتُ ابْنِي فِي الخُرُوجِ ، فَخَرَجَ سَهْمُهُ فَرَزَقَ الشَّهادَةَ
وقد رَأَيْتُ البَارِحَةَ ابْنِي فِي النُّومِ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ ، يَسْرُحُ فِي ثِمَارِ
الجَنَّةِ وَأَنْهارِها ، يَقُولُ : الحَقُّ بِنَا تُرافِقُنَا فِي الجَنَّةِ ، فَقَدْ وَجَدْتُ ما
وَعَدَ رَبِّي حَقًّا ، وَقَدْ وَاللهِ يا رَسولَ اللهِ أَصْبَحْتُ مُشْتاقاً إِلى مُرافِقَتِهِ فِي
الجَنَّةِ ، وَقَدْ كَبُرَتْ سِنِّي ، وَرَقَّ عَظْمِي وَأَحْبَبْتُ لِقَاءَ رَبِّي ، فَادْعُ اللهُ يا
رَسولَ اللهِ أَنْ يَرزُقَنِي الشَّهادَةَ وَمُرافِقَةَ سَعِيدٍ فِي الجَنَّةِ ، فَدَعَا لَهُ رَسولُ
اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ ، فَقُتِلَ بِأُحُدٍ شَهِيدًا ، وَقَالَ عَبْدُ اللهِ

بُنْ جَحْشٍ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ : اللَّهُمَّ إِنِّي أُقْسِمُ عَلَيْكَ أَنْ الْقَى الْعَدُوَّ غَدًا
فَيَقْتُلُونِي ثُمَّ يَبْقُرُوا بَطْنِي ، وَيَجِدَعُوا أَنْفِي وَأُذُنِي ، ثُمَّ تَسْأَلْنِي فِيمَ ذَلِكَ
فَأَقُولُ : فِيكَ .

وكان عمرو بن الجموح أعرج ، شديد العرج ، وكان له أربعة
بنين شباب ، يغزون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا ،
فلما توجه إلى أحد ، أراد أن يتوجه معه ، فقال له بنوه : إن الله قد
جعل لك رخصة ، فلو قعدت ونحن نكفيك وقد وضع الله عنك
الجهاد ، فأتى عمرو بن الجموح رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فقال : يا رسول الله إن بني هؤلاء يمنعونني أن أخرج معك ، والله
إني لأرجو أن أستشهد ، فأطأ بعرجتي هذه في الجنة ، فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم « أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد » وقال
لبنيه « وما عليكم أن تدعوه ، لعل الله عز وجل أن يرزقه الشهادة »
فخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقتل يوم أحد شهيدا .

وعن أنس رضي الله عنه قال : غاب عمي أنس بن النضر رضي
الله عنه عن قتال بدر ، فقال : يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت
المشركين ، لكن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما صنع ،
فلما كان يوم أحد ، وأنكشف المسلمون قال : اللهم إني أعتذر إليك
مما صنع هؤلاء ، يعني أصحابه ، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء ، يعني
المشركين - ثم تقدم ، فاستقبله سعد بن معاذ ، فقال : يا سعد بن
معاذ الجنة ورب النضر ، إني أجد ريحها من دون أحد ، قال سعد :
فما استطعت يا رسول الله ما صنع ، قال أنس : فوجدنا به بضعا
وثمانين ضربة بالسيف ، أو طعنة برمح أو رمية بسهم ، ووجدناه قد

قُتِلَ ، وَمَثَلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا اخْتَهُ بِنَانِهِ قَالَ أَنَسٌ :
كُنَّا نَرَى أَوْ نَظْنُ - أَنْ هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ ﴿ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ
رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ ﴾ إِلَى آخِرِهَا
مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وعن سمرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت الليلة رجلين أتياني ، فصعدابي الشجرة ، فأدخلاني داراً
هي أحسن وأفضل ، لم أر قط أحسن منها ، قالوا أما هذه الدار فدار
الشهداء » رواه البخاري .

شِعْرًا :

لِيَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ مَنْ كَانَ بَاكِيًا
وَلَا تَنْسَ قَبْرًا بِالْمَدِينَةِ ثَاوِيًا
جَزَى اللَّهُ عَنَّا كُلَّ خَيْرٍ مُحَمَّدًا
فَقَدْ كَانَ مَهْدِيًا دَلِيلًا وَهَادِيًا
وَلَنْ تَسْرِي الذِّكْرَى بِمَا هُوَ أَهْلُهُ
إِذَا كُنْتَ لِلبَّرِّ الْمُطَهَّرِ نَاسِيًا
أَتَسَى رَسُولَ اللَّهِ أَفْضَلَ مِنْ مَشَى
وَأَثَارُهُ بِالْمَسْجِدَيْنِ كَمَا هِيَا
وَكَانَ أَبْرَّ النَّاسِ بِالنَّاسِ كُلِّهِمْ
وَأَكْرَمَهُمْ بَيْتًا وَشَعْبًا وَوَادِيَا
تَكَدَّرَ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
عَلَيْهِ سَلَامٌ اللَّهُ مَا كَانَ صَافِيَا

فَكَمْ مِنْ مَنَارٍ كَانَ أَوْضَحَهُ لَنَا
وَمِنْ عِلْمٍ أَمْسَى وَأَصْبَحَ عَافِيَا
رَكْنَا إِلَى الدُّنْيَا الدُّنْيَةِ بَعْدَهُ
وَكَشَفَتِ الْأَطْمَاعُ مِنَّا الْمَسَاوِيَا
وَإِنَّا لَنُرْمَى كُلَّ يَوْمٍ بِعَبْرَةٍ
نَرَاهَا فَمَا نَزْدَادُ إِلَّا تَمَادِيَا
نَسْرُ بَدَارٍ أَوْرَثْتَنَا تَضَاغُنَا
عَلَيْهَا وَدَارٍ أَوْرَثْتَنَا تَعَادِيَا
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَلْبَسْ لِبَاساً مِنَ التَّقَى
تَقَلَّبَ عُرْيَاناً وَإِنْ كَانَ كَاسِيَا
أَخِي كُنْ عَلَى يَأْسٍ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ
جَمِيعاً وَكُنْ مَا عِشْتَ لِلَّهِ رَاجِيَا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَكْفِي عِبَادَهُ
فَحَسْبُ عِبَادِ اللَّهِ بِاللَّهِ كَافِيَا
وَكَمْ مِنْ هَنَاتٍ مَا عَلَيْكَ لَمَسْتَهَا
مِنَ النَّاسِ يَوْماً أَوْ لَمَسْتَ الْأَفَاعِيَا
أَخِي قَدْ أَبِي بُخْلِي وَبُخْلُكَ أَنْ يُرَى
لِذِي فَاقَةٍ مِنِّي وَمِنْكَ مُوَاسِيَا
كَلَانَا بَطِينٌ جَبُّهُ ظَاهِرُ الْكَبْسِي
وَفِي النَّاسِ مَنْ يُمْسِي وَيُصْبِحُ طَاوِيَا
كَأَنَّ خُلِقْنَا لِلْبَقَاءِ وَأَيْنَا
وَإِنْ مُدَّتِ الدُّنْيَا لَهُ لَيْسَ فَايَا

أَبَى الْمَوْتُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لِمَنْ ثَوَى
مِنْ الْخَلْقِ طَرّاً حَيْثُمَا كَانَ لَأَقِيَا
حَسَمْتَ الْمُنَى يَا مَوْتُ حَسِماً مُبَرِّحاً
وَعَلَّمْتَ يَا مَوْتُ الْبُكَاءَ الْبَوَاكِيَا
وَمَزَّقْتَنَا يَا مَوْتُ كُلَّ مُمَزَّقٍ
وَعَرَّفْتَنَا يَا مَوْتُ مِنْكَ الدَّوَاهِيَا
أَلَا يَا طَوِيلَ السَّهْوِ أَصْبَحْتَ سَاهِيّاً
وَأَصْبَحْتَ مُغْتَرّاً وَأَصْبَحْتَ لَاهِيَا
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ نَحْنُ نَلْقَى جَنَازَةً
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ نَحْنُ نَسْمَعُ نَاعِيَا
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْكَ نَرْتِي لِمُعْوِلٍ
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ نَحْنُ نُسْعِدُ بَاكِيَا
أَلَا أَيُّهَا الْبَانِي لِغَيْرِ بَلَإِهِ
أَلَا لِخَرَابِ الدَّهْرِ أَصْبَحْتَ بَانِيَا
أَلَا لِزَوَالِ الْعُمْرِ أَصْبَحْتَ جَامِعاً
وَأَصْبَحْتَ مُخْتِلاً فُخُوراً مُبَاهِيَا
كَأَنَّكَ قَدْ وَلَيْتَ عَنْ كُلِّ مَا تَرَى
وَخُلِّفْتَ مَنْ خَلَّفْتَهُ عَنْكَ سَالِيَا

اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا
وعذاب الآخرة واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم
الراحمين اللهم فنعنا من الدنيا باليسير وسهل علينا كل أمر عسير ووفقنا لما
نحبه وترضاه إنك على كل شيء قدير وأسكننا دار كرامتك يا من هو
ملجؤنا وملأذننا وإليه المصير واجعل لنا من كل هم فرجاً ومن كل ضيق

مَخْرَجًا وَاعْفُورَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ إِخْوَانِنَا الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَصْلٌ »

في وقعة بدر

فَلَمَّا كَانَ فِي رَمَضَانَ فِي الْعَامِ الثَّانِي ، فِي سَبْعَةِ عَشَرَ ، فِي
صَبِيحَةِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، وَقَعَتْ بَدْرٌ بَيْنَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَجَيْشِهِ ، وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ، أَعْدَاءِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَهِيَ قِصَّةٌ
مَشْهُورَةٌ مَعْرُوفَةٌ ، مَذْكُورَةٌ فِي كُتُبِ السِّيَرِ وَالتَّوَارِيخِ وَمُلَخَّصَهَا أَنَّهُ لَمَّا
بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبْرَ الْعَيْرِ الْمُقْبِلَةِ مِنَ الشَّامِ
لِقُرَيْشٍ ، الْعَيْرِ الَّتِي خَرَجُوا فِي طَلَبِهَا ، لَمَّا خَرَجَتْ مِنْ مَكَّةَ ، وَكَانُوا
نَحْوَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا ، وَفِيهَا أَمْوَالٌ عَظِيمَةٌ لِقُرَيْشٍ ، حَتَّى لَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ قَوْمٌ
مَا فِيهَا بِنَحْوِ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَتَرَامَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْبَاؤُهَا ، بِأَنَّهَا قَدْ فَصَلَتْ مِنَ الشَّامِ ، عَائِدَةً إِلَى مَكَّةَ ،
فَنَدَبَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ ، لِلْخُرُوجِ إِلَيْهَا ،
وَأَمَرَ مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا بِالنُّهُوضِ ، وَلَمْ يَنْتَظِرْ مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ غَائِبًا ،
وَلَمْ يَحْتَفِلْ لَهَا احْتِفَالًا بَلِيغًا ، لِأَنَّهُ خَرَجَ مُسْرِعًا وَمَعَهُ ثَلَاثُمِائَةٍ وَبِضْعَةٌ
عَشَرَ رَجُلًا ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَسَارَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
حَتَّى بَلَغَ بُيُوتَ السُّفْيَا ، وَهِيَ آبَارٌ عَذْبَةٌ الْمَاءِ ، عَلَى نَحْوِ مِيلٍ مِنَ
الْمَدِينَةِ ، فَتَزَلَّ بِهَا يَوْمَ الْأَحَدِ ، فَضَرَبَ عَسْكَرُهُ هُنَاكَ .

ثُمَّ عَرَضَ الْجُنْدُ ، فَرَدَّ مِنْهُمْ صِغَارَهُمْ ، الَّذِينَ لَا يَقْوُونَ عَلَى
حَمْلِ السِّلَاحِ ، فَكَانَ مِنْ رَدَّهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ، وَرَافِعُ بْنُ
خَدِيجٍ ، وَالْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ ، وَأَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ بْنُ سِمَاكِ وَزَيْدُ بْنُ

الأرقم ، وزيد بن ثابت ، وعرض عمير بن أبي وقاص فاستصغره فبكى
 عمير ، فأجازه ، وسيره مع الجيش ، وروى الواقدي عن سعد ابن أبي
 وقاص أنه قال : رأيت أخي عمير بن أبي وقاص ، قبل أن يعرضنا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوارى ، فقلت مالك يا أخي ؟ قال :
 إني أخاف أن يراني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويستصغرنى
 فيردني ، وأنا أحب الخروج ، لعل الله يرزقني الشهادة ، قال فعرض
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستصغره ، فقال « ارجع »
 فبكى عمير ، فأجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فكان
 سعد يقول : كنت أعقد له حمائل سيفه . . فقتل بدير وهو ابن ست
 عشرة سنة .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيوت السقياء في نحو
 خمسة عشر وثلاثمائة ، وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما عد
 أصحابه يوم بدر ، وجدهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، ففرح بذلك
 وقال « عدة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر » وكان فيهم نحو
 سبعين من المهاجرين ، ونحو مائتين وأربعين من الأنصار ، ولم يكن
 معهم من الخيل إلا فرسان ، فرس للزبير بن العوام ، وفرس للمقداد
 بن الأسود الكندي ، وكان معهم سبعون بعيراً ، يعتقب الرجال
 والثلاثة على البعير الواحد ، والأربعة على بعير واحد ، يتبادلون
 الركوب عليه ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلي بن أبي
 طالب ، ومرثد بن أبي مرثد الغنوي يعتقبون بعيراً ، وكان حمزة ، وزيد
 بن حارثة ، وأبو كبشة ، وأنسة موليا رسول الله صلى الله عليه وسلم

يَعْتَقِبُونَ بَعِيرًا ، وكان أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ يَعْتَقِبُونَ
بَعِيرًا .

وَهَكَذَا كَانَ كُلُّ جَمَاعَةٍ يَتَعاقِبُونَ الْمَشِيَّ ، وَيَتَبَادَلُونَ الرُّكُوبَ عَلَى
بَعِيرِهِمْ ، وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِي إِلَّا أَنْ يُشَارِكَ أَصْحَابَهُ فِي
تَعَبِهِمْ وَرَاحَتِهِمْ ، وَإِلَّا أَنْ يَأْخُذَ دَوْرَهُ فِي الْمَشْيِ وَفِي الرُّكُوبِ كَوَاحِدٍ
مَنْهُمْ ، فَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَنْتَهَتْ نَوْبَتُهُ فِي الرُّكُوبِ نَزَلَ ،
فَيَقُولُ لَهُ رَفِيقَاهُ : إِرْكَبْ يَا رَسُولَ اللهِ ، حَتَّى نَمْشِيَ عَنكَ . فَيَقُولُ لَهُمَا
« مَا أَنْتَمَا بِأَقْوَى مِنِّي عَلَى الْمَشْيِ ، وَمَا أَنَا بِأَعْنَى عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمْ » .

وكان أصحابه صلى الله عليه وسلم في حاجة شديدة ، فقر
وعري ، ولذلك فقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر إلى
أصحابه حين خرجوا إلى بدر ، فأثر في نفسه منظرهم ، فدعا الله
لهم ، فقال « اللَّهُمَّ إِنَّهُمْ حُفَاةٌ فَاحْمِلْهُمْ وَعُرَاةٌ فَكُسِّهِمْ ، وَجِيَاعٌ
فَأَشْبِعْهُمْ ، وَعَالَةٌ فَأَغْنِهِمْ مِنْ فَضْلِكَ » واستخلف على المدينة وعلى
الصلاة ابن أم مكتوم ، ولما كان بالروحاء ردَّ أبا لبابة بن عبد
المُنْدِرِ ، واستعمله على المدينة .

شِعْرًا :

وَنَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ خَصَّ رَسُولَهُ
بِأَصْحَابِهِ الْأَبْرَارِ فَضْلًا وَأَيْدًا
فَهُمْ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ بَعْدَ أَنْبِيَائِهِ
بِهِمْ يَقْتَدِي فِي الدِّينِ كُلُّ مَنْ اقْتَدَا

وَأَفْضَلُهُمْ بَعْدَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ذُو الْفَضْلِ وَالنُّدَا
لَقَدْ صَدَّقَ الْمُخْتَارَ فِي كُلِّ قَوْلِهِ
وَأَمِنَ قَبْلَ النَّاسِ حَقًّا وَوَحْدًا
وَفَادَاهُ يَوْمَ الْغَارِ طَوْعًا بِنَفْسِهِ
وَوَاسَاهُ بِالْأَمْوَالِ حَتَّى تَجْرَدَا
وَمِنَ بَعْدِهِ الْفَارُوقُ لَا تَنْسَ فَضْلَهُ
لَقَدْ كَانَ لِلْإِسْلَامِ حِصْنًا مُشِيدًا
لَقَدْ فَتَحَ الْفَارُوقُ بِالسَّيْفِ عَنُودَ
كَثِيرِ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ وَمَهْدَا
وَأَظْهَرَ دِينَ اللَّهِ بَعْدَ خَفَائِهِ
وَأَظْفَأَ نَارَ الْمُشْرِكِينَ وَأَحْمَدَا
وَعُثْمَانَ ذُو النُّورَيْنِ قَدْ مَاتَ صَائِمًا
وَقَدْ قَامَ بِالْقُرْآنِ دَهْرًا تَهَجَّدَا
وَجَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرِ يَوْمًا بِمَالِهِ
وَوَسَّعَ لِلْمُخْتَارِ وَالصُّحْبِ مَسْجِدَا
وَبَايَعَ عَنْهُ الْمُصْطَفَى بِشِمَالِهِ
مُبَايَعَةَ الرِّضْوَانِ حَقًّا وَأَشْهَدَا
وَلَا تَنْسَ صِهْرَ الْمُصْطَفَى وَابْنَ عَمِّهِ
فَقَدْ كَانَ حَبْرًا لِلْعُلُومِ وَسَيِّدَا
وَفَادَى رَسُولَ طَوْعًا بِنَفْسِهِ
عَشِيَّةً لَمَّا بِالْفِرَاشِ تَوَسَّدَا

وَمَنْ كَانَ مَوْلَاهُ النَّبِيُّ فَقَدْ غَدَا
 عَلَيَّ لَهُ بِالْحَقِّ مَوْلاً وَمُنْجِداً
 وَطَلَحْتُهُمْ ثُمَّ الزُّبَيْرُ وَسَعْدُهُمْ
 كَذَا وَسَعِيدٌ بِالسَّعَادَةِ أَسْعِداً
 وَكَانَ ابْنُ عَوْفٍ بِإِذْلِ الْمَالِ مُنْفِقاً
 وَكَانَ ابْنُ جَرَّاحٍ أَمِيناً مُؤَيِّداً
 وَلَا تَنْسَ بَاقِي صَحْبِهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ
 وَأَنْصَارَهُ وَالتَّابِعِينَ عَلَى الْهُدَى
 فَكُلُّهُمْ أَتَى الْإِلَهَ عَلَيْهِمْ
 وَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ أَيْضاً وَأَيْداً

اللهم إنا نعوذُ بك من علمٍ لا ينفعُ وعَمَلٍ لا يُرْفَعُ ودُعَاءٍ لا
 يُسْمَعُ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
 اللهم إنا نعوذُ بك من علمٍ لا ينفعُ وعَمَلٍ لا يُرْفَعُ ودُعَاءٍ لا
 يُسْمَعُ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
 اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ جِزْبِكَ وَعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ أَهَلَّتْهُمْ لِحْدَمَتِكَ
 وَجَعَلْتَهُمْ مِنْ قِبَلَتِ صِيَامِهِ وَقِيَامِهِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
 الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
 وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ « فَضَّلَ »

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى غَيْرِ لَوَاءٍ
 مَعْقُودٍ، وَلَكِنَّهُ مُنْذُ خَرَجَ مِنْ بَيْوتِ السُّقْيَا وَضَعَ رِجَالَهُ فِي تَشْكِيلِ
 حَرْبِيٍّ، يَلَاتِمُ ظُرُوفَ السَّيْرِ فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ، فَقَدْ يَلْقَوْنَ عَدُوَّهُمْ
 فُجَاءَةً، وَهُمْ عَلَى غَيْرِ أَهْبَةٍ لِلْقِتَالِ، وَقَدْ يَأْخُذُهُمْ عَدُوَّهُمْ عَلَى غِرَّةٍ مِنْ
 الْخَلْفِ، وَهُمْ كُلَّمَا بَعُدُوا عَنِ الْمَدِينَةِ تَقَدَّمُوا فِي أَرْضٍ يُسَيِّطِرُ عَلَيْهَا

المشركون من قريش ، ومن يُشابهونهم في عداوة الإسلام ، ومن أجل
هذا أخذ النبي صلى الله عليه وسلم في تنظيم رجاله ، على النحو
الذي أحرى أن يأمن به المفاجأة ، فجعل على الساقة قيس ابن أبي
صغصعة ، وعلى المقدمة الزبير بن العوام ، وأظهر السلاح ، وعقد
الوية ثلاثة لواء أبيض يحمله مضعب بن عمير ، ورايتان سوداوان ،
إحدهما مع علي بن أبي طالب ، والتي للأنصار إلى سعد بن معاذ .

وسار صلى الله عليه وسلم ، ولما قرب من الصفراء قدم عينين
له إلى المشركين ، يتجسسان أخبار العير ، والعيتان بسبس بن عمرو
الجهني ، وعدي بن أبي الزغباء الجهني ، فانتھيا إلى ماء بدر ، فوجدا
هناك جاريتين تستقيان من الماء ، وعلمتا من حوارهما أنهما تترقبان عير
قريش ، وأنها تصل إلى بدر غداً أو بعد غد ، فرجعا إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأخبراه بذلك .

وأما أبو سفيان فقد وصل إليه الخبر بأن محمداً وأصحابه
يترصّدون عودته ، فأرسل على عجل رسولا إلى قريش ، يُنبئها بما عزم
عليه محمد وصحبه ، ويستنهبها لِحماية أموالها واستأجر ضمضم بن
عمرو الغفاري إلى مكة ، مُستصرخاً لقريش بالثفير إلى غيرهم ،
ليمنعوه من محمد وأصحابه ، ووصى رسوله أن يتخذ لذلك كل وسيلة
تثير مشاعر القوم ، وتستنهب همهم للغوث والنجدة ، فاتخذ رسوله
لذلك كل مظاهر الصارخ الملهوف ، فجذع بغيره ، وحول رحله ،
وشق قميصه ، ووقف يصرخ ببطن الوادي ، قائلاً : يا معشر قريش
اللطيمة اللطيمة ، أموالكم مع أبي سفيان ، قد عرض لها محمد

وأصحابه ، لا أرى أن تُدرِكُوها ، الغوثُ الغوثُ ، فبلغ الصريحُ أهلَ مكة ، فنهضوا وأوعبوا في الخروجِ ، وأعان قوِيَهُم ضِعْفُهُم حتى ما مِنْهُم رجلٌ إلا خرَجَ ، أو بعثَ مكانه رجلاً ، ويقولُ الرواةُ إن أُمَيَّةَ بنَ خَلْفٍ أرادَ أن يتخلفَ عن النَّفيرِ ، فجاءه عقبه بنُ أبي مُعَيْطٍ ، ومعه مِجْمرةٌ وبخورٌ فوضَعها أمامه ، وهو جالسٌ في نَدِي القومِ ، وقال له استجِمْرَ أبا علي ، فأنما أنت من النساءِ ، فحجل واستحيا ، وقام من فورِهِ ، فتجهَّزَ وسارَ مع الناسِ ، ولم يتخلفَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ سِوَى أَبِي لَهَبٍ ، فإنه عَوَّضَ عَنْهُ رجلاً يُقالُ له العاصُ بنُ هِشامٍ ، كان لأبي لَهَبٍ عليه دَيْنٌ ، ولم يتخلفَ عَنْهُم مِنْ بَطونِ قُرَيْشٍ إلا بني عَدِيٍّ ، فلم يخرجْ مَعَهُم مِنْهُم أَحَدٌ وَخَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ كما قال اللهُ تعالى ﴿ بَطْرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ .

وسارَ أبو سُفْيَانٍ بِالْعَيْرِ يَتَسَمَّمُ الْأَخْبَارَ فِي طَرِيقِهِ ، حَتَّى إِذَا قَرُبَ مِنْ بَدْرِ ، تَقَدَّمَ الْعَيْرَ حَذْرًا ، حَتَّى وَرَدَ الْمَاءَ ، فَسَأَلَ هُنَاكَ عَنْ أَخْبَارِ الْمُسْلِمِينَ ، فَعَلِمَ أَنَّ رَاكِبَيْنِ كَانَا قَدْ نَزَلَا عَلَى تَلٍ هُنَاكَ ، فَأَنَاخَا رَاكِئَتَيْهِمَا سَاعَةً ، حَتَّى اسْتَقَيَا مِنَ الْمَاءِ ، ثُمَّ رَحَلَا ، فَذَهَبَ أَبُو سُفْيَانٍ إِلَى ذَلِكَ التَّلِّ ، وَنَظَرَ فِي مَنَاخِ الرَّاحِلَتَيْنِ ، فَأَخَذَ مِنْ أَبْعَارِهِمَا ، وَفَرَكَهُ فِي يَدِهِ ، فَوَجَدَ فِيهِ آثَارَ النَّوَى ، فَعَلِمَ أَنَّ الرَّاكِبَيْنِ مِنَ الْمَدِينَةِ ، فَقَالَ هَذِهِ وَاللَّهِ عَلَائِفُ يَثْرِبَ ، وَهَذِهِ عِيُونَ مُحَمَّدٍ ، قَدْ أَقْبَلَتْ ، تَتَجَسَّسُ أَخْبَارَنَا وَرَجَعَ مُسْرِعًا إِلَى الْعَيْرِ ، فَجَعَلَ يَضْرِبُ وَجُوهَهَا وَيُحَوِّلُهَا عَنِ السَّيْرِ إِلَى بَدْرِ ، مُتَّجِهًا بِهَا إِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ ، تَارِكًا بَدْرًا إِلَى يَسَارِهِ ، فَاسْتَطَاعَ أَنْ يَنْجُوَ بِأَمْوَالِ قُرَيْشٍ ، وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ قَدْ نَجَا وَأَحْرَزَ الْعَيْرَ ،

كَتَبَ إِلَى قَرِيشٍ أَنْ أَرْجِعُوا ، فَإِنَّكُمْ إِنَّمَا خَرَجْتُمْ لِتُحْرِرُوا عَيْرَكُمْ ،
فَاتَاهُمُ الْخَبْرُ وَهُمْ بِالْجُحْفَةِ ، فَهَمُّوا بِالرُّجُوعِ وَرَغِبَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ بِذَلِكَ ،
وَلَكِنَّ أَبَا جَهْلٍ رَكِبَ رَأْسَهُ ، وَعَزَّ عَلَيْهِ أَنْ يَرْجِعُوا ، فَتَضَعَفَ شَوْكُهُمْ
بَيْنَ الْعَرَبِ ، وَيَطْمَعُ فِيهِمُ الْمُسْلِمُونَ وَغَيْرُهُمْ ، فَأَخَذَ يَصِيحُ فِي الْقَوْمِ
وَيَقُولُ : وَاللَّهِ لَا نَرْجِعُ حَتَّى نَرِدَّ بَدْرًا ، فَتُقِيمَ بِهَا ، وَنُطْعِمَ مَنْ حَضَرَنَا
مِنَ الْعَرَبِ وَنَسْقِيَ الْخَمْرَ ، وَتُعْزَفَ عَلَيْنَا الْقِيَانُ ، وَتَسْمَعَ الْعَرَبُ بِنَا ،
وَبِمَسِيرِنَا ، وَجَمْعِنَا ، وَلَا يَزَالُونَ يَهَابُونَنَا ، وَجَعَلَ يُحْرِضُ النَّاسَ .

وَانْقَسَمَ النَّاسُ إِلَى قِسْمَيْنِ ، فَرِيقٌ يَرَى أَنَّ الْخُرُوجَ إِنَّمَا كَانَ
لِإِنْقَازِ الْعَيْرِ ، وَقَدْ نَجَّاهَا اللَّهُ ، فَلَا مَعْنَى إِذَا لِلسَّيْرِ ، وَفَرِيقٌ يَرَى رَأْيَ
أَبِي جَهْلٍ ، فَيَدْعُو إِلَى مُوَاصَلَةِ السَّيْرِ ، وَكَانَ مِنَ الْفَرِيقِ الْأَوَّلِ بَنُو
عَدِيٍّ ، وَبَنُو زُهْرَةَ ، وَمِمَّنْ أَشَارَ بِالرُّجُوعِ الْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيْقٍ ، فَعَصَوْهُ
فَرَجَعَ هُوَ وَبَنُو زُهْرَةَ ، فَلَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا زُهْرِيُّ ، فَأَعْتَبَتْ بَنُو زُهْرَةَ بَعْدَ
ذَلِكَ بِرَأْيِ الْأَخْنَسِ ، فَلَمْ يَزَلْ فِيهِمْ مُطَاعًا مُعْظَمًا ، وَأَمَّا الْفَرِيقُ الثَّانِي
فَقَدْ وَاصَلُوا السَّيْرَ تَحْتَ ضَغْطِ أَبِي جَهْلٍ وَشِيعَتِهِ ، وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ
يَسِيرُ عَلَى غَيْرِ مَا يَرَى مِنَ الرَّأْيِ ، وَمَا يُضْمِرُ مِنَ الْعَقِيدَةِ ، إِنَّمَا يَسِيرُ
تَحْرُجًا ، وَمُدَارَاةً لِسَفَاهَةِ السُّفَهَاءِ ، وَمَا زَالُوا يَسِيرُونَ وَيَتَحَرُّونَ ،
وَيُطْعَمُونَ ، وَيَشْرَبُونَ الْخَمْرَ ، وَيُعْتُونَ وَيُصَفِّقُونَ وَيُعْلِنُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ
بِكُلِّ الْوَسَائِلِ وَالِدَعَايَاتِ ، حَتَّى وَصَلُوا إِلَى وَادِي بَدْرٍ ، فَنَزَلُوا بِالْعُدْوَةِ
الْقُصْوَى الَّتِي أَرْحَمْنَا إِذَا عَرِقَ الْجَبِينُ وَكَثُرَ الْإِنِينُ وَأَيْسَ مِنَّا الْقَرِيبُ وَالطَّيِّبُ
وَبَكَى عَلَيْنَا الصِّدِيقُ وَالْحَبِيبُ وَأَرْحَمْنَا يَا مَوْلَانَا إِذَا وَارَانَا التَّرَابُ وَوَدَّعْنَا
الْأَخْبَابَ وَفَارَقْنَا النِّعَمَ وَانْقَطَعَ عَنَّا النَّسِيمُ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِإِذِينَا وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ الْوَاسِعَةِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فَصَلِّ : ولما بلغ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حُرُوجَ قُرَيْشِ اسْتَشَارَ أَصْحَابَهُ ، فَتَكَلَّمَ الْمُهَاجِرُونَ فَأَحْسَنُوا ، فَاسْتَشَارَهُمْ ثَانِيًا فَتَكَلَّمُوا أَيْضًا فَأَحْسَنُوا ، ثُمَّ اسْتَشَارَهُمْ ثَالِثًا ، ثُمَّ قَالَ « أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ » يُرِيدُ بِذَلِكَ الْأَنْصَارَ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَكْثَرَ الْقَوْمِ عَدَدًا ، وَكَانُوا قَدْ عَاهَدُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَمْنَعُوهُ فِي دِيَارِهِمْ ، أَمَا فِي خَارِجِ دِيَارِهِمْ فَلَمْ يَكُنْ عَهْدٌ يُلْزِمُهُمْ بِذَلِكَ ، إِلَّا أَنْ يَرَوْا ذَلِكَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، فَلَمَّا سَمِعُوا قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهَمُّوا أَنَّهُ يَعْنِيهِمْ ، فَبَادَرَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّكَ تَرِيدُنَا . قَالَ « أَجَلٌ » فَقَالَ سَعْدُ : إِنَّكَ عَسَى أَنْ تَكُونَ خَرَجْتَ لِأَمْرٍ ، وَأَحَدَتْ اللَّهُ لَكَ غَيْرَهُ ، فَاظْطَرَّ الَّذِي أَحَدَتْ اللَّهُ إِلَيْكَ ، فَاْمْضِ إِلَيْهِ ، فَإِنَّا قَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ ، وَأَعْطَيْنَاكَ عَهْدَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَلَعَلَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَخْشَى أَنْ لَا تَكُونَ الْأَنْصَارُ تَرَى عَلَيْهَا ، أَنْ لَا يَنْصُرُوكَ إِلَّا فِي دِيَارِهِمْ ، وَإِنِّي أَقُولُ عَنِ الْأَنْصَارِ ، وَأُجِيبُ عَنْهُمْ ، فَاظْعَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ شِئْتَ ، وَصِلْ حَبْلَ مَنْ شِئْتَ ، وَأَقْطَعْ حَبْلَ مَنْ شِئْتَ ، وَخُذْ مِنْ أَمْوَالِنَا مَا شِئْتَ ، وَأَعْطِنَا مِنْهَا مَا شِئْتَ ، وَمَا أَخَذْتَ مِنَّا أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا تَرَكْتَ ، وَمَا أَمَرْتَ فِيهِ مِنْ أَمْرٍ فَاْمُرْنَا تَبِعْ لِأَمْرِكَ ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ سَرْتُ حَتَّى تَبْلُغَ الْبَرْكَ مِنْ غُمْدَانٍ لَنَسِيرَنَّ مَعَكَ ، وَوَاللَّهِ لَوْ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ فَخَضْتَهُ لَخَضْنَاهُ مَعَكَ ، مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ ، وَمَا نَكَّرَهُ أَنْ تَلْقَى بِنَا عَدُونًا غَدًا ، إِنَّا لَصَبْرٌ فِي الْحَرْبِ ، صُدِّقَ عِنْدَ الْلِقَاءِ ، وَلَعَلَّ اللَّهَ يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقَرَّبَ بِهِ عَنكَ ، فَسِرْ عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ ، فَسِرْ لِذَلِكَ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَانْبَسَطْ وَجْهَهُ ، وَبَدَأَ عَلَيْهِ الْبِشْرُ وَالرِّضَى وَالنَّشَاطُ .

وقال له المقدادُ : لا نقولُ لكُ كما قال قومُ موسى لِمُوسَى

(اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا ، انا ها هنا قاعدون) . ولكن نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ ، وَعَنْ شِمَالِكَ ، وَمِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ ، وَمِنْ خَلْفِكَ ، فَاشْرُقْ وَجْهَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسُرَّ بِمَا سَمِعَ ، وَقَالَ « سِيرُوا عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ وَأَبْشِرُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ ، وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَصَارِعَ الْقَوْمِ » فَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَدْرٍ حَتَّى نَزَلَ عِشَاءً أَذْنَى مَاءٍ مِنْ مِيَاهِ بَدْرٍ ، فَقَالَ الْحُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ - وَكَانَ خَبِيرًا بِمِيَاهِ بَدْرٍ - : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَهَذَا مَنَزَلُ أَنْزَلَكَهُ اللَّهُ ، لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدَّمَ مِنْهُ أَوْ نَتَأَخَّرَ ، أَمْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « بَلْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ » فَقَالَ الْحُبَابُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ هَذَا بِمَنَزِلٍ ، فَانْهَضَ بِالنَّاسِ حَتَّى نَأْتِيَ أَذْنَى مَاءٍ مِنَ الْقَوْمِ ، فَتُنَزَّلَهُ ، فَإِنِّي أَعْرِفُ غَزَاةَ مَائِهِ وَكَثْرَتَهُ ، فَتُنَزَّلُهُ وَنُغَوِّرُ مَا عَدَاهُ مِنَ الْآبَارِ ، ثُمَّ نَبْنِي عَلَيْهِ حَوْضًا ، فَنَمْلُؤُهُ مَاءً ، فَتَشْرَبُ وَلَا يَشْرَبُونَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَقَدْ أَشْرَتَ بِالرَّأْيِ » وَنَهَضَ بِأَصْحَابِهِ حَتَّى نَزَلُوا ، ثُمَّ بَنَوْا الْحَوْضَ عَلَى الْبِئْرِ ، حَيْثُ أَشَارَ الْحُبَابُ ، وَطَمَسُوا كُلَّ مَا وَرَاءَهُمْ مِنَ الْآبَارِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

عَصَمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الزَّلِيلِ وَوَفَّقَنَا لِصَالِحِ الْعَمَلِ وَهَدَانَا بِفَضْلِهِ سَبِيلَ الرَّشَادِ وَطَرِيقَ السَّدَادِ إِنَّهُ جَلَّ شَأْنُهُ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

مَوْعِظَةٌ :

عِبَادَ اللَّهِ إِهْتَفُوا بِالْقُلُوبِ لَعَلَّهَا تَسْتَيْقِظُ مِنْ وَسَنِ الرَّقَادِ وَاصْرِفُوا نَفُوسَكُمْ عَنْ مَوَارِدِ الْإِبْعَادِ وَاتَّبِعُوا فِي دَارِ النُّقْلَةِ وَالزُّوَالِ آثَارَ السَّلْفِ الزُّهَادِ فَقَدْ نَاحَتْ الدُّنْيَا عَلَى أَهْلِهَا بِالْأُسْنِ الْإِنْقِلَابِ وَلاَحَتْ لَكُمْ مِنَ الْآخِرَةِ شَوَاهِدُ الْإِقْتِرَابِ وَأَنْتُمْ عَمَّا أَضَلَّكُمْ مِنْهَا غَافِلُونَ وَبِمَا غَرَّكُمْ

وَأَلْهَأَكُمْ عَنْهَا مُشَاغِلُونَ كَأَنَّكُمْ بِحَقِيقَةِ مَعْرِفَتِهَا جَاهِلُونَ أَوْ كَأَنَّكُمْ إِلَى
 غَيْرِهَا رَاحِلُونَ فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ فَاتْرُكُوا مَا أَنْتُمْ عَنْهُ مُنْقَلِبُونَ
 وَأَنْهَضُوا فِي التَّرْوُدِ لِمَا أَنْتُمْ إِلَيْهِ صَائِرُونَ فَإِنَّ أَمَامَكُمْ صَيْحَةً تُلْحِقُ
 الْأَحْيَاءَ مِنْكُمْ بِالْأَمْوَاتِ وَتَذْهَلُ مَعَهَا النُّفُوسُ عَنْ مُلَابَسَةِ اللَّذَاتِ فَمَا
 أَقْرَبَ الْوُصُولِ إِلَيْهَا لِمَنْ مَطَايَاهُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ الْمُبْلِيَانِ لِكُلِّ جَدِيدِ
 الْمُقْرَبَانِ لِكُلِّ بَعِيدٍ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ مَنْ كَانَتْ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي مَطَايَاهُ
 سَارَتْ بِهِ وَإِنْ لَمْ يَسِرْ وَكَتَبَ بَعْضُ السَّلَفِ إِلَى أَخٍ لَهُ فَقَالَ اعْلَمْ يَا
 أَخِي أَنَّهُ يُخَيَّلُ إِلَيْكَ أَنَّكَ مُقِيمٌ وَأَنْتَ دَائِبُ السَّيْرِ تُسَاقُ سَوْقًا حَثِيثًا
 وَالْمَوْتُ مُتَوَجِّهٌ إِلَيْكَ وَالدُّنْيَا تُطْوَى مِنْ وَرَائِكَ وَمَا مَضَى مِنْ عُمْرِكَ فَلَنْ
 يَرْجِعَ إِلَيْكَ .

شُغْرًا :

تَمُّرٌ اللَّيَالِي وَالْحَوَادِثُ تَنْقِضِي
 كَأَضْعَافِ أَحْلَامِ وَنَحْنُ رُقُودُ
 وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا أَنَّهَا كُلُّ سَاعَةٍ
 تَجِدُ بِنَا سَيْرًا وَنَحْنُ قُعُودُ
 آخِر: وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا مَرَاحِلُ
 يَحْتُ بِهَا حَادٍ مِنَ الْمَوْتِ قَاصِدُ
 وَأَعْجَبُ شَيْءٍ لَوْ تَأَمَّلْتَ أَنَّهَا
 مَنَازِلُ تُطْوَى وَالْمُسَافِرُ قَاعِدُ
 آخِر: اتَّحَسِبِ الْعُمَرَ مَرْدُودًا تَصْرُمُهُ
 هَيْهَاتَ أَنْ يَرْجِعَ الْمَاضِي مِنَ الْحُكْبِ
 فَبَادِرِ الْعُمَرَ قَبْلَ الْفُوتِ مُغْتَنِمًا
 مَا دُمْتَ حَيًّا فَإِنَّ الْمَوْتَ فِي الطَّلَبِ

فَالْعُمُرُ مُنْصَرِمٌ وَالْوَقْتُ مُغْتَنَمٌ
وَالدهرُ ذُو غَيْرٍ فَاجْهَدَ بِهِ تُصِبْ

كان بعضُ السلفِ إذا أرادَ أن ينامَ قال لِأهلِهِ أَسْتَوِدِعُكُمْ اللّهَ
فَلَعَلَّهَا أَنْ تَكُونَ مِنِّي التي لا أقومُ مِنْهَا وكان هذا دأبه إذا أرادَ النومَ
وقال آخرُ إن استطاعَ أحدُكم أن لا يبيتَ إلا وَعَهْدُهُ عِنْدَ رَأْسِهِ مَكْتُوبٌ
فَلْيَفْعَلْ فإنه لا يذري لَعَلَّهُ يبيتُ في أهلِ الدُّنيا وَيُصْبِحُ في أهلِ الآخرةِ
قُلْتُ وَيَنْبَغِي لِكُلِّ مَنْ أرادَ الخروجَ لِمَحَلٍّ تَطْرُقُهُ السَّيَّاراتُ في وَقْتِنَا
الذي كَثُرَ فيه مَوْتُ الفُجَاءِ بسببِ السَّرْعَةِ المُفْرِطَةِ مِنْ سَائِقِي السَّيَّاراتِ
الذين ليسَ عندهم حُرْمَةٌ لِلْمُسْلِمِ نَسألُ اللّهَ الحيَّ القيومَ أن يوفِّقَ ولاننا
لِلأخذِ على أيديهم وَرَدِّعِهِمْ لِيَأْمَنَ المشاةُ وَيَطْمَئِنُوا بِإِذْنِ اللّهِ تعالى :

إِنِّي أَرِقْتُ وَذَكَرْتُ النِّموتِ أَرَقْنِي
وَقُلْتُ لِلدَّمْعِ أَسْعِدْنِي فَأَسْعِدْنِي
يا مَنْ يَمُوتُ فَلَمْ تُحْزِنَهُ مِيتَتُهُ
وَمَنْ يَمُوتُ فَمَا أَوْلَاهُ بِالْحَزَنِ
تَبْغِي النِّجاةَ مِنَ الأَحْداثِ مُحْتَرِساً
وَإِنَّمَا أَنْتَ وَالعِلاتُ في قَرَنِ
يا صَاحِبَ الرُّوحِ ذِي الأَنْفاسِ في بَدَنِ
بَيْنَ النِّهارِ وَبَيْنَ اللَّيْلِ مُرْتَهَنِ
لَقَلَّمَا يَتَخَطَّأُكَ اِخْتِلافُهُمَا
حَتَّى يَفَرِّقَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْبَدَنِ
طِيبُ الحَيَاةِ لِمَنْ خَفَّتْ مَوْؤُنَتُهُ
وَلَمْ تَطْبُ لِدَوِي الأَثقالِ وَالْمُؤنِ

لَمْ يَبْقَ مِمَّا مَضَى إِلَّا تَوَهُمُهُ
 كَأَنَّ مَنْ قَدْ مَضَى بِالْأَمْسِ لَمْ يَكُنْ
 وَإِنَّمَا الْمَرَّةُ فِي الدُّنْيَا بِسَاعَتِهِ
 سَائِلُ بِذَلِكَ أَهْلَ الْعِلْمِ بِالزَّمَنِ
 مَا أَوْضَحَ الْأَمْرَ لِلْمُلْقِي بِعِبْرَتِهِ
 بَيْنَ التَّفَكُّرِ وَالتَّجْرِبِ وَالفِطَنِ
 أَلَسْتَ يَا ذَا تَرَى الدُّنْيَا مُوَلَّيَةً
 فَمَا يَغْرُكَ فِيهَا مِنْ هُنِ وَهِنِ
 لِأَعْجَبَنَّ وَأَنْتَى يَنْقُضِي عَجْبِي
 النَّاسُ فِي غَفْلَةٍ وَالمَوْتُ فِي سُنَنِ
 وَظَاعِنٍ مِنْ بَيَاضِ الرِّيطِ كِسْوَتُهُ
 مُطَيَّبٍ لِلْمَنَائِيَا غَيْرِ مُدَّهِنِ
 غَادَرْتُهُ بَعْدَ تَشْيِيعِيهِ مُنْجِدِلًا فِي قُرْبِ دَارٍ وَفِي بَعْدٍ مِنَ الْوَطَنِ
 لَا يَسْتَطِيعُ انْتِقَاصًا فِي مَحَلَّتِهِ
 مِنَ الْقَبِيحِ وَلَا يَزْدَادُ فِي الْحَسَنِ
 مَا بَالُ قَوْمٍ وَقَدْ صَحَّتْ عُقُولُهُمْ
 فِيمَا ادَّعَوْا يَشْتَرُونَ الْغِيَّ بِالثَّمَنِ
 لَتَجْذِبَنَّ يَدُ الدُّنْيَا بِقُوَّتِهَا
 إِلَى الْمَنَائِيَا وَإِنْ نَارَعَتْهَا رَسْنِي
 وَأَيُّ يَوْمٍ لِمَنْ وَافَى مَنِيَّتَهُ
 يَوْمٌ تَبَيَّنَ فِيهِ صُورَةُ الْغَبَنِ

لِلهِ دُنْيَا أَنَا فِي دَائِبِينَ لَهَا
 قَدْ أَرْتَعُوا فِي رِيَاضِ الْغِيِّ وَالْفِتَنِ
 كَسَائِمَاتِ رَوَاعٍ تَبْتَغِي سِمْنَاً
 وَحَتْفُهَا لَوْ دَرَّتْ فِي ذَلِكَ السِّمَنِ

اللَّهُمَّ طَهِّرْ قُلُوبَنَا مِنَ النِّفَاقِ وَعَمَلْنَا مِنَ الرِّيَاءِ وَالسِّتْنَةِ مِنَ الْكُذْبِ
 اللَّهُمَّ وَقَوِّ إِيْمَانَنَا بِكَ وَنَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيْمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ
 اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ وَالْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأَمْنَا
 مِنْ سَطْوَتِكَ وَمَكْرِكَ وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا
 أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل : وكان صلى الله عليه وسلم شديد الجرح على كتمان أمره عن
 الناس ، حتى لا يقف على حقيقتهم أحد ، ولا يعرف مقصدهم أحد ،
 فجعل كلما نزل منزلاً يسأل عن أخبارهم ، ويبحث عنهم في حيلة
 وحذر .

وروى ابن اسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل قريباً
 من بدر ، فركب هو ورجل من أصحابه حتى وقف على شيخ من
 العرب ، فسأله عن قريش ، وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم ،
 فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تُخبراني ممن أنتم . فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم « أو ذاك بذاك » قال : نعم . قال : فإنه بلغني
 أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدق الذي
 أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذي به رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ، وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان

الَّذِي أَخْبَرَنِي صَدَقَنِي فَهُمْ الْيَوْمَ بِمَكَانٍ كَذَا وَكَذَا ، لِلْمَكَانِ الَّذِي بِهِ قُرَيْشٌ ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ خَبَرِهِ قَالَ : مِمَّنْ أَنْتُمَا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « نَحْنُ مِنْ مَاءٍ » ثُمَّ انصَرَفَ عَنْهُ ، قَالَ يَقُولُ الشَّيْخُ مِنْ مَاءٍ أَمِنْ مَاءِ الْعِرَاقِ ؟ .

فَلَمَّا أَمَسَى بَعَثَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى مَاءِ بَدْرٍ ، يَلْتَمِسُونَ الْخَبَرَ ، فَوَجَدُوا سُقَاةَ قُرَيْشٍ يَسْقُونَ لَهُمْ فَأَمْسَكُوا بِغُلَامَيْنِ مِنْهُمْ ، فَجَاؤَا بِهِمَا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي ، فَجَعَلَ الْقَوْمُ يَسْأَلُونَهُمَا لِمَنْ أَنْتُمَا ؟ وَهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يَكُونَا مِنْ سُقَاةِ الْعَيْرِ ، فَقَالَ الْغُلَامَانِ : نَحْنُ مِنْ سُقَاةِ قُرَيْشٍ ، بَعَثُونَا نَسْقِيهِمْ مِنَ الْمَاءِ ، فَظَنُّوا أَنَّهُمَا يَكْذِبَانِ ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُمَا ، ثُمَّ يَسْأَلُونَهُمَا فَيَقُولَانِ : نَحْنُ لِقُرَيْشٍ . فَلَمَّا أَوْجَعُوهُمَا ضَرْبًا قَالَا : نَحْنُ لِأَبِي سُفْيَانَ فَتَرَكُوهُمَا ، فَلَمَّا فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ صَلَاتِهِ قَالَ « إِذَا صَدَقَاكُمْ ضَرَبْتُمُوهُمَا ، وَإِذَا كَذَبَاكُمْ تَرَكَتُمُوهُمَا ، صَدَقَا وَاللَّهِ إِنَّهُمَا لِقُرَيْشٍ ، ثُمَّ سَأَلَهُمَا عَنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالَا : هُمْ وَاللَّهِ وَرَاءَ هَذَا الْكُتَيْبِ الَّذِي تَرَى ، بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « كَمْ الْقَوْمُ ؟ » قَالَا : كَثِيرٌ : قَالَ « مَا عَدْتُهُمْ ؟ » قَالَا : لَا نَدْرِي ، قَالَ « كَمْ يَنْحَرُونَ كُلَّ يَوْمٍ ؟ » قَالَا : يَوْمًا تِسْعًا وَيَوْمًا عَشْرًا مِنَ الْجُزْرِ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « الْقَوْمُ مَا بَيْنَ التِّسْعِمَائَةِ وَالْأَلْفِ » ثُمَّ قَالَ « فَمَنْ فِيهِمْ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ » فَجَعَلَا يَذْكُرَانِ لَهُ ، فَقَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ « هَذِهِ مَكَّةُ قَدْ أَلْقَتْ إِلَيْكُمْ أَفْلاذَ كَبِدِهَا » فَعَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهَا الْحَرْبُ لَا مَحَالَةَ .

اللهم قويا إيماننا بك وملايكتك وبرسلك وباليوم الآخر وبالقدر
خيره وشره اللهم الهننا ذكرك وشكرك ووفقتنا لإطاعتك وامثال أمرك

واجعلنا من عبادك المفلحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون واغفر
لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله
على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فصل) وَكَمَا أَشَارَ الْحُبَابُ بِنِ الْمُنْدِرِ بَيْنَاءِ الْحَوْصِ ، أَشَارَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَبْنُوا لَهُ عَرِيشًا ، يُشْرَفُ مِنْهُ عَلَى الْمَعْرَكَةِ ،
وَيُوجِّهُهَا ، وَيَأْمَنُ غِرَّةَ الْعَدُوِّ ، فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَلَا نَبِيَّ لَكَ عَرِيشًا ،
تَكُونُ فِيهِ ، وَنُعِدُّ عِنْدَكَ رَكَائِبَكَ ، ثُمَّ نَلْقَى عَدُوَّنَا ، فَإِذَا أَعْرَزْنَا اللَّهُ
وَأَظْهَرْنَا عَلَى عَدُوَّنَا ، كَانَ ذَلِكَ مَا أَحْبَبْنَا وَإِنْ كَانَتْ الْأُخْرَى جَلَسَتْ
عَلَى رَكَائِبِكَ ، فَلَحِقَتْ بِمَنْ وَرَاءَنَا مِنْ قَوْمِنَا ، فَقَدْ تَخَلَّفَ عَنْكَ أَقْوَامٌ
مَا نَحْنُ بِأَشَدَّ مِنْهُمْ حُبًّا لَكَ وَلَوْ ظَنُّوا أَنَّكَ تَلْقَى حَرْبًا مَا تَخَلَّفُوا عَنْكَ ،
يَمْنَعُكَ اللَّهُ بِهِمْ ، وَيُنَاصِحُونَكَ ، وَيُجَاهِدُونَ مَعَكَ ، فَأَنْتَى عَلَيْهِ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ ، ثُمَّ بَنِيَ الْعَرِيشَ عَلَى تَلٍّ ،
كَمَا أَشَارَ سَعْدُ ، وَأَعِدَّتْ عِنْدَهُ أَنْجَبُ الرُّكَّائِبِ ، وَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَوِّي الصُّفُوفَ ، وَيَتَفَقَّدُ الرِّجَالَ ، وَيُهَيِّئُ أَصْحَابَهُ
لِلْقِتَالِ ، وَدَفَعَ رَايَتَهُ إِلَى مُضْعَبِ بْنِ عَمِيرٍ ، فَتَقَدَّمَ بِهَا إِلَى مَوْضِعِهَا
الَّذِي أَمَرَهُ أَنْ يَضَعَهَا فِيهِ ، ثُمَّ وَقَفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْظُرُ إِلَى
الصُّفُوفِ ، فَاسْتَقْبَلَ الْغَرْبَ وَجَعَلَ الشَّمْسَ وَرَاءَهُ ، وَأَقْبَلَ الْمُشْرِكُونَ ،
فَاسْتَقْبَلُوا الشَّمْسَ .

وَخَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ ، يَحْتُمُّهُ عَلَى
الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَيُرَغِّبُهُمْ فِي الْأَجْرِ ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ،
ثُمَّ قَالَ « أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي أَحْتَكُمُ عَلَى مَا حَكَّمَكُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنهَاكُمُ عَنْ مَا
نَهَاكُمُ عَنْهُ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَظِيمٌ شَأْنُهُ ، يَأْمُرُ بِالْخَيْرِ ، وَيُحِبُّ الصِّدْقَ ،
وَيُعْطِي الْخَيْرَ أَهْلَهُ ، عَلَى مَنَازِلِهِمْ عِنْدَهُ ، وَإِنكُمْ قَدْ أَصْبَحْتُمْ بِمَنْزِلٍ مِنْ
مَنَازِلِ الْحَقِّ ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ فِيهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا مَا ابْتَغَيْ بِهِ وَجْهَهُ ، وَإِنَّ

الصَّبْرَ فِي مَوَاطِنِ الْبَأْسِ مِمَّا يُفْرِجُ اللَّهُ بِهِ الْهَمَّ ، وَيُنْجِي بِهِ مِنَ الْغَمِّ ،
وَتُدْرِكُ بِهِ النِّجَاةَ فِي الْآخِرَةِ ، فَيُكْمَلُ نَبِيُّ اللَّهِ ، يُحَدِّثُكُمْ وَيَأْمُرُكُمْ ،
فَاسْتَحْيُوا الْيَوْمَ أَنْ يَطَّلِعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَمْرِكُمْ يَمَقُّتُكُمْ
عَلَيْهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ ﴿ لِمَقَّتْ لِي أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾ وَأَبْلُوا
رَبَّكُمْ فِي هَذِهِ الْمَوَاطِنِ أَمْرًا تَسْتَوْجِبُونَ بِهِ الَّذِي وَعَدْتُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ
وَمَغْفِرَتِهِ ، فَإِنَّ وَعْدَهُ حَقٌّ ، وَقَوْلُهُ صِدْقٌ ، وَعِقَابُهُ شَدِيدٌ ، وَإِنَّمَا أَنَا
وَأَنْتُمْ بِاللَّهِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ ، إِلَيْهِ الْجَانَا ظُهُورَنَا ، وَبِهِ اعْتَصَمْنَا ، وَعَلَيْهِ
تَوَكَّلْنَا ، وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ، يَغْفِرُ اللَّهُ لِي وَلِلْمُسْلِمِينَ .

وَأَقْبَلْتُ قُرَيْشُ تَنْصَبُ إِلَى الْوَادِي مِنَ الْكَنْبِ ، وَعَدَدُ الْمُشْرِكِينَ
قَرِيبٌ مِنَ الْأَلْفِ مُقَاتِلٍ ، وَمَعَهُمْ مِائَةٌ فَرَسٍ ، وَسَبْعُمِائَةٍ بَعِيرٍ ، وَرَوِي
أَنَّ أَيْمَاءَ بَنِ رُحَصَةَ بَعَثَتْ إِلَى قُرَيْشِ ابْنًا لَهُ بَعْشَرِ جَزَائِرٍ ، أَهْدَاهَا لَهُمْ ،
وَقَالَ : إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ أَمْدُكُمْ بِسِلَاحٍ وَرِجَالٍ فَعَلْنَا ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ
أَوْصَلْتِكَ رَحِمٌ ، فَلَمَّا كُنَّا إِنَّمَا نُقَاتِلُ النَّاسَ فَمَا بِنَا ضَعْفُ عَنْهُمْ ، وَإِنْ
كُنَّا نُقَاتِلُ اللَّهَ كَمَا يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ فَمَا لِأَحَدٍ بِاللَّهِ طَاقَةٌ ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثْرَتَهُمْ ، وَقَلَّةَ أَصْحَابِهِ ، تَوَجَّهَ إِلَى اللَّهِ
يَسْتَعِينُهُ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ « اللَّهُمَّ هَذِهِ قُرَيْشُ ، قَدْ أَقْبَلَتْ بِخِيَلَاتِهَا
وَفَخْرِهَا ، تُحَادِّثُكَ وَتُكَذِّبُ رَسُولَكَ ، اللَّهُمَّ فَانصُرْكَ الَّذِي وَعَدْتَنِي ،
اللَّهُمَّ فَأَحْنِهِمُ الْغَدَ » .

«اللَّهُمَّ أَتَبِّرْ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ أَمْرٌ رُشِدٌ يُعَزُّ فِيهِ أَهْلُ طَاعَتِكَ وَيُذَلُّ فِيهِ أَهْلُ
مَعْصِيَتِكَ وَيُؤْمَرُ فِيهِ بِالْمَعْرُوفِ وَيُنْهَى فِيهِ عَنِ الْمُنْكَرِ إِنَّكَ سَمِيعُ الدَّعَاءِ»
(اللَّهُمَّ مَكِّنْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَنَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَأَلْهِمْنَا

ذَكَرَكَ وَشُكْرَكَ بِحُضُورِ قَلْبٍ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً
 وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
 اللَّهُمَّ أَدِقْنَا عَفْوَكَ وَغُفْرَانَكَ وَأَسْلُكْ بِنَا طَرِيقَ مَرْضَاتِكَ . وَعَامِلْنَا
 بِلُطْفِكَ وَاحْسَانِكَ وَأَقْطَعْ عَنَّا مَا يُبْعَدُ عَن طَاعَتِكَ اللَّهُمَّ وَبَّتْ مَحَبَّتَكَ فِي
 قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَيَسِّرْ لَنَا مَا يَسِّرْتَهُ لِأَوْلِيَانِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
 الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَضْلٌ »

وَأَرَادَ الْمُشْرِكُونَ أَنْ يَسْتَوْثِقُوا مِنْ رِجَالِ الْمُسْلِمِينَ ، قَبْلَ أَنْ
 يُنَازِلُوهُمْ ، فَأَرْسَلُوا عُمَيْرَ بْنَ وَهَبِ الْجَمْحِيَّ يَحْزُرُ لَهُمْ أَعْدَادَ الْمُسْلِمِينَ
 تَقْرِيئاً ، وَيَتَعَرَّفُ أَحْوَالَهُمْ ، فَلَمَّا أَطَّلَعَ عَلَيْهِمْ عُمَيْرٌ رَأَى الْمُسْلِمِينَ فِي
 مَنْظَرٍ يَبْعَثُ الرُّعْبَ وَالذُّعْرَ وَالْخَوْفَ وَيَسْتَوْجِبُ الْحَذَرَ الشَّدِيدَ ، قَوْمٌ
 قَلِيلٌ عَدَدُهُمْ ، وَلَكِنْ صُورَ الْمَوْتِ تَرَاءَى مِنْ مَنَازِلِهِمْ ، قَدْ تَرَاصَتْ
 صُفُوفُهُمْ ، كَمَا يَتَرَاصُ الْبُنْيَانُ ، وَتَلَاحَمَتْ أَجْسَامُهُمْ كَمَا يَتَلَاحَمُ
 الْحَدِيدُ ، وَجَسَّوْا عَلَى الرُّكْبِ مُسْتَوْفِزِينَ ، يَتَنَمَّرُونَ تَنَمَّرَ الْأَسُودُ
 الضَّوَارِي ، وَيَتَلَمَّظُونَ تَلَمَّظَ الْأَفَاعِي ، وَيَدُورُونَ بَعْيُونَ تَبَعْتُ الْمَوْتَ
 حَيْثَمَا دَارَتْ ، وَتَتَحَرَّكَ شِفَاهُهُمْ بِمَا لَا تُظْهِرُهُ أَصْوَاتُهُمْ ، يَسُودُهُمْ
 صَمْتُ رَهِيْبٍ ، وَتَضْمِيْمٌ عَجِيْبٌ ، وَعَزْمٌ صَارِمٌ عَلَى الْاسْتِمَاتَةِ فِي سَبِيلِ
 اللَّهِ ، حَتَّى لَكَأَنَّهُمْ بَاعُوا لَهَا نَفْسَهُمْ ، فَلَا يُرِيدُونَ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى
 أَهْلِيهِمْ ، فَأَخَذَ عُمَيْرٌ بِهَذَا الْمَنْظَرِ الْمُفْرِغِ الْمُقْلِقِ ، وَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ
 فَقَالَ لَهُمْ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشِ الْبَلَايَا تَحْمِلُ الْمَنَايَا . . . نَوَاضِحٌ يُثْرِبُ تَحْمِلُ
 الْمَوْتَ النَّاقِعَ ، قَوْمٌ لَيْسَ لَهُمْ مَنَعَةٌ ، وَلَا مَلْجَأٌ إِلَّا سُيُوفُهُمْ ، وَاللَّهُ مَا
 أَرَى أَنْ يُقْتَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى يُقْتَلَ رَجُلًا مِنْكُمْ ، فَإِذَا أَصَابُوا مِنْكُمْ

أَعَدَّاهُمْ فَمَا خَيْرُ الْعَيْشِ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَرَوْا رَأْيَكُمْ ، فَتَعَاظَمَتْ فِي أَعْيُنِ
قُرَيْشٍ هَيْبَةُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنْهَارَتْ قُوَاهُمْ الْمَعْنَوِيَّةَ ، وَحَلَّ الْخَوْفُ مَحَلَّ
التَّكْبَرِ وَالزَّهْوِ وَالطُّغْيَانِ وَالْاِحْتِقَارِ ، وَلَكِنْ صَافَ عَلَى الْخَوْفِ التَّجَلُّدُ
وَالْمُجَامَلَةُ ، وَأَخَذَ الْخِلَافُ يَدَبُ بَيْنَ صُفُوفِهِمْ مِنْ جَدِيدٍ ، وَجَعَلَ
بَعْضُهُمْ يَمْشِي إِلَى بَعْضٍ ، رَجَاءً أَنْ يَنْفُضُوا قَبْلَ أَنْ تَنْشَبَ الْحَرْبُ ،
وَيَحْتَدِمُ الْقِتَالُ ، وَأَذْرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا بَيْنَهُمْ مِنْ
خِلَافٍ ، فَأَرَادَ أَنْ يُعْذِرَ إِلَيْهِمْ مِنْ نَفْسِهِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ
يَقُولُ لَهُمْ ارْجِعُوا فَإِنَّهُ إِنْ يَلِيَّ هَذَا مِنِّي غَيْرُكُمْ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَلُوهُ
مِنِّي ، فَقَالَ حَكِيمُ بْنُ حِرَامٍ : قَدْ عَرَضَ وَاللَّهِ نَصْفًا فَأَقْبَلُوهُ وَمَشَى إِلَى
عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا الْوَلِيدِ أَنْتَ كَبِيرُ قُرَيْشٍ وَسَيِّدُهَا وَالْمُطَاعُ
فِيهَا ، فَهَلْ لَكَ أَلَّا تَزَالَ تُذَكَّرُ مِنْهَا بِخَيْرٍ آخَرَ الدَّهْرِ ، قَالَ وَمَا ذَاكَ يَا أَبَا
خَالِدٍ ؟ قَالَ : تَرْجِعُ بِالنَّاسِ ، وَتَحْمِلُ دَمَ حَلِيفِكَ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ ، وَمَا
أَصَابَ مُحَمَّدٌ مِنْ تِلْكَ الْعِيرِ بَبْطُنِ نَخْلَةٍ ، قَالَ عُتْبَةُ : قَدْ فَعَلْتُ
وَأَنْتَ عَلَيَّ بِذَلِكَ ، ثُمَّ قَامَ عُتْبَةُ فِي الْمُسْرِكَيْنِ يَقُولُ :
يَا قَوْمِ أَطِيعُونِي لَا تُقَاتِلُون هَذَا الرَّجُلَ وَأَصْحَابَهُ ، وَاعْصِبُوا هَذَا
الْأَمْرَ بِرَأْسِي ، وَاجْعَلُوا جُبْنَهَا بِي فَإِنَّ مِنْهُمْ رِجَالًا قَرَابَتَهُمْ قَرِيبَةٌ ، وَلَكِنْ
أَصْبَتُمُوهُ لَا يَزَالُ الرَّجُلُ مِنْكُمْ يَنْظُرُ إِلَى قَاتِلِ أَبِيهِ أَوْ أَخِيهِ ، فَيُورِثُ ذَلِكَ
مِنْكُمْ شَحْنَاءً وَأَضْغَانًا ، وَلَنْ تَخْلُصُوا إِلَيَّ قَتْلِهِمْ حَتَّى يُصَيِّبُوا مِنْكُمْ
عَدَدَهُمْ وَلَا آمَنُ أَنْ تَكُونَ الدَّبِيرَةُ عَلَيْكُمْ ، وَأَنْتُمْ لَا تَطْلُبُونَ إِلَّا دَمَ هَذَا
الرَّجُلِ ، وَالْعِيرِ الَّتِي أَصَابَ ، وَأَنَا أَحْتَمِلُ ذَلِكَ ، وَهُوَ عَلَيَّ ، يَا قَوْمِ إِنْ
يَكُ مُحَمَّدٌ كَاذِبًا يَكْفِيكُمْوهُ فُؤَادُ الْعَرَبِ ، وَإِنْ يَكُنْ مَلِكًا أَكَلْتُمْ فِي

مُلْكِ ابْنِ أَخِيكُمْ ، وَإِنْ يَكُنْ نَبِيًّا كُنْتُمْ أَسْعَدَ النَّاسِ بِهِ ، يَا قَوْمَ لَا تَرُدُّوْا
نَصِيحَتِي ، وَلَا تُسْفَهُوْا رَأْيِي .

وكان أبو جهل شيطان هذه المعركة ، فجعل يسفه رأي عتبة بن
ربيعه ، ويصفه بالجبن ، ويشيع في الناس أنه لم يقل ما قال إلا خوفاً
على ابنه أبي حذيفة ، فقد رأى أصحاب محمد أكلة جزور ، فخاف
على ابنه أن يقتل معهم ، وجعل يحرض الناس على الشر ، ويقول لا
والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، واستفتح في ذلك
اليوم فقال : اللهم أقطعنا للرحم ، وآتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة .

اللهم أيُّنا كان أحب إليك ، وأرضى عندك ، فانصره اليوم فانزل
الله عز وجل ﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ ، وَإِنْ تَنْتَهُوْا فَهُوَ خَيْرٌ
لَكُمْ ، وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ ، وَلَنْ تُغْنِيَّ عَنْكُمْ فِتْنَتِكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ ، وَإِنَّ
اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

وبعث إلى عامر بن الحضرمي الذي قتل أخوه في نخلة ، فجعل
يحرضه على أن يطلب نار أخيه ، فقام ابن الحضرمي ، « فجعل يحثو
على نفسه التراب ويصيح وأعمراه وأعمراه » فحمي الناس واستوثقوا
على ما هم عليه من الشر ، وأخذوا أهبة الزحف ، واستعدوا للقتال .
وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
« موعظه »

عباد الله انتبهوا للمواعظ واعملوا بها فقد ورد عن النبي صلى
الله عليه وسلم أنه قال أيما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فإنما
هي نعمة من الله سيقت إليه فإن قبلها بشكر وإلا كانت حجة من الله

عليه لِيَزْدَادَ بِهَا اِثْمًا وَيَزْدَادُ اللهُ عَلَيْهِ بِهَا سُخْطًا .

عِبَادَ اللهِ كَمْ قَدْ نُهَيْتُمْ عَنِ الْاِغْتِرَارِ بِالدُّنْيَا وَحُطَامِهَا الْفَانِي
وَالطُّمَأْنِينَةِ اِلَيْهَا وَالانْخِدَاعِ بِزَخَارِفِهَا وَكَمْ قَدْ نُهَيْتُمْ عَنِ الْاِيثارِ لَهَا عَلَى
الْآخِرَةِ وَالاشْتِعَالِ بِهَا عَنْهَا قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿ بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ، وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ
عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ
عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا
مَدْحُورًا ﴾ وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي
حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ
نَصِيبٍ ﴾ وَإِنَّ دَارًا يَا عِبَادَ اللهِ أَوْصَافُهَا فِي كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ إِنَّهَا
عَرُورٌ وَمَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَعِبٌ وَلَهْوٌ وَمَمَرٌ وَطَرِيقٌ إِلَى الْآخِرَةِ كَمَا هُوَ الْوَاقِعُ دَارٌ
مَمْلُوءَةٌ بِالْأَكْدَارِ وَالْمَصَائِبِ وَالْأَلَامِ وَالْأَحْزَانِ دَارٌ مَا أَضْحَكَتْ إِلَّا وَأَبْكَتْ
وَلَا سَرَّتْ إِلَّا وَأَسَاءَتْ دَارٌ نِهَائِيَّةٌ قُوَّةٌ سَاكِنِيهَا إِلَى الضَّعْفِ وَنِهَائِيَّةٌ شَبَابِهِمْ
إِلَى الْهَرَمِ وَنِهَائِيَّةٌ حَيَاتِهِمِ الْمَوْتِ .

اللهم يَا مُصْلِحَ الصَّالِحِينَ أَصْلِحْ فُسَادَ قُلُوبِنَا وَاسْتُرْ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ عَيْبُونَا وَاعْفِرْ بِعَفْوِكَ وَرَحْمَتِكَ ذُنُوبَنَا ، وَهَبْ لَنَا مُوَبِقَاتِ الْجَرَائِرِ
وَاسْتُرْ عَلَيْنَا يَا مَوْلَانَا فَاصْصِحِّ السَّرَائِرَ ، وَلَا تُخْلِنَا فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ مِنْ
بَرْدِ عَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ وَلَا تَتْرُكْنَا مِنْ جَمِيلِ صَفْحِكَ وَأِحْسَانِكَ وَآتِنَا فِي
الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ
المُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

شعرا : أَيَابَانِي الدُّنْيَا لِغَيْرِكَ تَبَنِّي وَيَا جَامِعَ الدُّنْيَا لِغَيْرِكَ تَجْمَعُ
أَرَى الْمَرْءَ وَثَاباً عَلَى كُلِّ فُرْصَةٍ
وَلِلْمَرْءِ يَوْماً لَا مَحَالََةَ مَضْرَعُ
آخر :

يَأْتِي عَلَى النَّاسِ إِصْبَاحٌ وَإِمْسَاءٌ
وَحُبُّنَا هَذِهِ الدُّنْيَا هُوَ الدَّاءُ
كَمْ أَيْقَضَتْ بِضُرُوفٍ مِنْ حَوَادِثِهَا
وَكَلْنَا لِضُرُوفِ الدَّهْرِ نَسَاءً
أَيُّنَ الْمُلُوكِ وَأَبْنَاءَ الْمُلُوكِ وَمَنْ
قَادُوا الْجُنُودَ وَنَالُوا كُلَّ مَا شَاؤُوا
وَأَيُّنَ عَادَ وَأَقْيَالَ الْمُلُوكِ وَمَنْ
كَانَتْ لَهُمْ عِزَّةٌ فِي الْمُلْكِ قَعَسَاءُ
قَدْ مُتِعُوا بِقَلِيلٍ مِنْ زَخَارِفِهَا
فِي عِزَّةٍ فَإِذَا النُّعْمَاءُ بِأَسَاءُ
نَالُوا يَسِيراً مِنَ اللَّذَاتِ وَأَنْصَرَفُوا
عَنْ دَارِهَا وَأَقْتَفَى اللَّذَاتِ أَسْوَاءُ

دَارُ هَذَا وَصَفُهَا وَوَاقِعُهَا فَهَلْ يَغْتَرُّ بِهَا مَنْ لَهُ عَقْلٌ هَلْ يَأْمَنُهَا أَوْ
بَطْمِنُ إِلَيْهَا ذُو عَقْلٍ رَزِينٌ هَلْ يُعَادِي وَيُشَاحِنُ وَيُوَالِي مِنْ أَجْلِهَا إِلَّا
نَاقِصُ الْعَقْلِ وَالِدِينِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا عِبَادَ اللَّهِ وَكُونُوا مِنْ تَقْلِبِهَا عَلَى غَايَةِ
الْحَدْرِ وَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ وَذَلَّلُوا دُنْيَاكُمْ لِأَخْرَجَتِكُمْ وَاسْتَحْدِمُوهَا فِي
الَّذِي يُرْضِي رَبَّكُمْ فَإِنَّ الدُّنْيَا نِعْمَ الْمَطِيئَةُ لِمَنْ اسْتَحْدَمَهَا لِلْآخِرَةِ وَلَنْ
يُصْحَبَ الْإِنْسَانَ إِذَا فَارَقَهَا وَانْتَقَلَ مِنْهَا إِلَّا مَا قَدَّمَهُ فِيهَا مِنْ صَالِحٍ

الأعمال قال الله تعالى ﴿ والباقيات الصالحات خيرٌ عند ربك ثواباً وخيرٌ
أَمْلاً ﴾ وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظروا نفس ما قدمت
لِعَدِّ واتقوا الله إن الله خبيرٌ بما تعملون ﴾ فاتقوا الله عباد الله وبادروا
بالأعمال الصالحة قبل هُجُومِ هَازِمِ اللذاتِ ومُفَرِّقِ الجماعاتِ قبل أن
تأتي فتنة كقطع الليل المظلم يُصبحُ الرجلُ مؤمناً ويُمسي كافرًا
ويُمسي مؤمناً ويصبحُ كافرًا يبيعُ دينه بعرضٍ من الدنيا ورَوَى البُخاريُّ
عن ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما قال أخذَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه
وسلمَ بمنكبيَّ فقال « كُنْ في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ فكان ابنُ
عمرَ يقولُ إذا أُمِيتَ فلا تنتظرِ الصُّباحَ وإذا أصبَحْتَ فلا تنتظرِ المساءَ
وخذُ من صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ ومن حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ وَيَقُولُ النبيُّ صلى اللهُ
عليه وسلمَ فيما رَوَاهُ الحَاكِمُ وصَحَّحَهُ عن ابنِ عَبَّاسٍ اغتَنِمْ خمساً قبلَ
خمسٍ : شبَابَكَ قبلَ هَرَمِكَ وصِحَّتَكَ قبلَ سَقَمِكَ وغِنَاكَ قبلَ فقْرِكَ
وفَرَاغَكَ قبلَ شُغْلِكَ وحَيَاتَكَ قبلَ مَوْتِكَ .

عَسَى تَوْبَةٌ تُمَحِي بِهَا كُلُّ زَلَّةٍ
وَتَغْسِلُ أَدْرَانَ الْقُلُوبِ الْمَرِيضَةِ
أَجْدُكَ مَا الدُّنْيَا وَمَاذَا نَعِيمُهَا
وَهَلْ هِيَ إِلَّا دَارُ بُؤْسٍ وَحَسْرَةٍ
وَلَمْ أَرَى فِيهَا مَا يَرُوقُ بَلَى بِهَا
تُرِيقُ دَمَ الْأَعْمَارِ أَسْيَاقُ غَفْلَةٍ
إِذَا أَدْرَكَتْ فِيهَا مَسْرَةٌ سَاعَةٍ
أَتَتْكَ إِسَاءَاتُ تُنْسِيكَ بِأَلْتِي

وَأِنْ عَطَفْتَ فَالْعَطْفُ عَطْفَ تَوْهُمْ
فِيَاكَ أَنْ تَغْتَرَّ مِنْهَا بِعَطْفَةٍ
رَأَيْنَا أَنَسًا قَدْ أَنَاخَتْ بِسَوْجِهِمْ
وَقَالَتْ خُذُوا مِنْ زَهْرَتِي كُلِّ مُتِيَةٍ
فَفَرَّتْهُمْ حَتَّى اسْتَبَاحُوا حَرِيمَهَا
وَحَطُّوا بِهَا الْأَثْقَالَ مِنْ كُلِّ شَهْوَةٍ
فَمَا هِيَ إِلَّا أَنْ أَرْتَهُمْ نَعِيمَهَا
وَمَدَّدُوا أَعْنَاقًا إِلَى كُلِّ لَذَّةٍ
أَتَتْهُمْ فَأَجَلَّتْ عَنْهُمْ كُلِّ شَهْوَةٍ
أَرَادُوا وَأَخْلَكَ مِنْهُمْ كُلِّ غُرْفَةٍ
فَصَارُوا أَحَادِيثًا لِكُلِّ مُحَادِثٍ
وَهُمْ سَمَرُ السُّمَارِ فِي كُلِّ سَمْرَةٍ
وَلِلْعَيْنِ كَانُوا قُرَّةً ثُمَّ أَصْبَحُوا
وَهُمْ عِبْرَةٌ تَجْرِي بِهَا كُلِّ عِبْرَةٍ
تَبَدَّلَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ بِضِدِّهِ
فِيَاكَ أَنْ تَغْتَرَّ فِيهَا بِرُتْبَةٍ
فَصِحَّتْهَا وَالْعِزُّ وَالْمَالُ بَعْدَهَا
سَقَامٌ وَذُلٌّ وَافْتِقَارٌ بِقِلَّةٍ
أَرَى هَذِهِ الْأَعْمَارَ أَحْلَامَ نَائِمٍ
وَلَذَّتْهَا طَيْفًا أَلَمَ بِمُقْلَتِي
أَلَسْتَ تَرَى الْأَتْرَابَ قَدْ رَحَلُوا إِلَى
تُرَابٍ وَحَلُّوا فِي مَنَازِلٍ وَخَشَةِ

مُقِيمِينَ فِيمَا يَنْظُرُونَ مَتَى مَتَى
تُرُوحُ إِلَيْهِمْ فِي عَشِيِّ وَبُكْرَةٍ
وَتَقْبَلُ فِي جَيْشٍ قُصَارَى مَرَامِهِمْ
نُزُولَكَ فَرْدًا حُفْرَةً أَيْ حُفْرَةً
وَيَحْثُو عَلَيْكَ التُّرْبَ كُلُّ مُشِيْعٍ
ثَلَاثًا وَهَذَا مِنْ فِعَالِ الْأَحِبَّةِ
فَتَنْزِلُ دَارَ لَا أَنْيَسَ بِهَا وَلَا
خَلِيلَ بِهَا تُفْضِي إِلَيْهِ بِخُلَّتِي
سِوَى رَحْمَةِ الرَّحْمَنِ يَا خَيْرَ رَاحِمٍ
أَسَأْنَا فَقَابَلْنَا بِعَفْوٍ وَرَحْمَةٍ
وَصَلَّى عَلَى الْمُخْتَارِ وَالْآلِ إِنَّهَا
لِحُسْنِ خِتَامٍ فِي نِظَامِ الْقَصِيدَةِ

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِسُلُوكِ مَنَاهِجِ الْمُتَّقِينَ وَخَصَّنَا بِالتَّوْفِيقِ الْمُبِينِ وَاجْعَلْنَا
بِفَضْلِكَ مِنْ عِبَادِكَ الْمُخْلِصِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
اللَّهُمَّ افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ وَوَفِّقْنَا لِلتَّوْبَةِ النَّصُوحِ
وَالْإِنَابَةِ وَثَبَّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا تَثْبِيتَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ وَالْهَمْنَا ذِكْرَكَ
وَشُكْرَكَ آثَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَثَبَّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
اللَّهُمَّ أَيْقِظْ قُلُوبَنَا وَنَوِّرْهَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبَّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَفَوَّهَا
وَارْزُقْنَا الْمَعْرِفَةَ بِكَ عَنْ بَصِيرَةٍ وَالْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لِمَطَاعَتِكَ وَأَمْتِنَالِ
أَمْرَكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

« فَضْلٌ »

وَعَبَّأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ تَعْبِيَةٍ لِأَصْحَابِهِ ، وَحَثَّمَهُمْ عَلَى الثَّبَاتِ وَالصَّبْرِ ، وَقَالَ لَهُمْ « لَا تَحْمِلُوا حَتَّى أَمْرَكُمْ ، وَإِنْ اكْتَنَفَكُمْ الْقَوْمُ فَاتَضَحُّوا عَنْكُمْ بِالنَّبْلِ ، وَلَا تَسْلُوا السُّيُوفَ حَتَّى يَغْشَوْكُمْ » ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْعَرِيشِ ، فَدَخَلَهُ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ ، وَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَاقِفًا عَلَى الْبَابِ بَابِ الْعَرِيشِ ، مُتَقَلِّدًا سَيْفَهُ ، وَمَعَهُ رِجَالٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، يَحْرَسُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَوْفًا عَلَيْهِ أَنْ يَدْهُمَهُ الْعَدُوُّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَالنَّجَائِبُ مُهَيَّئَةٌ لَهُ ، إِنْ احتَاجَ إِلَيْهَا رَكْبَهَا وَبَدَأَتْ قَرَيْشُ الزُّحْفَ ، فَاَنْدَفَعَ مِنْ صُفُوفِهَا الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ الْمَخْزُومِي ، إِلَى حَوْضِ الْمَاءِ الَّذِي أَقَامَهُ الْمُسْلِمُونَ ، وَهُوَ يَقُولُ أَعَاهِدُ اللَّهَ لِأَشْرَبِنَ مِنْ حَوْضِهِمْ ، أَوْ لِأَهْدِمَنَّهُ ، أَوْ لِأَمُوتَنَّ مِنْ دُونِهِ ، فَتَلْقَاهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بِضَرْبَةٍ مِنْ سَيْفِهِ أَطَنَّ بِهَا سَاقَهُ ، فَوَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ ، ثُمَّ اسْتَمَرَ يَزْحَفُ حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْحَوْضِ ، فَجَعَلَ حَمْزَةُ يُتَابِعُهُ بِالسَّيْفِ حَتَّى قَتَلَهُ فِي الْحَوْضِ ، وَحَمِيَّ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ مِنْ قَوْلِ أَبِي جَهْلٍ ، فَاَنْدَفَعَ مِنَ الصَّفِّ بَيْنَ أُخِيهِ شَيْبَةَ ، وَإِنِّهِ الْوَلِيدُ ، يَدْعُونَ إِلَى الْمُبَارَزَةِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ وَعَوْفٌ وَمُعَوِّذُ أَبْنَاءِ عَفْرَاءَ ، فَقَالُوا : مَنْ أَنْتُمْ ؟ فَقَالُوا : مِنَ الْأَنْصَارِ . قَالُوا : أَكْفَاءُ كِرَامَ ، وَإِنَّمَا نُرِيدُ بَنِي عَمِّنَا ، وَنَادَوْا يَا مُحَمَّدُ أَخْرِجْ إِلَيْنَا أَكْفَاءَنَا ، فَأَخْرَجَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَعُيَيْدَةَ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَعَلِيَّ بْنَ أَبِي

حَتَّى أَكَلَ تَمْرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ ، ثُمَّ يَتَدَفَّعُ إِلَى الْمَعْرَكَةِ أُنْدِفَاعِ
 السُّهْمِ ، وَحَتَّى إِذَا عَوَّفَ بَنَ الْحَارِثِ لَيْسَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ عَمَّا يَضْحَكُ الرَّبُّ مِنْ عَبْدِهِ ، فَيَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « غَمَسُهُ يَدُهُ فِي الْعَدُوِّ حَاسِرًا » فَيَنْزِعُ دِرْعَهُ فَيَقْدِفُهَا ، ثُمَّ
 يَأْخُذُ سَيْفَهُ ، وَيَخُوضُ فِي الْمَعْرَكَةِ ، لَا يُبَالِي أَوْقَعَ عَلَى الْمَوْتِ ، أَمْ
 وَقَعَ الْمَوْتُ عَلَيْهِ ، وَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَلَأَ كَفَّهُ مِنَ
 الْحَصَى ، فَرَمَى بِهَا وَجْهَ الْعَدُوِّ ، فَلَمْ تَتْرِكْ رَجُلًا مِنْهُمْ إِلَّا مَلَأَتْ
 عَيْنِيهِ ، وَشُغِلُوا بِالْتُّرَابِ فِي أَعْيُنِهِمْ ، وَشُغِلَ الْمُسْلِمُونَ بِقَتْلِهِمْ ، فَأَنْزَلَ
 اللَّهُ فِي شَأْنِ هَذِهِ الرَّمِيَةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ وَمَا
 رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ وَكَانَتِ الْمَلَائِكَةُ يَوْمَئِذٍ تُبَادِرُ
 الْمُسْلِمِينَ إِلَى قَتْلِ أَعْدَائِهِمْ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
 يَوْمَئِذٍ يَسْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسُّوْطِ
 فَوْقَهُ ، وَصَوْتِ الْفَارِسِ فَوْقَهُ ، يَقُولُ أَقْدِمَ حَيْرُومُ ، إِذْ نَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ
 أَمَامَهُ مُسْتَلْقِيًا ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خَطَمَ أَنْفَهُ ، وَشَقَّ وَجْهَهُ ، كَضَرْبَةِ
 السُّوْطِ ، فَأَحْضَرَ ذَلِكَ أَجْمَعُ ، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ « صَدَقْتُ ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ
 الثَّالِثَةِ » وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ الْأَنْصَارِيُّ : إِنِّي لَأَتَّبِعُ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ
 لِأَضْرِبَهُ ، إِذْ وَقَعَ رَأْسُهُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ سَيْفِي ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَدْ قَتَلَهُ
 غَيْرِي ، وَجَاءَ رَجُلٌ بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَسِيرًا ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ إِنَّ
 هَذَا وَاللَّهِ مَا أَسْرَنِي ، لَقَدْ أَسْرَنِي رَجُلٌ أَجْلَحُ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا
 عَلَى فَرَسٍ أَبْلَقٍ ، وَمَا أَرَاهُ فِي الْقَوْمِ ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ أَنَا أَسْرَتُهُ يَا
 رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ : اسْكُتْ فَقَدْ أَيْدَكَ اللَّهُ بِمَلِكٍ كَرِيمٍ ، وَأَسْرَ مِنْ بَنِي

طَالِب ، فَبَارَزَ عُيَيْدَةَ عُتْبَةَ ، وَبَارَزَ حَمْرَةَ شَيْبَةَ ، وَبَارَزَ عَلِيَّ الْوَلِيدَ ، فَأَمَّا حَمْرَةُ وَعَلِيٌّ فَلَمْ يَلْبَثْ كُلُّ مِنْهُمَا أَنْ قَتَلَ صَاحِبَهُ ، وَأَمَّا عُيَيْدَةُ وَعُتْبَةُ فَقَدْ اخْتَلَفَا فِيمَا بَيْنَهُمَا ضَرْبَتَيْنِ ، فَوَقَعَ كِلَاهُمَا عَلَى الْأَرْضِ ، فَكَّرَ حَمْرَةُ وَعَلِيٌّ بِأَسْيَافِهِمَا عَلَى عُتْبَةَ ، فَذَفَّقَا عَلَيْهِ ، وَحَمَلَا عُيَيْدَةَ فَجَاءَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ قُطِعَتْ سَاقُهُ ، وَجَعَلَ مُخَهَا يَسِيلُ ، فَأَفْرَشَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدَمَهُ الشَّرِيفَةَ ، وَبَشَرَهُ بِالشَّهَادَةِ ، وَهَنَا حَمِي الْمَشْرُكُونَ ، وَهَجَمُوا عَلَى صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ ، هُجُومَ السَّيْلِ الْجَارِفِ ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَكْسِرُوا هَجَمَاتِهِمْ بِالنَّبْلِ ، وَهُمْ مُرَابِطُونَ فِي أَمَاكِنِهِمْ ، فَلَمَّا أَوْشَكَ الصَّفَانِ أَنْ يَتَلَاَحَمَا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَحْمِلُوا عَلَيْهِمْ ، وَنَادَى قَائِلًا « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُقَاتِلُهُمَ الْيَوْمَ رَجُلٌ فَيُقْتَلُ صَابِرًا مُحْتَسِبًا مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ » فَهَجَمَ الْمُسْلِمُونَ بِقُلُوبٍ مَلُؤُهَا الْإِيمَانُ بِالْحَقِّ ، وَالرَّغْبَةُ فِي الشَّهَادَةِ ، وَالطَّمَعُ فِي ثَوَابِ اللَّهِ ، وَجَعَلُوا أَهْدَافَهُمْ رُؤُوسَ الْكُفْرَةِ ، يَتَصَيَّدُونَهُمْ وَسَطَ الْجُمُوعِ الزَّاحِفَةِ ، ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَلَيْهِمْ كَالصَّوَاعِقِ ، وَهُمْ يَتَصَايْحُونَ تَصَائِحَ الْأَسْوَدِ : يَا مَنْصُورُ أُمْتِ أُمْتِ .

ثُمَّ حَمِيَ الْوَطِيسُ ، وَاسْتَدَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ ، وَهَانَتْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْحَيَاةُ ، وَلَدَّتْ لَهُمُ الشَّهَادَةُ ، وَاسْتَعَجَلُوا الْمَوْتَ فِي سَبِيلِهَا ، حَتَّى إِنَّ عُمَيْرَ بْنَ الْحُمَامِ لَيَصِيحُ مِنْ فَرَطِ سُرُورِهِ ، وَيَقُولُ : بَخٍ بَخٍ أَمَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَقْتُلَنِي هَؤُلَاءِ ؟ ثُمَّ يَرْمِي مِنْ يَدِهِ تَمْرَاتٍ كَانَ يَأْكُلُ مِنْهَا ، وَيَقُولُ لَيْتَ أَنَا حَيْثُ

عَبْدِ الْمُطَلِّبِ ثَلَاثَةً ، الْعَبَّاسُ وَعَقِيلٌ ، وَنَوْفَلُ بْنُ الْحَرثِ .

وَذَكَرَ الطَّبْرَانِيُّ عَنِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ قَالَ : لَمَّا رَأَى ابْلِيسُ مَا يَفْعَلُ الْمَلَائِكَةُ بِالْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ أَشْفَقَ أَنْ يَخْلُصَ الْقَتْلُ إِلَيْهِ ، فَتَشَبَّثَ بِهِ الْحَرثُ بْنُ هِشَامٍ ، وَهُوَ يَظُنُّهُ سُرَاقَةَ بْنَ مَالِكٍ فَوَكَزَ فِي صَدْرِ الْحَرثِ فَأَلْقَاهُ ، ثُمَّ خَرَجَ هَارِبًا ، حَتَّى أَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْبَحْرِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ نَظْرَتَكَ إِنِّي يَا ، فَأَقْبَلَ أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ النَّاسِ لَا يَهْزَمَنَّكُمْ خُذْلَانُ سُرَاقَةَ أَيَّاكُمْ ، فَإِنَّهُ كَانَ عَلَى مِيعَادٍ مِنْ مُحَمَّدٍ ، وَلَا يَهْوَلَنَّكُمْ قَتْلُ عْتَبَةَ وَشَيْبَةَ وَالْوَلِيدِ ، فَإِنَّهُمْ قَدْ عَجَلُوا ، فَوَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَا نَرْجِعُ حَتَّى نَقْرَنَهُمْ بِالْحِبَالِ ، وَلَا أَلْفِينَ رَجُلًا مِنْكُمْ قَتَلَ مِنْهُمْ رَجُلًا ، وَلَكِنْ خُذُوهُمْ أَخْذًا ، حَتَّى نَعْرِفَهُمْ سُوءَ صَنِيعِهِمْ ، وَلَا تَزَالُ تَضَاعَفُ شَجَاعَةُ الْمُسْلِمِينَ وَتَزْدَادُ قُوَاهُمْ الْمَعْنَوِيَّةُ وَالْحِسِيَّةُ وَتَزْدَادُ حِمَاسَتُهُمْ ، حَتَّى لِيَحْسُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ أَنَّهُ كُفَاءٌ لِعَشْرَةٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَتَضَاعَفَتْ فِي أَعْيُنِ الْمُؤْمِنِينَ كَثْرَةُ الْمُشْرِكِينَ ، فَجَعَلُوا يَقْتَرِسُونَهُمْ كَمَا تَقْتَرِسُ الذِّئَابُ الْغَنَمَ ، وَيَكْتَسِحُونَهُمْ كَمَا يَكْتَسِحُ السَّيْلُ الْغَنَاءَ ، وَانْعَقَدَ فَوْقَ الْمَعْرَكَةِ جَوْ رَهَيْبٍ ، مَلَأَ قُلُوبَ الْمُشْرِكِينَ بِالرُّعْبِ ، كَمَا مَلَأَ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْقُوَّةِ وَالنَّبَاتِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ .

وَرَوَى أَنَّ خُبَيْبَ بْنَ يَسَافٍ كَانَ رَجُلًا شَجَاعًا ، وَكَانَ يَأْتِي الْإِسْلَامَ ، فَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَدْرٍ ، خَرَجَ هُوَ وَقَيْسُ بْنُ مُحْرَثٍ ، فَعَرَضَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَخْرُجَا مَعَهُ ، فَقَالَ لَا يَخْرُجُ مَعَنَا رَجُلٌ لَيْسَ عَلَى دِينِنَا ، فَقَالَ خُبَيْبٌ : قَدْ عَلِمَ قَوْمِي أَنِّي عَظِيمٌ الْغِنَاءِ فِي الْحَرْبِ ، فَأَقَاتِلْ مَعَكَ لِلْغَنِيمَةِ ، قَالَ « لَا ، وَلَكِنْ أَسْلَمَ ثُمَّ قَاتِلِ اللَّهُمَّ يَا فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى ، يَا مُنْشِئَ الْأَجْسَادِ بَعْدَ الْبَلَى يَا مُؤَيِّدَ الْمُنْقَطِعِينَ إِلَيْهِ ، يَا كَافِيَ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ ، انْقَطَعَ الرَّجَاءُ إِلَّا مِنْكَ ، وَخَابَتِ الظُّنُونُ إِلَّا فِيكَ ، وَضَعُفَ الْإِعْتِمَادُ إِلَّا عَلَيْكَ نَسْأَلُكَ أَنْ تُنْظِرَ مَحَلَّ قُلُوبِنَا

مِن سَحَابِ بَرِّكَ وَإِحْسَانِكَ وَأَنْ تُوفِّقَنَا لِمَوْجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وَعِزَائِمِ مَغْفِرَتِكَ
 اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ الْعَمَلِ الَّذِي يُقَرِّبُنَا إِلَى حُبِّكَ
 اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَوَفِّقْنَا لِشُكْرِكَ وَاحْفَظْنَا مِنَ الْأَغْتِرَارِ بِالْدُنْيَا وَالْهَوَى
 وَالنَّفْسِ وَعَدْوِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ إِنَّكَ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ
 وَسَلَّمَ .

« فَضْلٌ »

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَرِيشِهِ ، يُتَابِعُ الْمَعْرَكَةَ ،
 وَقَلْبُهُ مُتَعَلِّقٌ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَتَارَةً يَنْزِلُ إِلَيْهِمْ ، فَيَنْهَضُ هِمَمَهُمْ ، وَيَقْوِي
 بِإِذْنِ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ ، وَيَحْتُمُهُمْ عَلَى الْقِتَالِ وَتَارَةً يَصْعَدُ إِلَى الْجَبَلِ يَدْعُو رَبَّهُ ،
 وَيُكْرِرُ دُعَاءَهُ وَابْتِهَالَهُ لِلَّهِ ، وَمُنَاشِدَتَهُ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ
 مَنْكِبَيْهِ ، فَرَدَّهُ عَلَيْهِ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقَالَ : بَعْضُ مُنَاشِدَتِكَ رَبِّكَ ،
 فَإِنَّهُ مُنْجِزٌ لَكَ مَا وَعَدَكَ ، فَأَغْفِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِغْفَاءَةً
 وَاحِدَةً ، وَأَخَذَ الْقَوْمُ النَّعَاسُ فِي حَالِ الْحَرْبِ ، ثُمَّ رَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَهُ فَقَالَ « أَبَشِّرِي يَا أَبَا بَكْرٍ ، هَذَا جِبْرِيلُ عَلَى ثَنَائِيهِ النَّقْعُ ، وَجَاءَ
 النَّصْرُ ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ جُنْدَهُ ، وَأَيَّدَ رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ ، وَمَنْحَهُمْ أَكْتَفَافَ
 الْمُشْرِكِينَ أَسْرًا وَقِتْلًا ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَصْحَابِهِ ،
 يَشُدُّ عِزَائِمَهُمْ ، وَيُبَشِّرُهُمْ بِنَصْرِ اللَّهِ ، وَيَقُولُ لَهُمْ « شُدُّوا ، (سَيَهْزَمُ
 الْجَمْعُ ، وَيُولُونَ الدُّبْرَ) . . مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ ، وَمَنْ أَسْرًا أَسِيرًا فَهُوَ
 لَهُ ، فَحَمَلَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِمْ حَمْلَةً صَادِقَةً ، تَصَدَّعَتْ لَهَا جُمُوعُهُمْ ،
 وَأَنْهَارَتْ أَمَامَهَا قُوَاهُمْ وَرَأَى الْمُشْرِكُونَ مَا أَصَابَ سَادَتِهِمْ ، فَأَلْقَى الرَّعْبُ فِي
 قُلُوبِهِمْ وَأَخَذُوا يُلْقُونَ بِأَنْقَالِهِمْ ، وَيَقْرُونَ مِنَ الْمَعْرَكَةِ ، نَجَاةً بِنَفْسِهِمْ مِنْ

الموت ، فانقض المسلمون يأسرون ويهزمون ويغنمون ، ولما وضع القوم أيديهم يأسرون ، نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد بن معاذ ، فرأى في وجهه الكراهة لما يصنعون ، فقال « لكأنك يا سعد تكره ما يصنع القوم ؟ » فقال : أجل والله يا رسول الله ، كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك ، فكان الأثخان في القتل أحب إلي من استبقاء الرجال ، وهكذا تصدعت جموع الشرك ، أمام قوة الإيمان بالله ورسوله وانجلت المعركة عن سبعين قتيلاً ، وسبعين أسيراً ، من المشركين ، وغنم المسلمون كل ما خلف المشركون وراءهم ، من زاد وعتاد ، أما الذين فازوا بالشهادة من المؤمنين فكانوا أربعة عشر ، فبدأت المعركة في الصباح ، وانتهت في عصر ذلك اليوم ، الذي هو السابع عشر من رمضان ، من السنة الثانية للهجرة ، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدفن الشهداء من المؤمنين ، وأن يورى القتلى من المشركين في قليب هناك مهجورة ، فلما وضعوا في القليب ، وقف عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا أهل القليب ، هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً » فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا رسول الله ما تخاطب من أقوام قد جيموا . فقال « والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يستطيعون الجواب » .

وروى البخاري في الصحيح عن عبد الرحمن بن عوف ، قال إنني لفي الصف يوم بدر ، إذ التفت فإذا عن يميني وعن يساري قتيان ، حديثا السن ، فكأنني لم آمن بمكانهما ، إذ قال لي أحدهما سراً من صاحبه : يا عم أرني أبا جهل ، فقلت : يا ابن أخي فما تصنع به ؟ قال : أخبرت أنه يسب

رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَكُنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ
سَوَادِي سَوَادَهُ ، حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا ، فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ ، قَالَ وَعَمَزَنِي
الْآخِرُ ، فَقَالَ لِي مِثْلَهَا ، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي
النَّاسِ ، فَقُلْتُ أَلَا تَرِيَانِ ، هَذَا صَاحِبُكُمْ الَّذِي تَسْأَلَانِي عَنْهُ ، قَالَ : فَاِبْتَدَرَاهُ
بِسَيْفَيْهِمَا ، فَضَرَبَاهُ حَتَّى قَتَلَاهُ ثُمَّ أَنْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، فَقَالَ « أَيُّكُمَا قَتَلَهُ ؟ » فَقَالَ كُلُّ مِنْهُمَا : أَنَا قَتَلْتُهُ . قَالَ « هَلْ مَسَحْتُمَا
بِئِمَّتَيْكُمَا فَقَالَ : لَا ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّيْفَيْنِ فَقَالَ
« كَيْلَاكُمَا قَتَلَهُ » وَقَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَلْبِهِ لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرٍو
بِالْجَمُوحِ ، وَالرَّجُلَانِ مُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو وَبِالْجَمُوحِ ، وَمُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءِ :

بَعْضُ الْحَيَاةِ وَخَوْفُ اللَّهِ أَخْرَجَنِي
وَبَيْعُ نَفْسِي بِمَا لَيْسَتْ لَهُ ثَمَنًا
إِنِّي وَزَنْتُ الَّذِي يَبْقَى لِيَعْدِلَهُ
مَا لَيْسَ يَبْقَى فَلَا وَاللَّهِ مَا وَزَنَا

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

(فَضْلٌ)

« مِنْ مَوَاعِظِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَصَايَاهُ »

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « حَلُّوا أَنْفُسَكُمْ بِالطَّاعَةِ ، وَأَلْبَسُوهَا قِنَاعَ
الْمَخَافَةِ ، وَاجْعَلُوا آخِرَتَكُمْ لِأَنْفُسِكُمْ بِالطَّاعَةِ ، لِمُسْتَقْرُكُمْ ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ
عَنْ قَلِيلٍ رَاحِلُونَ ، وَإِلَى اللَّهِ صَائِرُونَ وَلَا يُغْنِي عَنْكُمْ هُنَالِكَ إِلَّا صَالِحُ عَمَلٍ
قَدَّمْتُمُوهُ ، أَوْ حُسْنُ نَوَابِ حُزْمُوهُ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ خُطْبِهِ « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْأَيَّامَ
تُطَوَّى ، وَالْأَعْمَارَ تَفْتَى ، وَالْأَبْدَانَ فِي الثَّرَى تَبْلَى ، وَإِنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ

يَتَرَ أَكْضَانَ تَرَكَضَ الْبَرِيدِ ، يُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ ، وَيُخْلِقَانِ كُلَّ جَدِيدٍ ، وَفِي ذَلِكَ عِبَادَ اللَّهِ مَا أَلْهَى عَنِ الشَّهَوَاتِ ، وَرَغَبَ فِي الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ .

وقال صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه : « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لَكُمْ نِهَآيَةً ، فَانْتَهُوْا إِلَى نِهَآيَتِكُمْ ، وَإِنَّ لَكُمْ مَعَالِمَ ، فَانْتَهُوْا إِلَى مَعَالِمِكُمْ ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ : أَجَلٍ قَدْ مَضَى ، لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ صَانِعٌ فِيهِ ، وَأَجَلٍ قَدْ بَقِيَ ، لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ قَاضٍ فِيهِ فَلْيَتَزَوَّدِ الْعَبْدُ لِنَفْسِهِ مِنْ نَفْسِهِ ، وَمِنْ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ ، وَمِنْ الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَوْتِ ، فَإِنَّ الدُّنْيَا خُلِقَتْ لَكُمْ ، وَأَنْتُمْ خُلِقْتُمْ لِلْآخِرَةِ ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ مُسْتَعْتَبٍ ، وَلَا بَعْدَ الدُّنْيَا إِلَّا الْجَنَّةُ أَوْ النَّارُ .

وقال صلى الله عليه وسلم « أَيُّهَا النَّاسُ كَأَنَّ الْمَوْتَ عَلَيَّ غَيْرِنَا كُتِبَ ، وَكَأَنَّ الْحَقَّ عَلَيَّ غَيْرِنَا وَجَبَ ، وَكَأَنَّ الَّذِي نُشِيْعُ مِنَ الْأَمْوَاتِ سَفَرٌ عَمَّا قَلِيلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ، نُبَوِّئُهُمْ أَجْدَانَهُمْ ، وَنَأْكُلُ تَرَاثِمَهُمْ ، كَأَنَّا مُخْلَدُونَ بَعْدَهُمْ ، نَسِينَا كُلَّ وَاعِظَةٍ ، وَأَمِنَّا كُلَّ جَائِحَةٍ ، طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنِ عِيُوبِ النَّاسِ ، طُوبَى لِمَنْ أَنْفَقَ مَا لَا اِكْتَسَبَهُ مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ ، وَجَالَسَ أَهْلَ الْفِقْهِ وَالْحِكْمَةِ وَخَالَطَ أَهْلَ الذِّلَّةِ وَالْمَسْكِنَةِ طُوبَى لِمَنْ ذَلَّتْ نَفْسُهُ ، وَحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ ، وَطَابَتْ سَرِيرَتُهُ ، وَعَزَلَتْ عَنِ النَّاسِ شَرُّهُ ، طُوبَى لِمَنْ أَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ ، وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ قَوْلِهِ وَوَسِعَتْهُ السُّنَّةُ ، وَلَمْ تَسْتَهْوِهِ الْبِدْعَةُ » أهـ .

قِيلَ إِنَّ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فِي خُمْسِ خِصَالٍ وَهِيَ غِنَى النَّفْسِ ، وَكَفُّ الْأَذَى ، وَكَسْبُ الْحَلَالِ ، وَلِبَاسُ التَّقْوَى وَالثِّقَّةُ بِاللَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَقَدْ

نَظَمَهَا أَحَدُ الْعُلَمَاءِ فَقَالَ :

أَرَى خَيْرِي الدارينِ يُجْمَعُ كُلُّهُ
بِخَمْسِ خِلَالٍ يَا لَهَا مِنْ لَطَائِفِ
غِنَى النَّفْسِ مَعَ كَفِّ الْأَذَى وَاِكْتِسَابِ مَا
يَجِلُّ وَمَلْبُوسِ التَّقَى حِصْنُ خَائِفِ
عَلَى كُلِّ حَالٍ كُنْ بِرَبِّكَ وَائْتِقَا
بِنَفْعِ وَكَشْفِ الضَّرِّ عِنْدَ الْمَخَافِ

اللَّهُمَّ اسْلِكْ بِنَا سَبِيلَ أَهْلِ الطَّاعَةِ ، وَوَفِّقْنَا لِلثَّبَاتِ عَلَيْهَا وَالِاسْتِقَامَةِ ، وَعَافِنَا
مِنْ مُوجِبَاتِ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ ، وَأَمِنَّا مِنْ فِرَاقِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
اللهم اكْتُبْ فِي قُلُوبِنَا الْإِيمَانَ وَأَيِّدْنَا بِنُورِ مِنْكَ يَا نُورَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ ، اللَّهُمَّ وَافْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ وَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا
بِرَحْمَتِكَ الْوَاسِعَةِ إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَلَمَّا بَرَدَتِ الْحَرْبُ ، وَوَلَّى الْقَوْمُ مُنْهَزِمِينَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ يَنْظُرُ لَنَا مَا صَنَعَ أَبُو جَهْلٍ ؟ » فَاَنْطَلَقَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَوَجَدَهُ قَدْ
ضَرَبَهُ أَبْنَاءُ عَفْرَاءٍ حَتَّى بَرَدَ ، فَأَخَذَ بِلِحْيَتِهِ ، وَقَالَ : أَنْتَ أَبُو جَهْلٍ . فَقَالَ :
لِمَنْ الدَّائِرَةُ الْيَوْمَ ؟ فَقَالَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ، وَهَلْ أَخْزَاكَ اللَّهُ يَا عَدُوَّ اللَّهِ ؟ فَقَالَ :
وَهَلْ فَوْقَ رَجُلٍ قَتَلَهُ قَوْمُهُ ؟ فَقَتَلَهُ عَبْدُ اللَّهِ ، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فَقَالَ : قَتَلْتُهُ . فَقَالَ « اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ » فَرَدَّهَا ثَلَاثًا ، ثُمَّ قَالَ
« اللَّهُ أَكْبَرُ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَ وَعْدُهُ ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ
وَحَدَّهُ ، انْطَلِقْ أَرِينِي » فَاَنْطَلَقْنَا فَأَرَيْتُهُ إِيَّاهُ ، فَقَالَ « هَذَا فِرْعَوْنُ هَذِهِ الْأُمَّةُ » .

وَأَسْرَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أُمِّيَّةَ بْنَ خَلْفٍ ، وَابْنَهُ عَلِيًّا ، فَأَبْصَرَهُ
بِلَالٌ ، وَكَانَ أُمِّيَّةٌ يُعَذِّبُ بِلَالًا بِمَكَّةَ ، فَقَالَ : رَأْسُ الْكُفْرِ أُمِّيَّةُ بْنُ خَلْفٍ ،
لَا نَجَوْتَ إِنْ نَجَا ، ثُمَّ اسْتَصْرَخَ جَمَاعَةً مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَاشْتَدَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ
بِهِمَا يُحْرِزُهُمَا مِنْهُمْ ، فَأَذْرَكُوهُمْ فَشَغَلَهُمْ عَنْ أُمِّيَّةَ بَابِنِهِ ، فَفَرَّغُوا مِنْهُ
وَلَحِقُوهُمَا ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ : أُبْرِكُ . فَبَرَكَ ، فَأَلْقَى نَفْسَهُ
عَلَيْهِ ، فَضْرَبُوهُ بِالسَّيْفِ مِنْ تَحْتِهِ فَقَتَلُوهُ ، وَأَصَابَتْ بَعْضُ السُّيُوفِ رِجْلَ عَبْدِ
الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ .

وَبَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَتَهُ بِوَادِي بَدْرٍ ، ثُمَّ أَصْبَحَ
مُرْتَحِلًا بِأَصْحَابِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَمَعَهُ الْأَسَارِيُّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَالتَّفْلُ الَّذِي
أَصَابَهُ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْكُفَارِ ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ ، نَزَلَ فَفَقَسَمَ التَّفْلَ
عَلَى أَصْحَابِهِ بِالسَّوَاءِ وَجَعَلَ لِلْفَرَسِ نَصِيبًا ، وَلِلْفَارِسِ نَصِيبًا ، وَجَعَلَ لَوَرَثَةِ
مَنْ اسْتَشْهَدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حِصَّةً ، وَكَانَ فَرِيقٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَحْضُرُوا
الْوَقْعَةَ ، لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلَّفَهُمْ أَعْمَالًا غَيْرَ أَعْمَالِ
الْقِتَالِ ، وَفَرِيقٌ جَحَازَهُ عُدْرٌ قَاهِرٌ ، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَعْلَمُهُ ، فَأَسْهَمَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَكَانُوا
كَمَنْ حَضَرَ الْقِتَالَ ، ثُمَّ ارْتَحَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّى إِذَا
كَانَ بِالرُّوحَاءِ لَقِيَهُ الْمُسْلِمُونَ يُهْنِئُونَهُ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ ،
وَجَعَلُوا يَعْتَدِرُونَ لَهُ عَمَّا كَانَ مِنْ تَأْخُرِهِمْ مِنَ الْخُرُوجِ مَعَهُ ، فَقَالَ لَهُ أَسِيدُ بْنُ
الْحَضِيرِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَظْفَرَكَ ، وَأَقْرَعَ عَيْنَكَ ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ
اللَّهِ مَا كَانَ تَخْلُفِي عَنْ بَدْرٍ ، وَأَنَا أَظُنُّ أَنَّكَ تَلْقَى عَدُوًّا ، وَلَكِنْ ظَنَنْتُ أَنَّهَا
غَيْرٌ وَلَوْ ظَنَنْتُ أَنَّهَا عَدُوٌّ مَا تَخَلَّفْتُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
« صَدَقْتَ » وَمَا يَنْطَبِقُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَلِي :

شِعْرًا :

تَكَامَلَتْ فِيكَ أَوْصَافٌ خُصِصَتْ بِهَا فَكَلُّنَا بِكَ مَسْرُورٌ وَمُعْتَبِطٌ
السُّنُّ ضَاحِكَةٌ وَالْكَفُّ مَانِحَةٌ وَالنَّفْسُ وَاسِعَةٌ وَالْوَجْهُ مُنْبَسِطٌ
آخِرُ صَفُوحٍ عَنِ الْإِجْرَامِ حَتَّى كَانَتْهُ مَنِ الْعَفْوِ لَمْ يَعْرِفْ مِنَ النَّاسِ مُجْرِمًا
ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السَّيْرِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَلَمَّا
بَلَغَ الْأَيْلَ ، اسْتَعْرَضَ الْأَسْرَى هُنَا ، فَأَمَرَ بِأَتْنَيْنِ مِنْهُمْ أَنْ يُقْتَلَا ، وَهُمَا النَّضْرُ
بُنُ الْحَارِثِ ، وَعُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ وَكَانَ كِلَاهُمَا شَيْطَانًا مِنْ شَيْاطِينِ قُرَيْشٍ ،
وَمِنْ أَشَدِّ الْمُشْرِكِينَ إِيْدَاءً لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْأَصْحَابِ ،
وَأَفْظَعُهُمْ تَقْوَلًا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ ، وَعَلَى رَسُولِهِ ، لَا يَقْتَرَانِ مِنَ الْإِيْدَاءِ لَا لَيْلًا
وَلَا نَهَارًا ، أَمَا النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ فَقَدْ نَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ نَظْرَةً هَلَعَ لَهَا قَلْبُهُ ، وَأَيْسَ مِنَ الْبَقَاءِ بَعْدَهَا ، فَقَالَ لِرَجُلٍ إِلَى جَنْبِهِ
مُحَمَّدٌ وَاللَّهِ قَاتِلِي ، فَقَدْ نَظَرَ إِلَيَّ بَعَيْنَيْنِ فِيهِمَا الْمَوْتُ ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : مَا
هَذَا وَاللَّهِ مِنْكَ إِلَّا رُعْبٌ ، وَجَعَلَ النَّضْرُ يَلْتَمِسُ شَفِيعًا لَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَعَلَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُ ، فَذَهَبَ إِلَى مُضْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ ، وَكَانَ أَقْرَبَ
الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهِ رَحِمًا ، فَقَالَ لَهُ : كَلِّمْ صَاحِبِكَ أَنْ يَجْعَلَنِي كَرَجُلٍ مِنْ
قُرَيْشٍ ، فَهُوَ وَاللَّهِ قَاتِلِي إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ، فَقَالَ مُضْعَبٌ : إِنَّكَ تَقُولُ فِي كِتَابِ
اللَّهِ وَفِي نَبِيِّهِ كَذَا وَكَذَا ، وَكُنْتَ تُعَذِّبُ أَصْحَابَهُ ، فَقَالَ لَهُ النَّضْرُ لَوْ أَسْرَتَكَ
قُرَيْشٌ مَا قَتَلْتِكَ وَأَنَا حَيٌّ أَبَدًا ، قَالَ مُضْعَبٌ : اللَّهُ إِنِّي لِأَرَاكَ صَادِقًا ، ثُمَّ إِنِّي
لَسْتُ مِثْلَكَ ، فَقَدْ قَطَعَ الْإِسْلَامُ الْعُهُودَ ، وَكَانَ النَّضْرُ أُسِيرًا لِلْمِقْدَادِ بْنِ
عَمْرٍو ، فَلَمَّا سَمِعَ الْحَدِيثَ يَدُورُ حَوْلَ قَتْلِهِ ، صَاحَ قَائِلًا : النَّضْرُ أُسِيرِي .
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَضْرِبْ عُنُقَهُ ، وَاللَّهِمَّ أَغْنِ الْمِقْدَادَ
مِنْ فَضْلِكَ » . فَتَقَاتَلَ ضَرْبًا بِالسَّيْفِ ، وَأَمَّا الْآخَرُ وَهُوَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ،
فَقَدْ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَتْلِهِ وَهُوَ بَعْرِقُ الظُّبَيْةِ ، وَرَوَى أَنَّهُ

لَمَّا أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَتْلِ عُقْبَةَ قَالَ : أَتَقْتُلْنِي يَا مُحَمَّدٌ مِنْ بَيْنِ قُرَيْشٍ ؟ قَالَ « نَعَمْ . أَتَدْرُونَ مَا صَنَعَ هَذَا بِي ؟ جَاءَ وَأَنَا سَاجِدٌ خَلْفَ الْمَقَامِ ، فَوَضَعَ رِجْلَهُ عَلَى عُنُقِي وَغَمَزَهَا ، فَمَا رَفَعَهَا حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّ عَيْنِي سَتُنْدُرَانِ ، وَجَاءَ مَرَّةً أُخْرَى بِسَلَاشَةٍ فَأَلْقَاهُ عَلَى رَأْسِي وَأَنَا سَاجِدٌ ، فَجَاءَتْ فَاطِمَةُ فَغَسَلَتْهُ عَنْ رَأْسِي » ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فُقْتِلَ .

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته
وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
فوضع الندى في موضع السيف بالعلأ
مضرب كوضع السيف في موضع الندأ
إذا أنت أكرمت الكريم ملكته
وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
فوضع الندأ في موضع السيف بالعلأ
مضرب كواضع السيف في موضع الندأ
آخر : أكرم لئاماً بالهوان فإنهم
لا تلتفنن بذي لؤم فتطغيه
إن الحديد تلين النار قسوته
آخر : أهن عامراً تكرم عليه وإنما
آخر : وما شيء أسر إلى لئيم
مشاركة اللئيم بلا جواب
آخر : وترى الكريم يعز حين يهون
وترى اللئيم يهون حين يهأن

ثُمَّ مَضَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَدَخَلَهَا قَبْلَ الْأَسَارَى يَوْمَ ، وَكَانَ دُخُولُهُ مِنْ ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ ، وَذَلِكَ ، فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ ، الثَّانِي وَالْعِشْرُونَ مِنْ رَمَضَانَ ، فَتَلَقَاهُ الْمُسْلِمُونَ يَهْتُونُهُ بِفَتْحِ اللَّهِ ، فَقَدِمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ مُؤَيِّدًا مَنصُورًا مُظْفَرًا ، مَكْبُوتًا عَدُوَّهُ ، مَسْرُورًا صَدِيقُهُ ، قَدْ أَعْلَى كَلِمَةَ اللَّهِ ، وَمَكَّنَ لَهُ رَبُّهُ ، وَنَصَرَهُ وَأَعَزَّهُ .

وَمِنَ اللَّطَائِفِ الَّتِي ذُكِرَتْ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمَّا أَقْبَلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَهْتُونُهُ ، قَالَ لَهُمْ سَلَمَةُ بْنُ سَلَامَةَ : مَا الَّذِي

تَهِنُونَنَا بِهِ ، فَوَاللَّهِ إِنْ لَقِينَا إِلَّا عَجَائِزاً صُلْعاً ، كَالْبُدْنِ الْمُعَقَلَةِ ، فَتَحَرْنَاهَا ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ « أَيُّ ابْنِ أَخِي أَوْلَتْكَ الْمَلَأَ » أَيُّ هُمْ الْأَشْرَافُ وَالسَّادَةُ الَّذِينَ لَا يُسْتَهَانُ بِبِلَائِهِمْ فِي الْقِتَالِ ، وَلَا بِمَكَانِهِمْ فِي الْقَوْمِ وَقَدْ أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى أَبُو الطَّيِّبِ فَقَالَ :

وَمَا عَدِمَ اللَّاقُوكَ بِأَسَاءَ وَشِدَّةَ
وَلَكِنَّ مَنْ لَاقُوا أَشَدُّ وَأَنْجَبُ

وَرَوَى ابْنُ اسْحَاقَ وَغَيْرُهُ أَنَّ عَاتِكَةَ بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَأَتْ فِي مَنَامِهَا - وَقَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ قُرَيْشٌ بِثَلَاثِ لَيَالٍ - أَنَّ رَاكِباً أَقْبَلَ عَلَى بَعِيرٍ ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى قُرَيْشٍ ، ثُمَّ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا آلَ غَدْرٍ ، انْفِرُوا إِلَى مَصَارِعِكُمْ فِي ثَلَاثٍ ، وَصَلِّ يُكْرِرُهَا هُنَا وَهُنَاكَ ، وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَخَذَ صَخْرَةً فَرَمَى بِهَا مِنْ أَعْلَى الْجَبَلِ فَأَقْبَلَتْ تَهْوِي ، حَتَّى إِذَا كَانَتْ بِأَسْفَلِهِ ، تَنَازَرَتْ أَجْزَاؤُهَا فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ ، فَمَا بَقِيَ بَيْتٌ وَلَا دَارٌ بِمَكَّةَ إِلَّا دَخَلَتْهُ مِنْهَا فَلَقَةٌ ، وَبَعْدَ ثَلَاثٍ مِنْ هَذِهِ الرُّؤْيَا جَاءَ رَسُولُ أَبِي سُفْيَانَ يَصْنِيحُ بِالْقَوْمِ ، وَيَسْتَفْزُهُمْ لِيُنْقِذُوا عِيْرَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ .

وَرَوَى ابْنُ جُهَيْمٍ ابْنَ الصَّلْتِ رَأَى وَهُمْ فِي طَرِيقِهِمْ إِلَى بَدْرٍ - كَأَنَّ رَاكِباً أَقْبَلَ عَلَى فَرَسِهِ ، وَمَعَهُ بَعِيرٌ ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَأْسِهِ ، فَقَالَ : قَتَلَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ ، وَأَسِرَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ ، لِرِجَالِ سَمَاهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ ، ثُمَّ ضَرَبَ بِخَنْجَرِهِ فِي لَبَّةِ بَعِيرِهِ ، وَأَرْسَلَهُ فِي الْعَسْكَرِ ، فَمَا بَقِيَ خِيبَاءٌ مِنْ أَحْبَابِهِمْ إِلَّا أَصَابَهُ مِنْ دَمِهِ .

وَرَوَى الْوَافِدِيُّ أَنَّ ضَمُضَمَ بْنَ عَمْرٍو جَاءَ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ عَامِرٍ ، فَقَالَ

لَهُ: إِنِّي رَأَيْتُ رُؤْيَا كَرِهْتَهَا ، رَأَيْتُ - وَأَنَا كَالْيَقْظَانِ عَلَى رَاحِلَتِي - كَأَنَّ وَاوِيَاءَ
يَسْبُلُ دَمًا ، فَقَالَ الْحَارِثُ لَوْ سَمِعْتُ هَذَا مِنْكَ قَبْلَ أَنْ أَخْرَجَ مَا خَرَجْتُ ، أَوْ
قَالَ : مَا سِرْتُ خَطْوَةَ ، فَاطَوْ هَذَا الْخَبَرَ أَنْ تَعْلَمَهُ قُرَيْشٌ ، فَإِنَّهَا تَتَّهَمُ كُلَّ مَنْ
عَوَّقَهَا عَنِ الْمَسِيرِ إِلَيْهِمْ عَمَّتْ إِيْمَانَنَا بِكَ وَبِمَلَائِكَتِكَ وَبِكُتَيْبِكَ وَبِرُسُلِكَ
وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِالْقَدِّ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَأَتْنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً
وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَإِلَيْهِ وَسَلَّمَ .

عِبَادَ اللَّهِ تَأَمَّلُوا كَيْفَ تَغَيَّرَتْ أَحْوَالُ النَّاسِ فِي زَمَنِ قَلِيلٍ ، وَكَيْفَ آثَرُوا
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى مَا عِنْدَ اللَّهِ ، وَكَيْفَ شَغَلَتْهُمْ الْأَمْوَالُ . وَالْأَهْلُ ، وَالْأَوْلَادُ
وَالْمَلَاهِي ، وَالْمُنْكَرَاتُ ، عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ، مَعَ عِلْمِهِمْ أَنََّّهُمْ مَهْمَا
عَاشُوا وَمَهْمَا نَالُوا مِنَ الدُّنْيَا ، وَمَهْمَا تَلَذَّذُوا فَإِنَّهُمْ رَاحِلُونَ وَمَا فِي أَيْدِيهِمْ زَائِلٌ
عَنْهُمْ وَخَالِفُهُمْ فِيهِ غَيْرُهُمْ وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ وَأَنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ
مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ وَمَنْ اشْتَرَى الْعَاجِلَ بِالْآجِلِ وَلَمْ يَتَّخِذِ
الدُّنْيَا مَطِيئَةً تُوصلُهُ إِلَى الْمَقْصِدِ الَّذِي يَرْضَاهُ وَالْمُسْتَقَرِّ الْآخِرِ الَّذِي يَهْوَاهُ مَعَ
الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، فَذَلِكُمْ
الَّذِي لَا تُفِيدُهُ الْمَوَاعِظُ ، وَلَا تُجِدِي فِيهِ النَّصَائِحُ وَلَا تَرُدُّهُ الْعِبْرُ عَنْ غِيهِ ،
وَاقْتِحَامِهِ الْقَبَائِحَ ، وَذَلِكَ هُوَ الَّذِي خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ، عِبَادَ اللَّهِ حَلَالَ هَذِهِ
الدُّنْيَا حِسَابٌ ، وَحَرَامُهَا عِقَابٌ ، وَمَالَهَا إِلَى الدَّمَارِ وَالْحَرَابِ ، وَلَا يَطْمَئِنُّ
إِلَيْهَا إِلَّا جَاهِلٌ مُرْتَابٌ ، قَدْ فَقَدَ الرُّشْدَ وَأَبْعَدَ عَنِ الصَّوَابِ ، فَكَمْ مِنْ ذَهَابٍ
بِلا إِيَابٍ ، وَكَمْ مِنْ حَبِيبٍ عَلَى الرَّغْمِ قَدْ فَارَقَ الْأَحْبَابَ ، وَتَرَكَ الْأَهْلَ
وَالْأَصْحَابَ ، وَانْتَقَلَ إِلَى ثَوَابٍ جَزِيلٍ أَوْ عِقَابٍ ، وَأَنْتَ أَيُّهَا الْمُغْفَلُ
الْمَخْدُوعُ عَلَى جَمْعِهَا حَرِيصٌ مَعَ مَا تَشَاهِدُهُ مِنَ الْأَكْدَارِ وَالْتَّغْيِصِ ، وَكَانَ
يَكْفِيكَ مِنْهَا الْقَلِيلُ .

شعرا:

يَا مُجِبَّ الدُّنْيَا الْغُرُورِ إِغْتَرَارًا رَاكِبًا فِي طَلَابِهَا الْأَخْطَارًا

يَتَّغِي وَصَلَهَا فَتَأْبَى عَلَيْهِ وَتَرَى أَنْسَهُ فَبَيْدِي نِفَارًا
خَاب مَنْ يَتَّغَى الْوَصَالَ لَدَيْهَا جَارَةٌ لَمْ تَزَلْ تُسِيءُ الْجَوَارَا
كَمْ مُحِبٌّ أَرْتُهُ أَنْسًا فَلَمَّا حَاوَلَ الزُّورَ أَرْتُهُ زُورَارَا
آخِر: وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَأَغْنَتْهُ بُلْغَةُ

مِنَ الْعَيْشِ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ يَكْ يَجْشَعُ

إِلَى أَنْ تُوَفِّيهِ الْمَنِيَّةُ وَهُوَ بِالْقِنَاعَةِ فِيهَا آمِنًا لَا يُرْوَعُ .

قال الله تعالى ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ وقال تعالى ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۝ ﴾ .

نَعَمْ لَا بَأْسَ فِي جَمْعِ الْمَالِ وَاكْتِسَابِ الْحَلَالِ لِلتَّمَتُّعِ بِهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ الْفَانِيَةِ إِذَا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ شَاغِلًا عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَالِاسْتِعْدَادِ لِلدَّارِ الْآخِرَةِ لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ مِمَّنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ لِانْفَاقِهِ فِي الْمَشَارِيعِ الدِّيْنِيَّةِ كِبْنَاءِ الْمَسَاجِدِ وَتَرْمِيمِهَا وَوَضْعِ الْمَاءِ لِلشَّارِبِينَ وَنَحْوِ ذَلِكَ بَلْ كَسَبُ الْمَالِ فَرِيضَةٌ عَلَيْكَ لِأَنَّ عَلَيْكَ أَنْ تُحَافِظَ عَلَى حَيَاتِكَ وَعَلَى حَيَاةِ مَنْ تَجِبُ لَهُمْ عَلَيْكَ التُّفَقَاتِ وَأَنْتَ لَا تُحَافِظُ عَلَى تِلْكَ الْأَنْفُسِ إِلَّا بِاعْطَائِهَا مَا لِلْحَيَاةِ مِنْ ضَرُورِيَّاتٍ وَهَذِهِ الضَّرُورِيَّاتِ لَا يُمَكِّنُكَ أَنْ تَحْصَلَ عَلَيْهَا إِلَّا بِمَالٍ تَبْدِلُهُ عِنْدَ الْمُبَادَلَاتِ إِذْ نَ كَسَبُ الْمَالِ لِلْمُحَافَظَةِ عَلَى الْحَيَاةِ فَرِيضَةٌ وَإِذَا أَرَدْتَ هَذَا الْكَسْبَ فَانوَ عِنْدَ طَلْبِكَ لَهُ الْقِيَامَ بِمَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ وَالتَّقْوَىٰ بِهِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ حَتَّى تَنْقَلِبَ عَادَاتِكَ عِبَادَاتٍ وَمِنْ أَفْضَلِ مَا تَأْكُلُ مَا كَسَبْتَهُ بِيَدِكَ وَتَحَرَّ الْحَلَالَ فِي كَسْبِهِ فَإِنَّهُ يُبِيرُ الْقَلْبَ وَسَبَبُ لِقَبُولِ الدُّعَاءِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَتَوَقُّ الْحَرَامَ فَإِنَّهُ يُظْلِمُ الْقُلُوبَ وَيُثْقِلُ الْأَبْدَانَ عَنِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ سَبَبٌ لِعَدَمِ قَبُولِ الدُّعَاءِ وَابْتِعْدِ عَنِ الشُّبُهَاتِ فِي كَسْبِكَ وَاجْتَنِبِ الْغِشَّ وَالْكَذِبَ وَالْإِيْمَانَ فِي كُلِّ مُعَامَلَاتِكَ وَكُنْ صَادِقًا سَمْحًا

لَيْنَ الْجَانِبِ لِلْمُسْلِمِينَ مُجِباً لَهُمْ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَكُنْ قَانِعاً فِي الدُّنْيَا
رَاضِياً بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ صَارِفاً جُلَّ أَوْقَاتِكَ لِلْآخِرَةِ .

اللهم يا مَنْ لا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ ولا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيَقْظَنَا مِنْ نَوْمِ
الْغَفْلَةِ وَنَبِّهَنَا لِإِغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهَلَّةِ وَوَقَّفَنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا
ولا تَوَاجِدْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَأَكْتَتَهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ
والمعائبِ التي تَعَلَّمُهَا مِنَّا ، وَامْنُنْ عَلَيْنَا يا مولانا بتوبةٍ تمحو بها عنا كُلَّ
ذَنْبٍ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ
بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ
شِغْراً :

لا تَأْسَفَنَّ أَحَا عِلْمٍ لِفَائِتَةٍ
فَكُلُّ ما لَيْسَ مِنْ رِزْقِ الْفَتَى فَاتَا
كَمْ مِنْ فَتَى وَاصَلَ الْأَسْفَارَ مُجْتَهِداً
مِنْ أَرْضِ دَارَيْنَ حَتَّى حَلَّ أَغْمَاتَا
لَمْ يُسَعِفِ الرِّزْقُ بِالْأَقْدَارِ بُغْيَتَهُ
وَلَوْ أَقَامَ أَتَاهُ الرِّزْقُ مِيقَاتَا
مَوْلَاكَ يَكْفِيكَ فَالزَّمْ بَابَ طَاعَتِهِ
فَقَدْ كَفَى النَّاسَ أَحْيَاءً وَأَمْواتَا

آخر :

وَيْلٌ لِأَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ ماذا يُقاسُونَ مِنْ النَّارِ
تَنْقَدُّ مِنْ غَيْظٍ فَتَعْلِي بِهِمْ كَمِرجَلٍ يَعْلي عَلَى النَّارِ
فَيَسْتَعْيِثُونَ لِكَيْ يُعْتَبُوا أَلَا لَعاً مِنْ عَثْرَةِ النَّارِ
وَكَلَّهُمْ مُعْتَرِفٌ نَادِمٌ لو تُقَبَّلُ التَّوْبَةُ فِي النَّارِ
يَهْوِي بِهَا الْأَشْقَى عَلَى رَأْسِهِ فالْوَيْلُ لِلْأَشْقَى مِنْ النَّارِ
فَتَارَةً يَطْفُو عَلَى جَمْرِهَا وتارَةً يَرْسُبُ فِي النَّارِ

وَكُلَّمَا رَامَ فِرَاراً بِهَا
 يَطُوفُ مِنْ أَفْعَىٰ إِلَىٰ أَرْقَمٍ
 وَكَمْ بِهَا مِنْ أَرْقَمٍ لَا يَنِي
 لَا رَاحَةَ فِيهَا وَلَا فِتْرَةَ
 أَنْفَاسُهَا مُطَبَّقَةٌ فَوْقَهُمْ
 سُبْحَانَ مَنْ يُمْسِكُ أَرْوَاحَهُمْ
 وَلَوْ جِبَالُ الْأَرْضِ تَهْوِي بِهَا
 طُوبَىٰ لِمَنْ فَازَ بِدَارِ الثَّقَىٰ
 وَوَيْلٌ مَنْ عَمَّرَ دَهْرًا وَلَمْ
 يَا أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوا حِذْرَكُمْ
 فَإِنَّهَا مِنْ شَرِّ أَعْدَائِكُمْ
 وَأَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِ مَوْلَاكُمْ
 وَاعْجَبُوا مِنْ مَرِحٍ لَاعِبٍ
 يُوقِنُ بِالنَّارِ وَلَا يَزْعَمُ
 وَهُوَ بِهَا فِي حَطَرٍ بَيْنَ
 إِنَّ الْأَلْبَاءَ هُمْ قِلَّةٌ
 وَطَلَّقُوا الدُّنْيَا بَتَاتًا وَلَمْ
 وَأَبْصَرُوا مِنْ عَيْبِهَا أَنَّهَا
 وَاللَّهِ لَوْ أَعْقَلُ لَمْ تَكْتَحِجْ
 وَلَا رَقَا دَمْعِي ، وَلَا عَلِمَ لِي
 وَلَمْ أَرِدْ مَاءً وَلَا سَاغَ لِي
 وَلَمْ أَجِدْ لَذَّةَ طَعْمٍ إِذَا
 أَيُّ التِّبْذِذِ بِنَعِيمٍ إِذَا
 أَمْ أَيُّ خَيْرٍ فِي سُرُورٍ إِذَا
 فَفَكَّرُوا فِي هَوْلِهَا وَاحْذَرُوا

فَرَّ مِنَ النَّارِ إِلَى النَّارِ
 وَسُمُّهَا أَقْوَىٰ مِنَ النَّارِ
 يَلْسَعُ مَنْ يُسْحَبُ فِي النَّارِ
 هَيْهَاتَ لَا رَاحَةَ فِي النَّارِ
 وَهَكَذَا الْأَنْفَاسُ فِي النَّارِ
 فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ فِي النَّارِ
 ذَابَتْ كَذُوبِ الْقَطْرِ فِي النَّارِ
 وَلَمْ يَكُنْ مِنْ حَصْبِ النَّارِ
 يُرْحَمُ وَلَمْ يُعْتَقْ مِنَ النَّارِ
 وَحَصِّنُوا الْجَنَّةَ لِلنَّارِ
 مَا فِي الْعِدَا أَعْدَىٰ مِنَ النَّارِ
 فَذَكْرُهُ يُنْجِي مِنَ النَّارِ
 يَلْهُو وَلَا يَحْفَلُ بِالنَّارِ
 كَأَنَّهُ يَرْتَابُ فِي النَّارِ
 لَوْ كَأَسَ مَا خَاطَرَ بِالنَّارِ
 فَارُوا إِلَى اللَّهِ مِنَ النَّارِ
 يَلُؤُوا عَلَيْهَا حَازِرَ النَّارِ
 فَتَانَةٌ تَدْعُو إِلَى النَّارِ
 بِالنُّومِ عَيْنِي خَيْفَةَ النَّارِ
 أَنِّي فِي أَمْنٍ مِنَ النَّارِ
 إِذَا ذَكَرْتُ الْمُهْلَ فِي النَّارِ
 فَكَّرْتُ فِي الرِّقْمِ فِي النَّارِ
 أَدَىٰ إِلَى الشَّقْوَةِ فِي النَّارِ
 أَعْقَبَ طَوْلَ الْحُزْنِ فِي النَّارِ
 مَا حَازَرَ اللَّهُ مِنَ النَّارِ

فإنَّهَا رَاصِدَةٌ أَهْلَهَا تَدْعُهُمْ دَعَا إِلَى النَّارِ
فَلَيْسَ مِنِّي طَالِبًا حَبَّةً إِلَّا الْمُعَافَاةَ مِنَ النَّارِ
وطلَّمَا اسْتَرْحَمْتُهُ ضَارِعاً يَا رَبِّ حَرْمِنِي عَلَى النَّارِ
فَأَنْتَ مَوْلَايَ وَلَا رَبَّ لِي غَيْرَكَ ؛ أَعْتَقِنِي مِنَ النَّارِ
وَلَمْ تَزَلْ تَسْمَعُنِي قَائِلاً : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ

اللهم ثبتنا على قولك الثابت في الحياة وفي الآخرة وآتنا في الدنيا
حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار واغفر لنا ولوالدينا وجميع
المسلمين اللهم يسر لنا سبيل الأعمال الصالحات وهنيء لنا من أمرنا رشداً
واجعل معرفتك العظمى لنا سندا واحشرونا إذا توفيتنا مع عبادك الصالحين
الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، واغفر لنا ولوالدينا وجميع
المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين

فصل في غزوة أحد

أُحُدُ جَبَلٌ مَشْهُورٌ بِالْمَدِينَةِ ، عَلَى أَقْلٍ مِنْ فَرَسَخٍ مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَسُمِّيَ
بِذَلِكَ لِتَوَحُّدِهِ وَاِنْقِطَاعِهِ عَنِ الْجِبَالِ الْأُخْرَى هُنَاكَ ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أُحُدُ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ » وَكَانَتْ عِنْدَهُ الْوَقْعَةُ الْمَشْهُورَةُ فِي
شَوَّالٍ ، بِالِاتِّفَاقِ يَوْمَ السَّبْتِ ، لِأَحَدَى عَشَرَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ شَوَّالٍ ، وَقِيلَ
لِسَبْعِ لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنْهُ ، وَقِيلَ فِي نِصْفِهِ ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَكَانَ سَبَبُهَا أَنَّ قُرَيْشًا لَمَّا رَجَعُوا مِنْ بَدْرٍ ، وَقَدْ قُتِلَ أَشْرَافُهُمْ ، وَأَصِيبُوا
بِتِلْكَ الْمُصِيبَةِ الَّتِي لَمْ يُصَابُوا بِمِثْلِهَا ، وَرَجَعَ أَبُو سُفْيَانَ بِعِيْرِهِ ، مَشَى عَبْدُ
اللَّهِ بْنُ أَبِي رَيْبَعَةَ ، وَعِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ ، وَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ ، فِي رِجَالٍ مِنْ
قُرَيْشٍ مِمَّنْ أُصِيبَ آبَاؤُهُمْ وَأَبْنَاؤُهُمْ وَإِخْوَانُهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَكَلَّمُوا أَبَا سُفْيَانَ بِنَ
حَرْبٍ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فِي تِلْكَ الْعِيْرِ مِنْ قُرَيْشٍ تِجَارَةٌ ، فَقَالُوا : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ
إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ وَتَرَكَمُ ، وَقَتَلَ خِيَارَكُمْ ، فَأَعْيُنُونَا بِهَذَا الْمَالِ عَلَى حَرْبِهِ ، فَلَعَلَّنَا

أَنْ تُدْرِكَ مِنْهُ ثَارَنَا بِمَنْ أَصَابَ مِنَّا فَفَعَلُوا ، وَفِيهِمْ - كَمَا قَالَ ابْنُ اسْحَاقٍ
وغيره - نَزَلَتْ الْآيَةُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيُضِدُّوا عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ ، فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ، ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى
جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ .

وَأَخَذَتْ قُرَيْشٌ تَعِدُّ لِدَلِكِ الْعُدَّةِ ، وَتَرَصَّدُ الْأَمْوَالَ ، وَتُعْبِيءُ الْقُوَى ،
وَتَجْمَعُ السِّلَاحَ ، وَبَعَثَتْ رُسُلَهَا فِيمَنْ حَوْلَهَا مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ تَسْتَنْصِرُهُمْ ،
وَتَسْتَعِينُ بِهِمْ عَلَى تَمْكِينِ الضَّرْبَةِ ، وَكَانَ مِنْ هَؤُلَاءِ الرُّسُلِ أَبُو عَزَّةَ عَمْرُو بْنُ
عَبْدِ اللَّهِ الْجُمَحِيُّ ، قَدْ مَنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ بَدْرٍ ،
وَكَانَ فَقِيرًا ، ذَا عِيَالٍ وَحَاجَةٍ ، فَأَطْلَقَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلَا
فِدَاءٍ ، وَأَخَذَ عَلَيْهِ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ أَنْ لَا يُظَاهِرَ عَلَيْهِ أَحَدًا ، وَلَا يُكَيِّرُ عَلَيْهِ
جَمْعًا ، فَفَقَضَ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ ، وَذَهَبَ مَعَ الذَّاهِبِينَ إِلَى كِنَانَةَ وَتِهَامَةَ
يُحَرِّضُ عَلَى الْقِتَالِ ، قِتَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُكَيِّرُ عَلَيْهِ .

وَهَكَذَا ظَلَّتْ قُرَيْشٌ طَوَالَ عَامِهَا تَبْدُلُ مِنْ أَمْوَالِهَا ، وَتَجْمَعُ مِنْ
أَنْصَارِهَا ، وَتَعِدُّ مِنْ قُوَّتِهَا ، حَتَّى بَلَغَتْ مِنْ ذَلِكَ مَا أَرَادَتْ وَعَدَّتْ فِي أْتَمِّ
أَهْبَةِ ، وَأَكْمَلِ اسْتِعْدَادٍ ، فَلَمْ تَلْبَثْ حَتَّى حَصَلَتْ عَلَى جَيْشٍ لَجِبٍ ، مِنْ
رِجَالِهَا ، وَمِمَّنْ حَالَفَهَا مِنَ الْأَحَابِيشِ ، مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ ، وَبَنِي الْهُونِ بْنِ
خُزَيْمَةَ ، وَتَوَجَّهَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ فِي حَمَاسَةِ الْمُؤْتَوِرِ ، وَسُورَةِ الْمَغِيْظِ
الْمُحَنِّقِ ، لِتَضْرِبَ الضَّرْبَةَ الْقَاضِيَةَ فِي زَعْمِهَا ، وَأَبَتْ نِسَاءُ قُرَيْشٍ إِلَّا أَنْ يَكُنَّ
مَعَ الْجَيْشِ يُحَمِّسْنَ الرِّجَالَ ، وَيُثْرْنَ الْحَمِيَّةَ ، فَخَرَجَ مِنْهُنَّ مِنْ رَبَّاتِ الْخُدُورِ
نَحْوُ أَرْبَعِ عَشْرَةَ امْرَأَةً ، عَلَى رَأْسِهِنَّ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ ، زَوْجُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ
حَرْبٍ ، وَخَرَجَ مَعَ الْجَيْشِ أَبُو عَامِرٍ الْأَوْسِيُّ الْفَاسِقُ ، وَكَانَ مُقَامِمًا لِلنَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمُبَاعِدًا لَهُ ، وَمُنْكَرًا لِنُبُوَّتِهِ ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَهَبًا
يَزْعُمُ أَنَّهُ يَنْتَظِرُ النَّبِيَّ الْمَبْعُوثَ ، وَيَذْكُرُ لِلنَّاسِ كَثِيرًا مِنْ صِفَاتِهِ ، وَيَقُولُ

لَهُمْ : إِنَّهُ قَدْ قَرَّبَ خُرُوجَهُ ، فَلَمَّا هَاجَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَأَتَتْ صِفَاتُهُ لِلْأَنْصَارِ وَاتَّبَعُوهُ حَسَدَهُ أَبُو عَامِرٍ وَأَنْكَرَ نُبُوتَهُ ، وَكَانَ رَئِيسًا فِي الْأَوْسِ قُبْحَهُ اللَّهُ ، كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي فِي الْخَزْرَجِ ، فَكُلُّ مِنْهُمَا حَسَدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ ظَاهِرًا وَهُوَ مَعَ الْكُفَّارِ بَاطِنًا وَأَبُو عَامِرٍ خَرَجَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَافِرًا مُبَاعِدًا ، وَخَرَجَ مَعَهُ خَمْسُونَ مِنْ شِيعَتِهِ ، مِنْ شَبَابِ الْأَوْسِ وَعِلْمَانِهِمْ ، فَأَقَامَ فِي مَكَّةَ مُنَاصِرًا لِقُرَيْشٍ مُحَرِّضًا لَهَا عَلَى قِتَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا عَزَمَتْ قُرَيْشٌ عَلَى الْخُرُوجِ إِلَى أَحَدٍ ، مَنَّاها أَبُو عَامِرٍ أَنْ يُخَذَلَ لَهَا قَوْمَهُ الْأَوْسَ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنْ يُخْرَجَ مِنْ صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ ، إِلَى صُفُوفِ الْمُشْرِكِينَ إِذَا تَقَى الْجَمْعَانِ ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ مُعْتَمِدًا عَلَى مَا كَانَ لَهُ مِنْ سَابِقِ الْمَكَانَةِ فِي قَوْمِهِ ، مُعْتَقِدًا أَنَّهُ بِهَذِهِ الْمَكَانَةِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُحْدِثَ مَا يَشَاءُ ، مِنَ التَّفْرِيقِ فِي صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ يَكْفِي لِدَلِكِ أَنْ يَظْهَرَ لَهُمْ عِنْدَ اللَّقَاءِ ، وَأَنْ يُسْمِعَهُمْ صَوْتَهُ ، فَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ ، حَتَّى لَقَدْ كَانَ يَقُولُ لِقُرَيْشٍ ، فِي يَقِينِ الْوَاتِقِ الْمُطْمَئِنِّ - لَوْ قَدِمْتُ عَلَى قَوْمِي لَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيْكُمْ مِنْهُمْ رَجُلَانِ ، وَهَؤُلَاءِ مَعِيَ نَفَرٌ مِنْ قَوْمِي ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ رَأَى رُؤْيَا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ ، خَطَبَ عَلَى الْمِنْبَرِ ، فَحَمَدَ اللَّهَ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ « أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَأَيْتُ فِي مَنَامِي رُؤْيَا ، رَأَيْتُ كَأَنِّي فِي دِرْعِ حَصِينَةٍ وَرَأَيْتُ كَأَن سَيْفِي ذُو الْفُقَارِ انْقَصَمَ مِنْ عِنْدِ ظَنِّتِهِ ، وَرَأَيْتُ بَقْرًا تُدْبِحُ ، وَرَأَيْتُ كَأَنِّي مُرِدِفٌ كَبْشًا » ، فَقَالَ النَّاسُ : فَمَا أَوْلَتْهَا ؟ قَالَ « أَمَا الدِّرْعُ الْحَصِينَةُ فَهِيَ الْمَدِينَةُ ، فَاْمُكُوثُوا فِيهَا ، أَمَا انْقِصَامُ سَيْفِي مِنْ عِنْدِ ظَنِّتِهِ فَمُصِيبَتِي فِي نَفْسِي ، وَأَمَا الْبَقْرُ فَقَتْلِي فِي أَصْحَابِي ، وَأَمَا أَنِّي مُرِدِفٌ كَبْشًا ، فَكَبْشُ الْكُتَيْبَةِ ، نَقْتُلُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » وَفِي رِوَايَةٍ « وَأَمَا انْقِصَامُ سَيْفِي ، فَقَتْلُ رَجُلٍ مِنْ بَيْتِي .

اللَّهُمَّ انظُرْنَا فِي سِلْكِ الْفَائِزِينَ بِرِضْوَانِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ
الَّذِينَ أَعَدَدْتَ لَهُمْ فَسِيحَ جَنَّاتِكَ ، وَأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي دَارِ أَمَانِكَ ،
وَعَافِنَا يَا مَوْلَانَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ جَمِيعِ الْبَلَايَا وَأَجْزِلْ لَنَا مِنْ مَوَاقِبِ
فَضْلِكَ وَهَبَاتِكَ وَمَتَّعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ
مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَصْلٌ »

وفي أوائل شهر شوال ، من السنة الثانية من الهجرة وقيل في السنة
الثالثة ، خرج الجيش الجرار من مكة ، يقوده أبو سفيان ابن حرب ، ويحمل
لواءه طلحة بن أبي طلحة ، وعلى ميمته خالد ابن الوليد ، وعلى مسرته
عكرمة بن أبي جهل ، وعلى رجاله صفوان بن أمية . . وعددهم ثلاثة آلاف
مقاتل ، في أكمل استعداد ، وأحسن تعبئة ، من بينهم مائتان من الفرسان ،
المدرسين على ظهور الخيل وسبعمائة من الدارعين
المحصنين بالزرذ والدروع الواقية ، يحملهم عدد وافر من الركائب ،
ويتبعهم حشد كبير من العبيد والغلمان ، يقضون حوائجهم ، ويحرسون
متاعهم ، وكان مع العبيد عبد حبشي اسمه وحشي ، وكان يجيد الرماية
بالحراب ، على طريقة الحبشة ، فأغراه سيده جبير بن مطعم بقتل حمزة بن
عبد المطلب ، عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال له : إن قتلته
فأنت عتيق . وكذلك أغرته به هند بنت عتبة ووعده على قتله خيراً كثيراً ،
وكان حمزة رضي الله عنه قد قتل في وقعة بدر طعيمة بن عدي ، عم جبير ،
وعتبة بن ربيعة أبا هند .

وكانت قريش فيما يبدو قد خرجت على خطة موضوعة ، هي أن

تَفَاحِيءَ الْمُسْلِمِينَ فِي عَقْرِ دَارِهِمْ ، قَبْلَ أَنْ يَسْتَعِدُّوا فَإِنْ أَحْفَقُوا فِي هَذِهِ
الْخُطَّةِ ، بَأَنَّ لَمْ يَحْصُلْ لَهُمْ مُفَاجَأَةُ الْمُسْلِمِينَ ، وَعَلِمَ الْمُسْلِمُونَ
بِخُرُوجِهِمْ ، وَاسْتَعِدُّوا لَهُمْ ، فَالْخُطَّةُ الثَّانِيَةُ هِيَ التَّخْذِيلُ وَالْأَرْجَافُ ،
وَالتَّفَرِيقُ بَيْنَ صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَ اللِّقَاءِ فَإِنْ أَحْفَقَتْ هَذِهِ الْخُطَّةُ ، وَلَمْ
يَنْجَحُوا فِيهَا ، فَالْخُطَّةُ الثَّلَاثَةُ هِيَ الْفَتْكُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
ثُمَّ بَرُءُوسِ أَصْحَابِهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، كَمَا فَتَكَ الْمُسْلِمُونَ بَرُءُوسِهِمْ فِي وَقْعَةِ
بَدْرٍ ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَمَتْ قُرَيْشٌ أَمْرَهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَخَرَجَتْ تُوَاصِلُ
السَّيْرَ فِي سِرٍّ ، حَتَّى نَزَلَتْ بِوَادِي أَحُدٍ ، عَلَى أَقْلٍ مِنْ فَرَسَخٍ مِنَ الْمَدِينَةِ ،
وَلَكِنْ مِنْ لُطْفِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ بِرَسُولِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ، أَنَّ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ
المُطَّلِبِ كَتَبَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا ، أَخْبَرَهُ فِيهِ بِمَخْرَجِ
قُرَيْشٍ هَذَا ، وَبِمَا أَعَدَّتْ لَهُ مِنَ الرِّجَالِ وَالْعِتَادِ ، وَبَعَثَتْ بِكِتَابِهِ هَذَا مَعَ رَجُلٍ
مِنْ بَنِي غِفَارٍ ، فَوَاصِلِ السَّيْرِ بِهِ ، حَتَّى بَلَغَ الْمَدِينَةَ فِي ثَلَاثِ لَيَالٍ ، فَلَمَّا
بَلَغَهَا عَلِمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قُبَاءٍ فَاَنْطَلَقَ إِلَيْهِ ، فَسَلَّمَهُ
الْكِتَابَ ، فَدَفَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَبِي بَنٍ كَعْبٍ ، فَقَرَأَهُ عَلَيْهِ ،
فَاسْتَكْتَمَهُ الْخَبِيرَ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ ، فَأَخْبَرَهُ خَبَرَ الْكِتَابِ ، فَقَالَ
سَعْدٌ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ فِي ذَلِكَ خَيْرًا ، وَأَرْجَفَ الْيَهُودَ وَالْمُنَافِقُونَ
بِأَمْرِ الْكِتَابِ ، فَشَاعَ الْخَبِيرُ بَيْنَ النَّاسِ ، وَهَذَا مَا كَانَتْ تَخْشَاهُ قُرَيْشٌ .

رَوَى الْوَاقِدِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ أَبِي حَكِيمَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ : لَمَّا
أَصْبَحَ أَبُو سُفْيَانَ قَالَ : أَحْلَفُ بِاللَّهِ أَنَّهُمْ جَاؤُوا مُحَمَّدًا فَخَبَرُوهُ مَسِيرَنَا ،
وَخَدَرُوهُ ، وَأَخْبَرُوهُ بِعَدَدِنَا ، فَهُمْ الْآنَ يَلْزَمُونَ صِيَابِيهِمْ ، فَمَا أَنْ نُصِيبَ
مِنْهُمْ شَيْئًا فِي وَجْهِنَا ، فَقَالَ صَفْوَانٌ : إِنْ لَمْ يُصْحِرُوا لَنَا عَمَدَنَا إِلَى نَخْلِ
الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ فَقَطَعْنَاهُ ، فَتَرَكْنَاهُمْ وَلَا أَمْوَالَ لَهُمْ ، فَلَا يَجْتَرُونَهَا أَبَدًا ،
وَإِنْ أَصْحَرُوا لَنَا فَعَدَدْنَا أَكْثَرَ مِنْ عَدَدِهِمْ ، وَسِلَاحُنَا أَكْثَرَ مِنْ سِلَاحِهِمْ ، وَلَنَا

خَيْلٌ وَلَا خَيْلَ مَعَهُمْ ، وَنَحْنُ نُقَاتِلُ عَلَى وَتَرٍ عِنْدَهُمْ ، وَلَا وَتَرَ لَهُمْ عِنْدَنَا .
اللَّهُمَّ أَظِلَّنَا تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِكَ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّكَ وَلَا بَاقِيَ إِلَّا وَجْهَكَ
اللَّهُمَّ أَظِلَّنَا تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِكَ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّكَ وَلَا بَاقِيَ إِلَّا وَجْهَكَ
اللهم إنا نسألك رحمةً من عندك تهدي بها قلوبنا ، وتجمع بها شملنا ،
وتلمم بها شعثنا ، وترفع بها شاهدنا ، وتحفظ بها غائبنا ، وتركي بها أعمالنا ،
وتلهمنا بها رشدنا ، وتعصمنا بها من كل سوء يا أرحم الراحمين .

اللهم ألهمنا القيام بحقك ، وبارك لنا في الحلال من رزقك ، ولا
تفضحننا بين خلقك ، يا خير من دعاه دأع وأفضل من رجاه راج يا قاضي
الحاجات يا مجيب الدعوات هب لنا ما سألناه وحقق رجاءنا فيما تمنيناه
وأملناه يا من يملك حوائج السائلين ويعلم ما في ضمائر الصامتين ، أذقنا
برد عفوك ، وحلاوة مغفرتك ، يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد
وآله وصحبه أجمعين

(فَضْلٌ)

وَبَعَثَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عِيُونُهُ يَسْتَظِلُّونَ لَهُ خَبَرَ الْقَوْمِ ، فَجَاؤُوا
إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ بِمَنْزِلِهِمْ مِنْ وَادِي أُحُدٍ ، وَحَزَرُوا لَهُ عَدَدَهُمْ ،
وَعِتَادَهُمْ وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ قَدْ أَطْلَقُوا خِيُولَهُمْ وَإِبِلَهُمْ فِي مَزَارِعِ
الْمَدِينَةِ ، فَجَعَلَتْ تَأْكُلُ الزَّرْعَ ، وَالشَّجَرَ حَتَّى أَوْشَكَتْ أَنْ تَدْخُلَ
الْمَدِينَةَ وَبَاتَ الْخَطَرُ جَائِمًا عَلَى الْأَبْوَابِ ، وَعَدَا الْأَمْرُ لَا يَقْبَلُ
التَّسْوِيفَ ، وَصَارَ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ
وَيَسْتَعِدُّوا ، وَحُرِسَتِ الْمَدِينَةُ كُلُّهَا طَوَالَ اللَّيْلِ ، فَبَاتَ وُجُوهُ الْمُسْلِمِينَ
مِنْ أَهْلِهَا فِي الْمَسْجِدِ ، وَعَلَيْهِمُ السَّلَاحُ خَوْفًا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ .

فلما أصبحوا جمع النبي ﷺ أهل الرأي من أصحابه ، وجعلوا
يتشاورون كيف يلقون عدوهم اللدود .

رَوَى الرَّاقِدِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَصْحَابِهِ أُشِيرُوا عَلَيَّ فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ
 بْنُ أَبِي رَيْثَسٍ الْمُنَافِقِينَ ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ نُقَاتِلُ فِيهَا
 وَنَجْعَلُ النِّسَاءَ وَالذَّرَارِيَّ فِي هَذِهِ الصِّيَاصِي ، وَيَجْعَلُ مَعَهُمُ الْحِجَارَةَ ،
 وَنُسْبُكَ الْمَدِينَةَ بِالْبَيْتَانِ ، فَتَكُونُ كَالْحِصْنِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، وَتَرْمِي الْمِرَاءُ
 وَالصَّبِيُّ مِنْ فَوْقِ الصِّيَاصِي وَالْأَطَامِ ، وَنُقَاتِلُ بِأَسْيَافِنَا فِي السَّكِّ يَا
 رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ مَدِينَتَنَا عَذْرَاءٌ ، مَا فُضِّتْ عَلَيْنَا قَطُّ ، وَمَا خَرَجْنَا إِلَى عَدُوِّ
 قَطُّ مِنْهَا إِلَّا أَصَابَ مِنَّا ، وَمَا دَخَلَ عَلَيْنَا قَطُّ إِلَّا أَصْبَانَاهُ ، فَدَعُّهُمْ يَا رَسُولَ
 اللَّهِ فَإِنَّهُمْ إِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرِّ مَحْبَسٍ وَإِنْ رَجَعُوا رَجَعُوا خَائِبِينَ مَغْلُوبِينَ
 لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا .

يَا رَسُولَ اللَّهِ أَطْعَنِي فِي هَذَا الْأَمْرِ ، وَاعْلَمْ أَنِّي وَرَثْتُ هَذَا الرَّأْيَ
 مِنْ أَكَابِرِ قَوْمِي ، وَأَهْلِ الرَّأْيِ مِنْهُمْ ، فَهُمْ كَانُوا أَهْلَ الرَّأْيِ وَالتَّجْرِبَةِ .

وَكَانَ هَذَا الرَّأْيُ هُوَ رَأْيُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ أَنْ لَا يَخْرُجُوا مِنَ
 الْمَدِينَةِ ، وَأَنْ يَتَحَصَّنُوا بِهَا فَإِنْ دَخَلُوهَا قَاتَلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَفْوَاهِ
 الْأَرْزَقِ وَالنِّسَاءِ مِنْ فَوْقِ الْبُيُوتِ ، وَهُوَ رَأْيُ الْأَكَابِرِ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنَ
 الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ امْكُثُوا فِي الْمَدِينَةِ وَاجْعَلُوا النِّسَاءَ وَالذَّرَارِيَّ فِي
 الْأَطَامِ فَإِنْ دَخَلُوا عَلَيْنَا قَاتَلْنَاهُمْ فِي الْأَرْزَقِ ، فَتَحْنُ أَعْلَمُ بِهَا مِنْهُمْ وَرَمَوْا
 النِّسَاءَ وَالصَّبِيَّانَ مِنْ فَوْقِ الصِّيَاصِي وَالْأَطَامِ ، فَبَادَرَ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ
 مِمَّنْ فَاتَهُمُ الْخُرُوجُ يَوْمَ بَدْرٍ وَرَغَبُوا فِي الشَّهَادَةِ ، وَأَحْبَبُوا لِقَاءَ الْعَدُوِّ ،
 وَأَشَارُوا عَلَيْهِ بِالْخُرُوجِ ، وَالْحُوا عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ .

وَقَالَ رَجَالٌ مِنْ أَهْلِ النَّبِيِّ الْحَسَنَةِ ، إِنَّا نَخْشَى يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ
 يَظُنَّ عَدُونَنَا أَنَّا كَرِهْنَا الْخُرُوجَ إِلَيْهِمْ جُبْنًا عَنْ لِقَائِهِمْ ، فَيَكُونُ هَذَا جُرْأَةً
 مِنْهُمْ عَلَيْنَا وَقَدْ كُنْتَ يَوْمَ بَدْرٍ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ فَظَفَرَكَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَنَحْنُ الْيَوْمَ

خَلَقُ كَثِيرٌ ، وَقَدْ كُنَّا نَتَمَنَّى هَذَا الْيَوْمَ وَنَدْعُو اللَّهَ بِهِ ، فَقَدْ سَاقَهُ اللَّهُ إِلَيْنَا فِي سَاحَتِنَا .

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ سِنَانَ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ نَحْنُ بَيْنَ إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ ، إِمَّا يُظْفِرُنَا اللَّهُ بِهِمْ فَهَذَا هُوَ الَّذِي نُرِيدُ ، وَالْأُخْرَى يَا رَسُولَ اللَّهِ يَرْزُقُنَا اللَّهُ بِهَا الشَّهَادَةَ ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَبَالِي أَيُّهُمَا كَانَ ، إِنَّ كُلًّا لَفِيهِ خَيْرٌ .

وَقَالَ حَمَزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ، لَا أُطْعَمُ الْيَوْمَ طَعَامًا حَتَّى أَجَالِدَهُمْ بِسَيْفِي خَارِجًا مِنَ الْمَدِينَةِ .

وَقَالَ الثُّعْمَانُ بْنُ مَالِكٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ تَحْرِمُنَا الْجَنَّةَ فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَأَدْخُلْنَهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسْمِ فَقَالَ إِنِّي أَمْرٌ أَحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا أَفِرُّ يَوْمَ الزَّحْفِ .

وَقَالَ إِيَّاسُ بْنُ أَوْسٍ لَا أَحِبُّ أَنْ تَرْجِعَ قُرَيْشٌ إِلَى قَوْمِهَا فَيَقُولُونَ حَصْرْنَا مُحَمَّدًا فِي صِيَاصِي يَثْرَبَ وَإِطَامِيهَا فَتَكُونُ هَذِهِ جُرْأَةُ لِقُرَيْشٍ عَلَيْنَا وَقَدْ وَطِئُوا سَعْفَنَا فَاذَا لَمْ نَدَبْ عَنْ غَرْسِنَا لَمْ يُزْرَعْ .

وَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ الْخُرُوجَ هُوَ الرَّغْبَةُ الْعَالِيَةُ وَأَنَّ كَثْرَةَ النَّاسِ تَدْعُو إِلَيْهِ فَصَلَّى بِهِمِ الْجُمُعَةَ ، ثُمَّ وَعَظَهُمْ ، وَأَمَرَهُمْ بِالْجِدِّ وَالْجِهَادِ .

وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ لَهُمُ النَّصْرَ مَا صَبَرُوا ، فَفَرِحَ النَّاسُ بِالشُّخُوصِ إِلَى عَدُوِّهِمْ ، وَلَكِنَّ كَثِيرًا كَرِهُوا ذَلِكَ الْمَخْرَجَ ، لِمَا رَوَا فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْكَرَاهَةِ لَهُ .

وَأَخَذَ النَّاسُ يَتَاهَبُونَ لِلْقِتَالِ ، فَيَلْبَسُونَ دُرُوعَهُمْ وَسِلَاحَهُمْ وَيَتَوَافَدُونَ عَلَى

مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمَّا كَانَ الْعَصْرُ كَانَ النَّاسُ قَدْ تَجَمَّعُوا وَاحْتَشَدُوا فَصَلَّى بِهِمْ صَلَاةَ الْعَصْرِ وَأَمَرَ أَنْ يُرْفَعَ النِّسَاءُ وَالْأَوْلَادُ فِي الْأَطَامِ وَالْحُصُونِ ثُمَّ دَخَلَ بَيْتَهُ لِيَلْبَسَ لَأَمَتَهُ ، وَالنَّاسُ فِي خَارِجِ الْبَيْتِ ، يَتَنَاقَشُونَ وَيَتَجَادَلُونَ فِي أَمْرِهِمْ ، وَلَا يَزَالُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ الْبَقَاءَ هُوَ الْأَصُوبُ ، وَأَنَّ النَّاسَ قَدْ اسْتَكْرَهُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْخُرُوجِ ، فَعَزَمَ عَلَيْهِ . وَهُوَ كَارِهِ لَهُ .

وَجَاءَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَأَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ فَقَالَا قُلْتُمْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا قُلْتُمْ وَاسْتَكْرَهْتُمُوهُ عَلَى الْخُرُوجِ وَالْأَمْرُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ ، فَرُدُّوا الْأَمْرَ إِلَيْهِ ! فَمَا أَمَرَكُمْ فافْعَلُوهُ ، وَمَا رَأَيْتُمْ لَهُ فِيهِ هَوَىٰ أَوْ رَأْيًا فَاطِيعُوهُ .

فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ إِذْ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَقَدْ لَبَسَ لَأَمَةَ الْحَرْبِ ، فَقَالَ الَّذِينَ كَانُوا يُلْحُونَ فِي الْخُرُوجِ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُخَالَفَكَ ، فَاصْنَعْ مَا بَدَأَكَ فَقَالَ قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَىٰ هَذَا الْحَدِيثِ ، فَأَبَيْتُمْ ، وَلَا يَتَّبِعُنِي لِئِنِّي إِذَا لَبَسَ لَأَمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَيَبِينَ أَعْدَائِهِ .

انظُرُوا مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَاتَّبِعُوهُ ، وَامضُوا عَلَىٰ اسْمِ اللَّهِ ، فَلَكُمْ النَّصْرُ مَا صَبَرْتُمْ .

وَعَقَدَ ﷺ ثَلَاثَةَ الْوِيَةِ ، لِوَاءِ بَيْدِ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ ، وَلِوَاءِ لِلْمُهَاجِرِينَ ، بَيْدِ مُضْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ . وَقِيلَ بَيْدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَدَفَعَ لِوَاءَ الْخَزْرَجِ ، بَيْدِ الْحُبَابِ بْنِ الْمُنْذِرِ .

وَقِيلَ بَيْدِ سَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ ، ثُمَّ دَعَا بِفَرَسِهِ ، فَرَكِبَهُ وَخَرَجَ فِي الْفَيْ

مِنَ أَصْحَابِهِ ، فِيهِمْ مِائَةٌ دَارِعٌ ، وَالنَّاسُ عَنِ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ وَالسَّعْدَانِ
يَعْدُونَ أَمَامَهُ ، سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ، وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ
الْجُمُعَةِ ، لِسِتِّ خَلَوْنَ مِنْ شَوَالٍ ، بَعْدَ أَنْ أَمَرَ عَلَى الْمَدِينَةَ ابْنُ أُمِّ
مَكْتُومٍ ، يُصَلِّي بِالنَّاسِ .

اللَّهُمَّ أَقِمَّ عِلْمَ الْجِهَادِ واقمَعِ أَهْلَ الْكُفْرِ وَالزَّيْغِ وَالْعِنَادِ وانشُرْ
رَحْمَتَكَ عَلَى هَؤُلَاءِ الْعِبَادِ يَا مَنْ لَهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ وَإِلَيْهِ الْمَعَادُ واغفر لنا
ولوآلِدِينَا اللَّهُمَّ انظِمْنَا فِي سَبِيلِكَ أَهْلَ السَّعَادَةِ ، واجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ
الْمُحْسِنِينَ الَّذِينَ لَهُمُ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ، واغفر لنا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

موعظة: عِبَادَ اللَّهِ كَانَ سَلَفُنَا فِي أَرْقَى دَرَجَةٍ ، وَأَصْبَحْنَا بَعْدَهُمْ كَمَا تَرَوْنَ فِي
حَالَةٍ يُرْتَى لَهَا مِنَ التَّهَالُكِ عَلَى الدُّنْيَا وَاهْمَالِ الْآخِرَةِ ، ذَلِكَ أَنَّهُمْ عَرَفُوا
أَنَّ الْآخِرَةَ لَا تَنْتَهِي حَيَاتُهَا ، وَأَنَّ الدُّنْيَا تَنْتَهِي فِي أَيَّامٍ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ،
كَمَا أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ مَتَاعِهَا أَنَّهُ قَلِيلٌ ، فَوَضَعُوا حَيَاةَ الْأَبَدِ نَصَبَ أَعْيُنِهِمْ ،
وَجَدُّوا وَاجْتَهَدُوا فِي الْعَمَلِ لَهَا ، كَمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ ، فَلَا تَكَادُ تَرَاهُمْ فِي
لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ إِلَّا وَهُمْ بِعَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ يَعْمَلُونَ وَذَلِكَ الْعَمَلُ مِنَ
أَعْمَالِ الْآخِرَةِ .

ولقد كانوا في كُلِّ نَفْسٍ مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَرَوْنَ أَنَّهُ النَّفْسُ الْأَخِيرُ ، الَّذِي
تَنْتَهِي بِهِ آجَالُهُمْ ، فَلَوْ قِيلَ لَهُمْ إِنَّكُمْ بَعْدَ سَاعَةٍ تَنْتَهِي حَيَاتُكُمْ مَا زَادُوا
عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِكْتَارِ مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ .

أَمَّا اسْتِغَالُهُمْ بِهَذِهِ الْحَيَاةِ فَمَا كَانَ إِلَّا لِأَنَّهُ وَسِيلَةٌ مِنَ الْوَسَائِلِ الَّتِي

تُذْنِي إِلَى الْجَنَاتِ ، وَتُبْعِدُ عَنِ النَّارِ ، لِهَذَا كَانُوا لَا يَخَافُونَ الْمَوْتَ ، وَيَحْرُصُونَ عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، لَعَلَّهُمْ يَنَالُونَ الشَّهَادَةَ ، وَيَبْكُونَ إِذَا لَمْ يَتَيَسَّرْ لَهُمُ الْخُرُوجُ إِلَى الْجِهَادِ ، كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَكَمَا مَرَّ عَنْهُمْ فِي الْأَحَادِيثِ السَّابِقَةِ ، لِذَلِكَ بَلَّغُوا مِنَ الشَّجَاعَةِ مُنْتَهَاهَا ، وَعَاشُوا وَمَاتُوا وَهُمْ سَادَةُ الْعَالَمِينَ .

أَمَا زُهِدُهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا فَكَانَ مَوْضِعَ الْعَجَبِ ، لِأَنَّ مَقْصُودَهُمْ غَيْرَهَا ، وَلِهَذَا كَانُوا أَشْرَفَ أُمَّةٍ تَحَلَّى بِرُؤْيَيْهَا الزَّمَانُ .

أَمَا نَحْنُ فَقَصُرَ نَظْرُنَا قَصْرًا مِنَ الْعَارِ أَنْ يُنْسَبَ إِلَى عُقَلَاءِ الرَّجَالِ ، وَهَلْ يُتَصَوَّرُ أَنَّ الْعَاقِلَ تَمْلِكُ قَلْبَهُ وَقَالِبُهُ الدُّنْيَا وَحُطَامُهَا الْفَانِي ، فَيَجْعَلُ كُلَّ مَقْصُودِهِ الْمَالَ ، مَعَ أَنَّهُ يَقْرَأُ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ وَلَا تَمُدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعَنَا بِهِ زُجَرًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ .

هَذَا هُوَ الَّذِي كَانَ مِنَّا فَالْآخِرَةُ لَا تَخْطُرُ لَنَا عَلَى بَالٍ ، فَلِلدُّنْيَا أَبْدَانُنَا وَقُلُوبُنَا ، وَلَهَا رِضَاؤُنَا وَسَخْطُنَا ، وَإِنْ زُجِرْنَا عَنْهَا إِزْدَادًا وَلَعْنَا بِهَا وَزَادَ إِقْبَالُنَا عَلَيْهَا وَتَضَاعَفَ جُهْدُنَا لَهَا .
على حد قول الشاعر .

وَإِذَا زَجَرَتِ النَّفْسَ عَنِ شَغْفِ بِهَا

فَكَأَنَّ زَجَرَ غَوِيهَا إِغْرَاؤُهَا

لِهَذَا كَرِهْنَا الْمَوْتَ كَرَاهَةً شَدِيدَةً ، فَفَقَدْنَا الشَّجَاعَةَ ، وَأَصَابَنَا

الْوَهْنُ وَالْحَوْرُ وَالضَّعْفُ وَالْجُبْنُ .

شِعْرًا :

نُهَاكَ عَنِ الْبَطَالَةِ وَالتَّصَابِي نَحُولُ الْجِسْمِ وَالرَّأْسِ الْخَضِيبُ

إِذَا مَا مَاتَ بَعْضُكَ فَابْكُ بَعْضًا فَبَعْضُ الشَّيْءِ مِنْ بَعْضٍ قَرِيبٌ

وَلِهَذَا وَصَلَتْ بِنَا الْحَالُ إِلَى أَنْ مَنَعْنَا الزَّكَاةَ أَوْ بَعْضَهَا وَهِيَ قَرِينَةُ
 الصَّلَاةِ ، وَمِنْ أَجْلِ الدُّنْيَا دَاهِنًا ، وَتَمَلَّقْنَا لِأَعْدَاءِ اللَّهِ وَقُلْنَا لَهُ يَا سَيِّدُ أَوْ يَا
 مُعَلِّمُ أَوْ يَا أَسْتَاذَ هَذَا خِطَابِنَا لِأَعْدَاءِ اللَّهِ مَعَ أَنْ الْوَاجِبَ عَلَيْنَا نَحْوَهُمْ
 هَجْرَانُهُمْ وَالْإِبْتِعَادُ عَنْهُمْ وَبُغْضُهُمْ لِلَّهِ قَالَ تَعَالَى ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ
 بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ
 وَأَخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ
 مِنْهُ ﴾ فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ، هَذَا يَا أَخِي هُوَ السَّبَبُ
 الْوَجِيدُ فِي انْحِطَاطِنَا ، وَفِي عِزِّ سَلَفِنَا الْأَجْلَاءِ الْكِرَامِ ، وَلَوْ سَلَكْنَا
 طَرِيقَهُمْ مَا أَصَابَنَا هَذَا الذُّلُّ وَالْهَوَانُ .

قَصِيدَةٌ زُهْدِيَّةٌ فِي غُرْبَةِ الدِّينِ وَالْوَلَاءِ وَالْبِرَاءِ وَالتَّقَلُّبِ مِنَ الدُّنْيَا

إِلَى اللَّهِ نَشْكُوا غُرْبَةَ الدِّينِ وَالْهُدَى
 وَفُقْدَانَهُ مِنْ بَيْنِ مَنْ رَاحَ أَوْ غَدَا
 فَعَادَ غَرِيبًا مِثْلَ مَا كَانَ قَدْ بَدَا
 عَلَى الدِّينِ فَلْيَبْكِي ذُوو الْعِلْمِ وَالْهُدَى
 فَقَدْ طَمَسَتْ أَعْلَامُهُ فِي الْعَوَالِمِ
 حَوَى الْمَالَ أَنْذَالَ الْوَرَى وَرَذَالَهُمْ
 وَقَدْ عَمَّ فِي هَذَا الزَّمَانِ ضَلَالُهُمْ
 وَلَا تَرْتَضِي أَقْوَالَهُمْ وَفِعَالَهُمْ
 وَقَدْ صَارَ إِقْبَالُ الْوَرَى وَاحْتِيَالَهُمْ
 عَلَى هَذِهِ الدُّنْيَا وَجَمْعِ الدَّرَاهِمِ

فَذُو الْمَالِ لَا تَسْأَلُ أَحْصُ خَدِينِهِمْ
وَقَدْ نَفَقَ الْجَهْلُ الْعَظِيمُ بِحِينِهِمْ
بِإِعْرَاضِهِمْ عَن دِينِهِمْ وَمَدِينِهِمْ
وَإِضْلَاحِ دُنْيَاهُمْ بِإِفْسَادِ دِينِهِمْ
وَتَحْصِيلِ مَلذُودَاتِهِمْ وَالْمَطَاعِمِ
مُجِبُّونَ لِلدُّنْيَا مُجِبُّونَ قَيْلَهَا
وَلَوْ مُعْرِضًا عَن دِينِهِ وَلَهَا لَهَا
وَكُلُّهُمْ لَا شَكَّ ذَنْدَنَ حَوْلَهَا
يُعَادُونَ فِيهَا بَلْ يُوَالُونَ أَهْلَهَا
سِوَاءَ لَدِينِهِمْ ذُو التَّقَى وَالْجَرَائِمِ
إِلَى اللَّهِ فِي هَذَا الصَّبَاحِ وَفِي الْمَسَاءِ
نَبْتُ الدُّعَا فَالْقَلْبُ لَا شَكَّ قَدْ قَسَا
وَحُبُّ الْوَرَى الدُّنْيَا فِي الْقَلْبِ قَدْ رَسَى
إِذَا انْتَقَصَ الْإِنْسَانُ مِنْهَا بِمَا عَسَى
يَكُونُ لَهُ ذُخْرًا أَتَى بِالْعِظَائِمِ
بَكَى وَاعْتَرَاهُ الْمَسُّ مِنْ عَظْمٍ مَا حَسَى
وَخَرَّ صَرِيحًا إِذْ بَدَأَ التَّقْصُ وَأَفْلَسَا
وَانْحَلَّ جِسْمًا نَاعِمًا قَبْلَ مَا عَسَى
وَأَبْدَى أَعَاجِبًا مِنَ الْحُزَنِ وَالْأَسَى
عَلَى قِلَّةِ الْأَنْصَارِ مِنْ كُلِّ حَازِمٍ
وَنَادَى بِصَوْتٍ مَزْعَجٍ مُتَكَلِّمًا
وَبَاتَ حَزِينًا قَلْبُهُ مُتَكَلِّمًا

وَقَامَ عَلَى سَاقٍ لِحِرَاهُ مُعْلِمًا
 وَنَاحَ عَلَيْهَا آسِفًا مُتَظَلِّمًا
 وَبَاتَ بِمَا فِي صَدْرِهِ غَيْرَ كَاتِمٍ
 فَذَا شَأْنُ أَهْلِ الْغِيِّ وَالْجَهْلِ وَالرَّدَى
 إِذَا انْتَقَصُوا الدُّنْيَا أَصَارُوا الثَّرَى نَدَى
 وَيَكُونُوا وَأَبْكُوا كُلُّ مَنْ رَاحَ أَوْ غَدَا
 فَأَمَّا عَلَى الدِّينِ الْحَنِيفِيِّ وَالْهُدَى
 وَمِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ ذَاتِ الدَّعَائِمِ
 وَلَوْ قُطِعَتْ فِي كُلِّ أَرْكَانِهَا الْقُوَى
 وَلَوْ سَلَكَتْ كُلُّ الْوَرَى سُبُلَ مَنْ غَوَى
 أَوْ اتَّخَذَ الْمَخْلُوقُ مَعْبُودَهُ الْهَوَى
 فَلَيْسَ عَلَيْهَا وَالذِّي فَلَقَ الثُّوَى
 مِنْ النَّاسِ مِنْ بَالِكٍ وَأَسٍ وَنَادِمٍ
 بُنُودٌ لَهَا فِيمَا مَضَى بَيْنَنَا انْتَفَتْ
 وَكُلُّ مُحَامِيٍّ لَهَا مَالٌ وَالتَّفَتْ
 وَمَحْبُوبُنَا مَنْ أَبْغَضْتَهُ وَمَنْ نَفَتْ
 وَقَدْ دَرَسَتْ مِنْهَا الْمَعَالِمُ بَلْ عَفَتْ
 وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْإِسْمُ بَيْنَ الْعَوَالِمِ
 وَقَدْ ظَهَرَتْ تِلْكَ الْفَوَاحِشُ وَالْجَفَا
 وَلَا شَكَّ فِي فِعْلِ اللُّوَاطِ مَعَ الزِنَى
 وَقَلْبِي إِذَا مِمَّا بَدَى مَسَّهُ الضَّنَى
 فَلَا أَمْرٌ بِالْعُرْفِ يُعْرِفُ بَيْنَنَا

وَلَا زَاجِرٍ عَنِ مُعْضَلَاتِ الْجَرَائِمِ
 بِحَارِ الْمَعَاصِي قَدْ طَمَى الْآنَ لُجْهَهَا
 وَمُتَّسِعُ بَيْنَ الْبَرِيَّةِ نُجْهَهَا
 وَقَدْ لَاحَ مِنْ فَوْقِ الْبَسِيطَةِ فَجْهَهَا
 وَمِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ غُودِرَ نَهْجُهَا
 عَفَاءً وَأُضْحَتْ طَامِسَاتِ الْمَعَالِمِ
 نَوَاطِرُنَا كَلَّتْ وَأَنْوَارُهَا طَفَتْ
 وَالسُّنْنَا عَنْ بَحْثِ مِنْهَا جِهَا حَفَتْ
 مَنَاهِجُهَا وَاللَّهِ مِنْ بَيْنِنَا عَفَتْ
 وَقَدْ عُدِمَتْ فِينَا وَكَيْفَ وَقَدْ سَفَتْ
 عَلَيْهَا السَّوَابِغُ مِنْ جَمِيعِ الْأَقَالِمِ
 تَظُنُّونَ أَنَّ الدِّينَ لَيْتَكَ فِي الْفَلَاحِ
 وَفِعْلَ صَلَاةٍ وَالسُّكُوتِ عَنِ الْمَلَا
 وَسَالِمٍ وَخَالِطٍ مَنْ لِيَذَا الدِّينِ قَدْ قَلَا
 وَمَا الدِّينُ إِلَّا الْحُبُّ وَالْبُغْضُ وَالْوَلَا
 كَذَاكَ الْبَرَا مِنْ كُلِّ غَاوٍ وَأَثِمِ
 فَأَفْرَادُنَا ظَنُّوا النَّجَا فِي التَّنْسُكِ
 وَغَالِبُنَا مِنْهَا جُهُمْ فِي التَّسْلُكِ
 وَمِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ مِنْ خَيْرِ مَسَلِكِ
 وَلَيْسَ لَهَا مِنْ سَالِكِ مُتَمَسِكِ

بِدينِ النَّبِيِّ الأَبْطَحيِ بنِ هَاشِمٍ
فَلَسْنَا نَرَى مَا حَلَّ فِي الدِّينِ وَاثَمَتْ
بِهِ المِلةُ السَّمْحَاءُ إِحدَى القِواصِمِ
عَسَى تَوْبَةٌ تَمْحُو ذُنُوباً لِمُرْتَجِي
عَسَى نَظْرَةٌ تَسْلُكُ بِنَا خَيْرَ مَنهَجِ
عَسَى وَعَسَى مِنْ نَفْحَةٍ عَلَّهَا تَجِي
فَنَأْسِي عَلَى التَّقْصِيرِ مِنَّا وَنَلْتَجِي
إلى اللَّهِ فِي مَحْوِ الذُّنُوبِ العَظَائِمِ
فَكُلُّ الوَرَى فِي كَثْرَةِ المَالِ نَافِسَتْ
وَرَأَتْ ذُنُوبٌ فِي القُلُوبِ وَقَدْ رَسَتْ
وَفِي النُّهْيِ عَن كُلِّ المَعاصِي تَنَاعَسَتْ
فَنَشْكُوا إلى اللَّهِ القُلُوبَ الَّتِي قَسَتْ
وَرَانَ عَلَيَّهَا كَسْبُ تِلْكَ المَائِمِ
نُرَاعِي أَخَا الدُّنْيَا فَذَاكَ هُوَ الأَخُ
وَلَوْ كَانَ فِي كُلِّ المَعاصِي مُلَطَّخُ
أَلْسِنَا بِأَوْضَارِ الخَطَا نَتَضَمَّنُ
أَلْسِنَا إِذَا مَا جَاءَنَا مُتَضَمَّنُ
بِأَوْضَارِ أَهْلِ الشِّرْكِ مِنْ كُلِّ ظَالِمِ
أَتَيْنَاهُ نَسَعَى مِنْ هُنَاكَ وَمِنْ هُنَا
وَفِي عَضْرِنَا بَعْضٌ يُرَدُّ وَلَوْ عَنِي
أَتَيْنَا سِرَاعاً وَالرُّضَى عَنهُ حَثَا
نَهْشُ إِلَيْهِم بِالتَّجِيَّةِ وَالتَّنَا

وَنَهْرُ فِي إِكْرَامِهِم بِالْوَلَائِمِ
 أَذَا يُرْتَضَى فِي الدِّينِ هَلْ مِنْ مُعَلِّمٍ
 أَفَقُّ أَيُّهَا الْمَغْبُوتُ هَلْ مِنْ تَنْدَمٍ
 أَيَرْضَى بِهَذَا كُلُّ أُبْسَلٍ ضَيْغَمٍ
 وَقَدْ بَرِيَ الْمَعْصُومُ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ
 يُقِيمُ بِدَارِ الْكُفْرِ غَيْرَ مُضَارِمٍ
 وَلَا مُنْكَرٍ أَقْوَالِهِمْ يَا ذَوِي الْهُدَى
 وَلَا مُبْغِضٍ أَفْعَالٍ مَنْ ضَلَّ وَاعْتَدَى
 وَلَا أَمْرٍ بِالْعُرْفِ مِنْ بَيْنِهِمْ غَدَا
 وَلَا مُظْهِرٍ لِلدِّينِ بَيْنَ ذَوِي الرَّدَى
 فَهَلْ كَانَ مِنَّا هَجْرُ أَهْلِ الْجَرَائِمِ
 وَهَلْ كَانَ فِي ذَاتِ الْمُهَيِّمِينَ وَدُنَا
 وَهَلْ نَحْنُ قَاتِلُنَا الَّذِي عَنْهُ صَدْنَا
 وَهَلْ نَحْنُ أَبْعَدْنَا غَدَا وَالَّذِي دَنَا
 وَلَكِنَّمَا الْعَقْلُ الْمَعِيشِيُّ عِنْدَنَا
 مُسَالِمَةٌ الْعَاصِيْنَ مِنْ كُلِّ آئِمٍ
 أَيَا وَخَشَةً مِنْ بَيْنِ تِلْكَ الْمَنَازِلِ
 وَيَا وَضَمَةً لِلدِّينِ مِنْ كُلِّ نَازِلِ
 تَكَلَّمْتُ الْأَوْبَاشُ وَسَطَ الْمَحَافِلِ
 فَيَا مِحْنَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ كُلِّ جَاهِلِ

ويا قِلَّةَ الْأَنْصَارِ مِنْ كُلِّ عَالِمٍ
 فَتَنَسَكَ فَاخْزِمَهَا إِذَا كُنْتَ حَازِمًا
 وَمِنْ بَابِهِ لَا تَلْتَفِتْ كُنْ مُلَازِمًا
 وَصَبْرٌ فَرَبُّ الْعَرْشِ لِلشُّرْكِ هَازِمًا
 وَهَذَا أَوْانُ الصَّبْرِ إِنْ كُنْتَ حَازِمًا
 عَلَى الدِّينِ فَاصْبِرْ صَبْرَ أَهْلِ عَزَائِمِ
 وَمُدُّ يَدًا لِلَّهِ كُلُّ عَشِيَّةٍ
 وَسَلْ رَبِّكَ التَّيِّبَاتِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ
 عَلَى مِلَّةِ الْإِسْلَامِ أَزْكَى الْبَرِيَّةِ
 فَمَنْ يَتَمَسَّكَ بِالْحَنِيفِيَّةِ الَّتِي
 أُتْنَا عَنْ الْمَعْصُومِ صَفْوَةِ آدَمِ
 وَعُضُّ عَلَيْهَا بِالنُّوَا جِدِ إِذْ غَدَا
 وَجِدَادًا مِنَ الْخِلَافِ مَا تَمُّ مُسْعِدًا
 عَلَى قِلَّةِ الْأَنْصَارِ أَصْبَحَ وَاحِدًا
 لَهُ أَجْرُ خَمْسِينَ أَمْرًا مِنْ ذَوِي الْهُدَى
 مِنْ الصَّحْبِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ الْأَكْرَامِ
 وَكُنْ عَنِ حَرَامٍ فِي الْمَأْكَلِ سَاغِبًا
 وَلَا تَمْشِ مِنْ بَيْنِ الْعِبَادِ مُشَاغِبًا
 وَمُدُّ يَدًا نَحْوَ الْمُهَيِّمِينَ طَالِبًا
 وَنُحْ وَأَبِكِ وَاسْتَنْصِرِ بَرِّكَ رَاغِبًا

إِلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ أَرْحَمُ رَاحِمٍ
لِيَنْصُرَ هَذَا الدِّينَ مِنْ بَعْدَمَا عَفَتْ
مَعَالِمُهُ فِي الْأَرْضِ بَيْنَ الْعَوَالِمِ
وَأَنْ يَكْبُتَ الْأَعْدَاءَ وَيَفْنُوا بِغِلْمِهِمْ
وَيَخْذُلَ أَعْدَاءَ الْهُدَى بِأَقْلِهِمْ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ وَخِلْمِهِمْ
وَصَلِّ عَلَى الْمَعْصُومِ وَالْآلِ كُلِّهِمْ
وَأَصْحَابِهِ أَهْلِ التَّقَى وَالْمَكَارِمِ
بَعْدَ وَمِيضِ الْبَرْقِ وَالرَّمْلِ وَالْحَصَى
وَمَا أَنْهَلَ وَدَقَّ مِنْ خِلَالِ الْغَمَائِمِ

اللَّهُمَّ يَا مَنْ عَمَّ الْوَرَى جُودُهُ وَإِحْسَانُهُ لِنَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الَّذِي
إِذَا سُئِلْتَ بِهِ أُعْطِيَتْ وَإِذَا دُعِيَتْ بِهِ أُجِبَتْ أَنْ تُثَبِّتَ وَتُقَوِّي قُلُوبَنَا فِي
الْإِيمَانِ بِكَ وَبِمَلَائِكَتِكَ وَبِكُتُبِكَ وَبِرُسُلِكَ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ
وَشَرِّهِ اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ اللَّهُمَّ
وَأَيَّدْنَا بِنَصْرِكَ وَأَرْزَقْنَا مِنْ فَضْلِكَ وَنَجِّنَا مِنْ عَذَابِكَ يَوْمَ تَبَعَثَ عِبَادَكَ ،
اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقُوَّاهَا وَوَفَّقْنَا لِشُكْرِكَ وَذِكْرِكَ وَارزُقْنَا التَّوَهُبَ
وَالِاسْتِعْدَادَ لِلِقَائِكَ وَاجْعَلْ خِتَامَ صَحَائِفِنَا كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فصل »

وَمَضَى ﷺ حَتَّى وَصَلَ إِلَى مَكَانٍ يُقَالُ لَهُ الشَّيْخَيْنِ ، فَعَسَكَرَ بِهِ ، ثُمَّ
اسْتَعْرَضَ الْجَيْشَ ، فَرَدَّ مَنْ اسْتَصَفَرَهُ مِنْ جُنُودِهِ .

وَكَانَ فِيمَنْ رَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ هَؤُلَاءِ الصُّغَارِ رَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ ،

وَسَمْرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ ، فَقِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنْ رَافِعًا يُحْسِنُ الرَّمَايَةَ فَأَجَازَهُ ،
فَبَكَى سَمْرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ ، وَقَالَ أَجَازَ رَافِعًا وَرَدَّنِي مَعَ أَبِي أَصْرَعُهُ ، فَسَمِعَ بِذَلِكَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَأَمَرَهُمَا أَنْ يَتَصَارَعَا فَكَانَ الْغَالِبُ سَمْرَةَ ، فَأَجَازَهُ .

وَبَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَتَهُ تِلْكَ بِالشَّيْخَيْنِ وَاسْتَعْمَلَ عَلَى حَرَسِ
الْجَيْشِ مُحَمَّدَ بْنَ سَلَمَةَ ، وَعَلَى حَرَسِهِ ، ذُكْوَانَ بْنَ قَيْسٍ .

وَنَامَ ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَ السَّحَرُ ، قَالَ أَيْنَ الْأِدْلَاءُ ، مَنْ رَجُلٌ يَدُلُّنَا عَلَى
الطَّرِيقِ ، يُخْرِجُنَا عَلَى الْقَوْمِ مِنْ كَثْبٍ ، فَقَامَ أَبُو خَيْثَمَةَ الْحَارِثِيُّ ، فَقَالَ أَنَا
يَا رَسُولَ اللَّهِ .

وَلَمَّا بَلَغَ ﷺ الشَّوْطَ ، وَهُوَ بُسْتَانٌ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَأُحُدٍ ، انشَقَّ الْجَيْشُ
عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَرَجَعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَثَلَاثِمَةَ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ
أَطَاعَ الْعُلَمَانَ وَعَصَانِي ، فَعَلَامَ نَقَتُلُ أَنْفُسَنَا هَهُنَا ، فَجَعَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو
بَنَ حَرَامٍ يُحَاوِلُ أَنْ يَتْنِيَهُمْ عَنْ عَزْمِهِمْ هَذَا ، وَيُنَاشِدُهُمُ اللَّهَ أَلَّا يَسْقُوا عَصَا
الْجَمَاعَةِ ، وَأَنْ لَا يَخَذَلُوا قَوْمَهُمْ وَنَبِيَّهُمْ ، فِي حَضْرَةِ الْعَدُوِّ ، فَيَقُولُونَ لَهُ
مُتَهَكِّمِينَ بِهِ « لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَانَاكُمْ » .

وَقَدْ أَحْدَثَتْ هَذِهِ الْفِعْلَةُ الشَّنِيعَةَ ، خَلَخَلَةَ عَظِيمَةً فِي بِنَاءِ الْجَيْشِ ، فِي
هَذَا الْوَقْتِ الْحَرَجِ ، وَأَحْدَثَتْ زَلْزَلَةً شَدِيدَةً فِي نَفُوسِ الْمُسْلِمِينَ ، حَتَّى لَقَدْ
هَمَّتْ بَنُو حَارِثَةَ مِنَ الْخَزْرَجِ ، وَبَنُو سَلَمَةَ الْأَوْسِ ، أَنْ تَفْعَلَا كَمَا فَعَلَ
أَصْحَابُ ابْنِ أَبِي ، وَلَكِنْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ ، فَعَادُوا إِلَى صُفُوفِ الْجَمَاعَةِ ،
وَسَارُوا مَعَ الْجَيْشِ ، كَمَا يَسِيرُونَ .

وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أُحُدٍ ، وَهُوَ جَبَلٌ كَثِيرُ الْمَسَالِكِ ،
وَالشُّعَابِ ، تَقَطَّعُهُ عِدَّةٌ وَدِيَانٍ ، وَيَدُورُ دَوْرَةٌ وَاسِعَةٌ فِي مُوَاجَهَةِ السَّهْلِ الضَّيِّقِ

الذِي وَقَفَتْ عِنْدَهُ قُرَيْشٌ ، كَمَا أَنَّ تَعْرَجَاتِ الْأَرْضِ جَعَلَتْ فِي أَنْحَادِهِ
فَجَوَاتٍ ، تُشْبِهُ الْحُفْرَ ، تَصْلُحُ لِلْإِحْتِفَاءِ فِي الْحَرْبِ الدَّفَاعِيَّةِ ، لِقَذْفِ
النَّبَالِ .

فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي شَعْبٍ عَلَى عُذْوَةِ الْوَادِي ، إِلَى جَانِبِ تَلٍّ
مُشْرِفٍ ، يُقَالُ لَهُ جَبَلٌ عَيْنَيْنِ ، وَهُنَاكَ أَخَذَ ﷺ يَصِفُ أَصْحَابَهُ ، وَيُعِيثُهُمْ
لِلْقِتَالِ ، فَجَعَلَ ظُهُورَهُمْ إِلَى الْجَبَلِ بَحِثٌ يَحْتَمُونَ بِهِ مِنْ خَلْفِهِمْ وَجَعَلَ
وَجُوهَهُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ ، بَحِثٌ يَسْتَقْبِلُونَ الْوَادِي ، وَيُشْرِفُونَ عَلَيْهِ مِنْ
أَعْلَاهُ وَجَعَلَ خَمْسِينَ مِنَ الرَّمَاةِ عَلَى جَبَلِ عَيْنَيْنِ .

وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جُبَيْرٍ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَحْمُوا ظُهُورَ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَ
الْقِتَالِ ، وَأَنْ لَا يُمَكِّنُوا الْعَدُوَّ مِنْ اقْتِحَامِ هَذَا الْحِصْنِ ، وَأَنْ لَا يَبْرَحُوا مَكَانَهُمْ
هَذَا ، سِوَاءَ أَكَانَ التَّصَرُّ لِلْمُسْلِمِينَ أَمْ عَلَيْهِمْ .

ثُمَّ عَلَّمَهُمْ أَنْ يَنْضَحُوا الْخَيْلَ كُلَّمَا أَقْبَلَتْ نَحْوَهُمْ بِالنَّبْلِ ، وَأَكَّدَ الْوَصِيَّةَ
عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يُغَادِرُوا مَوَاضِعَهُمْ ، وَإِنْ رَأَوْا أَصْحَابَهُمْ تَخَطَّفُهُمُ الطَّيْرُ .

فَلَمَّا انْتَهَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ تَعْدِيلِ الصُّفُوفِ ، وَإِعْدَادِ
الْمَوَاضِعِ ، خَطَبَ فِي النَّاسِ يُحَرِّضُهُمْ عَلَى الْقِتَالِ ، وَيَحْتُهُمْ عَلَى الصَّبْرِ ،
وَأَمَرَهُمْ أَنْ لَا يَبْدُوا بِقِتَالٍ حَتَّى يُؤْذَنَ لَهُمْ ، وَبَيْنَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ مُشْتَغَلًا بِصَفِّ جُنُودِهِ ، ظَهَرَ الْقُرَشِيُّونَ فِي السَّهْلِ الْمُنْبَسِطِ ، تَحْتَ
التَّلِّ ، وَصَارَ الْجَيْشَانِ وَجْهًا لَوَجْهِ .

وَوَضَعَتْ نِسَاءُ قُرَيْشٍ ، يَمِشِينَ بَيْنَ الصُّفُوفِ ، وَيَضْرِبْنَ بِالذُّفُوفِ ،
وَيُشِدْنَ الْأَنَاشِيدَ ، تَحْرِيزًا عَلَى الْقِتَالِ ، وَإِثَارَةً لِلْحَمِيَّةِ بَيْنَ الرَّجَالِ .

اللَّهُمَّ نَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ النَّارِ وَعَافِنَا مِنْ دَارِ الْجَزْيِ وَالْبَوَارِ وَأَدْخِلْنَا
بِفَضْلِكَ الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَارِ وَعَامِلْنَا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ يَا كَرِيمُ يَا غَفَّارُ وَاعْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَصْلٌ »

فَلَمَّا التَقَى الْجَمْعَانِ ، بَدَأَ أَبُو سُفْيَانَ خُطَّةَ التَّخْذِيلِ ، بَيْنَ الْأَنْصَارِ
وَالْمُهَاجِرِينَ ، فَنَادَى يَا مَعْشَرَ الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ ، خَلُّوا بَيْنَ وَبَيْنَ عَمَّنَا ،
وَنَنْصِرْ عَنكُمْ ، فَذَهَبَ نِدَاؤُهُ صَرْخَةً فِي الْفَضَاءِ .

فَأَعْقَبَهُ أَبُو عَامِرٍ الْفَاسِقُ ، فَبَرَزَ بَيْنَ الصُّفُوفِ يُنَادِي قَوْمَهُ الْأَوْسَ ، يَا
لِلْأَوْسِ إِلَيَّ إِلَيَّ ، فَمَا كَانَ جَوَابَهُ مِنْهُمْ إِلَّا اللَّعْنُ وَالسَّبُّ وَالشَّتْمُ وَالرَّمْيُ
بِالْحِجَارَةِ وَالطَّرْدِ حَتَّى وَلَّى مُخْتَرِيًا خَجَلَانَ ، يَقُولُ لِقُرَيْشٍ لَقَدْ أَصَابَ قَوْمِي
بِعَدِي شَرٌّ .

وَأَخْفَقَتْ خُطَّةُ التَّخْذِيلِ ، كَمَا أَخْفَقَتْ خُطَّةُ الْمَفَاجَأَةِ ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْ
الْقِتَالِ مَقَرٌّ ، وَهَنَا حَاوَلَتْ قُرَيْشُ أَنْ تُطَوَّقَ الْمُسْلِمِينَ ، وَنَضْمٌ عَلَيْهِمْ
جَنَاحَيْهَا بِحَرَكَةِ التِّفَافِ سَرِيعَةً .

فَتَحَرَّكَ لِيَوَاءِ عِكْرَمَةَ مِنَ الْمَيْسَرَةِ ، يُرِيدُ أَنْ يَدُورَ حَوْلَ عَسْكَرِهِمْ فَلَمْ
يَسْتَطِعْ ذَلِكَ .

فَحَاوَلَ مِثْلَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ مِنَ الْمَيْمَنَةِ ، فَأَمْطَرَهُ الرَّمَاةُ وَابِلًا مِنَ
النَّبَالِ ، فَارْتَدَّتْ الْخَيْلُ عَلَى أَعْقَابِهَا مُسْرِعَةً .

فَعَادَ الْكُفَّارُ إِلَى أَمَاكِنِهِمْ كَمَا كَانُوا أَوَّلًا وَبَدَأَ الْقِتَالَ بِالْمُبَارَزَةِ . فَخَرَجَ
مِنْ صُفُوفِ الْمُشْرِكِينَ رَجُلٌ يَطْلُبُ الْمُبَارَزَةَ ، فَبَرَزَ لَهُ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ ،
فَقَتَلَهُ ، فَسُرَّ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَكَبَّرَ فَكَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ .

وَشَدُّوا عَلَى الْمُشْرِكِينَ ، وَهُمْ يَتَصَايَحُونَ صَيْحَةَ الْحَرْبِ ، « أَمِثْ
أَمِثْ » فَهَجَمَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَى حَامِلِ لِيَوَائِهِمْ طَلْحَةَ بْنَ أَبِي طَلْحَةَ
فَقَتَلَهُ ، فَكَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ ، وَسُرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِقَتَلِهِ ، فَإِنَّهُ هُوَ كَبِشُ الْكَتِيبَةِ .

وكان قزمان يُعرف بالشجاعة ، وقد تأخر ، فعيرته نساء بني ظفر ،
 فأتى رسول الله ﷺ ، وهو يسوي الصفوف حتى انتهى إلى الصف الأول ،
 فكان على ما قيل أول من رمى في صف المسلمين بسهم ، فجعل يرسل نبلاً
 كأنها الرماح ، ويكث كنيث الجمل ، ثم فعل بالسيف الأفاعيل حتى قتل
 سبعة .

وأصابته جراح فوق ، فناده قتاده بن النعمان : أبا الغيداق هنيئاً لك
 الشهادة ، فقال إنني والله ما قاتلت يا أبا عمرو على دين ، ما قاتلت إلا على
 الحفاظ ، أن تسير فرئس إلينا حتى تطأ سعفنا ، ثم تحامل على سيفه فقتل
 نفسه ، فذكر ذلك للنبي ﷺ ، فقال من أهل النار ، إن الله يؤيد هذا الدين
 بالرجل الفاجر .

ثم أخذ اللواء أخو طلحة عثمان ، فحمل عليه حمزة فقتله ، فأخذ
 اللواء أخوهما سعيد ، فرماه سعد بن أبي وقاص بسهم فقتله فتناوب اللواء
 بعده أربعة من أولاد طلحة ، وكلهم يقتلون واحداً بعد واحد ، فحمل اللواء
 غلام لهم يقال له سوء أب ، فقتل ، وسقط اللواء على الأرض ، فأخذ
 المشركون بذلك أخذاً شديداً وانكسرت شوكتهم ، وانفرجت صفوفهم ،
 فحمل المسلمون عليهم حملة صادقة ، وأمعنوا فيهم ضرباً بالسيف ،
 وطعنوا بالرماح ، ورمى بالسهم ، فانكشفوا وولوا الأدبار ، وجعلت نساؤهم
 تصيح وتولول ، وأخذن في الهرب والفرار ، من الأسر مشمرات ، عن
 أسياقهن ، وخلاخيلهن ، وتتبع المسلمون أعداءهم يضعون فيهم السلاح
 حيث شاؤوا ، حتى أبعدوا عن معسكرهم .

اللهم إن نواصينا بيديك ، وأمورنا ترجع إليك ، وأحوالنا لا تخفي

عَلَيْكَ ، وَالْأَمْنَا وَأَحْزَانُنَا وَهُمُومُنَا وَغُمُومُنَا كُلَّهَا مَعْلُومَةٌ لَدَيْكَ ، اللَّهُمَّ قَدْ عَجَزَتْ قُدْرَتُنَا ، وَقَلَّتْ حِيلَتُنَا ، وَضَعْفَتْ قُوَّتُنَا ، وَتَاهَتْ فِكْرَتُنَا ، وَاجْتَمَعَتْ عَلَيْنَا هُمُومُنَا وَأَوْصَابُنَا ، وَأَنْتَ مَلْجُؤُنَا ، وَمَلَاذُنَا ، وَمَوْلَانَا ، وَسَيِّدُنَا ، وَإِلَيْكَ نَرْفَعُ بَنَانَنَا وَحُزْنَنا ، وَشِكَايَتِنَا ، يَا مَنْ يَعْلَمُ سِرَّتَنَا وَعَلَانِيَتِنَا ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ تَوَكَّلَ عَلَيْكَ ، وَأَمَّنْ خَوْفَنَا إِذَا وَصَلْنَا إِلَيْكَ ، وَلَا تُخَيِّبْ رَجَاءَنَا إِذَا صِرْنَا بَيْنَ يَدَيْكَ ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ تَسُوْفُهُ الصَّرُورَاتُ إِلَيْكَ ، وَهَبْ لَنَا مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ ، وَجُدْ عَلَيْنَا بِأَحْسَنِكَ الْعَمِيمِ وَمَتَّعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ ، اللَّهُمَّ مَكَّنْ حُبَّكَ فِي قُلُوبِنَا وَالْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَقْنَا لَامْتِنَالِ طَاعَتِكَ وَأَمْرِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَصْلٌ »

ثُمَّ وَقَعُوا عَلَى الْغَنَائِمِ وَالْأَسْلَابِ يَجْمَعُونَهَا وَيَتَهَبُونَهَا وَهُمْ مُطْمَئِنُونَ إِلَى أَنْ ظَهَرَهُمْ لَا تَزَالُ مَحْمِيَةً بِرُمَاتِهِمْ ، أَمَا الرُّمَاءُ فَقَدْ خُيِّلَ لَهُمْ أَنْ الْمَعْرَكَةَ أَنْتَهَتْ ، وَأَنَّ الْهَزِيمَةَ قَدْ تَمَّتْ ، وَخَشَوْا أَنْ يَسْبِقَهُمْ إِخْوَانُهُمْ فِي جَمْعِ الْغَنَائِمِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ، مَا بَقَاؤُنَا هُنَا ، وَقَدْ هَزَمَ اللهُ الْعَدُوَّ ، هُوَ لَاءِ إِخْوَانِكُمْ يَغْنَمُونَ ، فَادْخُلُوا فَاغْنَمُوا مَعَ إِخْوَانِكُمْ ، فَذَكَرَهُمْ أَمِيرُهُمْ عَهْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَوَصِيَّتَهُ لَهُمْ : وَحَذَّرَهُمْ عَاقِبَةَ الْخِلَافِ وَالْعِصْيَانِ ، وَلَكِنْ لَمْ يَسْمَعُوا مِنْهُ ، وَظَنُّوا أَنْ لَيْسَ لِلْمُشْرِكِينَ رَجْعَةٌ ، فَذَهَبُوا فِي طَلَبِ الْغَنِيمَةِ ، وَأَخْلَوْا الثَّغَرَ ، وَتَرَكَوْا أَمِيرَهُمْ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ لَا يُجَاوِزُونَ الْعَشْرَةَ ، فَانْكَشَفَ بِذَلِكَ الْحِصْنِ الَّذِي كَانَ يَحْمِي ظُهُورَ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ يَتَقَهَّرُ وَعَيْنُهُ إِلَى التَّلِّ لَا تَفَارِقُهُ ، فَلَمَّا رَأَى الرُّمَاءَ يَتْرَكُونَ مَوَاقِفَهُمْ انْقَلَبَ رَاجِعًا فِي دَوْرَةٍ ، وَاسِعَةٍ مُتَّخِذًا مِنَ الْأَرَاضِي الْمَسْتَوْرَةِ دَرْبًا وَطَرِيقًا

لَهُ ، وَجَاءَ فِي أَعْقَابِهِ عِكْرَمَةٌ بِلَوَائِهِ ، فَتَسَلَّلُوا فَوْقَ الْجَبَلِ وَازَاخُوا الرِّمَاءَ
 الْبَاقِينَ مِنْ أَمَاكِبِهِمْ ، وَاقْتَحَمُوا خُطُوطَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْخَلْفِ ، وَجَعَلُوا
 يَتَنَادُونَ بِشِعَارِهِمْ ، يَا لِلْعُزَى ، يَا لِهَيْبَلُ ، فَأَقْبَلَ الْمُشْرِكُونَ بَعْدَ إِدْبَارِهِمْ ،
 وَأَخَذَتْ عَمْرَةَ بِنْتُ عَلْقَمَةَ الْحَارِثِيَّةُ اللَّوَاءَ فَرَفَعَتْهُ ، فَجَعَلُوا يُلُودُونَ بِهِ ،
 وَفُوجِيَاءُ الْمُسْلِمُونَ بِأَعْدَائِهِمْ قَدْ حَاصَرُوهُمْ وَأَوْجَعُوا فِيهِمْ قِتْلًا ذَرِيعًا ،
 فَاضْطَرَبَ أَمْرُهُمْ وَانْتَقَضَتْ صُفُوفُهُمْ ، وَجَعَلُوا يُقَاوِمُونَ عَلَى غَيْرِ نِظَامٍ ،
 وَيُقَاتِلُونَ عَلَى غَيْرِ شِعَارٍ ، وَتَرَكَوْا مَا انْتَهَبُوا وَخَلُّوا مِنْ أَسْرُوا ، وَتَفَرَّقُوا فِي كُلِّ
 وَجْهِ . وَهَذِهِ عَاقِبَةُ الْحَرْصِ عَلَى الدُّنْيَا وَالْعَجَلَةِ الْمُثْمَرَةَ لِلدَّمَامَةِ .

شعراً: وَمُسْتَعَجِلٍ وَالْمُكْتَأُ أَذْنُ لِرُشْدِهِ وَلَمْ يَدْرُ مَا يَلْقَاهُ حِينَ يُبَادِرُ
 وَنَظَرَ حُدَيْفَةَ إِلَى أَبِيهِ الْيَمَانِ وَالْمُسْلِمُونَ يُرِيدُونَ قَتْلَهُ وَهُمْ يَظُنُّونَهُ مِنَ
 الْمُشْرِكِينَ ، فَقَالَ أَيُّ عِبَادِ اللَّهِ أَبِي ، فَلَمْ يَفْهَمُوا قَوْلَهُ حَتَّى قَتَلُوهُ ، فَقَالَ يَغْفِرُ
 اللَّهُ لَكُمْ ، فَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَدِيَهُ ، فَقَالَ قَدْ تَصَدَّقْتُ بِدِيَتِهِ عَلَى
 الْمُسْلِمِينَ فَأَرَادَ ذَلِكَ حُدَيْفَةَ خَيْرًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ .

وَقَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ أَطْلُبُ سَعْدَ بْنَ الرَّبِيعِ
 فَقَالَ لِي إِنْ رَأَيْتَهُ فَأَقْرَأْهُ مِنِّي السَّلَامَ وَقُلْ لَهُ يَقُولُ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَيْفَ
 تَجِدُكَ قَالَ فَجَعَلْتُ أَطُوفُ بَيْنَ الْقَتْلَى فَآتَيْتُهُ وَهُوَ بِأَخْرِ رَمَقٍ وَفِيهِ سَبْعُونَ ضَرْبَةً
 مَا بَيْنَ طَعْنَةِ بَرْمُحٍ وَضَرْبَةِ بَسِيفٍ وَرَمِيَّةٍ بِسَهْمٍ .

فَقُلْتُ يَا سَعْدُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ
 وَيَقُولُ لَكَ أَخْبَرَنِي كَيْفَ تَجِدُكَ فَقَالَ وَعَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ السَّلَامُ قُلْ لَهُ يَا
 رَسُولَ اللَّهِ أَجِدُ رِيحَ الْجَنَّةِ وَقُلْ لِقَوْمِي الْأَنْصَارِ لَا عُذْرَ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ إِنْ
 خَلِصَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفِيكُمْ عَيْنٌ تَطْرُفُ وَفَاضَتْ نَفْسُهُ مِنْ وَقْتِهِ .

شعراً:

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا حَيْثُ يَقْضِي حَيَاتَهُ لِنُصْرَةِ دِينِ اللَّهِ لَا لِلتَّكَاثُرِ
 آخِر: وَمَا الْبَأْسُ إِلَّا فِي لِحْدَيْدِ مُرْكَبٍ وَمَا الْعِزُّ إِلَّا فِي التَّقَى وَالِدِيَانَةِ

وَمَرَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ بِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَهُوَ يَتَشَحَّطُ فِي دَمِهِ فَقَالَ يَا
فُلَانُ أَشَعَرْتَ أَنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ فَقَالَ الْإِنصَارِيُّ إِنَّ كَانَ مُحَمَّدٌ قَدْ قُتِلَ فَقَدْ بَلَغَ
فَقَاتِلُوا عَنْ دِينِكُمْ فَنَزَلَ (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ)
الآية .

وَأَكْرَمَ اللَّهُ بِالشَّهَادَةِ مَنْ أَكْرَمَ وَهُمْ سَبْعُونَ ، وَفِي وَسَطِ هَذِهِ الدَّهْشَةِ
الْبَالِغَةُ صَرَخَ إِبْلِيسُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ إِنَّ « مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ ، وَوَقَعَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِ
كَثِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَفَرَّ أَكْثَرُهُمْ ، وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا .

وَمَرَّ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ بِقَوْمٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ أَلْقَوْا بِأَيْدِيهِمْ ، فَقَالَ مَا
تَنْتَظِرُونَ ، فَقَالُوا قُتِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ فَمَا تَصْنَعُونَ بِالْحَيَاةِ بَعْدَهُ ،
فُؤُومًا مُؤْتُوا عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ .

وَخَلَصَ الْمُشْرِكُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَثَبَّتَ ﷺ فِي وَجْهِ الْعَدُوِّ ،
وَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا فَظَلَّ يَرْمِي بِالنَّبْلِ حَتَّى فَنِيَ نَبْلُهُ ، وَانْكَسَرَتْ سِيئُهُ
قَوْسِهِ ، وَانْقَطَعَ وَتَرُهُ ، ثُمَّ ظَلَّ يَرْمِيهِمْ بِالْحِجَارَةِ ، حَتَّى وَقَعَ لِشِقْهِ .

وَثَبَّتْ مَعَهُ نَفْرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، قِيلَ إِنَّهُمْ دُونَ الْعَشْرَةِ ، وَقِيلَ إِنَّهُمْ فَوْقَ
الْعَشْرَةِ ، فَبَايَعُوهُ عَلَى الْمَوْتِ ، وَأَحَاطُوا بِهِ ، يَصُدُّونَ عَنْهُ هَجَمَاتِ الْعَدُوِّ ،
الَّذِينَ أَحْدَقُوا بِهِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ .

وَشَدُّوا عَلَيْهِ ، يَرِيدُونَ أَنْ يَقْتُلُوهُ ، فَمَا زَالَ هُوَ لَاءِ النَّفْرِ يُدُونُ عَنْهُ ،
وَيُقَاتِلُونَ دُونَهُ ، وَيَتَلَقَّوْنَ ضَرْبَاتِ الْعَدُوِّ ، وَلَكِنَّ الْعَدُوَّ جَرَحَ وَجْهَهُ ﷺ ،
وَكَسَرَ رِبَاعِيَّتَهُ ، وَهَشَمُوا الْبَيْضَةَ عَلَى رَأْسِهِ ، وَرَمَوْهُ بِالْحِجَارَةِ ، حَتَّى وَقَعَ
وَسَقَطَ فِي حُفْرَةٍ مِنَ الْحُفْرِ الَّتِي كَانَ أَبُو عَامِرٍ الْفَاسِقُ يَكِيدُ بِهَا الْمُسْلِمِينَ ،

فَأَخَذَ عَلِيٌّ بِيَدِهِ ، وَاحْتَضَنَهُ طَلْحَةَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى أَدَاةَ
 ﷺ عَمْرُو بْنُ قَمِيَّةَ وَعُتْبَةَ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَقِيلَ إِنَّ الَّذِي شَجَّهُ عَبْدُ اللَّهِ
 بْنُ شِهَابِ الزُّهْرِيِّ عَمُّ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمِ بْنِ شِهَابِ الزُّهْرِيِّ ، وَقُتِلَ
 مُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَدَفَعَ اللُّوَاءَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ،
 وَنَشِبَتْ حَلْقَتَانِ مِنْ حِلْقِ الْمَغْفَرِ فِي وَجْهِهِ ، فَأَنْتَزَعَهُمَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ
 الْجِرَّاحِ ، وَعَضَّ عَلَيْهِمَا حَتَّى سَقَطَتْ ثَنِيَّتَاهُ مِنْ شِدَّةِ غَوْصِهِمَا فِي وَجْهِهِ
 ﷺ .

اللَّهُمَّ انظُرْنَا فِي سِلْكِ الْفَائِزِينَ بِرُضْوَانِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ
 الَّذِينَ أَعَدَدْتَ لَهُمْ فَسِيحَ جَنَّاتِكَ ، وَأَدْخَلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي دَارِ أَمَانِكَ ،
 وَعَافِنَا يَا مَوْلَانَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ جَمِيعِ الْبَلَايَا وَأَجْزَلِ لَنَا مِنْ مَوَاهِبِ
 فَضْلِكَ وَهَيَاتِكَ وَمَتَّعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ
 مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ
 الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى
 اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَضْلٌ »

وَقَدْ أَبْلَى النَّفْرَ الَّذِينَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الدِّفَاعِ عَنْهُ أَحْسَنَ الْبَلَاءِ ،
 وَامْتَارَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ فِي دِفَاعِهِ بِالصِّدْقِ وَالشَّجَاعَةِ ، فَقَدْ قَاتَلَ طَلْحَةَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
 عَنْهُ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَصَارَ يَدُودٌ عَنْهُ بِالسَّيْفِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ
 وَعَنْ شِمَالِهِ ، وَيَدُورُ حَوْلَهُ يُتْرَسُ بِنَفْسِهِ دُونَهُ ، وَالسَّيُوفُ تَغْشَاهُ ، وَالتَّبَلُّ
 يَأْتِيهِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ .
 شعرا :

كَفَانِي فخرًا أَنْ أَمُوتَ مُجَاهِدًا وَحُبُّ إلهي قَائِدِي مُنْذُ نَشَأْتِي

فَلَمْ يَزَلْ يَقِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِنَفْسِهِ حَتَّى أَجْهَضَهُمْ عَنْهُ ، فَاَنْكَشَفُوا عَنْهُ ، فَكَانَ أَكْثَرُ النَّاسِ غِنَاءً عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَجَعَلَ ﷺ يَقُولُ قَدْ أُوجِبَ طَلْحَةُ .

وَفِي مَغَازِي الْأَمْوِي أَنَّ الْمُشْرِكِينَ صَعِدُوا عَلَى الْجَبَلِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِسَعْدٍ ، اجْبِنَهُمْ - يَقُولُ أَرَدُّهُمْ - فَقَالَ كَيْفَ أَرَدُّهُمْ وَحَدِي ، قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثًا .

فَأَخَذَ سَعْدٌ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ فَرَمَى بِهَا رَجُلًا فَقَتَلَهُ ، قَالَ ثُمَّ أَخَذْتُ سَهْمِي أَعْرِفُهُ فَرَمَيْتُ بِهِ آخَرَ فَقَتَلْتُهُ ، ثُمَّ أَخَذْتُهُ أَعْرِفُهُ فَرَمَيْتُ بِهِ آخَرَ فَقَتَلْتُهُ ، فَهَبَطُوا مِنْ مَكَانِهِمْ ، فَقُلْتُ هَذَا سَهْمٌ مُبَارَكٌ فَجَعَلْتُهُ فِي كِنَانَتِي فَكَانَ عِنْدَ سَعْدٍ حَتَّى مَاتَ ، ثُمَّ كَانَ عِنْدَ بَنِيهِ .

وَقَاتَلَتِ الْمَلَائِكَةُ يَوْمَ أُحُدٍ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاسٍ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَمَعَهُ رَجُلَانِ يُقَاتِلَانِ عَنْهُ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بَيْضٌ كَأَشَدِّ الْقِتَالِ ، مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ .

وَقَالَ نَافِعُ بْنُ جُبَيْرٍ سَمِعْتُ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ يَقُولُ شَهِدْتُ أُحُدًا فَنَظَرْتُ إِلَى النَّبْلِ يَأْتِي مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَسَطَهَا كُلَّ ذَلِكَ يُصْرَفُ عَنْهُ .

وَرَمَى حِبَّانُ بْنُ الْعَرِيقَةِ بِسَهْمٍ فَأَصَابَ ذَيْلَ أُمِّ أَيْمَنَ - وَقَدْ حَاءَتْ تَسْقِي الْجَرْحَى - فَاَنْكَشَفَ عَنْهَا فَاسْتَعْرَقَ فِي الضُّحِكِ .

فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَدَفَعَ إِلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاسٍ سَهْمًا لَا نُصَلَ لَهُ فَقَالَ أَرْمِ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي نَحْرِ حِبَّانَ فَوَقَعَ مُسْتَلْقِيًا وَبَدَتْ عَوْرَتُهُ .

فَصَحَّحَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ. ثُمَّ قَالَ: اسْتَقَادَ لَهَا سَعْدٌ
أَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَكَ وَسَدَّدَ رَمِيَّتَكَ .

وَكَانَ شَمَّاسُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ الشَّرِيدِ الْمَخْزُومِيُّ لَا يَرْمِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
بَصْرَهُ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا إِلَّا رَأَاهُ فِي ذَلِكَ الْوَجْهِ بِسَيْفِهِ حَتَّى غَشِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
فَتَرَسَ بِنَفْسِهِ دُونَهُ حَتَّى قُتِلَ رَحِمَهُ اللَّهُ .

وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَامِيًا شَدِيدَ الرَّمِي فَتَنَرَ كِنَانَتَهُ بَيْنَ يَدَي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
وَصَارَ يَرْمِي عَنْهُ وَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كُلَّمَا مَرَّ بِهِ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ مَعَهُ كِنَانَةٌ
يَقُولُ لَهُ أَنْتَرَهَا لِأَبِي طَلْحَةَ .

وَكُلَّمَا رَمَى أَبُو طَلْحَةَ سَهْمًا نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ وَرَائِهِ لِيَرَى مَوْقِعَ
السَّهْمِ فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ يَا أَبِي أُمَّتِي لَا تَنْظُرْ يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ
سِهَامِ الْقَوْمِ نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ وَوَجْهِي لِيُوجِهُكَ فِدَاءً .

وَتَرَسَ أَبُو دُجَانَةَ بِنَفْسِهِ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَ النَّبْلُ يَقَعُ فِي ظَهْرِهِ
وَهُوَ مُنْحَنٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى كَثُرَ فِيهِ النَّبْلُ وَرَمَى سَعْدُ بْنُ أَبِي
وَقَاصٍ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُنَاوِلُهُ النَّبْلَ وَهُوَ يَقُولُ
« ازْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي » حَتَّى إِنَّهُ لَيُنَاوِلُهُ السَّهْمَ مَا لَهُ نَصْلٌ فَيَقُولُ لَهُ أَرْمِ
بِهِ فَيَرْمِي بِهِ .

وَدَافَعَتْ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُمُّ عِمَارَةَ وَهِيَ نُسَيْبَةُ بِنْتُ كَعْبِ الْمَازِنِيَّةِ
وَكَانَتْ تَسْقِي النَّاسَ يَوْمَ أُحُدٍ فَلَمَّا رَأَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أُحِيطَ بِهِ وَأَنْهَزَمَ عَنْهُ
النَّاسُ وَضَعَتْ سِقَاءَهَا وَأَخَذَتْ سَيْفًا فَجَعَلَتْ تُقَاتِلُ أَشَدَّ الْقِتَالِ وَإِنَّهَا لِحَاجِرَةٌ

تُوبَهَا عَلَى وَسَطِهَا حَتَّى جُرِحَتْ ثَلَاثَةَ عَشَرَ جُرْحًا وَظَلَّ عَلَى عَانِقِهَا مِنْ هَذِهِ
 الْجِرَاحِ جُرْحٌ أَجُوفٌ لَهُ غَوْرٌ أَصَابَهَا بِهِ ابْنُ قَمَيْتَةَ .
 وَقَدْ سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ يَوْمَئِذٍ « مَا التَفْتُ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا إِلَّا أَنَا
 أَرَاهَا تُدَافِعُ دُونِي » .

وَجَاءَ فِي رِوَايَةٍ خَرَجَتْ نُسَيْبَةُ يَوْمَ أُحُدٍ وَرَزَوَجَهَا زَيْدُ بْنُ عَاصِمٍ وَأَبْنَاهَا
 حَبِيبٌ وَعَبْدُ اللَّهِ وَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَارِكْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ فَقَالَتْ لَهُ
 نُسَيْبَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَدْعُ اللَّهَ أَنْ يُرَافِقَكَ فِي الْجَنَّةِ .
 فَقَالَ اللَّهُمَّ اجْعَلْهُمْ رُفَقَائِي فِي الْجَنَّةِ .

وَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَا أَبَالِي مَا أَصَابَنِي مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا فَهَذِهِ
 حَقًّا شَجَاعَةٌ مُدْهِشَةٌ لِامْرَأَةٍ وَقَدْ تَحَمَّلَتْ مَا أَصَابَهَا مِنَ الْجِرَاحِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 وَهُوَ مَا يَعْجَزُ عَنْ تَحْمُلِهِ الرِّجَالُ فَضْلًا عَنِ النِّسَاءِ (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ
 يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) .

اللهم اجعلنا من الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أسأوا استغفروا اللهم
 زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وأثرنا ولا تؤثر علينا وأرضنا
 وارض عنا واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين
 اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ نَسْأَلُكَ أَنْ تُوفِّقَنَا
 لِمَا فِيهِ صَلَاحُ دِينِنَا وَدُنْيَانَا وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا وَأَكْرِمْ مَثْوَانَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا
 وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
 وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَضْلٌ »

وَكَانَ الْحُبَابُ بْنُ الْمُنْدِرِ يَحُوشُ الْمُشْرِكِينَ كَمَا تُحَاشُ الْغَنَمُ وَاشْتَمَلُوا
 عَلَيْهِ مَرَّةً حَتَّى قِيلَ قَدْ قُتِلَ .

ثُمَّ بَرَزَ وَالسَّيْفُ فِي يَدِهِ ، وَقَدْ افْتَرَقُوا عَنْهُ ، وَجَعَلَ يَحْمِلُ عَلَى فِرْقَةٍ مِنْهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَهْرَبُونَ .

وَقَامَ زِيَادُ بْنُ السَّكَنِ فِي نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَاتَلُوا دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا ثُمَّ رَجَلًا وَهُمْ يُقْتَلُونَ دُونَهُ حَتَّى كَانَ آخِرُهُمْ زِيَادُ فَقَاتَلَ حَتَّى أَثْبَتَهُ الْجِرَاحُ فَوَسَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رِجْلَهُ حَتَّى مَاتَ .

وَمَاتَ مِصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَتَلَقَى عَنْهُ ضَرْبَةً قَدْ سُدَّتْ إِلَيْهِ قَتْلُهُ ابْنُ قَمِيَّةَ وَهُوَ يَحْسِبُهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَذَهَبَ يُدِيعُ بَيْنَ الْكُفَّارِ .

وَقَدْ مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَلْقٌ كَثِيرٌ كُلُّهُمْ يُفْدِيهِ بِنَفْسِهِ وَيَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعَدُوِّ حَتَّى يُضْرَعَ .

وَرَوَى الْوَاقِدِيُّ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ لَقَدْ أُصِيبَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ نَحْوُ مِنْ ثَلَاثِينَ كُلُّهُمْ يَجِيءُ حَتَّى يَتَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ يَقُولُ وَجْهِي لَوَجْهِكَ الْفِدَاءَ وَنَفْسِي لِنَفْسِكَ الْفِدَاءَ وَعَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ غَيْرَ مُودَّعٍ .

ثُمَّ عَرَفَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَا يَزَالُ حَيًّا فَأَحَاطُوا بِهِ حَتَّى كَشَفُوا عَنْهُ الْعَدُوَّ .

وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ عَرَفَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ عَرَفْتُ عَيْنِيهِ تَزْهُرَانِ مِنْ تَحْتِ الْمِغْفَرِ فَنَادَيْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ أَبْشِرُوا هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَشَارَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَنْصِتَ .

وَفَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَنَهَضُوا بِهِ إِلَى الشَّعْبِ فَأَحْتَمَى بِهِ مَن كَانَ يَحْتَمِي هُنَاكَ مِنْ أَصْحَابِهِ .

وَنَهَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى صَخْرَةٍ مِنَ الْجَبَلِ لِيَعْلُوهَا فَلَمْ يَقْدِرْ لِكَثْرَةِ
التَّزْيِيفِ الَّذِي خَرَجَ مِنَ الْجِرَاحِ فَجَلَسَ تَحْتَهُ طَلْحَةَ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ فَنَهَضَ بِهِ
حَتَّى اسْتَوَى عَلَيْهَا .

وَحَانَتْ الصَّلَاةُ فَصَلَّى بِهِمْ جَالِسًا وَصَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَلِكَ الْيَوْمِ
تَحْتَ لِيَوَاءِ الْأَنْصَارِ وَشَدَّ حَنْظَلَةَ الْغَسِيلُ - وَهُوَ حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ - عَلَيَّ أَبِي
سُفْيَانَ فَلَمَّا تَمَكَّنَ مِنْهُ حَمَلَ عَلَيَّ حَنْظَلَةَ شَدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ فَقَتَلَهُ وَكَانَ جُنُبًا فَآنَهُ
سَمِعَ الصَّيْحَةَ وَهُوَ عَلَيَّ امْرَأَتِهِ فَقَامَ مِنْ فُورِهِ إِلَى الْجِهَادِ فَأَخْبَرَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصْحَابَهُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تُغَسِّلُهُ ثُمَّ قَالَ « سَلُوا أَهْلَهُ مَا شَأْنُهُ فَسَأَلُوا
امْرَأَتَهُ فَأَخْبَرَتْهُمْ الْخَبَرَ . وَعِنْدَمَا امْتَدُّوا صُعُودًا فِي الْجَبَلِ أَدْرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
أَبِيَّ بْنَ خَلْفٍ عَلَيَّ جَوَادٍ لَهُ اسْمُهُ الْعَوْدُ كَانَ يُطْعِمُهُ فِي مَكَّةَ وَيَقُولُ أَقْتُلْ عَلَيَّ
مُحَمَّدًا ، فَلَمَّا سَمِعَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ بَلْ أَنَا أَقْتُلُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَلَمَّا
أَدْرَكَهُ تَنَاوَلَ ﷺ ؛ الْحَرْبَةَ مِنَ الْحَارِثِ ، وَطَعَنَ بِهَا عَدُوَّ اللَّهِ فِي تَرْفُوتِهِ فَكَّرَ
عَدُوَّ اللَّهِ مُنْهَزِمًا ، فَقَالَ لَهُ الْمُشْرِكُونَ وَاللَّهِ مَا بَكَ مِنْ بَأْسٍ ، فَقَالَ وَاللَّهِ لَوْ كَانَ
مَا بِي بِأَهْلِ الْمَجَازِ لَمَاتُوا أَجْمَعِينَ ، وَمَاتَ فِي طَرِيقِهِ بِسَرِفٍ مَرْجِعَهُ إِلَى
مَكَّةَ .

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَائِيٍّ لِأَسِيرٍ بِيَطْنِ رَابِعٍ بَعْدَ هُويٍ مِنَ اللَّيْلِ إِذَا نَارٌ تَأَجَّجُ
لِي فَيَمَّمْتُهَا فَإِذَا رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنْهَا فِي سِلْسِلَةٍ يَجْتَذِبُهَا يَصِيحُ الْعَطَشُ الْعَطَشُ ،
وَإِذَا رَجُلٌ يَقُولُ لَا تَسْقِهِ هَذَا قَتِيلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَذَا أَبِيُّ بْنُ خَلْفٍ .

وظنُّ المشركون أنَّهم قد انتقموا ليوم بدرٍ وشفوا نفوسهم وأخذتِ
المعركة بعد ذلك تهادأ حدثها وتخمَّد حرارتها ، فأنحاز المشركون إلى
معسكرهم ، وشغلوا بدفن قتلاهم ، وأخذت نساؤهم يُمئذن بالقتلى من
المسلمين ، ومثلت هند بنت عتبة بحمزة رضي الله عنه أفضع تمثيل حتى

بَقَرَتْ بَطْنَهُ وَأَخْرَجَتْ كَبِدَهُ وَلَا كَتَبَهَا فَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى أَنْ تُسَيِّغَهَا وَلَفَطَتْهَا .
وَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ الْمَعْرَكَةِ تَأَثَّرَ تَأَثُّراً شَدِيداً وَقَالَ ﷺ لَنْ
أَصَابَ بِمِثْلِكَ أَبَداً وَمَا وَقَفْتُ قَطُ مَوْقِفاً أُغِيظُ مِنْ هَذَا .
ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « أَكَلْتُ شَيْئاً » قَالُوا : لَا . قَالَ « مَا كَانَ اللَّهُ
لِيُدْخِلَ شَيْئاً مِنْ حَمْزَةٍ فِي النَّارِ » .

وَقَالَ ﷺ لَوْحِشِي الَّذِي قَتَلَ حَمْزَةَ هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُغَيِّبَ وَجْهَكَ عَنِّي
قَالَ وَحِشِي فَخَرَجْتُ فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَخَرَجَ مُسَيِّمَةَ الْكَذَابِ قُلْتُ
لَأُخْرِجَنَّ إِلَيْهِ لَعَلِّي أَقْتُلُهُ فَأُكَافِيهِ بِهِ حَمْزَةَ قَالَ فَخَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ ثُمَّ رَمَيْتُهُ
بِحَرْبَتِي فَأَضَعَهَا بَيْنَ ثَدْيَيْهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ قَالَ وَوُثِبَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ
الْأَنْصَارِ فَضْرَبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى هَامَتِهِ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ فَبَلَّغَنِي أَنَّ وَحِشِيًّا لَمْ يَزَلْ يُحَدِّثُ فِي الْخَمْرِ حَتَّى خُلِعَ مِنَ
الدُّيُونِ .

فَكَانَ عُمَرُو بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ لِيَدَعَ قَاتِلَ
حَمْزَةَ .

وَرَوَى الدَّارُ قُطَيْبِيُّ بِإِسْنَادٍ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ
قَالَ كُنْتُ أَعْجَبُ لِقَاتِلِ حَمْزَةَ كَيْفَ يَنْجُو حَتَّى إِنَّهُ مَاتَ غَرِيقاً فِي الْخَمْرِ .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشِ بْنِ حُزَيْمَةَ الْأَسَدِيِّ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَؤُلَاءِ
الْقَوْمَ قَدْ نَزَلُوا حَيْثُ تَرَى ، وَقَدْ سَأَلْتُ اللَّهَ فَقُلْتُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أُقَسِّمُ عَلَيْكَ أَنْ
نَلْقَى الْعَدُوَّ غَدًا ، فَيَقْتُلُونَنِي ، وَيَبْقُرُونَنِي ، وَيَمْتَلُونَ بِي ، فَالْقَاكَ مَقْتُولًا قَدْ
صَنِعَ هَذَا بِي ، فَتَقُولُ فِيمَ صَنِعَ هَذَا بِكَ ، فَأَقُولُ فِيمَكَ ، وَأَنَا أَسْأَلُكَ أُخْرَى ، أَنْ

تَلِيَّ تَرِكْتِي مِنْ بَعْدِي ، فَقَالَ نَعَمْ فَخَرَجَ حَتَّى قُتِلَ ، وَمُثَّلَ بِهِ وَدُفِنَ هُوَ وَحَمْزَةٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَبْرِ وَاحِدٍ .

وَوَلِيَّ تَرَكْتَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاشْتَرَى لِابْنِهِ مَالًا بِخَيْرٍ ، فَأَقْبَلَتْ أُخْتُهُ حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَا حَمْنَةُ احْتَسِبِي ، قَالَتْ مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ خَالِكَ حَمْزَةَ ، قَالَتْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَرَحِمَهُ هُنَيْئًا لَهُ الشَّهَادَةُ .

ثُمَّ قَالَ لَهَا احْتَسِبِي قَالَتْ مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ ، قَالَتْ وَاحْزَنَاهُ ، وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهَا قَالَتْ وَاعْقَرَاهُ ، فَقَالَ ﷺ إِنَّ لِلزَّوْجِ مِنَ الْمَرْأَةِ مَكَانًا مَا هُوَ لِأَحَدٍ .

ثُمَّ قَالَ لَهَا لِمَ قُلْتِ هَذَا قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرْتُ يُتَمَّ بِنِيهِ فَرَاعَنِي ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِوَلَدِهِ أَنْ يُحْسِنَ عَلَيْهِمُ الْخَلْفَ ، فَتَزَوَّجَتْ طَلْحَةَ ، فَوَلَدَتْ لَهُ مُحَمَّدَ بْنَ طَلْحَةَ ، فَكَانَ أَوْصَلَ النَّاسِ لِوَلَدِهَا ، وَكَانَتْ حَمْنَةُ خَرَجَتْ يَوْمَئِذٍ إِلَى أَحَدٍ مَعَ النِّسَاءِ يَسْقِينَ الْمَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا
شعرا :

تَبَارَكَ مَنْ عَمَّ الْوَرَى بِنَوَالِهِ
وَأَوْسَعَهُمْ فَضْلًا بِإِسْبَاحِ نِعْمَةٍ
وَقَدَّرَ أَرْزَاقًا لَهُمْ وَمَعَايِشًا
وَدَبَّرَهُمْ فِي كُلِّ طَوْرٍ وَنَشَاءٍ
أَحَاطَ بِهِمْ عِلْمًا وَأَحْصَى عَدِيدَهُمْ
وَصَرَّفَهُمْ عَنِ حِكْمَةٍ وَالْمَشِيئَةِ

وَوَلِلَّهِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَمِنْهُمْ
 بِكُلِّ زَمَانٍ كَمُؤْمِنِينَ وَمُخْبِتٍ
 وَكَمُؤْمِنِينَ سَالِكٍ كَمُؤْمِنِينَ مُتَعَبِّدٍ
 وَكَمُؤْمِنِينَ مُخْلِصٍ فِي غَيْبِهِ وَالشَّهَادَةِ
 وَكَمُؤْمِنِينَ صَابِرٍ كَمُؤْمِنِينَ صَادِقٍ مُتَّبِعِلٍ
 إِلَى اللَّهِ عَنِ الْقَصْدِ صَحِيحٍ وَنِيَّةٍ
 وَكَمُؤْمِنِينَ قَانِتٍ أَوَّابٍ فِي عَسَقِ الدُّجَى
 مِنَ الْخَوْفِ مَحْشُورِ الْفُؤَادِ وَمُهْجَةِ
 يُنَاجِي بآيَاتِ الْقُرْآنِ إِلَهَهُ
 بِصَوْتِ حَزِينٍ مَعَ بُكَاءٍ وَخَشْيَةٍ
 وَكَمُؤْمِنِينَ ضَامِرِ الْأَحْشَاءِ يَطْوِي نَهَارَهُ
 بِحَرِّ هَجِيرٍ مَا تَهَنَّا بِشَرْبَةٍ
 وَكَمُؤْمِنِينَ مُقْبِلٍ فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ
 عَلَى طَاعَةِ الْمَوْلَى بِجِدٍّ وَهَمَّةٍ
 وَكَمُؤْمِنِينَ زَاهِدٍ فِي هَذِهِ الدَّارِ مُعْرِضٍ
 وَمُقْتَصِرٍ مِنْهَا عَلَى حَدِّ بُلْغَةٍ
 تَزَيَّنَتْ الدُّنْيَا لَهُ وَتَزَخَّرَتْ
 فَعَضَّ وَلَمْ يَغْتَرَّ مِنْهَا بِزِينَتِهِ
 وَكَمُؤْمِنِينَ عَالِمٍ بِالشَّرْعِ لِلَّهِ عَامِلٍ
 بِمُوجِبِهِ فِي حَالِ عُسْرٍ وَيُسْرَةٍ
 وَكَمُؤْمِنِينَ آمِرٍ بِالرُّشْدِ نَاهٍ عَنِ الرَّدَى
 سَرِيعٍ إِلَى الْخَيْرَاتِ مِنْ غَيْرِ قَتْرَةٍ

فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَعِيداً مُوَفَّقاً
وَتُحَظِّي بِفَوْزٍ عِنْدَ نَشْرِ الصَّحِيفَةِ
فَحَافِظْ عَلَى الْمَفْرُوضِ مِنْ كُلِّ طَاعَةٍ
وَأَكْثِرْ مِنَ النَّقْلِ الْمُفِيدِ لِقُرْبَةِ
بِكُنْتُ لَهُ سَمْعاً إِلَى آخِرِ النَّبَا
عَنِ اللَّهِ فِي نَصِّ الرَّسُولِ الْمُثَبِّتِ
وَكُنْ فِي طَعَامٍ وَالْمَنَامِ وَخِلْطَةٍ
وَنُطْقِي عَلَى حَدِّ اقْتِصَارٍ وَقِلَّةِ
وَجَالِسِ كِتَابِ اللَّهِ وَاحْلُلْ بِسَوْجِهِ
وَدُمَّ ذَاكِراً فَالذِّكْرُ نُورُ السَّرِيرَةِ
عَلَيْكَ بِهِ فِي كُلِّ حِينٍ وَحَالَةٍ
وَبِالْفِكْرِ إِنَّ الْفِكْرَ كُحْلُ الْبَصِيرَةِ
وَكُنْ أَبَداً فِي رَغْبَةٍ وَتَضَرُّعٍ
إِلَى اللَّهِ عَنِ صِدْقِ افْتِقَارٍ وَفَاقَةٍ
وَوَصْفِ اضْطِرَارٍ وَأَنْكِسَارٍ وَذِلَّةِ
وَقَلْبِ طَفُوحٍ بِالظُّنُونِ الْجَمِيلَةِ
وَبَعْدُ فَإِنَّ الْحَقَّ أَفْضَلُ مَسَلِكِ
سَلَكْتَ وَتَقَوَى اللَّهُ خَيْرُ بِضَاعَةٍ
وَمَنْ ضَيَّعَ التَّقْوَى وَأَهْمَلَ أَمْرَهَا
تَغَشَّتْهُ فِي الْعُقْبَى فُنُونُ النَّدَامَةِ

وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا قُصَارَى مُرَادِهِ
 فَقَدْ بَاءَ بِالْخُسْرَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ شُغْلُهُ
 عَلَى كُلِّ حَالٍ لَا يَفُوزُ بِبُغْيَةِ
 وَمَنْ أَكْثَرَ الْعِضْيَانِ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ
 فَذَلِكَ طَرِيحٌ فِي فَيَافِي الْغَوَايَةِ
 بَعِيدٌ مِنَ الْخَيْرَاتِ حَلٌّ بِهِ الْبَلَاءُ
 وَوَجْهَهُ الْخُذْلَانُ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ
 عَجِبْتُ لِمَنْ يُوصِي سِوَاهُ وَإِنَّهُ
 لِأَجْدَرُ مِنْهُ بِاتِّبَاعِ الْوَصِيَّةِ
 يَقُولُ بِلَا فِعْلٍ وَيَعْلَمُ عَامِلًا
 عَلَى ضِدِّ عِلْمٍ يَا لَهَا مِنْ خَسَارَةٍ
 عُلُومٌ كَأَمْثَالِ الْجِبَالِ تَلَاطَمَتْ
 وَأَعْمَالُهُ فِي جَنْبِهَا مِثْلُ قَطْرَةٍ
 وَقَدْ أَنْفَقَ الْأَيَّامَ فِي غَيْرِ طَائِلٍ
 كَمِثْلِ اللَّيَالِي إِذْ تَقَضَّتْ وَوَلَّتِ
 عَلَى السُّوفِ وَالتُّسُويفِ شَرُّ مُصَاحِبٍ
 وَقَوْلِ عَسَى عَنْ فِتْرَةٍ وَبَطَالَةٍ
 تَنْكَبُ عَجْزاً عَنْ طَرِيقِ عَزِيمَةٍ
 وَمَالَ لِتَأْوِيلِ ضَعِيفٍ وَرُخْصَةٍ

يَهُمُّ بِإِلَّا جِدًّا وَلَيْسَ بِنَاهِضِي
عَلَى قَدَمِ التَّشْمِيرِ مِنْ فَرَطِ غَفْلَةٍ
وَقَدْ سَارَ أَهْلُ الْعَزْمِ وَهُوَ مُخَلَّفٌ
وَقَدْ ظَفَرُوا بِالْقُرْبِ مِنْ خَيْرِ حَضْرَةٍ
وَقَدْ أَدْرَكُوا الْمَطْلُوبَ وَهُوَ مُقَيَّدٌ
بِقَيْدِ الْأَمَانِيِّ وَالْحُظُوظِ الْخَسِيسَةِ
وَلَمْ يَتَّهَزْ مِنْ فَائِتِ الْعُمُرِ فُرْصَةً
وَلَمْ يَغْتَنِمِ حَالِي فَرَاحٍ وَصِحَّةٍ
وَلَمْ يَخْشَى أَنْ يَفْجَأَهُ مَوْتُ مُجَهَّزٌ
فَإِنَّ مَجِيءَ الْمَوْتِ غَيْرُ مُؤَقَّتِ
وَلَمْ يَتَأَهَّبْ لِلرُّجُوعِ لِرَبِّهِ
وَلَمْ يَتَزَوَّدْ لِلطَّرِيقِ الْبَعِيدَةِ
وَبَيْنَ يَدَيْهِ الْمَوْتُ وَالْقَبْرُ وَالْبَلَى
وَبَعَثُ وَمِيزَانُ وَأَخَذُ الصَّحِيفَةِ
وَجَسْرٌ عَلَى مَتْنِ الْجَحِيمِ وَمَوْقِفٌ
طَوِيلٌ وَأَحْوَالُ الْحِسَابِ الْمَهُولَةِ
وَلَكِنَّهُ يَرْجُو الَّذِي عَمَّ جُودُهُ
وَإِحْسَانُهُ وَالْفَضْلُ كُلُّ الْخَلِيقَةِ
إِلَهُ رَحِيمٌ مُحْسِنٌ مُتَجَاوِزٌ
إِلَيْهِ رُجُوعِي فِي رَحَائِي وَشِدَّتِي

غِيَاثِي إِذَا ضَاقَتْ عَلَيَّ مَذَاهِبِي
وَمِنْهُ أَرْجِي كَشْفَ ضَرْيٍ وَمِخْنَتِي

فَيَا رَبُّ نَبِّتْنَا عَلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى
وَيَا رَبَّنَا اقْبِضْنَا عَلَى خَيْرِ مِلَّةٍ

وَعُمَّ أَصُولًا وَالْفُرُوعَ بِرَحْمَةٍ
وَأَهْلًا وَأَصْحَابًا وَكُلَّ قَرَابَةٍ

وَسَائِرِ أَهْلِ الدِّينِ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ
أَقَامَ لَكَ التَّوْحِيدَ مِنْ غَيْرِ رِيَّةٍ
وَصَلَّى وَسَلَّمَ دَائِمَ الدَّهْرِ سَرْمَدًا

عَلَى خَيْرِ مَبْعُوثٍ إِلَى خَيْرِ أُمَّةٍ
اللَّهُمَّ يَا مَنْ عَمَّ الْعِبَادَ فَضْلُهُ وَنَعَمَاؤُهُ وَوَسِعَ الْبَرِيَّةَ جُودُهُ وَعَطَاؤُهُ
نَسْأَلُكَ أَنْ تُوَفِّقَنَا لِامْتِنَالِ أَمْرِكَ وَاجْتِنَابِ نَهْيِكَ وَأَنْ تُلْهَمَنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأَنْ
تَرْزُقَنَا حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ الْعَمَلِ الَّذِي يُقَرِّبُنَا إِلَى حُبِّكَ وَاغْفِرْ لَنَا
اللَّهُمَّ وَنُورِ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَنَبِّتْهَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقْنَا بِعِبَادِكَ
الصَّالِحِينَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

وَبَعْدَ ذَلِكَ مَشَى أَبُو سُفْيَانَ يَتَفَقَّدُ الْقَتْلَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَيَتَعَرَّفُ
وُجُوهُهُمْ ، فَلَمَّا وَجَدَ حَمْرَةَ صَرِيحًا بَيْنَهُمْ ، جَعَلَ يَضْرِبُ فِي شِدْقِهِ بِكَعْبِ
الرَّمْحِ ، وَيَقُولُ ذُقْ عَقْقُ ، فَرَأَهُ الْحَلِيسُ سَيِّدَ الْأَحَابِيشِ ، فَاذْكُرْ عَلَيْهِ أَنْ
يَفْعَلَ ذَلِكَ بِابْنِ عَمِّهِ ، وَهُوَ مَيِّتٌ ، فَاسْتَحْيَا أَبُو سُفْيَانَ مِنْ هَذِهِ الزَّلَّةِ ، وَطَلَبَ
إِلَيْهِ أَنْ يَكْتُمَهَا عَلَيْهِ ، وَلَا يُذِيعُهَا فِي النَّاسِ ، لِأَنَّهَا سَخَافَةٌ وَسَمَاجَةٌ وَقَضَا

عَاجِزٍ وَكَانَ هَمُّ أَبِي سُفْيَانَ أَنْ يَحْدَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْقِتْلَى ، فَلَمَّا لَمْ يَجِدْهُ بَيْنَهُمْ ، أَخَذَ الشُّكَّ يُخَامِرُهُ فِي أَنَّهُمْ قَتَلُوهُ ، فَذَهَبَ إِلَى نَاحِيَةِ الشَّعْبِ الَّذِي اعْتَصَمَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ وَأَصْحَابُهُ ، وَجَعَلَ يُنَادِي ، أَفِيكُمْ مُحَمَّدٌ ، أَفِيكُمْ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ ، أَفِيكُمْ ابْنُ الْخَطَّابِ ، فَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُجِيبُوهُ ، فَلَمَّا لَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ ، أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، فَقَالَ لَهُمْ أَمَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ كُفَيْتُمُوهُمْ ، فَمَا مَلَكَ عَمْرُؤَ نَفْسَهُ أَنْ قَالَ كَذَبْتَ وَاللَّهِ يَا عَدُوَّ اللَّهِ ، قَدْ أَبْقَى اللَّهُ لَكَ مَا يَسُوءُكَ ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ ، وَكَأَنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَعْتَذِرَ مِمَّا فَعَلْتَ نِسَاءً قُرَيْشٍ بِقِتْلَى الْمُسْلِمِينَ : إِنَّكُمْ سَتَجِدُونِ فِي الْقَوْمِ مِثْلَهُ لَمْ أَمْرُهَا وَلَمْ تَسْؤُنِي ، ثُمَّ جَعَلَ يَرْتَجِزُ قَائِلًا نِعَمْتَ فِعَالٌ ، إِنَّ الْحَرْبَ سِجَالٌ ، أَعْلَى هَبْلٌ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « قُولُوا لَهُ اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلٌ » قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : لَنَا الْعُزَى وَلَا عُزَى لَكُمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « قُولُوا لَهُ ؛ اللَّهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ » فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : يَوْمَ بِيَوْمِ بَدْرٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُولُوا لَهُ لَا سِوَاءَ قِتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقِتْلَاكُمْ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يُدْفَنَ الْقِتْلَى حَيْثُ صُرِعُوا ، وَقَالَ لِفُؤُومِهِمْ فِي ثِيَابِهِمْ ، وَدِمَائِهِمْ ، وَجِرَاحِهِمْ . . . وَانظُرُوا أَيُّهُمْ أَكْثَرَ أَخَذًا لِلْقُرْآنِ ، فَإِذَا أَشَارُوا إِلَى رَجُلٍ قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ .

وَكَانَ يُدْفَنُ الْإِثْنَيْنِ ، وَالثَّلَاثَةَ فِي الْقَبْرِ الْوَاحِدِ ، لِمَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ يَوْمَئِذٍ مِنَ الْإِعْيَاءِ وَالضَّعْفِ ، وَالْجِرَاحِ ، فَيَعْجِزُونَ أَنْ يَحْفِرُوا لِكُلِّ وَاحِدٍ قَبْرًا ، وَدُفِنَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ حَرَامٍ وَعَمْرُؤُ ابْنُ الْجَمُوحِ فِي قَبْرِ وَاحِدٍ ، لِمَا كَانَ بَيْنَهُمَا مِنَ الْمَحَبَّةِ فَقَالَ اذْفُنُوا هَذَيْنِ الْمُتَحَابِّينِ فِي الدُّنْيَا فِي قَبْرِ وَاحِدٍ ، ثُمَّ حَفِرَ عَنْهُمَا بَعْدَ زَمَنِ طَوِيلٍ وَبَدَأَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَرَامٍ عَلَى جِرَاحَتِهِ كَمَا

وَضَعَهَا حِينَ جُرِحَ ، فَأَمِيطَتْ يَدُهُ عَنِ جِرَاحَتِهِ ، فَاثْبَعَتْ الدَّمُ فَرُدَّتْ إِلَى مَكَانِهَا ، فَسَكَنَ الدَّمُ ، وَمَا تَغَيَّرَ مِنْ حَالِهِ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ قِيلَ لَهُ أَفَرَأَيْتَ أَكْفَانَهُ فَقَالَ إِنَّمَا دُفِنَ فِي نَمْرَةٍ حُمَّرَ بِهَا وَجْهَهُ وَعَلَى رِجْلَيْهِ الْحَرْمَلُ فَوُجِدَتِ النَّمْرَةُ كَمَا هِيَ وَعَلَى رِجْلَيْهِ الْحَرْمَلُ عَلَى هَيْأَتِهِ وَبَيْنَ ذَلِكَ سِتَّةٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً .

وَلَمَّا فَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ دَفْنِ أَصْحَابِهِ رَكِبَ فَرَسَهُ وَتَوَجَّهَ نَحْوَ الْمَدِينَةِ ، وَالْمُسْلِمُونَ مِنْ حَوْلِهِ ، أَكْثَرُهُمْ جَرَحَى ، يَتَحَامَلُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، مِمَّا بِهِمْ مِنْ شِدَّةِ الْجُهْدِ ، وَيَتَلَاوَمُونَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ خِلَافِ لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَيَرْجُونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ هَذِهِ الزَّلَّةَ وَيَتَجَاوَزَ لَهُمْ عَنْهَا .
وَلَمَّا وَصَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَجَدَ النِّسَاءَ عِنْدَ بَابِهَا يَبْكِينَ قَتْلَهُنَّ ، فَلَمَّا رَأَيْتَهُ مُقْبِلًا نَسِينَ مَا هُنَّ فِيهِ مِنَ الْحُزْنِ ، وَأَسْرَعْنَ إِلَيْهِ ، يَنْظُرْنَ إِلَى سَلَامَتِهِ ، فَلَمَّا رَأَيْتَهُ فِي سَلَامَةٍ ، هَانَتْ عَلَيْهِنَّ الْمُصِيبَةُ .

وَجَاءَتْ أُمُّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ تَعْدُو نَحْوَهُ ، وَتَتَأَمَّلُهُ حَتَّى إِذَا اطْمَأَنَّتْ عَلَى سَلَامَتِهِ ، قَالَتْ أَمَا إِذَا رَأَيْتِكَ سَالِمًا فَقَدْ أَشَوَّتِ الْمُصِيبَةُ فَعَزَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِابْنِهَا عَمْرٍو بْنِ مُعَاذٍ ، ثُمَّ قَالَ لَهَا يَا أُمَّ سَعْدِ ، أَبْشِرِي ، وَبَشِّرِي أَهْلِيهِمْ أَنَّ قَتْلَهُمْ تَرَافَقُوا فِي الْجَنَّةِ جَمِيعًا ، قَالَتْ رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ ، وَمَنْ يَبْكِي عَلَيْهِمْ بَعْدَ هَذَا .

ثُمَّ قَالَتْ أَدْعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَنْ خَلَفُوا ، قَالَ اللَّهُمَّ أَذِيبْ حُزْنَ قُلُوبِهِمْ ، وَاجْبُرْ مُصِيبَتَهُمْ ، وَأَحْسِنِ الْخَلْفَ عَلَى مَنْ خَلَفُوا ثُمَّ عَزَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ ، مِنَ الْجَرَحَى أَنْ يَرْكَنُوا إِلَى بُيُوتِهِمْ ، وَلْيُداوُوا جِرَاحَهُمْ ، فَتَخَلَّفَ عَنْهُمْ كُلُّ مَجْرُوحٍ ، وَبَاتُوا يُوقِدُونَ النَّارَ ، وَيُكَمِّدُونَ بِهَا الْجِرَاحَ .

وَمَضَى ﷺ ، حَتَّى جَاءَ بَيْتَهُ ، فَمَا نَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ إِلَّا حَمَلًا ، ثُمَّ مَشَى
يَتَحَامَلُ عَلَى السَّعْدِيِّنِ ، سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ ، وَسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ، حَتَّى دَخَلَ بَيْتَهُ ،
فَلَمَّا أَذِنَ بِلَالٌ لِرِصَالَةِ الْمَغْرِبِ خَرَجَ عَلَى مِثْلِ تِلْكَ الْحَالِ ، يَتَوَكَّأُ عَلَى
السَّعْدِيِّنِ ، فَصَلَّى ثُمَّ عَادَ إِلَى بَيْتِهِ ، وَبَاتَ وُجُوهُ الْأَوْسِ ، وَالخَزْرَجِ عَلَى
بَابِهِ فِي الْمَسْجِدِ ، يَحْرِسُونَهُ ، مَخَافَةَ أَنْ تَكْرُرَ قُرَيْشٌ ، وَهُمْ غَافِلُونَ .

وقال كعب بن مالك يبكي حمزة بن عبدالمطلب :

طَرَقَتْ هُمُومُكَ فَالْرُقَادُ مُسَهَّدُ وَجَزِعْتَ أَنْ سَلَخَ الشَّبَابَ الْأَعْيَدُ
وَدَعْتَ فُوَادَكَ لِلْهَوَى ضَمْرِيَّةُ فَهَوَاكَ غُورِيٌّ وَصَحُوكَ مُنْجِدُ
فَدَعَ التَّمَادِي فِي الْغَوَايَةِ سَادِرًا قَدْ كُنْتَ فِي طَلَبِ الْغَوَايَةِ تُفْنِدُ
وَلَقَدْ أَتَى لَكَ أَنْ تَنَاهِيَ طَائِعًا أَوْ تَسْتَفِيقُ إِذَا نَهَاكَ الْمُرْشِدُ
وَلَقَدْ هُدِدْتَ لِفَقْدِ حَمْزَةِ هَدَى ظَلَّتْ بَنَاتُ الْجُوفِ مِنْهَا تَرَعُدُ
وَلَوْ أَنَّهُ فُجِعَتْ حِرَاءُ بِمِثْلِهِ لَرَأَيْتَ رَأْسِي صَخْرَهَا يَتَبَدَّدُ
قَرْمٌ تَمَكَّنَ فِي ذُؤَابَةِ هَاشِمٍ حَيْثُ النُّبُوَّةُ وَالنَّدَى وَالسُّودُدُ
وَالعَاقِرِ الْكُومِ الْجِلَادَ إِذَا غَدَتْ رِيحٌ يَكَادُ الْمَاءُ مِنْهَا يَجْمُدُ
والتَّارِكِ الْقَرْنِ الْكَمِيِّ مَجْدَلًا يَوْمَ الْكَرْيَةِ وَالقَنَا يَتَفْصَدُ
وتَرَاهُ يَرْفُلُ فِي الْحَدِيدِ كَأَنَّهُ ذُو لَبْدَةٍ شَثْنُ الْبِرَائِنِ أُرْبَدُ
عَمِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَصْفِيهِ وَرَدَّ الْجِمَامَ فَطَابَ ذَاكَ الْمَوْرِدُ
وَأَتَى الْمَنِيَةَ مَعْلَمًا فِي أُسْرَةٍ نَصَرُوا النَّبِيَّ وَمِنْهُمْ الْمُسْتَشْهَدُ
وَلَقَدْ اخْتَالَ بِذَلِكَ هِنْدًا بَشْرَتْ لَتَمِيَتْ دَاخِلَ غِصَّةٍ لَا تَبْرَدُ
مِمَّا صَبَحْنَا بِالْعَقْنَقْلِ قَوْمَهَا يَوْمًا تَغَيَّبَ فِيهِ عَنْهَا الْأَسْعَدُ
وَيَبْعُرُ بَدْرٌ إِذَا يَرِدُ وَجُوهَهُمْ جَبْرِيلُ تَحْتَ لَوَائِنَا وَمُحَمَّدُ
حَتَّى رَأَيْتَ لَدَى النَّبِيِّ سِرَاتِهِمْ قَسَمِينَ نَقُتْلُ مِنْ نِشَاءٍ وَنَطْرَدُ

فأقام بالعطن المعطن منهم وابن المغيرة قد ضربنا ضربة وأمية الجمحى قوم ميله فأتاك فل المشركين كأنهم شتان من هو في جهنم ثاويأ

سبعون عتبة منهم والأسود فوق الوريد لها رشاش مزبد غضب بأيدي المؤمنين مهند والخيل تنفهم نعام شرّد أبداً ومن هو في الجنان مخلد

وقال كعب بن مالك يجب هيرة بن أبي وهب :

ولكن بيدر سائلوا من لقيتم وأنا بأرض الخوف لو كان أهلها إذا جاء منا راكب كان قوله فَمَهْمَا يَهُمُّ النَّاسَ مِمَّا يَكِيدُنَا فلو غيرنا كانت جميعا تكيده الـ نجالد لا تبغى علينا قبيلة ولما ابتنوا بالعرض قالت سيوفنا وفينا رسول الله نَتَّبِعُ أمره تدلى عليه الروح من عند ربه نشاوره فيما نريد ، وقصرنا وقال رسول الله لما بدوا لنا وكونوا كمن يشري الحياة تقربا ولكن خذوا ميثاقكم وتوكلوا فسرنا إليهم جهرة في رحاهم بملومة فيها السنور والقنا فجتنا إلى موج من البحر وسطه ثلاثة آلاف ونحن عصابة نغاورهم تجرى المنية بيننا

من الناس والأنباء بالغيب تنفع سوانا لَقَدْ أَجَلُوا بَلِيلَ فَأَقْشَعُوا أَعَدُوا لِمَا يَزْجِي ابْنَ حَرْبٍ وَيُجْمَعُوا فنحن له من سائر الناس أَوْسَعُ برية قد أعطوا يدا وتورعوا من الناس إلا أن يهانوا ويفظعوا على م إذا لم نمنع العرض نزرع إذا قال فينا القول لا نتظلع ينزل من جو السماء ويرفع إذا ما اشتى أنا نطيع ونسمع ذروا عنكم هول المنيات واطمعوا إلى ملك يُحْيِي لَدَيْهِ وَيُرْجِعُ على الله إن الأمر لله أجمع ضحيا علينا البيض لا نتخشع إذا ضربوا أقدامها لا تورع أحابيش منهم حاسر ومقنع ثلاث معين أن كثرنا فأربع نشارعهم حوض المنايا ونشرع

تهادى قسى النبع فينا وفيهم
ومنجوفة حرمية صاعدية
تصوب بأبدان الرجال وتارة
وقال حسان بن ثابت :

عرفت ديار زينب بالكثيب
تداولها الرياح وكل جون
فأمسى رسمها خلقاً وأمست
فدع عنك التذكر كل يوم
وخبّر بالذي لا عيب فيه
بما صنع المليك غداة بدر
غداة كأن جمعهم جِراء
فلاقيناهم منّا بجمع
أمام محمد قد وازروره
بأيديهم صوارم مرهفات
بنو الأوس الغطارف وأزرتها
فغادرنا أبا جهل صريعاً
وشيبة قد تركنا في رجال
يناديهم رسول الله لَمَّا

وقال كعب بن مالك أيضاً في يوم أحد :

ماذا لقينا وما لاقوا من الهرب
ما أن نراقب من إلّ ولا نسب
حامي الذمار كريم الجد والحسب
سائل قريشاً غداة السفح من أحد
كنا الأسود وكانوا التمر إذ زحفوا
فكم تركنا بها من سيد بطل

فينا الرسول شهاب ثم نتبعه
 الحق منطقتُهُ والعدل سيرته
 نجد المقدم ما ضي الهمة معتزم
 نمضي ويذمرنا من غير معصية
 بدا لنا فاتبعناه نصدقه
 جالوا وجلنا فما فاءوا ولا رجعوا
 ليسا سواء وشتى بين أمرهما
 ولكعب بن مالك :

بكت عيني وحق لها بكأها
 على أسد الإله غداة قالوا
 أصيب المسلمون به جميعا
 أبا يعلي لك الأركان هدت
 عليك سلام ربك في الجنان
 ألا يا هاشم الاخيار صبرا
 رسول الله مصطبر كريم
 ألا من مبلغ عني لؤياً
 وقبل اليوم ما عرفوا وذاقوا
 نسيم ضربنا بقلب بدر
 غداة ثوى أبو جهل صريعا
 وعتبة وابنه خرا جميعاً
 وقالت صفية بنت عبدالمطلب تبكي
 أخاها حمزة بن عبدالمطلب :

أسئلة أصحاب أحد مخافة
 فقال الخبير أن حمزة قد ثوى
 بنات أبي من أعجم وخبير
 وزير رسول الله خير وزير

دعاه إله الحق ذو العرش دعوة إلى جنة يحيى بها وسرور
 فذلك ما كنا نرجى ونرتجى لحمزة يوم الحشر خير مصير
 فوالله لا أنساك ما هبت الصبا بكاء وحزنا محضري ومسيري
 على أسد الله الذي كان مدرها يذود عن الإسلام كل كفور
 فياليت شلوى عند ذاك وأعظمى لدى أضيع تعادني ونسور
 أقول وقد أعلى النعى عشيرتي جزى الله خير من أخ ونصير

شعرا

فَلَا يَغْفِرُنَّكُمْ لَمَّا جَرَى قَدْرٌ
 فَرُبَّمَا فِيهِ تَأْدِيبٌ وَتَبْيَانٌ
 لِيُنْتَبِهَ غَافِلًا أَوْ قَائِلًا زَلَلًا
 وَمُعْجَبٌ غَرَّهُ بِالْعُجْبِ شَيْطَانُ
 كَمَا جَرَى فِي حُنَيْنٍ إِذَا قَالَ قَائِلُهُمْ
 الْيَوْمَ مِنْ كَثْرَةِ يَأْتِي لَنَا شَانُ
 فَأَدْبَرُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَأَنْهَزُمُوا
 لَمْ يَلُؤُوا مِنْ أَحَدٍ وَالْكُلُّ فُرْسَانُ
 لَمْ يَبَقَ إِلَّا نَبِيُّ اللَّهِ يَطْعُنُهُمْ
 أَنَا ابْنُ مُطَلِّبٍ وَالْجَدُّ عَدْنَانُ
 حَتَّى إِذَا قَالَ يَا أَصْحَابَ سَمَرْتِنَا
 هَلُمَّ إِنَّ عَلَى الرَّضْوَانِ رِضْوَانُ
 جَاؤُوا يُلْبُونَ وَالْأَسِيْفُ مُضَلَّتُهُ
 كَأَنَّهُنَّ بِأَيْدِي الْقَوْمِ نِيرَانُ

تِلْكَ الْأُمُورُ مِنَ الْبَارِي يُدَاوِلُهَا
فَكُلَّ يَوْمٍ لَّهُ فِي خَلْقِهِ شَأْنٌ
لَمْ يَأْتِ مِنْ خَلَلٍ إِلَّا لَهُ سَبَبٌ
فَانظُرْ فَمِنْ أَيِّ بَابٍ جَاءَ نَقْصَانُ
إِجْعَلْ مُرَادَكَ دِينَ اللَّهِ تَنْصُرُهُ
فَالْمُلْكُ بِالذِّينِ لَا بِالْجُنْدِ يُنْصَانُ
وَكُنْ مَعَ اللَّهِ لَا تَخْشَى الْمَلَآءَ أَبَدًا
يَكُنْ لَكَ اللَّهُ وَالْأَمْلَآءُ أَعْوَانُ
وَالنَّاسُ إِلَّا قَلِيلٌ قَالَ أَكْثَرُهُمْ
إِذَا رَأَوْا نَاصِحًا قَالُوا بِهِ جَانُ
عَنْ نَضْرَةَ الدِّينِ أَمَوَاتٌ بِهِمْ وَهَنُ
وَنَضْرَةُ الْمَالِ فُرْسَانٌ وَشُجْعَانُ
صَلِّحْ لِدُنْيَاكَ مَا يَخْصُصُكَ مِنْ أَحَدٍ
لِلنَّاسِ وَاذِ وَقَدْ آوَتْكَ وَدْيَانُ
تُنْفَرُ النَّاسَ وَالْإِخْوَانَ قَدْ سَكَّتُوا
أَعْرِضْ وَكُنْ مِثْلَهُمْ وَدِنْ بِمَا دَانُوا
كُنْ لِلْمُلُوكِ عَلَى الْأَهْوَاءِ تَعِشْ مَعَهُمْ
فَاللَّهُ فِي جَنْبِهِ عَفْوٌ وَغُفْرَانُ
يَا قَاتِلَ اللَّهِ مَنْ هَذَا مَقَالَتُهُ
هَذَا ابْنُ أَبِيسَ غَشَّاشٌ وَفَتَّانُ
يَا حَسْرَةَ الدِّينِ مِنْ هَذَا وَشَيْعَتِهِ
إِنْ سُوِّعِدُوا لَمْ يَقُمْ لِلدِّينِ بُنْيَانُ

«هَذَا وَأَمْثَالُهُ كَمْ تَبَطُّوا أَمَّا
 عَنْ نَصْرِ دِينٍ وَلِلشَّيْطَانِ أَعْوَانٌ
 فِي كُلِّ وَقْتٍ فَكُنْ مِنْهُمْ عَلَى حَذِيرٍ
 لَا يَخْدَعُوكَ فَهُمْ فِي الْمَكْرِ فُرْسَانٌ
 «وَاصْحَبْ أَخَا الزُّهْدِ لَا تَبْغِي بِهِ بَدَلًا
 النَّاصِرَ الدِّينِ لِلتَّوْحِيدِ مِعْوَانٌ»

اللَّهُمَّ أَنْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا ، وَعَلَّمْنَا مَا مَا يَنْفَعُنَا ، وَوَفَّقْنَا لِلْعَمَلِ بِمَا
 فَهَّمْتَنَا ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنَّا مُقْصِرِينَ فِي حِفْظِ حَقِّكَ ، وَالْوَفَاءِ بِعَهْدِكَ ، فَأَنْتَ
 تَعْلَمُ صِدْقَنَا فِي رَجَاءِ رَفْدِكَ ، وَخَالِصِ وُدِّكَ ، اللَّهُمَّ أَنْتَ أَعْلَمُ بِنَا مِنَّا ،
 فَبِكَمَالِ جُودِكَ تَجَاوَزْ عَنَّا ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، الْأَحْيَاءِ
 مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
 وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ . « فَضْلٌ »

عِبَادَ اللَّهِ نَحْنُ فِي زَمَانٍ كَمَا تَرَوْنَ قَدْ كَثُرَ فِيهِ الشَّرُّ وَوَسَائِلُهُ وَانْتَشَرَ فِي
 الْأَرْضِ انْتِشَارًا لَا يَخْطُرُ عَلَى الْأَفْكَارِ فَإِذَا رُمْتُمْ حَاجَةً مِنَ السُّوقِ فَاقْضُوهَا
 بِسُرْعَةٍ مُنْكَرِينَ فِي قُلُوبِكُمْ وَفِي السِّتِّكُمْ حَسَبَ قُدْرَاتِكُمْ عَلَى مَنْ رَأَيْتُمُوهُ
 يَعْمَلُ الْمُتَنَكَّرَاتِ وَاتْرَكُوا الْإِجْتِمَاعَ مَعَ مَنْ لَا تَسْلُمُونَ مِنَ الْإِثْمِ إِذَا اتَّصَلْتُمْ بِهِ
 لَا سِيَّمَا وَقَدْ كَثُرَ مَنْ لَا تُؤْمِنُ شُرُورُهُ وَأَضْرَارُهُ وَمَفَاسِدُهُ وَأَحْرَصُوا عَلَى غَضِّ
 أَبْصَارِكُمْ فَإِنَّكُمْ إِنْ أَطْلَقْتُمْ لَهَا الْعِنَانَ رَأَيْتُمْ مِنَ الْبَلَايَا مَا لَا يُحْصِيهِ الْعَدُّ وَلَا
 يَأْتِي عَلَيْهِ الْبَيَانُ تَرَوْنَ النِّسَاءَ فِي حَالَةٍ تُوَلِّمُ قَلْبَ كُلِّ مُؤْمِنٍ ذِي مُرُوءَةٍ وَشِيْمَةٍ
 وَغَيْرَةٍ دِينِيَّةٍ وَتَرَوْنَ الْغِيْشَ السَّائِدَ فِي كُلِّ الْمَعَامَلَاتِ بِدَرَجَةٍ قَلَّ أَنْ يَنْجُو مِنْهَا
 أَذْكَى النَّاسِ وَأَيْقُظُهُمْ وَأَقْوَاهُمْ فِرَاسَةً وَتَرَى الدُّخَانَ عَنِ يَمِينِكَ وَيَسَارِكَ
 تُؤْذِنُكَ رَائِحَتُهُ الْكَرِيهَةَ وَتَرَى خَلَاقِي اللَّحَى وَمُصَلِّحِي التَّوَالِيَاتِ وَالْخَنَافِسِ
 وَتَرَى النِّسَاءَ تَرْكَبُ مَعَ أَيِّ وَاحِدٍ بِدُونِ مَحْرَمٍ وَتَدْخُلُ عَلَى الْخِيَاطِ يَقْيِسُ

عَلَيْهَا وَتَرُونَ الْكَثِيرَ مِنَ النَّاسِ لَا يُعْرَجُونَ عَلَى الْمَسَاجِدِ أَوْقَاتِ الصَّلَاةِ وَتَرُونَ
 الْمُجَاهِرِينَ بِالْمَعَاصِي يَدُورُونَ فِي الْأَسْوَاقِ لَيْسَ لَهُمْ شُغْلٌ إِلَّا مَا يُحْزِنُ قَلْبَ
 كُلِّ غَيُورٍ لِدِينِهِ وَتَرَاهُمْ نَبَذُوا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَقْبَلُوا عَلَى
 الْمَلَاهِي وَالْمُنْكَرَاتِ إِقْبَالًا فَوْقَ مَا يَتَصَوَّرُهُ الْعَاقِلُ اللَّيْبُ وَتَرَاهُمْ إِذَا قَضَوْا
 مَآرِبَهُمْ مِنْ كُتُبٍ تَحْتَوِي عَلَى الدِّينِ وَغَيْرِهِ فِيهَا آيَاتٌ وَأَحَادِيثُ الْقُوَاهِ فِي
 الْأَسْوَاقِ وَالْمَزَابِلِ مَعَ الْقَمَامِ وَكَذَلِكَ بَاقِي النِّعَمِ تَجِدُهَا مُلْقَاةً مَعَ الْقَادُورَاتِ
 وَتَرَاهُمْ دَائِمًا فِي مُطَالَعَةِ الْجَرَائِدِ وَالْمَجَلَّاتِ وَلَوْ نَاولَتْ أَحَدَهُمْ مُصْحَفًا أَوْ
 الْبُخَارِيَّ أَوْ مُسْلِمًا يَقْرَأُ شَيْئًا مِنْهُ لَسَارَعَ إِلَى الضَّحِكِ أَوْ النَّوْمِ وَاسْتَرْخَتْ
 مَفَاصِلُهُ كَأَنَّكَ نَاولْتَهُ مَا يَذْهَبُ الْعُقُولَ وَيُرْقِدُ الْأَبْدَانَ وَتَرَاهُ يَسْهَرُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي
 صُنُوفِ الْمَعَاصِي وَعِنْدَ الْمَلَاهِي لَكِنْ يَثْقُلُ عَلَيْهِ جِدًّا أَنْ يَسْهَرَ سَاعَةً فِي طَاعَةِ
 مَوْلَاةٍ وَتَرَاهُمْ أَمَامَ التَّلْفِيزِيُونِ مُقَابِلِينَ لَهُ وَمُقَابِلِينَ بِقُلُوبِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأَسْمَاعِهِمْ
 وَلَوْ نُودِيَ أَحَدُهُمْ لَسْتَمَّ الْمُنَادِي وَسَبَّهُ بَلْ رَبُّمَا لَعَنَهُ وَقَذَفَهُ خَوْفًا مِنْ فَوَاتِ مَا
 يَظْهَرُ فِيهِ مِنْ مُنْكَرَاتٍ مِنْ نِسَاءِ سَافِرَاتٍ وَتَمَثِيلِيَّاتٍ خَلِيعَةٍ وَأَغَانِي مُهَيِّجَةٍ
 لِلْفَسَادِ وَنَحْوِ ذَلِكَ تَمُرُّ السَّاعَاتُ لَا يَمْلُونَ بَلْ هُمْ مُرْتَاخُونَ لَهُ وَأَمَّا أَمَامَ رَبِّ
 الْعَالَمِينَ الَّذِي خَلَقَهُمْ وَرَزَقَهُمْ فَعَشْرُ الدَّقَائِقِ الَّتِي يَقِفُونَهَا فِي الصَّلَاةِ أَثْقَلُ مِنْ
 رِضْوِي وَأُحَدِّ وَيَتَسَابِقُونَ إِلَى الَّذِي يَمُرُّهَا مَرَّ السَّحَابِ وَإِذَا تَأَخَّرَ الْإِمَامُ وَلَوْ
 دَقِيقَةً رَأَيْتَهُمْ يَتَلَفَّتُونَ وَيَبْحَثُونَ عَنْهُ فَإِنْ كَانَ حَاضِرًا أَكْثَرُوا مِنَ الْاسْتِغْفَارِ
 وَالْحَوْقَلَةِ وَالتَّهْلِيلِ لِيُفْهَمُوهُ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَعَجَلَ فَيُصَلِّيَ كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِهِمْ
 حِمْلًا أَوْ عَلَى أظْهَرِهِمْ حَتَّى الَّذِي يَتَأَخَّرُ بَعْدَ الصَّلَاةِ وَيَقْعُدُ يَتَكَلَّمُ فِي أُمُورِ
 الدُّنْيَا الْمَنْهِيَّ عَنْهُ فِي الْمَسْجِدِ وَهَذِهِ حَالَةٌ وَاللَّهِ يُرَى لَهَا قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ :

يا ناصرَ الإسلامِ والسُّنَنِ الَّتِي
 جَاءَتْ عَنِ الْمَبْعُوثِ بِالْفِرْقَانِ

يَا مَنْ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ وَقَوْلُهُ
 وَلِقَاؤُهُ وَرَسُولُهُ بِبَيَانٍ
 اشْرَحَ لِدِينِكَ صَدَرَ كُلِّ مُوَحِّدٍ
 شَرَحًا يَنَالُ بِهِ ذُرَى الْإِيمَانِ
 وَاجْعَلُهُ مُؤْتَمًا بِوَحْيِكَ لَا بِمَا
 قَدْ قَالَهُ ذُو الْإِفْكِ وَالْبُهْتَانِ
 وَأَنْصُرْ بِهِ حِزْبَ الْهُدَى وَكَبِّثْ بِهِ
 حِزْبَ الضَّلَالِ وَشِيعَةَ الشَّيْطَانِ
 وَأَنْعَشْ بِهِ مَنْ قَضَدَهُ إِحْيَاؤُهُ
 وَأَعْصِمَهُ مِنْ كَيْدِ أَمْرِيءِ فَتَانِ
 اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ وَفَجَاءَةِ نِقْمَتِكَ
 وَجَمِيعِ سَخَطِكَ وَنَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا
 أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَضْلٌ »

فِي ذِكْرِ بَعْضِ الْحُكْمِ الَّتِي كَانَتْ فِي وَفَعَةِ أَحَدٍ

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَقَدْ أَشَارَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِلَى أُمَّهَاتِهَا وَأُصُولِهَا
 فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ حَيْثُ افْتَتِحَ الْقِصَّةَ بِقَوْلِهِ (وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ
 الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ) إِلَى تَمَامِ سِتِّينَ آيَةٍ : قَالَ فَمِنْهَا : تَعْرِيفُهُمْ بِسُوءِ
 عَاقِبَةِ الْمَعْصِيَةِ، وَالْفُشْلِ وَالتَّنَازُعِ ، وَأَنَّ الَّذِي أَصَابَهُمْ إِنَّمَا هُوَ بِشُؤْمِ
 ذَلِكَ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى (٣ : ١٥٢) وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ
 حَتَّى إِذَا فَسِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ
 مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمَنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا

(عَنْكُمْ)

فَلَمَّا ذَاقُوا عَاقِبَةَ مَعْصِيَتِهِمْ لِلرُّسُولِ وَتَنَازَعِهِمْ وَفَسَلِهِمْ كَانُوا بَعْدَ ذَلِكَ أَشَدَّ حَذَرًا وَيَقِظَةً وَتَحَرُّزًا مِنْ أَسْبَابِ الْخُدْلَانِ .

ومنها أَنَّ حِكْمَةَ اللَّهِ . وَسُنَّتَهُ فِي رُسُلِهِ ، وَأَتْبَاعِهِمْ : جَرَتْ بِأَنَّ يُدَالُوا مَرَّةً ، وَيُدَالُ عَلَيْهِمْ أُخْرَى ، لَكِنْ تَكُونُ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ ، فَإِنَّهُمْ لَوِ انْتَصَرُوا دَائِمًا دَخَلَ مَعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ ، وَغَيْرُهُمْ ، وَلَمْ يَتَمَيَّزِ الصَّادِقُ مِنْ غَيْرِهِ ، وَلَوْ انْتَصَرُوا عَلَيْهِمْ دَائِمًا ، لَمْ يَحْصُلِ الْمَقْصُودُ مِنَ الْبِعْثَةِ وَالرِّسَالَةِ ، فَاقْتَضَتْ حِكْمَةُ اللَّهِ أَنْ جَمَعَ لَهُمُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ ، لِيَتَمَيَّزَ مَنْ يَتَّبِعُهُمْ ، وَيُطِيعُهُمْ ، لِلْحَقِّ وَمَا جَاؤُوا بِهِ ، مِمَّنْ يَتَّبِعُهُمْ عَلَى الظُّهُورِ وَالْغَلْبَةِ خَاصَّةً .

وَمِنْهَا أَنَّ هَذَا مِنْ أَعْلَامِ الرُّسُلِ كَمَا قَالَ هِرْقُلُ لِأَبِي سُفْيَانَ « هَلْ قَاتَلْتُمُوهُ » قَالَ نَعَمْ : قَالَ كَيْفَ الْحَرْبِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ ، قَالَ سَجَالَ نُدَالُ عَلَيْهِ الْمَرَّةَ ، وَيُدَالُ عَلَيْنَا الْأُخْرَى ، قَالَ : كَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى ثُمَّ تَكُونُ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

ومنها أَنَّ يَتَمَيَّزُ الْمُؤْمِنُ الصَّادِقُ مِنَ الْمُنَافِقِ الْكَاذِبِ ، فَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمَّا أَظْهَرَهُمُ اللَّهُ عَلَى أَعْدَائِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ وَطَارَ لَهُمُ الصَّيْتُ دَخَلَ مَعَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ ظَاهِرًا مَنْ لَيْسَ مَعَهُمْ فِيهِ بَاطِنًا ، فَاقْتَضَتْ حِكْمَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ سَبَبَ لِعِبَادِهِ ، مِحْنَةً مَيَّزَتْ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْمُنَافِقِ فَاطَّلَعَ الْمُنَافِقُونَ رُؤُوسَهُمْ فِي هَذِهِ الْعَزْوَةِ ، وَتَكَلَّمُوا بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَهُ ، وَظَهَرَتْ مَخْبَأَتُهُمْ ، وَعَادَ تَلْوِيحُهُمْ تَضْرِيحًا وَانْقَسَمَ النَّاسُ إِلَى كَافِرٍ ، وَمُؤْمِنٍ ، وَمُنَافِقٍ ، إِنْقِسَامًا ظَاهِرًا لَا يُفَارِقُهُمْ ، فَاسْتَعَدُّوا لَهُمْ ، وَتَحَرَّزُوا مِنْهُمْ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (٣: ١٧٩) وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ) أَي مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَكُمْ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ التَّبَاسِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْمُنَافِقِينَ ، حَتَّى يُمِيزَ أَهْلَ الْإِيمَانِ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ كَمَا مَيَّزَهُمْ بِالْمِحْنَةِ يَوْمَ أُحُدٍ ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ﴾ الَّذِي يُمِيزُ بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ فَإِنَّهُمْ مُتَمَيِّزُونَ فِي عِلْمِهِ وَغَيْبِهِ .

وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُرِيدُ أَنْ يُمِيزَهُمْ تَمَيِّزًا مَشْهُودًا ، فَيَقَعَ مَعْلُومُهُ الَّذِي هُوَ غَيْبٌ شَهَادَةٌ ، وَقَوْلُهُ ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ اسْتِدْرَاكٌ لِمَا نَفَاهُ ، مِنْ إِطْلَاعِ خَلْقِهِ عَلَى الْغَيْبِ كَمَا قَالَ ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَن ارْتَضَىٰ مِنْ رَّسُولٍ ﴾ فَحَظُّكُمْ أَنْتُمْ وَسَعَادَتُكُمْ فِي الْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ الَّذِي يُطْلَعُ عَلَيْهِ رُسُلُهُ ، فَإِنْ آمَنْتُمْ بِهِ وَاتَّقَيْتُمْ كَانَ لَكُمْ أَكْبَرُ الْأَجْرِ وَالْكَرَامَةِ .

وَمِنْهَا اسْتِخْرَاجُ عُبُودِيَّةِ أَوْلِيَائِهِ وَحِزْبِهِ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَفِيمَا يُحِبُّونَ وَمَا يَكْرَهُونَ ، وَفِي حَالِ ظَفَرِهِمْ ، وَفِي حَالِ ظَفَرِ أَعْدَائِهِمْ بِهِمْ ، فَاذَا تَبَتُّوا عَلَى الطَّاعَةِ وَالْعُبُودِيَّةِ فِيمَا يُحِبُّونَ وَمَا يَكْرَهُونَ ، فَهُمْ عَبِيدُهُ حَقًّا ، وَلَيْسُوا كَمَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ مِنَ السَّرَّاءِ وَالنُّعْمَةِ وَالْعَاقِبَةِ .

وَمِنْهَا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَوْ نَصَرَهُمْ دَائِمًا ، وَأُظْفَرَهُمْ بَعْدُوهُمْ ، فِي كُلِّ مَوْطِنٍ ، وَجَعَلَ لَهُمُ التَّمَكُّنَ ، وَالْقَهْرَ لِأَعْدَائِهِمْ أَبَدًا ، لَطَغَتْ نَفُوسُهُمْ ، وَشَمَخَتْ وَارْتَفَعَتْ ، فَلَوْ بَسَطَ لَهُمُ النَّصْرَ ، وَالظَّفَرَ لَكَانُوا فِي الْحَالِ الَّتِي يَكُونُونَ فِيهَا لَوْ بَسَطَ لَهُمُ الرِّزْقَ فَلَا يُضِلُّهُ عِبَادَةُ إِلَّا السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ، وَالشَّدَّةِ وَالرِّخَاءِ ، وَالقَبْضُ وَالْبَسْطُ ، فَهُوَ الْمُدَبِّرُ لِأَمْرِ عِبَادِهِ ، كَمَا يَلِيقُ بِحِكْمَتِهِ ، إِنَّهُ بِهِمْ خَبِيرٌ بَصِيرٌ .

ومنها أنهم إذا امتحنهم بالعلبة ، والكسرة والهزيمة ، ودلوا وانكسروا
 وحضعوا ، فاستوجبوا منه العزة والنصر ، فإن خلعة النصر إنما تكون مع ولايته
 الذل والإنكسار ، قال الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ ﴿ وَيَوْمَ
 حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثَرَتُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً ﴾ فهو سبحانه إذا أراد أن يعز
 عبده ويخبره وينصره ، كسره أولاً ويكون جبره له ونصره على مقدار ذله
 وانكساره .

ومنها أنه سبحانه هياً لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لم تبلغها
 أعمالهم ، ولم يكونوا بالغيتها إلا بالبلاء والمحنة ، فقيض لهم الأسباب
 التي توصلهم إليها ، من ابتلائه وامتحانه ، كما وفقهم للأعمال الصالحة
 التي هي من جملة أسباب وصولها :

ومنها أن النفوس تكتسب من العافية الدائمة ، والنصر والغنى طغياناً ،
 ورُكُوناً إلى العاجلة ، وذلك مرض يعوقها عن جدّها في سيرها إلى الله والدار
 الآخرة ، فإذا أراد بها ربها ومالكها وراحمها كرامته ، قيض لها من الإبتلاء
 والإمتحان ما يكون دواءً لذلك المرض العائق عن السير الحثيث إليه ،
 فيكون ذلك البلاء والمحنة بمنزلة الطبيب يسقي العليل الدواء الكريه
 ويقطع منه العروق المؤلمة ، لاستخراج الأدواء منه ، ولو تركه لعلته
 الأدواء ، حتى يكون فيها هلاكه .

اللهم أنظّمنا في سلك حزبك المفلحين ، واجعلنا من عبادك
 المخلصين وآمناً يوم الفزع الأكبر يوم الدين ، واحشُرنا مع الذين أنعمت
 عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين واغفر لنا ولوالدينا
 ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين ،
 وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وَأِنَّ ذَوِي الْإِيمَانِ وَالْعِلْمِ وَالنُّهَى
هُمُ الْعُرَبَاءُ طُوبَى لَهُمْ مَا تَعَرَّبُوا
أَنَاسٌ قَلِيلٌ صَالِحُونَ بِأُمَّةٍ
كَثِيرِينَ لَكِنَ بِالضَّلَالَةِ أُشْرِبُوا
وَقِيلَ لَهُمُ التُّزَاعُ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ
عَلَى حَرْبِهِمْ أَهْلُ الضَّلَالِ تَحَزَّبُوا
وَلَكِنَ لَهُمْ فِيهَا الظُّهُورُ عَلَى الْعِدَا
وَإِنْ كَثُرَتْ أَعْدَاؤُهُمْ وَتَأَلَّبُوا
وَكَمْ أَصْلَحُوا مَا أَفْسَدَ النَّاسُ بِالْهَوَى
مِنَ السُّنَّةِ الْغَرَا فَطَابُوا وَطَيَّبُوا
وَقَدْ حَذَرَ الْمُخْتَارُ مِنْ كُلِّ بِدْعَةٍ
وَقَامَ بِذَا فَوْقَ الْمَنَابِرِ يَخْطُبُ
فَقَالَ عَلَيْكُمْ بِاتَّبَاعِي وَسُنَّتِي
فَعُضُوا عَلَيْهَا بِالنُّوَاجِدِ وَارْغَبُوا
وَإِيَّاكُمْ وَالْإِبْتِدَاعَ فَإِنَّهُ
ضَلَالٌ وَفِي نَارِ الْجَحِيمِ يُكْبِكِبُ
فَدُومُوا عَلَى مِنْهَاجِ سُنَّةِ أَحْمَدِ
لِكَيْ تَرُدُّوا حَوْضَ الرَّسُولِ وَتَشْرَبُوا
فَإِنَّ لَهُ حَوْضًا هَنِئًا شَرَابُهُ
مِنَ الدَّرِّ أَنْقَى فِي الْبَيَاضِ وَأَعَذَبُ
لَهُ يَرِدُ السُّنِّيُّ مِنْ حِزْبِ أَحْمَدِ
وَعَنْهُ يُنْحَى مُحَدِّثٌ وَمُكَذِّبُ

وَكَمْ حَدَّثْتُ بَعْدَ الرَّسُولِ حَوَادِثُ
بَكَادُ لَهَا نُورُ الشَّرِيعَةِ يُسَلَّبُ
وَكَمْ بِدْعَةٍ شَنَعَاءَ دَانَ بِهَا الْوَرَى
وَكَمْ سُنَّةٍ مَهْجُورَةٍ تُتَجَنَّبُ
لِذَا أَصْبَحَ الْمَعْرُوفُ فِي الْأَرْضِ مُنْكَرًا
وَدُوَّ النُّكْرِ مَعْرُوفٌ إِلَيْهِمْ مُحَبَّبُ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِإِنْدِرَاسِ مَعَالِمِ
مِنَ الْعِلْمِ إِذْ مَاتَ الْهُدَاتُ وَغُيِّبُوا
وَلَيْسَ اغْتِرَابُ الدِّينِ إِلَّا كَمَا تَرَى
فَسَلْ عَنْهُ يَبِيئِكَ الْخَيْرُ الْمَجْرِبُ
وَقَدْ صَحَّ أَنَّ الْعِلْمَ تَعْفُورُ سَوْمُهُ
وَيَقْشُرُ الزُّنَا وَالْجَهْلُ وَالْخَمْرُ تُشْرَبُ
وَتِلْكَ أَمَارَاتُ يَدُلُّ ظُهُورُهَا
عَلَى أَنَّ أَهْوَالَ الْقِيَامَةِ أَقْرَبُ
فَسَارِعْ لِمَا يُرْضِي الْإِلَهَ بِفِعْلِهِ
وَدَعْ كُلَّ شَيْءٍ كَانَ لِلَّهِ يُغْضِبُ
وَحُذِّ أَنْ طَلَبْتَ الْعِلْمَ عَنْ كُلِّ عَالِمٍ
تَرَاهُ بِآدَابِ الْهُدَى يَتَأَدَّبُ
لِأَهْلِ السَّرَى تَهْدِي نَجُومُ عُلُومِهِ
وَتُرْمِي الْعِدَى مِنْ شُهْبِهَا حِينَ تُثَقَّبُ
فَلَا زِمَهُ وَاسْتَضِيحَ بِمِضْبَاحِ عِلْمِهِ
لِتَخْلُصَ مِنْ جَسْرِ عَلَى النَّارِ يُضْرَبُ

فَخَيْرُ الْأُمُورِ السَّالِفَاتُ عَلَى الْهُدَى
وَشَرُّ الْأُمُورِ الْمُحَدَّثَاتُ فَجَنَّبُوا
وَمَا الْعِلْمُ إِلَّا مِنْ كِتَابٍ وَسُنَّةٍ
وَعَبْرَةٍ مِمَّا جَهَلُ صَرِيحٌ مُرَكَّبٌ
فَخُذْ بِهِمَا وَالْعِلْمَ فَاطْلُبْهُ مِنْهُمَا
وَدَعْ عَنْكَ جُهَالًا عَنِ الْحَقِّ أَضْرَبُوا
خَفَافِشُ أَعْشَاهَا النَّهَارُ بَضُورُهُ
فَوَافِقُهَا مِنْ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ غَيْهَبُ
فَظُلُّكَ تُحَاكِي الطَّيْرَ فِي ظُلْمَةِ الدَّجَى
وَإِنْ لَاحَ ضَوْءُ الصُّبْحِ لِلْعِشِّ تَهَرَّبُ
وَخَتَمُ نِظَامِي بِالصَّلَاةِ مُسَلِّمًا
مَدَى الدَّهْرِ مَا دَامَتْ مَعَدُ وَيَعْرَبُ
عَلَى خَاتَمِ الرُّسُلِ الْكِرَامِ مُحَمَّدٍ
بِهِ طَابَ خَتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَطُيِّبُوا
كَذَا الْإِلِ وَالصَّحْبِ الْأَلَى بِجِهَادِهِمْ
أَضَاءَ بِيَدَيْنِ اللَّهِ شَرْقٌ وَمَغْرَبُ
اللَّهُمَّ امْنُنْ عَلَيْنَا بِالْإِقْبَالِ عَلَيْكَ وَالتَّوْفِيقِ وَأَعِدْنَا مِنَ الْخُدْلَانِ
وَالتَّعْوِيقِ ، وَفَرِّجْ عَنَّا كُلَّ هَمٍّ وَعَظْمٍ وَضِيقٍ ، وَلَا تُحْمِلْنَا مَا لَا نَقْوَى وَلَا نَطِيقُ ،
يَا مَنْ كُلُّ نَفْسٍ إِلَى جُودِهِ افْتَقَرَتْ اللَّهُمَّ جَلَلْنَا بِسِتْرِكَ وَاغْفُ عَنَّا بِكَرَمِكَ ،
اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِلْإِسْتِعْدَادِ لِمَا أَمَانَا ، اللَّهُمَّ وَقْوِي إِيمَانَنَا بِكَ
وَيَمْلَأْ كِتَابَكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرُسُوكِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، اللَّهُمَّ
نُورِ قُلُوبَنَا وَاشْرَحْ صُدُورَنَا وَوَفِّقْنَا لِمَا تُجِبُهُ وَتَرْضَاهُ وَالْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ
وَعَامِلَنَا بِلُطْفِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ

اللهم أعِزَّنَا مِنَ الهمِّ والحزَنِ والعجزِ والكسلِ والجبنِ والبخلِ
 وصلِّ على الذينَ وغلَّبَ الرجالَ واغفرْ لنا ولوالدِينَا ، ولجميعِ المُسلمينَ
 بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمينَ وصلِّ على محمدٍ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ
 أَجْمَعينَ .

(فصل)

وَمِنْهَا أَنْ الشَّهَادَةَ عِنْدَهُ مِنْ أَعْلَى مَرَاتِبِ أَوْلِيَائِهِ وَالشُّهَدَاءُ هُمْ خَوَاصُّهُ
 الْمُقْرَبُونَ مِنْ عِبَادِهِ وَلَيْسَ بَعْدَ دَرَجَةِ الصِّدِّيقِيَّةِ إِلَّا الشَّهَادَةُ وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ
 أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ عِبَادِهِ شُهَدَاءَ تُرَاقِ دِمَاؤُهُمْ فِي مَحَبَّتِهِ وَمَرْضَاتِهِ وَيُؤَثِّرُونَ رِضَاهُ
 وَمَحَابَّتَهُ عَلَى نَفْسِهِمْ وَلَا سَبِيلَ إِلَى نَيْلِ هَذِهِ الدَّرَجَةِ إِلَّا بِتَقْدِيرِ الْأَسْبَابِ
 الْمُفْضِيَةِ إِلَيْهَا مِنْ تَسْلِيْطِ الْعَدُوِّ .

وَمِنْهَا أَنْ اللهُ سُبْحَانَهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ أَعْدَاءَهُ وَيَمْحَقَهُمْ قِيَّضَ لَهُمُ
 الْأَسْبَابَ الَّتِي يَسْتَوْجِبُونَ بِهَا هَلَاكَهُمْ ، وَمَحَقَهُمْ ، وَمَنْ أَعْظَمَهَا بَعْدَ كُفْرِهِمْ
 بَغْيُهُمْ ، وَطُغْيَانُهُمْ ، وَمُبَالَغَتُهُمْ ، فِي أَذَى أَوْلِيَائِهِ ، وَمُحَارَبَتُهُمْ ، وَقِتَالُهُمْ ،
 وَالتَّسَلُّطِ عَلَيْهِمْ ، فَيَتَمَحَّصُ بِذَلِكَ أَوْلِيَائُوهُ ، مِنْ ذُنُوبِهِمْ ، وَعُيُوبِهِمْ ، وَيَزْدَادُ
 بِذَلِكَ أَعْدَاؤُهُ ، مِنْ أَسْبَابِ مَحَقِهِمْ وَهَلَاكِهِمْ ، وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
 ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ (٣ : ١٣٩ - ١٤١) وَلَا تَهْنُؤُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ
 مُؤْمِنِينَ إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوَلَهَا بَيْنَ
 النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ
 وَلِيُمَحَّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿

فَجَمَعَ لَهُمْ فِي هَذَا الْخِطَابِ ، بَيْنَ تَشْجِيْعِهِمْ ، وَتَقْوِيَةِ نَفْسِهِمْ ،
 وَإِحْيَاءِ عَزَائِمِهِمْ ، وَهَمَمِهِمْ ، وَبَيْنَ حُسْنِ التَّسْلِيَةِ ، وَذِكْرِ الْحِكْمِ الْبَاهِرَةِ ،

الَّتِي اقْتَضَتْ إِدَالََةَ الْكُفَّارِ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ ﴿ إِنَّ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ﴾ فَقَدَّاسْتَوَيْتُمْ فِي الرَّجَاءِ وَالنُّوَابِ ، كَمَا قَالَ (٤ : ١٠٤) إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ ، وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴿ فَمَا بِالْكُمْ تَهْنُونَ وَتَضَعُفُونَ عِنْدَ الْقَرْحِ وَالْأَلَمِ فَقَدْ أَصَابُوا ذَلِكَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ وَأَنْتُمْ أَصَبْتُمْ فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي .

ثم أَخْبَرَ أَنَّهُ يُدَاوِلُ أَيَّامَ هَذِهِ الْحَيَاةِ بَيْنَ النَّاسِ ، وَأَنَّهَا عَرَضٌ حَاضِرٌ يَقْسِمُهَا دَوْلًا بَيْنَ أَوْلِيَائِهِ وَأَعْدَائِهِ ، بِخِلَافِ الْآخِرَةِ ، فَإِنَّ عِزَّهَا وَنُصْرَهَا وَرَجَاءَهَا خَالِصٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا .

ثُمَّ ذَكَرَ حِكْمَةً أُخْرَى وَهِيَ اتِّخَاذُهُ سُبْحَانَهُ مِنْهُمْ شُهَدَاءَ ، فَإِنَّهُ يُحِبُّ الشُّهَدَاءَ مِنْ عِبَادِهِ ، وَقَدْ أَعَدَّ لَهُمْ أَعْلَى الْمَنَازِلِ ، وَأَفْضَلَهَا وَقَدْ اتَّخَذَهُمْ لِنَفْسِهِ ، فَلَا بُدَّ أَنْ يُنِيلَهُمْ دَرَجَةَ الشَّهَادَةِ .

وَفِي قَوْلِهِ ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ تَنْبِيهُ لَطَيْفِ الْمَوْعِ جِدَا عَلَى كَرَاهِيَتِهِ وَبُغْضِهِ لِلْمُنَافِقِينَ ، الَّذِينَ انْخَذَلُوا عَنْهُ يَوْمَ أَحَدٍ ، فَلَمْ يَشْهَدُوهُ ، وَلَمْ يَتَّخِذْ مِنْهُمْ شُهَدَاءَ ، لِأَنَّهُ لَمْ يُحِبَّهُمْ فَأَرْكَسَهُمْ وَرَدَّهُمْ ، لِيَحْرِمَهُمْ مَا خَصَّ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَمَا أَعْطَاهُ مَنْ اسْتَشْهَدَ مِنْهُمْ ، فَتَبَطَّ هَؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ ، عَنِ الْأَسْبَابِ الَّتِي وَفَّقَ لَهَا أَوْلِيَاءَهُ وَحِزْبَهُ .

ثُمَّ حِكْمَةً أُخْرَى فِيمَا أَصَابَهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَهِيَ تَمْحِصُ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُوَ تَنْقِيَتُهُمْ وَتَخْلِيصُهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ ، وَمِنْ آفَاتِ النَّفُوسِ .

وَمِنْهَا أَنْ وَقَعَةَ أَحَدٌ كَانَتْ مُقَدِّمَةً وَارْهَاصًا بَيْنَ يَدَيْ مَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَنَبَأَهُمْ وَوَبَّخَهُمْ عَلَى انْقِلَابِهِمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ إِنْ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، أَوْ قُتِلَ

بَلِ الْوَاجِبُ لَهُ عَلَيْهِمْ : أَنْ يُبْتُؤَا عَلَى دِينِهِ ، وَتَوْحِيدِهِ ، وَيَمُوتُوا عَلَيْهِ ، أَوْ يُقْتَلُوا ، فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يَعْبُدُونَ رَبَّ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، فَلَو مَاتَ مُحَمَّدٌ أَوْ قُتِلَ لَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَصْرِفَهُمْ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَمَا جَاءَ بِهِ ، فَكُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ .

وَمَا بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ إِلَيْهِمْ لِيُخَلِّدَ لَهُمْ وَلَا هُمْ ، بَلِ لِيَمُوتُوا عَلَى الْإِسْلَامِ وَالتَّوْحِيدِ ، فَإِنَّ الْمَوْتَ لَا بُدَّ مِنْهُ ، سَوَاءَ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوْ بَقِيَ وَلِهَذَا وَبِخُفْمِ عَلَى رَجُوعِ مَنْ رَجَعَ مِنْهُمْ عَنْ دِينِهِ ، لَمَّا صَرَخَ الشَّيْطَانُ بِأَنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ ، فَقَالَ ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَئِنَّ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يضرَ اللَّهُ شَيْئًا ، وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) .

وَالشَّاكِرُونَ هُمُ الَّذِينَ عَرَفُوا قَدْرَ النِّعْمَةِ فَبُتُّوا عَلَيْهَا حَتَّى مَاتُوا أَوْ قُتِلُوا ، فَظَهَرَ أَثَرُ هَذَا الْعِتَابِ ، وَحُكْمُ هَذَا الْخِطَابِ يَوْمَ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَارْتَدَّ مِنْ ارْتَدَّ عَلَى عَقْبِيهِ ، وَبُتَّ الشَّاكِرُونَ عَلَى دِينِهِمْ ، فَضَرَّهُمُ اللَّهُ ، وَأَعَزَّهُمْ ، وَأَظْفَرَّهُمْ ، بِأَعْدَائِهِمْ وَجَعَلَ الْعَاقِبَةَ لَهُمْ .

ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ جَعَلَ لِكُلِّ نَفْسٍ أَجَلًا لَا بُدَّ أَنْ تَسْتَوْفِيَهُ تَنْوَعَتْ أَسْبَابُهُ ، وَيَصْدُرُونَ عَنْ مَوْرِدِ الْقِيَامَةِ ، مَصَادِرَ شَتَّى ، فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ .

ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ جَمَاعَةً كَثِيرَةً مِنْ أَنْبِيَائِهِ قُتِلُوا ، وَقُتِلَ مَعَهُمْ أَتْبَاعُ لَهُمْ كَثِيرُونَ ، فَمَا وَهَنَ مِنْ بَقِيٍّ مِنْهُمْ ، لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَمَا ضَعُفُوا ، وَمَا اسْتَكَانُوا وَمَا وَهِنُوا عِنْدَ الْقَتْلِ ، وَلَا ضَعُفُوا وَلَا اسْتَكَانُوا ، بَلِ تَلَقَّوْا الشَّهَادَةَ بِالْقُوَّةِ وَالْعَزِيمَةِ ، وَالْأَقْدَامِ ، فَلَمْ يُسْتَشْهِدُوا مُدْبِرِينَ مُسْتَكِينِينَ أَدْلَةَ

بَلْ اسْتَشْهَدُوا أَعِزَّةَ كِرَامًا مُقْبِلِينَ غَيْرَ مُدْبِرِينَ وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْآيَةَ تَتَنَاوَلُ
 الْفَرِيقَيْنِ كِلَيْهِمَا ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عَمَّا اسْتَنْصَرَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ وَأَمَمَهُمْ عَلَى قَوْمِهِمْ
 مِنْ اعْتِرَافِهِمْ وَتَوْبَتِهِمْ وَاسْتِغْفَارِهِمْ وَسُؤَالِهِمْ رَبَّهُمْ أَنْ يُثَبِّتَ أقدامَهُمْ وَأَنْ
 يَنْصُرَهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ فَقَالَ ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا
 وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أقدامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ
 الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ .

لَمَّا عَلِمَ الْقَوْمُ أَنَّ الْعَدُوَّ إِنَّمَا يَدَالُ عَلَيْهِمْ بِذُنُوبِهِمْ ، وَأَنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا
 يَسْتَرْلُهُمْ وَيَهْزِمُهُمْ بِهَا ، وَأَنَّهَا نَوْعَانِ تَقْصِيرٌ فِي حَقِّ ، أَوْ تَجَاوُزٌ لِحَدِّ ، وَأَنَّ
 النَّصْرَ مَنْوُطٌ بِالطَّاعَةِ ، (قَالُوا : رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ، وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا) ثُمَّ
 عَلِمُوا أَنَّ رَبَّهُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، إِنْ لَمْ يُثَبِّتْ أقدامَهُمْ وَيَنْصُرَهُمْ لَمْ يَقْدِرُوا هُمْ
 عَلَى تَثْبِيتِ أقدامِ أَنْفُسِهِمْ ، وَنَصْرِهَا عَلَى أَعْدَائِهِمْ ، فَسَأَلُوهُ مَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ
 بِيَدِهِ ، ذُنُوبُهُمْ ، وَأَنَّهُ إِنْ لَمْ يُثَبِّتْ أقدامَهُمْ وَيَنْصُرَهُمْ لَمْ يَثْبُتُوا ، وَلَمْ يَنْتَصِرُوا .

ثُمَّ ذَكَرَ حِكْمَةً أُخْرَى ، وَهِيَ أَنَّ يَتَمَيَّزُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ فَيَعْلَمُهُمْ
 عِلْمٌ رُؤْيِيٌّ وَمُشَاهَدَةٌ ، بَعْدَ أَنْ كَانُوا مَعْلُومِينَ فِي غَيْبِهِ ، وَذَلِكَ الْعِلْمُ الْغَيْبِيُّ لَا
 يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ ثَوَابٌ ، وَلَا عِقَابٌ ، وَإِنَّمَا يَتَرْتَّبُ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ عَلَى
 الْمَعْلُومِ ، إِذَا صَارَ مُشَاهَدًا وَاقِعًا فِي الْحِسِّ .

فَوَفَّوْا الْمَقَامَيْنِ حَقَّهُمَا ، مَقَامَ الْمُقْتَضِيِّ ، وَهُوَ التَّوْحِيدُ وَالْإِلْتِجَاءُ إِلَيْهِ
 سُبْحَانَهُ ، وَمَقَامَ إِزَالَةِ الْمَانِعِ مِنَ النَّصْرَةِ ، وَهُوَ الذُّنُوبُ وَالْإِسْرَافُ ،
 وَحَذْرُهُمْ مِنْ طَاعَةِ عَدُوِّهِمْ ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ إِنْ أَطَاعُوهُمْ خَسِرُوا الدُّنْيَا
 وَالْآخِرَةَ .

شعرا : لَعَمْرِي مَا الرَّزِيَّةُ فَقْدُ مَالٍ يَكُونُ بِفَقْدِهِ مِنْ مُعْدِمِينَا
 وَلَكِنَّ الرَّزِيَّةَ فَقْدُ دِينٍ يَكُونُ بِفَقْدِهِ مِنْ كَافِرِينَا

ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ فَمَنْ وَالَاهُ
 فَهُوَ الْمَنْصُورُ، ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُ سَيَلِقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ، الَّذِي
 يَمْنَعُهُمْ مِنَ الْهُجُومِ عَلَيْهِمْ، وَالْأَقْدَامِ عَلَى حَرْبِهِمْ، فَإِنَّهُ يُؤَيِّدُ حِزْبَهُ بِجَنْدٍ
 مِنَ الرُّعْبِ، يَنْتَصِرُونَ بِهِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ، وَذَلِكَ الرُّعْبُ بِسَبَبِ مَا فِي قُلُوبِهِمْ
 مِنَ الشَّرِكِ بِاللَّهِ وَعَلَى قَدْرِ الشَّرِكِ يَكُونُ الرُّعْبُ، وَالَّذِينَ آمَنُوا، وَلَمْ يَلْبَسُوا
 إِيمَانَهُمْ بِالشَّرِكِ، لَهُمُ الْأَمْنُ وَالْهُدَى وَالْفَلَاحُ، ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُ صَدَقَ وَعْدُهُ فِي
 النُّصْرَةِ عَلَى عَدُوِّهِ، وَهُوَ الصَّادِقُ الْوَعْدِ، وَأَنَّهُمْ لَوْ اسْتَمَرُّوا عَلَى الطَّاعَةِ
 وَلَزُومِ مَرَائِزِهِمْ إِمْتِثَالًا لِأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ، لَاسْتَمَرَّتْ نُصْرَتُهُمْ، وَلَكِنْ
 انْخَلَعُوا عَنِ الطَّاعَةِ، وَفَارَقُوا مَرَائِزَهُمْ، فَانْخَلَعُوا عَنِ عِصْمَةِ الطَّاعَةِ،
 فَفَارَقَتْهُمْ النُّصْرَةُ، فَصَرَفَهُمْ عَنْ عَدُوِّهِمْ، عِقُوبَةً وَإِبْتِلَاءً، وَتَعْرِيفًا لَهُمْ بِسُوءِ
 عَاقِبَةِ الْمَعْصِيَةِ، وَحُسْنِ عَاقِبَةِ الطَّاعَةِ، ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُ عَفَا عَنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ،
 وَأَنَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْتَهَى بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ،

اللَّهُمَّ أَحِينَا فِي الدُّنْيَا مُؤْمِنِينَ طَائِعِينَ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ تَائِبِينَ وَاعْفِرْ لَنَا
 وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
 وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

قال ابن القيم رحمه الله

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُرِيدُ نَجَاتَهُ
 إِسْمَعْ مَقَالَةً نَاصِحٍ مِعْوَانٍ
 كُنْ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا مُتَمَسِّكًا
 بِالْوَحْيِ لَا بِزُخَارِفِ الْهَدْيَانِ
 وَأَنْصُرْ كِتَابَ اللَّهِ وَالسُّنَنَ الَّتِي
 جَاءَتْ عَنِ الْمُبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ

وَاضْرِبْ بِسَيْفِ الْوَحْيِ كُلَّ مُعْطَلٍ
 ضَرَبَ الْمُجَاهِدِ فَوْقَ كُلِّ بَنَانٍ
 وَاحْمِلْ بِعِزِّ الصِّدْقِ حَمْلَةَ مُخْلِصٍ
 مُتَجَرِّدٍ لِلَّهِ غَيْرَ جَبَانٍ
 وَابْتُ بِصَبْرِكَ تَحْتَ الْوَيْةِ الْهُدَى
 فَإِذَا أُصِيبَتْ فِي رِضَا الرَّحْمَانِ
 وَاجْعَلْ كِتَابَ اللَّهِ وَالسُّنَنَ الَّتِي
 ثَبَّتْ سِلَاحَكَ ثُمَّ صِخْرَ بَجْنَانِ
 مَنْ ذَا يُبَارِزُ فَلْيُقَدِّمْ نَفْسَهُ
 أَوْ مَنْ يُسَابِقُ يَبْدُ فِي الْمَيْدَانِ
 وَاصْدَعْ بِمَا قَالَ الرَّسُولُ وَلَا تَخَفْ
 مِنْ قَلَّةِ الْأَنْصَارِ وَالْأَعْوَانِ
 فَاللَّهُ نَاصِرُ دِينِهِ وَكِتَابِهِ
 وَاللَّهُ كَافٍ عَبْدَهُ بِأَمَانِ
 لَا تَخْشَى مِنْ كَيْدِ الْعَدُوِّ وَمَكْرِهِمْ
 فَكُتَالَهُمْ بِالْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ
 فَجُنُودُ اتِّبَاعِ الرَّسُولِ مَلَائِكُ
 وَجُنُودُهُمْ فَعَسَاكِرُ الشَّيْطَانِ
 شَتَانَ بَيْنَ الْعَسْكَرَيْنِ فَمَنْ يَكُنْ
 مُتَحَيِّزًا فَلْيُنْظَرْ الْفِتْنَانِ

وَابْتُتْ وَقَاتِلْ تَحْتَ رَايَاتِ الْهُدَى
 وَاصْبِرْ فَنَصْرُ اللَّهِ رَبِّكَ دَانَ
 وَاذْ كُرْ مُقَاتِلَهُمْ لِفُرْسَانِ الْهُدَى
 اللَّهُ دَرُّ مُقَاتِلِ الْفُرْسَانِ
 وَادْرَأْ بِلَفْظِ النَّصْرِ فِي نَحْرِ الْعِدَى
 وَارْجُمُهُمْ بِئَوَاقِبِ الشُّهْبَانِ
 لَا تَخْشَى كَثْرَتَهُمْ فَهُمْ هَمَجُ الْوَرَى
 وَذُبَابُهُ أَتَخَافُ مِنْ ذُبَابِ
 وَاشْغَلُهُمْ عِنْدَ الْجِدَالِ بِبَعْضِهِمْ
 بَعْضاً فَذَلِكَ الْحَزْمُ لِلْفُرْسَانِ
 وَإِذَا هُمُومًا حَمَلُوا عَلَيْكَ فَلَا تَكُنْ
 فَرِيعاً لِحَمَلَتِهِمْ وَلَا بِجَبَانِ
 وَابْتُتْ وَلَا تَحْمِلْ بِلَا جُنْدٍ فَمَا
 هَذَا بِمَحْمُودٍ لَدَى الشُّجْعَانِ
 فَإِذَا رَأَيْتَ عِصَابَةَ الْإِسْلَامِ قَدْ
 وَافَتْ عَسَاكِرَهَا مَعَ السُّلْطَانِ
 فَهُنَاكَ فَاخْتَرِ الصُّفُوفَ وَلَا تَكُنْ
 بِالْعَاجِزِ الْوَائِيِّ وَلَا الْفَرِيعَانِ
 وَتَعَرَّ مِنْ ثَوْبَيْنِ مَنْ يَلْبَسُهُمَا
 يَلْقَى الرَّدَى بِمَذْمَةٍ وَهَوَانِ

ثُوبٍ مِنَ الْجَهْلِ الْمُرْكَبِ فَوْقَهُ
ثُوبُ التَّعَصُّبِ بِسُتِ الثُّؤَانِ
وَتَحَلُّ بِالْإِنْصَافِ أَفْخَرَ حُلَّةٍ
زِينَتِ بِهَا الْأَعْطَافُ وَالْكَتِفَانِ
وَاجْعَلْ شِعَارَكَ خَشْيَةَ الرَّحْمَنِ مَعَ
نُصْحِ الرَّسُولِ فَحَبِذَا الْأَمْرَانِ
وَتَمَسَّكُنْ بِحَبْلِهِ وَيُوحِيهِ
وَتَوَكَّلَنَّ حَقِيقَةَ التُّكْلَانِ

فَالْحَقُّ وَصْفُ الرَّبِّ وَهُوَ صِرَاطُهُ الْهَادِي إِلَيْهِ لِصَاحِبِ الْإِيمَانِ
وَهُوَ الصِّرَاطُ عَلَيْهِ رَبُّ الْعَرْشِ أَيْضاً وَذَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ

وَالْحَقُّ مَنْصُورٌ وَمُمْتَحَنٌ فَلَا
تَعْجَبْ فَهَٰذِي سُنَّةُ الرَّحْمَنِ
وَبِذَاكَ يَظْهَرُ حُزْبُهُ مِنْ حَرْبِهِ
وَلِأَجْلِ ذَٰكَ النَّاسُ طَائِفَتَانِ

وَلِأَجْلِ ذَٰكَ الْحَرْبُ بَيْنَ الرَّسْلِ وَالْكَفَارِ مُذْ قَامَ الْوَرَى سِجْلَانِ
لَكِنَّمَا الْعُقْبَى لِأَهْلِ الْحَقِّ إِنْ
فَاتَتْ هُنَا كَانَتْ لَدَى الدِّيَانِ
وَاجْعَلْ لِقَلْبِكَ هِجْرَتَيْنِ وَلَا تَنْمِ
فَهُمَا عَلَى كُلِّ أَمْرٍ فَرُضَانِ

فَالهِجْرَةُ الْأُولَى إِلَى الرَّحْمَنِ بِالْإِخْلَاصِ فِي سِرٍّ وَفِي إِعْلَانٍ
فَالْقَصْدُ وَجْهَ اللَّهِ بِالْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ وَالطَّاعَاتِ وَالشُّكْرَانِ

فَبِذَلِكَ يَنْجُو الْعَبْدُ مِنْ إِشْرَاكِهِ

وَيَصِيرُ حَقًّا عَابِدَ الرَّحْمَنِ

وَالهِجْرَةُ الْأُخْرَى إِلَى الْمَبْعُوثِ بِالْحَقِّ الْمُبِينِ وَوَاضِحِ الْبُرْهَانِ

فَيَدُورُ مَعَ قَوْلِ الرَّسُولِ وَفِعْلِهِ

نَفِيًّا وَائْتِبَاتًا بِلَا رَوْعَانِ

وَيُحَكِّمُ الْوَحْيَ الْمُبِينَ عَلَى الَّذِي

قَالَ الشُّيُوعُ فَعِنْدَهُ حَكْمَانِ

لَا يَحْكُمَانِ بِبَاطِلٍ أَبَدًا وَكُلُّ الْعَدْلِ قَدْ جَاءَتْ بِهِ الْحَكْمَانِ

وَهُمَا كِتَابُ اللَّهِ أَعْدَلُ حَاكِمِ

فِيهِ الشُّفَا وَهَدَايَةُ الْحَيْرَانِ

وَالْحَاكِمُ الثَّانِي كَلَامُ رَسُولِهِ

مَا تَمَّ غَيْرُهُمَا لِذِي إِيمَانِ

فَإِذَا دَعَوْكَ لِغَيْرِ حُكْمِهِمَا فَلَا

سَمْعًا لِذَاعِي الْكُفْرِ وَالْعِضْيَانِ

قُلْ لَا كَرَامَةَ لَا وَلَا نُعْمًا وَلَا

طَوْعًا لِمَنْ يَدْعُو إِلَى الطُّغْيَانِ

وَإِذَا دُعِيتَ إِلَى الرَّسُولِ فَقُلْ لَهُمْ

سَمْعًا وَطَوْعًا لَسْتُ ذَا عِضْيَانِ

وَإِذَا تَكَاثَرَتِ الْخُضُومُ وَصَيَّحُوا
فَأُثِبْتُ فَصَيَّحْتَهُمْ كَمِثْلِ دُخَانٍ
يَرْقَى إِلَى الْأَوْجِ الرَّفِيعِ وَيَعْدَهُ
يَهْوِي إِلَى قَعْرِ الْحَضِيضِ الدَّنَائِي
هَذَا وَإِنْ قَتَلَ حِزْبَ اللَّهِ بِالْأَعْمَالِ لَا بِتَكَايِبِ الشُّجْعَانِ
وَاللَّهِ مَا فَتَحُوا الْبِلَادَ بِكَثْرَةِ
أَنِّي وَأَعْدَاهُمْ بِلَا حُسْبَانٍ
وَكَذَلِكَ مَا فَتَحُوا الْقُلُوبَ بِهَذِهِ الْأَرَاءِ بَلْ بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ
وَشَجَاعَةِ الْفُرْسَانِ نَفْسُ الرَّهْدِ فِي
نَفْسٍ وَذَا مَحْدُورٌ كُلُّ جَبَانٍ
وَشَجَاعَةِ الْحُكَّامِ وَالْعُلَمَاءِ زُهْدٌ فِي الثَّنَاءِ مِنْ كُلِّ ذِي بَطْلَانٍ
فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِقَلْبِ صَادِقٍ
شُدَّتْ رَكَائِبُهُ إِلَى الرَّحْمَنِ
وَأَقْصَدَ إِلَى الْأَقْرَانِ لَا أَطْرَافَهَا
فَالْعِرْزُ تَحْتَ مَقَاتِلِ الْأَقْرَانِ
وَأَسْمَعُ نَصِيحَةً مَنْ لَهُ خَيْرٌ بِمَا
عِنْدَ الْوَرَى مِنْ كَثْرَةِ الْجَوْلَانِ
مَا عِنْدَهُمْ وَاللَّهِ خَيْرٌ غَيْرَ مَا
أَخَذُوهُ عَمَّنْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ
وَالْكُلُّ بَعْدُ فَبِدْعَةٍ أَوْ فَرِيَةٍ
أَوْ بَحْثُ تَشْكِيكِ وَرَأْيُ فُلَانٍ

فاصدع بأمرِ الله لا تخش الورى
 في الله واخشاه تفر بأمان
 واهجر ولو كل الورى في ذاته
 لا في هواك ونخوة الشيطان
 واضبر بغير تسخط وشكايه
 واضفح بغي بغير عتاب من هوجان
 واهجرهم الهجر الجميل بلا أذى
 إن لم يكن بد من الهجران
 وانظر إلى الأقدار جارية بما
 قد شاء من غي ومن إيمان
 واجعل لقلبك مقلتين كلاهما
 بالحق في ذا الخلق ناظرتان
 فانظر بعين الحكم وارحمهم بها
 إذ لا ترد مشيئة الديان
 وانظر بعين الأمر واحملهم على
 أحكامه فهما إذا نظران
 واجعل لوجهك مقلتين كلاهما
 من خشية الرحمن باكيتان
 لو شاء ربك كنت أيضاً مثلهم
 فالقلب بين أصابع الرحمن
 واحذر كمائن نفسك اللاتي متى
 خرجت عليك كسرت كسر مهان

وَإِذَا انْتَصَرْتَ لَهَا فَأَنْتَ كَمَنْ بَغَى
 طَفِي الدُّخَانَ بِمَوْقِدِ النَّيِّرَانِ
 وَاللَّهُ أَخْبَرَ وَهُوَ أَصْدَقُ قَائِلٍ
 أَنْ سَوْفَ يَنْصُرُ عَبْدَهُ بِأَمَانٍ
 مَنْ يَعْمَلِ السُّوءَ سَيُجْزَى مِثْلَهَا
 أَوْ يَعْمَلِ الْحُسْنَى يَفُزْ بِجَنَانٍ
 هَذِي وَصِيَّةٌ نَاصِحٍ وَلِنَفْسِهِ
 وَصِي وَبَعْدُ لِسَائِرِ الْإِخْوَانِ

قال ابن الجوزي رحمه الله :

أَعْظَمُ الْمُعَاقِبَةِ أَنْ لَا يُحْسِنَ الْمُعَاقِبَ بِالْعُقُوبَةِ ، وَأَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَقَعَ
 السُّرُورُ بِمَا هُوَ عُقُوبَةٌ ، كَالْفَرَحِ بِالْمَالِ الْحَرَامِ ، وَاتَّمَكَّنَ مِنَ الذُّنُوبِ . وَمَنْ هَذِهِ
 حَالَهُ لَا يَفُوزُ بِطَاعَةٍ .

وَإِنِّي تَدَبَّرْتُ أَحْوَالَ أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ وَالْمُتَزَهِّدِينَ فَرَأَيْتُهُمْ فِي عُقُوبَاتٍ لَا
 يُحْسِنُونَ بِهَا ، وَمُعْظَمُهَا مِنْ قَبْلِ طَلِبِهِمُ لِلرِّيَاسَةِ . فَالْعَالَمُ مِنْهُمْ يَغْضَبُ إِنْ رُدَّ عَلَيْهِ
 خَطْوَةٌ ، وَالْوَاعِظُ مُتَضَنِّعٌ بَوَغِظِهِ ، وَالْمُتَزَهِّدُ مَنَافِقٌ أَوْ مُرَاءٍ . فَأَوَّلُ عُقُوبَاتِهِمْ ،
 إِعْرَاضُهُمْ عَنِ الْحَقِّ شُغْلًا بِالخَلْقِ ، وَمِنْ خَفِيِّ عُقُوبَاتِهِمْ سَلْبُ حَلَاوَةِ الْمَنَاجَاةِ ،
 وَلَذَّةِ التَّبَعْدِ .

إِلَّا رِجَالَ مُؤْمِنُونَ ، وَنِسَاءً مُؤْمِنَاتٍ ، يَحْفَظُ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ ، بِوَاطِنِهِمْ
 كِظْوَاهِرِهِمْ بِلِأَجْلِ ، وَسِرَائِرِهِمْ كِعِلَانِيَتِهِمْ بِلِأَحْلِ ، وَهَمَّهُمْ عِنْدَ الثَّرِيَا بِلِ
 أَعْلَى ، إِنْ عُرِفُوا تَنَكَّرُوا ، وَإِنْ رُئِيَ لَهُمْ كِرَامَةٌ أَنْكَرُوا . فَالنَّاسُ فِي غَفْلَاتِهِمْ ،
 وَهُمْ فِي قَطْعِ فَلَاطِهِمْ ، تَحْبِيبِهِمْ بِقَاعِ الْأَرْضِ ، وَتَفَرُّجِهِمْ بِأَمْلَاكِ السَّمَاءِ . نَسَأَلُ
 اللَّهَ عِزَّ وَجَلَّ التَّوْفِيقَ لِاتِّبَاعِهِمْ ، وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَتْبَاعِهِمْ .

وَسَلَّ الْعِيَاذَ مِنَ التَّكْبَرِ وَالْهَوَى فَهُمَا لِكُلِّ الشَّرِّ جَامِعَتَانِ
 فَتَرَى هَوَاهُ يَمْنَعُهُ تَارَةً وَالْكِبْرُ أُخْرَى ثُمَّ يَجْتَمِعَانِ
 وَاللَّهُ مَا فِي النَّارِ إِلَّا تَابِعٌ هَازِينَ فَاسَأَلُ سَاكِنِي النَّيِّرَانِ

آخر :

تَوَاضَعُ إِذَا مَا نِلْتَ فِي النَّاسِ رِفْعَةً فَإِنَّ رَفِيعَ الْقَوْمِ مَنْ يَتَوَاضَعُ
وَدَاوَمَ عَلَى حَمْدِ إِلَهِهِ وَشُكْرِهِ . وَذَكَرَ لَهُ فَهَوَ الَّذِي لَكَ رَافِعُ
وَقَالَ ابْنُ الْجُوزِيِّ : اعْتَبِرْتُ عَلَى أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ وَالزُّهَادِ أَنَّهُمْ يُبْطِنُونَ الْكِبَرَ
فَهَذَا يَنْظُرُ فِي مَوْضِعِهِ وَارْتِفَاعِ غَيْرِهِ عَلَيْهِ ، وَهَذَا لَا يَعُودُ مَرِيضاً فَقِيراً يَرَى
نَفْسَهُ خَيْراً مِنْهُ . حَتَّى أَنِّي رَأَيْتُ جَمَاعَةً يُؤْمَأُ إِلَيْهِمْ ، مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ لَا أَذْقُنُ إِلَّا
فِي ذِكِّهِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ ، وَيَعْلَمُ أَنَّ فِي ذَلِكَ كَسْرَ عِظَامِ الْمَوْتَى ، ثُمَّ يَرَى نَفْسَهُ
أَهْلاً لِذَلِكَ التَّصَدُّرِ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ : إِدْفِنُونِي إِلَى جَانِبِ مَسْجِدِي ظَنّاً مِنْهُ
أَنَّهُ يَصِيرُ بَعْدَ مَوْتِهِ مَزُوراً كَمَعْرُوفِ الْكَرَّخِيِّ .

وَهَذِهِ خَلَّةٌ مُهْلِكَةٌ وَلَا يَعْلَمُونَ . قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مَنْ ظَنَّ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْ
غَيْرِهِ فَقَدْ تَكَبَّرَ . وَقَلَّ مَنْ رَأَيْتُ إِلَّا وَهُوَ يَرَى نَفْسَهُ » .
وَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ مِمَّنْ يَرَى نَفْسَهُ ، أَتَرَاهُ بِمَاذَا ؟ إِنْ كَانَ بِالْعِلْمِ فَقَدْ
سَبَقَهُ الْعُلَمَاءُ ، وَإِنْ كَانَ بِالتَّعْبُدِ فَقَدْ سَبَقَهُ الْعِبَادُ ، أَوْ بِالْمَالِ فَإِنَّ الْمَالَ لَا يُوجِبُ
بِنَفْسِهِ فَضِيلَةً دِينِيَّةً . فَإِنْ قَالَ : قَدْ عَرَفْتُ مَا لَمْ يَعْرِفْ غَيْرِي مِنَ الْعِلْمِ فِي
زَمَانِي ، فَمَا عَلَيَّ مِمَّنْ تَقْدُمُ .

قِيلَ لَهُ : مَا نَأْمُرُكَ يَا حَافِظَ الْقُرْآنِ أَنْ تَرَى نَفْسَكَ فِي الْحِفْظِ كَمَنْ
يَحْفَظُ النِّصْفَ ، وَلَا يَا فُقِيهَ أَنْ تَرَى نَفْسَكَ فِي الْعِلْمِ كَالْعَامِي ، إِنَّمَا نَحْذَرُ
عَلَيْكَ أَنْ تَرَى نَفْسَكَ خَيْراً مِنْ ذَلِكَ الشَّخْصِ الْمُؤْمِنِ وَإِنْ قَلَّ عِلْمُهُ ، فَإِنَّ
الْخَيْرِيَّةَ بِالْمَعَانِي لَا بِصُورَةِ الْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ . وَمَنْ تَلَمَّحَ خِصَالَ نَفْسِهِ وَذُنُوبَهَا
عَلِمَ أَنَّهُ عَلَى يَقِينٍ مِنَ الذُّنُوبِ وَالتَّقْصِيرِ .

شَهْرًا : يَا صِحَّاحَ الْأَجْسَادِ كَيْفَ بَطَلْتُمْ
لَوْ عَلِمْتُمْ أَنَّ الْبَطَالََةَ تُجْدِي
مِنْ جَحِيمٍ فِي بَعْثِكُمْ وَنِكَالٍ
إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ غُرُورٌ
لَا لِعُذْرٍ عَنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ
حَسْرَةً فِي مَعَادِكُمْ وَالْمَالِ

كَيْفَ يَهْنِيكُمْوَالْقَرَارُ وَأَنْتُمْ بَعْدَ تَمْهِيدِكُمْ عَلَى الْاِزْتِحَالِ
الْهُدَى وَاضِحٌ فَلَا تُعْدِلُوا عَدُوَّهُ وَلَا تَسْلُكُوا سَبِيلَ الضَّلَالِ
وَأَتَيْبُوا قَبْلَ الْمَمَاتِ وَتُوبُوا تَسْلَمُوا فِي عَدُوِّ مِنَ الْأَهْوَالِ
اللهم افتح لدعائنا باب القبول والإجابة وإغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين .

اللَّهُمَّ احْفَظْنَا مِنَ الْمُخَالَفَةِ وَالْبَعْضِيَانِ وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِجَرَائِمِنَا وَمَا وَقَعَ
مِنَّا مِنَ الْخَطَا وَالنُّسْيَانِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ
مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

غزوة حنين

حنين واد قرب ذي الحجاز بينه وبين مكة ثلاث ليال قرب الطائف وتسمى
غزوة أو طاس سُمِّيَتْ الغزوة باسم المكائين.

لم ينقض شهر على مغادرة النبي ﷺ للمدينة، حتى ترامت إليه الأخبار
أن قبيلة هوزان النازلة شرق مكة، تحشد رجالها، وتستعد لهجوم مفاجيء على
المسلمين.

وذلك لقلقها المتزايد من زيادة عدد المسلمين لاسيما بعد توقيع صلح
الحديبية، وقد كانوا يعملون — من قبل فتح مكة بزمن طويل — على إثارة
مختلف قبائل العرب ضد الإسلام، أما وقد فتحت مكة، فقد أصبح لزاماً عليهم
في رأيهم أن يوجهوا الى الإسلام ضربة قاتلة، قبل أن يستفحل أمره، ويصبح من
المحال القضاء عليه.

وهم رجال حرب بطيعتهم، فما كانوا يحتاجون لأكثر من أيام معدودات
لحشد جيش كبير. ترامت الى النبي ﷺ أخبارها، فأوفد من يتبين له الأمر،
وعاد الرسول يؤيد الخبر، فأمر النبي ﷺ على التو — أي على الفور — بتجهيز
جيش قوي لِسَحْقِ هَوْزَانَ.

وسرعان ما إلتف عشرةُ آلاف مقاتل ساروا وعلى رأسهم النبي ﷺ إلى
وَادِي حَنِينٍ حيث احتشدت جنود هوزان.

وقد أمدت مكة المسلمين بكميات وافرة من السلاح والعتاد بِجَازِبِ الألفين من المقاتلين.

وكانت هوزان حاذقة في الرماية بالسهم والنبال، يضاف إلى هذا أنها احتلت المراكز الممتازة كلها، وقد وزعت زهرة رماتها فوق التلال والمرتفعات؛ واضطر المسلمون إلى النزول بالمراكز غير الملائمة، فكانت السهام تنزل عليهم من كل صوب وحذب أشبه بالمطر.

بينما تقدمت ساقه هوزان لمهاجمة قلب جيش المسلمين، والتقى الجمعان وجهاً لوجه، وكانت طليعة المسلمين تحت إمرة خالد بن الوليد، وهي مكونة من المكيين وفيهم غير المسلمين. فكانوا أول من خاض غمار المعركة.

ولكنهم لم يتحملوا عنف القتال المرير فتقهقروا، وأدى تقهقرهم إلى اضطراب النظام بين صفوف المسلمين، فارتدوا جميعاً في غير نظام، وتقهقرت فيالق المهاجرين والأنصار هي الأخرى، وبقي النبي ﷺ ومعه عمه العباس في فئة قليلة من المقاتلين وحدهم في العراء عرضة لسهام المهاجمين المحتشدين.

رأى النبي جيش المسلمين يرتد فثبت في مركزه المحفوف بالخطر في رباطة جأش تدعو إلى الإعجاب الشديد. كان العدو يتقدم في سرعة خاطفة، وكاد يكون بمفرده، ولكن ذلك لم يؤثر فيه أي تأثير. ألم يكن في أمان، ترعاه عناية الله العلي القدير!. نفس الشعور الذي لا يخونه، والثقة التي لا حد لها في معونة الله والإيمان بالنصر النهائي لقضيته.

بقي وحده في الميدان وعاصفة العدو تدوي من حوله، ونادى بأعلى صوته: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبدالمطلب» وصرخ العباس بصوته الجمهوري: «يا معشر الأنصار الذين آووا ونصروا، يا معشر المهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة. إن محمداً حيٌّ فهلّموا» وكرر العباس النداء حتى تجاوزت في كل جنبات الوادي أصداؤه.

وأجاب المسلمون من كل جانب: «لييك! لبيك!» وعادت جموعهم تلتئم من جديد. وترجل نفر منهم عن أفراسهم وجملمهم وشدوا على العدو بعنف

وجراً، فلم يستطع العدو الثبات في وجههم وأخذ فريق منه في الفرار، وبقي نفر آخر يقاوم وقتاً ما، ولكن عندما سقط حامل اللواء، ولوا جميعاً الأدبار.

وعندما اعتزمت هوزان الخروج للقتال أمر كبيرها مالك — وهو فتى متهور في الثلاثين من عمره — أن يخرج النساء والأطفال مع الجيش، ظاناً أن وجود هؤلاء يكون مُشجعاً ومُثيراً لِعَوَاطِفِ رِجاله، وحاتاً لهم، إن دَارَت الدائرة، على أن لا يَتَقَهَّرُوا وَيُولُوا أَعْقَابَهُمْ. ولكن لما أَرَفَتِ الساعَةُ الرهيبة تَرَكُوا وَرَاءَهُمْ كُلَّ شَيْءٍ: النساء والأطفال والغنم، فَوَقَعَ في يد المسلمين أربعة وعشرون ألف رأس من الغنم، وأربعُ آلاف أوقية من الفضة، غيرُ ستة آلاف أسير.

وبعد أن وضع المسلمون غنائمهم في مكان حريز، أخذوا في السير للحاق بعدوهم المتقهقر، وقد احتفى فريق منه في قلعته في أوطاس، فأوفد اليهم النبي ﷺ سرية من المسلمين لتشتيتهم، بينما احتمت ساقتهم بأسوار الطائف المحصنة تحصيناً متيناً مسلحاً. كانوا رجال حرب محنكين خبيرين بالأسلحة الحديثة كالمنجنيق، وكانوا قد اختزنوا مؤونة عام كامل داخل الأسوار، وأقاموا عليها حراسة وفيرة العدد، ووزعوا حامياتهم حول أسوار المدينة.

فخف النبي إلى حصونهم وضرب الحصار عليها، وقد استعان المسلمون بالأسلحة الحديثة التي أمدتهم بها بعض القبائل الأخرى، وثقل الحصار عليهم جميعاً فجمع النبي ﷺ أصحابه للمشورة. واقترح أحد الشيوخ المحنكين تركهم وشأنهم، فقد عاد الذئب الى جُحره وليس من الهين اصطياده، خصوصاً وأن المسلمين ما خرجوا إلا لرد العدوان، وها هو العدو أعجز من أن يضرهم، فأمر النبي برفع الحصار إذا لم يكن للمسلمين من هدف سوى إبعاد الخطر، وقد كان.

وفي طريق عودتهم طلب بعضهم من النبي، في نفس المكان الذي قذف فيه بالحجارة من قبل، أن يستنزل غضب الله على الأعداء. ولكنه بدلاً من أن يلعنهم ويستنزل عليهم غضب ربه، أخذ يصلي ويتضرع من أجلهم، ويبتهل إلى الله أن يهدي ثقيفاً إلى الإسلام، وأن تنضم إلى لواء النبي ﷺ. وقبل الله دعاءه، فلم ينقض وقت طويل حتى دخل الجميع في دين الله أفواجاً، طوعاً، ومن تلقاء أنفسهم. انتهى.
شعراً:

أَسِيرُوا الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفُ
لَهُ عَن طَرِيقِ الْحَقِّ قَلْبٌ مُّخَالِفُ
قَدِيمًا عَصَى عَمْدًا وَجَهْلًا وَغِرَّةً
وَلَمْ يَنْهَهُ قَلْبٌ مِّنَ اللَّهِ خَائِفُ
تَزِيدُ سِنُوهُ وَهُوَ يَزْدَادُ ضِلَّةً
فَهَا هُوَ فِي لَيْلِ الضَّلَالَةِ عَاكِفُ
تَطَلَّعَ صُبْحُ الشَّيْبِ وَالْقَلْبُ مُظْلِمٌ
فَمَا طَافَ فِيهِ مِنْ سَنَاءِ الْحَقِّ طَائِفُ
ثَلَاثُونَ عَامًا قَدْ تَوَلَّتْ كَانَهَا
حُلُومٌ مَنَامٍ أَوْ بُرُوقٌ خَوَاطِفُ
وَجَاءَ الْمَشِيبُ الْمُنْدِرُ الْمَرءَ أَنَّهُ
إِذَا ارْتَحَلْتَ عَنْهُ الشَّيْبَةَ تَالِفُ
فَيَا أَيُّهَا الْمَغْرُورُ قَدْ أَدْبَرَ الصَّبَا
وَنَادَاكَ مِنْ سِنِّ الْكُهُولَةِ هَاتِفُ
فَهَلْ أَرَقَ الطَّرْفَ الزَّمَانُ الَّذِي مَضَى
وَأَبْكَاهُ ذَنْبٌ قَدْ تَقَدَّمَ سَالِفُ
فَخُذْ بِالْدمُوعِ الحُمْرِ حُزْنًا وَحَسْرَةً
فَدَمْعُكَ يُنْبِي أَنَّ قَلْبَكَ آسِفُ

نَسْأَلُ أَنْ يُورَفِقَنَا لِتَدْبِيرِ آيَاتِهِ وَفَهْمِ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ وَالْعَمَلِ بِهِمَا وَأَنْ يَرْزُقَنَا
الْإِنْتِفَاعَ بِمُرُورِ الزَّمَنِ عَلَى خَيْرِ وَجْهِ إِنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ ، اللَّهُمَّ أَيْقِظْنَا مِنْ
هَذِهِ السَّنَةِ وَوَفِّقْنَا لِاتِّبَاعِ ذَوِي النُّفُوسِ الْمُحْسِنَةِ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي
الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ، اللَّهُمَّ وَآتِنَا أَفْضَلَ مَا تُؤْتِي عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ .
اللَّهُمَّ كَمَا صُنْتَ وَجُوهَنَا عَنِ السُّجُودِ لِغَيْرِكَ فَصُنْ وَجُوهَنَا عَنِ الْمَسْأَلَةِ
لِغَيْرِكَ . اللَّهُمَّ مَنْ كَانَ عَلَى هَوَىٍّ وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ فَرُدَّهُ إِلَى الْحَقِّ حَتَّى لَا
يَظَلَّ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ . اللَّهُمَّ لَا تَشْغَلْ قُلُوبَنَا بِمَا تَكْفَلْتَ لَنَا بِهِ وَلَا تَجْعَلْنَا فِي
رِزْقِكَ حَوْلًا لِغَيْرِكَ وَلَا تَمْنَعْنَا خَيْرَ مَا عِنْدَكَ بِشَرِّ مَا عِنْدَنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

صفات المنافقين للامام ابن القيم

« فَضْلٌ »

وَأَمَّا التَّفَاقُ : فَالِدَاءُ الْعُضَالُ ، وَالْبَاطِنُ الَّذِي يَكُونُ الرَّجُلُ مُمْتَلِكًا مِنْهُ ،
وَهُوَ لَا يَشْعُرُ . فَإِنَّهُ أَمْرٌ خَفِيٌّ عَلَى النَّاسِ . وَكَثِيرًا مَا يَخْفَى عَلَى مَنْ تَلَبَّسَ بِهِ
فَيَزْعُمُ أَنَّهُ مُصْلِحٌ وَهُوَ مُفْسِدٌ .

وَهُوَ نَوْعَانِ : أَكْبَرُ ، وَأَصْغَرُ . فَالْأَكْبَرُ : يُوجِبُ الْخُلُودَ فِي النَّارِ فِي
دَرَكِهَا الْأَسْفَلِ وَهُوَ أَنْ يُظْهَرَ لِلْمُسْلِمِينَ إِيمَانُهُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ . وَهُوَ فِي الْبَاطِنِ مُنْسَلَخٌ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ مُكَذِّبٌ بِهِ . لَا يُؤْمِنُ أَنَّ
اللَّهَ تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ أَنْزَلَهُ عَلَى بَشَرٍ جَعَلَهُ رَسُولًا لِلنَّاسِ ، يَهْدِيهِمْ بِإِذْنِهِ ،
وَيُنذِرُهُمْ بِأَسْأَةِ ، وَيَخَوْفُهُمْ عِقَابَهُ .

وَقَدْ هَتَكَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَسْتَارَ الْمُنَافِقِينَ ، وَكَشَفَ أَسْرَارَهُمْ فِي الْقُرْآنِ ،

وَجَلَى لِعِبَادِهِ أُمُورَهُمْ لِيَكُونُوا مِنْهَا وَمِنْ أَهْلِهَا عَلَى حَذِرٍ ، وَذَكَرَ طَوَائِفَ الْعَالَمِ
الْثَلَاثَةِ فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ : الْمُؤْمِنِينَ ، وَالْكَفَّارَ ، وَالْمُنَافِقِينَ ، فَذَكَرَ فِي
الْمُؤْمِنِينَ أَرْبَعَ آيَاتٍ ، وَفِي الْكَفَّارِ آيَتَيْنِ ، وَفِي الْمُنَافِقِينَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ آيَةً
لِكَثْرَتِهِمْ وَعُمُومِ الْإِبْتِلَاءِ بِهِمْ ، وَشِدَّةِ فِتْنَتِهِمْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ ، فَإِنَّ بَلِيَّةَ
الْإِسْلَامِ بِهِمْ شَدِيدَةٌ جِدًّا ، لِأَنَّهُمْ مَنسُوبُونَ إِلَيْهِ ، وَإِلَى نُصْرَتِهِ وَمُؤَالَاتِهِ ،
وَهُمْ أَعْدَاؤُهُ فِي الْحَقِيقَةِ ، يُخْرِجُونَ عَدَاوَتَهُ فِي كُلِّ قَالِبٍ ، يَظُنُّ الْجَاهِلُ أَنَّهُ
عَلِمٌ وَإِصْلَاحٌ وَهُوَ غَايَةُ الْجَهْلِ وَالْإِفْسَادِ .

فَلِلَّهِ كَمٌ مِنْ مَعْقَلٍ لِلْإِسْلَامِ قَدْ هَدَمُوهُ!؟ وَكَمْ مِنْ حِصْنٍ لَهُ قَدْ قَلَعُوا
أَسَاسَهُ وَخَرَّبُوهُ!؟ وَكَمْ مِنْ عِلْمٍ لَهُ قَدْ طَمَسُوهُ!؟ وَكَمْ مِنْ لُؤَاءٍ لَهُ مَرْفُوعٌ قَدْ
وَضَعُوهُ!؟ وَكَمْ ضَرَبُوا بِمَعَاوِلِ الشُّبُهَةِ فِي أَصُولِ غِرَاسِهِ لِيُقْلَعُوهَا!؟ وَكَمْ
عَمَّوْا عُيُونَ مَوَارِدِهِ بَارَانِهِمْ لِيَنْدِفِنُوهَا وَيَقْطَعُوهَا!؟ .

فَلَا يَزَالُ الْإِسْلَامُ وَأَهْلُهُ مِنْهُمْ فِي مِحْنَةٍ وَبَلِيَّةٍ ، وَلَا يَزَالُ يَطْرُقُهُ مِنْ
شُبُهِهِمْ سَرِيَّةٌ بَعْدَ سَرِيَّةٍ ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ بِذَلِكَ مُصْلِحُونَ ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمْ
الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ
نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾

اتَّفَقُوا عَلَى مُفَارَقَةِ الْوَحْيِ ، فَهُمْ عَلَى تَرْكِ الْإِهْتِدَاءِ بِهِ مُجْتَمِعُونَ
﴿ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا . كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ ﴿ يُوحِي
بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ ﴿ وَأَلْجُلِ ذَلِكَ ﴾ اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ
مَهْجُورًا ﴿ .

دَرَسَتْ مَعَالِمُ الْإِيمَانِ فِي قُلُوبِهِمْ فَلَيْسُوا يَعْرِفُونَهَا ، وَذَثَرَتْ مَعَاهِدُهُ
عِنْدَهُمْ فَلَيْسُوا يَعْمُرُونَهَا ، وَأَفَلَتْ كَوَاكِبُهُ النَّيِّرَةَ مِنْ قُلُوبِهِمْ فَلَيْسُوا يُحْيُونَهَا .

وَكَسَفَتْ شَمْسُهُ عِنْدَ اجْتِمَاعِ ظُلْمِ آرَائِهِمْ وَأَفْكَارِهِمْ فَلَيْسُوا يُبْصِرُونَهَا ، لَمْ يَقْبَلُوا هُدَى اللَّهِ الَّذِي أَرْسَلَ بِهِ رَسُولَهُ . وَلَمْ يَرْفَعُوا بِهِ رَأْسًا ، وَلَمْ يَرَوْا بِالْأَعْرَاضِ عَنْهُ إِلَى آرَائِهِمْ وَأَفْكَارِهِمْ بَأْسًا ، خَلَعُوا نُصُوصَ الْوَحْيِ عَنِ سَلْطَنَةِ الْحَقِيقَةِ ، وَعَزَلُوهَا عَنْ وِلَايَةِ الْيَقِينِ وَشَنُّوا عَلَيْهَا غَارَاتِ التَّأْوِيلَاتِ الْبَاطِلَةِ ، فَلَا يَزَالُ يَخْرُجُ عَلَيْهَا مِنْهُمْ كَمِينٌ بَعْدَ كَمِينٍ ، نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ نُزُورَ الضَّيْفِ عَلَى أَقْوَامٍ لِنَامٍ ، فَقَابَلُوهَا بِغَيْرِ مَا يَتَّبِعِي لَهَا مِنَ الْقَبُولِ وَالْإِكْرَامِ ، وَتَلَقَّوْهَا مِنْ بَعِيدٍ ، وَلَكِنْ بِالذَّفْعِ فِي الصُّدُورِ مِنْهَا وَالْأَعْجَازِ ، وَقَالُوا : مَا لَكَ عِنْدَنَا مِنْ عُبُورٍ - وَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ - فَعَلَى سَبِيلِ الْإِجْتِيَازِ ، أَعَدُّوا لِدَفْعِهَا أَصْنَافَ الْعُدَدِ وَضُرُوبَ الْقَوَائِنِ ، وَقَالُوا - لَمَّا حَلَّتْ بِسَاحَتِهِمْ - مَا لَنَا وَلِظَوَاهِرِ لَفْظِيَّةٍ لَا تُفِيدُنَا شَيْئًا مِنَ الْيَقِينِ ، وَعَوَامُّهُمْ قَالُوا : حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ حَلْفُنَا مِنْ الْمُتَأَخِّرِينَ ، فَإِنَّهُمْ أَعْلَمُ بِهَا مِنَ السَّلْفِ الْمَاضِينَ ، وَأَقْوَمُ بِطُرُقِ الْحُجَجِ وَالْبَرَاهِينِ ، وَأُولَئِكَ غَلَبَتْ عَلَيْهِمُ السَّدَاجَةُ وَسَلَامَةُ الصُّدُورِ وَلَمْ يَتَفَرَّغُوا لِتَمْهِيدِ قَوَاعِدِ النَّظَرِ ، وَلَكِنْ صَرَفُوا هَمَّهُمْ إِلَى فِعْلِ الْمَأْمُورِ وَتَرَكُوا الْمَحْظُورَ ، فَطَرِيقَةُ الْمُتَأَخِّرِينَ : أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ ، وَطَرِيقَةُ السَّلْفِ الْمَاضِينَ : أَجْهَلُ ، لَكِنَّا أَسْلَمُ

أَنْزَلُوا نُصُوصَ السُّنَّةِ وَالْقُرْآنِ مَنزَلَةَ الْخَلِيفَةِ فِي هَذَا الزَّمَانِ ، اسْمُهُ عَلَى السُّكَّةِ وَفِي الْخُطْبَةِ فَوْقَ الْمَنَابِرِ مَرْفُوعٌ ، وَالْحُكْمُ النَّافِذُ لِغَيْرِهِ ، فَحُكْمُهُ غَيْرُ مَقْبُولٍ وَلَا مَسْمُوعٍ ، لَبَسُوا ثِيَابَ أَهْلِ الْإِيمَانِ عَلَى قُلُوبِ أَهْلِ الزُّبُغِ وَالْخُسْرَانِ ، وَالْعِلْ وَالْكَفْرَانِ ، فَالظُّوَاهِرُ ظَوَاهِرُ الْأَنْصَارِ ، وَالْبَوَاطِنُ قَدْ تَحَيَّرَتْ إِلَى الْكُفْرَانِ ، فَالَسْتُهُمُ أَلْسِنَةُ الْمُسَالِمِينَ ، وَقُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الْمُحَارِبِينَ ، وَيَقُولُونَ : ﴿ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ .

رَأْسُ مَالِهِمُ الْخَدِيعَةُ وَالْمَكْرُ ، وَبِضَاعَتُهُمُ الْكَذِبُ وَالْحَخْرُ ، وَعِنْدَهُمُ الْعَقْلُ الْمَعِيشِيُّ : أَنَّ السَّفَرِيقَيْنِ عَنْهُمُ رَاضُونَ ، وَهُمْ بَيْنَهُمُ آمِنُونَ ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا . وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ .

قَدْ أَنهَكَتْ أَمْرَاضُ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ قُلُوبَهُمْ فَأَهْلَكَتْهَا وَعَلَبَتْ الْقُصُورَ السَّيِّئَةَ عَلَى إِرَادَاتِهِمْ وَنِيَّاتِهِمْ فَأَفْسَدَتْهَا ، فَفَسَادُهُمْ قَدْ تَرَامَى إِلَى الْهَلَاكِ ، فَعَجَزَ عَنْهُ الْأَطِبَّاءُ الْعَارِفُونَ ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ .

مَنْ عَلِقَتْ مَخَالِبُ شُكُوكِهِمْ بِأَدِيمِ إِيْمَانِهِ مَزَقَتْهُ كُلَّ تَمْزِيقٍ ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَرْرَ فِتْنَتِهِمْ بِقَلْبِهِ الْفَقَاهُ فِي عَذَابِ الْحَرِيقِ ، وَمَنْ دَخَلَتْ شُبُهَاتُ تَلْيِيسِهِمْ فِي مَسَامِعِهِ حَالَتْ بَيْنَ قَلْبِهِ وَبَيْنَ التَّصْدِيقِ ، فَفَسَادُهُمْ فِي الْأَرْضِ كَثِيرٌ وَأَكْثَرُ النَّاسِ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ : لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ، إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ .

الْمُتَمَسِّكُ عِنْدَهُمْ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَنِ صَاحِبُ ظَوَاهِرٍ ، مَبْخُوسٌ حَظٌّ مِنَ الْمَعْقُولِ ، وَالذَّائِرُ مَعَ النُّصُوصِ عِنْدَهُمْ كَحِمَارٍ يَحْمِلُ أُسْفَاراً فَهَمَّهُ فِي حَمْلِ الْمَنْقُولِ وَبِضَاعَةُ تَاجِرِ الْوَحْيِ لَدَيْهِمْ كَاسِدَةٌ ، وَمَا هُوَ عِنْدَهُمْ بِمَقْبُولٍ ، وَأَهْلُ الْأَتْبَاعِ عِنْدَهُمْ سُفَهَاءُ فَهَمُّ فِي خَلَوَاتِهِمْ وَمَجَالِسِهِمْ بِهِمْ يَنْتَظِرُونَ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا : أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ؟ إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ . قَالَ الشَّاعِرُ : « رَمْتَنِي بِدَائِهَا وَأَنْسَلَّتْ »

لِكُلِّ مِنْهُمْ وَجْهَانِ : وَجْهٌ يَلْقَى بِهِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَوَجْهٌ يَنْقَلِبُ بِهِ إِلَى إِخْوَانِهِ مِنَ الْمُلْحِدِينَ ، وَلَهُ لِسَانَانِ : أَحَدُهُمَا يَقْلِبُهُ بِظَاهِرِ الْمُسْلِمِينَ ، وَالْآخَرَ يترجمُ بِهِ عَنِ سِرِّهِ الْمَكْنُونِ ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا

إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون ﴿

فَدَّأَعْرَضُوا عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ اسْتِهْزَاءً بِأَهْلِهِمَا وَاسْتِحْقَاراً ، وَأَبَوْا أَنْ
يَنْقَادُوا لِحُكْمِ الْوَحْيَيْنِ فَرِحَآ بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي لَا يَنْفَعُ الْاسْتِكْبَارَ مِنْهُ
إِلَّا شَرًّا وَاسْتِكْبَاراً ، فَتَرَاهُمْ أَبْدَاءً بِالْمُتَمَسِّكِينَ بِصَرْيْحِ الْوَحْيِ يَسْتِهْزِئُونَ ﴿ اللهُ
يَسْتِهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿

خَرَجُوا فِي طَلَبِ التَّجَارَةِ الْبَائِرَةِ فِي بَحَارِ الظُّلُمَاتِ ، فَركَبُوا مَرَآكِبَ
السُّبُهَةِ وَالشُّكُوكِ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجِ الْخَيَالَاتِ ، فَلَعِبَتْ بِسُفْنِهِمُ الرِّيحُ
الْعَاصِيفُ ، فَأَلْقَتْهَا بَيْنَ سُفْنِ الْهَالِكِينَ ﴿ أَوْلَيْكَ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلَالَهَ
بِالْهُدَى ، فَمَا رِبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ ، وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿

أَضَاءَتْ لَهُمْ نَارُ الْإِيمَانِ فَأَبْصَرُوا فِي ضَوْئِهَا مَوَاقِعَ الْهُدَى وَالضَّلَالِ ،
ثُمَّ طَفِيَءَ ذَلِكَ النُّورُ ، وَبَقِيَ نَارًا تَتَأَجَّجُ ذَاتَ لَهَبٍ وَاشْتِعَالٍ ، فَهَمَّ بِتِلْكَ النَّارِ
مُعْدِبُونَ ، وَفِي تِلْكَ الظُّلُمَاتِ يَعْمَهُونَ ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا
أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿

أَسْمَاعُ قُلُوبِهِمْ قَدْ أَثْقَلَهَا الْوَقْرُ ، فَهِيَ لَا تَسْمَعُ مُنَادِيَ الْإِيمَانِ ، وَعَيُونَ
بَصَائِرِهِمْ عَلَيْهَا غِشَاوَةٌ الْعَمَى ، فَهِيَ لَا تُبْصِرُ حَقَائِقَ الْقُرْآنِ ، وَأَلْسِنَتُهُمْ بِهَا
خَرَسٌ عَنِ الْحَقِّ ، فَهَمَّ بِهِ لَا يَنْطِقُونَ ﴿ صُمُّكُمْ عَمَى فَهَمَّ لَا يَرْجِعُونَ ﴿

صَابَ عَلَيْهِمْ صَيْبُ الْوَحْيِ ، وَفِيهِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ ، فَلَمْ
يَسْمَعُوا مِنْهُ إِلَّا رَعْدَ التَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ وَالتَّكْلِيفِ الَّتِي وَطَّغَتْ عَلَيْهِمْ فِي الْمَسَاءِ
وَالصَّبَاحِ ، فَجَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ ، وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ ، وَجَدُّوا فِي
الْهَرَبِ ، وَالطَّلَبِ فِي آثَارِهِمُ وَالصِّيَاحِ ، فَسُودِيَ عَلَيْهِمْ عَلَى رُؤُوسِ
الْأَشْهَادِ ، وَكُشِفَتْ حَالُهُمْ لِلْمُسْتَبْصِرِينَ ، وَضُرِبَ لَهُمْ مَثَلَانِ بِحَسَبِ حَالِ

الطَائِفَتَيْنِ مِنْهُمُ : الْمُنَاطِرَيْنِ وَالْمُقَلِّدَيْنِ ، فَقِيلَ (أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ، وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ) .

ضَعُفَتْ أَبْصَارُ بَصَائِرِهِمْ عَنْ احْتِمَالِ مَا فِي الصَّيْبِ مِنْ بَرُوقِ أَنْوَارِهِ وَضِيَاءِ مَعَانِيهِ ، وَعَجَزَتْ أَسْمَاعُهُمْ عَنْ تَلْقَى رُغُودِ وَعُودِهِ وَأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ ، فَقَامُوا عِنْدَ ذَلِكَ حَيَارَى فِي أَوْدِيَةِ التِّيهِ ، لَا يَنْتَفِعُ بِسَمْعِهِ السَّمِيعُ ، وَلَا يَهْتَدِي بِبَصَرِهِ الْبَصِيرُ (كَلِمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ ، وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) .
وَاللَّهُ أَعْلَمُ
فَصَلِّ :

لَهُمْ عِلَامَاتٌ يُعْرِفُونَ بِهَا مُبَيَّنَةً فِي السُّنَّةِ وَالْقُرْآنِ ، بِأَدِيَّةٍ لِمَنْ تَدَبَّرَهَا مِنْ أَهْلِ بَصَائِرِ الْإِيمَانِ ، قَامَ بِهِمْ - وَاللَّهُ - الرِّيَاءُ ، وَهُوَ أَقْبَحُ مَقَامٍ قَامَهُ الْإِنْسَانُ ، وَقَعَدَ بِهِمُ الْكَسَلُ عَمَّا أَمُرُوا بِهِ مِنْ أَوَامِرِ الرَّحْمَنِ ، فَأَصْبَحَ الْإِخْلَاصُ عَلَيْهِمْ لِذَلِكَ ثَقِيلًا (وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاوُونَ النَّاسَ ، وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا) .

أَحَدُهُمْ كَالشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمِينَ ، تَيَعَّرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً ، وَلَا تَسْتَقِرُّ مَعَ إِحْدَى الْفَتَاتَيْنِ ، فَهُمُ وَأَقْفُونَ بَيْنَ الْجَمْعَيْنِ ، يَنْظُرُونَ أَيُّهُمُ أَقْوَى وَأَعَزُّ قَبِيلًا (مُدْبَذِبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ ، وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ ، وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا) .

يَتَرَبَّصُونَ الدَّوَائِرَ بِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْقُرْآنِ . فَإِنْ كَانَ لَهُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ ، قَالُوا : أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ ؟ وَأَقْسَمُوا عَلَى ذَلِكَ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ، وَإِنْ كَانَ لِأَعْدَاءِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنَ النَّصْرَةِ نَصِيبٌ ، قَالُوا : أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ عَقْدَ الْإِخْوَاءِ بَيْنَنَا مُحْكَمٌ ، وَأَنَّ النَّسَبَ بَيْنَنَا قَرِيبٌ ؟ فَيَا مَنْ يُرِيدُ مَعْرِفَتَهُمْ ، خُذْ صِفَاتِهِمْ

مِنْ كَلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَلَا تَحْتَاجُ بَعْدَهُ دَلِيلًا (الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْحٌ مِنَ اللَّهِ ، قَالُوا : أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ ؟ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ ، قَالُوا : أَلَمْ نَسْتَحْزِدْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا)

يُعْجِبُ السَّمَاعَ قَوْلُ أَحَدِهِمْ لِحَلَاوَتِهِ وَلِيْنِهِ ، وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ مِنْ كُذْبِهِ وَمَيْنِهِ ، فَتَرَاهُ عِنْدَ الْحَقِّ نَائِمًا ، وَفِي الْبَاطِلِ عَلَى الْأَقْدَامِ فَخْذٌ وَضْفُهُمْ مِنْ قَوْلِ الْقُدُّوسِ السَّلَامِ : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ ، وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ) .

أَوْامِرُهُمُ الَّتِي يَأْمُرُونَ بِهَا أَتْبَاعَهُمْ مُتَضَمِّنَةٌ لِفَسَادِ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ ، وَنَوَاهِينِهِمْ عَمَّا فِيهِ صَلَاحُهُمْ فِي الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ ، وَأَحَدُهُمْ تَلْقَاهُ بَيْنَ جَمَاعَةٍ أَهْلِ الْإِيمَانِ فِي الصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ وَالزُّهْدِ وَالْاجْتِهَادِ ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴾ .

فَهُمْ جِنْسٌ بَعْضُهُ يُشْبِهُ بَعْضًا ، يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ بَعْدَ أَنْ يَفْعَلُوهُ ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ بَعْدَ أَنْ يَتْرُكُوهُ ، وَيَبْخُلُونَ بِالْمَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَرْضَاتِهِ أَنْ يُتَّفِقُوهُ ، كَمْ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ بِنِعْمِهِ فَأَعْرَضُوا عَنْ ذِكْرِهِ وَنَسُوهُ ؟ وَكَمْ كَشَفَ حَالَهُمْ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَجْتَنِبُوهُ ؟ فَاسْمَعُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنِينَ : ﴿ الْمَنَافِقُونَ وَالْمَنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ ، وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ، نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ، إِنَّ الْمَنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .

إِنْ حَاكَمْتَهُمْ إِلَى صَرِيحِ الْوَحْيِ وَجَدْتَهُمْ عَنْهُ نَافِرِينَ ، وَإِنْ دَعَوْتَهُمْ إِلَى حُكْمِ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَيْتَهُمْ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ، فَلَوْ شَهِدَتْ حَقَائِقُهُمْ لَرَأَيْتَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْهُدَى أَمْدًا بَعِيدًا ، وَرَأَيْتَهَا مُعْرِضَةً عَنْ

الْوَحْيِ إِعْرَاضاً شَدِيداً ﴿ وَآذَا قِيلَ لَهُمْ : تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ ، رَأَيْتِ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴾ .

فَكَيْفَ لَهُمْ بِالْفَلَاحِ وَالْهُدَى ! بَعْدَ مَا أُصِيبُوا فِي عُقُولِهِمْ وَأَدْيَانِهِمْ وَأَنْتَى لَهُمُ التَّخَلُّصُ مِنَ الضَّلَالِ وَالرَّدَى ؟ وَقَدْ اشْتَرَوْا الْكُفْرَ بِإِيمَانِهِمْ ؟ فَمَا أَحْسَرَ تِجَارَتَهُمُ الْبَائِرَةَ ! وَقَدْ اسْتَبَدَّلُوا بِالرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ حَرِيقًا ﴿ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ، ثُمَّ جَاؤُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ : إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا أَحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴾ .

نَسَبَ زَقُومُ الشُّبُهَةِ وَالشُّكُوكِ فِي قُلُوبِهِمْ . فَلَا يُجِدُونَ لَهُ مَسِيغًا ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ، فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ ، وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ .

تَبَأَ لَهُمْ ، مَا أَبَعَدَهُمْ عَنِ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ ! وَمَا أَكْذَبَ دَعْوَاهُمْ لِلتَّحْقِيقِ وَالْعِرْفَانِ ، فَالْقَوْمُ فِي شَأْنِ وَأَتْبَاعُ الرَّسُولِ فِي شَأْنِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ .
فصل :

لَقَدْ أَقْسَمَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ فِي كِتَابِهِ بِنَفْسِهِ الْمُقَدَّسَةِ قَسَمًا عَظِيمًا يَعْرِفُ مَضْمُونَهُ أَوْلُوا الْبَصَائِرِ ، فَقُلُوبُهُمْ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ إِجْلَالًا لَهُ وَتَعْظِيمًا ، فَقَالَ تَعَالَى تَحْذِيرًا لِأَوْلِيَائِهِ وَتَنْبِيْهُا عَلَى حَالِ هَوْلَاءِ وَتَفْهِيمًا : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ ، وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

تَسْبِقُ يَمِينُ أَحَدِهِمْ كَلَامَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُعْتَرِضَ عَلَيْهِ ، لِعِلْمِهِ أَنَّ قُلُوبَ أَهْلِ الْإِيمَانِ لَا تَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ ، فَيَتَبَرَّأُ بِسَمِيئَتِهِ مِنْ سُوءِ الظَّنِّ بِهِ وَكَشَفَ مَا لَدَيْهِ ، وَكَذَلِكَ أَهْلُ الرِّيَّةِ يَكْذِبُونَ ، وَيَحْلِفُونَ لِيَحْسَبَ السَّمِيعُ أَنَّهُمْ صَادِقُونَ قَدْ ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً ، فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا

يعملون ﴿ قال الشاعر :

أَمْسَى الْبِفَاقُ دُرُوعاً يُسْتَجَنُّ بِهَا عَنِ الْأَذَى وَيُقَوِّي سَرْدَهَا الْحَلِيفُ

تَبَّأَ لَهُمْ بَرَزُوا إِلَى الْبَيْدَاءِ مَعَ رَكْبِ الْإِيمَانِ ، فَلَمَّا رَأَوْا طُولَ الطَّرِيقِ
وَبَعْدَ الشُّقَّةِ نَكَّصُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ وَرَجَعُوا ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ يَتَمَتَّعُونَ بِطَيْبِ الْعَيْشِ
وَلَذَّةِ الْمَنَامِ فِي دِيَارِهِمْ ، فَمَا مَتَّعُوا بِهِ وَلَا بَيَّتَكَ الْهَجْعَةَ انْتَفَعُوا ، فَمَا هُوَ إِلَّا
أَنْ صَاحَ بِهِمُ الصَّاحِحُ فَقَامُوا عَنْ مَوَائِدِ أَطْعِمَتِهِمْ وَالْقَوْمُ جِيَاعٌ مَا شَبِعُوا ،
فَكَيْفَ حَالُهُمْ عِنْدَ الْإِقْدَاءِ ؟ وَقَدْ عَرَفُوا ثَمَّ أَنْكُرُوا ، وَعَمُّوا بَعْدَ مَا عَابَتُوا الْحَقَّ
وَأَبْصَرُوا ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ .

أَحْسَنُ النَّاسِ أَجْسَاماً وَأَخْلَبُهُمْ لِسَاناً وَالْأَطْفَهُمُ بَيَاناً وَأَخْبِيثُهُمْ قُلُوباً
وَأَضْعَفُهُمْ جَنَاناً ، فَهُمْ كَالْخَشَبِ الْمُسْتَدَّةِ الَّتِي لَا ثَمَرَ لَهَا ، قَدْ قُلِعَتْ مِنْ
مَغَارِسِهَا فَتَسَانَدَتْ إِلَى حَائِطٍ يُقِيمُهَا لِئَلَّا يَطَّأَهَا السَّالِكُونَ ، ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ
تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ، وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ، كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْتَدَّةٌ ،
يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ، هُمْ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُهُمْ ! قَاتِلُهُمُ اللَّهُ ! أَنَّى
يُؤْفَكُونَ !

يُؤَخَّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا الْأَوَّلِ إِلَى شَرْقِ الْمَوْتَى ، فَالصُّبْحُ عِنْدَ
طُلُوعِ الشَّمْسِ ، وَالْعَصْرُ عِنْدَ الْغُرُوبِ ، وَيَنْقَرُونَهَا نَقْرَ الْغُرَابِ ، إِذْ هِيَ
صَلَاةُ الْأَبْدَانِ لَا صَلَاةُ الْقُلُوبِ ، وَيَلْتَفِتُونَ فِيهَا الْبِفَاتَةِ الثَّعْلَبِ ، إِذْ يَتَيَقَّنُ أَنَّهُ
مَطْرُودٌ مَطْلُوبٌ ، وَلَا يَشْهَدُونَ الْجَمَاعَةَ ، بَلْ إِنْ صَلَّى أَحَدُهُمْ فِي الْبَيْتِ أَوْ
الدُّكَّانِ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ
أَخْلَفَ ، وَإِذَا اتَّخَذَ خَانَ ، هَذِهِ مُعَامَلَتُهُمْ لِلْخَلْقِ ، وَتِلْكَ مُعَامَلَتُهُمْ
لِلْخَالِقِ ، فَخُذْ وَصْفَهُمْ مِنْ أَوَّلِ ﴿ الْمُطْفِفِينَ ﴾ وَآخِرِ ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴾

فَلَا يُبْنِكُ عَنْ أَوْصَافِهِمْ مِثْلَ خَبِيرٍ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ
وَأَغْلظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَبِسُ الْمَصِيرُ ﴾ .

فَمَا أَكْثَرَهُمْ ! وَهُمْ الْأَقْلُونَ ، وَمَا أَجْبَرَهُمْ !- وَهُمْ الْأَذْلُونَ ، وَمَا
أَجْهَلُهُمْ ! وَهُمْ الْمُتَعَالِمُونَ ، وَمَا أَغْرَهُمْ بِاللَّهِ ! إِذْ هُمْ بَعْظَمَتِهِ جَاهِلُونَ
﴿ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ ، وَمَا هُمْ مِنْكُمْ ، وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾ .

إِنْ أَصَابَ أَهْلَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَافِيَةٌ وَنَصْرٌ وَظُهُورٌ ، سَاءَ لَهُمْ ذَلِكَ
وَعَمَّهُمْ ، وَإِنْ أَصَابَهُمْ ابْتِلَاءٌ مِنَ اللَّهِ وَامْتِحَانٌ بِمَحْصُصٍ بِهِ ذُنُوبُهُمْ وَيُكْفَرُ بِهِ
عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ أَفْرَحَهُمْ ذَلِكَ وَسَرَّهُمْ وَهَذَا يُحَقِّقُ إِرْتَهُمَ وَإِرْتِثَ مَنْ عَدَاهُمْ ،
وَلَا يَسْتَوِي مَنْ مَوْرُوثُهُ الرَّسُولُ وَمَنْ مَوْرُوثُهُ الْمُنَافِقُونَ ﴿ إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ
تَسْؤُهُمْ ، وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ ، وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ
فَرِحُونَ ، قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ، هُوَ مَوْلَانَا ، وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى فِي شَأْنِ السَّلَفِينَ الْمُخْتَلِفِينَ ، وَالْحَقُّ لَا يَنْدَفِعُ
بِمُكَابَرَةِ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالتَّخْلِيْطِ ﴿ إِنْ تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسْؤُهُمْ ، وَإِنْ تُصِيبَكُمْ
سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ، وَإِنْ تَضَرَّبُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرُكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ، إِنَّ اللَّهَ بِمَا
يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ .

كَرِهَ اللَّهُ طَاعَاتِهِمْ لِخُبْتِ قُلُوبِهِمْ وَفَسَادِ نِيَّاتِهِمْ ، فَتَبَّطَهُمْ عَنْهَا
وَأَقْعَدَهُمْ ، وَأَبْغَضَ قُرْبَهُمْ مِنْهُ وَجَوَّارَهُ ، لِمِيلِهِمْ إِلَى أَعْدَائِهِ ، فَطَرَدَهُمْ عَنْهُ
وَأَبْعَدَهُمْ ، وَأَعْرَضُوا عَنْ وَحْيِهِ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ ، وَأَشْقَاهُمْ وَمَا أَسْعَدَهُمْ ،
وَحَكَمَ عَلَيْهِمْ بِحُكْمِ عَدْلِ لَا مَطْمَعَ لَهُمْ فِي الْفَلَاحِ بَعْدَهُ إِلَّا أَنْ يَكُونُوا مِنَ
التَّائِبِينَ ، فَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً ، وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ
أَنْبِعَاتِهِمْ فَتَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ ثُمَّ ذَكَرَ حِكْمَتَهُ فِي تَسْبِيْطِهِمْ

وَإِعَادِهِمْ ، وَطَرْدِهِمْ عَنْ بَابِهِ وَإِعَادِهِمْ ، وَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ لُطْفِهِ بِأَوْلِيَائِهِ
وَأَسْعَادِهِمْ ، فَقَالَ وَهُوَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ : ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا
خَبَالًا ، وَلَا أَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَتَفَوَّنُوكُمُ الْفِتْنَةَ ، وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ ، وَاللَّهُ
عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ .

ثَقُلْتُ عَلَيْهِمُ النَّصُوصُ فَكْرَهُوَهَا ، وَأَعْيَاهُمْ حَمْلُهَا فَالْتَقَوْهَا عَنْ
أَكْتَفِيهِمْ وَوَضَعُوهَا ، وَتَفَلَّتَتْ مِنْهُمْ السُّنَنُ أَنْ يَحْفَظُوهَا فَأَهْمَلُوهَا ، وَصَالَتْ
عَلَيْهِمْ نُصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَوَضَعُوا لَهَا قَوَائِينَ رَدُّوَهَا بِهَا وَدَفَعُوهَا ، وَلَقَدْ
هَتَكَ اللَّهُ أَسْتَارَهُمْ ، وَكَشَفَ أَسْرَارَهُمْ ، وَضَرَبَ لِعِبَادِهِ أَمْثَالَهُمْ ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ
كُلَّمَا انْقَرَضَ مِنْهُمْ طَوَائِفُ خَلْفَهُمْ أَمْثَالَهُمْ ، فَذَكَرَ أَوْصَافِهِمْ لِأَوْلِيَائِهِ لِيَكُونُوا
مِنْهَا عَلَى حَذَرٍ ، وَبَيَّنَّهَا لَهُمْ فَقَالَ : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرَهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ
أَعْمَالَهُمْ ﴾ (وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)

فصل : هَذَا شَأْنٌ مَنْ ثَقُلَتْ عَلَيْهِ النَّصُوصُ ، فَرَأَاهَا حَائِلَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَدْعَتِهِ
وَهَوَاهُ ، فَهِيَ فِي وَجْهِهِ . كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ ، فَبَاعَهَا بِمُحْصَلٍ مِنَ الْكَلَامِ
الْبَاطِلِ ، وَاسْتَبَدَّلَ مِنْهَا بِالْفُصُوصِ فَأَعْقَبَهُمْ ذَلِكَ أَنْ أَفْسَدَ عَلَيْهِمْ إِعْلَانَتَهُمْ
وَإِسْرَارَهُمْ ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرَهُوا مَا نَزَلَ اللَّهُ : سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ
الْأَمْرِ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَسْرَارَهُمْ ، فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ
وَأَذْبَارَهُمْ ؟ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْحَطَ اللَّهُ ، وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ ، فَأَحْبَطَ
أَعْمَالَهُمْ ﴾ .

أَسْرَوْا سَرَائِرَ النِّفَاقِ ، فَأَظْهَرَهَا اللَّهُ عَلَى صَفْحَاتِ الْوُجُوهِ مِنْهُمْ وَفَلَّتَاتِ
اللِّسَانِ ، وَوَسَمَهُمْ لِأَجْلِهَا بِسِيمَاءٍ لَا يَحْفُونَ بِهَا عَلَى أَهْلِ الْبَصَائِرِ وَالْإِيمَانِ ،
وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِذْ كَتَمُوا كُفْرَهُمْ وَأَظْهَرُوا إِيمَانَهُمْ رَاجِعًا عَلَى الصِّيَارِفِ وَالنِّقَادِ ،

كَيْفَ؟ وَالتَّاقِدُ البَصِيرُ قد كَشَفَهَا لَكُمْ ﴿ أم حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ؟ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ ، وَلِنَعْرِفَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴾ .

فَكَيْفَ إِذَا جُمِعُوا لِيَوْمِ التَّلَاقِ ، وَتَجَلَّى اللَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ - لِلْعِبَادِ وَقَدْ كَشَفَ عَنْ سَاقِي؟ وَدَعُوا إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرَاهُمْ ذَلَّةً ، وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴾ .

أَمْ كَيْفَ بِهِمْ إِذَا حُشِرُوا إِلَى جَسْرِ جَهَنَّمَ؟ وَهُوَ أَدَقُّ مِنَ الشُّعْرَةِ ، وَأَحَدٌ مِنَ الحُسَامِ ، وَهُوَ دَحْضٌ مَزَلَّةٌ ، مُظْلِمٌ ، لَا يَقْطَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا بِنُورٍ يُبْصِرُ بِهِ مَوَاطِيئَ الأَقْدَامِ ، فَكُتِبَتْ بَيْنَ النَّاسِ الأَنْوَارُ ، وَهُمْ عَلَى قَدَرٍ تَفَاوُتَهَا فِي المُرُورِ وَالدَّهَابِ ، وَأَعْطُوا نُورًا ظَاهِرًا مَعَ أَهْلِ الإسلامِ ، كَمَا كَانُوا بَيْنَهُمْ فِي هَذِهِ الدَّارِ يَأْتُونَ بِالصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ وَالحَجِّ وَالصِّيَامِ ، فَلَمَّا تَوَسَّطُوا الجَسَرَ عَصَفَتْ عَلَى أَنْوَارِهِم أَهْوِيَةُ النَّفَاقِ . فَأَطْفَأَتْ مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ المَصَابِيحِ ، فَوَقَفُوا حَيَارَى لَا يَسْتَطِيعُونَ المُرُورَ فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ الإِيمَانِ بَسُورٌ لَهُ بَابٌ ، وَلَكِنْ قَدْ حِيلَ بَيْنَ القَوْمِ وَبَيْنَ المَفَاتِيحِ ، بَاطِنُهُ - الَّذِي يَلْبِي المُؤْمِنِينَ فِيهِ الرُّحْمَةُ ، وَمَا يَلِيهِمْ مِنْ قَبْلِهِم العَذَابُ وَالتَّقِيمةُ ، يُنَادُونَ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْهُمْ وَفَدَّ الإِيمَانَ ، وَمَشَاعِلُ الرُّكْبِ تَلُوحُ عَلَى بُعْدِ كَالنُّجُومِ تَبْدُو لِنَاطِرِ الأنْسَانِ ، ﴿ انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ ﴾ لِتَمَكَّنَ فِي هَذَا المَضِيقِ مِنَ العُبُورِ ، فَقَدْ طَفِشَتْ أَنْوَارُنَا ، وَلَا جَوَازَ اليَوْمِ إِلَّا بِمِصْبَاحِ مِنَ النُّورِ ﴿ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ ، فَالْتَمِسُوا نُورًا ﴾ حَيْثُ قُتِبَتْ الأَنْوَارُ ، فَهَيْهَاتَ الوُقُوفُ لِأَحَدٍ فِي مِثْلِ هَذَا المِصْمَارِ ! كَيْفَ نَلْتَمِسُ الوُقُوفَ فِي هَذَا المَضِيقِ؟ فَهَلْ يَلُوي اليَوْمَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ فِي هَذَا الطَّرِيقِ؟ وَهَلْ يَلْتَمِسُ اليَوْمَ رَفِيقًا إِلَى رَفِيقٍ؟ فَذَكِّرْهُمْ

باجتماعهم معهم وصحبته لهم في هذه الدار ، كما يذكر الغريب صاحب
الوطن بصحبته له في الأسفار ﴿ ألم نكن معكم ؟ ﴾ ﴿ نضوم كما تصومون ،
ونصلي كما تصلون ، ونقرأ كما تقرأون ، ونتصدق كما تصدقون ، ونحج
كما تحجون ؟ فما الذي فرق بيننا اليوم حتى انفردتم دوننا بالمرور ؟ ﴾ قالوا
بلى ﴿ ولكنكم كانت ظواهركم معنا وبواطنكم مع كل ملحد ، وكل ظالم
كفور ﴾ ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانى ، حتى جاء
أمر الله وغركم بالله الغرور ، فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين
كفروا ، ماؤاكم النار هي مولاكم وبئس المصير ﴿ .

لا تستطل أوصاف القوم ، فالمتروك - والسلي - أكثر من المذكور ،
كاد القرآن أن يكون كله في شأنهم ، لكثرتهم على ظهر الأرض وفي أجواف
القبور ، فلا خلقت بقاع الأرض منهم لئلا يستوحش المؤمنون في الطرقات ،
وتتعطل بهم أسباب المعاش ، وتخطفهم الوحوش والسباع في الفلوات ،
سمع حذيفة رضي الله عنه رجلاً يقول : اللهم أهلك المنافقين ، فقال « يا
ابن أخي ، لو هلك المنافقون لاستوحشت في طرقاتكم من قلة السالك » .

تالله لقد قطع خوف النفاق قلوب السابقين الأولين لعلمهم بدقه
وجله ، وتفاصيله وجمليه ، ساءت ظنونهم بنفوسهم ، حتى خشوا أن يكونوا
من جملة المنافقين ، قال عمر بن الخطاب لحذيفة رضي الله عنهما : « يا
حذيفة ، نشدتك بالله ، هل سماني لك رسول الله صلى الله عليه وسلم
منهم ؟ قال : لا ، ولا أركبي بعدك أحداً ، وقال ابن أبي مليكة ، أدركت
ثلاثين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على
نفسه ، ما منهم أحد يقول : إن إيمانه كإيمان جبريل وميكائيل » ذكره
البخاري ، وذكر عن الحسن البصري « ما أمته إلا منافق ، وما خافه إلا

مؤمنٌ « وَلَقَدْ ذُكِّرَ عَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ : أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ : « اللَّهُمَّ إِنِّي
أَعُوذُ بِكَ مِنْ خُشُوعِ النَّفَاقِ ، قِيلَ : وَمَا خُشُوعُ النَّفَاقِ ؟ قَالَ : أَنْ يُرَى الْبَدَنُ
خَاشِعًا وَالْقَلْبُ لَيْسَ بِخَاشِعٍ » .

تَاللَّهِ لَقَدْ مَلِثْتُ قُلُوبَ الْقَوْمِ إِيمَانًا وَيَقِينًا ، وَخَوْفُهُمْ مِنْ النَّفَاقِ شَدِيدٌ
وَهُمْ لِدَلِّكَ ثَقِيلٌ ، وَسِوَاهُمْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ لَا يُجَاوِزُ إِيمَانَهُمْ حَنَاجِرَهُمْ ، وَهُمْ
يَدْعُونَ أَنْ إِيمَانَهُمْ كَأِيمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ .

زُرِعَ النَّفَاقُ يَنْبُتُ عَلَى سَاقِيَتَيْنِ : سَاقِيَةُ الْكَذِبِ ، وَسَاقِيَةُ الرِّيَاءِ ،
وَمَخْرَجُهُمَا مِنْ عَيْنَيْنِ : عَيْنِ ضَعْفِ الْبَصِيرَةِ ، وَعَيْنِ ضَعْفِ الْعَزِيمَةِ ، فَإِذَا
تَمَّتْ هَذِهِ الْأَرْكَانُ الْأَرْبَعُ ، اسْتَحْكَمَ نَبَاتُ النَّفَاقِ وَبُنْيَانُهُ ، وَلَكِنَّهُ بِمَدَارِجِ
السُّيُولِ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ ، فَإِذَا شَاهَدُوا سَبِيلَ الْحَقَائِقِ يَوْمَ تَبَلَّى السَّرَائِرُ ،
وَكُشِفَ الْمَسْتُورُ ، وَبُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ ، وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ، تَبَيَّنَ حِينئِذٍ
لِمَنْ كَانَتْ بِضَاعَتُهُ النَّفَاقُ ، أَنَّ حَوَاصِلَهُ الَّتِي حَصَلَهَا كَانَتْ كَالسَّرَابِ
﴿ يَحْسِبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ، وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ
حِسَابَهُ ، وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ .

قُلُوبُهُمْ عَنْ الْخَيْرَاتِ لَاهِيَةً ، وَأَجْسَادُهُمْ إِلَيْهَا سَاعِيَةً ، وَالْفَاحِشَةُ فِي
فِجَاجِهِمْ فَاشِيَةٌ ، وَإِذَا سَمِعُوا الْحَقَّ كَانَتْ قُلُوبُهُمْ عَنْ سَمَاعِهِ قَاسِيَةً . وَإِذَا
حَضَرُوا الْبَاطِلَ وَشَهِدُوا الزُّورَ ، انْفَتَحَتْ أَبْصَارُ قُلُوبِهِمْ ، وَكَانَتْ آذَانُهُمْ
وَاعِيَةً .

فَهَذِهِ - وَاللَّهِ - أَمَارَاتُ النَّفَاقِ ، فَاحْذَرِهَا أَيُّهَا الرَّجُلُ قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ بِكَ
الْقَاضِيَةُ ، إِذَا عَاهَدُوا لَمْ يَفُوا ، وَإِنْ وَعَدُوا أَخْلَفُوا وَإِنْ قَالُوا لَمْ يُنْصِفُوا ، وَإِنْ
دَعُوا إِلَى الطَّاعَةِ وَقَفُوا ، وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ : تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ

صَدَفُوا ، وَإِذَا دَعَتْهُمْ أَهْوَاؤُهُمْ إِلَىٰ أَعْرَاضِهِمْ أَسْرَعُوا إِلَيْهَا وَأَنْصَرَفُوا ، فَذَرَهُمْ وَمَا اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ مِنَ الْهَوَانِ ، وَالخِزْيِ وَالْخُسْرَانِ ، فَلَا تَبْتَغِ بِعُهُودِهِمْ ، وَلَا تَطْمَئِنِّي إِلَىٰ وَعُودِهِمْ ، فَانَّهُمْ فِيهَا كَاذِبُونَ ، وَهُمْ لِمَا سِوَاهَا مُخَالِفُونَ ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ : لَئِن آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ ، لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الْمُسَالِحِينَ ، فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ . فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ اللَّهُمَّ امْنُنْ عَلَيْنَا بِاصْلَاحِ عُيُونِنَا وَسِتْرِ زَلَّاتِنَا وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُهْتَدِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

غزوة الأحزاب

وكانت قريش تستعد لهجوم جديد على المدينة، لما كان النبي ﷺ مهتماً في إخماد ثورات القبائل، قبل أن يتطور أمرها فيصبح حرباً عواناً عليه، وتحالف يهود خيبر مع قريش، وقد نجحوا في إثارة القبائل العربية القاطنة بضواحي مكة، فانضمت إلى المناهضين للإسلام.

وبذلك اتفق اليهود وقريش وسائر قبائل العرب على توجيه الضربة للإسلام، فجمعوا جيشاً عدته عشرة آلاف مقاتل، وكان ذلك في السنة الخامسة للهجرة. ونكثت القبائل اليهودية القاطنة في داخل المدينة عهداً، في اللحظة الأخيرة، وانضمت إلى أعداء الإسلام، فأصبح مركز المسلمين حرجاً، وبات أملهم في النجاة ضعيفاً.

ثم تَرَامَتِ الْأَنْبَاءُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِخَبَرِ هَذَا الْجَمْعِ الْحَاشِدِ الَّذِي لَمْ يَسْبِقْ لَهُ مِثِيلٌ ، فَدَعَا أَصْحَابَهُ ، وَاسْتَشَارَهُمْ فِيمَا يَنْبَغِي عَمَلُهُ . لَقَدْ كَانَتْ الْمَدِينَةُ مَحْصَنَةً ،

من جهة، تحصيناً طبيعياً بالصخور، وكانت تحميها أسوار المنازل الحَجْرِيَّة، من جهة أخرى، وهذه الأسوار ممتدة فكانت حصناً مَتِيناً بطبيعتها، فلم يبق إلا جهة واحدة مفتوحة لهجوم العدو، فاقترح سلمان الفارسي، حفر خندق عميق في هذه الجهة، فشرع في حفر الخندق فوراً، وقسم المؤمنون إلى فرق، تتكون كل فرقة من عشرة، وعمل النبي ﷺ معهم، فكان يضرب الأرض، ويحمل التراب، ويقول:

اللهم إن العيش عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة.

فيردد المسلمون خلفه:

نحن اللذين بايعوا محمداً

على الجهاد ما بقينا أبداً

شخصية كبيرة، سيطرت على شعب عظيم روحياً وسياسياً، ثم تقوم بما يقوم به الرجل العادي في ساعات الحرج، عندما يتعرض الوطن للخطر، إنه عمل فريد في التاريخ، وإنها لناحية ممتازة في شخصية النبي ﷺ، إنه ليبر البصر بأعماله، فما قام بعمل إلا أداه بطريقة مُشْرِفة، وتواضع كريم نبيل، كان أقرب الزعماء قرباً من الرجل العادي، وكان أرفعهم مكانة، وأعزهم نفراً.

بينما كانوا يخفرون الخندق، صادفوا كُذْبَةً شديدة استعصت عليهم، فجاءوا النبي فقالوا: هذه كذبة عرضت في الخندق، واستأذنوه في تغيير مجرى الخندق، فقال: أنا نازل، وتناول معوله، وأخذ يضربها حتى صارت رملاً لا يتأسك، وكان كلما ضربها ضربة، تطايرت شرارة، فَيَصَوْتُ النبي ﷺ: الله أكبر.

وقال إنه رأى في الشرارة الأولى أنه أعطى مفاتيح سورية، وأنه رأى في الشرارة الثانية أنه أعطى مفاتيح فارس، وفي الشرارة الثالثة، أنه أعطى مقاليد

اليمين، وشرح لهم كيف شاهد قصور القياصرة، وقصر كسرى، وصنعاء، وبشرهم بأنهم سيسيطرون على هذه الممالك جميعها.

فَيَا لَهَا مِنْ ظَاهِرَةٍ عَجِيبَةٍ! يرى النبي ﷺ من خلال السحب القائمة، وجيوش الأعداء تحيط به من كل جانب، عازمة على إبادتهم، مُسْتَقْبِلًا سَعِيدًا عزيزاً للإسلام! أليس هذا بعجيب، فوق ما يتصور البشر، ومَنْ غير الله علام الغيوب، يستطيع أن يكشف للنبي ﷺ عن المستقبل، وما يدخره لهم مِنْ عِزَّةٍ وسلطان، في مثل هذه اللحظة العسيرة، التي يهدد الأعداء فيها الإسلام بالانقراض والدمار!؟

كانت ساعة رهيبة، تلك الساعة التي انْقَضَتْ فيها جَمُوعُ الأحزابِ على المدينة، ارتجَّتْ المدينةُ، وقد وُصِفَ في القرآن ما انتاب أهلها مِنْ قلقٍ وفَزَعٍ: «إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ، وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ، وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ، وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا، هنالك ابتلى المؤمنون، وزلزلوا زلزلاً شديداً».

وعلى الرغم من مَنَاطِرِ الْفَزَعِ وَالْهَلَعِ، فإن المسلمين كانوا مطمئنين إلى تحقيق ما وعدهم الله ورسوله، وقد وصف القرآن شعورهم. «ولما رأى المؤمنون الأحزاب، قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً».

وفطن المسلمون إلى أن هذه المحاولة هي محاولة يائسة لعدو متهالك، على الرغم من البلايا التي حاقت بهم، ونزلت بساحتهم، وأحسوا أن هذه هي المحاولة الأخيرة، وستخضد شوكة الأعداء بها إلى الأبد، وأنها بداية عهد عز الإسلام، ونشره وانتصاره.

احتاط المسلمون للأمر، فقد كانوا يخشون خيانة اليهود، أو هجوم العدو

المفاجيء، فوضعوا نساءهم وأطفالهم في مكان أمين، واستمر الحصار شهراً ذاق المسلمون خلاله ألوان العذاب والحerman.

وقد شاركهم النبي ﷺ في مصيرهم، فجاعت بطونهم، وكادوا يهلكون، وعصبوا بطونهم بالحجارة، ولكن روحهم المعنوية لم تنه ولم تتزعزع. ولو أن غطفان أخذت ثلث الثمار لَمَا انضمت إلى الأعداء، ولنقصت قوات الأعداء كثيراً.

ولكن الأنصار رفضوا على الرغم من جوعهم الشديد الذي بلغ حد الهلاك، فقد أبوا أن يقبلوا عملاً يعتبرونه ماساً لكرامتهم، فكيف يدفعون خراجاً لغطفان بعد أن شرفهم الله بالإسلام، وما كانوا يدفعون له شيئاً أيام الجاهلية، فليكن ما يكون، وليذودوا عن أنفسهم حتى آخر رجل، وإنهم لصابرون حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

كان اليهود والمنافقون ينتظرون هجوم الأعداء من الخارج، ليشيروا الشغب في الداخل، وابتدأت منازعات فردية داخلية، انتصر فيها المسلمون، وقَتَلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وَدِّدٍ، الذي كان يزعم أنه كفاء لمنازلة ألف رجل والانتصار عليهم، وهجمت قريش بكل قواها، ولكنها لم تستطع اجتياز الخندق.

ونزل على المسلمين وابل من السهام والحجارة، ولولا ثباتهم الرائع الذي أمدهم الله به، وإيمانهم العميق الذي ثبته الله، لتمكنت قريش منهم. وأخيراً جاء الفرج من السماء، وجوزوا على ثباتهم خير جزاء، فبعد أن أخفق جيش الأعداء العظيم في اقتحام الخندق، وبعد أن قلت المؤونة، وسئمو الحصار، أرسل الله عليهم ريحاً صرصراً عاتية، قلبت قدورهم، واقتلعت خيامهم، فوقع الاضطراب في صفوفهم.

وقد أشار القرآن إلى هذا: «فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها» ونجحت ريح الله بإذن الله فيما عجزت عنه أسلحة المسلمين، فلما رأت الأحزاب أن الطبيعة نفسها التي خلقها الله ودبرها وأجراها قد تألبت عليهم، تطيروا، فذب القنوط في قلوبهم، وملئوا رعباً. فقفلوا راجعين عن المدينة في نفس الليلة، فلما لاح الصباح، كان سرور المسلمين عظيماً، فقد رحل الأعداء جميعاً، وما بقي منهم أحد، فهل يتسرب إلى أحد أدنى شك، في هذا النصر من عند الله، وأن يد الله العليا هي التي حالت دون أن يتمكن هذا الجيش المتفوق تفوقاً ظاهراً، من أن ينال من تلك الفئة القليلة ويسحقها، لقد تأمر المنافقون واليهود على الإسلام، وانضموا إلى أعدائه، ولكن الله نصره، وهكذا إنتهت أقوى حملة وجهت إلى الإسلام بالخبيثة والفشل والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين.

لشيخنا عبد الرحمن الناصر السعدي رحمه الله

سَعِدَ الَّذِينَ تَجَنَّبُوا سُبُلَ الرَّدَى
وَتَيَمَّمُوا لِمَنَازِلِ الرِّضْوَانِ
فَهُم الَّذِينَ قَدْ أَخْلَصُوا فِي مَشِيهِمْ
مُتَشَرِّعِينَ بِشَرَعَةِ الْإِيمَانِ
وَهُم الَّذِينَ بَنَوْا مَنَازِلَ سَيْرِهِمْ
بَيْنَ الرَّجَا وَالْخَوْفِ لِلدِّيَانِ
وَهُم الَّذِينَ مَلَأُوا قُلُوبَهُمْ
بِبُودَادِهِ وَمَحَبَّةِ الرَّحْمَنِ

وَهُمَ الَّذِينَ قَدْ أَكْثَرُوا مِن ذِكْرِهِ
فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ وَالْأَحْيَانِ
يَتَقَرَّبُونَ إِلَى الْمَلِكِ بِفِعْلِهِمْ
طَاعَاتِهِ وَالتَّرْكِ لِلْعِضْيَانِ
فَعَلُ الْفَرَائِضِ وَالنَّوَافِلِ دَابُّهُمْ
مَعَ رُؤْيَا التَّقْصِيرِ وَالتَّقْصَانِ
صَبَرُوا التُّفُوسَ عَلَى الْمَكَارِهِ كُلِّهَا
شَوْقًا إِلَى مَا فِيهِ مِنْ إِحْسَانِ
نَزَلُوا بِمَنْزِلَةِ الرِّضَى فَهَمُّوا بِهَا
قَدْ أَصْبَحُوا فِي جُنَّةٍ وَأَمَانِ
شَكَرُوا الَّذِي أَوْلَى الْخَلَائِقَ فَضْلَهُ
بِالْقَلْبِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَرْكَانِ
صَحِبُوا التَّوَكُّلَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ
مَعَ بَذْلِ جُهْدٍ فِي رِضَى الرَّحْمَانِ
عَبَدُوا الْإِلَهَ عَلَى اعْتِقَادِ حُضُورِهِ
فَتَبَّعُوا فِي مَنْزِلِ الْإِحْسَانِ
نَصَحُوا الْخَلِيقَةَ فِي رِضَى مَحْبُوبِهِمْ
بِالْعِلْمِ وَالْإِرْشَادِ وَالْإِحْسَانِ
صَحِبُوا الْخَلَائِقَ بِالْجُسُومِ وَإِنَّمَا
أَرْوَاهُمْ فِي مَنْزِلِ فَوْقَانِي

عَزَفُوا الْقُلُوبَ عَنِ الشَّوَاغِلِ كُلِّهَا
قَدْ فَرَّغُوا مِنْ سِوَى الرَّحْمَانِ
حَرَكَاتُهُمْ وَهُمْ مَوْمَهُمْ وَعُزُومُهُمْ
لِلَّهِ لَا لِلْخَلْقِ وَالشَّيْطَانِ
نِعْمَ الرَّفِيقُ لِطَالِبِ السُّبُلِ الَّتِي

تُقْضَى إِلَى الْخَيْرَاتِ وَالْإِحْسَانِ
اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ نَسْأَلُكَ أَنْ تُوَفِّقَنَا لِمَا فِيهِ
صَلَاحُ دِينِنَا وَدُنْيَانَا وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا وَأَكْرِمْ مَثَوَانَا وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

وَقَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ :

قَوْلُهُ تَعَالَى فِي الْمُصْطَفِينَ الَّذِينَ أَوْزَنَهُمُ اللَّهُ الْكِتَابَ ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ
لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾ اشْتَرَكَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ فِي أَصْلِ
الْإِيمَانِ وَفِي اخْتِيَارِ اللَّهِ لَهُمْ مِنْ بَيْنِ الْخَلِيقَةِ وَفِي أَنَّهُ مَنْ عَلَيْهِمُ بِالْكِتَابِ وَفِي
دُخُولِ الْجَنَّةِ وَافْتِرَاقُوا فِي تَكْمِيلِ مَرَاتِبِ الْإِيمَانِ وَفِي مِقْدَارِ الْأَصْطِفَاءِ مِنَ اللَّهِ
وَمِيرَاثِ الْكِتَابِ وَفِي مَنَازِلِ الْجَنَّةِ وَدَرَجَاتِهَا بِحَسَبِ أَوْصَافِهِمْ .

أَمَّا الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ فَهُوَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي خَلَطَ عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ،
وَتَرَكَ مِنَ وَاجِبَاتِ الْإِيمَانِ مَا لَا يَزُولُ مَعَهُ الْإِيمَانُ بِالْكُلِّيَّةِ وَهَذَا الْقِسْمُ يَنْقَسِمُ
إِلَى قِسْمَيْنِ .

أَحَدُهُمَا : مَنْ يَرِدُ الْقِيَامَةَ وَقَدْ كَفَّرَ عَنْهُ السَّيِّئَاتُ كُلُّهَا إِمَّا بِدُعَاءٍ أَوْ شَفَاعَةٍ
أَوْ آثَارِ خَيْرِيَّةٍ يُتَنَفَّعُ بِهَا فِي الدُّنْيَا أَوْ عَذَابٍ فِي الْبَرْزَخِ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِ ، ثُمَّ رُفِعَ
عَنِ الْعِقَابِ ، وَعَمِلَ الثَّوَابَ عَمَلَهُ . فَهَذَا مِنْ أَعْلَى هَذَا الْقِسْمِ وَهُوَ الظَّالِمُ
لِنَفْسِهِ .

القِسْمُ الثَّانِي : مَنْ وَرَدَ الْقِيَامَةَ وَعَلَيْهِ سَيِّئَاتٌ فَهَذَا تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ
ثُمَّ هُمْ بَعْدَ هَذَا ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ : أَحَدُهَا مَنْ تَرَجَّحَ حَسَنَاتُهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ . فَهَذَا لَا
يَدْخُلُ النَّارَ بَلْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَبِحَسَنَاتِهِ وَهِيَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ .

ثَانِيَهُمَا : مَنْ تَسَاوَتْ حَسَنَاتُهُمْ وَسَيِّئَاتُهُمْ فَهَؤُلَاءِ هُمْ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ
وَهِى مَوْضِعٌ مُرْتَفِعٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ يَكُونُونَ عَلَيْهِ ، وَفِيهِ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ بَعْدَ
ذَلِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ كَمَا وَصَفَ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ .

ثَالِثُهَا : مَنْ رَجَحَتْ سَيِّئَاتُهُ عَلَى حَسَنَاتِهِ فَهَذَا قَدْ اسْتَحَقَّ دُخُولَ النَّارِ إِلَّا
أَنْ يَمْنَعَ مِنْ ذَلِكَ مَانِعٌ مِنْ شَفَاعَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ أَوْ شَفَاعَةِ
أَحَدٍ مِنْ أَقْرَابِهِ أَوْ مَعَارِفِهِ مِمَّنْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُمْ فِي الْقِيَامَةِ شَفَاعَةً لِعُلُوِّ مَقَامَاتِهِمْ
عِنْدَ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِمْ عَلَيْهِ ، أَوْ تُدْرِكُهُ رَحْمَةُ اللَّهِ الْمُحْضَةِ بِلَا وَسِطَةٍ وَإِلَّا فَلَا بُدَّ
لَهُ مِنْ دُخُولِ النَّارِ يُعَذَّبُ فِيهَا بِقَدْرِ ذُنُوبِهِ .

ثُمَّ مَا لَهُ إِلَى الْجَنَّةِ وَلَا يَبْقَى فِي النَّارِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى
مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ كَمَا تَوَاتَرَتْ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَثْمَتُهَا .

وَأَمَّا الْمُقْتَصِدُ فَهُوَ الَّذِي أَدَّى الْوَاجِبَاتِ وَتَرَكَ الْمَحْرَمَاتِ وَلَمْ يُكْثِرْ مِنْ
نَوَافِلِ الْعِبَادَاتِ وَإِذَا صَدَرَ مِنْهُ بَعْضُ الْهَفْوَاتِ بَادَرَ إِلَى التَّوْبَةِ فَعَادَ إِلَى مَرْتَبَتِهِ
فَهَؤُلَاءِ أَهْلُ الْيَمِينِ وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ
أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ فَهَؤُلَاءِ سَلِمُوا مِنْ عَذَابِ الْبَرْزَخِ وَعَذَابِ النَّارِ وَسَلَّمَ اللَّهُ
لَهُمْ إِيْمَانَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ فَأَدْخَلَهُمْ بِهَا الْجَنَّةَ كُلٌّ عَلَى حَسَبِ مَرْتَبَتِهِ .

وَأَمَّا السَّابِقُ إِلَى الْخَيْرَاتِ فَهُوَ الَّذِي كَمَّلَ مَرَاتِبَ الْإِسْلَامِ وَقَامَ بِمَرْتَبَتِهِ

الإحسانِ فَعَبَدَ اللهُ كَأَنَّهُ يَرَاهُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ يَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاهُ ، وَبَدَلَ مَا اسْتَطَاعَ مِنَ التَّنْفَعِ لِعِبَادِ اللهِ فَكَانَ قَلْبُهُ مَلَانًا مِنْ مَحَبَّةِ اللهِ وَالتَّضَحُّحِ لِعِبَادِ اللهِ فَأَدَّى الْوَاجِبَاتِ وَالْمُسْتَحَبَّاتِ وَتَرَكَ الْمَحْرَمَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ وَفَضَّلَ الْمُبَاحَاتِ الْمُتَقَبَّصَةَ لِذَرَجَتِهِ فَهَؤُلَاءِ هُمْ صَفْوَةُ الصَّفْوَةِ ، وَهُمْ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ إِلَى اللهِ وَهُمْ أَهْلُ الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى فَإِنَّ اللهُ كَمَا أَنَّهُ رَحِيمٌ وَاسِعُ الرَّحْمَةِ فَإِنَّهُ حَكِيمٌ يُنَزِّلُ الْأُمُورَ مَنَازِلَهَا وَيُعْطِي كُلَّ أَحَدٍ بِحَسَبِ حَالِهِ وَمَقَامِهِ فَكَمَا كَانُوا هُمْ السَّابِقِينَ فِي الدُّنْيَا إِلَى كُلِّ خَيْرٍ كَانُوا فِي الْآخِرَةِ فِي أَعْلَى الْمَنَازِلِ وَكَمَا تَخَيَّرُوا مِنَ الْأَعْمَالِ أَحْسَنَهَا جَعَلَ اللهُ لَهُمْ مِنَ الثَّوَابِ أَحْسَنَهُ وَلِهَذَا كَانَتْ عَيْنُ التَّسْنِيمِ أَعْلَى أَشْرِبَةِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الَّتِي لَا تَقْصُ فِيهَا بَوَاجِهِ مِنَ الْوُجُوهِ .

كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾ وهكذا بَقِيَةُ الْوَالِدِ وَأَصْنَافِ نَعِيمِ الْجَنَّةِ لَهُؤُلَاءِ السَّابِقِينَ مِنْهُ أَعْلَاهُ وَأَكْمَلُهُ وَأَنْفَسُهُ وَإِنْ كَانَ لَيْسَ فِي نَعِيمِ الْجَنَّةِ دُنْيَا وَلَا تَقْصُ وَلَا كَدْرٌ بَوَاجِهِ مِنَ الْوُجُوهِ بَلْ كَانَ مَنْ تَنَعَّمَ بِأَيِّ نَعِيمٍ مِنْ نَعِيمِهَا لَمْ يَكُنْ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ أَعْلَى مِنْهُ .

فَإِنَّ اللَّهَ أَعْطَاهُمْ وَأَرْضَاهُمْ وَخِيَارَهُؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ ثُمَّ الصِّدِّيقُونَ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا فَسَبْحَانَ مَنْ فَوَاتَ بَيْنَ عِبَادِهِ هَذَا التَّفَاوُتَ الْعَظِيمَ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ انْتَهَى .

اللهم اجعلنا بتذكيرك منتفعين ولكتابك ورسولك متبعين وعلى طاعتك مجتمعين وتوفنا يا ربنا مسلمين والحقنا بعبادك الصالحين واغفر لنا ولوالدينا اللهم ارحم عباداً غرهم طول إمهالك وأطمعهم دوام إفضالك ومدوا أيديهم إلى كرم نوالك وثبقتوا أن لا غنى لهم عن سؤالك وجذ علينا وعليهم برحمتك الواسعة واغفر لنا ولهم ولجميع المسلمين يا رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

قصة عمير بن سعد الأنصاري

وَمِمَّا يَحْسُنُ سِيَّاقَهُ وَيَحْلُو ذِكْرَهُ قِصَّةُ عُمَيْرِ بْنِ سَعْدِ الْأَنْصَارِيِّ ،
كَانَ عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ يَتِيمًا مَاتَ أَبُوهُ وَلَمْ يَتْرُكْ لَهُ مَالًا وَلَا مُعِيلاً لَكِنَّ أُمَّهُ
لَمْ تَلْبَثْ إِلَّا مُدَّةً يَسِيرَةً ثُمَّ تَزَوَّجَتْ بِالْجَلَّاسِ بْنِ سُؤَيْدٍ فَكَفَلَ ابْنَهَا عُمَيْرًا
وَضَمَّهُ إِلَيْهِ .

وَقَدْ لَقِيَ عُمَيْرٌ مِنْ بَرِّ الْجَلَّاسِ وَرِعَايَتِهِ وَجَمِيلِ عَطْفِهِ بِهِ مَا جَعَلَهُ
يَنْسَى أَنَّهُ يَتِيمٌ فَأَحَبَّ عُمَيْرُ الْجَلَّاسَ حُبَّ الْإِبْنِ لِأَبِيهِ وَكَذَلِكَ الْجَلَّاسُ
وَلِعَ بِعُمَيْرٍ وَأَحَبَّهُ حُبَّ الْوَالِدِ لَوْلَدِهِ فِيمَا ذَكَرَ عَنْهُ .

وَكَانَ كُلَّمَا شَبَّ عُمَيْرٌ أَزْدَادَ الْجَلَّاسِ لَهُ حُبًّا وَأَزْدَادَ بِهِ إِعْجَابًا لِمَا
يَتَخَيَّلُ فِيهِ مِنْ أَمَارَاتِ الْفِطْنَةِ وَالنَّجَابَةِ الَّتِي تَبْدُو فِي كُلِّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِهِ
وَتَبْدُو فِي شَمَائِلِهِ وَتَصَرُّفَاتِهِ .

وَقَدْ أَسْلَمَ عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ وَهُوَ صَغِيرٌ لَمْ يُجَاوِزِ الْعَاشِرَةَ مِنْ عُمُرِهِ
إِلَّا قَلِيلًا فَوَجَدَ الْإِيمَانَ فِي قَلْبِهِ الْعُضْ مَكَانًا خَالِيًا فَتَمَكَّنَ مِنْهُ وَأَلْفَى
الْإِسْلَامَ فِي نَفْسِ عُمَيْرِ الصَّافِيَةِ تُرْبَةً خُصْبَةً فَتَغَلَّغَلَ فِيهَا .

فَكَانَ عَلَى صِغَرِ سِنِّهِ لَا يَتَأَخَّرُ عَنِ الصَّلَاةِ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ أُمَّهُ تُسَرُّ وَتَغْمُرُهَا الْفَرَحَةُ إِذَا رَأَتْهُ ذَاهِبًا إِلَى
الْمَسْجِدِ أَوْ رَاجِعًا مِنْهُ .

وَسَارَتْ حَيَاتُهُ عَلَى هَذَا النُّحْوِ هَانِئَةً هَادِئَةً وَادِعَةً لَا يُعَكِّرُ صَفْوَهَا
مُعَكِّرٌ إِلَى أَنْ قَدَّرَ اللَّهُ عَلَى عُمَيْرٍ مِخْنَةً مِنْ أَشَدِّ الْمِخَنِ قَلَّمَا مَرَّتْ عَلَى
فَتَى مِثْلِهِ فِي السَّنِّ .

فَفِي غَزْوَةِ تَبُوكٍ لَمَّا رَأَى بَذَلَ الْمُسْلِمِينَ أَمْوَالَهُمْ عِنْدَمَا حَثَّهُمْ
صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ عَلَى الْجِهَادِ وَأَمَرَهُمْ بِالصَّدَقَةِ وَحَثَّهُمْ عَلَى
النَّفَقَةِ وَرَغِبَ أَهْلُ الثَّرْوَةِ بِالْخَيْرِ وَحَثَّ الْمُؤَسِّرِينَ عَلَى تَجْهِيزِ
الْمُعَسِّرِينَ ، وَأَبْصَرَ أبا بَكْرٍ يَجِيءُ بِمَا عِنْدَهُ وَعُمَرَ يَأْتِي بِنِصْفِ مَالِهِ
وَعُثْمَانَ يَأْتِي بِجِرَابٍ فِيهِ أَلْفُ دِينَارٍ ذَهَبًا وَيُقَدِّمُهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وسلم وعبد الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ يَحْمِلُ عَلَى عَاتِقِهِ مَائَتِي أُوقِيَةٍ مِنَ الذَّهَبِ
وَيُلْقِيهَا بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم .

وَنِسَاءُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ يَنْزَعْنَ حُلِيَهُنَّ وَيُلْقِيْنَهُ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لِيُجَهَّزَ بِشَمْنِهِ الْجَيْشُ الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَلْ
رَأَى رَجُلًا يَعْزِضُ فِرَاشَهُ لِلْبَيْعِ لِيَشْتَرِيَ بِشَمْنِهِ سَيْفًا يُجَاهِدُ بِهِ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ .

فَتَعَجَّبَ عُمَيْرٌ مِنْ تَأَخُّرِ الْجُلَاسِ وَتَبَاطُئِهِ عَنِ الْإِسْتِعْدَادِ لِلرَّحِيلِ
مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وَتَأَخَّرِهِ عَنِ الْبَدَلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَلَى
الرَّغْمِ مِنْ قُدْرَتِهِ وَغِنَاهُ .

وَأَرَادَ عُمَيْرٌ أَنْ يَسْتَشِيرَ هِمَّةَ الْجُلَاسِ وَيُبَيِّنَ الْحَمِيَّةَ وَالْمُرُوءَةَ فِي
نَفْسِهِ فَشَرَعَ يَقْضُ عَلَى الْجُلَاسِ أَخْبَارَ مَا رَأَى وَمَا سَمِعَ وَخَاصَّةً
الْبَكَايَيْنَ الَّذِينَ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وَسَأَلُوهُ أَنْ
يَحْمِلَهُمْ وَاعْتَذَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بِأَنَّهُ لَا يَجِدُ مَا يَحْمِلُهُمْ فَتَوَلَّوْا
وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ . حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُبَلِّغُهُمْ أُمْنِيَّتَهُمْ فِي الْجِهَادِ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

لَكِنَّ الْجُلَاسَ مَا كَادَ أَنْ يَسْمَعَ مِنْ عُمَيْرٍ مَا سَمِعَ حَتَّى تَكَلَّمَ

بِكَلِمَةٍ أَطَارَتْ عَقْلَ الْفَتَى عُمَيْرٍ مِنْ كِبَرِهَا إِذَا سَمِعَهُ يَقُولُ وَالْعِيَاذُ بِهِ
﴿ إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ صَادِقًا فِيمَا يَدَّعِيهِ مِنَ النَّبُوءَةِ فَتَحْنُ شَرٌّ مِنْ الْحَمِيرِ ﴾
لَقَدْ انْدَهَشَ عُمَيْرٌ مِمَّا سَمِعَ فَمَا كَانَ يَظُنُّ أَنَّ رَجُلًا عَاقِلًا كَبِيرَ السِّنِّ
يَنْطِقُ بِمِثْلِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ الَّتِي تُخْرِجُ قَائِلَهَا عَنِ الْإِيمَانِ دَفْعَةً وَاحِدَةً
وَتَدْخِلُهُ فِي الْكُفْرِ .

ذَهَبَ عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ يُفَكِّرُ فِي تَجَاهِ هَذِهِ الْحَادِثَةِ الْفَظِيحَةِ الْمُؤَبِّقَةِ
فَرَأَى أَنَّ السُّكُوتَ عَنِ الْجُلَاسِ وَالسَّتْرَ عَلَيْهِ خِيَانَةٌ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِضْرَارًا
بِالْإِسْلَامِ الَّذِي يَكِيدُ لَهُ الْمُنَافِقُونَ .

وَرَأَى أَنَّ فِي إِخْبَارِهِ فِيمَا سَمِعَ مِنَ الْجُلَاسِ عُقُوقًا بِالرَّجُلِ الَّذِي
يُنزِلُهُ مِنْ نَفْسِهِ مَنزَلَةَ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ فَالْجُلَاسُ هُوَ الَّذِي كَفَلَهُ يَتِيمًا وَرَبَّاهُ
وَعَوَّضَهُ عَنْ فَقْدِ أَبِيهِ .

فَاخْتَارَ النَّصِيحَةَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَالتَّفَتَ إِلَى الْجُلَاسِ وَقَالَ وَاللَّهِ يَا
جُلَاسُ مَا كَانَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ بَعْدَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ فَأَنْتَ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيَّ وَأَجْلَهُمْ إِلَيَّ يَدَا وَأَعْظَمُهُمْ نِعْمَةً
عَلَيَّ .

وَلَقَدْ قُلْتُ مَقَالََةً إِنْ ذَكَرْتَهَا فَضَحْتُكَ وَإِنْ أَخْفَيْتَهَا خُنْتُ أَمَانَتِي
وَأَهْلَكَتُ نَفْسِي وَدِينِي وَقَدْ عَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَمْضِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُخْبِرَهُ بِمَا قُلْتُ فَكُنْ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ أَمْرِكَ ثُمَّ مَضَى عُمَيْرُ
بُنُ سَعْدٍ إِلَى الْمَسْجِدِ وَأَخْبَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا سَمِعَ مِنْ
الْجُلَاسِ بْنِ سُؤَيْدٍ فَأَقْعَدَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهُ وَأَرْسَلَ أَحَدَ
أَصْحَابِهِ إِلَى الْجُلَاسِ يَدْعُوهُ أَنْ يَأْتِي .

وَمَا هُوَ إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى جَاءَ الْجُلَاسُ فَحَيَّا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مَقَالَةٌ سَمِعَهَا مِنْكَ عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ وَذَكَرَ لَهُ مَا قَالَهُ فَقَالَ كَذَبَ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَافْتَرَى فَمَا تَفَوَّهْتَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ .

وَجَعَلَ الصَّحَابَةُ يُدِيرُونَ أَبْصَارَهُمْ فِي الْجُلَاسِ وَعُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ كَانَتْهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَقْرُوا عَلَى صَحِيفَتِي وَجْهَيْهِمَا مَا يُكْتَهُ صَدْرَاهُمَا وَجَعَلُوا يَتَهَامِسُونَ فَقَالَ وَاحِدٌ مِنَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَتَى عَاقُ أَبِي إِلَّا أَنْ يُسِيءَ لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ وَقَالَ آخَرُونَ بَلْ إِنَّهُ غَلَامٌ نَشَأَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَإِنْ مَلَاحَ وَجْهِهِ لَتَنْطِقُ بِصِدْقِهِ وَالتَفَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عُمَيْرٍ فَرَأَى وَجْهَهُ قَدْ احْتَقَنَ بِالْدَمِّ وَالذَّمُوعُ تَنَحَّدِرُ مَدْرَاراً مِنْ عَيْنَيْهِ فَتَسَاقَطَ عَلَى خَدَيْهِ وَصَدْرِهِ وَهُوَ يَقُولُ اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيَّ نَبِيَّكَ بَيَانًا مَا تَكَلَّمْتُ بِهِ يُكْرِرُهَا فَانْبَرِيَ الْجُلَاسُ وَقَالَ إِنَّ مَا ذَكَرْتَهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ الْحَقُّ وَإِنْ شِئْتَ تَحَالِفْنَا بَيْنَ يَدَيْكَ وَإِنِّي أَحْلِفُ بِاللَّهِ أَنِّي مَا قُلْتُ شَيْئاً مِمَّا نَقَلَهُ لَكَ عُمَيْرٌ فَمَا أَنْتَ مِنْ حَلِيفِهِ وَأَخَذَتْ عُيُونَ النَّاسِ تَنْتَقِلُ عَنْهُ إِلَى عُمَيْرِ بْنِ سَعْدٍ حَتَّى غَشِيَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السُّكِينَةُ

فَعَرَفَ الصَّحَابَةُ أَنَّهُ الْوَحْيُ فَلَزِمُوا أَمَاكِنَهُمْ وَسَكَنَتْ جَوَارِحُهُمْ وَلَاذُوا بِالصُّمْتِ وَتَعَلَّقَتْ أَبْصَارُهُم بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهَذَا ظَهَرَ الْخَوْفُ وَالْوَجَلُ عَلَى الْجُلَاسِ وَبَدَأَ التَّلَهُفُ وَالتَّشَوُّقُ عَلَى عُمَيْرٍ ثُمَّ سُرِّيَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَلَا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى :

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ

اسلامهم ﴿ الى قوله ﴿ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكْ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ .

فَارْتَعَدَ الْجُلَاسُ مِنْ هَوْلٍ مَا سَمِعَ وَكَادَ يَنْعَقِدُ لِسَانَهُ مِنَ الْجَزَعِ وَالرُّوعَةِ ثُمَّ التَفَّتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ بَلْ أَتُوبُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بَلْ أَتُوبُ صَدَقَ عُمَيْرٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكُنْتُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ، أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَقْبَلَ تَوْبَتِي جُعِلَتْ فِدَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ .

وَهُنَا تَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عُمَيْرِ بْنِ سَعْدٍ فَمَدَّ يَدَهُ الشَّرِيفَةَ إِلَى أُذُنِهِ وَأَمْسَكَهَا بِرِفْقٍ وَقَالَ وَفَتْ أُذُنُكَ يَا غُلَامُ مَا سَمِعْتَ وَصَدَّقَكَ رَبُّكَ .

لَيْسَ السَّفِيهُ مِنَ انْتَهَى أَبْوَاهُ مِنْ هَمِّ الْحَيَاةِ وَخَلْفَاهُ ذَلِيلًا فَأَصَابَ تَوْفِيقًا وَحُسْنَ رِعَايَةٍ مِنْ رَبِّهِ يَا حُسْنَ هَذَا بَدِيلًا إِنَّ السَّفِيهَ هُوَ الَّذِي أَوْقَاتُهُ عِنْدَ الْمَلَاهِي قُتِلَتْ تَقْتِيلًا ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل

قِصَّةُ لِعُمَيْرٍ : كَانَ أَهْلُ حِمصٍ شَدِيدِي التَّدْمُرِ مِنْ وُلَاتِهِمْ كَثِيرِي الشُّكْوَى مِنْهُمْ ، فَمَا جَاءَ مِنْ وَالٍ إِلَّا ذَكَرُوا لَهُ عُيُوبًا وَأَحْصَوْا لَهُ ذُنُوبًا وَرَفَعُوا أَمْرَهُ إِلَى خَلِيفَةِ الْمُسْلِمِينَ وَطَلَبُوا مِنْهُ بَدْلَهُ خَيْرًا مِنْهُ .

فَعَزَمَ عُمَيْرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِمْ بِوَالٍ لَا يَجِدُونَ فِيهِ مَطْعَنًا وَلَا يَرَوْنَ فِي سِيرَتِهِ مَعْمَزًا فَأَخْتَارَ عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ وَعَهَّدَ إِلَيْهِ بِوِلَايَةِ حِمصٍ وَأَمَرَهُ بِالتَّوَجُّهِ إِلَيْهَا فَقَبِلَ الْأَمْرَ عَلَى إِغْمَاضٍ مِنْهُ لِأَنَّهُ كَانَ لَا يُؤَثِّرُ شَيْئًا عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

وَلَمَّا بَلَغَ عُمَيْرٌ حِمَصًا جَمَعَ النَّاسَ وَخَطَبَهُمْ وَبَعَدَ أَنْ حَمِدَ اللَّهَ
وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْإِسْلَامَ حِصْنٌ مَنِيعٌ
وَبَابٌ وَثِيقٌ وَحِصْنُ الْإِسْلَامِ الْعَدْلُ وَبَابُهُ الْحَقُّ فَإِذَا دُكَّ الْحِصْنُ وَحُطِّمَ
الْبَابُ اسْتُبِيحَ حِمَى الدِّينِ .

وَأَنَّ الْإِسْلَامَ مَا يَزَالُ مَنِيعًا مَا اشْتَدَّ السُّلْطَانُ وَلَيْسَتْ شِدَّةُ
السُّلْطَانِ ضَرْبًا بِالسُّوْطِ وَلَا قِتْلًا بِالسَّيْفِ وَلَكِنْ قَضَاءٌ بِالْعَدْلِ وَأَخْذًا
بِالْحَقِّ ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى عَمَلِهِ لِيُنْفِذَ مَا اخْتَطَّهُ لَهُمْ

قَضَى عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ حَوْلًا كَامِلًا فِي حِمَصٍ لَمْ يَكْتُبْ لِأَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ كِتَابًا وَلَمْ يَبْعَثْ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ مِنَ الْفَيْءِ
وَلَا دِرْهَمًا وَلَا دِينَارًا .

فَقَالَ عُمَرُ لِكَاتِبِهِ اكْتُبْ لِعُمَيْرٍ وَقُلْ إِذَا جَاءَكَ كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
فَأَقْبِلْ وَاتْرُكْ حِمَصَ وَأَقْبِلْ عَلَيْهِ وَاحْمِلْ مَعَكَ مَا جَبَيْتَ مِنْ فِيءِ
الْمُسْلِمِينَ .

وَلَمَّا وَصَلَ كِتَابُ عُمَرَ إِلَى عُمَيْرٍ أَخَذَ جِرَابَ زَادِهِ وَحَمَلَهُ عَلَى
عَاتِقِهِ وَحَمَلَ قَصْعَتَهُ وَوَعَاءَهُ وَضُؤْثَهُ وَأَنْطَلَقَ يَمْشِي إِلَى الْمَدِينَةِ فَلَمَّا وَصَلَ
الْمَدِينَةَ وَإِذَا لَوْنُهُ مُتَّغَيِّرٌ وَبَدَنُهُ مُتَضَعِّعٌ قَدْ هَزَلَ جِسْمُهُ وَطَالَ شَعْرُهُ
وَوَضَعَتْ عَلَيْهِ وَعَثَاءُ السَّفَرِ وَكَأَبَةُ الْمُنْظَرِ .

وَلَمَّا دَخَلَ عَلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دُهِشَ وَتَأَلَّمَ مِنْ حَالَتِهِ وَقَالَ مَا
بِكَ يَا عُمَيْرُ فَقَالَ مَا بِي شَيْءٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَأَنَا صَحِيحٌ بِحَمْدِ اللَّهِ
أَحْمِلُ مَعِيَ الدُّنْيَا كُلَّهَا وَأَجْرُهَا .

فَقَالَ وَمَا مَعَكَ مِنَ الدُّنْيَا « وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّ مَعَهُ مَالًا يَحْمِلُهُ لِبَيْتِ مَالِ
المُسْلِمِينَ » فَقَالَ مَعِيَ جِرَابِي وَقَدْ وَضَعْتُ فِيهِ زَادِي وَمَعِيَ قَصْعَتِي أَكَلُ
فِيهَا وَأَغْسِلُ عَلَيْهَا ثِيَابِي وَمَعِيَ قِرْبَةٌ لِرُؤُوسِي وَشِرَابِي .

ثُمَّ إِنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا يَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ تَبِعَ لِهَذَا الْمَتَاعِ لَا حَاجَةَ لِي
فِيهَا غَيْرَ هَذَا ، فَقَالَ عُمَرُ وَهَلْ أَتَيْتَ مَا شِئْتَ ، قَالَ نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
فَقَالَ أَمَا أُعْطِيتَ مِنَ الْإِمَارَةِ دَابَّةً تَرْكَبُهَا فَقَالَ هُمْ لَمْ يُعْطُونِي وَأَنَا لَمْ
أَطْلُبْ مِنْهُمْ .

فَقَالَ وَأَيْنَ مَا أَتَيْتَ بِهِ لِبَيْتِ الْمَالِ فَقَالَ لَمْ آتِ بِشَيْءٍ فَقَالَ عُمَرُ
وَلَمْ لَمْ تَأْتِ بِشَيْءٍ .

فَقَالَ لَمَّا وَصَلْتُ إِلَى حِمصَ جَمَعْتُ صُلَحَاءَ أَهْلِهَا وَوَلَّيْتُهُمْ
جَمِيعَ فَيَتِهِمْ وَكَانُوا كُلَّمَا جَمَعُوا شَيْئًا اسْتَشَرْتُهُمْ فِي أَمْرِهِ وَوَضَعْتُهُ فِي
مَوَاضِعِهِ وَأَنْفَقْتُهُ عَلَى الْمُسْتَحِقِّينَ مِنْهُمْ .

فَقَالَ عُمَرُ لِكَاتِبِهِ جَدِّدْ عَهْدًا لِعُمَيْرٍ عَلَى وِلَايَةِ حِمصَ فَقَالَ عُمَيْرُ
هِيَ هَاتَ فَإِنَّ ذَلِكَ شَيْءٌ لَا أُرِيدُهُ وَلَنْ أَعْمَلَ لَكَ وَلَا لِأَحَدٍ بَعْدَكَ يَا أَمِيرَ
المُؤْمِنِينَ .

ثُمَّ اسْتَأْذَنَهُ بِالذَّهَابِ إِلَى قَرْيَةٍ فِي ضَوَاحِي الْمَدِينَةِ يُقِيمُ بِهَا أَهْلَهُ
فَإِذَنْ لَهُ ، لَمْ يَمْضِ عَلَى عُمَيْرٍ إِلَّا مُدَّةً يَسِيرَةً بَعْدَ ذَهَابِهِ لِلْقَرْيَةِ حَتَّى أَرَادَ
عَمْرُ أَنْ يَخْتَبِرَهُ فَقَالَ لِوَأَحَدٍ مِنْ ثِقَاتِهِ يُقَالُ لَهُ الْحَارِثُ انْطَلِقْ إِلَى عُمَيْرِ
بَنِ سَعْدٍ وَأَنْزِلْ عِنْدَهُ كَأَنَّكَ ضَيْفٌ فَإِنْ رَأَيْتَ عَلَيْهِ آثَارَ نِعْمَةٍ فَعُدَّ كَمَا
أَتَيْتَ وَإِنْ وَجَدْتَ حَالًا شَدِيدَةً فَأَعْطِهِ هَذِهِ الدَّنَانِيرَ وَنَاوَلْهُ صُرَّةً فِيهَا مِائَةٌ
دِينَارٍ .

انطلق الحارث حتى بلغ القرية التي فيها عمير بن سعد فسأل عنه
فدل عليه فلما لقيه سلم عليه فرد عليه السلام وسأله من أين قدم فقال
الحارث من المدينة فقال كيف تركت المسلمين ، فقال بخير .

فقال كيف أمير المؤمنين قال صحيح صالح فقال أليس يُقيم
الحدود قال بلى فقال اللهم أعن عمر فإني لا أعلمه إلا شديد الحب
لك .

أقام الحارث في ضيافة عمير ثلاث ليالٍ فكان يُخرج له كل
ليلة قرصاً من الشعير فلما كان اليوم الثالث قال للحارث رجل من
القوم لقد أجهدت عميراً وأهله فليس لهم إلا هذا القرص من الشعير
الذي يؤثرونك به على أنفسهم وقد أضر بهم الجوع والجهد فإن رأيت
أن ترحل عنهم فافعل .

عند ذلك أخرج الحارث الدنانير ودفعها إلى عمير فقال ما هذه
فقال الحارث بعث بها أمير المؤمنين اليك فقال ردها إليه وقل لا حاجة
لعمير بها فقالت له امرأته خذها يا عمير فإن احتجت إليها أنفقتها وإلا
وضعتها في مواضعها فالمحتاجون هنا كثير فلما سمع الحارث قولها
لقى الدنانير بين يدي عمير وانصرف .

فأخذها عمير وجعلها في صررٍ صغيرة ولم يبت تلك الليلة إلا
وقد فرّقها على الفقراء وخصّ منهم أبناء الشهداء ، ولما عاد الحارث
إلى المدينة وواجه عمر قال له ما رأيت يا حارث فقال حالاً شديدة يا
أمير المؤمنين فقال أدفعت إليه الدنانير فقال نعم يا أمير المؤمنين فقال
عمر وما صنع بها عمير فقال لا أدري وما أظنه يُبقي لنفسه منها شيئاً
منها ولا درهماً .

فَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى عُمَيْرٍ يَقُولُ إِذَا جَاءَكَ كِتَابِي فَلَا تَضَعُهُ مِنْ يَدِكَ
حَتَّى تُقْبَلَ عَلَيَّ فَتَوَجَّهَ عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ إِلَى الْمَدِينَةِ وَدَخَلَ عَلَى عُمَرَ فَحَيَّاهُ
وَرَحَّبَ بِهِ وَأَذْنَى مَجْلِسَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ مَا صَنَعْتَ بِالدَّانِيَةِ يَا عُمَيْرُ فَقَالَ
وَمَا عَلَيْكَ مِنْهَا يَا عُمَرُ بَعْدَ أَنْ أَخْرَجْتَهَا لِي عَنْكَ .

فَقَالَ عَزَمْتُ عَلَيْكَ أَنْ تُخْبِرَنِي بِمَا صَنَعْتَ بِهَا فَقَالَ أَدَخَرْتُهَا
لِنَفْسِي لِأَنْتَفِعَ بِهَا يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . فَذَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ وَقَالَ
أَشْهَدُ أَنَّكَ مِنَ الَّذِينَ يُؤَثِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ .
ثُمَّ أَمَرَ بَوَسْقِي مِنْ طَعَامٍ وَثَوْبَيْنِ ، فَقَالَ أَمَا الطَّعَامُ فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِهِ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ تَرَكْتُ عِنْدَ أَهْلِي صَاعَيْنِ مِنْ شَعِيرٍ وَإِذَا أَكَلْنَاهُمَا
يَأْتِي اللَّهُ لَنَا بِرِزْقٍ وَأَمَا الثَوْبَيْنِ فَأَخَذَهُمَا لِأُمَّ فَلَانٍ يُرِيدُ زَوْجَتَهُ فَقَدْ بَلِي
وَخَلَقَ ثَوْبُهَا وَكَادَتْ تَعْرَى .

فَمَضَى عُمَيْرٌ بَعْدَ ذَلِكَ فِي طَرِيقِ الْأَخِرَةِ وَادَعَ النَّفْسِ وَاتَّقَى الْخَطَرَ
لَا يُقْبَلُهُ شَيْءٌ مِنْ أَحْمَالِ الدُّنْيَا وَأَمْتِعَتِهَا ، وَلَمَّا بَلَغَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
وَفَاةَ عُمَيْرٍ حَزَنَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ وَدِدْتُ أَنْ لِي رِجَالًا مِثْلَ عُمَيْرٍ أُسْتَعِينُ بِهِمْ
فِي أَعْمَالِ الْمُسْلِمِينَ . انْتَهَى مِنْ صُورٍ مِنْ حَيَاةِ الصَّحَابَةِ بِتَصَرُّفٍ
اللَّهُمَّ توفنا مسلمين ، وألحقنا بعبادك الصالحين ، واغفر لنا ولوالدينا
وجميع المسلمين ، برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين .

شِعْرًا: إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَعِيدًا مَدَى الْعُمُرِ
وَتَسْكُنَ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي رَوْضَةِ الْقَبْرِ
وَتُبَعْتَ عِنْدَ النَّفْخِ فِي الصُّنُورِ آمِنًا
مِنَ الْخَوْفِ وَالتَّهْدِيدِ وَالطَّرْدِ وَالْخُسْرِ

وَتُعْرَضُ مَرْفُوعاً كَرِيماً مُبَجَّلاً
 تُبَشِّرُكَ الْأَمْلَاكُ بِالْفَوْزِ وَالْأَجْرِ
 وَتَرْجَحُ عِنْدَ الْوَزْنِ أَعْمَالِكَ الَّتِي
 تُسَرُّ بِهَا فِي مَوْقِفِ الْحَشْرِ وَالنُّشْرِ
 وَتَمْضِي عَلَى مَتْنِ الصِّرَاطِ كَبَارِقٍ
 وَتَشْرَبُ مِنْ حَوْضِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى الطُّهْرِ
 وَتَخْلُدُ فِي أَعْلَى الْجَنَانِ مُنْعَمًا
 حَظِيًّا بِقُرْبِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ الْوَتْرِ
 عَلَيْكَ بِتَوْحِيدِ الْإِلَهِ فَإِنَّهُ
 إِذَا تَمَّ فَازَ الْعَبْدُ بِالْقُرْبِ وَالْأَجْرِ
 وَخُذْ مِنْ عُلُومِ الدِّينِ حَظًّا مُوفِراً
 فَبِالْعِلْمِ تَسْمُو فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْحَشْرِ
 وَوَاطِبْ عَلَى دَرَسِ الْقُرْآنِ فَإِنَّ فِي
 تِلَاوَتِهِ الْأَرْبَاحَ وَالشَّرْحَ لِلصَّدْرِ
 أَلَا إِنَّهُ الْبَحْرُ الْمُحِيطُ وَغَيْرُهُ
 مِنْ الْكُتُبِ أَنْهَارٌ تُمَدُّ مِنَ الْبَحْرِ
 تَدَبَّرْ مَعَانِيهِ وَرَتِّلْهُ خَاشِعًا
 تَفُوزُ مِنَ الْأَسْرَارِ بِالْكَنْزِ وَالذُّخْرِ
 وَكُنْ رَاهِبًا عِنْدَ الْوَعِيدِ وَرَاغِبًا
 إِذَا مَا تَلَوْتَ الْوَعْدَ فِي غَايَةِ الْبَشْرِ

بَعِيداً عَنِ الْمَنْهِيِّ مُجْتَنِباً لَهُ
حَرِيصاً عَلَى الْمَأْمُورِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ
وَإِنْ رُمْتَ أَنْ تَحْظِيَ بِقَلْبِ مَنْوَرٍ
نَقِيٍّ مِنَ الْأَغْيَارِ فَاغْكُفْ عَلَى الذِّكْرِ
وَوَاطِبْ عَلَيْهِ فِي الظَّلامِ وَفِي الضُّيَا
وَفِي كُلِّ حَالٍ بِاللِّسَانِ وَفِي السِّرِّ
وَصَفِّ مِنَ الْأَكْذَارِ سِرِّكَ إِنَّهُ
إِذَا مَا صَفَا أَوْلَاكَ مَعْنَى مِنَ الْفِكْرِ
وَبِالْجِدِّ وَالصَّبْرِ الْجَمِيلِ تَحِلُّ فِي
فَسِيحِ الْعُلَى فَاسْتَوْصِ بِالْجِدِّ وَالصَّبْرِ
وَكُنْ شَاكِراً لِلَّهِ قَلْباً وَقَالِباً
عَلَى فَضْلِهِ إِنَّ الْمَزِيدَ مَعَ الشُّكْرِ
تَوَكَّلْ عَلَى مَوْلَاكَ وَارْضَ بِحُكْمِهِ
وَكُنْ مُخْلِصاً لِلَّهِ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ
قَنُوعاً بِمَا أَعْطَاكَ مُسْتَغْنِياً بِهِ
لَهُ حَامِداً فِي حَالِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ
وَكُنْ بَادِلاً لِلْفَضْلِ سَمحاً وَلَا تَخَفْ
مِنَ اللَّهِ إِقْتَاراً وَلَا تَخْشَ مِنْ فَقْرٍ
وَإِيَّاكَ وَالْدُنْيَا فَإِنَّ حَلَالَهَا
حِسَابٌ وَفِي مُحْظُورِهَا الْهَتِكُ لِلْسِرِّ

وَلَا تَكُ عَيَاباً وَلَا تَكُ حَاسِداً
وَلَا تَكُ ذَا غِشٍّ وَلَا تَكُ ذَا غَدْرِ
وَلَا تَطْلُبَنَّ الْجَاهَ يَا صَاحِبَهُ
شَهِيٍّ وَفِيهِ السُّمُّ مِنْ حَيْثُ لَا تَدْرِي
وَأَيَّاكَ وَالْأَطْمَاعَ إِنَّ قَرِينَهَا
ذَلِيلٌ خَسِيسٌ الْقَصْدِ مُتَضِعُ الْقَدْرِ
وَإِنْ رُمْتَ أَمراً فَاسْأَلِ اللَّهَ إِنَّهُ
هُوَ الْمُفْضِلُ الْوَهَّابُ لِلْخَيْرِ وَالْوَفِرِ
وَأَوْصِيكَ بِالْخَمْسِ الَّتِي هُنَّ يَا أَخِي
عِمَادٌ لِدِينِ اللَّهِ وَاسِطَةٌ الْأَمْرِ
وَحَافِظٌ عَلَيْهَا بِالْجَمَاعَةِ دَائِماً
وَوَاطِبٌ عَلَيْهَا فِي الْعِشَاءِ وَفِي الْفَجْرِ
وَقُمْ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ لِلَّهِ قَانِتاً
وَصَلِّ لَهُ وَاخْتِمِ صَلَاتَكَ بِالْوَتْرِ
وَكَُنْ تَائِباً مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ أَتَيْتَهُ
وَمُسْتَغْفِراً فِي كُلِّ حِينٍ مِنَ الْوِزْرِ
عَسَى الْمُفْضِلُ الْمَوْلَى الْكَرِيمُ بِمَنِّهِ
يَجُودُ عَلَى ذَنْبِ الْمُسِيئِينَ بِالْغَفْرِ
فَإِحْسَانُهُ عَمَّ الْأَنَامَ وَجُودُهُ
عَلَى كُلِّ مَخْلُوقٍ وَإِفْضَالُهُ يَجْرِي
وَصَلِّ عَلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا
مُحَمَّدٍ الْمَبْعُوثِ بِالْبَشَرِ وَالنُّذْرِ

اللهم اغفر لنا ما قَطَعَ قُلُوبَنَا عَنْ ذِكْرِكَ وَاغْفِرْ عَنْ تَقْصِيرِنَا فِي طَاعَتِكَ وَشُكْرِكَ وَأَدِّمْ لَنَا لِرُؤْمِ الطَّرِيقِ إِلَيْكَ وَهَبْ لَنَا نُوراً نَهْتَدِي بِهِ إِلَيْكَ وَاسْلُكْ بِنَا سَبِيلَ أَهْلِ مَرْضَاتِكَ واقطع عنا كل ما يُعِدُّنا عن سَبِيلِكَ وَيَسِّرْ لَنَا ما يَسِّرُهُ لِأَهْلِ مَحَبَّتِكَ وَأَيِّقْظُنَّا مِنْ غَفْلَاتِنَا وَالْهَمْنَا رُشْدَنَا وَحَقِّقْ بِكَرَمِكَ قَصْدَنَا .

اللَّهُمَّ فَتَعْنَا مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَسِيرِ وَسَهِّلْ عَلَيْنَا كُلَّ أَمْرٍ عَسِيرٍ وَوَفِّقْنَا لِمَا نَحِبُهُ وَتَرْضَاهُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَسْكِنْنَا دَارَ كَرَامَتِكَ يَا مَنْ هُوَ مَلْجَأُنَا وَمَلَأُنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ واجعل لنا من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

عبد الرحمن بن عوف

هُوَ أَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ اسْمُهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَبْدُ عَمْرٍو فَلَمَّا أَسْلَمَ دَعَاهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ .

أَسْلَمَ بَعْدَ إِسْلَامِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ بِيَوْمَيْنِ فَقَطَّ وَلَقِيَ مِنَ التَّعْذِيبِ فِي سَبِيلِ اللهِ مَا لَقِيَهُ الْمُسْلِمُونَ الْأَوَّلُونَ فَصَبَرَ كَمَا صَبَرُوا وَثَبَّتَ كَمَا ثَبَّتُوا وَصَدَّقَ كَمَا صَدَّقُوا وَفَرَّ بِدِينِهِ إِلَى الْحَبْشَةِ كَمَا فَرَّ كَثِيرٌ مِنْهُمْ بِدِينِهِ مِنْهُمْ .

وَلَمَّا أُذِنَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ بِالْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ كَانَ فِي طَلِيعَةِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ هَاجَرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَلَمَّا آخَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ آخَى بَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَسَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ فَقَالَ سَعْدُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أَيُّ أَخِي أَنَا أَكْثَرُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ مَالاً وَعِنْدِي بُسْتَانَانِ وَلِي امْرَأَتَانِ فَاظْطُرُّ أَيُّ بُسْتَانِي أَحَبُّ إِلَيْكَ وَأَيُّ امْرَأَتِي أَرْضَى عِنْدَكَ أُطْلِقْهَا لَكَ .

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي مَالِكَ وَأَهْلِكَ وَلَكِنْ دُلَّنِي عَلَى
السُّوقِ فَدَلَّهُ عَلَيْهِ فَجَعَلَ يَتَجَرُّ وَبَعْدَ مُدَّةٍ اجْتَمَعَ لَدَيْهِ مَالٌ فَتَزَوَّجَ وَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ أَثَرُ الطَّيِّبِ فَقَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَهَيْمٌ »
يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ « وَهِيَ كَلِمَةٌ يَمَانِيَّةٌ تُفِيدُ التَّعَجُّبَ » فَقَالَ تَزَوَّجْتُ فَقَالَ وَمَا
أَعْطَيْتَ زَوْجَتَكَ مِنَ الْمَهْرِ قَالَ وَزَنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ .

قَالَ أَوْلِمَ وَلَوْ بِشَاةٍ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي مَالِكَ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَأُقْبِلْتُ
الدُّنْيَا عَلَيَّ حَتَّى رَأَيْتُنِي لَوْ رَفَعْتُ حَجْرًا لَتَوَقَّعْتُ أَنْ أَجِدَ تَحْتَهُ ذَهَبًا أَوْ فِضَّةً وَقَدْ
جَاهَدَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بَنَ عَوْفٍ يَوْمَ بَدْرٍ وَفِي يَوْمٍ أُحُدٍ ثَبَّتَ حَتَّى زُلْزَلَتْ أَقْدَامُ
الْمُشْرِكِينَ وَصَمَدَ حِينَ فَرَ الْمُنْهَزِمُونَ وَخَرَجَ مِنَ الْمَعْرَكَةِ وَفِيهِ بَضْعَةٌ وَعِشْرُونَ
جُرْحًا .

وَلَكِنْ جِهَادَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِنَفْسِهِ قَلِيلٌ إِذَا قِيسَ بِجِهَادِهِ بِمَالِهِ ، فَلَمَّا أَنْ
أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُجَهِّزَ سَرِيَّةً وَقَالَ « تَصَدَّقُوا فَإِنِّي أُرِيدُ
أَنْ أَبْعَثَ بَعْثًا » .

فَبَادَرَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَأَنْطَلَقَ إِلَى مَنْزِلِهِ وَعَادَ مُسْرِعًا وَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ
عِنْدِي أَرْبَعَةُ آلَافٍ أَلْفَانِ مِنْهُمَا أَقْرَضْتُهَا رَبِّي وَأَلْفَانِ تَرَكْتُهُمَا لِإِعْيَالِي فَقَالَ لَهُ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيمَا أَعْطَيْتَ وَبَارَكَ لَكَ فِيمَا
أَبْقَيْتَ .

وَلَمَّا عَزَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى غَزْوَةِ تَبُوكَ كَانَتْ
الْحَاجَةُ إِلَى الْمَالِ لَا تَقِلُّ عَنِ الْحَاجَةِ إِلَى الرِّجَالِ فَجِيَشُ الرُّومِ وَأَفْرُ الْعَدَدِ
كَثِيرُ الْعَدَدِ وَالسَّنَةُ فِي الْمَدِينَةِ سَنَةٌ جَدِبٍ وَالسَّفَرُ طَوِيلٌ وَالْمَوْنَةُ قَلِيلَةٌ
وَالرَّوَاحِلُ أَقْلٌ .

حَتَّى إِنَّ نَفْرًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ جَاؤا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَسْأَلُونَهُ فِي حُرْقَةَ أَنْ يَأْخُذَهُمْ مَعَهُ فَرَدَّهُمْ لِأَنَّهُ لَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ مَا يَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ

وَهُمُ الْبَكَوُونَ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ .

وَأُطْلِقَ عَلَى الْجَيْشِ جَيْشَ الْعُسْرَةِ عِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ بِالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاحْتِسَابِ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ .

فَهَبَ الْمُسْلِمُونَ يَسْتَجِيبُونَ لِدَعْوَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ فِي طَلِيعَةِ الْمُتَصَدِّقِينَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَتَصَدَّقَ بِمَائِي أُوقِيَّةٍ ذَهَبًا فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي لَا أَرَى عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ إِلَّا مُرْتَكِبًا إِيْمًا فَمَا تَرَكَ لِأَهْلِهِ شَيْئًا .

فَقَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ هَلْ تَرَكَتَ لِأَهْلِكَ شَيْئًا فَقَالَ نَعَمْ تَرَكَتُ لَهُمْ أَكْثَرَ مِمَّا أَنْفَقْتُ وَأَطِيبَ قَالَ كَمْ قَالَ مَا وَعَدَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنَ الرِّزْقِ وَالْخَيْرِ وَالْأَجْرِ .

وَمَضَى الْجَيْشُ إِلَى تَبُوكَ وَهُنَاكَ أَكْرَمَ اللَّهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَقَدْ دَخَلَ وَقْتُ الصَّلَاةِ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَائِبٌ فَأَمَّ الْمُسْلِمِينَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَمَا كَادَتْ تَتِمُّ الرُّكْعَةُ الْأُولَى حَتَّى لَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمُضَلِّينَ وَاقْتَدَى بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَصَلَّى خَلْفَهُ .

وَلَمَّا لَحِقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى جَعَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ يَقُومُ بِمَصَالِحِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ فَكَانَ يَنْهَضُ مَعَهُنَّ وَيَخْرُجُ لِحَاجَتِهِنَّ إِذَا خَرَجْنَ وَيَحُجُّ مَعَهُنَّ إِذَا حَجَّجْنَ وَيَجْعَلُ عَلَى هَوَاجِهِنَّ الطَّيَالِسَةَ وَيَنْزِلُ بِهِنَّ فِي الْأَمَاكِنِ الَّتِي تَسْرُهُنَّ .

وَتِلْكَ مَنَقِبَةٌ مِنْ مَنَاقِبِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَلَقَدْ بَلَغَ مِنْ بَرِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ بِالْمُسْلِمِينَ وَأُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ بَاعَ أَرْضًا بِأَرْبَعِينَ أَلْفِ

دِينَارٍ فَقَسَمَهَا كُلُّهَا فِي بَنِي زُهْرَةَ وَفُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ وَأَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا بَعَثَ إِلَى أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ مَنْ بَعَثَ هَذَا الْمَالَ فَقِيلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فَقَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَحْنُوا عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي إِلَّا الصَّابِرُونَ .

دِينَارٍ فَقَسَمَهَا كُلُّهَا فِي بَنِي زُهْرَةَ وَفُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ وَأَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا بَعَثَ إِلَى أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ مَنْ بَعَثَ هَذَا الْمَالَ فَقِيلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فَقَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَحْنُوا عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي إِلَّا الصَّابِرُونَ .

بَقِيَتْ دَعْوَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ بِأَنْ يُبَارِكَ اللَّهُ لَهُ حَتَّى صَارَ أَغْنَى الصَّحَابَةِ فَقَدْ أَخَذَتْ تِجَارَتَهُ تَتَمُّو وَتَزْدَادُ وَصَارَتْ قَوَائِلُهُ تَتَرَدَّدُ ذَاهِبَةً مِنَ الْمَدِينَةِ أَوْ رَاجِعَةً إِلَيْهَا تَحْمِلُ الْبُرَّ وَالذَّقِيقَ وَالذَّهْنَ وَاللِّيَابَ وَالْأَيْتَةَ وَالطَّيِّبَ وَكُلُّ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ .

وَلَا غَرَابَةَ فَقَدْ دَعَا لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنْ يُبَارِكَ لَهُ فِي مَالِهِ ، لَكِنَّ ذَلِكَ الْمَالَ لَمْ يَفْتِنَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ وَلَمْ يَغْيِرْهُ فَكَانَ النَّاسُ إِذَا رَأَوْهُ بَيْنَ مَمَالِكِهِ لَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ وَفِي يَوْمٍ مَا أَتَى بِطَعَامٍ وَهُوَ صَائِمٌ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ لَقَدْ قُتِلَ مُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي فَمَا وَجَدْنَا لَهُ إِلَّا كَفْنَا إِنْ غَطَى رَأْسَهُ بَدَتْ رِجْلَاهُ وَإِنْ غَطَى رِجْلَيْهِ بَدَا رَأْسُهُ ثُمَّ بَسَطَ اللَّهُ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا بَسَطَ وَإِنِّي لِأَخْشَى أَنْ يَكُونَ ثَوَابُنَا قَدْ عُجِّلَ لَنَا ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي وَيَنْشَجُ حَتَّى عَافَ الطَّعَامَ طُوبَى لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَأَلْفُ غِبْطَةٍ

فَقَدْ بَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ الصَّادِقُ الْمُصْذُوقُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَحَمَلَ جَنَازَتَهُ خَالَ رَسُولِ اللَّهِ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ .

وَصَلَّى عَلَيْهِ ذُو الثُّورَيْنِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ وَشَيْعُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَهُوَ يَقُولُ لَقَدْ أَدْرَكْتُ صَفْوَهَا وَسَبَقْتُ زَيْنَهَا يَرْحَمُكَ اللَّهُ . انْتَهَى اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا مَنْ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ مَكَّنْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا

وَقَوْهَا وَاللَّهِمَّنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأَعِنَّا عَلَى الْقِيَامِ بِطَاعَتِكَ وَالْإِنْتِهَاءِ عَنْ
 مَعْصِيَتِكَ اللَّهُمَّ افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ فَإِنَّا نَدْعُوكَ دُعَاءَ مَنْ كَثُرَتْ
 ذُنُوبُهُ وَتَضَرَّمَتْ أَمَالُهُ وَبَقِيَتْ أَنَامُهُ وَأَنْسَبَلَتْ دَمَعَتُهُ وَأَنْقَطَعَتْ مُدَّتُهُ دُعَاءَ مَنْ
 لَا يَرْجُو لِذَنْبِهِ غَافِرًا غَيْرَكَ وَلَا لِمَا يُؤْمَلُهُ مِنَ الْخَيْرَاتِ مُعْطِيًا بِوَاكٍ وَلَا
 لِكُسْرِهِ جَابِرًا إِلَّا أَنْتَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
 وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فَمَا الْبُكَاءُ عَلَى الْأَشْحَابِ وَالصُّوَرِ
 عَنْ نَوْمَةِ نَابِ اللَّيْلِ وَالظُّفْرِ
 وَالْبَيْضِ وَالسُّودِ مِثْلَ الْبَيْضِ وَالسُّمْرِ
 يَدُ الضَّرْبِ وَبَيْنَ الصَّارِمِ الذَّكْرِ
 فَمَا صِنَاعَةُ عَيْنَيْهَا سِوَى السَّهْرِ
 مِنَ اللَّيَالِي وَغَالَتَهَا يَدُ الْغَيْرِ
 مِنَّا جِرَاحٌ وَإِنْ زَاغَتْ عَنِ النَّظْرِ
 كَالْأَيْمِ نَارًا إِلَى الْجَانِبِ مِنَ الرَّهْرِ
 لَمْ تَبْقُ مِنْهَا وَسْلٌ دُنْيَاكَ عَنْ حَبْرِ
 وَكَانَ غَضْبًا عَلَى الْأَمْلَاكِ ذَا أَثْرِ
 وَلَمْ تَدْعُ لِبَنِي يُونَانَ مِنْ أَثْرِ
 عَادٍ وَجُرْهُمِ مِنْهَا نَاقِضُ الْمَرِّ
 وَلَا أَجَارَتْ ذَوِي الْعَايَاتِ مِنْ مُضَرِّ
 فَمَا التَّقْلَا رَائِحٌ مِنْهُمْ بِمُبْتَكِرِ
 مُهْلَهْلًا بَيْنَ سَمْعِ الْأَرْضِ وَالْبَصْرِ
 وَلَا تَنْتِ أَسَدًا عَنْ رَبِّهَا حَجَرِ
 عَبَسًا وَغَصَّتْ بَنِي بَدْرِ عَلَى النَّهْرِ
 يَدِ ابْنِهِ أَحْمَرَ الْعَيْنَيْنِ وَالشَّعْرِ

الْمَوْتُ يَفْجَعُ بَعْدَ الْعَيْنِ بِالْأَثْرِ
 أَنهَاكَ أَنهَاكَ لَا أَلْوَكُ مَوْعِظَةٌ
 فَالْعُمُرُ يَفْنَى وَإِنْ طَالَتْ مُسَالِمَةٌ
 وَلَا هَوَادَةٌ بَيْنَ الرَّأْسِ تَأْخُذُهُ
 فَلَا تُعْرِنُكَ مِنْ دُنْيَاكَ نَوْمَتُهَا
 مَا لِلْيَالِي؟ أَقَالَ اللَّهُ عَثْرَتَنَا
 فِي كُلِّ جِنِّ لَهَا فِي كُلِّ جَارِحَةٍ
 تَسُرُّ بِالشَّيْءِ لَكِنْ كَيْ تَعُرَّ بِهِ
 كَمْ دَوْلَةٌ وُلِّيَتْ بِالنَّصْرِ خَدْمَتُهَا
 هَوَتْ بِدَارًا وَفَلَّتْ غَرْبَ قَاتِلِهِ
 وَاسْتَرْجَعَتْ مِنْ بَنِي سَاسَانَ مَا وَهَبَتْ
 وَالْحَقُّ أَحْتَهَا طَمَسًا وَعَادَ عَلَى
 وَمَا أَقَالَتْ ذَوِي الْهَيْئَاتِ مِنْ يَمَنِ
 وَمَزَقَتْ سَبَأً فِي كُلِّ قَاصِيَةٍ
 وَأَنْفَذَتْ فِي كُلِّبِ حَكَمَهَا وَرَمَتْ
 وَلَمْ تُرُدَّ عَلَى الضُّلَيْلِ صِحَّتَهُ
 وَدَوَّخَتْ آلَ ذِيانٍ وَإِخْوَانَهُمْ
 وَالْحَقُّ بِعَدِيٍّ بِالْعِرَاقِ عَلَى

وَأَهْلَكَتْ إِبْرَوِيضًا بَائِنَهُ وَرَمَتْ
 وَبَلَّغَتْ يَزْدَجِرْدَ الصَّيْنِ وَاخْتَزَلَتْ
 وَلَمْ تُرَدِّ مَوَاضِي رُسْتَمِ وَقَنَا
 يَوْمَ الْقَلِيبِ بَنُو بَدْرِ فَنُؤُوا وَسَعَى
 وَأَخْفَرَتْ فِي الْأَمِينِ الْعَهْدَ وَانْتَدَبَتْ
 وَمَا وَقَتْ بَعْهُودِ الْمُسْتَعِينِ وَلَا
 وَأَوْثَقَتْ فِي عُرَاهَا كُلِّ مَعْتَمِدِ
 وَرَوَّعَتْ كُلَّ مَأْمُونٍ وَمُؤْتَمِنِ
 وَأَعَثَّرَتْ آلَ عِبَادٍ لَعَالِهِمْ
 بَنِي الْمَطْفَرِ وَالْأَيَّامِ - لَا نَزَلَتْ
 سُحْقًا لِيَوْمِكُمْ يَوْمًا وَلَا حَمَلَتْ
 مَنْ لِلْأَسِرَّةِ أَوْ مَنْ لِلْإِعْنَةِ أَوْ
 مَنْ لِلظُّبَا وَعَوَالِي الْخَطِّ قَدْ عَقَدَتْ
 وَطَوَّقَتْ بِالْمَنَايَا السُّودِ بِيضَهُمْ
 مَنْ لِلْبِرَاعَةِ أَوْ مَنْ لِلْبِرَاعَةِ أَوْ
 أَوْ دَفَعَ كَارِثَةَ أَوْ رَذَعَ آزِفَةَ
 وَيَبَّ السَّمَّاحِ وَوَيْبَ الْبَاءِ لَوْ سَلِمَا
 سَقَتْ ثَرَى الْفَضْلِ وَالْعَبَّاسِ هَامِيَةً
 ثَلَاثَةَ مَا رَأَى السَّعْدَانَ مِثْلَهُمْ
 ثَلَاثَةَ كَذَوَاتِ الدَّهْرِ مُنْذُ نَأَوَا
 وَمَرٌّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فِيهِ أَطْيَبُهُ
 أَيْنَ الْجَلَالُ الَّذِي غَضَّتْ مَهَابَتُهُ
 أَيْنَ الْإِبَاءُ الَّذِي أَرْسُوا قَوَاعِدَهُ
 أَيْنَ الْوَفَاءُ الَّذِي أَصْفُوا شَرَائِعَهُ
 كَانُوا رَوَاسِي أَرْضِ اللَّهِ مُنْذُ مَضَوْا

يَزْدَجِرْدِ إِلَى مَرَوْ فَلَمْ يُحْرِ
 عَنْهُ سِوَى الْفُرْسِ جَمَعَ التُّرْكَ وَالْحَزْرِ
 ذِي حَاجِبٍ عَنْهُ سَعْدًا فِي ابْنِهِ الْغَيْرِ
 قَلِيبُ بَدْرِ بِمَنْ فِيهِ إِلَى سَقَرِ
 لَجَعَفَرِ بَائِنِهِ وَالْأَعْنِدِ الْعُدْرِ
 بِمَا تَأَكَّدَ لِلْمُعْتَزِّ مِنْ مَرَرِ
 وَأَشْرَقَتْ بِقَذَاهَا كُلِّ مُقْتَدِرِ
 بِذَيْلِ زَبَاءٍ لَمْ تَنْفِرْ مِنَ الدُّعْرِ
 وَأَسْلَمَتْ كُلِّ مَنْصُورٍ وَمُنْتَصِرِ
 مَرَّاحِلٍ وَالْوَرَى مِنْهَا عَلَى سَفَرِ
 بِمِثْلِهِ لَيْلَةٌ فِي غَابِرِ الْعُمْرِ
 مَنْ لِلْأَسِنَّةِ يُهْدِيهَا إِلَى الثَّغْرِ
 أَطْرَافِ السُّنْهَاءِ بِالْعِيِّ وَالْحَصْرِ
 فَأَعْجَبَ لِدَاكٍ وَمَا مِنْهَا سِوَى الذِّكْرِ
 مَنْ لِلسَّمَّاحَةِ أَوْ لِلنَّفْعِ وَالضَّرْرِ
 أَوْ قَمَعَ حَدِيثَةٍ تَعْيِي عَلَى الْبَشْرِ
 وَنُصْرَةَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا عَلَى عُمَرِ
 تُعْزِي إِلَيْهِمْ سَمَاحًا لَا إِلَى الْمَطْرِ
 وَاخْبِرْ وَلَوْ عَزَّزَا فِي الْحَوْتِ بِالْقَمَرِ
 عَنِّي مَضَى الدَّهْرُ لَمْ يَرْبِعْ وَلَمْ يَجْرِ
 حَتَّى التَّمْتَعِ بِالْأَصَالِ وَالْبَكْرِ
 قُوتِنَا وَعُيُونُ الْأَنْجُمِ الزُّهْرِ
 عَلَى دَعَائِمٍ مِنْ عِزٍّ وَمِنْ ظَفَرٍ ؟
 فَلَمْ يَرِدْ أَحَدٌ مِنْهَا عَلَى كَدْرِ
 عَنْهَا اسْتَطَّارَتْ بِمَنْ فِيهَا وَلَمْ تَقْرِ

كَانُوا مَصَائِحَهَا دَهْرًا فَمُنْذُ خَبُوا
 مَنْ لِي مَنْ بِهِمْ إِنْ أَظْلَمْتُ نُوبٌ
 مَنْ لِي وَلَا مَنْ بِهِمْ إِنْ أَطَبَقْتُ مِحْنٌ
 عَلَى الْفَضَائِلِ إِلَّا الصَّبْرُ بَعْدَهُمْ
 يَرْجُو عَسَى وَلَهُ فِي أُخْتِهَا أَمَلٌ
 رَرَطْتُ آذَانَ مَنْ فِيهَا بِفَاضِحَةٍ
 سَيَّارَةٌ فِي أَقَاصِي الْأَرْضِ قَاطِعَةٌ
 مُطَاعَةٌ الْأَمْرِ فِي الْأَلْبَابِ قَاضِيَةٌ
 صَارَ الْخَلِيقَةُ يَاللَّهِ فِي مَرَرٍ
 وَلَمْ يَكُنْ لَيْلُهَا يُفْضِي إِلَى سَحَرٍ
 وَلَمْ يَكُنْ وَزْرُهَا يَدْعُو إِلَى صَدْرِ
 سَلَامٌ مُرْتَقِبٍ لِلْأَجْرِ مُنْتَظِرٍ
 وَالْدَّهْرُ ذُو عَتَبٍ شَتَّى وَذُو غَيْرٍ
 عَلَى الْحَسَنِ حَصَى الْيَاقُوتِ وَالذَّرِيرِ
 شَقَاشِقًا هَدَرَتْ فِي الْبَلَدِ وَالْحَضَرِ
 مِنَ الْمَسَامِعِ مَا لَمْ يُقْضَ مِنْ وَطَرٍ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسَلُكَ نَفْسًا مُطْمَئِنَّةً ، تُؤْمِنُ بِلِقَائِكَ وَتَرْضَى بِقَضَائِكَ ، وَتَقْنَعُ
 بِعَطَائِكَ ، يَا أَرْأَفَ الرَّائِفِينَ ، وَأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
 وَسَلَّمَ .
 موعظة :

عن معاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنه، أنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ
 اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي حُطْبَةِ أَحَدِ الْعِيدِينَ: «الدُّنْيَا دَارُ بَلَاءٍ وَمَنْزِلَ قَلْبِي وَعِنَايَ، وَقَدْ
 تَرَعْتُ عَنْهَا نَفُوسُ السُّعْدَاءِ، وَانْتَرَعَتْ بِالْكَرْهِ مِنْ أَيْدِي الْأَشْقِيَاءِ، فَاسْعُدُ النَّاسَ
 بِهَا أَرْغَبُهُمْ عَنْهَا، وَأَشْقَاهُمْ بِهَا أَرْغَبُهُمْ فِيهَا، هِيَ الْغَاشَّةُ لِمَنْ انْتَصَحَهَا، وَالْمُعْوِيَةُ
 لِمَنْ أَطَاعَهَا، وَالخَاتِرَةُ لِمَنْ انْقَادَ لَهَا. فَالْفَائِزُ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهَا، وَالْهَالِكُ مَنْ رَاغِبٌ
 فِيهَا. طُوبَى لِعَبِيدٍ اتَّقَى فِيهَا رَبَّهُ، وَنَاصَحَ نَفْسَهُ، وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ، وَأَخَّرَ شَهْوَتَهُ مِنْ
 قَبْلِ أَنْ تَلْفِظَهُ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ، فَيُصْبِحُ فِي بَطْنِ مَوْحِشَةٍ غِبْرَاءَ، مُدْلِهِمَةً ظَلْمَاءَ،
 لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَزِيدَ فِي حَسَنَتِهِ، وَلَا يَنْقُصَ مِنْ سَيِّئَتِهِ، ثُمَّ يُنْشَرُ فَيُحْشَرُ إِمَّا إِلَى جَنَّةٍ
 يَدُومُ نَعِيمُهَا، وَإِمَّا إِلَى نَارٍ لَا يَنْفَدُ عَذَابُهَا.

وعن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ فِي
 حُطْبَتِهِ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذِهِ الدَّارَ دَارَ التَّوَاءِ، لَا دَارَ اسْتِوَاءِ، وَمَنْزِلَ تَرَحٍّ، لَا
 مَنْزِلَ فَرَحٍ. مَنْ عَرَفَهَا لَمْ يَفْرَحْ لِرَحَاءِ، وَلَمْ يَحْزَنْ لَشِقَاءِ. أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ
 خَلَقَ الدُّنْيَا دَارَ بَلْوَى، وَالْآخِرَةَ دَارَ عُقْبَى، فَجَعَلَ بَلْوَى الدُّنْيَا لِثَوَابِ الْآخِرَةِ

سَبَّأً، وَثَوَابَ الآخِرَةِ مِنْ بَلْوَى الدُّنْيَا عَوْضاً، فَيَأْخُذُ لِيُعْطِي، وَيَتَلِي لِيَجْزِي.
 إِنَّهَا لَسَرِيعَةُ الذَّهَابِ، وَشَيْكَةُ الاِنْقِلَابِ، فَاحْذَرُوا حَلَاوَةَ رِضَاعِهَا لِمَرَارَةِ
 فِطَامِهَا، وَاهْجُرُوا لَدِيدَ عَاجِلِهَا، لِكَرْبِهِ آجِلِهَا، وَلَا تَسْعُوا فِي عُمَرَانِ دَارٍ قَدْ
 قَضَى اللهُ خَرَابَهَا، وَلَا تُوَصِّلُوهَا، وَقَدْ أَرَادَ اللهُ مِنْكُمْ اجْتِنَابَهَا، فَتَكُونُوا لِسُخْطِهِ
 مُتَعَرِّضِينَ، وَلِعُقُوبَتِهِ مُسْتَحِقِّينَ.

هو الموت ما منه مَفَرٌّ لِهَارِبٍ
 وَهَلْ هَرَبِي يَوْمًا مِنَ اللَّيْلِ يَنْفَعُ
 وَأَيُّ اجْتِمَاعٍ لَا يُبَدِّدُ شَمْلُهُ
 وَأَيُّ فُؤَادٍ بِالرَّدَى لَا يُرَوِّعُ
 حَيَاتِكَ كَالْأَضْعَاثِ وَالْحِلْمِ مُزَعِّجُ
 وَيَعْقِبُهُ الْمَوْتُ الَّذِي لَيْسَ يُدْفَعُ
 لَقَدْ جِئْتُ مُضْطَرًّا وَتَرْجَعُ كَارِهًا
 وَلَمْ يَخْتَلِفْ شَأْنًا مَجِيءٌ وَمَرْجِعُ
 إِذَا اتَّسَخَ السَّرْبَالُ أَوْرَثَ نَسْجُهُ
 فَلَا بُدَّ لِلسَّرْبَالِ بِالنَّزْعِ يُخْلَعُ
 أَرَى الرُّوحَ تَأْوِي الْجِسْمَ مَا دَامَ عَامِرًا
 وَتُخْلِيهِ مِنْ بَعْدِ إِنْهِيَارِ وَتُقْلَعُ
 إِذَا طَالَ عُمُرُ الْمَرْءِ طَالَ عَنَاؤُهُ
 وَأَشْقَاهُ مِنْ أَحْبَابِهِ مَنْ يُودِّعُ
 وَعَاثَتْ تَصَارِيفُ الزَّمَانِ بِجِسْمِهِ
 فَفِي كُلِّ يَوْمٍ جَانِبٌ يَتَضَعُّعُ
 تَسَاقَطُ أَسْنَانٌ وَيَضْعَفُ نَاطِرُ
 وَتَقْصُرُ خُطُوبَاتُ وَيَثْقُلُ مَسْمَعُ
 أَرَى الْوَقْتُ وَالِدَاءَ الْعُظَالَ يَلُوكُنَا
 لَتَبْلَعَنَا الْأَرْضُ الَّتِي لَيْسَ تَشْبَعُ

نَوَائِبُهُ الْأَنْيَابُ تَفْرِي قُلُوبَنَا
وفيها أمانينا سراب مُشَعِّعٌ
وماذا يُرْجِي الْحَيُّ إِنْ جُدَّ أَصْلُهُ
وَشُدُّبَ عَنْهُ فَرَعُهُ الْمُتَفَرِّعُ
وما عُدْرٌ مَنْ تُؤَدِي اللَّيَالِي بِبَعْضِهِ
إِذَا كَانَ بِالذُّنْيَا يُعْرُ وَيُخْدَعُ
ولم أرى كالدنيا ولم أرى كلبها
تَجُورُ عَلَيْهِ وَهُوَ بِالْأَمْرِ مُوَلِّعُ
إِذَا عَرَفَ الدُّنْيَا لَيْبَ أَهَانَهَا
وَيُحْيِي حَيَاةَ الزَّاهِدِينَ وَيَقْتَعُ
تَوَالَتْ مَلَائِينُ الْمَلَائِينِ قَبْلَنَا
عَلَى سُنَنِ الْأَجْيَالِ تَقْفُوا وَتَتَّبِعُ
قَوَائِلُ يَخْذُوهَا الزَّمَانُ بِلَحْنِهِ
وما لَحْنُهُ إِلَّا الْأَتِينُ الْمُرْجَعُ
أَرَى الْمَوْتَ لَا يَنْبِيهِ ثُبُلٌ وَسُودَدُ
وَلَا مَحْتَدٌ زَاكٌ وَشَانٌ مُرْفَعُ
وَلَا خُلُقٌ زَاكٌ وَلَا عَبْقَرِيَّةٌ
وَهَلْ خُلُقٌ عِنْدَ الْمَنِيَةِ يَشْفَعُ
وما الموتُ إِلَّا قُوَّةٌ تَنْحِي لَهَا
ظُهُورُ جَمِيعِ الْأَقْوِيَاءِ وَتَرْكَعُ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ
قِصَّةٌ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ الْأَنْصَارِيِّ

هو أحد السابقين إلى الإسلام في يثرب، إذ ما كاد يستمع إلى آي الذكر
الحكيم يُرْتَلُّهَا الدَّاعِيَةُ الْمَكِّيُّ الشَّابُّ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ بِصَوْتِهِ الشَّجِيِّ وَجَرَسِيهِ

النَّدِيِّ حَتَّى أَسَرَ الْقُرْآنُ سَمْعَهُ بِحِلَاوَةِ وَقَعِهِ، وَمَلَكَ قَلْبَهُ بِرَائِعِ بَيَانِهِ، وَخَلَبَ لُبَّهُ
بِمَا حَفَلَ بِهِ مِنْ هَدْيٍ وَتَشْرِيعٍ.

فَشَرَّحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِيمَانِ، وَأَعْلَى قَدْرَهُ وَرَفَعَ ذِكْرَهُ بِالْإِنْضِوَاءِ تَحْتَ لَوَاءِ
نَبِيِّ الْإِسْلَامِ.

وَمَا قَدِمَ الرَّسُولُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ إِلَى الْمَدِينَةِ مُهَاجِرًا اسْتَقْبَلَهُ
ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي كَوْكَبَةٍ كَبِيرَةٍ مِنْ فَرَسَانِ قَوْمِهِ أَكْرَمَ اسْتِقْبَالٍ، وَرَحَّبَ بِهِ
وَبِصَاحِبِهِ الصَّدِيقِ أَجْمَلِ تَرْجِيحٍ، وَخَطَبَ بَيْنَ يَدَيْهِ خُطْبَةً بَلِيغَةً افْتَتَحَهَا بِحَمْدِ
اللَّهِ جَلٍّ وَعِزٍّ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى نَبِيِّهِ...
وَاخْتَتَمَهَا بِقَوْلِهِ:

«وإِنَّا نُعَاهِدُكَ — يَا رَسُولَ اللَّهِ — عَلَى أَنْ نَمْنَعَكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أَنْفُسَنَا
وَأَوْلَادَنَا وَنِسَاءَنَا، فَمَا لَنَا لِقَاءَ ذَلِكَ؟».

فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

الْجَنَّةُ...

فَمَا كَادَتْ كَلِمَةُ «الْجَنَّةِ» تُصَافِحُ آذَانَ الْقَوْمِ حَتَّى أَشْرَقَتْ وَجُوهَهُمْ
بِالْفَرَحَةِ وَزَهَتْ قَسَمَاتُهُمْ بِالْبَهْجَةِ، وَقَالُوا:

رَضِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ... رَضِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ...

وَمُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ جَعَلَ الرَّسُولُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ تَابِتَ بْنَ قَيْسٍ خَطِيبَهُ، كَمَا
كَانَ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ شَاعِرَهُ.

فَصَارَ إِذَا جَاءَتْهُ وَفُودُ الْعَرَبِ لِيُفَاخِرَهُ أَوْ تُنَاطِرُهُ بِالسَّنَةِ الْفُصْحَاءِ الْمَقَاوِلِ
مِنْ خُطْبَائِهَا وَشِعْرَائِهَا، تَدَبَّ لَهُمْ تَابِتُ بْنُ قَيْسٍ لِمُصَاوَلَةِ الْخُطْبَاءِ، وَحَسَانُ بْنُ
ثَابِتٍ لِمُفَاخِرَةِ الشُّعْرَاءِ.

وَلَقَدْ كَانَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ مُؤْمِنًا عَمِيقَ الْإِيمَانِ، تَقِيًّا صَادِقَ التَّقْوَى، شَدِيدَ
الْحَشْيَةِ مِنْ رَبِّهِ، عَظِيمَ الْحَذَرِ مِنْ كُلِّ مَا يُغْضِبُ اللَّهَ جَلًّا وَعِزًّا.

فلقد رآه رسول الله ﷺ ذات يوم هليعاً جزعاً ترتعد فرائضه خوفاً
وخشية.

فقال: ما بك يا أيا محمد؟!!

فقال: أخشى أن أكون قد هلكت يا رسول الله...

قال: ولم؟!!

قال: لقد نهانا الله جل وعز عن أن نجب أن نحمد بما لم نفعل، وأجديني
أحب الحمد... ونهانا عن الخيلاء، وأجديني أحب الزهو.

فما زال الرسول صلوات الله وسلامه عليه يهدىء من روعه حتى قال:

يا ثابت، ألا ترضى أن تعيش حميداً...

وتقتل شهيداً...

وتدخل الجنة...؟

فأشرق وجهه ثابت بهذه البشري وقال: بلى يا رسول الله... بلى يا رسول

الله.

فقال عليه الصلاة والسلام: إن لك ذلك.

ولما نزل قوله جل شأنه: «يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق
صوت النبي، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم
وأنتم لا تشعرون.»

تجيب ثابت بن قيس مجالس رسول الله ﷺ — على الرغم من شدة حبه
له، وفرط تعلقه به —.

وَلَزِمَ بَيْتَهُ حَتَّى لَا يَكَادُ يَبْرَحُهُ إِلَّا لِأَدَاءِ الْمَكْتُوبَةِ. فَأَفْتَقَدَهُ النَّبِيُّ صَلَوَاتُ
اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: مَنْ يَأْتِينِي بِخَبْرِهِ؟

فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. وَذَهَبَ إِلَيْهِ فَوَجَدَهُ فِي مَنْزِلِهِ
مَحْزُونًا مُنْكَسَأً رَأْسَهُ فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ؟.

قال: شرٌّ.

قال: وما ذاك؟!.

قال: إِنَّكَ تَعْرِفُ أَنِّي رَجُلٌ جَهِيْرُ الصَّوْتِ، وَأَنَّ صَوْتِي كَثِيْرًا مَا يَعْلُو عَلَي
صَوْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا تَعْلَمُ، وَمَا أَحْسَبُنِي إِلَّا قَدْ حَبَطَ
عَمَلِي وَأَنْتَنِي مِنْ أَهْلِ النَّارِ.

فَرَجَعَ الرَّجُلُ إِلَى الرَّسُولِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَأَخْبَرَهُ بِمَا رَأَى وَمَا
سَمِعَ فَقَالَ: إِذْهَبْ إِلَيْهِ وَقُلْ لَهُ: لَسْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَلَكِنَّكَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ.
فَكَانَتْ هَذِهِ بَشَارَةً عَظْمَى لِثَابِتٍ ظَلَّ يَرْجُو خَيْرَهَا طَوَالَ حَيَاتِهِ.

وَقَدْ شَهِدَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا سِوَى بَدْرٍ،
وَأَقْحَمَ نَفْسَهُ فِي غِمَارِ الْمَعَارِكِ طَلِبًا لِلشَّهَادَةِ الَّتِي بَشَّرَهُ بِهَا النَّبِيُّ، فَكَانَ يَخْطِئُهَا
فِي كُلِّ مَرَّةٍ، وَهِيَ قَابَ قَوْسَيْنِ مِنْهُ أَوْ أَدْنَى...

إِلَى أَنْ وَقَعَتْ حُرُوبُ الرَّدَّةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَمُسَيْلَمَةَ الْكُذَّابِ عَلَى عَهْدِ
الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَلَقَدْ كَانَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ إِذْ ذَاكَ أَمِيرًا لِجُنْدِ الْأَنْصَارِ، وَسَالِمٌ مَوْلَى أَبِي
حُدَيْفَةَ أَمِيرًا لِجُنْدِ الْمُهَاجِرِينَ، وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ قَائِدًا لِلْجَيْشِ كُلِّهِ: أَنْصَارِهِ
وَمُهَاجِرِيهِ وَمَنْ فِيهِ مِنْ أُنْبَاءِ الْبُؤَادِيِّ.

ولقد كانت الريح والدولة في جُلِّ المعارك لمُسَيْلَمَةَ ورجالِهِ على جيوشِ المسلمين، حتى بَلَغَ بِهِم الأَمْرُ أَنْ اقْتَحَمُوا فُسْطَاطَ خَالِدِ ابْنِ الْوَلِيدِ، وَهَمُّوا بِقَتْلِ زَوْجَتِهِ أُمِّ تَمِيمٍ، وَقَطَعُوا جِبَالَ الْفُسْطَاطِ وَمَزَّقُوهُ شَرًّا مُمَزَّقًا.

فَرَأَى ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ يَوْمَ ذَلِكَ مِنْ تَضَعُّعِ الْمُسْلِمِينَ مَا شَحَنَ قَلْبَهُ أَسَىً وَكَمْدًا، وَسَمِعَ مِنْ تَنَابُزِهِمْ مَا مَلَأَ صَدْرَهُ هَمًّا وَغَمًّا...

فَأَبْنَاءُ الْمُدُنِ يَرْمُونَ أَهْلَ الْبَوَادِي بِالْحُبْنِ، وَأَهْلُ الْبَوَادِي يَصْفُونَ أَبْنَاءَ الْمُدُنِ بِأَنَّهُمْ لَا يُحْسِنُونَ الْقِتَالَ وَلَا يَدْرُونَ مَا الْحَرْبُ... عِنْدَ ذَلِكَ تَحَنَّنَ ثَابِتٌ وَتَكَفَّنَ وَوَقَّفَ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ.

وقال: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، مَا هَكَذَا كُنَّا نُقَاتِلُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

بِئْسَ مَا عَوَّدْتُمْ أَعْدَاءَكُمْ مِنَ الْجُرْأَةِ عَلَيْكُمْ...
وَبِئْسَ مَا عَوَّدْتُمْ أَنْفُسَكُمْ مِنَ الْإِنْخِذَالِ لَهُمْ...

ثُمَّ رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أُبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ هَوْلًا مِنَ الشِّرْكِ (بِعْنِي مُسَيْلَمَةَ وَقَوْمَهُ). وَأُبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا يَصْنَعُ هَوْلًا (بِعْنِي الْمُسْلِمِينَ).

ثُمَّ هَبَّ هَبَّةَ الْأَسَدِ الضَّارِي كَتِفًا لِكَتِيفٍ مَعَ الْعُرِّ الْمِيَامِينَ: الْبِرَاءِ بْنِ مَالِكِ الْأَنْصَارِيِّ، وَزَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ أَخِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَسَالِمِ مَوْلَى أَبِي حُدَيْفَةَ، وَغَيْرِهِمْ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ السَّابِقِينَ... وَأَبْلَى بِلَاءً عَظِيمًا مَلَأَ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ حَمِيَّةً وَعِزْمًا، وَشَحَنَ أَفئِدَةَ الْمُشْرِكِينَ وَهَنَا وَرُغْبًا.

وَمَا زَالَ يُجَالِدُ فِي كُلِّ اتِّجَاهٍ، وَيُضَارِبُ بِكُلِّ سِلَاحٍ حَتَّى أَثَحَّتْهُ الْجِرَاحُ، فَخَرَّ صَرِيحًا عَلَى أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ قَرِيرَ الْعَيْنِ بِمَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ مِنَ الشَّهَادَةِ الَّتِي بَشَّرَ بِهَا حَبِيبُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، مَثْلُوجَ الصَّدْرِ بِمَا حَقَّقَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ

لِلْمُسْلِمِينَ مِنَ النَّصْرِ...

وكانت على ثابتٍ درعٌ نفيسةٌ، فمرَّ به رجلٌ من المسلمين، فنزعها عنه، وأخذها لنفسه.

وفي الليلة التالية لاستشهاده رآه رجلٌ من المسلمين في منامه فقال للرجل:
أنا ثابتٌ بن قيس، فهل عرفتني؟
قال: نعم.

فقال: إني أوصيك بوصية، فأياك أن تقول هذا حلم فتضيعها...

إني لما قتلتُ أمسٍ مرَّ بي رجلٌ من المسلمين صفتَه كذا وكذا، فأخذَ درعي ومضى بها نحوَ خبائه في أقصى المعسكر من الجهة الفلانية، ووضعها تحت قدرٍ له، ووضع فوق القدرِ رحلاً، فأتى خالد بن الوليد، وقل له: أن يبعث إلى الرجل من يأخذ الدرع منه فهي ما تزال في مكانها.

وأوصيك بأخرى، فأياك أن تقول هذا حلم نائم فتضيعها...

قل لخالد: إذا قدمت على خليفة رسول الله ﷺ في المدينة فقل له: إن على ثابت بن قيس من الدين كذا وكذا... وإن فلاناً وفلاناً من رقيقه عتيقان، فليقض ديني وليحرر غلامي... فاستيقظ الرجل، فأتى خالد بن الوليد فأخبره بما سمع وما رأى...

فبعث خالد من يحضر الدرع من عندها فوجدها في مكانها وجاء بها كما هي.

ولما عاد خالد إلى المدينة حدث أبا بكر رضى الله عنه بخبر ثابت بن قيس ووصيته فأجاز الصديق وصيته وما عرف أحد قبله ولا بعده أجزت وصيته بعد موته سواه.

اللَّهُمَّ أَنْتَ بِنَا مَنَاهِجَ الْمَفْلِحِينَ وَالْبَسْنَا نَجَلَ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ
 وَخَصَّنَا مِنْكَ بِالتَّوْفِيقِ الْمُبِينِ وَوَقَّفْنَا لِقَوْلِ الْحَقِّ وَاتَّبَاعِهِ وَخَلَصْنَا
 مِنَ الْبَاطِلِ وَابْتَدَاعِهِ وَكُنْ لَنَا مُؤَيِّدًا وَلَا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عَلَيْنَا يَدًا وَاجْعَلْ لَنَا
 عَيْشًا رَغَدًا وَلَا تُشِمْتَ بِنَا عَدُوًّا وَلَا حَاسِدًا وَارزُقْنَا عِلْمًا نَافِعًا وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا
 وَفَهْمًا ذَكِيًّا وَطَبْعًا صَفِيًّا وَشِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
 الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ

قصة للنعمان بن مقرن المزني

كانت قبيلة مُزَيْنَةَ تتخذُ منازلها قريباً من يَثْرِبَ، على الطريقِ الممتدَّةِ بين
 المدينةِ ومكة.

وكان الرسولُ صلواتُ الله وسلامُه عليه قد هاجرَ الى المدينةِ، وجعلتْ
 أخبارُه تصلُ تباعاً إلى مُزَيْنَةَ مع الغاديينَ والرائحينَ، فلا تسمعُ عنه إلا خيراً.

وفي ذاتِ عَشِيَّةٍ، جَلَسَ سَيِّدُ الْقَوْمِ، النعمانُ بنُ مقرنِ المزني، في ناديه مع
 إخوتهِ ومَشِيخَةِ قَبِيلَتِهِ، فقال لهم: يا قوم، والله ما عَلِمْنَا عن محمدٍ إلا خيراً، ولا
 سمعنا من دَعْوَتِهِ إلا مَرَحَمَةً وإِحْسَانًا وَعَدْلًا، فما بالنا نُبْطِئُ عَنْهُ، والناسُ إليه
 يُسْرِعُونَ؟!

ثم أَتَبَعَ يقول: أَمَا أَنَا فَقَدْ عَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَعْدُوَ عَلَيْهِ، إِذَا أَصْبَحْتُ، فَمَنْ
 شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ مَعِيَ فَلْيَتَّجِهْزُ.

وكأَنَّمَا مَسَّتْ كَلِمَاتُ النُّعْمَانِ وَتَرَأَ مُرْهَفًا فِي نَفُوسِ الْقَوْمِ، فَمَا إِنْ طَلَعَ
 الصُّبْحُ حَتَّى وَجَدَ إِخْوَتَهُ الْعَشْرَةَ، وَأَرْبَعِمِائَةَ فَارِسٍ مِنْ فَرَسَانِ مُزَيْنَةَ قَدْ جَهَّزُوا
 أَنْفُسَهُمْ لِلْمُضِيِّ مَعَهُ إِلَى يَثْرِبَ لِلِقَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَالذُّخُولِ
 فِي دِينِ اللَّهِ.

يَدُ أَنْ النُّعْمَانَ اسْتَحْيَا أَنْ يَدَعَ مَعَ هَذَا الْجَمْعِ الْحَاشِدِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ دُونَ
أَنْ يَحْمِلَ لَهُ وَلِلْمُسْلِمِينَ شَيْئاً فِي يَدِهِ.

لَكِنَّ السَّنَةَ الشَّهْبَاءَ الْمُجْدِبَةَ الَّتِي مَرَّتْ بِهَا مُزَيْنَةُ لَمْ تَتْرِكْ لَهَا ضَرْعاً وَلَا
زَرْعاً.

فَطَافَ النُّعْمَانُ بَيْنَتِهِ وَيُوتِ إِخْوَتِهِ، وَجَمَعَ كُلَّ مَا أَبْقَاهُ لَهُمُ الْقَحْطُ مِنْ
غُنَيْمَاتٍ، وَسَاقَهَا أَمَامَهُ وَقَدِمَ بِهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَعْلَنَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ
إِسْلَامَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ.

اهْتَزَّتْ يَثْرُبُ مِنْ أَقْصَاهَا إِلَى أَقْصَاهَا فَرِحاً بِالنُّعْمَانِ بْنِ مُقْرِنٍ وَصَحْبِهِ، إِذْ
لَمْ يَسْبِقْ لِبَيْتٍ مِنْ بِيوتِ الْعَرَبِ أَنْ أُسْلِمَ مِنْهُ أَحَدٌ عَشَرَ أَخاً مِنْ أَبِي وَاحِدٍ
وَمَعَهُمْ أَرْبَعُمِائَةٍ فَارِسٍ.

وَسَرَّ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ بِإِسْلَامِ النُّعْمَانِ أَلْبَغَ السُّرُورِ.

انضَوَى النُّعْمَانُ بْنُ مُقْرِنٍ تَحْتَ رَايَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَشَهِدَ مَعَهُ غَزَوَاتِهِ
كُلَّهَا غَيْرَ وَإِنْ وَلَا مُقَصِّرٍ.

وَمَا آلَتْ الْخِلاَفَةُ إِلَى الصَّدِيقِ وَقَفَ مَعَهُ هُوَ وَقَوْمُهُ مِنْ بَنِي مُزَيْنَةَ وَقَفَّةً
حَازِمَةً كَانَ لَهَا أَثَرٌ كَبِيرٌ فِي الْقَضَاءِ عَلَى فِتْنَةِ الرَّدَّةِ.

وَمَا صَارَتْ الْخِلاَفَةُ إِلَى الْفَارُوقِ كَانَ لِلنُّعْمَانِ بْنِ مُقْرِنٍ فِي عَهْدِهِ شَأْنٌ مَا
يَزَالُ التَّارِيخُ يَذْكُرُهُ بِلِسَانِ نَدِيٍّ بِالْحَمْدِ، رَطِيبٍ بِالثَّنَاءِ.

فُقَيْلَ الْقَادِسِيَّةِ، أَرْسَلَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ قَائِدُ جِيُوشِ الْمُسْلِمِينَ وَفدَاً إِلَى
كِسْرَى يَزْدَجْرَدَ بِرِئَاسَةِ النُّعْمَانِ بْنِ مُقْرِنٍ لِيَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ.

ولما بلغوا عاصمة كِسْرَى في المدائن استأذنوا بالدخول عليه فأذن لهم، ثم دعا
التَّرجَمَانَ فقال له: سلَّهُمْ: ما الذي جاء بكم إلى ديارنا وأغراكُم بغزوينا؟!
لَعَلَّكُمْ طَمِعْتُمْ بِنَا وَاجْتَرَأْتُمْ عَلَيْنَا لِأَنَّنا تَشَاغَلْنَا عَنْكُمْ، ولم نَشَأْ أَنْ نَبْطِشَ بِكُمْ.
فالتفت النعمانُ بنُ مُقَرَّبٍ إلى مَنْ مَعَهُ وقال: إن شِئْتُمْ أَجِبْتُهُ عَنْكُمْ، وإن
شاء أَحَدُكُمْ أَنْ يَتَكَلَّمَ آتَرْتُهُ بالكلام.

فقالوا: بَلْ تَكَلَّمْ، ثم التفتوا إلى كِسْرَى وقالوا: إن هذا الرجل يَتَكَلَّمُ
بِلِسَانِنَا فَاسْتَمِعْ إلى ما يقول.

فَحَمِدَ النُّعْمَانُ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَصَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ وَسَلَّم، ثم قال: إِنَّ اللَّهَ
رَحِيمًا فَارْسَلْ إِلَيْنَا رَسُولًا يَدُلُّنَا عَلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُنَا بِهِ، وَيُعَرِّفُنَا الشَّرَّ وَيَنْهَانَا عَنْهُ.
وَوَعَدْنَا — إِنَّ أَجْبَنَاهُ إِلَى مَا دَعَانَا إِلَيْهِ — أَنْ يُعْطِينَا اللَّهَ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.
فما هو إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى بَدَّلَ اللَّهُ ضَيْقَنَا سَعَةً، وَذَلَّتْنَا عِزَّةً، وَعَدَاوَاتِنَا إِخَاءً
وَمَرْحَمَةً.

وقد أَمَرْنَا أَنْ نَدْعُوَ النَّاسَ إِلَى مَا فِيهِ خَيْرُهُمْ وَأَنْ نَبْدَأَ بِمَنْ يَجَاوِرُنَا.

فَنَحْنُ نَدْعُوكُمْ إِلَى الدُّخُولِ فِي دِينِنَا، وَهُوَ دِينٌ حَسَنٌ الْحَسَنَ كُلَّهُ وَحَضْرًا
عَلَيْهِ، وَقَبْحَ الْقَبِيحِ كُلَّهُ وَحَذْرًا مِنْهُ، يَنْقُلُ مُعْتَنِقِيهِ مِنْ ظُلَامِ الْكُفْرِ وَجُورِهِ إِلَى
نُورِ الْإِيمَانِ وَعَدْلِهِ.

فَإِنْ أَجَبْتُمُونَا إِلَى الْإِسْلَامِ خَلَفْنَا فِيكُمْ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَمْنَاكُمْ عَلَيْهِ، عَلَى أَنْ
تَحْكُمُوا بِأَحْكَامِهِ، وَرَجَعْنَا عَنْكُمْ وَتَرَكْنَاكُمْ وَشَأْنَكُمْ.

فَإِنْ أُبِيئْتُمُ الدُّخُولَ فِي دِينِ اللَّهِ أَخَذْنَا مِنْكُمْ الْجِزْيَةَ وَحَمَيْنَاكُمْ، فَإِنْ أُبِيئْتُمْ
إِعْطَاءَ الْجِزْيَةَ حَارَبْنَاكُمْ.

فاستشأط يزدجرد غضباً وغيظاً مما سمع، وقال: إني لا أعلم أمة في الأرض كانت أشقى منكم ولا أقل عدداً، ولا أشد فرقةً، ولا أسوأ حالاً.

وقد كنا نكل أمركم إلى ولاة الضواحي فيأخذون لنا الطاعة منكم...

ثم خفف شيئاً من حدته وقال: فإن كانت الحاجة هي التي دفعتكم إلى الهجاء إلينا أمرنا لكم بقوة إلى أن تُخصب دياركم، وكسونا سادتكم ووجوه قومكم، وملكنا عليكم ملكاً من قبلنا يرفق بكم.

فرد عليه رجل من الوفد رداً أشعل نار غضبه من جديد فقال: لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم.

قوموا فليس لكم شيء عندي، وأخبروا قائدكم أنني مرسل إليه «رستم» حتى يدفنه ويدفنكم معه في خندق القادسية.

ثم أمر فاتي له بجمل ثراب، وقال لرجاله: حملوه على أشرف هؤلاء، وسوقوه أمامكم على مرأى من الناس حتى يخرج من أبواب عاصمة ملكنا.

فقالوا للوفد: من أشرفكم؟ فبادر إليهم عاصم بن عمر وقال: أنا، فحملوه عليه حتى خرج من المدائن، ثم حملوه على ناقته وأخذوه معه لسعد بن أبي وقاص، وبشره بأن الله سيفتح على المسلمين ديار الفرس ويملكهم ثراب أرضهم.

ثم وقعت معركة القادسية، واكتظ خندقها بجثث آلاف القتلى، ولكنهم لم يكونوا من جنود المسلمين، وإنما كانوا من جنود كسرى.

لم يستكن الفرس لهزيمة القادسية، فجمعوا جموعهم، وجيشوا جيوشهم

حتى اكتمل لهم مائة وخمسون ألفاً من أشدّاء المُقاتلين.

فلما وَقَفَ الفاروقُ على أخبارِ هذا الحَشْدِ العظيم، عَزَمَ على أَنْ يَمْضِيَ إلى مواجهةِ هذا الخطرِ الكبيرِ بنفسه.

ولكِنَّ وجوهَ المسلمين ثَنُوهُ عن ذلك، وأشاروا عليه أن يُرْسِلَ قائداً يُعْتَمَدُ عليه في مِثْلِ هذا الأمرِ الجليل.

فقال عمرُ: أشيروا عَلَيَّ برجلٍ أُولِيهِ ذلك التَّعَرُّ.

فقالوا: أنت أعلمُ بِجُنْدِكَ يا أميرَ المؤمنين.

فقال: والله لأُولِيَنَّ على جُنْدِ المسلمين رجلاً يكونُ — إذا التقى الجمعانِ — أُسْبَقَ من الأسيِّنة، هو النُّعمانُ بنُ مُقرِّنِ المُرَزيِّ.

فقالوا: هو لها.

فكتبَ إليه يقول:

من عبدِ الله عمرَ بنِ الخطابِ إلى النُّعمانِ بنِ مُقرِّن.

أما بعد، فَإِنَّهُ قد بَلَغَنِي أَنَّ جموعاً من الأعاجِمِ، كثيرةً قد جَمَعُوا لَكُمْ بـمَدِينَةِ «نَهاوَنَد»، فإذا أتاك كتابي هذا فَسِرْ بِأَمْرِ اللهِ، وَبِعَوْنِ اللهِ، وَبِنَصْرِ اللهِ بِمَنْ مَعَكَ من المسلمين، ولا تُوطِئُهُمْ وَغَرّاً فتؤذِيهم... فَإِنَّ رَجُلًا واحداً من المسلمين أَحَبُّ إِلَيَّ من مائةِ أَلْفِ دينارٍ، والسلامُ عليكم.

هَبَّ النُّعمانُ بنُ مُقرِّنٍ بِحَيْشِهِ لِلِقَاءِ العدوِّ، وأرسلَ أَمَامَهُ طلائعَ من فُرسانِهِ لِتَكْشِيفِ له الطريقِ، فلما اقتربَ الفُرسانُ من «نَهاوَنَد» تَوَقَّفت خيولُهُم، فدفعوها فلم تَنَدْفِعْ، فنزلوا عن ظُهُورِها ليعرفوا الحَبْرَ فوجدوا في حَوافِرِ الخيلِ شَطَايَا من الحديدِ تُشْبِهُ رُؤوسَ المساميرِ، فنظروا في الأَرْضِ فإذا العَجَمُ قد نَثَرُوا في الدروبِ المُوَدِّيَةِ إلى «نَهاوَنَد» حَسَكَ الحديدِ، لِيَعوقوا الفُرسانَ والمُشاةَ عن الوُصولِ إليها.

أخبرَ الفرسانُ النعمانَ بما رَأَوْا، وطلبوا منه أن يمدَّهُم بِرَأْيِهِ، فَأَمَرَهُمْ بِأَنْ يَقِفُوا فِي أَمَاكِنِهِمْ، وَأَنْ يوقدوا النيرانَ فِي اللَّيْلِ لِيرَاهُمُ العَدُوُّ، وَعندَ ذَلِكَ يَتظاهرونَ بِالخَوْفِ مِنْهُ وَالهزيمَةِ أَمَامَهُ لِيُغَرِّبَهُ بِاللَّحَاقِ بِهِمْ وَإِزَالَةَ مَا زَرَعَهُ مِنْ حَسَكِ الحَدِيدِ.

وَجَازَتِ الحِيلَةُ عَلَى الفُرسِ، فَمَا إِنْ رَأَوْا طَلِيعَةَ جَيْشِ المُسْلِمِينَ تَمُضِي مُنْهَزِمَةً أَمَامَهُمْ حَتَّى أَرسلوا عُمَّالَهُمْ فَكُنُسُوا الطَّرِيقَ مِنَ الحَسَكِ، فَكَّرَ عَلَيْهِمُ المُسْلِمُونَ وَاحْتَلَوْا تِلْكَ الدُّرُوبَ.

عَسَكَرَ النعمانُ بِنُ مُقَرَّنٍ بِجَيْشِهِ عَلَى مَشَارِفِ «نَهْأوند» وَعَزَمَ عَلَى أَنْ يَبْغِتَ عَدُوَّهُ بِالهُجُومِ، فَقَالَ لجنُودِهِ: إِنِّي مُكَبِّرٌ ثَلَاثًا، فَإِذَا كَبَّرْتُ الأُولَى فَلْيَتَهَيَّأْ مَنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ تَهَيَّأَ، وَإِذَا كَبَّرْتُ الثَّانِيَةَ فَلْيَشْدُدْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ سِلَاحَهُ عَلَى نَفْسِهِ، فَإِذَا كَبَّرْتُ الثَّالِثَةَ، فَإِنِّي حَامِلٌ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ فَاحْمِلُوا مَعِي.

كَبَّرَ النعمانُ بِنُ مُقَرَّنٍ تَكْبِيرَاتِهِ الثَّلَاثَ، وَانْدَفَعَ فِي صُفُوفِ العَدُوِّ كَأَنَّهُ اللَّيْثُ عَادِيًا، وَتَدَفَّقَ وَرَاءَهُ جُنُودُ المُسْلِمِينَ تَدْفُقُ السَّيْلَ، وَدَارَتْ بَيْنَ الفَرِيقَيْنِ رَحَى مَعْرَكَةٍ ضَرُوسٍ قَلَّمَا شَهِدَ تَارِيخُ الحُرُوبِ لَهَا نَظِيرًا.

فَتَمَرَّقَ جَيْشُ الفُرسِ شَرًّا مُمَرِّقًا، وَمَلَأَتْ قَتْلَاهُ السَّهْلَ وَالجِبَلَ، وَسَالَتْ دِمَائُهُ فِي المَرَاتِ وَالدُّرُوبِ، فَزَلِقَ جِوَادُ النعمانِ بِنُ مُقَرَّنٍ بِالدَّمَاءِ فَصُرِعَ، وَأَصِيبَ النعمانُ نَفْسُهُ إِصَابَةً قَاتِلَةً، فَأَخَذَ أَخُوهُ اللِّوَاءَ مِنْ يَدِهِ، وَسَجَّاهُ بِرَهْقٍ كَانَتْ مَعَهُ، وَكَتَمَ أَمْرَ مَصْرَعِهِ عَنِ المُسْلِمِينَ.

وَلَمَّا تَمَّ النَصْرُ الكَبِيرُ الَّذِي سَمَّاهُ المُسْلِمُونَ «فَتْحَ الفُتُوحِ»...

سَأَلَ الجُنُودَ المُنتَصِرُونَ عَنِ قَائِدِهِمُ البَاسِلِ النعمانِ بِنِ مُقَرَّنٍ، فَرَفَعَ أَخُوهُ البُرْدَةَ عَنْهُ وَقَالَ: هَذَا أَمِيرُكُمْ، قَدْ أَقَرَّ اللَّهُ عَيْنَهُ بِالفَتْحِ، وَخَتَمَ لَهُ بِالشَّهَادَةِ. اللَّهُمَّ طَهِّرْ قُلُوبَنَا مِنَ النِّفَاقِ وَعَمَلْنَا مِنَ الرِّيَاءِ وَالسُّنْتَنَا مِنَ الكَذِبِ وَأَعِينْنَا مِنَ الحَيَاةِ وَأَذَانَنَا عَنِ الاسْتِمَاعِ إِلَى مَا لَا يُرْضِيكَ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ

وَالْحَقُّنَا بِالصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« وداع راحل »

أَهَاجَكَ الْوَجْدُ أَمْ شَاقَّتْكَ آثَارُ
وَمَا لِعَيْنِكَ تَبْكِي حُرْقَةً وَأَسَى
عَلَى الْأَحِبَّةِ تَبْكِي أَمْ عَلَى طَلَلٍ
وَهَلْ مِنَ الدَّهْرِ تَشْكُو سُوءَ عِشْرَتِهِ
هَيْهَاتَ يَا صَاحِبِي آسَى عَلَى زَمَنِ
أَوْ أَذْرِفُ الدَّمْعَ فِي حُبِّ يُفَارِقُنِي
فَمَا سَبْتَنِي قَبْلَ الْيَوْمِ غَانِيَةً
أَمْتُ فِي اللهِ نَفْسًا لَا تُطَاوِعُنِي
وَبِعْتُ فِي اللهِ دُنْيًا لَا يَسُودُ بِهَا
وَلِنَّمَا حَزَنِي فِي صَبِيَّةٍ دَرَجُوا
قَدْ كُنْتُ أَرْجُو زَمَانًا أَنْ أَقُودَهُمْ
وَالآنَ قَدْ سَارَعَتْ دَرَبِي إِلَى كَفَنِ
بِاللهِ يَا صَبِيَّتِي لَا تَهْلِكُوا جَزَعًا
تَرَكْتُمْ فِي حِمَى الرَّحْمَنِ يَكْلُوكُمْ
وَأَنْتُمْ يَا أَهْلَ الْحَيِّ صَبِيَّتَكُمْ
أَفِدِي بِنَفْسِي أَمَا لَا يُفَارِقُهَا
فَكَيْفَ تَسْكُنُ بَعْدَ الْيَوْمِ مِنْ شَجَنِ
وَزَوْجَةٍ مَنَحْتَنِي كُلَّ مَا مَلَكَتْ
عِشْنَا زَمَانًا هَنِيئًا مِنْ تَوَاصُلْنَا
وَإِخْوَةً جَعَلُونِي بَعْدَ فَقْدِ أَبِي
أَسْتُودِعُ اللهُ صَحْبًا كُنْتُ أَذْخَرُهُمْ

كَانَتْ مَعَانِي نِعَمَ الْأَهْلِ وَالِدَارِ
وَمَا لِقَلْبِكَ قَدْ ضَحَّتْ بِهِ النَّارُ ؟
لَمْ يَبْقَ فِيهِ أَحِبَاءٌ وَسُمَارُ ؟
لَمْ يُوفِ عَهْدًا وَلَمْ يَهْدَأْ لَهُ ثَارُ ؟
سَادَ الْعَيْدُ بِهِ وَاقْتَبَدَ أَحْرَارُ
أَوْ فِي اللَّذَائِدِ وَالْأَمَالِ تَنْهَارُ
وَلَا دَعَانِي إِلَى الْفَحْشَاءِ فُجَّارُ
فِي الْمَكْرَمَاتِ لَهَا فِي الشَّرِّ إِضْرَارُ
حَقٌّ وَلَا قَادَهَا فِي الْحُكْمِ أُبْرَارُ
غُفِلَ عَنِ الشَّرِّ لَمْ يُوقَدْ لَهُمْ نَارُ
لِلْمَكْرَمَاتِ فَلَا ظَلَمٌ وَلَا عَارُ
يَوْمًا سَيْلَبَسُهُ بَرٌّ وَجَبَّارُ
عَلَى أَيُّكُمْ طَرِيقُ الْمَوْتِ أَقْدَرُ
مَنْ يَهْدِيهِ اللهُ لَا يُوبِقُهُ أَوْزَارُ
أَمَانَةٌ عِنْدَكُمْ هَلْ يُهْمَلُ الْجَارُ ؟
هَمٌّْ وَتَنْهَارُ حُزْنًا حِينَ أَنْهَارُ
يَا لَوْعَةَ الثُّكُلِ مَا فِي الدَّارِ دِيَارُ
مِنْ صَادِقِ الْوِدِّ : تَحَنَانٌ وَإِثَارُ
فَكَمْ يُورِّقُ بَعْدَ الْعِزِّ إِذْبَارُ
أَبَا ، لِأَمَالِهِمْ رَوْضٌ وَأَزْهَارُ
لِلنَّبَاتِ لَنَا أَنْسٌ وَأَسْمَارُ

الْمُلْتَقَى فِي جِنَا الخُلْدِ إِنْ قُبِلَتْ مَنَاصِلَاةٌ وَطَاعَاةٌ وَأَذْكَارُ
وَفَقْنَا اللهَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِتَمَسُّكِ بِكِتَابِهِ ، وَالْمُسَارَعَةَ إِلَى امْتِثَالِ أَمْرِهِ ،
وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ ، وَالْوُقُوفِ عِنْدَ حَدِّهِ ، وَالْفُكْرِ فِي أَمْثَالِهِ وَمُعْجَزِهِ ، وَالتَّبَصُّرِ فِي
نُورِ حِكْمِهِ ، وَغَفَرَ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

قِصَّةُ لِسْهَيْبِ الرُّومِيِّ

لِإِتْسَابِ صُهَيْبٍ إِلَى الرُّومِ قِصَّةٌ مَا تَزَالُ تَعْبَاهَا ذَاكِرَةُ التَّارِيخِ ، وَتُرْوِيهَا
أُسْفَارُهُ .

فَقَبِلَ البُعْثَةَ بِحَوَالِي عِقْدَيْنِ مِنَ الزَّمَانِ كَانَ يَتَوَلَّى مُلْكَ «الأُبَلَّةِ» سِنَانُ بْنُ
مَالِكِ التُّمَيْرِيِّ ، مِنْ قَبْلِ كِسْرَى مَلِكِ الفُرْسِ .

وَكَانَ أَحَبَّ أَوْلَادِهِ إِلَيْهِ طِفْلٌ لَمْ يُجَاوِزِ الخَامِسَةَ مِنْ عُمُرِهِ ، دَعَاهُ صُهَيْبًا .

كَانَ صُهَيْبٌ أَزْهَرَ الْوَجْهِ ، أَحْمَرَ الشَّعْرِ ، مُتَدَفِّقَ النَّشَاطِ ذَا عَيْنَيْنِ تَتَقَدَّانِ
فِطْنَةً وَنَجَابَةً .

وَكَانَ إِلَى ذَلِكَ مِمْرَاحًا ، عَذَبَ الرُّوحَ ، يُدْخِلُ السَّرُورَ عَلَى قَلْبِ أَبِيهِ ،
وَيَنْتَزِعُ مِنْهُ هُمُومَ الْمُلْكِ انْتِزَاعًا .

مَضَتْ أُمَّ صُهَيْبٍ مَعَ ابْنِهَا الصَّغِيرِ وَطَائِفَةٍ مِنْ حَشَمِهَا وَخَدَمِهَا إِلَى قَرْيَةٍ
«التَّنِّي» مِنْ أَرْضِ الْعِرَاقِ طَلِبًا لِلرَّاحَةِ وَالِاسْتِجْمَامِ ، فَأَغَارَتْ عَلَى الْقَرْيَةِ سَرِيَّةٌ
مِنْ سَرَايَا جَيْشِ الرُّومِ ، فَفَقَتَلَتْ حُرَّاسَهَا ، وَنَهَبَتْ أَمْوَالَهَا ، وَأَسْرَتْ ذَرَارِيهَا .

فَكَانَ فِي جُمْلَةٍ مَنْ أَسْرَتْهُمْ صُهَيْبٌ .

بِيعَ صُهَيْبٌ فِي أَسْوَاقِ الرَّقِيقِ بِلَادِ الرُّومِ ، وَجَعَلَتْ تَتَدَاوَلُهُ الْأَيْدِي فَيَنْتَقِلُ

من خِدْمَةِ سَيِّدٍ إِلَى آخَرَ، شَأْنُهُ فِي ذَلِكَ كَشَأْنِ آلَافِ الْمُؤَلَّفَةِ مِنَ الْأَرْقَاءِ الَّذِينَ كَانُوا يَمْلَأُونَ قُصُورَ بِلَادِ الرُّومِ.

وَقَدْ أَتَاكَ ذَلِكَ لِصُهَيْبٍ أَنْ يَنْفُذَ إِلَى أَعْمَاقِ الْمُجْتَمَعِ الرَّومِيِّ، وَأَنْ يَقِفَ عَلَيْهِ مِنْ دَاخِلِهِ، فَرَأَى بَعَيْنَيْهِ مَا يُعَشِّشُ فِي قُصُورِهِ مِنَ الرَّذَائِلِ وَالْمُوبِقَاتِ وَسَمِعَ بِأُذُنَيْهِ مَا يُرْتَكَبُ فِيهَا مِنَ الْمَظَالِمِ وَالْمَائِمِ. فَكَّرَهُ ذَلِكَ الْمُجْتَمَعُ وَازْدَرَاهُ.

وَكَانَ يَقُولُ فِي نَفْسِهِ:

إِنَّ مُجْتَمَعًا كَهَذَا لَا يُطَهِّرُهُ إِلَّا الطُّوفَانُ.

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنْ صُهَيْبًا قَدْ نَشَأَ فِي بِلَادِ الرُّومِ، وَشَبَّ عَلَى أَرْضِهَا وَبَيْنَ أَهْلِهَا.

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ نَسِيَ الْعَرَبِيَّةَ أَوْ كَادَ يَنْسَاهَا، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِبْ عَنْ بَالِهِ قَطُّ أَنَّهُ عَرَبِيٌّ مِنْ أَبْنَاءِ الصَّحْرَاءِ، وَلَمْ تَنْفُرْ أَشْوَاقُهُ لِحِطَّةٍ إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي يَنْتَحِرُّ فِيهِ مِنْ عُبُودِيَّتِهِ، وَيَلْحَقُ بِنَبِيِّ قَوْمِهِ.

وَقَدْ زَادَهُ حَنِينًا إِلَى بِلَادِ الْعَرَبِ فَوْقَ حَنِينِهِ، أَنَّهُ سَمِعَ كَاهِنًا مِنْ كَهَنَةِ النَّصَارَى يَقُولُ لِسَيِّدٍ مِنْ أَسْيَادِهِ:

لَقَدْ أَطَّلَ زَمَانٌ يَخْرُجُ فِيهِ مِنْ مَكَّةَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ نَبِيٌّ يُصَدِّقُ رِسَالَاتَ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ، وَيُخْرِجُ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ.

ثُمَّ أُتِيحَتْ الْفُرْصَةُ لِصُهَيْبٍ فَوَلَّى هَارِبًا مِنْ رِقِّ أَسْيَادِهِ، وَيَمَمَّ وَجْهَهُ شَطْرَ مَكَّةَ أُمَّ الْقُرَى وَمَوْتِلِ الْعَرَبِ، وَمَبْعَثِ النَّبِيِّ الْمُرْتَقِبِ.

وَمَا لَقِيَ عَصَاهُ فِيهَا أَطْلَقَ النَّاسُ عَلَيْهِ اسْمَ صُهَيْبِ الرَّومِيِّ لِلْكِنَةِ لِلسَّانِهِ وَحُمْرَةِ شَعْرِهِ.

وقد حالف صُهَيْبٌ سَيِّداً من ساداتِ مَكَّةَ هو عبدُ الله بنُ جُدعانٍ وطَفِقَ
يَعْمَلُ في التجارة، فَدَرَّتْ عليه الخَيْرُ الوفيرَ والمالَ الكثيرَ.
غَيْرَ أَنَّ صُهَيْباً لم تُنْسِه تجارَتُهُ ومَكاسِبُهُ حديثَ الكاهِنِ النَّصْرانيِّ، فكان
كُلِّمًا مرَّ كلامُهُ بخاطِرِهِ يُسأَلُ نَفْسَهُ في لَهْفَةٍ: متى يكونُ ذلك؟! وما هو إلا
قليلٌ حتى جاءه الجوابُ.

ففي ذاتِ يومٍ عادَ صُهَيْبٌ إلى مَكَّةَ من إِحْدَى رَحَلاتِهِ، فقِيلَ له إنَّ مُحَمَّدَ
بنَ عَبْدِالله قد بُعِثَ وقامَ يَدْعُو النَّاسَ إلى الإِيمانِ باللهِ وَحَدَهُ، وَيَحْضُهُم على
العَدْلِ والإِحسانِ، وينهاهُم عَنِ الفَحْشَاءِ والمُنْكَرِ.

فقال: أليس هو الذي يُلقَّبونهُ بالأَمينِ؟!

فقيلَ له: بلى.

فقال: وأين مكانهُ

فقيلَ له: في دارِ الأَرَقَمِ بنِ أَبِي الأَرَقَمِ عِنْدَ الصِّفا... ولكنَّ حَذارِ من أن
يَراكَ أَحَدٌ من قَريشٍ، فإنَّ رَأوِكَ فَعَلُوا بِكَ... وفَعَلُوا، وأنتَ رجلٌ غَريبٌ لا
عَصِيَّةَ له تَحْمِيهِ، ولا عَشِيْرَةَ عِنْدَهُ تَنْصُرُهُ.

مَضَى صُهَيْبٌ إلى دارِ الأَرَقَمِ حَذِراً يَتَلَفَّتْ، فلما بَلَغَها وَجَدَ عِنْدَ البابِ
عَمَّارَ بنَ يَاسِرٍ، وكانَ يَعرفه من قَبْلِ، فتردَّدَ لِحِظَةٍ ثم ذَنا منه وقال: ما تُريدُ يا
عمار؟

فقال عمارٌ: بل ما تُريدُ أنت؟

فقال صُهَيْبٌ: أردتُ أنْ أَدْخَلَ على هذا الرَّجُلِ، فأَسمعُ مِنْه ما يَقولُ.

فقال عمارٌ: وأنا أريدُ ذلكَ أيضاً.

فقال صُهَيْبٌ: إِذْنا نَدْخُلُ مَعاً على بَرَكةِ اللهِ.

دَخَلَ صُهَيْبُ بْنُ سِنَانٍ الرُّومِيُّ وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
وَاسْتَمَعَا إِلَى مَا يَقُولُ، فَأَشْرَقَ نُورُ الْإِيمَانِ فِي صَدْرَيْهِمَا، وَتَسَابَقَا فِي مَدِّ أَيْدِيهِمَا
إِلَيْهِ، وَشَهِدَا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَمْضِيَا سَحَابَةَ يَوْمِهِمَا
عِنْدَهُ، يَنْهَلَانِ مِنْ هَدْيِهِ وَيَنْعَمَانِ بِصُحْبَتِهِ.

ولما أَقْبَلَ اللَّيْلُ، وَهَدَّاتِ الْحَرَكََةُ، خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ تَحْتَ جُنْحِ الظَّلَامِ،
وَقَدْ حَمَلَ كُلُّ مَنَّهُمَا مِنَ النُّورِ فِي صَدْرِهِ مَا يَكْفِي لِإِضَاءَةِ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا.

تَحَمَّلَ صُهَيْبٌ نَصِيْبَهُ مِنْ أَدَى قُرَيْشٍ مَعَ بِلَالٍ وَعَمَارٍ وَسُمَيَّةَ وَخَبَّابٍ
وغيرهم من عَشْرَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَاسَى مِنْ نِكَالِ قُرَيْشٍ مَا لَوْ نَزَلَ بِجَبَلٍ لَهَدَّهَ،
فَتَحَمَّلَ ذَلِكَ كُلَّهُ بِنَفْسٍ مُطْمَئِنَّةٍ صَابِرَةٍ، لِأَنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ طَرِيقَ الْجَنَّةِ مَحْفُوفٌ
بِالْمَكَارِهِ.

ولما أُذِنَ الرَّسُولُ لِأَصْحَابِهِ بِالهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، عَزَمَ صُهَيْبٌ عَلَى أَنْ
يَمْضِيَ فِي صُحْبَةِ الرَّسُولِ وَأَبِي بَكْرٍ، لَكِنَّ قُرَيْشًا شَعَرَتْ بِعَزْمِهِ عَلَى الْهِجْرَةِ
فَصَدَّتْهُ عَنْ غَايَتِهِ، وَأَقَامَتْ عَلَيْهِ الرُّقْبَاءَ حَتَّى لَا يَفْلِتَ مِنْ أَيْدِيهِمْ، وَيَحْمِلَ مَعَهُ
مَا دَرَّتْهُ عَلَيْهِ التَّجَارَةُ مِنْ فِضَّةٍ وَذَهَبٍ.

ظَلَّ صُهَيْبٌ بَعْدَ هِجْرَةِ الرَّسُولِ وَصَاحِبِهِ يَتَحَيَّنُ الْفُرْصَ لِلْحَاقِ بِهِمَا فَلَمْ
يُفْلِحْ، إِذْ كَانَتْ أَعْيُنُ الرُّقْبَاءِ سَاهِرَةً عَلَيْهِ مُتَيَقِّظَةً لَهُ، فَلَمْ يَجِدْ سَبِيلًا غَيْرَ اللُّجُوءِ
إِلَى الْحِيلَةِ.

فَفِي ذَاتِ لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ أَكْثَرَ صُهَيْبٌ مِنَ الْخُرُوجِ إِلَى الْخَلَاءِ كَأَنَّهُ يَقْضِي
الْحَاجَةَ، فَكَانَ لَا يَرْجِعُ مِنْ قَضَاءِ حَاجَتِهِ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهَا.

فَقَالَ بَعْضُ رُقْبَائِهِ لِبَعْضٍ: طَيَّبُوا نَفْسًا فَإِنَّ اللَّاتَ وَالْعُزَّى شَعْلَاهُ بِيَطْنِهِ، ثُمَّ
أَوْوَا إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَأَسْلَمُوا عُيُونَهُمْ إِلَى الْكَرَى.

فَسَلَّلَ صُهَيْبٌ مِنْ بَيْنِهِمْ، وَيَمَّمُ وَجْهَهُ شَطْرَ الْمَدِينَةِ.

لَمْ يَمْضِ غَيْرُ قَلِيلٍ عَلَى رَحِيلِ صُهَيْبٍ حَتَّى فُطِنَ لَهُ رُقْبَاؤُهُ، فَهَبُوا مِنْ تَوْبِهِمْ مَدْعُورِينَ، وَامْتَطَوْا خِيُولَهُمُ السَّوَابِقَ، وَأَطْلَقُوا أُعْنَتَهَا خَلْفَهُ حَتَّى أُدْرِكُوهُ.

فَلَمَّا أَحَسَّ بِهِمْ، وَقَفَّ عَلَى مَكَانٍ عَالٍ وَأَخْرَجَ سِهَامِهِ مِنْ كِنَانَتِهِ وَوَتَرَ قَوْسَهُ وَقَالَ:

يَا مِعْشَرَ قُرَيْشٍ، لَقَدْ عَلِمْتُمْ — وَاللَّهِ — أَنِّي مِنْ أَرْمَى النَّاسِ وَأَحْكَمِهِمْ إِصَابَةً.

وَوَاللَّهِ لَا تَصِلُونَ إِلَيَّ حَتَّى أَقْتُلَ بِكُلِّ سَهْمٍ مَعِيَ رَجُلًا مِنْكُمْ.

ثُمَّ أَضْرَبَكُمْ بِسَيْفِي مَا بَقِيَ فِي يَدِي شَيْءٍ مِنْهُ.

فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: وَاللَّهِ لَا نَدْعُكَ تَفُوزُ مِنَّا بِنَفْسِكَ وَبِمَالِكَ... لَقَدْ أُتِيتَ مَكَّةَ صَعْلُوكًا فِقِيرًا فَاغْتَنَيْتَ وَبَلَّغْتَ مَا بَلَّغْتَ.

فَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ تَرَكْتُ لَكُمْ مَالِي، أَتُخَلُّونَ سَبِيلِي؟

قَالُوا: نَعَمْ.

فَدَلَّاهُمْ عَلَى مَوْضِعٍ مَالِهِ، فَأَخَذُوهُ مِنْهُ، ثُمَّ أَطْلَقُوا سَرَاحَهُ.

أَخَذَ صُهَيْبٌ يُعِدُّ السَّيْرَ نَحْوَ الْمَدِينَةِ فَأَرَا بِدِينِهِ إِلَى اللَّهِ.

غَيْرَ آسِيفٍ عَلَى الْمَالِ الَّذِي أَنْفَقَ فِي جَنِيهِ زَهْرَةَ الْعُمْرِ.

وَكَانَ كُلَّمَا أُدْرِكُهُ الْوَتَى وَأَصَابَهُ التَّعَبُ، اسْتَفَزَّهُ الشَّقُّوقُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ

ﷺ فَيَعُودُ إِلَيْهِ نَشَاطُهُ، وَيُؤَاصِلُ سَيْرَهُ.

فلما بلغ قُبَاءَ رآه الرسولُ صلواتُ الله عليه وسلامه مُقبلاً، فَهَشَّ لَهُ وَبَشَّ وقال:

«رَبِّحَ الْبَيْعُ يَا أَبَا يَحْيَى رَبِّحَ الْبَيْعُ»، وَكَرَّرَهَا ثَلَاثًا. فَعَلَّتِ الْفَرَحَةَ وَجَهَ صُهَيْبٍ وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا سَبَقَنِي إِلَيْكَ أَحَدٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

وما أحرَكَ به إِلَّا جَبْرِيلُ.

حقاً لَقَدْ رَبِّحَ الْبَيْعَ...

وَصَدَّقَ ذَلِكَ وَحْيُ السَّمَاءِ...

وشهد عليه جبريل... حيث نزل في صُهَيْبٍ قَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ، وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾.

فظوئى لصُهَيْبِ بْنِ سِنَانِ الرُّومِيِّ، وَحُسْنُ مَا ب.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا قَبْلَ أَنْ تَشْهَدَ عَلَيْنَا الْجَوَارِحُ وَنَبْهَنَا مِنْ رَقَدَاتِ
الْغَفَلَاتِ فَأَنْتَ الْحَلِيمُ الْمُسَامِحُ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ : عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَانَتْ بِفِرَاقِ فَيَا وَيْحَ مَنْ كَانَ بِهَا جُلُّ
اشْتِغَالِهِ ، كَيْفَ يَطْمَئِنُّ الْعَاقِلُ إِلَيْهَا مَعَ تَحَقُّقِهِ بِدُنُوِّ ارْتِحَالِهِ . كَيْفَ يَنْخَدِعُ
اليَوْمَ بِبَوَارِقِهَا مَنْ هُوَ غَدًا مُرْتَهِنٌ بِأَعْمَالِهِ كَيْفَ يَغْتَرُّ فِيهَا بِإِمْهَالِهِ وَإِمْهَالِهِ لَمْ
يَنْشَأْ إِلَّا عَنِ إِهْمَالِهِ .

كَيْفَ يَبِيْتُ آمِنًا فِي تَوْسِعِ آمَالِهِ . وَهُوَ لَا يَدْرِي مَا يَطْرُقُ مِنْ بَعْتَةِ آجَالِهِ .
أَفَمَا تَرَوْنَ طَيْفَ الشَّيْبَةِ قَدْ رَحَلَ وَكَثِيرًا مَا حَلَّ بِالشَّبَابِ الْمُنُونِ . قَالَ
بَعْضُهُمْ .

مَوْعِظَةٌ : العُمرُ أمانةٌ أثلَّفتْ شَبَابَهُ فِي الخِيَانَةِ ، وَكُهوْلَتُهُ فِي البَطَالَةِ ، وَفِي
الشَّيْخُوخَةِ تَبْكِي وَتَقُولُ : عُمْرِي قَدْ ضَاعَ ، مَتَى أَفْلَحَ الحَايِنُ فِيمَا اشْتَرَى أَوْ

بَاعَ ، أَنْتَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا صَاحِبُ الْجِسْمِ ، وَفِي طَلَبِ الْآخِرَةِ بِكَ أَوْجَاعٌ ،
كَمْ تُعْرَجُ عَنْ سَبِيلِ التَّقْوَى يَا عَرَجَ الْهَمَّةِ ، يَا مَنْ يَبْقَى فِي الْقَاعِ ، يَا مَنْ عَلَى
عُمُرِهِ لَيْلُ الْعَقْلَةِ طَلَعَ فَجَرُ الْمَشِيبِ .

أَمَا تَرَوْنَ الشَّيْبَ قَدْ نَزَلَ وَقَبِيحٌ مَعَ الشَّيْبِ الْمُحُونُ . أَمَا تَرَوْنَ سَيْفَ
الْأَجَلِ قَدْ قَطَعَ الْأَمَلَ فإِلَى مَتَى تُؤْمَلُونَ فِي الْبَقَاءِ وَتَطْمَعُونَ .
أَمَا تَرَوْنَ رِيَّاحَ الرَّحِيلِ تَهْبُ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ وَسَبِيلٍ فَلِمَ لَا تَرْكَبُونَ سَفْنَ
التَّوْبَةِ وَتُقْلِعُونَ .

أَمَا تَرَوْنَ أَشْرَاطَ السَّاعَةِ فِي كُلِّ حَالٍ تُنَادِي بِفَصِيحِ الْمَقَالِ يَا أَهْلَ الدُّنْيَا
لَا مَقَامَ لَكُمْ فإِلَى مَتَى لَا تَرْجِعُونَ . هَلِ الْأَعْمَارُ فِي الْاِعْتِبَارِ إِلَّا أَعْوَامٌ . وَهَلِ
الْأَعْوَامُ إِلَّا أَيَّامٌ .

وَهَلِ الْأَيَّامُ إِلَّا سَاعَاتٌ كَالسُّنَنِ يُنَادِي لِسَانِ سَيْرِهَا يَا أَهْلَ الدُّنْيَا لَا مَقَامَ .
وَهَلِ السَّاعَةُ إِلَّا أَنْفَاسٌ تُحْصِيهَا الْحَفِظَةُ بِأَمْرِ الْمَلِكِ الْعَلَامِ .

فَمَنْ كَانَ هَذَا أَسَاسُهُ كَيْفَ يَفْرُحُ بِدَارِ عَمَارِهَا فِي الْحَقِيقَةِ خَرَابٌ .
فَالسَّعِيدُ مَنْ أَضْمَرَ نَفْسَهُ مِنَ الْمَحْوِ وَأَخْفَى ظَهْرَهُ مِنَ الْأَوْزَارِ وَالتَّعْبَاتِ
وَاعْتَبَرَ بِمَنْ مَضَى مِنَ الْأُمَّمِ الْمَاضِيَةِ أَوْلَى النَّجْدَةِ وَالْهَمِّ الْعَالِيَةِ .

نُذِرُ وَاللَّهِ سَبِيلَكُمْ بَعْدَ انْتِظَامِهِ . وَتَفَرَّقَ شَمْلُهُمْ بَعْدَ ائْتِمَانِهِ وَعَادُوا كَمَنْ
مَضَى مِنَ الْأَقْرَانِ كَأَنَّمَا يَقْطَعُهُمْ كَأَنَّ مَنَامًا . هَكَذَا الدُّنْيَا «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ
وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» .

فَرَجِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَقْبَلَ عَلَى الْبَاقِي وَأَعْرَضَ عَنِ الْفَانِي مِنَ الْحُطَامِ . وَجَعَلَ
لِشَارِدِ النَّفْسِ مِنَ التَّقْوَى أَقْوَى زِمَامًا . وَاجْتَنَبَ الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ يُخْرِجُ مِنَ
النُّورِ إِلَى الظُّلَامِ . فَسَأَلْتُكَ اللَّهُمَّ تَوْفِيقًا يُقَرِّبُنَا مِنَ الْحَلَالِ وَيُبْعِدُنَا عَنِ الْحَرَامِ .

وَطَرِيقًا إِلَى الْخَيْرَاتِ لِنَتَمَسَّكَ بِالزُّمَامِ . وَأَمَّا يَوْمَ الْفَرَجِ الْأَكْبَرِ يُبَلِّغُنَا غَايَةَ
الْمُنَى . قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَأَدْخِلِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا

اللهم إِنَّكَ تَعْلَمُ سِرَّنَا وَعَلَانِيَتَنَا وَتَسْمَعُ كَلَامَنَا وَتَرَى مَكَانَنَا لَا يَخْفَى
عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِنَا نَحْنُ الْبُؤْسَاءُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْكَ الْمُسْتَفِثُونَ الْمُسْتَجِيرُونَ
بِكَ نَسْأَلُكَ أَنْ تُقَبِّضَ لِدِينِكَ مَنْ يَنْصُرُهُ وَيُزِيلُ مَا حَدَثَ مِنَ الْبِدْعِ
وَالْمُنْكَرَاتِ وَيُقِيمَ عِلْمَ الْجِهَادِ وَيَقْتَعَ أَهْلَ الزَّيْغِ وَالْكَفْرِ وَالْعِنَادِ وَنَسْأَلُكَ
أَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين
شِعْرًا :

فِيمَ الرُّكُونِ إِلَى دَارِ حَقِيقَتِهَا
كَالطُّيْفِ فِي سِنَةِ وَالظَّلِّ مِنْ مُزْنِ
دَارِ الْغُرُورِ وَمَأْوَى كُلِّ مُرْزِيَةٍ
وَمَعْدِنِ الْبُؤْسِ وَاللَّوَاءِ وَالْمِحَنِ
الزُّورِ ظَاهِرُهَا وَالْغَدْرِ حَاضِرُهَا
وَالْمَوْتُ آخِرُهَا وَالْكَوْنُ فِي الشُّطَنِ
تُبِيدُ مَا جَمَعَتْ تُهَيِّنُ مَنْ رَفَعَتْ
تَضُرُّ مَنْ نَفَعَتْ فِي سَالِفِ الزَّمَنِ
النَّفْسُ تَعْشِقُهَا وَالْعَيْنُ تَرْمُقُهَا
لِكَوْنِ ظَاهِرُهَا فِي صُورَةِ الْحَسَنِ
سَحَارَةٌ تُحَكِّمُ التَّخْيِيلَ حَتَّى يُرَى
كَأَنَّهُ الْحَقُّ إِذْ كَانَتْ مِنَ الْفِتَنِ
إِنَّ الْإِلَهَ بَرَاهَا كَيْ يُمَيِّزُ بِهَا
بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ أَهْلَ الْحُمُقِ وَالْفِطَنِ
فَذُو الْحِمَاقَةِ مَنْ قَدْ ظَلَّ يَجْمَعُهَا
يُعَانِي السُّعْيَ مِنْ شَامٍ إِلَى يَمَنِ

مُسْمَرًا يَرْكَبُ الْأَخْطَارَ مُجْتَهِدًا
لِأَجْلِهَا يَسْتَلِينُ الْمَرْكَبَ الْخَشِينِ
وَدُو الْحِجَا يَقْلَهَا زُهْدًا وَيَنْبُذَهَا
وَرَاءَهُ نَبْذَةَ الْأَقْدَارِ فِي الدَّمَنِ
يَرْمِي بِقَلْبٍ بَصِيرٍ فِي مَصَائِرِهَا
فَلَا يُضَادِفُ غَيْرَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ
يَجُولُ بِالْفِكْرِ فِي تَذْكَارٍ مَنْ صَرَعَتْ
مِنْ مُؤَثِّرِيهَا بِسَعْيِ الْقَلْبِ وَالْبَدَنِ
مِمَّنْ أَشَادَ مَبَانِيهَا وَأَحْكَمَهَا
لِيَسْتَجِنَّ مِنَ الْأَقْدَارِ بِالْجُنَنِ
نَالُوا مَكَارِمَهَا أَحْيَاوَا مَعَالِمَهَا
سَلُّوا صَوَارِمَهَا لِلبَغْيِ وَالظَّفَنِ
رَقُوا مَنَابِرَهَا قَادُوا عَسَاكِرَهَا
بِقُوَّةٍ وَابْتَنُوا الْأَمْصَارَ وَالْمُدُنِ
وَعَبَّدُوا النَّاسَ حَتَّى أَصْبَحُوا ذُلًّا
لِأَمْرِهِمْ بَيْنَ مَغْلُوبٍ وَمُمْتَهَنِ
وَجَمَعُوا الْمَالَ وَاسْتَصَفَّوْا نَفَائِسَهُ
لِمُتَعَةِ النَّفْسِ فِي مُسْتَقْبَلِ الزَّمَنِ
حَتَّى إِذَا امْتَلَأُوا بِبَشْرًا بِمَا ظَفَرُوا
وَمُكَّنُوا مِنْ عُلاهَا أَبْلَغَ الْمِكْنِ
نَادَاهُمُوهَا هَادِمُ اللَّذَاتِ فَاقْتَحَمُوا
سُبُلَ الْمَمَاتِ فَأُضْحُوا عِبْرَةَ الْفِطَنِ

تِلْكَ الْقُبُورُ وَقَدْ صَارُوا بِهَا رِمَامًا
بَعْدَ الضَّخَامَةِ فِي الْأَجْسَامِ وَالسَّمَنِ
بَعْدَ التَّشْهِيِّ وَأَكَلَ الطَّيِّبَاتِ غَدَا
يَأْكُلُهُمُ الدُّودُ تَحْتَ التُّرْبِ وَاللِّبَنِ
تَغَيَّرَتْ مِنْهُمْ الْأَلْوَانُ وَأَنْمَحَقَتْ
مَحَاسِنُ الْوَجْهِ وَالْعَيْنَيْنِ وَالْوُجُنِ
خَلَتْ مَسَاكِنُهُمْ عَنْهُمْ وَأَسْلَمَهُمْ
مَنْ كَانَ يَنْصُرُهُمْ فِي السَّرِّ وَالْعَلَنِ
وَعَافَهُمْ كُلُّ مَنْ قَدْ كَانَ يَأْلَفُهُمْ
مِنْ الْأَقَارِبِ وَالْأَهْلِيْنَ وَالْخِدَنِ
مَا كَانَ حَظُّهُمْ مِنْ عَرَضٍ مَا اكْتَسَبُوا
غَيْرَ الْخُنُوطِ وَغَيْرَ الْقَطَنِ وَالْكَفَنِ
تِلْكَ الْقُصُورُ وَتِلْكَ الدُّورُ خَاوِيَةٌ
يَصِيحُ فِيهَا غَرَابُ الْبَيْنِ بِالْوَهَنِ
فَلَوْ مَرَرْتَ بِهَا وَالْبُومُ يَنْدُبُهَا
فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ لَمْ تَلْتَدَّ بِالْوَسَنِ
وَلَا تَجَمُّكَ بِالْأَزْيَاشِ مُفْتَخِرًا
وَلَا افْتَتَنْتِ بِحُبِّ الْأَهْلِ وَالسَّكَنِ
وَلَا تَلْدُذَّتِ بِالْمَطْعُومِ مِنْهُمْ كَمَا
وَلَا سَعَيْتِ لِذُنْيَا سَعِي مُفْتَتِنِ

وَلَا اغْتَبِرْتَ إِذَا شَاهَدْتَ مُعْتَبَرًا
 تَرَاهُ بِالْعَيْنِ أَوْ تَسْمَعُهُ بِالْأُذُنِ
 إِنَّ الْمَوَاعِظَ لَا تُغْنِي أَسِيرَ هَوَى
 مُقْفَلِ الْقَلْبِ فِي حَيْدٍ عَنِ السُّنَنِ
 مُسْتَكْبِرًا يَبْطُرُ الْحَقَّ الصُّرِيحَ إِذَا
 يُلْقَى إِلَيْهِ لِفَرْطِ الْجَهْلِ وَالسُّنَنِ
 يُمْنِي النُّفْسَ أَمْرًا لَيْسَ يُدْرِكُهُ
 إِنَّ الْأَمَانِيَّ مِقْطَاعٌ عَنِ الْمِنَنِ
 يَكْفِي اللَّيْبَ كِتَابُ اللَّهِ مَرْعِظَةٌ
 كَمَا أَتَى فِي حَدِيثِ السَّيِّدِ الْحَسَنِ
 مُحَمَّدٍ خَيْرِ خَلْقِ اللَّهِ قُدُوتَنَا
 مُطَهِّرِ الْجَيْبِ عَنْ عَيْبٍ وَعَنْ دَرَنِ
 عَلَيْهِ مِنَّا صَلَاةُ اللَّهِ دَائِمَةً
 مَا سَارَتْ الرِّيحُ بِالْأَمْطَارِ وَالسُّفُنِ
 وَالْأَلِ وَالصُّحْبِ مَا غُنَّتْ مُطَوَّقَةٌ
 وَمَا بَكَتْ عَيْنٌ مُشْتَاقٍ إِلَى وَطَنِ

قِصَّةُ لَزِيدِ بْنِ حَارِثَةَ

مَضَتْ سَعْدَى بِنْتُ ثَعْلَبَةَ تَبْتَغِي زِيَارَةَ قَوْمِهَا بَنِي مَعْنٍ، وَكَانَتْ تَصْحَبُ
 مَعَهَا غُلَامَهَا زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ الْكَعْبِيِّ.

فَمَا كَادَتْ تَحُلُّ فِي دِيَارِ قَوْمِهَا حَتَّى أَغَارَتْ عَلَيْهِمْ خَيْلُ بَنِي الْقَيْنِ
 فَأَخَذُوا الْمَالَ وَاسْتَأْفَوْا الْإِبِلَ، وَسَبَّوْا الذَّرَارِيَّ، وَكَانَ فِي جُمْلَةٍ مَنِ احْتَمَلُوهُ
 مَعَهُمْ وَلَدَهَا زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ.

وكان زيدٌ — إذ ذاك — غلاماً صغيراً يدرجُ نحوَ الثَّامِنَةِ من عمره، فأثَّروا به سوقَ عُكاظِ وعرضوه لِلْبَيْعِ فاشتراه ثريٌّ من سادةِ قريشٍ هو حكيمُ بنُ حزامِ بنِ خُوَيْلِدٍ بأربعمائةِ دِرْهَمٍ.

واشترى معه طائفةً من الغلمانِ، وعادَ بِهِمْ إلى مَكَّةَ.

فلما عرَّفتْ عَمَّتُهُ خديجةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ بِمَقْدَمِهِ، زارتهُ مُسَلِّمَةً عليه، مُرَحِّبَةً به، فقال لها: يا عَمَّةُ، لقدِ ابْتَعْتُ من سوقِ عُكاظِ طائفةً من الغلمانِ، فاختارِ لي أياً منهم تشائينهُ، فهو هَدِيَّةٌ لِي.

فَفَرَّسَتْ السَّيِّدَةُ خديجةُ وجوهَ الغلمانِ... واختارتْ زيدَ بنَ حارِثَةَ، لِمَا بَدَأَ لها من علاماتِ نَجَابَتِهِ، وَمَضَتْ به.

وما هو إلا قليلٌ حتى تزوجت خديجةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ من محمدِ بنِ عبدِ اللهِ، فأرادتْ أن تُطْرِفَهُ وتُهدِي له، فلم تجد خيراً من غلامها الأثيرِ زيدِ بنِ حارِثَةَ فأهدتْهُ إِلَيْهِ.

وفيما كان الغلامُ المحظوظُ يَتَقَلَّبُ في رِعايَةِ محمدِ ابنِ عبدِ اللهِ، وَيَحْظَى بِكَرِيمِ صُحْبَتِهِ، وَيَنْعَمُ بِجَمِيلِ خِلالِهِ.

كانت أُمُّهُ المَفْجوعَةُ بِفَقْدِهِ لا تُرْفَأُ لها عِبرَةٌ، ولا تُهدأُ لها لُوعَةٌ ولا يَطْمَئِنُّ لها جَنْبٌ.

وكان يزيدُها أَسَى على أساها أنها لا تُعرِفُ أَحِيَّ هو فَتَرَجُوه أُمٌ مَيِّتٌ فَنَيَّاسٌ منه.

أما أبوه فأخذ يَتَحَرَّاهُ في كُلِّ أرضٍ، وَيُسألُ عنه كُلَّ رَكْبٍ، وَيَصُوغُ حنينَهُ إِلَيْهِ شِعْراً حزيناً تَتَفَطَّرُ له الأكبَادُ حيث يقول:

بَكَيْتُ عَلَى زَيْدٍ وَلَمْ أُذِرْ مَا فَعَلَ
 أَحْيَى فَيْرَجِي أَمْ أَتَى دُونَهُ الْأَجَلَ؟
 فَوَاللَّهِ مَا أُذِرِي وَإِنِّي لَسَائِلٌ
 أَغَالِكُ بَعْدِي السَّهْلُ أَمْ غَالِكُ الْجَبَلُ
 تُذَكِّرُنِيهِ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا
 وَتُعْرِضُ ذِكْرَاهُ إِذَا غَرِبَهَا أَفَلُ
 سَاعِمِلُ نَصَّ الْعَيْسِي فِي الْأَرْضِ جَاهِدًا
 وَلَا أَسَامُ التَّطَوَّافُ أَوْ تَسَامُ الْإِبِلُ
 حَيَاتِي، أَوْ تَأْتِي عَلَيَّ مَنِيَّتِي
 فَكُلُّ أَمْرِيءٍ فَإِنْ وَإِنْ غَرَّهُ الْأَمَلُ
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

فَصَلِّ: فِي مَوْسِمٍ مِنْ مَوَاسِمِ الْحَجِّ قَصَدَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ تَفَرَّ مِنْ قَوْمِ زَيْدٍ، وَفِيمَا
 كَانُوا يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ، إِذَا هُمْ بِزَيْدٍ وَجْهًا لِيُوجِهَهُ، فَعَرَفُوهُ وَعَادُوا إِلَى
 دِيَارِهِمْ أَخْبَرُوا حَارِثَةَ بِمَا رَأَوْا وَحَدَّثُوهُ بِمَا سَمِعُوا.

فَمَا أَسْرَعَ أَنْ أَعَدَّ حَارِثَةُ رَاحِلَتَهُ، وَحَمَلَ مِنَ الْمَالِ مَا يُفِيدِي بِهِ فَلَذَّةَ
 الْكَيْدِ، وَقُرَّةَ الْعَيْنِ، وَصَحِبَ مَعَهُ أَخَاهُ كَعْبًا، وَانْطَلَقَا مَعًا يُعْذَانِ السَّيْرِ نَحْوَ
 مَكَّةَ. فَلَمَّا بَلَغَاهَا دَخَلَا عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَقَالَا لَهُ:

يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنْتُمْ جِيرَانُ اللَّهِ، تَفُكُّونَ الْعَانِيَّ، وَتُطْعِمُونَ الْجَائِعَ،
 وَتُعِيثُونَ الْمَلْهُوفَ.

وَقَدْ جِئْنَاكَ فِي ابْنِنَا الَّذِي عِنْدَكَ، وَحَمَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْمَالِ مَا يَفِي بِهِ. فَاثْنَنْ
 عَلَيْنَا وَفَادِهِ لَنَا بِمَا تَشَاءُ.

فَقَالَ مُحَمَّدٌ: وَمَنْ ابْنُكُمْ الَّذِي تَعْنِيَانِ؟

فقالا: غلامك زيد بن حارثة.

فقال: وهل لكما فيما هو خير من الفداء؟

فقالا: وما هو؟!

فقال: أدعوه لكم، فخيروه بيني وبينكم، فإن اختاركم فهو لكم بغير مال، وإن اختارني فما أنا — والله — بالذي يرغب عن يختاره.

فقالا: لقد أنصفت وبالغت في الإنصاف.

فدعا محمد زيدا وقال:

من هذان؟

قال: هذا أبي حارثة بن شراحيل، وهذا عمي كعب.

فقال: قد خيرتكَ: إن شئت مضيتَ معهما، وإن شئت أقمتَ معي.

فقال — في غير إبطاءٍ ولا ترددٍ — بل أقيم معك.

فقال أبوه: ويحك يا زيد، أختار العبودية على أبيك وأمك؟!

فقال: إنني رأيتُ من هذا الرجل شيئا، وما أنا بالذي يفارقه أبداً.

فلما رأى محمد من زيد ما رأى، أخذ بيده وأخرجه إلى البيت الحرام،

ووقف به بالحجر على ملاء من قريش وقال:

يا معشر قريش، اشهدوا أن هذا ابني يرثني وأرثه...

فطابت نفس أبيه وعمه، وخلفاه عند محمد بن عبد الله، وعادا إلى قومهما

مطمئنين النفس مرتاحي البال.

ومنذ ذلك اليوم أصبح زيد بن حارثة يُدعى بزَيد بن محمد، وظل يُدعى

كذلك حتى بعث الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وأبطل الإسلام التَّبنيَّ

حيث نزل قوله جل وعز ﴿ اذْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ ﴾ فأصبح يُدعى: زيد بن حارثة.

ولم يَكُنْ يَعْلَمُ زَيْدٌ — حِينَ اخْتَارَ مُحَمَّدًا عَلَى أُمِّهِ وَأَبِيهِ — أَيَّ غَنَمِهِ.

ولم يَكُنْ يَدْرِي أَنَّ سَيِّدَهُ الَّذِي آثَرَهُ عَلَى أَهْلِهِ وَعَشِيرَتِهِ هُوَ سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ
وَالْآخِرِينَ، وَرَسُولُ اللَّهِ إِلَى خَلْقِهِ أَجْمَعِينَ.

وما خَطَرَ لَهُ بِيَالٍ أَنَّ دَوْلَةَ لِلسَّمَاءِ سَتَقُومُ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ فَتَمَلَأُ مَا بَيْنَ
المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ بَرًّا وَعَدْلًا، وَأَنَّهُ هُوَ نَفْسُهُ سَيَكُونُ اللَّيْبَةَ الْأُولَى فِي بِنَاءِ هَذِهِ
الدَّوْلَةِ العَظْمَى...

لم يَكُنْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ يَدُورُ فِي خَلْدِ زَيْدٍ... وَإِنَّمَا هُوَ فَضَّلَ اللَّهُ يُؤْتِيهِ مَنْ
يَشَاءُ... وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ.

ذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَمُضِ عَلَى حَادِثَةِ التَّخْيِيرِ هَذِهِ إِلَّا بَضْعَ سِنِينَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ
نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا بِدِينِ الهُدَى وَالحَقِّ، فَكَانَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنَ
الرِّجَالِ.

وَهَلْ فَوْقَ هَذِهِ الْأَوَّلِيَّةِ أَوْلِيَّةٌ يَتَنَافَسُ فِيهَا الْمُتَنَافِسُونَ؟!

لَقَدْ أَصْبَحَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ أَمِينًا لِسِرِّ رَسُولِ اللَّهِ، وَقَائِدًا لِبُعُوثِهِ وَسَرَايَاهُ،
وَأَحَدَ خُلَفَائِهِ عَلَى المَدِينَةِ إِذَا غَادَرَهَا النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وَكَأَنَّ أَحَبَّ زَيْدٍ النَّبِيَّ وَآثَرَهُ عَلَى أُمِّهِ وَأَبِيهِ، فَقَدْ أَحَبَّهُ الرَّسُولُ الكَرِيمُ
صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَخَلَطَهُ بِأَهْلِهِ وَبَنِيهِ، فَكَانَ يَشْتَأِقُ إِلَيْهِ إِذَا غَابَ عَنْهُ، وَيَفْرَحُ
بِقُدُومِهِ إِذَا عَادَ إِلَيْهِ، وَيَلْقَاهُ لِقَاءً لَا يَحْظِي بِمِثْلِهِ أَحَدٌ سِوَاهُ.

فَهَا هِيَ ذِي عَائِشَةَ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهَا تُصَوِّرُ لَنَا مَشْهَدًا مِنْ مَشَاهِدِ فَرَحَةِ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِلِقَاءِ زَيْدٍ فَتَقُولُ: «قَدِمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ المَدِينَةَ، وَرَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فِي بَيْتِي، فَفَرَعَ الْبَابَ، فَقَامَ إِلَيْهِ الرَّسُولُ عُرْيَانًا — لَيْسَ عَلَيْهِ إِلَّا مَا يَسْتُرُ مَا بَيْنَ سُرَّتَيْهِ وَرُكْبَتَيْهِ — وَمَضَى إِلَى الْبَابِ يَجُرُّ ثَوْبَهُ، فَاعْتَنَقَهُ وَقَبَّلَهُ. وَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ عُرْيَانًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ.

وقد شاع أمرُ حُبِّ النَّبِيِّ لِزَيْدٍ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَاسْتَفَاضَ، فَدَعَا «بِزَيْدِ الْحُبِّ» وَأَطْلَقُوا عَلَيْهِ لِقَبِ «حِبِّ» رَسُولِ اللَّهِ، وَلَقَّبُوا ابْنَهُ أُسَامَةَ مِنْ بَعْدِهِ بِحِبِّ رَسُولِ اللَّهِ وَابْنِ حِبِّهِ.

وفي السنة الثامنة من الهجرة شاء الله — تَبَارَكَتْ حِكْمَتُهُ — أَنْ يَمْتَحِنَ الْحَبِيبَ بِفِرَاقِ حَبِيبِهِ.

ذَلِكَ أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، بَعَثَ الْحَارِثَ بْنَ عُمَيْرٍ الْأَزْدِيَّ بِكِتَابٍ إِلَى مَلِكِ بَصْرَى يَدْعُوهُ فِيهِ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَلَمَّا بَلَغَ الْحَارِثَ «مُوتَةَ» بِشَرْقِي الْأُرْدُنِّ، عَرَضَ لَهُ أَحَدُ أَمْرَاءِ الْغَسَّاسِيَّةِ شُرْحَبِيلُ بْنُ عَمْرٍو فَأَخَذَهُ، وَشَدَّ عَلَيْهِ وَثَاقَهُ، ثُمَّ قَدَّمَهُ فَضْرَبَ عُنُقَهُ.

فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يُقْتَلْ لَهُ رَسُولٌ غَيْرُهُ.

وَجَهَّزَ جَيْشًا مِنْ ثَلَاثَةِ آلَافٍ مُقَاتِلٍ لِيُغْزِيَ مُوتَةَ، وَوَلَّى عَلَى الْجَيْشِ حَبِيبَهُ

زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، وَقَالَ: إِنْ أُصِيبَ زَيْدٌ فَتَكُونُ الْقِيَادَةُ لِجَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَإِنْ أُصِيبَ جَعْفَرٌ كَانَتْ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ، فَإِنْ أُصِيبَ عَبْدُ اللَّهِ فَلْيَحْتَرَّ الْمُسْلِمُونَ لِأَنْفُسِهِمْ رِجَالًا مِنْهُمْ.

مضى الجيش حتى وصل الى «معان» بشرق الأردن.

فَهَبَ هِرَقْلُ مَلِكُ الرُّومِ عَلَى رَأْسِ مِائَةِ أَلْفِ مُقَاتِلٍ لِلدَّفَاعِ عَنِ الْعَسَاسِيَّةِ،
وَانضَمَّ إِلَيْهِ مِائَةُ أَلْفٍ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ، وَنَزَلَ هَذَا الْجَيْشُ الْجَرَّارُ غَيْرَ بَعِيدٍ
مِنْ مَوَاقِعِ الْمُسْلِمِينَ.

بَاتَ الْمُسْلِمُونَ فِي «مَعَانَ» لَيْلَتَيْنِ يَتَشَاوَرُونَ فِيمَا يَصْنَعُونَ.

فَقَالَ قَائِلٌ: نَكْتُبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَنُخْبِرُهُ بِعَدَدِ عَدُوِّنَا وَنَنْتَظِرُ أَمْرَهُ.

وَقَالَ آخَرٌ: وَاللَّهِ — يَا قَوْمَ — إِنَّنَا لَا نُقَاتِلُ بِعَدَدٍ وَلَا قُوَّةٍ وَلَا كَثْرَةٍ وَإِنَّمَا
نُقَاتِلُ بِهَذَا الدِّينِ.

فَانطَلَقُوا إِلَى مَا خَرَجْتُمْ لَهُ.

وَقَدْ ضَمِنَ اللَّهُ لَكُمْ الْفَوْزَ بِإِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ: إِمَّا الظَّفَرَ وَإِمَّا الشَّهَادَةَ.

ثُمَّ التَقَى الْجَمْعَانِ عَلَى أَرْضِ مُوتَةَ، فَقَاتَلَ الْمُسْلِمُونَ قِتَالًا أَذْهَلَ الرُّومَ وَمَلَأَ
قُلُوبَهُمْ هَيْبَةً لِهَذِهِ الْأَلْفِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي تَصَدَّتْ لِجَيْشِهِمُ الْبَالِغِ مِائَتِي أَلْفٍ.

وَجَالَدَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ عَنْ رَايَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَلَادًا لَمْ يَعْرِفْ لَهُ تَارِيخُ
الْبَطُولَاتِ مَثِيلًا حَتَّى خَرَقَتْ جَسَدَهُ مِائَاتُ الرَّمَاحِ فَخَرَّ صَرِيعًا يَسْبَحُ فِي دِمَائِهِ.

فَتَنَاوَلَ مِنْهُ الرَّايَةَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَطَفِيقُ يَزُودَ عَنْهَا أَكْرَمَ الذُّودِ حَتَّى
لَحِقَ بِصَاحِبِهِ.

فَتَنَاوَلَ مِنْهُ الرَّايَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَتَنَاوَلَ عَنْهَا أُبَيْسَلُ النَّضَالِ حَتَّى انْتَهَى
إِلَى مَا انْتَهَى إِلَيْهِ صَاحِبَاهُ.

فَأَمَرَ النَّاسُ عَلَيْهِمُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ — وَكَانَ حَدِيثَ إِسْلَامٍ — فَانْحَارَ
بِالْجَيْشِ، وَأَنْقَذَهُ مِنَ الْفَنَاءِ الْمُحْتَمِّ.

بلغت رسول الله ﷺ أبناء مؤتة، ومصرع قادته الثلاثة فحزن عليهم
حزناً لم يحزن مثله قط.

ومضى إلى أهلهم يعزيهم بهم.

فلما بلغ بيت زيد بن حارثة لاذت به ابنته الصغيرة وهي مجهشة
بالبكاء، فبكى رسول الله ﷺ حتى انتحب.

فقال له سعد بن عبادة:

ما هذا يا رسول الله!؟

فقال عليه الصلاة والسلام:

هذا بكاء الحبيب على حبيبه.

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتِكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّمْنَا وَارْزُقْنَا الْقِيَامَ بِطَاعَتِكَ وَجَنِّبْنَا مَا
يُسْخِطُكَ وَأَصْلِحْ نِيَاتِنَا وَذُرِّيَاتِنَا وَأَعِدْنَا مِنْ شَرِّ نَفْسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا
وَأَعِدْنَا مِنْ عَدُوِّكَ وَاجْعَلْ هَوَانًا تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ طَاعَةَ اللَّهِ صَلَاحٌ فِي الْأَرْضِ لِهَذَا أَمْرٌ عَزَّ وَجَلَّ بِالطَّاعَاتِ ،
وَهَذِهِ الطَّاعَاتُ تُرْضِي اللَّهَ سُبْحَانَهُ لِأَنَّهَا شُكْرٌ لَهُ عَلَى نِعْمِهِ الْمُتَوَالِيَاتِ ،
فَيَسْبِغِي لَنَا أَنْ نَحُتَّ عَلَيْهَا وَأَنْ نَأْمُرَ مَنْ تَرَكَ الطَّاعَةَ أَنْ يَعُودَ إِلَيْهَا إِذَا كَانَتْ مِنْ
فَرَائِضِ الدِّينِ كَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ ، وَأَنْ نُنْكِرَ عَلَى مَنْ رَأَيْنَاهُ
يَقْتَرِفُ مَعْصِيَةً مِنَ الْمَعْاصِي ، لِأَنَّ الْمَعْاصِي بِكُلِّ أَنْوَاعِهَا شُرُورٌ وَأَضْرَارٌ

وَفَسَادٌ وَلَهَا سُؤْمٌ قَدْ يَعْمُ الدُّنْيَا وَيَفْعَلُ الْأَفَاعِيلَ الْعِظَامَ فِي بَنِي الْإِنْسَانِ وَمِنْ
 آثَارِهَا الْمَضْرُوءُ بِالْقَلْبِ وَالْبَدَنِ : أَنَّهَا إِفْسَادٌ لِلْعَقْلِ فَإِنَّ الْعَقْلَ نُورٌ وَالْمَعْصِيَةَ
 تُطْفِئُهُ نُورَ الْعَقْلِ وَمِنْهَا أَنَّ الْمَعَاصِيَ مَدَدٌ مِنَ الْإِنْسَانِ يُمَدُّ بِهَا عَدُوَّهُ عَلَيْهِ
 وَجَيْشٌ يُقَوِّيه بِهِ عَلَى حَرْبِهِ وَمِنْهَا أَنَّهَا تُوهِنُ الْقَلْبَ وَالْبَدْنَ وَمِنْهَا أَنَّهَا تَزْرَعُ
 أَمْثَالَهَا مِنَ الْمَعَاصِيَ وَمِنْهَا أَنَّهَا تَمَحِّقُ بَرَكَةَ الْعُمْرِ وَمِنْهَا أَنَّهَا تُسَبِّبُ شِمَاتَةَ
 الْأَعْدَاءِ وَمِنْهَا أَنَّهَا تَعَسِّرُ عَلَى الْإِنْسَانِ أُمُورَهُ ، وَمِنْهَا أَنَّهَا تُسَبِّبُ الْوَحْشَةَ بَيْنَ
 الْعَاصِي وَبَيْنَ أَهْلِ الْخَيْرِ وَمِنْهَا أَنَّهَا تُذْهِبُ الْحَيَاءَ وَمِنْهَا أَنْ تَسْتَدْعِيَ نِسْيَانَ اللَّهِ
 لِعَبْدِهِ وَتَرْكِهِ ، وَمِنْهَا أَنَّهَا تُطْفِئُهُ مِنَ الْقَلْبِ نَارَ الْغَيْرَةِ وَمِنْهَا أَنَّهَا تُضْعِفُ فِي
 الْقَلْبِ تَعْظِيمَ الرَّبِّ وَمِنْهَا أَنَّهَا تُعْمِي بِصِيرَةَ الْقَلْبِ وَتَطْمِسُ نُورَهُ وَمِنْهَا أَنَّهَا
 تُسْقِطُ الْجَاهَ وَالْمَنْزِلَةَ عِنْدَ اللَّهِ إِلَى مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ مِنَ الْأَضْرَارِ لِهَذَا يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ
 نَنْهَى عَنِ الْمَعَاصِي لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَتْ مِنْ كِبَارِ الْمَعَاصِي ، وَلَا تُنَسَّ أَنْ بَنِي
 إِسْرَائِيلَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ لَمَّا فَقَدُوا الْغَيْرَةَ عَلَى انْتِهَاكِ الْحُرْمَاتِ وَلَا تَنَاهَوْا عَنْ
 الْمُتَكْرِ ، وَتَأْمَلْ أَحْوَالَ الْأُمَمِ وَمَا حَلَّ بِهَا مِنَ الْعُقُوبَاتِ بِأَسْبَابِ الذُّنُوبِ قَالَ
 تَعَالَى ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ
 الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ
 وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ .

وذكر ابن كثير أن في سنة سبع وتسعين وخمسمائة ٥٩٧ اشتد الغلاء
 بأرض مصر فهلك خلق كثير جداً من الفقراء والأغنياء ثم أعقبه فناء عظيم
 حتى حكى الشيخ أبو شامة في الذليل أن العادل كفن من ماله في مدة شهر من
 هذه السنة نحواً من مائتي ألف وعشرين ألف مئتي (٢٢٠ ٠٠٠) وأكلت
 الكلاب والحيات فيها بمصر وأكل من الصغار والأطفال خلق كثير يسوي
 الصغير والداة وتأكلانه وكثر في الناس هذا جداً حتى صار لا يتكرب بينهم ،

فَلَمَّا فَرَعَتْ الْأَطْفَالُ وَالْمَيْتَاتُ غَلَبَ الْقَوِيُّ الضَّعِيفَ فَذَبَحَهُ وَأَكَلَهُ وَكَانَ الرَّجُلُ
يَحْتَالُ عَلَى الْفَقِيرِ فَيَأْتِي بِهِ لِيُطْعِمَهُ أَوْ لِيُعْطِيَهُ شَيْئًا ثُمَّ يَذْبَحُهُ وَيَأْكُلُهُ وَكَانَ
أَحَدُهُمْ يَذْبَحُ امْرَأَتَهُ وَيَأْكُلُهَا وَشَاعَ هَذَا بَيْنَهُمْ بِلَا إِنْكَارٍ وَلَا شَكْوَى بَلْ عَذَرَ
بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَوُجِدَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ أَرْبَعُمِائَةِ رَأْسٍ وَهَلَكَ كَثِيرٌ مِنَ الْأَطْبَاءِ الَّذِينَ
يُسْتَدْعُونَ إِلَى الْمَرْضَى فَكَانُوا يَذْبَحُونَ وَيُؤْكَلُونَ كَانَ الرَّجُلُ يَسْتَدْعِي الطَّيِّبَ
ثُمَّ يَذْبَحُهُ وَيَأْكُلُهُ . وَقَدْ اسْتَدْعَى رَجُلٌ طَبِيبًا حَادِقًا وَكَانَ الرَّجُلُ مُوسِرًا مِنْ أَهْلِ
الْمَالِ فَذَهَبَ الطَّيِّبُ مَعَهُ عَلَى وَجَلٍ وَخَوْفٍ فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَتَصَدَّقُ عَلَى مَنْ
لَقِيَهُ فِي الطَّرِيقِ وَيَذْكُرُ اللَّهَ وَيُسَبِّحُهُ وَيُكْتَبِرُ مِنْ ذَلِكَ فَارْتَابَ بِهِ الطَّيِّبُ وَتَخَيَّلَ
مِنْهُ وَمَعَ هَذَا حَمَلَهُ الطَّمَعُ عَلَى الاستِمْرَارِ مَعَهُ حَتَّى دَخَلَ دَارَهُ فَإِذَا هِيَ خَرِبَةٌ
فَارْتَابَ الطَّيِّبُ أَيْضًا فَخَرَجَ صَاحِبُهُ فَقَالَ لَهُ :

وَمَعَ الْبُطْءِ جِئْتُ لَنَا بِصَيْدٍ فَلَمَّا سَمِعَهَا الطَّيِّبُ هَرَبَ فَخَرَجَا خَلْفَهُ
سِرَاعًا فَمَا خَلَصَ إِلَّا بَعْدَ جَهْدٍ وَشَرٍّ .

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ ٥٩٧ وَقَعَ وِبَاءٌ شَدِيدٌ بِلَادِ عَنزَةَ بَيْنَ الْحِجَازِ وَالْيَمَنِ
وَكَانُوا عِشْرِينَ قَرْيَةً فَبَادَتْ مِنْهَا ثَمَانِيَةٌ عَشْرٌ لَمْ يَبْقَ دِيَارٌ وَلَا نَافِعُ نَارٍ وَبَقِيَتْ
أَنْعَامُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ لَا قَانِيَ لَهَا . وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَسْكُنَ تِلْكَ الْقَرْيَ وَلَا
يَدْخُلَهَا . بَلْ كَانَ مَنْ اقْتَرَبَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْقَرْيِ هَلَكَ مِنْ سَاعَتِهِ .

نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ بَأْسِهِ وَعَذَابِهِ وَغَضَبِهِ وَعِقَابِهِ أَمَّا الْقَرْيَتَانِ الْبَاقِيَتَانِ فَلَمْ
يَمُتْ مِنْهُمَا أَحَدٌ وَلَا عِنْدَهُمْ شُعُورٌ بِمَا جَرَى عَلَى مَنْ حَوْلَهُمْ بَلْ هُمْ عَلَى
حَالِهِمْ لَمْ يُفْتَقِدْ مِنْهُمْ أَحَدٌ فَسَبَّحَانَ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ انْتَهَى كَلَامُهُ .

وَذَكَرَ السُّيُوطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَارِيخِ الْخُلَفَاءِ أَنَّ فِي سَنَةِ ٥٢٤ ارْتَفَعَ سَحَابٌ

أَمْطَرَ بَلَدَ الْمُوصِلِ نَاراً أَحْرَقَتْ مِنَ الْبَلَدِ مَوَاضِعَ كَثِيرَةً وَدُوراً كَثِيرَةً وَظَهَرَ فِيهَا
بِبَعْدَادِ عَقَابٌ طَيَّارَةٌ لَهَا شَوْكَتَانِ وَخَافَ النَّاسُ مِنْهَا وَقَدْ قَتَلَتْ جَمَاعَةً أَطْفَالٍ .

هَذَا كُلُّهُ مِنْ آثَارِ الْمَعَاصِي قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ
فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ وَمَنْ نَظَرَ إِلَى الْحَالَةِ الْيَوْمِ وَمَا ظَهَرَ
وَأَنْتَشَرَ مِنَ الْمَعَاصِي انْتِشَارَ الْوَبَاءِ وَرَأَى النِّعَمَ فِي الْمَزَائِلِ وَرَأَى الْكُتُبَ الدِّينِيَّةَ
تُطْرَحُ كَذَلِكَ مَعَ الْقِمَامَةِ وَفِي الشُّوَارِعِ تَدَاسُّ وَلَا أَمْرٌ وَلَا نَاهِيٌّ مَلَأَ الْخَوْفَ مِنْ
الْعُقُوبَةِ صَدْرَهُ وَإِنْ كَانَ قَوِيَّ الدِّينِ وَعِنْدَهُ غَيْرَةٌ لِدِينِهِ مَرَضَ مِمَّا رَأَى وَسَمِعَ ،
نَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يَخْصَّ بِالْعُقُوبَةِ مَنْ فَعَلَهَا وَمَنْ رَضِيَ بِهَا وَمَنْ عَلِمَ بِهَا وَقَدَّرَ عَلَى
إِزَالَتِهَا وَلَمْ يَفْعَلْ .

اللَّهُمَّ ابْرِمْ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ أَمْرَ رُشْدٍ يُعْزُ فِيهِ أَهْلُ طَاعَتِكَ وَيُذَلُّ فِيهِ أَهْلُ
مَعْصِيَتِكَ وَيُؤْمَرُ فِيهِ بِالْمَعْرُوفِ وَيُنْهَى فِيهِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُزَالُ فِيهِ مَا حَدَّثَ مِنْ
بِدْعٍ وَمُنْكَرَاتٍ وَمَعَاصِي وَيُحْيَا بِهِ بَدَلَهَا مَا أُمِيتَ مِنْ سُنَّةٍ وَعَيْرَةٍ وَشَيْمَةٍ كَرِيمَةٍ
وَمُرُوءَةٍ جَمِيلَةٍ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

وقال الشيخ عبد العزيز بن حمد بن ناصر بن معمر
يَرْتِي أَهْلَ الدِّرْعِيَّةِ بَعْدَ مَا هَدَمَهَا الظَّالِمُ الطَّاغِيَةُ وَجُنُودُهُ إِبْرَاهِيمُ بَاشَا جَازَاهُ
اللَّهُ بِمَا يَسْتَحِقُّ هُوَ وَأَعْوَانُهُ

إِلَيْكَ إِلَهَ الْعَرْشِ أَشْكُو تَضَرُّعًا
وَأَدْعُوكَ فِي الضَّرَاءِ رَبِّي لِتَسْمَعَا
فَكَمْ قَتَلُوا مِنْ فِتْيَةِ الْحَقِّ عُضْبَةً
هُدَاةً وَضَاءً سَاجِدِينَ وَرُكْعَا

وَكَمْ دَمَّرُوا مِنْ مَرْبَعٍ كَانَ أَهْلًا
 وَقَدْ تَرَكُوا الدَّارَ الْأَيْسَةَ بَلْقَعًا
 فَأَصْبَحَتْ الْأَمْوَالُ فِيهِمْ نَهَائِبًا
 وَأَصْبَحَتْ الْآيَتَامُ غَرَثَى وَجُوعًا
 وَفَرَّ عَنِ الْأَوْطَانِ مَنْ كَانَ قَاطِنًا
 وَفُرِّقَ إِلْفٌ كَانَ مُجْتَمِعًا مَعًا
 مَضَوْا وَانْقَضَتْ أَيَّامُهُمْ حِينَ أوردُوا
 ثَنَاءً وَذِكْرًا طِيبُهُ قَدْ تَضَوَّعَا
 فَجَازَاهُمُ اللَّهُ الْكَرِيمُ بِفَضْلِهِ
 جِنَانًا وَرِضْوَانًا مِنْ اللَّهِ رَافِعَا
 فَإِنْ كَانَتْ الْأَشْبَاحُ مِنَّا تَبَاعَدَتْ
 فَإِنَّ لِأَرْوَاحِ الْمُحِبِّينَ مَجْمَعَا
 عَسَى وَعَسَى أَنْ يَنْصُرَ اللَّهُ دِينَهُ
 وَيَجْبِرَ مِنَّا مَأْمَنًا قَدْ تَصَدَّعَا
 وَيُظْهِرَ نُورَ الْحَقِّ يَغْلُو ضِيَاؤُهُ
 فَيُضْحِي ظِلَامَ الشَّرْكِ وَالشُّكِّ مُقْشِعَا
 إِلَهِي فَحَقِّقْ ذَا الرَّجَاءِ وَكُنْ بِنَا
 رَوْفًا رَحِيمًا مُسْتَجِيبًا لَنَا الدُّعَا
 أَلَا أَيُّهَا الْإِخْوَانُ صَبْرًا فَإِنِّي
 أَرَى الصَّبْرَ لِلْمَقْدُورِ خَيْرًا وَأَنْفَعَا

فَلَا تَيَأْسُوا مِنْ كَشْفِ مَا ثَابَ إِنَّهُ
إِذَا شَاءَ رَبِّي كَشَفَ كَرْبَ تَمْرَعَا
وَمَا قُلْتُ إِذَا أَشْكُو إِلَى الْخَلْقِ نَكْبَةً
وَلَا جَزَعًا مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَعَا
فَمَا كَانَ هَذَا الْأَمْرُ إِلَّا بِقُدْرَةِ
بِهَا قَهَرَ اللَّهُ الْخَلَائِقَ أَجْمَعَا
وَذَلِكَ عَنْ ذَنْبٍ وَعِضْيَانِ خَالَتِي
أُخِذْنَا بِهِ حِينًا فَحِينًا لِنَرْجِعَا
وَقَدْ آتَى أَنْ نَرْجُو رِضَاهُ وَعَفْوَهُ
وَأَنْ نَعْرِفَ التَّقْصِيرَ مِنَّا فَتُقْلِعَا
فِيَا مُحْسِنًا قَدْ كُنْتَ تُحْسِنُ دَائِمًا
وَيَا وَاسِعًا قَدْ كَانَ عَفْوُكَ أَوْسَعَا
نَعُوذُ بِكَ اللَّهُمَّ مِنْ سُوءِ صُنْعِنَا
فَإِنَّ لَنَا فِي الْعَفْوِ مِنْكَ لَمَطْمَعَا
أَغْنِنَا أَغْنِنَا وَارْفَعِ الشَّدَّةَ الَّتِي
أَصَابَتْ وَصَابَتْ وَاكْشِفِ الضَّرَّ وَارْفَعَا
وَجُدْ وَتَفَضَّلْ بِالذِّي أَنْتَ أَهْلُهُ
مِنَ الْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ يَا خَيْرَ مَنْ دَعَا
اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ حِزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ ، وَعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ
أَهْلَتْهُمْ لِيُخْدَمَتِكَ وَجَعَلْتَهُمْ أَمِيرِينَ بِالْمَعْرُوفِ فَاعِلِينَ لَهُ ، وَنَاهِينَ عَنِ
الْمُنْكَرِ ، وَمُجْتَنِبِينَ لَهُ ،
اللَّهُمَّ مَكَّنْ حُبَّكَ فِي قُلُوبِنَا وَاهْلِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لِامْتِنَالِ
طَاعَتِكَ وَأَمْرِكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ

الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

نُبذة من حياة جعفر بن أبي طالب

جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ هُوَ أَخُو عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَانَ أَبُو طَالِبٍ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ سُمُوِّ شَرَفِهِ فِي قُرَيْشٍ وَعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِ فِي قَوْمِهِ رَفِيقَ الْحَالِ كَثِيرَ الْعِيَالِ وَقَدْ ازدَادَتْ حَالُهُ سُوءًا بِسَبَبِ تِلْكَ السَّنَةِ الْمُجْدِبَةِ الَّتِي نَزَلَتْ بِقُرَيْشٍ فَأَهْلَكَتْ الزَّرْعَ وَأَيَّسَتْ الضَّرْعَ وَأَكَلَ بَعْضُ النَّاسِ الْعِظَامَ الْبَالِيَةَ .

وَلَمْ يَكُنْ فِي بَنِي هَاشِمٍ يَوْمَئِذٍ أَيْسَرُ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَمِنْ عَمِّهِ الْعَبَّاسِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَمِّهِ الْعَبَّاسِ يَا عَمُّ إِنَّ أَخَاكَ أَبَا طَالِبٍ كَثِيرُ الْعِيَالِ وَقَدْ أَصَابَ النَّاسَ مَا تَرَى مِنْ شِدَّةِ الْقَحْطِ وَمَضُّصِ الْجُوعِ فَاَنْطَلِقْ بِنَا إِلَيْهِ حَتَّى نَحْمِلَ عَنْهُ بَعْضَ عِيَالِهِ فَأَخَذُ أَنَا فَتَى مِنْ بَيْنِهِ وَتَأْخُذُ أَنْتَ فَتَى آخَرَ فَكَفَيْهِمَا عَنْهُ .

فَقَالَ الْعَبَّاسُ لَقَدْ دَعَوْتَ إِلَى خَيْرٍ وَحَضَضْتَ عَلَيَّ بِرَثْمٍ أَنْطَلَقَا حَتَّى أَتَيْتَا أَبَا طَالِبٍ فَقَالَا لَهُ إِنَّا نُرِيدُ أَنْ نُخَفِّفَ عَنْكَ بَعْضَ مَا تَحْمِلُهُ مِنْ عِبٍّ عِيَالِكَ حَتَّى يَنْكَشِفَ هَذَا الضَّرُّ الَّذِي مَسَّ النَّاسَ فَقَالَ لَهُمَا إِذَا تَرَكْتُمَا عَقِيلًا فَاَصْنَعَا مَا شِئْتُمَا .

فَأَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا وَضَمَّهُ إِلَيْهِ وَأَخَذَ الْعَبَّاسُ جَعْفَرًا وَجَعَلَهُ فِي عِيَالِهِ فَلَمْ يَزَلْ عَلِيٌّ مَعَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَعَثَهُ اللَّهُ بِدَيْنِ الْحَقِّ وَالْهُدَى فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنَ الْفِثْيَانِ .

وَبَقِيَ جَعْفَرُ مَعَ عَمِّهِ الْعَبَّاسِ حَتَّى شَبَّ وَأَسْلَمَ وَاسْتَعْفَى عَنْهُ ، انْضَمَّ جَعْفَرُ إِلَى رَكْبِ النُّورِ هُوَ وَزَوْجَتُهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ مُنْذُ أَوَّلِ الطَّرِيقِ فَقَدْ أَسْلَمَا عَلَى يَدَيِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْهُمَا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَارَ الْأَرْقَمِ وَلَقِيَ جَعْفَرُ وَزَوْجَتَهُ مِنْ أَدَى قُرَيْشٍ وَنَكَالَهَا مَا لَقِبَهُ

المُسْلِمُونَ الْأَوْلُونَ فَصَبْرًا عَلَى الْأَذَى لِأَنَّهُمَا كَانَا يَعْلَمَانِ أَنَّ طَرِيقَ الْجَنَّةِ مَفْرُوشٌ بِالْأَشْوَاكِ مَحْفُوفٌ بِالْمَكَارِهِ .

وَلَكِنَّ الَّذِي كَانَ يُنْغِصُهُمَا وَيُنْغِصُ عَلَى إِخْوَانِهِمَا فِي اللَّهِ أَنْ قُرَيْشًا كَانَتْ تَحُولُ دُونَهُمْ وَدُونَ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ وَتَحْرِمُهُمْ مِنْ أَنْ يَتَذَوَّقُوا لَذَّةَ الْعِبَادَةِ فَقَدْ كَانَتْ تَقِفُ لَهُمْ فِي كُلِّ مَرْصِدٍ .

عِنْدَ ذَلِكَ اسْتَأْذَنَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنْ يُهَاجِرَ مَعَ زَوْجَتِهِ وَنَفَرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ فَأِذِنَ لَهُمْ وَهُوَ حَزِينٌ فَقَدْ كَانَ يَعِزُّ عَلَيْهِ أَنْ يُرْعَمَ هَؤُلَاءِ الْأَطْهَارِ عَلَى مُفَارَقَةِ دِيَارِهِمْ وَمُبَارَحَةِ مَرَاتِعِ طَفُولَتِهِمْ وَدِيَارِهِمْ دُونَ ذَنْبِ جَنُودِهِ إِلَّا أَنَّهُمْ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ مِنَ الْقُوَّةِ مَا يَدْفَعُ بِهِ أَدَى قُرَيْشٍ .

مَضَى رَكْبُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ وَعَلَى رَأْسِهِمْ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَاسْتَقَرُّوا عِنْدَ النَّجَاشِيِّ الْمَلِكِ الصَّالِحِ فَتَذَوَّقُوا مِنْذُ اسْلُمُوا طَعْمَ الْأَمْنِ وَاسْتَمْتَعُوا بِحَلَاوَةِ الْعِبَادَةِ دُونَ أَنْ يُكَدَّرَ عَلَيْهِمْ مُكَدَّرٌ .

لَكِنَّ قُرَيْشًا مَا كَادَتْ تَعْلَمُ بِرَجِيلِ هَذَا النَّفَرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ ، وَتَقِفُ عَلَى مَا نَالُوهُ فِي حِمَى مَلِكِهَا مِنَ الطَّمَأِينَةِ عَلَى دِينِهِمْ ، وَالْأَمْنِ عَلَى عَقِيدَتِهِمْ ، حَتَّى جَعَلَتْ تَأْتِمُرُ بِهِمْ .

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ لَقِينَا فِيهَا خَيْرَ جَوَارٍ فَأَمِنَّا عَلَى دِينِنَا وَعَبَدْنَا اللَّهَ تَعَالَى مِنْ غَيْرِ أَنْ نُؤَذَى .

فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشٌ اتَّخَذَتْ بِنَا فَأَرْسَلَتْ إِلَى النَّجَاشِيِّ رَجُلَيْنِ جَلْدَيْنِ مِنْ رِجَالِهَا أَحَدُهُمَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَالثَّانِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ وَبَعَثَتْ

فَرِيْسٌ مَعَهُمَا بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ لِلنَّجَاشِيِّ وَلِبَطَارِقَتِهِ - البَطْرِيقُ رَجُلٌ الدِّينِ عِنْدَ النَّصَارَى -

ثُمَّ أَوْصَتْهُمَا بِأَنْ يَدْفَعَا لِكُلِّ بَطْرِيقٍ هَدِيَّةً قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَا مَلِكَ الحَبَشَةِ فِي أَمْرِ المُهَاجِرِينَ ، فَلَمَّا قَدِمَ عَمْرُو وَعَبْدُ اللّهِ عَلَى الحَبَشَةِ لَقِيَا بَطَارِقَةَ النَّجَاشِيِّ وَدَفَعَا إِلَى كُلِّ بَطْرِيقٍ هَدِيَّتَهُ .

وَقَالَا إِنَّهُ قَدْ حَلَّ فِي أَرْضِ المَلِكِ غِلْمَانٌ مِنْ سُفَهَائِنَا صَبَوْنَا عَنْ دِينِ آبَائِهِمْ وَأَجْدَادِهِمْ وَفَرَّقُوا كَلِمَةَ قَوْمِهِمْ فَإِذَا كَلَّمْنَا المَلِكَ فِي أَمْرِهِمْ فَأَشِيرُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يُسَلِّمَهُمْ إِلَيْنَا دُونَ أَنْ يُسَآلَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ فَإِنَّ أَشْرَافَ قَوْمِهِمْ أَبْصَرُوا بِهِمْ وَأَعْلَمُوا بِمَا يَعْتَقِدُونَ .

فَقَالَ البَطَارِقَةُ لَهُمَا نَعَمْ فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ شَيْءٌ أَكْرَهُ لِعَمْرُو وَصَاحِبِهِ مِنْ أَنْ يَسْتَدْعِيَ النَّجَاشِي أَحَدًا مِنَّا وَيَسْمَعَ كَلَامَهُ ثُمَّ أَتَيَا النَّجَاشِيَّ وَقَدَّمَا إِلَيْهِ الهَدَايَا فَاسْتَحْسَنَهَا وَأَعْجَبَ بِهَا .

ثُمَّ كَلَّمَاهُ فَقَالَا أَيُّهَا المَلِكُ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ إِلَى مَمْلَكَتِكَ طَائِفَةٌ مِنْ شِرَارِ غِلْمَانِنَا قَدْ جَاؤَا بِدِينٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتُمْ فَفَارَقُوا دِينَنَا وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ وَقَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ أَشْرَافَ قَوْمِهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَعْمَامِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ لِيُرَدَّهُمْ إِلَيْهِمْ وَهُمْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِمَا أَحَدْتُوهُ مِنْ فِتْنَةٍ .

فَنظَرَ النَّجَاشِيَّ إِلَى بَطَارِقَتِهِ فَقَالَ البَطَارِقَةُ صَدَقَا أَيُّهَا المَلِكُ فَإِنَّ قَوْمَهُمْ أَبْصَرُوا بِهِمْ وَأَعْلَمُوا بِمَا صَنَعُوا فَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ لِيَرَوْا رَأْيَهُمْ فِيهِمْ فَغَضِبَ النَّجَاشِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا مِنْ كَلَامِ بَطَارِقَتِهِ .

وَقَالَ لَا وَاللّهِ لَا أَسَلِّمُهُمْ لِأَحَدٍ حَتَّى أَدْعُوهُمْ وَأَسْأَلَهُمْ عَمَّا نُسِبَ إِلَيْهِمْ

فَإِنْ كَانُوا كَمَا يَقُولُ هَذَانِ الرَّجُلَانِ أَسْلَمْتُهُمْ لَهُمَا وَإِنْ كَانُوا عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ
حَمَيْتُهُمْ وَأَحْسَنْتُ جَوَارَهُمْ مَا جَاوَرُونِي .

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ فَأَرْسَلَ النَّجَاشِيُّ إِلَيْنَا يَدْعُونَا لِلِقَائِهِ فَاجْتَمَعْنَا قَبْلَ
الذَّهَابِ إِلَيْهِ وَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ إِنَّ الْمَلِكَ سَيَسْأَلُكُمْ عَنْ دِينِكُمْ فَاصْدَعُوا بِمَا
تُؤْمِنُونَ بِهِ وَلِيَتَكَلَّمَ عَنْكُمْ اجْعَفْرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَلَا يَتَكَلَّمْ أَحَدٌ غَيْرُهُ .

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ ثُمَّ ذَهَبْنَا إِلَى النَّجَاشِيِّ فَوَجَدْنَاهُ قَدْ دَعَا بِطَارِقَتِهِ فَجَلَسُوا
عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَقَدْ لَبَسُوا طَيِّبَاتِهِمْ وَاعْتَمَرُوا قَلَانِسَهُمْ وَنَشَرُوا كُتُبَهُمْ
بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَوَجَدْنَا عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَبِيعَةَ .

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِنَا الْمَجْلِسُ التَفَتَ إِلَيْنَا النَّجَاشِيُّ وَقَالَ مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي
اسْتَحَدْتُمُوهُ لِأَنْفُسِكُمْ وَفَارَقْتُمْ بِسَبِيهِ دِينَ قَوْمِكُمْ وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي .

فَتَقَدَّمَ مِنْهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَقَالَ أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ
نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ وَنَسِيءُ الْجَوَارِ
وَنَأْكُلُ الْقَوِيَّ مِنْ الضَّعِيفِ وَبَقِينَا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا
نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ .

فَلَمَّا دَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوحِدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ وَأَبَاؤُنَا مِنْ دُونِ
اللَّهِ مِنَ الْجِحَارَةِ وَالْأوثَانِ .

وَقَدْ أَمَرْنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَصِلَةِ الرَّجِمِ وَحُسْنِ الْجَوَارِ
وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَحَقْنِ الدَّمَاءِ - أَيُّ حِفْظِهَا وَعَدَمِ سَفْكِهَا .

وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ وَقَوْلِ الزُّورِ وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ وَقَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ

وَأَمَرْنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَأَنْ نُقِيمَ الصَّلَاةَ وَنُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَنُصُومَ رَمَضَانَ .

فَصَدَّقْنَاهُ وَأَمَّنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَحَلَّلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا ، فَمَا كَانَ مِنْ قَوْمِنَا أُيُّهَا الْمَلِكُ إِلَّا أَنْ عَدُوا عَلَيْنَا فَعَدُّبُونَا أَشَدَّ الْعَذَابِ لِيَفْتِنُونَنَا عَنْ دِينِنَا وَيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ .

فَلَمَّا ظَلَمُونَا وَقَهَرُونَا وَضَيَّقُوا عَلَيْنَا وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا خَرَجْنَا إِلَى بِلَادِكَ وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ وَرَعِبْنَا فِي جِوَارِكَ وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظَلَّمَ عِنْدَكَ .

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ فَالْتَفَتَ النَّجَاشِيُّ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَقَالَ هَلْ مَعَكَ شَيْءٌ مِمَّا جَاءَ بِهِ نَبِيُّكُمْ عَنْ اللَّهِ قَالَ نَعَمْ فَقَرَأَ عَلَيْهِ « كَهَيْعَصَ ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا » حَتَّى أَتَمَّ صَدْرًا مِنَ السُّورَةِ .

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ فَبَكَى النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ بِالذُّمُوعِ - أَيْ تَبَلَّلَتْ - وَبَكَى أَسَافَتَهُ حَتَّى بَلَّلُوا كَتَبُهُمْ لِمَا سَمِعُوا مِنْ كَلَامِ اللَّهِ وَهَذَا قَالَ النَّجَاشِيُّ إِنَّ هَذَا الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِيُّكُمْ وَالَّذِي جَاءَ بِهِ عَنِّي لِيَخْرُجَ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ التَفَتَ النَّجَاشِيُّ إِلَى عَمْرٍو وَصَاحِبِهِ وَقَالَ لَهُمَا : انْطَلِقَا فَلَا وَاللَّهِ لَا أُسَلِّمُهُمَ إِلَيْكُمَا أَبَدًا قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ النَّجَاشِيِّ تَوَعَّدَنَا عَمْرٍو ابْنُ الْعَاصِ وَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَاللَّهِ لَأَتِيَنَّ الْمَلِكَ غَدًا وَالْأَذْكَرَنَّ لَهُ مِنْ أَمْرِهِمْ مَا يَمْلَأُ صَدْرَهُ غَيْظًا مِنْهُمْ وَيَشْحَنُ فُؤَادَهُ كُرْهًا لَهُمْ وَلَا حِمْلَتَهُ عَلَيَّ أَنْ يَسْتَأْصِلَهُمْ مِنْ جُدُورِهِمْ .

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَبِيعَةَ لَا تَفْعَلْ يَا عَمْرٍو فَإِنَّهُمْ مِنْ دَوِيٍّ قُرْبَانَا وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا فَقَالَ لَهُ عَمْرٍو دَعْ عَنْكَ هَذَا وَاللَّهِ لِأَخْبِرَنَّهُ بِمَا يُرْتَلُّ أقدامهم والله

لَأَقُولَنَّ لَهُ إِنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَبْدٌ .

فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ دَخَلَ عَمْرُو عَلَى النَّجَاشِيِّ وَقَالَ لَهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّ هَؤُلَاءِ
الَّذِينَ آوَيْتَهُمْ وَحَمَيْتَهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا عَظِيمًا ، فَأَرْسِلْ إِلَيْهِمْ
وَسَلِّهِمْ عَمَّا يَقُولُونَهُ فِيهِ .

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ فَلَمَّا عَرَفْنَا ذَلِكَ نَزَلَ بِنَا مِنَ الْهَمِّ وَالْغَمِّ مَا لَمْ نَتَعَرَّضْ
لِمِثْلِهِ وَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ مَآذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ إِذَا سَأَلْتُمْ عَنْهُ .
فَقُلْنَا وَاللَّهِ لَا نَقُولُ فِيهِ إِلَّا مَا قَالَ اللَّهُ وَلَا نَخْرُجُ فِي أَمْرِهِ قَيْدَ أُنْمَلَةٍ عَمَّا
جَاءَنَا بِهِ نَبِينًا وَلَيْكُنْ سَبَبٌ ذَلِكَ مَا يَكُونُ .

ثُمَّ اتَّفَقْنَا عَلَى أَنْ يَتَوَلَّى الْكَلَامَ عَنَّا جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَلَمَّا دَعَانَا
النَّجَاشِيُّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ فَوَجَدْنَا عِنْدَهُ بَطَارِقَتَهُ عَلَى الْهَيْئَةِ الَّتِي رَأَيْنَاهُمْ عَلَيْهَا مِنْ
قَبْلُ .

وَوَجَدْنَا عِنْدَهُ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ وَصَاحِبَهُ فَلَمَّا صِرْنَا بَيْنَ يَدَيْهِ بَادَرَنَا بِقَوْلِهِ
مَآذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِنَّمَا نَقُولُ مَا جَاءَ
بِهِ نَبِينًا فَقَالَ النَّجَاشِيُّ وَمَا الَّذِي يَقُولُ فِيهِ .

فَأَجَابَهُ جَعْفَرُ يَقُولُ عَنْهُ « إِنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ الَّتِي
أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبُتُولِ » فَلَمَّا سَمِعَ النَّجَاشِيُّ قَوْلَ جَعْفَرٍ ضَرَبَ بِيَدِهِ
الْأَرْضَ وَقَالَ وَاللَّهِ مَا خَرَجَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَمَّا جَاءَ بِهِ نَبِيكُمْ مِقْدَارَ شَعْرَةٍ .

فَتَنَاخَرَتِ الْبَطَارِقَةُ مِنْ حَوْلِ النَّجَاشِيِّ اسْتِنْكَارًا لِمَا سَمِعُوا مِنْهُ فَقَالَ وَإِنْ
نَخَرْتُمْ ثُمَّ انْتَفَتَ إِلَيْنَا وَقَالَ أَذْهَبُوا فَأَنْتُمْ آمِنُونَ مِنْ سَبِّكُمْ غَيْرِمَ وَمَنْ تَعَرَّضَ لَكُمْ
عَوْقِبَ وَاللَّهِ مَا أَحْبُّ أَنْ يَكُونَ لِي جَبَلٌ مِنْ ذَهَبٍ وَأَنْ يُصَابَ أَحَدٌ مِنْكُمْ .

ثُمَّ نَظَرَ إِلَى عَمْرٍو وَصَاحِبِهِ وَقَالَ رُدُّوْا عَلَيَّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ هَذَايَاهُمَا فَلَا حَاجَةَ لِي بِهَا .

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ فَخَرَجَ عَمْرٍو وَصَاحِبُهُ مَكْسُورَيْنِ مَقْهُورَيْنِ يَجْرَانِ أَذْيَالًا الْخَيْبَةَ ، أَمَا نَحْنُ فَقَدْ أَقْمْنَا عِنْدَ النَّجَاشِيِّ بِخَيْرِ دَارٍ مَعَ أَكْرَمِ جَارٍ .

أَمْضَى جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ هُوَ وَرُؤُوسَتُهُ فِي رِحَابِ النَّجَاشِيِّ عَشْرَ سِنَوَاتٍ آمِنِينَ مُطْمَئِنِّينَ وَفِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ لِلْهِجْرَةِ غَادَرُوا بِلَادَ الْحَبَشَةِ مَعَ نَفَرٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلَمَّا بَلَغُوهَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَائِداً مِنْ خَيْبَرَ بَعْدَ أَنْ فَتَحَهَا اللَّهُ لَهُ فَفَرِحَ بِلِقَاءِ جَعْفَرٍ فَرِحاً شَدِيداً حَتَّى قَالَ مَا أَدْرِي بِأَيِّهِمَا أَنَا أَشَدُّ فَرِحاً أَبْفَتَحَ خَيْبَرَ أَمْ بِقُدُومِ جَعْفَرٍ .

وَلَمْ تَكُنْ فَرِحَةَ الْمُسْلِمِينَ وَالْفُقَرَاءِ خَاصَّةً بِعَوْدَةِ جَعْفَرٍ بِأَقْلٍ مِنْ فَرِحَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَقَدْ كَانَ جَعْفَرُ شَدِيدَ الْحَدْبِ عَلَى الضَّعْفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ كَثِيرَ الْبِرِّ بِهِمْ حَتَّى كَانَ يُلَقَّبُ بِأَبِي الْمَسَاكِينِ .

أَخْبَرَ عَنْهُ أَبُو هُرَيْرَةَ فَقَالَ كَانَ خَيْرَ النَّاسِ لَنَا مَعَشَرَ الْمَسَاكِينِ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَدْ كَانَ يَمْضِي بِنَا إِلَى بَيْتِهِ فَيُطْعِمُنَا مَا يَكُونُ عِنْدَهُ حَتَّى إِذَا نَفَدَ طَعَامُهُ أَخْرَجَ لَنَا الْعُكَّةَ الَّتِي يُوضَعُ فِيهَا السُّمْنُ وَلَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ فَنَشْفُهَا وَنَلْعُقُ مَا عَلِقَ بِدَاخِلِهَا .

وَفِي أَوَائِلِ السَّنَةِ الثَّامِنَةِ لِلْهِجْرَةِ جَهَزَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَيْشاً لِمُنَازَلَةِ الرُّومِ فِي بِلَادِ الشَّامِ وَأَمَرَ عَلَى الْجَيْشِ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ وَقَالَ إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعْفَرُ فَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرُ فَعَبْدُ اللَّهِ ابْنُ رَوَاحَةَ فَإِنْ قُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ رَوَاحَةَ فَلْيَخْتَرْ الْمُسْلِمُونَ لِأَنْفُسِهِمْ أَمِيراً مِنْهُمْ .

فَلَمَّا وَصَلَ الْمَسْلُومُونَ إِلَى مُؤْتَتَةٍ وَهِيَ قَرْيَةٌ وَاقِعةٌ عَلَى مَشَارِفِ الشَّامِ
فِي الْأَرْدُنِّ وَجَدُوا أَنَّ الرُّومَ قَدْ أَعَدُّوا لَهُمْ مِائَةَ أَلْفٍ تَعَاوَنَهُمْ مِائَةُ أَلْفٍ أُخْرَى مِنْ
نِصَارَى الْعَرَبِ مِنْ قَبَائِلِ لَحْمٍ وَجُدَامٍ وَقُضَاعَةَ وَغَيْرَهَا .

أَمَّا جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ فَكَانَ ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَمَا أَنْ التَّقَى الْجَمْعَانِ وَدَارَتْ
رَحَى الْخَرْبِ حَتَّى خَرَّ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ صَرِيعاً مُقْبِلاً غَيْرَ مُدْبِرٍ .

فَمَا أَسْرَعَ أَنْ وَثَبَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَنْ ظَهْرِ فَرَسِهِ ثُمَّ عَقَرَهَا حَتَّى لَا
يُتَنَفَّعَ بِهَا الْأَعْدَاءُ بَعْدَهُ ثُمَّ حَمَلَ الرَّايَةَ وَدَخَلَ فِي صُفُوفِ الرُّومِ وَهُوَ يُنْشِدُ :

يَا حَبْدَا الْجَنَّةُ وَأَقْتِرَابُهَا
طَيِّبَةٌ وَبَارِدٌ شَرَابُهَا
وَالرُّومُ رُومٌ قَدَدْنَا عَذَابُهَا
كَافِرَةٌ بَعِيدَةٌ أَنْسَابُهَا
عَلَيَّ إِذْ لَاقَيْتُهَا ضَرَابُهَا

وَوَظَلَّ يَجُولُ بِسَيْفِهِ فِي صُفُوفِهِمْ وَيَصُولُ حَتَّى أَصَابَتْهُ ضَرْبَةٌ قَطَعَتْ
يَمِينَهُ فَأَخَذَ الرَّايَةَ بِشِمَالِهِ فَمَا لَبِثَ أَنْ أَصَابَتْهُ ضَرْبَةٌ أُخْرَى قَطَعَتْ شِمَالَهُ
فَأَخَذَ الرَّايَةَ بِصُدْرِهِ وَعَضُدَيْهِ فَمَا لَبِثَ أَنْ أَصَابَتْهُ ضَرْبَةٌ ثَالِثَةٌ قَسَمَتْهُ نِصْفَيْنِ .

فَأَخَذَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَمَا زَالَ يُسْقَاتِلُ حَتَّى لَحِقَ بِصَاحِبِيهِ .

بَلَغَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَضْرَعَ قُوَادِهِ الثَّلَاثَةِ فَحَزَنَ عَلَيْهِمْ أَشَدَّ
الْحُزْنَ وَأَمْضَهُ وَأَنْطَلَقَ إِلَى بَيْتِ ابْنِ عَمِّهِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَوَجَدَ زَوْجَتَهُ
أَسْمَاءَ تَتَاهَبُ لِاسْتِقْبَالِ زَوْجِهَا الْغَائِبِ قَدْ عَجَنَتْ عَجِينَهَا وَغَسَلَتْ بَيْنَهَا
وَدَهَنَتْهُمْ وَأَلْبَسَتْهُمْ .

قَالَتْ أَسْمَاءُ فَلَمَّا أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَيْتُ
غَلَالَةً مِنَ الْحُزْنِ تَوْشُّحُ وَجْهَهُ الْكَرِيمِ .

فَسَرَتْ الْمَخَاوِفُ فِي نَفْسِي غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَشَأْ أَنْ أَسْأَلُهُ عَنْ جَعْفَرَ مَخَافَةَ
أَنْ أَسْمَعَ مِنْهُ مَا أَكْرَهُ فَدَعَوْتُهُمْ لَهُ فَهَبُوا نَحْوَهُ فَرِحِينَ وَأَخَذُوا يَتَزَاكِمُونَ عَلَيْهِ
كُلُّ يُرِيدُ أَنْ يَسْتَأْثِرَ بِهِ .

فَاكَّبَ عَلَيْهِمْ وَجَعَلَ يَشْمُهُمْ وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ مِنَ الدَّمْعِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ
اللَّهِ أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مَا يُبْكِيكَ أَبْلَغَكَ عَنْ جَعْفَرَ وَصَاحِبِيهِ شَيْءٌ قَالَ نَعَمْ لَقَدْ
اسْتَشْهِدُوا هَذَا الْيَوْمَ .

عِنْدَ ذَلِكَ غَاضَتْ الْبِسْمَةُ مِنْ وُجُوهِ الصَّغَارِ لَمَّا رَأَوْا وَسَمِعُوا أُمَّهُمْ تَبْكِي
وَتَشْجُ وَجَمَدُوا أَمَا كِنَهُمْ كَأَنَّ عَلَى رُؤْسِهِم الطَّيْرُ .

أَمَّا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَضَى وَهُوَ يُكْفِكِفُ عِبْرَاتِهِ
وَيَقُولُ ، اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي وَلَدِهِ اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي أَهْلِهِ ثُمَّ قَالَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَدْ رَأَيْتُ جَعْفَرًا فِي الْجَنَّةِ لَهُ جَنَاحَانِ مُضْرَجَانِ بِالْدمَاءِ
اللَّهُمَّ أَرْحَمِ غُرَبَتَنَا فِي الْقُبُورِ وَأَمِنَّا يَوْمَ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ وَاعْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ
انْتَهَى مِنْ صُورٍ مِنْ حَيَاةِ الصَّحَابَةِ بِتَصْرُفٍ يَسِيرٍ .

قصة أسيد بن الحضير

قَدِمَ الْفَتَى الْمَكِّيُّ مُضْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ إِلَى يَثْرِبَ فَتَزَلَّ عَلَى أَسْعَدِ بْنِ زُرَّارَةَ
أَحَدِ أَشْرَافِ الْخَزْرَاجِ وَاتَّخَذَ دَارَهُ مَقَامًا لِنَفْسِهِ وَمُنْطَلَقًا لِبَيْتِ دَعْوَتِهِ إِلَى اللَّهِ

والتبشيرِ بِنَبِيِّ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَأَخَذَ أَبْنَاءُ يَثْرَبَ يُقْبَلُونَ عَلَى مَجَالِسِ الدَّاعِيَةِ مُضْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ أَقْبَالًا كَبِيرًا
وَكَانَ يُرَغَّبُهُمْ فِيهِ عُدُوبَةُ حَدِيثِهِ وَوُضُوحُ حُجَّتِهِ وَرَقَّةُ شَمَائِلِهِ وَوَضَاءَةُ الْإِيمَانِ
الَّتِي تُشْرِقُ فِي وَجْهِهِ .

وَكَانَ يَجْذِبُهُمْ إِلَيْهِ شَيْءٌ ، آخِرُ فَوْقَ ذَلِكَ كُلِّهِ هُوَ هَذَا الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ
الَّذِي كَانَ يَتْلُوهُ عَلَيْهِمُ السَّاعَةَ بَعْدَ السَّاعَةِ بَعْضًا مِنْ آيَاتِهِ الْبَيِّنَاتِ بِصَوْتِهِ
الْحَسَنِ الْجَمِيلِ الرَّخِيمِ وَنَبْرَاتِهِ الْحُلُوةِ الْأَسْرَةَ فَيَسْتَلِينُ بِهَا الْقُلُوبَ الْقَاسِيَةَ
وَيَسْتَدْرِ بِهَا الدُّمُوعَ الْعَاصِيَةَ فَلَا يَنْفُضُ الْمَجْلِسُ مِنْ مَجَالِسِهِ إِلَّا عَنْ أَنَسٍ
أَسْلَمُوا وَأَنْضَمُوا إِلَى كِتَابِ الْإِيمَانِ .

وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ خَرَجَ سَعْدُ بْنُ زُرَّارَةَ بِمُضْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ لِيَلْقَى جَمَاعَةَ مِنْ
بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ وَيَعْرُضَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ فَدَخَلَ بُسْتَانًا مِنْ بَسَاتِينِ بَنِي
عَبْدِ الْأَشْهَلِ وَجَلَسَا عِنْدَ بَيْتِهَا الْعَدْبِيَّةِ فِي ظِلَالِ النَّخِيلِ فَاجْتَمَعَ عَلَى مُضْعَبِ
جَمَاعَةٌ قَدْ أَسْلَمُوا وَآخَرُونَ يُرِيدُونَ أَنْ يَسْمَعُوا فَانْطَلَقَ يَدْعُو وَيُبَشِّرُ وَالنَّاسُ إِلَيْهِ
مُنْصِتُونَ .

فَجَاءَ مَنْ أَخْبَرَ أَسِيدَ بْنَ الْحَضِيرِ وَسَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ وَكَانَا سَيِّدَا الْأَوْسِ بِأَنَّ
الدَّاعِيَةَ الْمَكِّيَّ قَدْ نَزَلَ قَرِيبًا مِنْ دِيَارِهِمَا وَأَنَّ الَّذِي جَرَّاهُ عَلَى ذَلِكَ أَسْعَدُ بْنُ
زُرَّارَةَ مُسْتَعْلًا قَرَابَتَهُ مِنْ سَعْدِ ابْنِ مُعَاذٍ إِذْ كَانَ ابْنُ خَالَتِهِ .

فَقَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ لِأَسِيدِ بْنِ الْحَضِيرِ لَا أَبَا لَكَ يَا أَسِيدُ انْطَلِقْ إِلَى هَذَا
الْفَتَى الْمَكِّيِّ الَّذِي جَاءَ إِلَى بِيوتِنَا لِيُعْرِِي ضَعْفَاءَنَا وَيُسَفِّهَ آلِهَتَنَا وَازْجُرَّهُ وَحَذَرُهُ
مِنْ أَنْ يَطَأَ دِيَارَنَا بَعْدَ الْيَوْمِ .

ثُمَّ أَرْدَفَ يَقُولُ وَلَوْلَا أَنَّهُ فِي ضِيآفَةِ ابْنِ خَالِي أَسْعَدِ بْنِ زُرَّارَةَ لَكَفَيْتُكَ

ذَلِكَ وَأَخَذَ أَسِيدُ حَرْبَتِهِ وَمَضَى نَحْوَ الْبُسْتَانِ فَلَمَّا رَأَهُ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ قَالَ لِمُضْعَبٍ وَيْحَكَ يَا مُضْعَبُ هَذَا سَيِّدُ قَوْمِهِ وَأَرْجَحُهُمْ عَقْلاً وَأَكْمَلَهُمْ كَمَالاً أَسِيدُ بْنُ الْحَضِيرِ فَإِنْ يُسَلِّمِ يَتَّبِعُهُ فِي إِسْلَامِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ فَاصْذُقِ اللَّهَ فِيهِ وَأَحْسِنِ التَّائِي لَه - أَي عَرَضَ الْأَمْرَ عَلَيْهِ - .

وَقَفَّ أَسِيدُ بْنُ الْحَضِيرِ عَلَى الْجَمْعِ وَالتَّفَتَ إِلَى مُضْعَبٍ وَصَاحِبِهِ وَقَالَ مَا جَاءَ بِكُمْ أَلَى دِيَارِنَا وَأَغْرَاكُمْ بِضَعْفَانِنَا . اعْتَرَلَا هَذَا الْحَيَّ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ حَاجَةٌ بِنَفْسَيْكُمْ .

فَالْتَفَتَ مُضْعَبُ إِلَى أَسِيدٍ بِوَجْهِهِ الْمُشْرِقِ بِنُورِ الْإِيمَانِ وَخَاطَبَهُ بِلَهْجَتِهِ الصَّادِقَةِ وَقَالَ لَهُ يَا سَيِّدَ قَوْمِهِ هَلْ لَكَ فِي خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ قَالَ وَمَا هُوَ قَالَ تَجَلِسُ إِلَيْنَا فَتَسْمَعُ مِنَّا فَإِنْ رَضِيتَ مَا قُلْنَا قَبْلَتَهُ وَإِنْ لَمْ تَرْضَهُ تَحَوَّلْنَا عَنْكُمْ وَلَمْ نَعُدْ إِلَيْكُمْ فَقَالَ أَسِيدٌ لَقَدْ أَنْصَفْتَ وَرَكَزَ رُوحَهُ فِي الْأَرْضِ وَجَلَسَ .

فَاقْبَلَ عَلَيْهِ مُضْعَبٌ يَذْكُرُ لَهُ حَقِيقَةَ الْإِسْلَامِ وَيَقْرَأُ عَلَيْهِ شَيْئاً مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ فَأَشْرَقَتْ أَسَارِيرُهُ وَأَشْرَقَ وَجْهُهُ وَقَالَ مَا أَحْسَنَ هَذَا الَّذِي تَقُولُ وَمَا أَجْمَلَ الَّذِي تَتْلُو كَيْفَ تَصْنَعُونَ إِذَا أَرَدْتُمْ الدُّخُولَ فِي الْإِسْلَامِ .

فَقَالَ مُضْعَبُ تَغْتَسِلُ وَيُطَهَّرُ ثِيَابَكَ وَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَتُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ فَقَامَ إِلَى الْبَيْتِ فَتَطَهَّرَ بِمَائِهَا وَشَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ فَانْضَمَّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى كِتَابِ الْإِسْلَامِ .

وَكَانَ فَارِساً قَارِئاً كَاتِباً فِي مُجْتَمَعٍ نَدَرَ فِيهِ مَنْ يَقْرَأُ أَوْ يَكْتُبُ وَكَانَ إِسْلَامُهُ سَبَباً فِي إِسْلَامِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَكَانَ إِسْلَامُهُمَا سَبَباً فِي أَنْ تُسَلِّمَ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْأَوْسِ وَأَنْ تُصْبِحَ الْمَدِينَةُ مُهَاجِراً لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَوْثِلاً وَقَاعِدَةً لِدَوْلَةِ الْإِسْلَامِ الْعُظْمَى .

وقد أولع أسيد بن الحضير بالقرآن منذ سمعه من مُصعب ابن عمير ولع
المحب بحبيبه وأقبل عليه إقبال الظاميء على المورد العذب في اليوم
القائض وجعله شغله الشاغل فكان لا يرى إلا مجاهداً غارياً في سبيل الله أو
عاكفاً يتلو كتاب الله .

وكانت تطيب له القراءة أكثر ما تطيب إذا سكن الليل ونامت العيون
وصفت النفوس وكان الصحابة يتحینون أوقات قراءته ويتسابقون إلى سماع
تلاوته وقد استعذب أهل السماء قراءته كما استعذبها أهل الأرض .

ففي جوف ليلة من الليالي كان أسيد بن الحضير جالساً في مربده وابنه
يخى نائم إلى جانبه وفرسه قد أعدها للجهد في سبيل الله مرتبطة غير بعيدة
عنه وكان الليل ساجياً فتاقت نفس أسيد بن الحضير للقراءة .

فشرع يقرأ ﴿ ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين
يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما
أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ﴾ .

فإذا به يسمع فرسه وقد جالت جولة كادت تقطع بسببها رباطها فسكت
فسكنت الفرس وقرت فعاد يقرأ « أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم
المفلحون » فجالت جولة أشد من التي قبلها فسكت فسكنت فخاف على ابنه
يخى أن تطأه .

فمضى إليه ليوقظه وهنا حانت منه التفاتة نحو السماء فرأى غمامة
كالمظلة لم ترى العين أروع ولا أبهى منها قط وقد علق بها أمثال المصابيح
فملأت الأفق ضياءً وسناءً وهي تصعد إلى السماء حتى غابت عن عينيه .

فلما أصبح مضى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقص عليه خبر

مَا رَأَى فَقَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ تَسْتَمِعُ لَكَ يَا أَسِيدُ وَلَوْ أَنَّكَ مَضَيْتَ فِي قِرَاءَتِكَ لَرَأَاهَا النَّاسُ ، وَكَانَ يُحِبُّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُبًّا شَدِيدًا وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَتَمَنَّى أَنْ يَمَسَّ جَسَدَهُ جَسَدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَقَدْ أُتِيحَ لَهُ ذَلِكَ مَرَّةً فِي ذَاتِ يَوْمٍ كَانَ أَسِيدُ يُطْرِفُ النَّاسَ بِمُلْحِهِ فَعَمَزَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خَاصِرَتِهِ بِيَدِهِ كَأَنَّهُ يَسْتَحْسِنُ مَا يَقُولُ فَقَالَ أَسِيدُ أَوْجَعْتَنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ اقْتَصَّ مِنِّي ، فَقَالَ أَسِيدُ إِنَّ عَلَيْكَ قَمِيصًا وَلَمْ يَكُنْ عَلَيَّ قَمِيصٌ حِينَ عَمَزْتَنِي .

فَرَفَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَمِيصَهُ عَنْهُ فَاحْتَضَنَهُ أَسِيدُ وَجَعَلَ يُقْبَلُ مَا بَيْنَ ابْطِهِ وَخَاصِرَتِهِ وَهُوَ يَقُولُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهَا لُبَغِيَّتِي كُنْتُ أَتَمْنَاهَا مُنْذُ عَرَفْتُكَ وَقَدْ بَلَغْتَهَا الْآنَ .

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُبَادِلُ أَسِيدًا حُبًّا بَحْبٍ وَيَحْفَظُ لَهُ سَابِقَتَهُ فِي الْإِسْلَامِ وَذَوْدَهُ عَنْهُ يَوْمَ أَحَدٍ حَتَّى إِنَّهُ طَعِنَ سَبْعَ طَعَنَاتٍ مُمِيتَاتٍ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ .

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْرِفُ لَهُ قَدْرَهُ وَمَنْزِلَتَهُ فِي قَوْمِهِ فَإِذَا شَفَعَ فِي أَحَدٍ مِنْهُمْ شَفَعَهُ فِيهِ حَدَّثَ أَسِيدُ قَالَ جِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْتُ لَهُ أَهْلَ بَيْتٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فِيهِمْ حَاجَةٌ وَجُلُّ ذَلِكَ الْبَيْتِ نِسْوَةٌ .

فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَقَدْ جِئْنَا يَا أَسِيدُ بَعْدَ أَنْ أَنْفَقْنَا مَا بَأْيَدِينَا فَإِذَا سَمِعْتَ بِشَيْءٍ قَدْ جَاءَنَا فَادْكُرْ لَنَا أَهْلَ ذَلِكَ الْبَيْتِ :

فَجَاءَهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَالٌ مِنْ خَيْبَرَ فَقَسَمَهُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فَأَعْطَى
الْأَنْصَارَ وَأَجْزَلَ وَأَعْطَى أَهْلَ ذَلِكَ الْبَيْتِ وَأَجْزَلَ فَقُلْتُ لَهُ جَزَاكَ اللَّهُ
عَنْهُمْ خَيْرًا يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَقَالَ وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ جَزَاكُمْ اللَّهُ أَطِيبَ
الْجِزَاءِ فَإِنَّكُمْ مَا عَلِمْتُ أَعْفَى صَبْرًا وَإِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ أَثْرَةً بَعْدِي فَأَصْبِرُوا
حَتَّى تَلْقَوْنِي وَمَوْعِدُكُمْ الْحَوْضُ .

قَالَ أَسِيدٌ فَلَمَّا آلَتْ الْخِلَافَةَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
قَسَمَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مَالًا وَمَتَاعًا فَبَعَثَ إِلَيَّ بِحُلَّةٍ فَاسْتَصَفَرْتُهَا فَبَيْنَمَا أَنَا
فِي الْمَسْجِدِ إِذْ مَرَّ بِي شَابٌّ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَيْهِ حُلَّةٌ سَابِغَةٌ مِنْ تِلْكَ الْحُلَلِ
الَّتِي أَرْسَلَهَا إِلَيَّ عُمَرُ وَهُوَ يَجْرُهَا عَلَى الْأَرْضِ جَرًّا .

فَذَكَرْتُ لِمَنْ مَعِيَ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّكُمْ
سَتَلْقَوْنَ أَثْرَةً مِنْ بَعْدِي وَقُلْتُ صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَانْطَلَقَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ وَأَخْبَرَهُ بِمَا قُلْتُ فَجَاءَنِي مُسْرِعًا وَأَنَا أُصَلِّي فَقَالَ
صَلِّ يَا أَسِيدُ فَلَمَّا قَضَيْتُ صَلَاتِي أَقْبَلَ عَلَيَّ وَقَالَ مَاذَا قُلْتَ ؟ .

فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا رَأَيْتُ وَبِمَا قُلْتُ فَقَالَ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ تِلْكَ حُلَّةٌ بَعَثْتُ
بِهَا إِلَى فُلَانٍ وَهُوَ أَنْصَارِي عَقَبِي بَدْرِي أَحَدِي فَسَرَاهَا مِنْهُ هَذَا الْفَتَى
الْقُرَشِيُّ وَلَبِسَهَا فَقَالَ أَسِيدُ بْنُ الْحَضِيرِ وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ ظَنَنْتُ
أَنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ فِي زَمَانِكَ وَلَمْ يَعِشْ أَسِيدٌ بَعْدَ ذَلِكَ طَوِيلًا فَقَدْ اخْتَارَهُ
اللَّهُ إِلَى جِوَارِهِ فِي عَهْدِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ

ولشيخنا عبد الرحمن الناصر السعدي رحمه الله

وَكُنْ ذَاكِرًا لِلَّهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ
فَلَيْسَ لِذِكْرِ اللَّهِ وَقْتُ مُقَيَّدٌ

فَذِكْرُ إِيَّاهِ الْعَرْشِ سِرًّا وَمُعَلِنًا
يُزِيلُ الشَّقَا وَالْهَمَّ عَنْكَ وَيَطْرُدُ
وَيَجْلِبُ لِلْخَيْرَاتِ دُنْيَا وَآجِلًا
وَإِنْ يَأْتِكَ الْوَسْوَسُ يَوْمًا يُشْرِدُ
فَقَدْ أَخْبَرَ الْمُخْتَارُ يَوْمًا لِصَاحِبِهِ
بِأَنَّ كَثِيرَ الذِّكْرِ فِي السَّبْقِ مُفْرَدُ
وَوَصَى مُعَاذًا يَسْتَعِينُ إِلَهَهُ
عَلَى ذِكْرِهِ وَالشُّكْرِ بِالْحُسْنِ يَعْبُدُ
وَأَوْصَى لِشَخْصٍ قَدْ أَتَى لِتَنْصِيحَةٍ
وَقَدْ كَانَ فِي حَمْلِ الشَّرَائِعِ يَجْهَدُ
بِأَنَّ لَا يَزَلُ رَطْبًا لِسَانَكَ هَذِهِ
تُعِينُ عَلَى كُلِّ الْأُمُورِ وَتُسَعِّدُ
وَأَخْبَرَ أَنَّ الذِّكْرَ عَرَسٌ لِأَهْلِيهِ
بِجَنَاتِ عَدْنٍ وَالْمَسَاكِينِ تُمَهِّدُ
وَأَخْبَرَ أَنَّ اللَّهَ يَذْكُرُ عَبْدَهُ
وَمَعَهُ عَلَى كُلِّ الْأُمُورِ يُسَدِّدُ
وَأَخْبَرَ أَنَّ الذِّكْرَ يَبْقَى بِجَنَّةٍ
وَيَنْقَطِعُ التَّكْلِيفُ حِينَ يُحْلَدُ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي ذِكْرِهِ غَيْرٌ أَنَّهُ
طَرِيقٌ إِلَى حُبِّ الْإِلَهِ وَمُرْشِدُ
وَيَنْهَى الْفِتَى عَنِ غَيْبَةِ وَغَيْمَةِ
وَعَنْ كُلِّ قَوْلٍ لِلدِّيَانَةِ مُفْسِدُ

لَكَانَ لَنَا حَظٌّ عَظِيمٌ وَرَغْبَةٌ
بِكَثْرَةِ ذِكْرِ اللَّهِ نِعْمَ الْمَوْحِدِ
وَلَكِنَّا مِنْ جَهْلِنَا قَلَّ ذِكْرُنَا
كَأَنَّ قَلْبًا مِثْلًا لِلْإِلَهِ التَّعَبُّدُ

اللَّهُمَّ أَذِقْنَا عَفْوَكَ وَغُفْرَانَكَ وَاسْأَلْكَ بِنَا طَرِيقَ مَرْضَاتِكَ . وَعَامِلِنَا
بِلُطْفِكَ وَاحْسَانِكَ وَأَقْطَعْ عَنَّا مَا يُبْعَدُ عَن طَاعَتِكَ اللَّهُمَّ وَثِّبْ مَحَبَّتَكَ فِي
قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَيَسِّرْ لَنَا مَا يَسِّرْتَهُ لِأَوْلِيَائِكَ وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

قصة أبي الدرداء

أَبُو الدَّرْدَاءِ كُنِيَّةُ عُوَيْرِ بْنِ مَالِكِ الْخَزْرَجِيِّ وَمِنْ قِصَّتِهِ أَنَّهُ كَانَ لَهُ
صَنْمٌ نَصَبَهُ فِي أَشْرَفِ مَكَانٍ مِنْ بَيْتِهِ فَهَضَّصَ إِلَيْهِ يَوْمًا فَحَيَّاهُ وَضَمَّخَهُ
بِأَنْفُسِ مَا حَوَاهُ مَتَجَرَّهُ الْكَبِيرِ مِنَ الطَّيِّبِ ثُمَّ أَلْقَى عَلَيْهِ ثَوْبًا جَدِيدًا مِنْ
فَاخِرِ الْحَرِيرِ .

وَلَمَّا ارْتَفَعَتِ الشَّمْسُ غَادَرَ أَبُو الدَّرْدَاءِ مَنْزِلَهُ يُرِيدُ الدَّهَابَ إِلَى مَحَلِّ
تِجَارَتِهِ فَإِذَا شَوَارِعُ الْمَدِينَةِ وَطُرُقَاتُهَا تَضِيقُ بِاتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَهُمْ عَائِدُونَ مِنْ بَدْرِ وَأَمَامَهُمْ أَفْوَاجُ الْأَسْرَاءِ مِنْ قُرَيْشٍ .

فَأَعْرَضَ أَبُو الدَّرْدَاءِ عَنْهُمْ وَأَقْبَلَ عَلَى فَتَى مِنْهُمْ وَسَأَلَهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ
بِنِ رَوَاحَةَ فَطَمَّنَهُ الْفَتَى عَلَيْهِ لِمَا كَانَ يَعْلَمُهُ مِنَ الصَّدَاقَةِ بَيْنَهُمَا فِي
الْجَاهِلِيَّةِ .

فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ بَادَرَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ وَظَلَّ أَبُو الدَّرْدَاءِ
عَلَى شِرْكِهِ وَلَمْ يَقْطَعْ ابْنُ رَوَاحَةَ الصَّلَاةَ الَّتِي بَيْنَهُمَا بَلْ ظَلَّ يَتَعَهَّدُهُ بِالزِّيَارَةِ
وَيَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ وَيَحْتُمُّ عَلَيْهِ وَيُرْعَبُهُ فِيهِ .

وَعِنْدَمَا وَصَلَ أَبُو الدَّرْدَاءِ إِلَى مَتْجَرِهِ يَبِيعُ وَيَشْتَرِي امْتَجَةً عَبْدُ اللَّهِ
بْنُ رَوَاحَةَ إِلَى مَنْزِلِ أَبِي الدَّرْدَاءِ فَلَمَّا وَصَلَهُ رَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ فِي الْفِنَاءِ - أَيِ
سَاحَةِ الْبَيْتِ - فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أُمَّةَ اللَّهِ فَقَالَتْ وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا
أَخَا أَبَا الدَّرْدَاءِ .

فَقَالَ آيْنَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَقَالَتْ ذَهَبَ إِلَى مَتْجَرِهِ فَقَالَ أَتَأْذِنِينَ فَقَالَتْ
عَلَى الرَّحْبِ وَالسَّعَةِ وَأَفْسَحَتْ لَهُ الطَّرِيقَ وَمَضَتْ إِلَى حُجْرَتِهَا وَأَنْشَغَلَتْ
عَنْهُ بِاصْلَاحِ شَأْنِ بَيْتِهَا وَرِعَايَةِ أَطْفَالِهَا .

دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ إِلَى الْحُجْرَةِ الَّتِي وَضَعَ فِيهَا أَبُو الدَّرْدَاءِ
صَنْمَهُ وَأَخْرَجَ قُدُومًا أَحْضَرَهُ مَعَهُ وَمَالَ إِلَى الصَّنَمِ وَقَطَعَهُ بِهِ وَكَسَرَهُ وَهُوَ
يَقُولُ أَلَا كُلُّ مَا يُدْعَى مَعَ اللَّهِ بَاطِلٌ .

ثُمَّ غَادَرَ الْبَيْتَ ثُمَّ دَخَلَتْ أُمُّ الدَّرْدَاءِ إِلَى الْحُجْرَةِ الَّتِي فِيهَا الصَّنَمُ
فَرَأَتْهُ مُكْسِرًا عَلَى الْأَرْضِ فَقَالَتْ أَهْلَكْتَنِي يَا ابْنَ رَوَاحَةَ .

وَلَمَّا عَادَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَأَى امْرَأَتَهُ جَالِسَةً عِنْدَ بَابِ الْحُجْرَةِ الَّتِي فِيهَا
الصَّنَمُ وَهِيَ تَبْكِي خَائِفَةً مِنْهُ فَقَالَ مَا شَأْنُكَ قَالَتْ أَخْوَكُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
رَوَاحَةَ جَاءَنَا فِي غَيْبَتِكَ وَكَسَرَ الصَّنَمَ .

فَنظَرَ إِلَى الصَّنَمِ فَوَجَدَهُ حُطَامًا فَعَضِبَ وَهَمَّ أَنْ يَسْتَنْصِرَ لَهُ لَكِنَّهُ مَا
لَبَثَ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى سَكَتَ غَضْبُهُ ثُمَّ قَالَ لَوْ كَانَ فِي الصَّنَمِ خَيْرٌ لَدَفَعْتُ عَنْهُ
الْأَذَى .

ثُمَّ انْطَلَقَ قَوْرًا إِلَى ابْنِ رَوَاحَةَ وَمَضِيََا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَعْلَنَ دُخُولَهُ فِي الْإِسْلَامِ وَنَدِمَ نَدِمًا كَبِيرًا عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْ خَيْرٍ وَأَذْرَكَ ادْرَاكًا عَمِيقًا مَا سَبَقَهُ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ مِنْ فَهْمِهِ لِلدِّينِ وَاللَّهِ وَحَفِظِ لِكِتَابِ اللَّهِ وَعِبَادَةِ وَتَقْوَى ادْخَرُوهُمَا لِأَنْفُسِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ .

فَعَزَمَ عَلَى أَنْ يَسْتَدْرِكَ مَا فَاتَهُ بِالْجُهْدِ الْجَاهِدِ وَأَنْ يُوَاصِلَ كَلَالَ اللَّيْلِ بِكَلَالِ النَّهَارِ حَتَّى يَلْحَقَ بِالرُّكْبِ فَانْصَرَفَ إِلَى الْعِبَادَةِ أَنْصَرَافَ مُتَبَتِّلٍ - أَيِ مُنْقَطِعٍ عَنِ الدُّنْيَا - وَأَقْبَلَ عَلَى الْعِلْمِ أَقْبَالَ الظُّمَانِ وَأَقْبَلَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ يَحْفَظُ كَلِمَاتِهِ وَيَتَعَمَّقُ فِي فَهْمِ آيَاتِهِ .

وَلَمَّا رَأَى التَّجَارَةَ تُنْغِصُ عَلَيْهِ لَذَّةَ الْعِبَادَةِ وَتُفَوِّتُ عَلَيْهِ مَجَالِسَ الْعِلْمِ تَرَكَهَا غَيْرَ مُتَرَدِّدٍ وَلَا آسِفٍ، وَقَدْ سَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ سَائِلٌ فَأَجَابَ لَقَدْ كُنْتُ تَاجِرًا قَبْلَ عَهْدِي بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا أَسْلَمْتُ وَدِدْتُ أَنْ أَجْمَعَ بَيْنَ التَّجَارَةِ وَالْعِبَادَةِ فَلَمْ يَسْتَقِمْ لِي مَا أَرَدْتُ فَتَرَكَتُ التَّجَارَةَ وَأَقْبَلْتُ عَلَى الْعِبَادَةِ .

ثُمَّ التَفَتَ إِلَى سَائِلِهِ وَقَالَ إِنِّي لَا أَقُولُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ الْبَيْعَ وَلَكِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَكُونَ مِنَ الَّذِينَ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ وَلَمْ يَتْرُكْ أَبُو الدَّرْدَاءِ التَّجَارَةَ فَحَسِبُ وَإِنَّمَا تَرَكَ الدُّنْيَا وَأَعْرَضَ عَنِ زِينَتِهَا وَزُخْرُفِهَا وَاکْتَفَى مِنْهَا بِلُفْمَةٍ خَشِينَةٍ تَقِيمُ صُلْبَهُ وَثَوْبٍ صَفِيقٍ يَسْتُرُ بِهِ جَسَدَهُ .

وَفِي يَوْمٍ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ طَعَامًا سَاخِنًا وَلَمْ يَبْعَثْ إِلَيْهِمْ لُحْفًا فَلَمَّا أَرَادُوا النَّوْمَ جَعَلُوا يَتَشَاوَرُونَ فِي أَمْرِ طَلَبِ اللُّحْفِ لَهُمْ فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ أَنَا أَذْهَبُ إِلَيْهِ وَأُكَلِّمُهُ .

فَقَالَ لَهُ آخِرُ دَعْوِهِ فَأَبَى وَمَضَى حَتَّى وَقَفَ عَلَى بَابِ الْحِجْرَةِ فَرَأَهُ قَدْ
اضْطَجَعَ وَامْرَأَتُهُ جَالِسَةٌ قَرِيبًا مِنْهُ لَيْسَ عَلَيْهَا وَلَا عَلَيْهِ إِلَّا ثَوْبٌ خَفِيفٌ لَا
يَقِي مِنْ حَرٍّ وَلَا يَدْفَعُ الْبَرْدَ .

فَقَالَ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ مَا أَرَاكَ بِتٍّ إِلَّا كَمَا بَتْنَا أَيْنَ مَتَاعِكُمْ فَقَالَ أَبُو
الدَّرْدَاءِ لَنَا دَارٌ هُنَاكَ تُرْسِلُ إِلَيْهَا تَبَاعًا كُلُّ مَا نَحْصُلُ عَلَيْهِ مِنْ مَتَاعٍ وَلَوْ
كُنَّا اسْتَبَقَيْنَا فِي هَذِهِ الدَّارِ شَيْئًا لَبَعَثْنَا بِهِ إِلَيْكُمْ .

ثُمَّ إِنَّ فِي طَرِيقِنَا الَّذِي نَسْلُكُهُ إِلَى تِلْكَ الدَّارِ عَقِبَةٌ كَوْوُدٌ الْمُخِيفُ
فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمُثْقِلِ فَارْدْنَا أَنْ نُخَفَّفَ مِنْ أَنْثَالِنَا لَعَلَّنَا نَجْتَازُ ، ثُمَّ قَالَ
أَفْهَمْتُ فَقَالَ نَعَمْ فَهَمْتُ وَجُزَيْتُ خَيْرًا .

وَفِي خِلَافَةِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَرَادَ مِنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنْ يَلِي لَهُ
عَمَلًا فِي الشَّامِ فَأَبَى فَأَصْرَّ عَلَيْهِ فَقَالَ إِذَا رَضِيتَ مِنِّي أَنْ أَذْهَبَ إِلَيْهِمْ
لَأَعْلَمَهُمْ كِتَابَ رَبِّهِمْ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِمْ وَأَصْلِي بِهِمْ ذَهَبْتُ .

فَرَضَى مِنْهُ عُمَرُ بِذَلِكَ وَمَضَى هُوَ إِلَى دِمَشْقَ فَلَمَّا بَلَغَهَا وَجَدَ
النَّاسَ قَدْ أُوْلِعُوا بِالْتَّرَفِ وَأَنْعَمَسُوا فِي النَّعِيمِ فَهَالَهُ ذَلِكَ وَدَعَا النَّاسَ
إِلَى الْمَسْجِدِ فَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ فَوَقَفَ فِيهِمْ .

وَقَالَ يَا أَهْلَ دِمَشْقَ أَنْتُمْ الْإِخْوَانُ فِي الدِّينِ وَالْجِيرَانُ فِي الدَّارِ
وَالْأَنْصَارُ عَلَى الْأَعْدَاءِ يَا أَهْلَ دِمَشْقَ مَا الَّذِي يَمْنَعُكُمْ مِنْ مَوَدَّتِي
وَاسْتِجَابَةِ لِنَصِيحَتِي وَأَنَا لَا أُبْتَغِي مِنْكُمْ شَيْئًا فَنَصِيحَتِي لَكُمْ وَمَوَدَّتِي عَلَى
غَيْرِكُمْ .

مَالِي أَرَى عُلَمَاءَكُمْ يَذْهَبُونَ وَجُهَالِكُمْ لَا يَتَعَلَّمُونَ وَأَرَاكُمْ قَدْ
أَقْبَلْتُمْ عَلَى مَا تَكْفُلُ اللَّهُ لَكُمْ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَرَكْتُمْ مَا أَمَرْتُمْ بِهِ مَالِي

أَرَأَيْتُمْ تَجْمَعُونَ مَالًا تَأْكُلُونَ وَتَبْنُونَ مَالًا تَسْكُنُونَ وَتُؤْمَلُونَ مَالًا تَبْلُغُونَ .

لَقَدْ جَمَعْتَ الْأَقْوَامَ الَّتِي قَبْلَكَ وَأَمَلْتَ فَمَا هُوَ إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى أَصْبَحَ جَمْعُهُمْ بُورًا وَأَمْلَهُمْ غُرُورًا وَيُؤْتُهُمْ قُبُورًا هَذِهِ عَادٌ يَا أَهْلَ دِمَشْقَ قَدْ مَلَأْتَ الْأَرْضَ مَالًا وَوَلَدًا فَمَنْ يَشْتَرِي مِنِّي تِرْكَةَ عَادٍ بِدِرْهَمَيْنِ .

فَجَعَلَ النَّاسُ يَبْكُونَ حَتَّى سُمِعَ نَشِيجُهُمْ مِنْ خَارِجِ الْمَسْجِدِ .

وَمُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ طَفِقَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَوْمُ مَجَالِسِ الْقَوْمِ فِي دِمَشْقَ وَيَطُوفُ أَسْوَاقَهُمْ فَيَجِيبُ السَّائِلَ وَيُعَلِّمُ الْجَاهِلَ وَيُنَبِّهُ الْغَافِلَ مُعْتَمِنًا كُلَّ فُرْصَةٍ مُسْتَفِيدًا مِنْ كُلِّ مُنَاسَبَةٍ .

وَمَرَّ ذَاتَ يَوْمٍ بِجَمَاعَةٍ قَدْ تَجَمَّهَرُوا عَلَى رَجُلٍ وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ وَيَسْتَمُونَهُ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ مَا الْخَبْرُ قَالُوا رَجُلٌ وَقَعَ فِي ذَنْبٍ كَبِيرٍ قَالَ أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَقَعَ فِي بئرٍ أَفَلَا تَكُونُوا تَسْتَخْرِجُونَهُ مِنْهُ قَالُوا بَلَى .

قَالَ لَا تَسْبُوهُ وَلَا تَضْرِبُوهُ وَإِنَّمَا عِظُوهُ وَبَصِّرُوهُ وَاحْمَدُوا اللَّهَ الَّذِي عَافَاكُمْ مِنَ الْوُقُوعِ فِي ذَنْبِهِ ، قَالُوا أَفَلَا تُبْغِضُهُ قَالَ إِنَّمَا أُبْغِضُ فِعْلَهُ فَإِذَا تَرَكَهُ فَهُوَ أَخِي فَأَخَذَ الرَّجُلُ يَنْتَحِبُ وَيُعْلِنُ تَوْبَتَهُ .

وَجَاءَ شَابٌّ إِلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ يَقُولُ يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ أَوْصِنِي فَيَقُولُ لَهُ يَا بُنَيَّ اذْكُرْ اللَّهَ فِي السَّرَّاءِ يَذْكُرْكَ فِي الضَّرَّاءِ يَا بُنَيَّ كُنْ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا أَوْ مُسْتَمِعًا وَلَا تَكُنْ الرَّابِعَ فَتَهْلِكَ .

يَا بُنَيَّ لِيَكُنَّ الْمَسْجِدُ بَيْتَكَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « الْمَسَاجِدُ بَيْتٌ كُلُّ تَقِيٍّ وَقَدْ ضَمِنَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

لَمَنْ كَانَتْ الْمَسَاجِدُ بِيوتَهُمُ الرُّوحَ وَالرَّحْمَةَ وَالْجَوَازَ - أَي الْمُرُورَ - عَلَى الصَّرَاطِ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وفي أثناء إقامة أبي الدرداء بدمشق بعث إليه وإليها معاوية بن أبي سفيان يخطب ابنته الدرداء لابنه يزيد فأبى أن يزوجهَا له وأعطاهَا لشاب من عامة المسلمين رضي دينه وخلقه .

فسار ذلك في الناس وجعلوا يقولون خطب يزيد بن معاوية بنت أبي الدرداء فرده وزوجهَا لرجل من عامة المسلمين .

فسأل أبا الدرداء سائل عن سبب ذلك فقال إنما تحريت فيما صنعتُه صلاح أمر الدرداء فقال السائل وكيف ذلك فقال ما ظنكم بالدرداء إذا قام بين يديها العبيد يخدمونها ووجدت نفسها في قُصور يخطف لأزوها البصر أين يصبح دينها يومئذ .

وفي خلال وجود أبي الدرداء في بلاد الشام قدم عليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب متفقداً أحوالها فزار صاحبه أبا الدرداء في منزله ليلاً فدفع الباب فإذا ليس غلق فدخل في بيت مظلم لا ضوء فيه .

فلما سمع أبو الدرداء حسه قام إليه ورحب به وأجلسه وأخذ الرجلان يتفأوضان الأحاديث والظلام يحجب كلاً منهما عن عيني صاحبه .

فجس عمر وسادة أبي الدرداء فإذا هي بردعة - كساء يلتقى على ظهر الدابة - وجس فراشه فإذا هو حصي وجس دثاره - غطاءه - فإذا هو كساء رقيق لا يقي شيئاً في البرد في دمشق .

فَقَالَ لَهُ رَجِمَكَ اللَّهُ أَلَمْ أَوْسَعْ عَلَيْكَ أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ فَقَالَ لَهُ أَبُو
الدَّرْدَاءِ أَتَذْكُرُ يَا عُمَرُ حَدِيثَنَا حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ
أَيُّ حَدِيثٍ قَالَ أَلَمْ يَقُلْ لِيَكُنْ بَلَاغٌ أَحَدِكُمْ مِنْ الدُّنْيَا كَزَادِ الرَّابِ .

قَالَ بَلَى قَالَ فَمَاذَا فَعَلْنَا بَعْدَهُ يَا عُمَرُ فَبَكَى عُمَرُ وَبَكَى أَبُو الدَّرْدَاءِ
وَمَا زَالَا يَتَجَاوَبَانِ بِالْبُكَاءِ حَتَّى طَلَعَ عَلَيْهِمَا الصُّبْحُ .

ظَلَّ أَبُو الدَّرْدَاءِ فِي دِمَشْقَ يَعْظُ أَهْلَهَا وَيَذَكِّرُهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ حَتَّى آتَاهُ الْيَقِينُ .

وَلَمَّا مَرَضَ مَرَضَ الْمَوْتِ دَخَلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ فَقَالُوا مَا تَشْتَكِي قَالَ
دُنُوبِي قَالُوا وَمَا تَشْتَهِي قَالَ عَفْوُ رَبِّي ثُمَّ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ لَقِّنُونِي لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ فَمَا زَالَ يُرَدِّدُهَا حَتَّى فَارَقَ الْحَيَاةَ .

وَلَمَّا لَحِقَ أَبُو الدَّرْدَاءِ بِجَوَارِ رَبِّهِ رَأَى عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيَّ
فِيمَا يَرَى النَّائِمَ مَرَجًا أَخْضَرَ . فَسَبَّحَ الْأَرْجَاءِ وَارِفَ الْأَفْيَاءِ فِيهِ قَبَّةٌ
عَظِيمَةٌ مِنْ أَدَمٍ - أَي جِلْدٍ - حَوْلَهَا غَنَمٌ رَابِضَةٌ لَمْ تَرَ الْعَيْنُ مِثْلَهَا قَطُّ .

فَقَالَ لِمَنْ هَذِهِ فَقِيلَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَطَلَعَ عَلَيْهِ عَبْدُ
الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ مِنَ الْقَبَّةِ وَقَالَ لَهُ يَا ابْنَ مَالِكِ هَذَا مَا أَعْطَانَا اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ بِالْقُرْآنِ وَلَوْ أَشْرَفْتَ عَلَى هَذِهِ الثَّنِيَّةِ رَأَيْتَ مَا لَمْ تَرَ عَيْنُكَ وَسَمِعْتَ
مَا لَمْ تَسْمَعْ أذُنُكَ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِكَ فَقَالَ ابْنُ مَالِكٍ وَلِمَنْ ذَلِكَ كُلُّهُ
يَا أبا مُحَمَّدٍ فَقَالَ أَعَدَّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ لِأَنَّهُ كَانَ يَدْفَعُ عَنْهُ
الدُّنْيَا بِالرَّاحَتَيْنِ وَالصَّدْرِ ، انْتَهَى مِنْ صُورٍ مِنْ حَيَاةِ الصَّحَابَةِ بِتَصَرُّفٍ
يَسِيرٍ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا لِكِتَابِكَ مِنَ التَّالِينَ وَوَلِّكَ بِهِ مِنَ الْعَامِلِينَ وَبِمَا صَرَفْتَ فِيهِ مِنَ
الآيَاتِ مُتَنَفِعِينَ ، وَإِلَى لَذِيذِ خِطَابِهِ مُسْتَمِعِينَ ، وَأَوْامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ خَاضِعِينَ

وبالأعمالِ مُخْلِصِينَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

قال بعضهم ناظماً لِمَا ذَكَرَ ابْنُ الْقَيِّمِ مِنْ مَفَاتِيحِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ .
حَمِدْتُ الَّذِي يُؤَلِّي الْجَمِيلَ وَيُنْعِمُ
لَهُ الْفَضْلُ يُؤْتِي مَنْ يَشَاءُ وَيُكْرِمُ
وَأَزْكَى صَلَاةِ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامُهُ
عَلَى خَيْرِ مَخْلُوقٍ عَلَيْهِ يُسَلِّمُ
مُحَمَّدٍ الْهَادِي وَأَصْحَابِهِ الْأَلَى
بِحُسْنِ اجْتِهَادٍ عُلِّمُوا وَتَعَلَّمُوا
وَبَعْدُ فَقَدْ عَنَّ الْوَفَاءَ لِسَائِلِ
بِوَعْدِي إِيَّاهُ بِأَنِّي أَنْظِمُ
مَفَاتِيحَ كَانَتْ لِلشَّرُّورِ وَضِدَّهَا
فَقَدْ فَازَ مَنْ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ يَعْلَمُ
وَأُضْحَى بِمَا يَدْرِي مِنَ الْحَقِّ عَامِلًا
فَكُنْ عَامِلًا بِالْعِلْمِ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ
وَقَدْ جَعَلَ الْمَوْلَى لَهُنَّ مَفَاتِحًا
تُنَالُ بِهَا وَاللَّهُ بِالْحَقِّ أَعْلَمُ
فِمِفْتَاحِ شَرْعِي الصَّلَاةِ طَهُورُنَا
وَيَنْفَتِحُ حَجًّا مُحْرِمٍ حِينَ يُحْرِمُ
وَبِالصَّدَقِ فَتْحُ الْبِرِّ وَالْعِلْمِ فَتْحُهُ
بِحُسْنِ سُؤَالٍ عَنِ فِتْيِ يَتَعَلَّمُ

وَمُسْتَحْسَنُ الْأَصْفَاءِ وَالنُّضْرُ فَتُحَهُ
 مَعَ الظِّفْرِ الْمُحْمُودِ بِالصَّبْرِ فَاعْلَمُوا
 وَتَوْحِيدُنَا لِلَّهِ مِفْتَاحُ جَنَّةِ الدُّ
 نَعِيمٍ فَبِالتَّوْحِيدِ دِينُوا تُنْعَمُوا
 وَبِالشُّكْرِ لِلنُّعْمَاءِ فَتُحُ زِيَادَةً
 وَبِحُصْلِ حُبِّ وَالْوَلَايَةِ تُغْنَمُ
 بِمِفْتَاحِهِ الذِّكْرِ الشَّرِيفِ وَدُو التَّقَى
 يَنَالُ بِتَقْوَاهُ الْفَلَاحَ وَيُكْرَمُ
 وَمِفْتَاحُ تَوْفِيقِ الْفَتَى صِدْقُ رَغْبَةٍ
 وَرَهْبَتِهِ ثُمَّ الدُّعَاءُ الْمُكْرَمُ
 لَدَى اللَّهِ مِفْتَاحُ الْإِجَابَةِ وَاعْلَمَنْ
 بِأَنَّ جَمِيلَ الزُّهْدِ لِلْعَبْدِ مَغْنَمُ
 وَيُفْتَحُ لِلْعَبْدِ التَّجَلِّيَ بِرَغْبَةٍ
 بِدَارِ الْبَقَاءِ فَازْهَدْ لَعَلَّكَ تَغْنَمُ
 وَمِفْتَاحُ إِيمَانِ الْعِبَادِ تَفَكُّرُ
 بِمَا كَانَ رَبُّ الْعَالَمِينَ دَعَاهُمْ
 إِلَى نَظَرٍ فِيهِ وَأَنْ يَتَفَكَّرُوا
 بِهِ وَدُخُولُ الْعَبْدِ ذَاكَ الْمَفْخَمُ
 عَلَى رَبِّهِ مِفْتَاحُ ذَاكَ سَلَامَةٌ
 وَأَسْلَامٌ قَلْبٍ لِإِلَهِهِ فَأَسْلِمُوا
 وَمَعَ ذَاكَ إِخْلَاصُ بِحُبِّ وَبُغْضِهِ
 وَفِعْلُ وَتَرْكُ كُلِّ ذَلِكَ يَلْزَمُ

وَيُخِي قُلُوبَ الْعَارِفِينَ تَضَرُّعُ
 بِأَوْقَاتِ أَسْحَارٍ فَكُنْ أَنْتَ مِنْهُمْ
 كَذَا الْوَحْيُ إِذْ يُتْلَى بِحُسْنِ تَدْبِيرٍ
 وَتَرَكُ الذُّنُوبَ فِيهِ لِلْقَلْبِ تُوْلِمُ
 وَاحْسَانُ عَبْدٍ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ
 وَنَفْعُ الْعِبَادِ وَالْقِيَامُ عَلَيْهِمْ
 لِإِصْلَاحِهِمْ مِفْتَاحُ تَحْصِيلِ رَحْمَةِ اللَّهِ
 إِلَيْهِ فَلَا زِمَ ذَا لَعَلَّكَ تُرْحَمُ
 وَمِفْتَاحُ رِزْقِ الْعَبْدِ سَعْيُ مَعَ التَّقَى
 وَكَثْرَةُ الْاسْتِغْفَارِ إِذْ هُوَ مُجْرِمٌ
 وَمِفْتَاحُ عِزِّ الْعَبْدِ طَاعَةُ رَبِّهِ
 وَطَاعَةُ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ فَعَظُمُوا
 وَمِفْتَاحُ الْاسْتِعْدَادِ مِنْكَ لِمَا لَهُ
 تَصِيرُ مِنَ الدَّارِ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ
 هُوَ الْقَضْرُ لِلْأَمَالِ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ
 فَمِفْتَاحُهُ رَغْبٌ مِنَ الْعَبْدِ يُعْلَمُ
 بِمَوْلَاهُ وَالِدَّارِ الَّتِي بَعْدَ هَذِهِ
 وَمِفْتَاحُ كُلِّ الشَّرِّ إِنْ كُنْتَ تَفْهَمُ
 إِطَائَتِكَ الْأَمَالَ فَاخْذِرْ غُرُورَهَا
 وَحُبُّكَ لِلدُّنْيَا الَّتِي تَتَصَرَّمُ
 وَمِفْتَاحُ نَارِ الْخُلْدِ شِرْكُ بِرَبِّنَا
 وَكِبْرُ الْفَتَى فَالْكِبْرُ حُوبٌ مُعْظَمُ

وَأَعْرَاضُهُ عَمَّا عَنِ اللَّهِ قَدْ أَتَى
 بِهِ الْمُضْطَفَى الْهَادِي النَّبِيَّ الْمُكْرَمُ
 وَعَفَلْتَهُ عَنْ ذِكْرِهِ وَقِيَامِهِ
 بِحَقِّ لِيذِي الْعَرْشِ الْمَلِيكِ يُحْتَمُّ
 وَمِفْتَاحُ إِثْمٍ يُؤْتِي الْعَبْدَ مُسْكِرُ
 مِنْ الْخَمْرِ فَاحْذَرَهَا لَعَلَّكَ تَسْلَمُ
 وَمِفْتَاحُ ذِي الْمَقْتِ الزَّنَاسِيءُ الْعِنَا
 وَذَلِكَ قُرْآنُ اللَّعِينِ وَمَأْتَمُّ
 وَأَطْلَاقُ طَرْفِ الشَّخْصِ مِفْتَاحُ عِشْقِهِ
 لِمُسْتَحْسِنِ الْأَشْبَاحِ فَهُوَ مُحَرَّمُ
 وَبِالْكَسَلِ الْمَذْمُومِ مَعَ رَاحَةِ الْفَتَى
 يَخِيبُ وَكُلُّ الْخَيْرِ لَا شَكَّ يُحْرَمُ
 وَمِفْتَاحُ كُفْرَانِ الْفَتَى وَبِرِيدُهُ
 مَعَاصِيهِ وَالْعَاصِي قَرِيباً سَيَنْدَمُ
 وَبَابُ نِفَاقِ الْعَبْدِ يَفْتَحُهُ إِذَا
 يَكُونُ كَذُوباً وَالْكَذُوبُ مُذْمَمُ
 وَشُعُّ الْفَتَى وَالْجِرْصُ مِفْتَاحُ بُخْلِهِ
 وَمِفْتَاحُ أَخْذِ الْمَالِ مِنْ حَيْثُ يَعْلَمُ
 بِأَنْ لَيْسَ جِلاً مَعَ قَطِيعَةِ رَحْمِهِ
 وَكُلُّ ابْتِدَاعٍ فِي الْخَلِيقَةِ يُعْلَمُ

فَمِفْتَاحُهُ الْأَعْرَاضُ عَمَّا أَتَى بِهِ
نَبِيُّ الْهُدَى مِنْ سُنَّةِ نَتَعَلَّمَ
وَأَحْتِمُ قَوْلِي فِي الْقَرِيضِ بِأَنِّي
أَصَلِّي عَلَى خَيْرِ الْوَرَى وَأَسَلِّمُ
وَأَلِّ مَعَ الصَّحْبِ الْكِرَامِ الَّذِينَ هُمْ
لِمُقْتَبَسِ عِلْمِ الشَّرِيعَةِ أَنْجُمُ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

صُورٌ مِنْ حَيَاةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ فِي صُورٍ مِنْ حَيَاةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَمَا ذَكَرَ
فَتْحَ مَكَّةَ كَانَتْ مَكَّةُ أُمَّ الْقُرَى مَعْقِلَ الْوَيْثِيَّةِ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ كُلِّهَا
وَكَانَتْ مَجْمَعِ الْأَصْنَامِ وَقِبْلَةَ الْأَنْضَارِ وَمَطْمَعِ آمَالِ الْقَبَائِلِ قَرِيبَهَا وَبَعِيدَهَا
وَكَانَتْ قُرَيْشٌ حَارِسَةَ الْكَعْبَةِ وَسَادِنَةَ الْبَيْتِ وَإِلَيْهَا الرِّيَاسَةُ وَالْقِيَادَةُ .

وَكَانَتْ مَنَزَلَةَ الْقَبَائِلِ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ مَنَزَلَةُ الْمَسُودِ مِنْ
السَّيِّدِ وَالتَّابِعِ مِنَ الْمُتَبَوِّعِ وَمِنْ هُنَا كَانَتْ الْقَبَائِلُ مِنَ الْعَرَبِ تَنْظُرُ إِلَى
الْمَعْرَكَةِ الدَّائِرَةِ بَيْنَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقُرَيْشٍ نَظْرَةَ الْجِدِّ
وَالِاهْتِمَامِ وَتَتَابِعُ حَرَكَاتِهَا وَخُطُوتِهَا مُتَابِعَةً دَقِيقَةً .

وَكَانَتْ كُلُّ حَرَكَةٍ مِنْ هَذِهِ الْحَرَكَاتِ وَخُطُوتَةٍ مِنْ هَذِهِ الْخُطَى تَتْرُكُ
فِي اتِّجَاهَاتِ الْقَبَائِلِ أَثْرًا بَارِزًا مِنْ حَيْثُ إِقْبَالِهَا عَلَى الْإِسْلَامِ أَوْ
إِعْرَاضِهَا عَنْهُ وَمِنْ حَيْثُ اجْتِمَاعِهَا لَهُ أَوْ اجْتِمَاعِهَا عَلَيْهِ .

وَمَعَ أَنَّ الْحَوَادِثَ وَالْمَعَارِكَ الَّتِي وَقَعَتْ فِي الْجَزِيرَةِ بَيْنَ

المُسْلِمِينَ وَقُرَيْشَ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودَ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالرُّومَ وَبَيْنَ
الْمُسْلِمِينَ وَقَبَائِلَ الْعَرَبِ فِي نَوَاحِي الْجَزِيرَةِ كَانَتْ ذَاتَ أَثَرٍ فِي ظُهُورِ
الإِسْلَامِ وَانْتِشَارِهِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْقَبَائِلِ .

فَإِنَّ بَقَاءَ مَكَّةَ عَلَى شِرْكِهَا وَهِيَ أُمُّ الْقُرَى وَمَعْقَلُ الْوَثَنَِّةِ ظَلَّ سَدًّا
حَائِلًا دُونَ خُلُوصِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِلإِسْلَامِ وَحُدَّهُ وَظَلَّتْ هِيَ الْعَقَبَةُ
الْكُؤُودُ فِي طَرِيقِهِ .

وَكَانَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَّةِ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ
قُرَيْشٍ فِي أَوَاخِرِ السَّنَةِ السَّادِسَةِ أَوَّلَ مَفَاتِيحِ هَذَا الْمَعْقَلِ الْعَتِيدِ فَقَدْ
اعْتَرَفَتْ قُرَيْشٌ فِي ذَلِكَ الصُّلْحِ بِأَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
صَاحِبُ مَذْهَبٍ جَدِيدٍ وَأَنَّهُ لَا بَأْسَ مِنْ أَنْ تُقِيمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا عَهْدًا يَسْتَقِرُّ
بِهِ السِّلْمُ فِيمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ بَعْدَ مَا عَجَزَتْ كُلُّ الْعَجْزِ وَفَشَلَتْ عَنِ الْقَضَاءِ
عَلَيْهِ وَعَلَى مَذْهَبِهِ لَقَدْ ظَلَّتْ قُرَيْشٌ ذَهْرًا طَوِيلًا لَا تَعْتَرِفُ بِمُحَمَّدٍ وَلَا
بِمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مِنْ هَذَا الدِّينِ الْقَوِيمِ الَّذِي خَالَفَ بِهِ دِينَهَا وَعَقَائِدَهَا
وَخَرَجَ بِهِ عَلَى تَقَالِيدِهَا وَتَقَالِيدِ آبَائِهَا وَقَلَبَ بِهِ أَوْضَاعَهَا رَأْسًا عَلَى عَقَبِ
وَظَلَّتْ قُرَيْشٌ فِي كِبْرِيائِهَا وَتَعَاظِمِهَا تَفْتَرِي عَلَيْهِ الْأَكَاذِيبَ وَتَصِفُهُ بِمَا
تَشَاءُ مِنَ الْأَوْصَافِ الَّتِي تُشَوِّهُ سُمْعَتَهُ وَدَعْوَتَهُ بَيْنَ الْعَرَبِ فَلَمَّا عَجَزَتْ
وَأَنْقَطَعَتْ بِكُلِّ وَسَائِلِهَا أَنْ تُقْضَى عَلَيْهِ وَعَلَى دَعْوَتِهِ اضْطَرَّتْ أَنْ تُنْزِلَهُ
مِنْهُمْ مَنْرَلَةَ النَّدِّ مِنَ النَّدِّ وَأَنْ تُصَالِحَهُ وَلَوْ إِلَى حِينٍ لِيَتَّقِيَ خَطَرَهُ وَتَأْمَنَ
جَانِبَهُ فَكَانَ هَذَا الصُّلْحُ أَوَّلَ مِفْتَاحِ فَكَّ اللَّهِ بِهِ أَغْلَاقَ مَكَّةَ .

ثُمَّ كَانَتْ عُمْرَةُ الْقَضَاءِ بَعْدَ ذَلِكَ بِعَامٍ هِيَ الْمِفْتَاحُ الثَّانِي مِنْ

مَفَاتِيحِ ذَلِكَ الْحِصْنِ فَقَدْ كَانَ مَظْهَرُ الْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الْعُمْرَةِ وَهُمْ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَفِي ائْتِلَافِهِمْ وَتَضَامُنِهِمْ وَفِي حُسْنِ انْقِيَادِهِمْ وَدِقَّةِ نِظَامِهِمْ وَفِي صِدْقِ مَحَبَّتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي عَظِيمِ حِمَاسَتِهِمْ لِدِينِهِمْ وَشِدَّةِ تَمَسُّكِهِمْ بِآدَابِهِ وَفِي بَالِغِ تَقْدِيرِهِمْ لِلْبَيْتِ وَتَعْظِيمِ حُرْمَاتِهِ وَفِي كُلِّ مَا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ مِنْ شَعَائِرِ هَذِهِ الْعُمْرَةِ وَهُمْ فِي هَذِهِ الْحِمَاسَةِ وَهَذِهِ الْأَلْفَةِ وَهَذَا النِّظَامِ وَهَذَا التَّرَفُّعِ عَنْ كُلِّ مَا بَشَيْنُ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ كَانَ مَظْهَرُ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ هَذَا مَظْهَرًا هَزًّا نَفُوسَ أَهْلِ مَكَّةَ هَزًّا عَنِيفًا وَلَمَسَ مَكَانَ الْعَقِيدَةِ مِنْ قُلُوبِهِمْ فَزَلَزَلَهَا زَلْزَالًا شَدِيدًا فَأَخَذُوا يَنْظُرُونَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ نَظْرَةَ الْإِعْجَابِ وَالْإِكْبَارِ وَالْإِعْظَامِ وَيَنْظُرُونَ إِلَى الْإِسْلَامِ نَظْرَةَ التَّفَكِيرِ وَالتَّأَمُّلِ وَالتَّدَبُّرِ وَالتَّفَهُمِ وَجَعَلُوا يُقَارِنُونَ بَيْنَ هَذَا الدِّينِ الْقَوِيمِ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ دِينٍ وَعَقِيدَةٍ وَمِنْ تَقَالِيدٍ لَا يَقْبَلُهَا عَقْلٌ سَلِيمٌ وَلَا يُقْرَأُهَا مَنْطِقٌ وَيُوزَنُونَ بَيْنَ هَذِهِ الشَّعَائِرِ الَّتِي يُؤَدِّيهَا الْمُسْلِمُونَ فِي خُشُوعٍ وَانْسِجَامٍ وَخُضُوعٍ وَاطْمِئْنَانٍ وَبَيْنَ مَا يَفْعَلُونَ هُمْ فِي عِبَادَتِهِمْ مِنْ لَعْنٍ وَلَهْوٍ وَلَعِبٍ وَبَاطِلٍ وَمَا يَقُومُونَ بِهِ عِنْدَ بَيْتِ اللَّهِ مِنْ مُكَاةٍ وَتَصَدِيَةِ - أَيِ صَفِيرٍ وَتَصْفِيَتِي - .

نَعْمَ أَخَذُوا يَنْظُرُونَ وَيَتَفَكَّرُونَ فَوَجَدُوا فَرْقًا شَاسِعًا ، وَبَوْنَا بَعِيدًا بَيْنَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالَةِ وَمَا عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ وَأَتْبَاعُهُ مِنَ التَّوَرِ فَلَانَتْ قُلُوبُهُمْ لِلْإِسْلَامِ .

وَصَغَتْ إِلَيْهِ أَفئِدَتُهُمْ فَأَسْلَمَ مِنْهُمْ مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَجْهَرَ بِإِسْلَامِهِ . وَأَسْرَ الْإِسْلَامَ مَنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِظْهَارِهِ ، وَتَهَيَّأَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ لِأَنْ يُسَلِّمُوا لَوْلَا بَعْضُ الْمَوَانِعِ الَّتِي قَدَّرَهَا اللَّهُ ، فَكَانَتْ هَذِهِ الزَّلْزَلَةُ الَّتِي أُصِيبَتْ

بِهَا عَقِيدَةُ أَهْلِ مَكَّةَ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ مِفْتَاحاً آخَرَ فَكَرَّ اللَّهُ بِهِ أَغْلَاقَ مَكَّةَ ، ثُمَّ أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَفُكَّ كُلَّ مَا بَقِيَ مِنْ أَغْلَاقِ هَذَا الْحِصْنِ ، فَكَانَ مَا كَانَ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ مِنْ نَقْضِ قُرَيْشٍ لِعَهْدِ الْحُدَيْبِيَّةِ ، ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ بَيْنَ قَبِيلَتِي بَكْرٍ وَخُرَاعَةَ دِمَاءً وَتِرَاتًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَمَّا كَانَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَّةِ وَدَخَلْتُ خُرَاعَةَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَخَلْتُ بَكْرًا فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ هَدَّاتِ الْحَرْبِ بَيْنَ الْقَبِيلَتَيْنِ ، وَأَمِنَ كُلُّ فَرِيقٍ جَانِبَ عَدُوِّهِ ، انْتَهَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ : فَلَمَّا اسْتَمَرَّتِ الْهُدْنَةُ اغْتَمَمَهَا بَنُو بَكْرٍ مِنْ خُرَاعَةَ وَأَرَادُوا أَنْ يُضَيِّبُوا مِنْهُمْ الثَّأَرَ الْقَدِيمَ فَخَرَجَ نَوْفَلُ ابْنُ مُعَاوِيَةَ الدَّيْلِيُّ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ بَنِي بَكْرٍ فَبَيْتَ خُرَاعَةَ وَهُمْ عَلَى الْوَتِيرِ فَأَصَابُوا مِنْهُمْ رِجَالًا وَتَنَافَسُوا وَأَقْتَتَلُوا وَأَعَانَتْ قُرَيْشُ بَنُو بَكْرٍ بِالسَّلَاحِ وَقَاتَلَ مَعَهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ مَنْ قَاتَلَ مُسْتَخْفِيًا .

فَلَجَّاتِ خُرَاعَةَ إِلَى الْحَرَمِ لِتَحْتَمِي بِهِ وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَمْنَعْ رِجَالَ بَكْرٍ مِنْ مُتَابَعَتِهَا حَتَّى قَتَلُوا مِنْهُمْ عِشْرِينَ رَجُلًا فَلَمَّا دَخَلَتْ خُرَاعَةَ مَكَّةَ لَجَّوْا إِلَى دَارِ بُدَيْلِ بْنِ وَرْقَاءِ الْخُرَاعِيِّ وَمَوْلَى لَهُمْ يُقَالُ لَهُ رَافِعٌ وَخَرَجَ عَمْرُو بْنُ سَالِمِ الْخُرَاعِيِّ حَتَّى قَدِمَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَوَقَّفَ عَلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ بَيْنَ ظَهْرَانِي أَصْحَابِهِ .

فَقَالَ : يَا رَبِّ إِنِّي نَاشِدُ مُحَمَّدًا
حِلْفَ آبَائِنَا وَأَبِيهِ الْأَتْلَدَا

قَدْ كُتِّمُوا وِلْدًا وَكُنَّا وَالِدًا
 ثُمَّ أَسْلَمْنَا فَلَمْ نَنْزِعْ يَدَ
 فَاَنْصُرْ هَذَاكَ اللَّهُ نَصْرًا أَيَّدَا
 وَادُّعْ عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا مَدَدَا
 فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ تَجَرَّدَا
 أَبْيَضُ مِثْلُ الْبَدْرِ يَسْمُو صُعْدَا
 إِنْ سِيَمَ خَسْفًا وَجْهَهُ تَرَبَّدَا
 فِي فَيْلَقِ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزْبِدَا
 إِنْ قُرَيْشًا أَخْلَفُوكَ الْمَوْعِدَا
 وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا
 وَجَعَلُوا لِي فِي كِدَاءٍ رَصْدَا
 وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا
 وَهُمْ أَذْلُ وَأَقْلُ عَدَدَا
 هُمْ بَيَّتُونَا بِالْوَتِيرِ هُجَّدَا
 وَقَتَّلُونَا رُكْعًا سُجَّدَا

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « نُصِرْتَ يَا عَمْرُو بْنَ
 سَالِمٍ » ثُمَّ عَرَضَتْ سَحَابَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ « إِنْ
 هَذِهِ السَّحَابَةُ لَتَسْتَهْلَ بِنَصْرِ بَنِي كَعْبٍ ثُمَّ خَرَجَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ فِي
 نَفَرٍ مِنْ خُزَاعٍ حَتَّى قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 فَأَخْبَرُوهُ بِمَا أُصِيبَ فِيهِمْ وَبِمَظَاهِرِ قُرَيْشٍ لِبَنِي بَكْرِ ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى مَكَّةَ
 فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « كَأَنَّكُمْ بِأَبِي سُفْيَانَ قَدْ جَاءَكُمْ

لِيَسُدَّ فِي الْعَقْدِ وَيَزِيدَ فِي الْمُدَّةِ « وَوَقَعَ طَبَقَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهَذِهِ مُعْجَزَةٌ وَقَدْ أَحْسَتْ قُرَيْشٌ بِمَا وَرَاءَ غَدْرِهَا ذَلِكَ مِنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ فَأَوْفَدَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ زَعِيمَهَا أَبَا سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ لَعَلَّهُ يَتَلَفَى هَذِهِ الْغَلْطَةَ وَتَنَائِجَهَا وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ مُحْسِئًا خَطَرَ هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ مُقَدِّمٌ عَلَيْهِ فَلَمْ يَشَأْ الذَّهَابَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوًّا ، بَلْ لَا بُدَّ مِنْ تَمْهِيدِ الطَّرِيقِ لِلِقَائِهِ .

فَدَخَلَ عَلَى ابْنَتِهِ أُمَّ حَبِيبَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَشْفِعُ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَوَّأَتْهُ عَنْهُ أُمَّ حَبِيبَةَ .

فَعَجِبَ أَبُو سُفْيَانَ لِمَا رَأَى مِنْ فِعْلِ ابْنَتِهِ وَقَالَ لَهَا بُنَيْتَهُ مَا أَدْرِي أَرَغَبْتِ بِي عَنْ هَذَا الْفِرَاشِ أَمْ رَغَبْتِ بِهِ عَنِّي فَجَابَتْهُ ابْنَتُهُ فِي صَرَاحَةٍ تَقُولُ بَلْ فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْتَ رَجُلٌ مُشْرِكٌ نَجِسٌ فَلَمْ أَحِبَّ أَنْ تَجْلِسَ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَتْ هَذِهِ صَدْمَةٌ شَدِيدَةٌ الْوَقْعِ عَلَى نَفْسِ أَبِي سُفْيَانَ لَمْ يَكُنْ يَتَوَقَّعُهَا مِنْ أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ .

فَلَمْ يَمْلِكْ أَنْ قَالَ لِابْنَتِهِ مُعْبَرًا عَمَّا نَالَ مِنَ الْإِهَانَةِ وَاللَّهِ لَقَدْ أَصَابَكَ بَعْدِي يَا بُنَيْتَهُ شَرٌّ ثُمَّ خَرَجَ خَجَلًا مُضْغَضَعِ النَّفْسِ مَكْلُومِ الْفُؤَادِ ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَهُ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا فَكَانَتْ هَذِهِ الصَّدْمَةُ أَنْكَى مِنَ الْأُولَى .

اللَّهُمَّ يَا مَنْ عَمَّ الْبَرِيَّةَ جُودُهُ وَإِنْعَامُهُ نَسْأَلُكَ أَنْ تَتَفَضَّلَ عَلَيْنَا بِعَفْوِكَ وَغَفْرَانِكَ ، وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

فخرج من المسجد أشد ما يكون خجلاً وتضعفاً وانكساراً وذهب يستشفع بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب إلى أبي بكر فكلّمه أن يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما أنا بفاعلٍ وذهب إلى عمر فأغلظ له القول وردّ عليه في جفاءٍ وغلظةٍ .

فقال أنا أشفع لكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله لو لم أجد إلا الدرّ لجاهدتكم به وهذه صدمة عظيمة خطمته زيادةً ، ثم ذهب إلى علي بن أبي طالب وعنده فاطمة وحسن غلام يدب بين يديهما فقال يا علي إنك أمس القوم بي رحماً وإني قد جئت في حاجة فلا أرجعن كما جئت خائباً اشفع لي إلى محمد فقال ويحك يا أبا سفيان والله لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع أن نكلّمه فيه .

فالتفت إلى فاطمة فقال هل لك أن تأمرني ابنيك هذا فيجبر بين الناس فيكون سيّد العرب إلى آخر الدهر ؟ .

قالت « والله ما يبلغ ابني ذلك أن يجبر بين الناس ، وما يجبر أحد على رسول الله صلى الله عليه وسلم » قال : يا أبا الحسن ، إنني أرى الأمور قد اشتدت عليّ ، فانصحيني ، قال « والله ما أعلم لك شيئاً يغني عنك ، ولكنك سيّد بني كنانة ، فقم فأجرب بين الناس ، ثم الحق بأرضك » .

قال : أو ترى ذلك مغنياً عني شيئاً ؟ قال « لا ، والله ما أظنه ، ولكني ما أجد لك غير ذلك » فقام أبو سفيان في المسجد ، فقال ، أيها الناس ، إني

قَدْ أَجْرْتُ بَيْنَ النَّاسِ ، ثُمَّ رَكِبَ بَعِيرَهُ ، فَانْطَلَقَ . فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى قُرَيْشٍ
قَالُوا : مَا وَرَاءَكَ ؟

قَالَ : جِئْتُ مُحَمَّدًا فَكَلَّمْتُهُ ، فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ شَيْئًا ، ثُمَّ جِئْتُ
ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ فَلَمْ أَجِدْ فِيهِ خَيْرًا ، ثُمَّ جِئْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَوَجَدْتُهُ
أَوْفَى الْعَدُوِّ ، ثُمَّ جِئْتُ عَلِيًّا فَوَجَدْتُهُ أَلْيَنَ الْقَوْمِ . قَدْ أَشَارَ عَلِيٌّ بِشَيْءٍ
صَنَعْتُهُ ، فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي : هَلْ يُغْنِي عَنِّي شَيْئًا ، أَمْ لَا ؟ .

قَالُوا : وَيَمَ أَمْرَكَ ؟ قَالَ : أَمْرِنِي أَنْ أُجِيرَ بَيْنَ النَّاسِ ، فَفَعَلْتُ ،
فَقَالُوا : فَهَلْ أَجَازَ ذَلِكَ مُحَمَّدٌ ؟ قَالَ : لَا ، قَالُوا : وَيَلْكَ ، وَاللَّهِ إِنْ
زَادَ الرَّجُلُ عَلَى أَنْ لَعِبَ بِكَ ، قَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا وَجَدْتُ غَيْرَ ذَلِكَ .

وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ بِالْجِهَازِ ، وَأَمَرَ أَهْلَهُ
أَنْ يُجَهِّزُوهُ ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى ابْنَتِهِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وَهِيَ
تُحْرِكُ بَعْضَ جِهَازِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : أَيُّ بُنَيْتِهِ ،
أَمَرَكُنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَجْهِيزِهِ ؟ .

قَالَتْ : نَعَمْ ، فَتَجَهَّزْ ، قَالَ : فَأَيْنَ تَرِيْتَهُ يُرِيدُ ؟ قَالَتْ : لَا
وَاللَّهِ ، مَا أَدْرِي . ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمَ النَّاسَ
أَنَّهُ سَائِرٌ إِلَى مَكَّةَ ، فَأَمَرَهُمْ بِالْجِدِّ وَالتَّجْهِزِ ، وَقَالَ « اللَّهُمَّ خُذْ الْعِيُونَ
وَالْأَخْبَارَ عَنْ قُرَيْشٍ ، حَتَّى نَبْعَثَهَا فِي بِلَادِهَا » فَتَجَهَّزَ النَّاسُ ، فَكَتَبَ
حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى قُرَيْشٍ كِتَابًا يُخْبِرُهُمْ فِيهِ بِمَسِيرِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ أَعْطَاهُ امْرَأَةً ، وَجَعَلَ لَهَا جُعْلًا عَلَى
أَنْ تُبَلِّغَهُ قُرَيْشًا ، فَجَعَلْتُهُ فِي قُرُونِ رَأْسِهَا ، ثُمَّ خَرَجَتْ بِهِ . وَأَتَى

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَبْرُ مِنَ السَّمَاءِ بِمَا صَنَعَ حَاطِبٌ ،
فَبَعَثَ عَلِيًّا وَالزُّبَيْرَ .

وَعَيْرُ ابْنِ اسْحَاقَ يَقُولُ : بَعَثَ عَلِيًّا وَالْمِقْدَادَ - فَقَالَ : « انْطَلِقَا
حَتَّى تَأْتِيَا رَوْضَةَ خَاخَ ، فَإِنَّ بِهَا ظِعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ إِلَى قُرَيْشٍ ، فَإِنْطَلِقَا
تَعَادِي بِهِمَا خَيْلُهُمَا ، حَتَّى وَجَدَا الْمَرْأَةَ بِذَلِكَ الْمَكَانِ ، فَاسْتَنْزَلَاهَا ،
وَقَالَا : مَعَكَ كِتَابٌ ؟ فَقَالَتْ : مَا مَعِيَ كِتَابٌ ، فَفَتَشَا رَحْلَهَا فَلَمْ يَجِدَا
شَيْئًا ، فَقَالَ لَهَا عَلِيٌّ : أَحْلِفْ بِاللَّهِ ، مَا كَذَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا كَذَبْنَا ، وَاللَّهِ لَتُخْرِجَنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُجَرِّدَنَّكَ ، فَلَمَّا رَأَتْ
الْجِدَّ مِنْهُ .

قَالَتْ : أَعْرِضْ . فَأَعْرِضْ . فَحَلَّتْ قُرُونَ رَأْسِهَا ، فَاسْتَخْرَجَتْ
الْكِتَابَ مِنْهَا ، فَدَفَعَتْهُ إِلَيْهِمَا ، فَأَتِيَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، فَأَذَا فِيهِ « مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى قُرَيْشٍ ، يُخْبِرُهُمْ بِمَسِيرِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ » .

فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاطِبًا ، فَقَالَ مَا هَذَا يَا
حَاطِبُ ؟ فَقَالَ : لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَاللَّهِ إِنِّي لَمُؤْمِنٌ بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ ، وَمَا ارْتَدَدْتُ وَلَا بَدَلْتُ ، وَلَكِنِّي كُنْتُ امْرَأًا مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ
لَسْتُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَلِي فِيهِمْ أَهْلٌ وَعَشِيرَةٌ وَوَلَدٌ ، وَلَيْسَ لِي فِيهِمْ قَرَابَةٌ
يَحْمُونَهُمْ ، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَهُمْ ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي
ذَلِكَ : أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي .

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبَ عُنُقَهُ ، فَإِنَّهُ

قد حَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ ، وقد نَافَقَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّهُ قد شَهِدَ بَدْرًا ، وَمَا يُدْرِيكَ يَا عُمَرُ؟ لَعَلَّ اللهُ قد أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرِ ، فَقَالَ : اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ ، فَذَرَفَتْ عَيْنَا عُمَرَ ، وَقَالَ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ .

ثم مَضَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ صَائِمٌ وَالنَّاسُ صَائِمُونَ ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْكَدِيدِ - وَهُوَ الَّذِي يُسَمِّيهِ النَّاسُ الْيَوْمَ قُدَيْدًا - أَفْطَرَ وَأَفْطَرَ النَّاسُ مَعَهُ ، ثُمَّ مَضَى حَتَّى نَزَلَ مَرَّ الظُّهْرَانِ ، وَهُوَ بَطْنُ مَرٍّ ، وَمَعَهُ عَشْرَةُ آفِيفٍ ، وَعَمِيَ اللهُ الْأَخْبَارَ عَنْ قَرِيشٍ ، فَهَمُّ عَلَى وَجَلٍ وَارْتِقَابٍ .

وكان أَبُو سُفْيَانَ يَخْرُجُ يَتَجَسَّسُ الْأَخْبَارَ ، فَخَرَجَ هُوَ وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ يَتَجَسَّسُونَ الْأَخْبَارَ ، وكان العباسُ قد خَرَجَ قَبْلَ ذَلِكَ بِأَهْلِهِ وَعِيَالِهِ مُسْلِمًا مُهَاجِرًا ، فَلَقِيَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجُحْفَةِ - وَقِيلَ : فَوْقَ ذَلِكَ - وَكَانَ مِمَّنْ لَقِيَهُ فِي الطَّرِيقِ ابْنُ عَمِّهِ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَرِثِ ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ ، لَقِيَاهُ بِالْأَبْوَاءِ ، وَهُمَا ابْنُ عَمِّهِ وَابْنُ عَمَّتِهِ ، فَأَعْرَضَ عَنْهُمَا لِمَا كَانَ يَلْقَاهُ مِنْهُمَا مِنْ شِدَّةِ الْأَذَى وَالْهَجْوِ .

فَقَالَتْ لَهُ أُمُّ سَلَمَةَ « لَا يَكُنْ ابْنُ عَمِّكَ وَابْنُ عَمَّتِكَ أَشَقَى النَّاسِ بِكَ » وَقَالَ عَلِيُّ لِأَبِي سُفْيَانَ - فِيمَا حَكَاهُ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ - « أَنْتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ ، فَقُلْ لَهُ مَا قَالَ اخْوَةُ يُوسُفَ لِيُوسُفَ (١٢ : ٩١) تَالله لَقَدْ آتَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا ، وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ) فَإِنَّهُ لَا يَرْضَى أَنْ يَكُونَ أَحَدًا أَحْسَنُ مِنْهُ قَوْلًا ، فَفَعَلَ ذَلِكَ أَبُو

سُفْيَانَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (لَا تُتْرَبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ
يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) فَأَنْشَدَهُ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَرْثِ
أبياتاً ، منها :

لَعَمْرُكَ إِنِّي حِينَ أَحْمِلُ رَايَةً
لَتَغْلِبَ خَيْلُ اللَّاتِ خَيْلَ مُحَمَّدٍ
لَكَ الْمُدْلِجُ الْخَيْرَانِ أَظْلَمَ لَيْلُهُ
فَهَذَا أَوَانِي حِينَ أَهْدِي فَأَهْتَدِي
هُدَانِي هَادٍ غَيْرَ نَفْسِي وَدَلِينِي
عَلَى اللَّهِ مَنْ طَرَدْتَهُ كُلَّ مَطْرَدٍ

فَضْرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدْرَهُ ، وَقَالَ « أَنْتَ
طَرَدْتَنِي كُلَّ مَطْرَدٍ ؟ » وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ بَعْدَ ذَلِكَ وَيُقَالُ : إِنَّهُ مَا رَفَعَ رَأْسَهُ
إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْذُ أُسْلِمَ ، حَيَاءً مِنْهُ ، وَكَانَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّهُ وَشَهِدَ لَهُ بِالْحَقَّةِ ، وَقَالَ « أَرْجُو
أَنْ يَكُونَ خَلِيفًا مِنْ حَمْزَةَ » وَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ « لَا تَبْكُوا عَلَيَّ ،
فَوَاللَّهِ مَا نَطَقْتُ بِخَطِيئَةٍ مُنْذُ أُسْلِمْتُ » .

(فَصْلٌ) عَادَ الْحَدِيثُ : فَلَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ
الظَّهْرَانِ نَزَلَهُ عِشَاءً فَأَمَرَ الْجَيْشَ فَأَوْقَدُوا النَّيْرَانَ ، فَأَوْقَدَتْ عَشْرَةُ آلَافِ
نَارٍ ، وَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْحَرَسِ عُمَرَ بْنَ
الْحَطَّابِ ، وَرَكِبَ الْعَبَّاسُ بَعْلَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الْبَيْضَاءَ ، وَخَرَجَ يَلْتَمِسُ ، لَعَلَّهُ يَجِدُ بَعْضَ الْحَطَّابَةِ ، أَوْ أَحَدًا يُخْبِرُ
قُرَيْشًا لِيُخْرِجُوا يَسْتَأْمِنُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ
يَدْخُلَهَا عَنُودٌ .

قَالَ « وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسِيرُ عَلَيْهَا إِذْ سَلِمْتُ كَلَامَ أَبِي سُفْيَانَ ابْنَ حَرْبٍ وَبَدِيلِ بْنِ وَرْقَاءَ ، وَهُمَا يَتَرَاكِعَانِ ، وَأَبُو سُفْيَانَ يَقُولُ : مَا رَأَيْتُ كَاللَّيْلَةِ نِيرَانًا قَطُّ وَلَا عَسْكَرًا . قَالَ : يَقُولُ بُدَيْلٌ : هَذِهِ وَاللَّهِ خُزَاعَةٌ خَمَشَتْهَا الْحَرْبُ ، فَيَقُولُ أَبُو سُفْيَانَ : خُزَاعَةٌ أَقْلٌ وَأَذَلُّ مِنْ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ نِيرَانَهَا وَعَسْكَرُهَا . قَالَ : فَعَرَفْتُ صَوْتَهُ ، فَقُلْتُ : أَبَا حَنْظَلَةَ ؟ فَعَرَفَ صَوْتِي ، فَقَالَ : أَبَا الْفَضْلِ قُلْتُ : نَعَمْ .

قَالَ : مَالِكُ ؟ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ، قَالَ : قُلْتُ : هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّاسِ ، وَاصْبَحَ قُرَيْشٍ وَاللَّهِ ، قَالَ : فَمَا الْحَيْلَةُ ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ؟ قُلْتُ : وَاللَّهِ لَئِنْ ظَفِرَ بِكَ لَيُضْرِبَنَّ عُنُقَكَ ، فَارْكَبْ فِي عَجْزِ هَذِهِ الْبَغْلَةِ ، حَتَّى آتِي بِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَاسْتَأْمِنُهُ لَكَ ، فَارْكَبْ خَلْفِي وَرَجِعْ صَاحِبَاهُ .

قَالَ : فَجِئْتُ بِهِ ، فَكَلَّمَا مَرَرْتُ بِهِ عَلَى نَارٍ مِنْ نِيرَانِ الْمُسْلِمِينَ قَالُوا : مَنْ هَذَا ؟ فَإِذَا رَأَوْا بَغْلَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا عَلَيْهَا ، قَالُوا : عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَغْلَتِهِ ، حَتَّى مَرَرْتُ بِنَارِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ وَقَامَ إِلَيَّ .

فَلَمَّا رَأَى أَبَا سُفْيَانَ عَلَى عَجْزِ الدَّابَّةِ ، قَالَ : أَبُو سُفْيَانَ عَدُوُّ اللَّهِ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَكَّنَ مِنْكَ بِغَيْرِ عَقْدٍ وَلَا عَهْدٍ ، ثُمَّ خَرَجَ يَسْتَنْدُ نَحْوَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَرَكَضْتُ الْبَغْلَةَ ، فَسَبَقْتُ ، فَاقْتَحَمْتُ مِنَ الْبَغْلَةِ ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ عُمَرُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا أَبُو سُفْيَانَ ، فَدَعَانِي أَضْرِبُ عُنُقَهُ . قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي قَدْ أَجْرْتُهُ ، ثُمَّ

جَلَسْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذْتُ بِرَأْسِهِ ، فَقُلْتُ :
وَاللَّهِ لَا يُنَاجِيهِ اللَّيْلَةَ أَحَدٌ دُونِي .

فَلَمَّا أَكْثَرَ عَمْرُ فِي شَأْنِهِ ، قُلْتُ : مَهَلًا يَا عَمْرُ ، فَوَاللَّهِ لَوْ كَانَ
مِنْ رِجَالِ بَنِي عَدِي بْنِ كَعْبٍ مَا عَمِلْتَ مِثْلَ هَذَا ، قَالَ : مَهَلًا يَا
عَبَّاسُ ، فَوَاللَّهِ لِإِسْلَامِكَ كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِ الْخَطَّابِ ، فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « اذْهَبْ بِهِ يَا عَبَّاسُ إِلَى رَحْلِكَ ، فَإِذَا
أَصْبَحْتَ فَاتِنِّي بِهِ » فَذَهَبْتُ ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ
« وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؟ » قَالَ :
بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ !! لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنْ لَوْ كَانَ
مَعَ اللَّهِ إِلَهٌ غَيْرُهُ لَقَدْ أَغْنَى عَنِّي شَيْئًا بَعْدُ .

قَالَ « وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ » قَالَ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ !! أَمَّا
هَذِهِ : فَإِنَّ فِي النَّفْسِ حَتَّى الْآنَ مِنْهَا شَيْءٌ ، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ : أَسَلِمَ
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ
عُنُقُكَ ، فَأَسَلِمَ وَشَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ .

فَقَالَ الْعَبَّاسُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ الْفَخْرَ ،
فَاجْعَلْ لَهُ شَيْئًا ، قَالَ « نَعَمْ ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ وَمَنْ
أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ فَهُوَ آمِنٌ » وَأَمَرَ
الْعَبَّاسَ أَنْ يَحْسِبَ أَبَا سُفْيَانَ بِمَضِيْقِ الْوَادِي عِنْدَ خَطْمِ الْجَبَلِ ، حَتَّى
تَمُرَّ بِهِ جُنُودُ اللَّهِ فَيَرَاهَا ، فَفَعَلَ فَمَرَّتِ الْقَبَائِلُ عَلَى رَأْيَاتِهَا . كُلَّمَا مَرَّتْ

بِهِ قَبِيلُهُ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ يَا عَبَّاسُ ، مَنْ هَذِهِ ؟ فَأَقُولُ : سُلَيْمٌ . قَالَ :
فَيَقُولُ مَالِي وَلِسُلَيْمٍ ، ثُمَّ تَمُرُّ بِهِ الْقَبِيلَةُ فَيَقُولُ : يَا عَبَّاسُ ، مَنْ
هَؤُلَاءِ ؟ فَأَقُولُ : مُزَيْنَةُ ، فَيَقُولُ : مَالِي وَلِمُزَيْنَةَ ، حَتَّى نَفَذَتْ الْقَبَائِلُ ،
مَا تَمُرُّ بِهِ قَبِيلَةٌ إِلَّا سَأَلَنِي عَنْهَا ، فَإِذَا أَخْبَرْتُهُ بِهِمْ قَالَ : مَالِي وَلِبَنِي
فُلَانٍ ، حَتَّى مَرَّ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كِتَابِيهِ
الْخَضْرَاءِ ، فِيهَا الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ ، لَا يُرَى مِنْهُمْ إِلَّا الْحَدَقُ مِنَ
الْحَدِيدِ ، قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! يَا عَبَّاسُ ، مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ : قُلْتُ :
هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ .

قَالَ : مَا لِأَحَدٍ بِهِؤُلَاءِ قَبْلُ وَلَا طَاقَةٌ ، ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ يَا أَبَا
الْفَضْلِ لَقَدْ أَصْبَحَ مُلْكُ ابْنِ أَخِيكَ الْيَوْمَ عَظِيمًا . قَالَ : قُلْتُ : يَا أَبَا
سُفْيَانَ ، إِنَّهَا التُّبُوءَةُ ، قَالَ : فَنَعَمْ إِذَا .

قَالَ : قُلْتُ : النَّجَاءُ إِلَى قَوْمِكَ ، وَكَانَتْ رَايَةُ الْأَنْصَارِ مَعَ سَعْدِ
بْنِ عَبَادَةَ ، فَلَمَّا مَرَّ بِأَبِي سُفْيَانَ قَالَ لَهُ : الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ ، الْيَوْمَ
تُسْتَحَلُّ الْحُرْمَةُ ، الْيَوْمَ أَدَّلَّ اللَّهُ قُرَيْشًا .

فَلَمَّا حَادَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا سُفْيَانَ قَالَ : يَا
رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ سَعْدُ ؟ قَالَ « وَمَا قَالَ ؟ » قَالَ : قَالَ كَذَا
وَكَذَا ، فَقَالَ عُثْمَانُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا نَأْمَنُ
أَنْ يَكُونَ لَهُ فِي قُرَيْشٍ صَوْلَةٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
« بَلِ الْيَوْمَ يَوْمٌ تُعْظَمُ فِيهِ الْكَعْبَةُ ، الْيَوْمَ يَوْمٌ أَعَزَّ اللَّهُ فِيهِ قُرَيْشًا » ثُمَّ
أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى سَعْدِ ، فَتَزَعَّ مِنْهُ اللَّوَاءُ ،
وَدَفَعَهُ إِلَى قَيْسِ ابْنِهِ ، وَرَأَى أَنَّ اللَّوَاءَ لَمْ يَخْرُجْ عَنْ سَعْدِ ، إِذْ صَارَ إِلَى ابْنِهِ ،

قال أَبُو عَمْرٍ : وَرَوِي « أَنْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا نَزَعَ مِنْهُ الرَّأْيَةَ دَفَعَهَا إِلَى الزُّبَيْرِ » .

وَمَضَى أَبُو سُفْيَانَ ، حَتَّى إِذَا جَاءَ قُرَيْشًا صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، هَذَا مُحَمَّدٌ قَدْ جَاءَكُمْ فِيمَا لَا قَبْلَ لَكُمْ بِهِ ، فَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ ، فَقَامَتْ إِلَيْهِ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ فَأَخَذَتْ بِشَارِبِهِ ، فَقَالَتْ : اقْتُلُوا الْحُمَيْتِ الدَّسِيمَ الْأَحْمَشَ السَّاقِينَ ، فُجِحَ مِنْ طَلِيعَةِ قَوْمٍ .

قال : وَبَلَّكُمْ ، لَا تَغُرَّنْكُمْ هَذِهِ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ، فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَكُمْ بِمَا لَا قَبْلَ لَكُمْ بِهِ ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ ، فَقَالُوا : قَاتَلَكِ اللَّهُ ، وَمَا تُغْنِي عَنَّا دَارُكَ ؟ قال : وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ .

فَتَفَرَّقَ النَّاسُ إِلَى دُورِهِمْ ، وَإِلَى الْمَسْجِدِ ، وَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَدَخَلَ مَكَّةَ مِنْ أَعْلَاهَا ، وَضَرَبَتْ لَهُ هُنَالِكَ قُبَّةً ، وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ أَنْ يَدْخُلَهَا مِنْ أَسْفَلِهَا . وَكَانَ عَلَى الْمَجْنَبَةِ الْيُمْنَى فِيهَا أَسْلَمٌ وَسَلِيمٌ وَغِفَارٌ وَمُزَيْنَةُ وَجُهَيْنَةُ ، وَقَبَائِلٌ مِنَ قَبَائِلِ الْعَرَبِ وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ عَلَى الرَّجَالِ وَالْحُسْرِ ، وَهُمْ الَّذِينَ لَا سِلَاحَ مَعَهُمْ ، وَقَالَ لِيخَالِدٍ وَمَنْ مَعَهُ « إِنْ عَرَضَ لَكُمْ أَحَدٌ مِنْ قُرَيْشٍ فَاحْضُدُوهُمْ حَضْدًا ، حَتَّى تُوافوني عَلَى الصَّفَا » فَمَا عَرَضَ لَهُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَنَامُوهُ . وَتَجَمَّعَتْ سُفْهَاءُ قُرَيْشٍ وَأَخْفَأُوها مَعَ عِكْرَمَةَ ابْنِ أَبِي جَهْلٍ ، وَصَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ ، وَسَهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو بِالْخَنْدَمَةِ لِيُقَاتِلُوا الْمُسْلِمِينَ .

اللَّهُمَّ نَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا ثُبُوتَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَّاتِ وَجَنِّبْنَا الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ الْمُؤَبَّاتِ وَوَفِّقْنَا لِلْعَمَلِ بِالْبَاقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ فِي

جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ وَرَزَحْنَا عَنِ النَّارِ وَأَدْخَلْنَا فَنَسِخَ الْجَنَاتِ يَا رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

(فصل) : وَكَانَ حَمَّاسُ بْنُ قَيْسِ بْنِ خَالِدِ أَخُو بَنِي بَكْرِ يُعَدُّ سِلَاحًا قَبْلَ
دُخُولِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ : لِمَاذَا تُعَدُّ
مَا أَرَى ؟ قَالَ لِمُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ ، قَالَتْ : وَاللَّهِ مَا يَقُومُ لِمُحَمَّدٍ
وَأَصْحَابِهِ شَيْئًا ، قَالَ : إِنِّي وَاللَّهِ لَأَرْجُو أَنِّي أُخْدِمُكَ بَعْضُهُمْ ، ثُمَّ
قَالَ :

إِنْ يَقْبَلُوا الْيَوْمَ فَمَالِي عَلَيْهِ
هَذَا سِلَاحٌ كَامِلٌ وَإِلَيْهِ
وَدُوٌّ غِرَارَيْنِ سَرِيعِ السَّلَةِ

ثُمَّ شَهِدَ الْخِدْمَةَ مَعَ صَفْوَانَ وَعِكْرَمَةَ وَسَهِيلِ بْنِ عَمْرٍو ، فَلَمَّا
لَقِيَهُمُ الْمُسْلِمُونَ نَاوَسُوهُمْ شَيْئًا مِنْ قِتَالٍ ، فَقَتِلَ كُرْزُ بْنُ جَابِرِ الْفِهْرِيِّ ،
وَخَنَيْسُ بْنُ خَالِدِ بْنِ رَبِيعَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَا فِي خَيْلِ خَالِدِ بْنِ
الْوَلِيدِ ، فَشَدَّ عَنْهُ ، فَسَلَّكَ طَرِيقًا غَيْرَ طَرِيقِهِ فَقَتِلَا جَمِيعًا فَأَصِيبَ مِنْ
الْمُشْرِكِينَ نَحْوُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا ، ثُمَّ انْهَزَمُوا ، وَانْهَزَمَ حَمَّاسُ صَاحِبُ
السِّلَاحِ ، حَتَّى دَخَلَ بَيْتَهُ فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ : أَعْلَقِي عَلَيَّ بَابِي ، فَقَالَتْ :
وَأَيْنَ مَا كُنْتَ تَقُولُ ؟

فَقَالَ : إِنَّكَ لَوْ شَهِدْتَ يَوْمَ الْخِدْمَةِ
إِذْ فَرَّ صَفْوَانٌ وَفَرَّ عِكْرَمَةُ
وَأَبُو يَزِيدٍ قَائِمٌ كَالْمُؤْتَمَةِ
وَاسْتَقْبَلْتَنَا بِالسُّيُوفِ الْمُسْلِمَةِ
يَقْطَعْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُمُجَمَةٍ
ضَرْبًا ، فَلَا يُسْمَعُ إِلَّا غَمْمَتُهُ

لَهُمْ نَهَيْتَ حَوْلَنَا وَهَمَّهُمْ
لَمْ تَطِيقِي فِي اللُّومِ أَدْنَى كَلِمَةٍ

وقال أبو هريرة: أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدَخَلَ
مَكَّةَ، فَبَعَثَ الزُّبَيْرَ عَلَى إِحْدَى الْمَجْنَبَتَيْنِ، وَبَعَثَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ عَلَى
الْمَجْنَبَةِ الْأُخْرَى، وَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ عَلَى الْحُسْرِ، وَأَخَذُوا
بَطْنَ الْوَادِي، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كَيْبَتِهِ.

قال: وَقَدْ وَبَّشَتْ قُرَيْشٌ أَوْبَاشًا لَهَا، فَقَالُوا: نَقَدِمُ هَؤُلَاءِ، فَإِنْ
كَانَ لِقُرَيْشٍ شَيْءٌ كُنَّا مَعَهُمْ، وَإِنْ أَصِيبُوا أَعْظَمْنَا الَّذِي سَأَلْنَا، فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا أبا هُرَيْرَةَ، فَقُلْتُ: لَبَيْكَ يَا
رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، فَقَالَ: اهْتَفِ لِي بِالْأَنْصَارِ، وَلَا يَأْتِنِي إِلَّا
أَنْصَارِي، فَهَتَفَ بِهِمْ، فَجَاءُوا فَأَطَافُوا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَتَرُونَ إِلَى أَوْبَاشِ قُرَيْشٍ وَأَتْبَاعِهِمْ؟ ثُمَّ قَالَ بِيَدَيْهِ -
إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى احْصِدُوهُمْ حَصْدًا حَتَّى تُوَافُونِي بِالصَّفَا،
فَأَنْطَلِقْنَا، فَمَا يَشَاءُ أَحَدٌ مِنَّا أَنْ يُقْتَلَ مِنْهُمْ إِلَّا شَاءَ، وَمَا أَحَدٌ مِنْهُمْ وَجَّهَ
إِلَيْنَا شَيْئًا، وَرَكَزْتُ رَأْيَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحُجُونِ عِنْدَ
مَسْجِدِ الْفَتْحِ.

ثُمَّ نَهَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْمُهَاجِرُونَ
وَالْأَنْصَارُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَخَلْفَهُ وَحَوْلَهُ، حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَأَقْبَلَ إِلَى
الْحَجْرِ الْأَسْوَدِ، فَاسْتَلَمَهُ، ثُمَّ طَافَ بِالْبَيْتِ، وَفِي يَدِهِ قَوْسٌ وَحَوْلَ
الْبَيْتِ وَعَلَيْهِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ صَنْمًا، فَجَعَلَ يَطْعُمُهَا بِالْقَوْسِ، وَيَقُولُ:
(جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ، إِنْ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) جَاءَ الْحَقُّ، وَمَا

يُبدىء الباطل وما يُعيد ، والأضنامُ تتساقطُ على وجوهها .

وكان طوافه على راحلته ، ولم يكن مُحرمًا يومئذٍ ، فاقْتَصَرَ على الطوافِ ، فلَمَّا أكْمَلَهُ دَعَا عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ ، فَأَخَذَ مِنْهُ مِفْتَاحَ الْكَعْبَةِ ، فَأَمَرَ بِهَا ففُتِحَتْ ، فَدَخَلَهَا ، فرَأَى فِيهَا الصُّورَ ، ورَأَى فِيهَا صُورَةَ اِبْرَاهِيمَ واسْمَاعِيلَ ، يَسْتَقْسِمَانِ بِالْأَزْلَامِ ، فقال « قَاتَلَهُمُ اللهُ ، واللهِ إنَّ اسْتَقْسَمَا بِهَا قَطُّ » ورَأَى فِي الْكَعْبَةِ حَمَامَةً مِنْ عِيدَانِ ، فَكَسَرَهَا بِيَدِهِ ، وَأَمَرَ بِالصُّورِ فَمُحِثٌ ، ثُمَّ أُغْلِقَ عَلَيْهِ الْبَابُ ، وَعَلَى أُسَامَةَ وَبِلَالٍ ، فَاسْتَقْبَلَ الْجِدَارَ الَّذِي يُقَابِلُ الْبَابَ ، حَتَّى إِذَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ قَدْرٌ ثَلَاثَةَ أَذْرُعٍ وَقَفَّ وَصَلَّى هُنَاكَ ، ثُمَّ دَارَ فِي الْبَيْتِ وَكَبَّرَ فِي نَوَاحِيهِ ، وَوَحَدَ اللهُ ، ثُمَّ فَتَحَ الْبَابَ وَقُرَيْشٌ قَدْ مَلَأَتِ الْمَسْجِدَ صُفُوفًا ، يَنْتَظِرُونَ مَاذَا يَصْنَعُ ، فَأَخَذَ بَعْضَادَتِي الْبَابَ ، وَهُمْ تَحْتَهُ ، فقال : « لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، صَدَقَ وَعْدُهُ ، وَنَصَرَ عَبْدُهُ ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ أَلَا كُلُّ مَأْتِرَةٍ أَوْ مَالٍ أَوْ دَمٍ : فَهُوَ تَحْتَ قَدَمِي هَاتَيْنِ ، إِلاَّ سِدَانَةَ الْبَيْتِ وَسِقَايَةَ الْحَاجِّ ، أَلَا وَقَتْلُ الْخَطَا شِبْهُ الْعَمْدِ : السُّوْطُ وَالْعَصَا ، فَفِيهِ الدِّيَّةُ مُغْلَظَةٌ (مائةٌ مِنَ الْإِبِلِ) أُرْبِعُونَ مِنْهَا فِي بُطُونِهَا أَوْلَادُهَا .

يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنْ اللهُ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نِخْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَتَعَظَّمَهَا بِالْأَبَاءِ ، النَّاسُ مِنْ آدَمَ ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ (٤٩ : ١٣) يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَنْتَأْتُمْ ، إِنْ اللهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿ يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ ؟ قالوا : خَيْرًا ، أَخُ كَرِيمٌ ، وَابْنُ أَخِي كَرِيمٌ .

قال : فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته ﴿ ١٢ : ٩١ لا

تَرْيِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ﴿ اذْهَبُوا ، فَانْتُمُ الطُّلَقَاءُ ، ثُمَّ جَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ .

فَقَامَ إِلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَمِفْتَاحُ الْكَعْبَةِ فِي يَدِهِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اجْمَعْ لَنَا الْحِجَابَةَ مَعَ السَّقَايَةِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيْنَ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ ؟ فَدَعِيَ لَهُ ، فَقَالَ لَهُ : « هَاكَ مِفْتَاحَكَ يَا عُثْمَانُ ، الْيَوْمُ يَوْمٌ بَرٌّ وَوَفَاءٌ » .

وَذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ قَالَ « كُنَّا نَفْتَحُ الْكَعْبَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَوْمَ الْأَثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا يُرِيدُ أَنْ يَدْخُلَ الْكَعْبَةَ مَعَ النَّاسِ فَأَغْلَظْتُ لَهُ ، فَنَلْتُ مِنْهُ ، فَحَلَمَ عَنِّي ، ثُمَّ قَالَ : يَا عُثْمَانُ لَعَلَّكَ سَتَرَى هَذَا الْمِفْتَاحَ يَوْمًا بِبَيْدِي ، أَضَعُهُ حَيْثُ شِئْتُ ، فَقُلْتُ : لَقَدْ هَلَكْتُ قُرَيْشُ يَوْمَئِذٍ وَذَلِكَ ، فَقَالَ : بَلْ عَمَرْتُ وَعَزَّتْ يَوْمَئِذٍ ، وَدَخَلَ الْكَعْبَةَ فَوَقَعَتْ كَلِمَتُهُ مِنِّي مَوْقِعًا ، ظَنَنْتُ يَوْمَئِذٍ أَنَّ الْأَمْرَ سَيَصِيرُ إِلَى مَا قَالَ .

فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْفَتْحِ قَالَ : يَا عُثْمَانُ ، اثْنَيْنِي بِالْمِفْتَاحِ ، فَأَتَيْتُهُ بِهِ ، فَأَخَذَهُ مِنِّي ، ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَيَّ ، وَقَالَ : « خذوها خالدة تالدة ، لا ينزعها منكم إلا ظالم ، يا عثمان إن الله استأمنكم على بيته ، فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف ، قال : فلما وليت ناداني ، فرجعت إليه ، فقال : « ألم يكن الذي قلت لك ؟ » قال : فذكرت قوله لي بمكة قبل الهجرة : « لعلك ستري هذا المفتاح بيدي أضعه حيث شئت » فقلت : بلى ، أشهد أنك رسول الله .

وَذَكَرَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيْبِ أَنَّ الْعَبَّاسَ تَطَاوَلَ يَوْمَئِذٍ لِأَخْذِ الْمِفْتَاحِ فِي رِجَالِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ، فَرَدَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى

عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ ، وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِلَاقَةِ : أَنْ يَضَعَدَ فَيُؤَدِّنَ عَلَى الْكَعْبَةِ ، وَأَبُو سُفْيَانَ ابْنُ حَرْبٍ وَعَتَّابُ بْنُ أُسَيْدٍ ، وَالْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ ، وَأَشْرَافُ قُرَيْشٍ جُلُوسٌ بِفِنَاءِ الْكَعْبَةِ ، فَقَالَ عَتَّابُ : لَقَدْ أَكْرَمَ اللَّهُ أُسَيْدًا أَنْ لَا يَكُونَ سَمِعَ هَذَا ، فَيَسْمَعُ مِنْهُ مَا يَغِيظُهُ ، فَقَالَ الْحَارِثُ : أَمَا وَاللَّهِ ، لَوْ أَعْلَمُ أَنَّهُ حَقٌّ لَاتَّبَعْتُهُ ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : أَمَا وَاللَّهِ ، لَا أَقُولُ شَيْئًا ، لَوْ تَكَلَّمْتُ لِأَخْبَرْتِ عَنِّي الْحَصَبَاءُ ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُمْ : قَدْ عَلِمْتُ الَّذِي قُلْتُمْ ، ثُمَّ ذَكَرَ ذَلِكَ لَهُمْ ، فَقَالَ الْحَارِثُ وَعَتَّابُ : نَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَاللَّهِ مَا أَطَّلَعَ عَلَى هَذَا أَحَدٌ كَانَ مَعَنَا ، فَتَقُولُ : أَخْبَرَكَ « وَهَذِهِ مُعْجَزَةٌ حَيْثُ أَخْبَرَهُمْ بِمَا قَالُوا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
اللَّهُمَّ وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَأْخُذُ الْكِتَابَ بِالْيَمِينِ ، وَاجْعَلْنَا يَوْمَ الْفِرْعِ الْأَكْبَرِ آمِنِينَ ، وَأَوْصِلْنَا بِرَحْمَتِكَ وَكَرَمِكَ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ ،

« فَصْلٌ »

ثُمَّ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَارَ أُمِّ هَانِيَةَ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ ، فَاعْتَسَلَ ، وَصَلَّى ثَمَانَ رَكَعَاتٍ فِي بَيْتِهَا ، وَكَانَ ضَحَى ، فَظَنَّهَا مَنْ ظَنَّهَا صَلَاةَ الضُّحَى ، وَإِنَّمَا هَذِهِ صَلَاةُ الْفَتْحِ ، وَكَانَ أَمْرًا مِنَ الْإِسْلَامِ إِذَا فَتَحُوا حِصْنًا أَوْ بَلَدًا صَلُّوا عَقِيبَ الْفَتْحِ هَذِهِ الصَّلَاةَ ، اقْتِدَاءً بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَفِي الْقِصَّةِ : مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا بِسَبَبِ الْفَتْحِ ، شُكْرًا لِلَّهِ عَلَيْهِ ، فَإِنَّ أُمَّ هَانِيَةَ قَالَتْ « مَا رَأَيْتُهُ صَلَاةً قَبْلَهَا وَلَا بَعْدَهَا » وَأَجَارَتْ أُمَّ هَانِيَةَ حَمَوَيْنَ لَهَا ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتَ يَا أُمَّ هَانِيَةَ » .

« فَضْلٌ »

وَلَمَّا اسْتَقَرَّ الْفَتْحُ أَمَّنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ كُلَّهُمْ ، إِلَّا تِسْعَةَ نَفَرٍ ، فَإِنَّهُ أَمَرَ بِقَتْلِهِمْ ، وَإِنْ وُجِدُوا تَحْتَ أَسْتَارِ الْكَعْبَةِ وَهُمْ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ أَبِي سَرْحٍ ، وَعِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ ، وَعَبْدُ الْعَزَى بْنُ خَطَلٍ ، وَالْحَارِثُ بْنُ نُفَيْلِ بْنِ وَهَبٍ ، وَمَقِيسُ بْنُ صُبَابَةَ ، وَهَبَّارُ بْنُ الْأَسْوَدِ ، وَقَيْتَانِ لَابِنِ خَطَلٍ ، كَانَتَا تُغَيَّبَانِ بِهَجَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَسَارَةَ مَوْلَاةً لِبَعْضِ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ .

فَأَمَّا ابْنُ أَبِي سَرْحٍ ، فَأَسْلَمَ فَجَاءَ بِهِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، فَاسْتَأْمَنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَبِلَ مِنْهُ بَعْدَ أَنْ أَمَسَكَ عَنْهُ ، رَجَاءً أَنْ يَقُومَ إِلَيْهِ بَعْضُ الصَّحَابَةِ فَيَقْتُلَهُ .

وَكَانَ قَدْ أَسْلَمَ قَبْلَ ذَلِكَ وَهَاجَرَ ، ثُمَّ ارْتَدَّ وَرَجَعَ إِلَى مَكَّةَ ، وَأَمَّا عِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ ، فَاسْتَأْمَنَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ بَعْدَ أَنْ فَرَّ ، فَأَمَنَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَدِمَ وَأَسْلَمَ وَحَسَنَ اسْلَامُهُ وَأَمَّا ابْنُ خَطَلٍ وَالْحَارِثُ وَمَقِيسُ وَاحْدَى الْقَيْتَيْنِ ، فَقُتِلُوا وَكَانَ مَقِيسُ قَدْ أَسْلَمَ ثُمَّ ارْتَدَّ وَقَتَلَ وَلِحَقَ بِالْمُشْرِكِينَ ، وَأَمَّا هَبَّارُ بْنُ الْأَسْوَدِ ، فَهُوَ الَّذِي عَرَضَ لِزَيْنَبِ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ هَاجَرَتْ ، فَخَسَّ بَطْنَهَا حَتَّى سَقَطَتْ عَلَى صَخْرَةٍ وَأَسْقَطَتْ جَبِينَهَا فَفَرَّ ، ثُمَّ أَسْلَمَ وَحَسَنَ اسْلَامُهُ .

وَاسْتَأْمَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِسَارَةَ وَإِلْحَدَى الْقَيْتَيْنِ فَأَمَّنَهُمَا فَأَسْلَمَتَا .

فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ مِنْ يَوْمِ الْفَتْحِ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّاسِ خَطِيبًا ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَمَجَّدَهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، ثُمَّ قَالَ « أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، فَهِيَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَلَا يَحِلُّ لِأَمْرٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ فِيهَا دَمًا ، أَوْ يَعْصِدَ بِهَا شَجَرَةً ، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ بِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُولُوا : إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكَ ، وَإِنَّمَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ ، وَقَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ ، فَلْيُبْلِغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ » .

وَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ مَكَّةَ عَلَى رَسُولِهِ - وَهِيَ بَلَدُهُ وَوَطَنُهُ وَمَوْلِدُهُ - قَالَ الْأَنْصَارُ فِيمَا بَيْنَهُمْ : أَتَرَوْنَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَذْفَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَرْضَهُ وَبَلَدَهُ ، يُحِبُّ أَنْ يُقِيمَ بِهَا وَهُوَ يَدْعُو عَلَى الصَّفَا ، رَافِعًا يَدَيْهِ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ دُعَائِهِ قَالَ « مَاذَا قُلْتُمْ ؟ قَالُوا : لَا شَيْءَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِمْ حَتَّى أَخْبَرُوهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَعَاذَ اللَّهِ ، الْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ ، وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ » .

شعراً :

إِذَا كُنْتَ فِي دَارٍ وَضَامَكَ أَهْلُهَا وَقَلْبِكَ مَشْغُوفٌ بِهَا فَتَعَرَّبَ
فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ لَمْ يَسْتَقِمْ لَهُ بِمَكَّةَ أَمْرٌ فَاسْتَقَامَ بِبَيْتِ رَبِّ

وقال آخر متذكراً وطنه ومسقط رأسه في القصيم في عنيزة :

وَأَذْكَرُ أَيَّامَ الْقَصِيمِ فَأَنْتَنِي عَلَى كَيْدِي مِنْ خَشْيَةِ أَنْ تَصَدَّعَا
بَكَتْ عَيْنِي الْيُمْنَى فَلَمَّا نَهَيْتُهَا عَنِ الْجَهْلِ بَعْدَ الْحِلْمِ أُسْبَلْنَا مَعَا
فَلَيْتَ عَشِيَّاتِ الْقَصِيمِ رَوَّاجِعُ عَلَيَّ وَلَكِنْ خَلَّ عَيْنِكَ تَذَمُّعَا
وَلَا سِسْمًا دَارًا تُسَمَّى عُنَيْزَةَ قَضَيْتُ بِهَا عَشْرًا وَعَشْرًا وَأَرْبَعَا
آخر :

إِذَا خِفْتَ مِنْ دَارٍ هَوَانًا فَوَلَّهَا سِوَاكَ وَعَنْ دَارِ الْأَذَى فَتَحَوَّلْ

وَهُمْ فَضَالَةٌ بَنُ عُمَيْرِ بْنِ الْمُلُوحِ أَنْ يَقْتُلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَفَضَالَةٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَضَالَةٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : مَاذَا كُنْتَ تُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَكَ ؟ قَالَ : لَا شَيْءَ كُنْتُ أَذْكَرُ اللَّهَ ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ : اسْتَغْفِرِ اللَّهَ ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ ، فَسَكَنَ قَلْبُهُ . » .

وَكَانَ فَضَالَةٌ يَقُولُ « وَاللَّهِ مَا رَفَعَ يَدَهُ عَن صَدْرِي حَتَّى مَا خَلَقَ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ » قَالَ فَضَالَةٌ : فَرَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي ، فَمَرَرْتُ بِامْرَأَةٍ كُنْتُ أُتَحَدَّثُ إِلَيْهَا ، فَقَالَتْ هَلُمَّ إِلَيَّ الْحَدِيثَ ، فَقُلْتُ : لَا ، وَانْبَعَثَ فَضَالَةٌ يَقُولُ :

قَالَتْ . هَلُمَّ إِلَى الْحَدِيثِ ، فَقُلْتُ : لَا
يَأْبَى عَلَيْكَ اللَّهُ وَالْإِسْلَامُ
لَوْ قَدْ رَأَيْتَ مُحَمَّدًا وَقَبِيلَهُ
بِالْفَتْحِ يَوْمَ تَكَسَّرَ الْأَصْنَامُ
لَرَأَيْتَ دِينَ اللَّهِ أَضْحَى بَيْنًا .
وَالشُّرْكَ يَغْشَى وَجْهَهُ الْأَظْلَامُ

وَفَرَّ يَوْمَئِذٍ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ ، وَعِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ ، فَأَمَّا صَفْوَانُ ، فَاسْتَأْمَنَ لَهُ عُمَيْرُ بْنُ وَهَبِ الْجُمَحِيِّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَمَنَهُ ، وَأَعْطَاهُ عِمَامَتَهُ الَّتِي دَخَلَ بِهَا مَكَّةَ ، فَلَحِقَهُ عُمَيْرٌ ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَرْكَبَ الْبَحْرَ ، فَرَدَّهُ فَقَالَ : اجْعَلْنِي بِالْخِيَارِ شَهْرَيْنِ ، فَقَالَ : أَنْتَ بِالْخِيَارِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ .

وَكَانَتْ أُمُّ حَكِيمٍ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ تَحْتَ عِكْرَمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ

فَأَسْلَمَتْ ، وَاسْتَأْمَنَتْ لَهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَّنَهُ ، فَلَجِحَّتُهُ
بِالْيَمَنِ ، فَأَمَّتُهُ فَرَدَّتُهُ ، وَأَقْرَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ وَصَفْوَانُ
عَلَى نِكَاحِهِمَا الْأَوَّلِ .

ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَمِيمَ بْنَ أُسَيْدِ الْخُزَاعِيِّ فَجَدَّدَ
أَنْصَابَ الْحَرَمِ .

وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرَايَاهُ إِلَى الْأَوْثَانِ الَّتِي كَانَتْ
حَوْلَ الْكَعْبَةِ ، فَكُسِّرَتْ كُلُّهَا ، مِنْهَا اللَّاتُ ، وَالْعُزَّى وَمَنَاةُ الثَّالِثَةُ الْأُخْرَى ،
وَنَادَى مُنَادِيهِ بِمَكَّةَ « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَدْعُ فِي بَيْتِهِ صَنَمًا
إِلَّا كَسَرَهُ » .

وَبَعَثَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى الْعُزَّى لِخَمْسِ لَيَالٍ بَقِيْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ
لِيَهْدِمَهَا ، فَخَرَجَ إِلَيْهَا فِي ثَلَاثِينَ فَارِسًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَيْهَا ،
فَهَدَمَهَا ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ « هَلْ
رَأَيْتَ شَيْئًا ؟ قَالَ : لَا قَالَ : فَأَنْكَ لَمْ تَهْدِمَهَا ، فَارْجِعْ إِلَيْهَا فَاهْدِمَهَا ، فَارْجَعَ
خَالِدٌ - وَهُوَ مُتَغَيِّظٌ - فَجَرَدَ سَيْفَهُ ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ عُرْيَانَةٌ سَوْدَاءُ نَاشِرَةٌ
الرَّأْسَ ، فَجَعَلَ السَّادِنُ يَصِيحُ بِهَا فَضْرَبَهَا خَالِدٌ ، فَجَزَلَهَا بِاثْنَتَيْنِ ، وَرَجَعَ إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ : نَعَمْ ، تِلْكَ الْعُزَّى ،
وَقَدْ أَيْسَتْ أَنْ تُعْبَدَ فِي بِلَادِكُمْ أَبَدًا » وَكَانَتْ بِنَخْلَةَ ، وَكَانَتْ لِقُرَيْشٍ وَجَمِيعِ
بَنِي كِنَانَةَ ، وَكَانَتْ أَعْظَمَ أَصْنَامِهِمْ ، وَكَانَ سَدَنُهَا مِنْ بَنِي شَيْبَانَ . فَبِي هَذِهِ
مُعْجَزَةٌ مِنْ مُعْجَزَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ثُمَّ بَعَثَ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ إِلَى سُوَاعٍ - وَهُوَ صَنَمٌ لِهَدَيْلٍ - لِيَهْدِمَهُ ،
قَالَ عَمْرُو « فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ ، وَعِنْدَهُ السَّادِنُ ، فَقَالَ : مَا تُرِيدُ ؟ قُلْتُ : أَمْرُنِي

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَهْدِيَهُ ، فَقَالَ : لَا تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ ، قُلْتُ : لِمَ ؟ قَالَ : تُمْنَعُ ، قُلْتُ حَتَّى الْآنَ أَنْتَ عَلَى الْبَاطِلِ ؟ وَيَحْكُ ، فَهَلْ يَسْمَعُ أَوْ يُبْصِرُ ؟ قَالَ : فَذَنُوتُ مِنْهُ فَكَسَّرْتُهُ ، وَأَمَرْتُ أَصْحَابِي فَهَدَمُوا بَيْتَ خَزَانَتِهِ ، فَلَمْ يَجِدُوا فِيهِ شَيْئًا ، ثُمَّ قَلْتُ لِلْسَادِنِ : كَيْفَ رَأَيْتَ ؟ قَالَ : أَسَلِمْتَ لِلَّهِ .

ثُمَّ بَعَثَ سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ الْأَشْهَلِيَّ إِلَى مَنَاةَ وَكَانَتْ بِالْمُشَلَّلِ ، عِنْدَ قُدَيْدٍ لِلأَوْسِ وَالْحَزْرَجِ وَعَسَّانَ وَغَيْرِهِمْ ، فَخَرَجَ فِي عِشْرِينَ فَارِسًا ، حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهَا ، وَعِنْدَهَا سَادِنٌ ، فَقَالَ السَّادِنُ : مَا تُرِيدُ ؟ قُلْتُ : أَهْدِيْكُمْ مَنَاةَ ، قَالَ : أَنْتَ وَذَاكَ ، فَأَقْبَلَ سَعْدٌ يَمْشِي إِلَيْهَا ، وَتَخَرَّجَ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ عَرَبِيَّةٌ سَوْدَاءُ ، ثَائِرَةٌ الرَّأْسِ ، تَدْعُو بِالْوَيْلِ ، وَتَضْرِبُ صَدْرَهَا ، فَقَالَ لَهَا السَّادِنُ : مَنَاةُ ، دُونَكَ بَعْضُ عَصَائِكَ ، فَضْرَبَهَا سَعْدٌ فَقَتَلَهَا وَأَقْبَلَ إِلَى الصَّنَمِ فَهَدَمَهُ وَكَسَّرَهُ وَلَمْ يَجِدُوا فِي خَزَانَتِهِ شَيْئًا .

شعرا في الحثِّ على كتابِ اللهِ وتدبُّرهِ وتفهُمهِ والعملِ بهِ :

وبالتدبُّرِ والتَّرتيلِ فاتلُ كِتَابَا

بِ اللَّهِ لَا سِيَّمًا فِي حِنْدِسِ الظُّلَمِ

حَكْمَ بَرَاهِينِهِ وَأَعْمَلَ بِمُحْكَمِهِ

جِلًّا وَحِظْرًا وَمَا قَدْ حَدَّهُ أَقِيمِ

وَاطْلُبْ مَعَانِيَهُ بِالنَّقْلِ الصَّرِيحِ وَلَا

تَخْضُ بِرَأْيِكَ وَاحْذَرْ بِطَشِ مُتَّقِمِ

فِيمَا عَلِمْتَ بِمَخْضِ النَّقْلِ مِنْهُ فَقُلْ

وَكَيْلُ إِلَى اللَّهِ مَعْنَى كُلِّ مُنْبِهِمِ

ثُمَّ الْمِرَا فِيهِ كُفْرٌ فَاخْذَرْنَهُ وَلَا
 يَسْتَهْوِينَنَّكَ أَقْوَامٌ بِزَيِّفِهِمْ
 وَعَنْ مَنَاهِيهِ كُنْ يَا صَاحِبَ مُنْزَجِرٍ
 وَالْأَمْرَ مِنْهُ بَلَا تَرْدَادٍ فَالْتَزِمِ
 وَمَا تَشَابَهَ فَوْضٌ لِيَلَالِهِ وَلَا
 تَخْضُ فَخَوْضُكَ فِيهِ مُوْجِبُ النَّقْمِ
 وَلَا تُطْعِ قَوْلَ ذِي زَيْغٍ يُزْخِرْفُهُ
 مِنْ كُلِّ مُبْتَدِعٍ فِي الدِّينِ مُتَّهَمِ
 جَيْرَانَ ضَلَّ عَنْ الْحَقِّ الْمَيِّينِ فَلَا
 يَنْفَكُ مُنْحَرِفًا مُعْوَجَّ لَمْ يَقُمْ
 هُوَ الْكِتَابُ الَّذِي مَنْ قَامَ يَقْرَأُهُ
 كَأَنَّمَا خَاطَبَ الرَّحْمَنُ بِالْكَلِمِ
 هُوَ الصِّرَاطُ هُوَ الْحَبْلُ الْمَتِينُ هُوَ الْ
 مِيزَانُ وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقَى لِمُعْتَصِمِ
 هُوَ الْبَيَانُ هُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ هُوَ التَّ
 تَفْصِيلُ فَاقْنَعْ بِهِ فِي كُلِّ مُنْبِهِمْ
 هُوَ الْبَصَائِرُ وَالذِّكْرَى لِمُدَّكَّرِ
 هُوَ الْمَوَاعِظُ وَالْبُشْرَى لِعَيْرِ عَمِي
 هُوَ الْمُنَزَّلُ نُورًا بَيْنًا وَهُدَى
 وَهُوَ الشِّفَاءُ لِمَا فِي الْقَلْبِ مِنْ سَقَمِ
 لَكِنَّهُ لِأُولِي الْإِيمَانِ إِذْ عَمِلُوا
 بِمَا آتَى فِيهِ مِنْ عِلْمٍ وَمِنْ حِكْمِ

أَمَا عَلَى مَنْ تَوَلَّى عَنْهُ فَهَوَ عَمِي
لِكَوْنِهِ عَنِ هَذَا الْمُسْتَنْبِرِ عَمِي
فَمَنْ يُقِمُّهُ يَكُنْ يَوْمَ الْمَعَادِ لَهُ
خَيْرُ الْإِمَامِ إِلَى الْفِرْدَوْسِ وَالنَّعْمِ
كَمَا يَسُوقُ أُولِي الْأَعْرَاضِ عَنْهُ إِلَى
دَارِ الْمَقَامِ وَالْأَنْكَالِ وَالْأَلَمِ
وَقَدْ أَتَى النَّصْرُ فِي الطُّوَلَيْنِ أَنْهُمَا
ظَلَالَتَا لِيَهُمَا فِي مَوْقِفِ الْغَمِّ
وَأَنَّهُ فِي عَدِ يَأْتِي لِصَاحِبِهِ
مُبَشَّرًا وَحَاجِجًا عَنْهُ إِنْ يُقِمِ
وَالْمُلْكَ وَالْخُلْدَ يُعْطِيهِ وَيُلْبِسُهُ
تَاجَ الْوَقَارِ الْإِلَهَ الْحَقُّ ذُو الْكَرَمِ
يُقَالُ أَقْرَأُ وَرَتَّلْتُ وَارْقُ فِي عُرْفِ الْ-
جَنَاتِ كَيْ تَنْتَهِيَ لِلْمَنْزِلِ النَّعْمِ
وَحُلَّتَانِ مِنَ الْفِرْدَوْسِ قَدْ كُسِيَتْ
لِوَالِدَيْهِ لَهَا الْأَكْوَانُ لَمْ تَقْمِ
قَالَا بِمَاذَا كُسِينَاهَا فَقِيلَ بِمَا
أَقْرَأْتُمَا ابْنُكُمْ فَاشْكُرْ لِيذِي النَّعْمِ
كَفَى وَحَسْبُكَ بِالْقُرْآنِ مُعْجِزَةً
دَامَتْ لَدَيْنَا دَوَامًا غَيْرَ مُنْصَرِمِ

لَمْ يَغْتَرِهَ قَطُّ تَبْدِيلٌ وَلَا غَيْرٌ
وَجَلَّ فِي كَثْرَةِ التَّرْدَادِ عَنْ سَامٍ
مُهَيِّمِنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ
مُصَدِّقًا جَاءَ فِي التَّنْزِيلِ فِي الْقِدَمِ
فِيهِ التَّفَاصِيلُ لِلْأَحْكَامِ مَعَ نَبَأٍ
عَمَّا سَيَأْتِي وَعَنْ مَاضٍ مِنَ الْأُمَمِ
فَأَنْظُرْ قَوَارِعَ آيَاتِ الْمَعَادِ بِهِ
وَأَنْظُرْ لِمَا قَصَّ عَنْ عَادٍ وَعَنْ إِرَمِ
وَأَنْظُرْ بِهِ شَرْحَ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ هَلْ
تَرَى بِهَا مِنْ عَوِيصٍ غَيْرِ مُنْقَصِمِ
أَمْ مِنْ صَلاَحٍ وَلَمْ يَهْدِ الْأَنَامُ لَهُ
أَمْ بَابِ هُلْكِكَ وَلَمْ يَزْجُرْ وَلَمْ يَلْمِ
أَمْ كَانَ يُغْنِي نَقِيرًا عَنْ هِدَايَتِهِ
جَمِيعُ مَا عِنْدَ أَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ نُظْمِ
أَخْبَارِهِ عِظَةٌ أَمْثَالُهُ عِبْرٌ
وَكُلُّهُ عَجَبٌ سُحْقًا لِذِي صَمَمِ
لَمْ تَلَبَّثِ الْجِنُّ إِذْ أَصْفَتْ لِتَسْمَعَهُ
أَنْ بَادَرُوا نُذْرًا مِنْهُمْ لِقَوْمِهِمْ
اللَّهُ أَكْبَرُ مَا قَدْ حَازَ مِنْ عِبْرٍ
وَمِنْ بَيَانٍ وَأَعْجَازٍ وَمِنْ حِكْمِ
وَاللَّهُ أَكْبَرُ إِذْ أُعْيِتْ بِلَاغَتُهُ
وَحُسْنُ تَرْكِيبِهِ لِلْعُرْبِ وَالْعَجَمِ

كَمْ مُلْحِدٍ رَامَ أَنْ يُبْدِي مُعَارَضَةً
فَعَادَ بِالذُّلِّ وَالْخُسْرَانِ وَالرَّغْمِ

هَيْهَاتَ بَعْدَ لِمَا رَامُوا وَمَا قَصَدُوا
وَمَا تَمَنَّوْا لَقَدْ بَاؤُوا بِذُلِّهِمْ

خَابَتْ أَمَانِيهِمْ شَاهَتْ وُجُوهُهُمْ
زَاغَتْ قُلُوبُهُمْ عَنْ هَدْيِهِ الْقِيمِ

كَمْ قَدْ تَحَدَى قُرَيْشًا فِي الْقَدِيمِ وَهُمْ
أَهْلُ الْبَلَآغَةِ بَيْنَ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ

بِمِثْلِهِ وَبِعَشْرِ ثُمَّ وَاحِدَةً
فَلَمْ يَرُومُوهُ إِذْ ذَا الْإِمْرَ لَمْ يُرَمِ

الْجِنُّ وَالْإِنْسُ لَمْ يَأْتُوا لَوْ اجْتَمَعُوا
بِمِثْلِهِ وَلَوْ انْضَمُّوا لِمِثْلِهِمْ

أَنِّي وَكَيْفَ وَرَبُّ الْعَرْشِ قَائِلُهُ
سُبْحَانَهُ جَلَّ عَنْ شِبْهِ لَهٗ وَسَمِي

مَا كَانَ خَلْقًا وَلَا فَيْضًا تَصَوَّرَهُ
نَبِيُّنَا لَا وَلَا تَعْبِيرَ ذِي نَسَمِ

بَلْ قَالَهُ رَبُّنَا قَوْلًا وَأَنْزَلَهُ
وَحْيًا عَلَى قَلْبِهِ الْمُسْتَيَقِظِ الْفَهْمِ

وَاللَّهُ يَشْهَدُ وَالْأَمْلَاقُ شَاهِدَةٌ
وَالرُّسُلُ مَعَ مُؤْمِنِي الْعُرَبَانِ وَالْعَجَمِ

اللهم أرزقنا علماً نافعاً وعملاً مُتَقَبَّلاً ورزقاً واسعاً نَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى
طَاعَتِكَ وَقَلْبًا خَاشِعًا وَلِسَانًا ذَاكِرًا وَإِيمَانًا خَالِصًا وَهَبْ لَنَا إِبَابَةَ الْمُخْلِصِينَ

وخشوع المُخْبِتِينَ وَأَعْمَالَ الصَّالِحِينَ وَيَقِينَ الصَّادِقِينَ وَسَعَادَةَ الْمُتَّقِينَ
وَدَرَجَاتِ الْفَائِزِينَ يَا أَفْضَلَ مَنْ رُجِّي وَقَصِدَ وَأَكْرَمَ مَنْ سُئِلَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا
وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

قصة عبد الله بن مسعود

كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ فَتًى لَمْ يُجَاوِزِ الْحُلُمَ وَكَانَ يَسْرُحُ فِي شِعَابِ
مَكَّةَ بَعِيداً عَنِ النَّاسِ وَمَعَهُ غَنَمٌ يَرَعَاهَا لِعُقْبَةَ بْنِ مُعَيْطٍ وَكَانَ النَّاسُ يُنَادُونَهُ
« ابْنَ أُمِّ عَبْدِ » .

أَمَّا اسْمُهُ فَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَأَمَّا إِسْمُ أَبِيهِ فَمَسْعُودٌ كَانَ الْغُلَامُ يَسْمَعُ بِأَخْبَارِ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا يَأْبَهُ لَهَا لِصِغَرِ سِنِّهِ مِنْ جِهَةٍ وَلِبُعْدِهِ عَنِ
الْمُجْتَمَعِ الْمَكِّيِّ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى فَقَدْ دَابَّ عَلَى أَنْ يَخْرُجَ بِغَنَمِ عُقْبَةَ مُبَكَّرًا
ثُمَّ لَا يَعُودُ بِهَا إِلَّا إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ .

وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ أَبْصَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ كَهْلَيْنِ عَلَيْهِمَا الْوَقَارُ يَتَجَهَّانِ
نَحْوَهُ مِنْ بَعِيدٍ وَقَدْ أَخَذَ الْجَهْدُ مِنْهُمَا كُلَّ مَا أَخَذَ وَاشْتَدَّ عَلَيْهِمَا الظَّمَا حَتَّى جَفَّتْ
مِنْهُمَا الشَّقَاءُ وَالْحُلُوقُ .

فَلَمَّا وَقَفَا عَلَيْهِ سَلَّمَا وَقَالَا يَا غُلَامُ احْلِبْ لَنَا مِنْ هَذِهِ الشِّيَاءِ مَا نُطْفِئُ بِهِ
ظَمَانَا وَنَبُلُ بِهِ عُرُوقَنَا فَقَالَ لَا أَفْعَلُ فَالغَنَمُ لَيْسَتْ لِي وَأَنَا عَلَيْهَا مُؤْتَمَنٌ فَلَمْ يُنْكِرْ
الرُّجْلَانِ عَلَيْهِ قَوْلَهُ وَبَدَا عَلَى وَجْهِهِمَا الرِّضَاءُ عَنْهُ .

ثُمَّ قَالَ لَهُ أَحَدُهُمَا ذُلْنِي عَلَى شَاةٍ لَمْ يَنْزُ وَعَلَيْهَا فَحُلٌّ فَأَشَارَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
مَسْعُودٍ إِلَى شَاةٍ صَغِيرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْهُ فَتَقَدَّمَ إِلَيْهَا الرَّجُلُ وَاعْتَقَلَهَا وَجَعَلَ يَمْسُحُ

ضَرَعَهَا بِيَدِهِ وَهُوَ يَذْكُرُ عَلَيْهَا اسْمَ اللَّهِ فَنظَرَ عَبْدُ اللَّهِ فِي دَهْشَةٍ قَائِلًا فِي نَفْسِهِ
وَمَتَى كَانَتِ الشَّاةُ الصَّغِيرَةُ الَّتِي لَمْ تَنْزُ وَعَلَيْهَا الْفُحُولُ تُدْرُ لَنَا .

لَكِنَّ ضَرَاعَ الشَّاةِ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ انْتَفَخَ مِنَ اللَّبَنِ وَطَفِقَ اللَّبْنُ يَنْبِثُ مِنْهُ ثَرَاغَ زَيْرًا .
فَأَخَذَ الرَّجُلُ الْآخَرَ حَجْرًا مُجَوَّفًا مِنَ الْأَرْضِ وَمَلَأَهُ بِاللَّبَنِ وَشَرِبَ مِنْهُ
هُوَ وَصَاحِبُهُ ثُمَّ سَقَيْنِي مَعَهُمَا وَأَنَا لَا أَكَادُ أَصَدِّقُ مَا أَرَى ، فَلَمَّا ارْتَوَيْنَا قَالَ
الرَّجُلُ الْمُبَارَكُ لِضَرَاعِ الشَّاةِ انْقَبِضْ فَمَا زَالَ يَنْقَبِضُ حَتَّى عَادَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ
عِنْدَ ذَلِكَ قُلْتُ لِلرَّجُلِ الْمُبَارَكِ عَلِّمْنِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ الَّذِي قُلْتَهُ فَقَالَ لِي
إِنَّكَ غُلَامٌ مُعَلَّمٌ .

كَانَتْ هَذِهِ بَدَايَةَ قِصَّةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ مَعَ الْإِسْلَامِ وَأَمَّا الرَّجُلُ
الْمُبَارَكُ فَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَّا الَّذِي مَعَهُ فَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَدْ نَفَرَا فِي ذَلِكَ إِلَى شِعَابِ مَكَّةَ لِفِرَاطِ مَا أَرْهَقَتْهُمَا قَرِيشٌ
وَلِشِدَّةِ مَا أَنْزَلَتْ بِهِمَا مِنَ الْبَلَاءِ .

وَكَمَا أَحَبَّ الْغُلَامُ الَّذِي هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَاحِبَهُ وَتَعَلَّقَ بِهِمَا فَقَدْ أُعْجِبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَاحِبَهُ بِعَبْدِ
اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَأَكْبَرَا أَمَانَتَهُ وَحَزَمَهُ وَتَوَسَّما فِيهِ الْخَيْرَ وَلَمْ يَمُضِ إِلَّا مَدَّةَ سَيْبِرَةٍ
حَتَّى أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَعَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لِيَخْدِمَهُ فَقَبِلَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَضَعَهُ فِي خِدْمَتِهِ .

وَلَزِمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ يُرَافِقُهُ
فِي حِلِّهِ وَتَرَحُّالِهِ يُوقِظُهُ إِذَا نَامَ وَيَسْتُرُهُ عِنْدَ الْغُسْلِ وَيَلْبِسُهُ نَعْلَيْهِ إِذَا أَرَادَ
الْخُرُوجَ وَيَخْلَعُهَا مِنْ قَدَمَيْهِ إِذَا أَرَادَ الدُّخُولَ وَيَحْمِلُ لَهُ عَصَاهُ وَسِوَاكَهُ وَيَلْبِغُ
الْحُجْرَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ إِذَا آوَى إِلَى حُجْرَتِهِ .

اللَّهُمَّ اهْدِنَا بِهَذَاكَ إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ وَوَقِّفْنَا لِلْقِيَامِ بِحَقِّكَ عَلَى الْوَجْهِ
الْمَطْلُوبِ يَا كَرِيمُ وَاجْعَلْنَا يَا مَوْلَانَا مِنْ أُمَّةٍ أُمَّةٍ أُمَّةٍ بِقَلْبِ سَلِيمٍ وَغُفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا

وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فَتَرَبَّى عَبْدُ اللَّهِ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاهْتَدَى بِهِدْيِهِ
وَتَخَلَّقَ بِشِمَائِلِهِ وَتَابَعَهُ فِي كُلِّ خِصْلَةٍ مِنْ خِصَالِهِ وَتَعَلَّمَ ابْنُ مَسْعُودٍ فِي مَدْرَسَةِ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ مِنْ أَقْرَأِ الصَّحَابَةِ لِلْقُرْآنِ وَأَفْقَهِهِمْ لِمَعَانِيهِ
وَمِنْ أَعْلَمِهِمْ بِشَرَعِ اللَّهِ .

وَلَا أَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ مِنْ حِكَايَةِ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي أُقْبِلَ عَلَى عُمَرَ ابْنِ
الْخَطَّابِ وَهُوَ وَافٍ بِعَرَفَةَ فَقَالَ لَهُ جِئْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْكُوفَةِ - وَتَرَكْتُ بِهَا
رَجُلًا يُمْلِي الْمَصَاحِفَ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِهِ فَغَضِبَ عُمَرُ غَضَبًا شَدِيدًا وَقَالَ مَنْ هُوَ
وَيَحْكُ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ مَسْعُودٍ فَمَا زَالَ عُمَرُ يَنْطَفِي غَضَبَهُ وَيَسْرَى عَنْهُ حَتَّى
عَادَ إِلَى حَالِهِ .

ثُمَّ قَالَ وَيَحْكُ وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَنَّهُ بَقِيَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْهُ
وَسَأَحَدْتُكَ عَنْ ذَلِكَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْمُرُ ذَاتَ لَيْلَةٍ عِنْدَ
أَبِي بَكْرٍ - أَيْ يَتَحَدَّثَانِ وَيَتَفَاوَضَانِ فِي أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ وَكَانَتْ مَعَهُمَا ثُمَّ خَرَجَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَرَجْنَا مَعَهُ فَاذَا رَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي بِالْمَسْجِدِ
لَمْ نَتَّبِعْهُ فَوَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْمَعُ إِلَيْهِ .

ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْنَا وَقَالَ مَنْ سَرَهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَطْبًا كَمَا نَزَلَ فَلْيُقْرَأْ عَلَى
قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ ثُمَّ جَلَسَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُو فَجَعَلَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَقُولُ لَهُ سَلْ تُعْطَهُ سَلْ تُعْطَهُ ، قَالَ عُمَرُ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي وَاللَّهِ لِأَغْدُونَ عَلَى
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ لِأَبَشِرْتَهُ بِتَأْمِينِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى دُعَائِهِ
فَعَدَوْتُ عَلَيْهِ فَبَشَّرْتُهُ فَوَجَدْتُ أَبَا بَكْرٍ قَدْ سَبَقَنِي إِلَيْهِ فَبَشَّرَهُ .

لَا وَاللَّهِ مَا سَابَقْتُ أَبَا بَكْرٍ إِلَى خَيْرٍ قَطُّ إِلَّا سَبَقَنِي إِلَيْهِ وَلَقَدْ بَلَغَ مِنْ عِلْمِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ بِكِتَابِ اللَّهِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ وَاللَّهِ الَّذِي لَا آلَ غَيْرُهُ مَا نَزَلَتْ آيَةٌ

مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا وَأَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ نَزَلَتْ وَأَعْلَمُ فِيمَا نَزَلَتْ وَلَوْ أَعْلَمُ أَنْ أَحَدًا أَعْلَمُ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ تَنَالَهُ الْمَطِيُّ لِأَتَيْتُهُ .

ولم يكن عبد الله بن مسعود مبالغاً فيما قاله عن نفسه فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يلقي ركباً في سفر من أسفاره والليل مخيم يحجب الركب بظلامه وكان في الركب عبد الله بن مسعود فأمر عمر رجلاً أن يناديهم من أين القوم فأجابه عبد الله بن مسعود من الفج العميق .

فقال عمر أين تريدون فقال عبد الله البيت العتيق فقال عمر إن فيهم عالماً وأمر رجلاً فناداهم أي القرآن أعظم فأجابه عبد الله بن مسعود « الله لا إله إلا هو الحي القيوم » الآية قال ناديهم أي القرآن أحكم فقال عبد الله « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى » .

فقال ناديهم أي القرآن أجمع فقال عبد الله « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » فقال عمر ناديهم أي القرآن أخوف فقال عبد الله « ليس بأمانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به » الآية .

فقال عمر ناديهم أي القرآن أرجي فقال عبد الله بن مسعود « قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم » فقال ناديهم أفيكم عبد الله بن مسعود قالوا اللهم نعم .

ولم يكن عبد الله بن مسعود قارئاً عالماً عابداً زاهداً فحسب وإنما كان مع ذلك قوياً حازماً مجاهداً مقداماً شجاعاً إذا جدَّ الجدُّ فحسبه أنه أول مسلم على ظهر الأرض جهر بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقد اجتمع يوماً أصحابُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم في مكة وكانوا قلةً مُستضعفينَ فقالوا والله ما سمعتُ قُرَيْشَ هَذَا القرآنَ يُجهرُ به قطُّ فَمَنْ رَجُلٌ مِنْكُمْ يُسمِعُهُمْ إِيَّاهُ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ أَنَا أُسْمِعُهُمْ إِيَّاهُ فَقَالُوا إنا نخشاهمُ عَلَيْكَ إِنَّمَا نُرِيدُ رَجُلًا لَهُ عَشِيرَةٌ تَحْمِيهِ وَتَمْنَعُهُ مِنْهُمْ إِذَا أَرَادُوهُ بِشَرِّ .

فقال دَعُونِي فَإِنَّ اللَّهَ سَيَمْنَعُنِي وَيَحْمِيَنِي ثُمَّ عَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ حَتَّى أَتَى مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ فِي الضُّحَى وَقُرَيْشٌ جُلُوسٌ فَوَقَفَ عِنْدَ الْمَقَامِ وَقَرَأَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ رَافِعًا صَوْتَهُ ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ .

وَمَضَى يَقْرؤُهَا فَتَأَمَّلْتَهُ قُرَيْشٌ وَقَالَتْ مَاذَا قَالَ ابْنُ أُمِّ عَبْدِ تَبَّالَهِ . . . إِنَّهُ يَتْلُو بَعْضَ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ وَقَامُوا إِلَيْهِ وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ وَجْهَهُ وَهُوَ يَقْرَأُ حَتَّى بَلَغَ مِنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَبْلُغَ .

ثم انصرفت إلى أصحابه والدم يسيل منه فقالوا له هذا الذي خشينا عليك فقال والله ما كان أعداء الله أهون في عيني منهم الآن وإن شئتم لأغاديتهم بمثلها غداً قالوا لا حسبك لقد أسمعتهم ما يكرهون .

وَمِنْ كَلَامِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَدْخُلُ عَلَى السُّلْطَانِ وَمَعَدُ دِينِهِ فَيَخْرُجُ وَلَا دِينَ مَعَهُ لِأَنَّهُ مُعْرَضٌ أَنْ يَعْصِيَ اللَّهَ تَعَالَى إِمَّا بِفِعْلِهِ وَإِمَّا بِسُكُوتِهِ وَإِمَّا بِاعْتِقَادِهِ .

وكان يقول لو أن رجلاً قام بين الركن والمقام يعبد الله تعالى سبعين سنة وهو يوجب ظالماً لبعثه الله يوم القيامة مع من يوجب وسمع رجلاً يقول اللهم إني أحب أن أكون من المقربين ولا أحب أن أكون من أصحاب

الْيَمِينِ فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ هَا هُنَا رَجُلٌ يَوَدُّ أَنَّهُ إِذَا مَاتَ لَا يَبْعَثُ يَعْنِي نَفْسَهُ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ .

وَخَرَجَ مَرَّةً مَعَهُ نَاسٌ يُشَيِّعُونَهُ فَقَالَ لَهُمْ أَلَيْسَ حَاجَةً قَالُوا لَا فَقَالَ ارْجِعُوا
فَإِنَّهُ ذَلَّ لِتَابِعٍ وَفِتْنَةٍ لِلْمَتَّبِعِ وَكَانَ يَقُولُ لَيْسَ الْعِلْمُ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ إِنَّمَا الْعِلْمُ
بِالْخَشْيَةِ .

وَكَانَ يَقُولُ ذَهَبَ صَفْوُ الدُّنْيَا وَبَقِيَ كَدْرُهَا وَالْمَوْتُ الْيَوْمَ تُحْفَةُ لِكُلِّ
مُسْلِمٍ وَمِنْ كَلَامِهِ إِنِّي لَا أَبْغِضُ الرَّجُلَ أَنْ أَرَاهُ فَارِغًا لَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْ عَمَلِ الدُّنْيَا
وَلَا عَمَلِ الْآخِرَةِ ﴿ .

مَنْ لَمْ تَأْمُرْهُ الصَّلَاةَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَهُ عَنِ الْمُنْكَرِ لَمْ يَزِدْ بِهَا مِنَ اللَّهِ إِلَّا
بُعْدًا ، إِنَّكُمْ تَرَوْنَ الْكَافِرَ مِنْ أَصْحَابِ النَّاسِ جِسْمًا وَأَمْرًا فِيهِمْ قَلْبًا وَتَلْقَوْنَ
الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّاسِ قَلْبًا وَأَمْرًا فِيهِمْ جِسْمًا وَأَيُّمُ اللَّهِ لَوْ مَرَضَتْ قُلُوبُكُمْ
وَصَحَّتْ أَبْدَانُكُمْ لَكُنْتُمْ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجُعْلَانِ .

يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَقْوَامٌ أَفْضَلُ أَعْمَالِهِمْ التَّلَاوُمُ بَيْنَهُمْ يُسَمَّوْنَ
الْأُنْتَانَ .

عَاشَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ إِلَى زَمَنِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَلَمَّا مَرَضَ
مَرَضَ الْمَوْتِ جَاءَهُ عُثْمَانُ عَائِدًا فَقَالَ لَهُ مَا تَشْتَكِي قَالَ ذُنُوبِي قَالَ فَمَا تَشْتَهِي قَالَ
رَحْمَةَ رَبِّي قَالَ أَلَا أَمْرُكَ بِعَطَائِكَ الَّذِي امْتَنَعْتَ عَنْ أَخْذِهِ مُنْذُ سِنِينَ .

فَقَالَ لَا حَاجَةَ لِي بِهِ فَقَالَ يَكُونُ لِبَنَاتِكَ مِنْ بَعْدِكَ فَقَالَ أَتَخْشَى عَلَيَّ
بَنَاتِي الْفَقْرَ إِنِّي أَمَرْتُهُنَّ أَنْ يَقْرَأْنَ كُلَّ لَيْلَةٍ سُورَةَ الْوَاقِعَةِ وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ قَرَأَ الْوَاقِعَةَ كُلَّ لَيْلَةٍ لَمْ تُصِبْهُ فَاقَةٌ أَبَدًا .
وَلَمَّا أَقْبَلَ اللَّيْلُ تَوَفَّى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلِسَانُهُ رَطْبٌ

بِذِكْرِ اللَّهِ نَدِيَّ بَيَاتِهِ مَاتَ فِي الْمَدِينَةِ وَدُفِنَ فِي الْبَقِيعِ وَصَلَّى عَلَيْهِ عُثْمَانُ وَلَهُ
ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

اللَّهُمَّ وَقَفْنَا لِسُلُوكِ سَبِيلِ أَهْلِ الطَّاعَةِ وَارْزُقْنَا الثَّبَاتَ عَلَيْهِ وَالِاسْتِقَامَةَ
وَغَافِنَا مِنْ مَوْجِبَاتِ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ وَأَمِنَا مِنْ فِرْعَانَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَاغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا : فِيمَا جَرَى عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ مِنَ الظُّلْمَةِ وَالطُّغَاةِ
وَالْمُجْرِمِينَ : جَاذَاهُمْ اللَّهُ بِمَا يَسْتَحِقُّونَ :

وَدَارَتْ عَلَى الْإِسْلَامِ أَكْبَرُ فِتْنَةٍ
وَسَلَّتْ سُيُوفُ الْبَغْيِ مِنْ كُلِّ غَادِرٍ
وَذَلَّتْ رِقَابُ مِنْ رِجَالِ أَعْرَظَةٍ
وَكَانُوا عَلَى الْإِسْلَامِ أَهْلَ تَنَاصُرٍ
وَأَضْحَى بَنُو الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ مَازِقٍ
تَزُورُهُمْ غَرْنَى السَّبَاعِ الضَّوَامِرِ
وَهَتَّكَ سِتْرٌ لِلْحَرَائِرِ جَهْرَةً
بِأَيْدِي غَوَاتٍ مِنْ بَوَادٍ وَحَاضِرِ
وَجَاءُوا مِنَ الْفَحْشَاءِ مَا لَا يَعُدُّهُ
لَيْبٌ وَلَا يُحْصِيهِ نَظْمٌ لِشَاعِرِ
وَبَاتَ الْأَيَّامِ فِي الشَّتَاءِ سَوَاغِبًا
يُبَكِّينَ أَزْوَاجًا وَخَيْرَ الْعَشَائِرِ
وَجَاءَتْ غَوَاشٍ يَشْهَدُ النَّصُّ أَنَّهَا
بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي الْغَوَاةِ الْغَوَادِرِ

وَجَرَّ زَعِيمُ الْقَوْمِ لِلتُّرْكِ دَوْلَةً
عَلَى بِلَّةِ الْإِسْلَامِ فِعْلَ الْمُكَابِرِ
وَوَازَرَهُ فِي رَأْيِهِ كُلُّ جَاهِلٍ
يَرُوحُ وَيَغْدُوْ أَيْمًا غَيْرَ شَاكِرٍ
وَأَخْرُ يُتَاعُ الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى
وَيَخْتَالُ فِي ثَوْبٍ مِنَ الْكِبْرِ وَافِرٍ
وَتَالِيَهُمْ لَا يَعْبُرُ الدَّهْرُ بِالتِّي
تَبْدُ مِنَ الْإِسْلَامِ عَزَمَ الْمَذَاكِرِ
وَلَكِنَّهُ يَهْوَى وَيَعْمَلُ لِلْهَوَى
وَيُضْبِحُ فِي بَحْرِ مِنَ الرَّيْبِ عَامِرٍ
وَقَدْ جَاءَكُمْ فِيمَا مَضَى خَيْرٌ نَاصِحٍ
إِمَامٌ هَدَى بَيْنِي رَفِيعَ الْمَفَاحِرِ
وَيُقِدُّهُمْ مِنْ قَعْرِ ظَلَمًا مُضَلَّةً
لِسَالِكِيهَا أَوْ مِنْ لَظَى وَالْمَسَاعِرِ
وَيُخْبِرُهُمْ أَنَّ السَّلَامَةَ فِي التِّي
عَلَيْهَا خِيَارُ الصَّحْبِ مِنْ كُلِّ شَاكِرِ
فَلَمَّا أَتَاهُمْ نَصْرُ ذِي الْعَرْشِ وَاحْتَوَى
أَكَابِرُهُمْ كَنْزَ اللَّهِى وَالذَّخَائِرِ
سَعَوْا جُهْدَهُمْ فِي هَدْمِ مَا قَدْ بَنَى لَهُمْ
مَسَائِلَهُمْ وَاسْتَنْصَرُوا كُلَّ دَاغِرِ

وَسَارُوا لِأَهْلِ الشُّرْكِ وَاسْتَسَلَمُوا لَهُمْ
 وَجَاؤًا بِهِمْ مِنْ كُلِّ إِفْكٍ وَسَاحِرٍ
 وَمُذْ أَرْسَلُوهَا أَرْسَلُوهَا ذَمِيمَةً
 تُهَدِّمُ مِنْ رَنَجِ الْهُدَى كُلَّ عَامِرٍ
 وَبَاؤًا مِنَ الْخُسْرَانِ بِالصَّفَقَةِ الَّتِي
 يَبُوءُ بِهَا مِنْ ذَمِيرِهِ كُلَّ خَاسِرٍ
 وَصَارَ لِأَهْلِ الرُّفْضِ وَالشُّرْكِ صَوْلَةٌ
 وَقَامَ بِهِمْ سُوقُ الرَّدَى وَالْمَنَاقِبِ
 وَعَادَ لَذِيهِمْ لِللَّوِاطِ وَلِلْخَنَا
 مَعَاهِدُ يَغْدُو نَحْوَهَا كُلُّ فَاجِرٍ
 وَشَتَّ شَمْلُ الدِّينِ وَانْبَثَ حَبْلُهُ
 وَصَارَ مُضَاعًا بَيْنَ شَرِّ الْعَسَاكِرِ
 وَأُذِنَ بِالنَّاقُوسِ وَالطُّبْلِ أَهْلُهَا
 وَلَمْ يَرْضَ بِالتَّوْجِيدِ حِزْبُ الْمَزَامِرِ
 وَأُضْبِحَ أَهْلُ الْحَقِّ بَيْنَ مُعَاقِبِ
 وَبَيْنَ طَرِيدِ فِي الْقَبَائِلِ صَائِرِ
 فَقُلْ لِلْعَوِيِّ الْمُسْتَجِيرِ بِظُلْمِهِمْ
 سَتُخَشِرُ يَوْمَ الدِّينِ بَيْنَ الْأَصَاغِرِ
 وَيُكْشَفُ لِلْمُرْتَابِ أَيُّ بَضَاعَةٍ
 أَضَاعَ وَهَلْ يَنْجُو مُجِيرٌ أَمْ عَامِرٍ
 وَيَعْلَمُ يَوْمَ الْجَمْعِ أَيُّ جَنَائِدِ
 جَنَاهَا وَمَا يَلْقَاهُ مِنْ مَكْرِ مَآكِرِ

فِيَا أُمَّةً ضَلَّتْ سَبِيلَ نَبِيِّهَا
وَأَثَارَهُ يَوْمَ اقْتِحَامِ الْكَبَائِرِ
يَعِزُّ بِكُمْ دِينَ الصَّلِيبِ وَأَهْلِهِ
وَأَنْتُمْ بِهِمْ مَا بَيْنَ رَاضٍ وَأَمْرِ
وَتُهَجِّرُ آيَاتِ الْهُدَى وَمَصَاحِفُ
وَيُحَكِّمُ بِالْقَانُونِ وَسَطَ الدَّسَائِرِ
هَوَتْ بِكُمْ نَحْوَ الْجَحِيمِ هَوَادَةٌ
وَلَذَاتُ عَيْشٍ نَاعِمٍ غَيْرِ شَاكِرِ
سَيِّدُوا لَكُمْ مِنْ مَالِكِ الْمَلِكِ غَيْرُ مَا
تَظُنُّونَهُ بَعْدَ الثَّوَى فِي الْمَقَابِرِ
يَقُولُ لَكُمْ مَاذَا فَعَلْتُمْ بِأُمَّةٍ
عَلَى نَاهِجٍ مِثْلَ النُّجُومِ الزَّوَاهِرِ
سَلَلْتُمْ سَيْوْفَ الْبَغْيِ فِيهِمْ وَعَظَلْتُمْ
مَسَاجِدَهُمْ مِنْ كُلِّ دَاعٍ وَذَاكِرِ
وَوَالَيْتُمْ أَهْلَ الْجَحِيمِ سَفَاهَةً
وَكُنْتُمْ بِدِينِ اللَّهِ أَوْلَ كَافِرِ
نَسِيتُمْ لَنَا عَهْدًا أَتَاكُمْ رَسُولُنَا
بِهِ صَارِحًا فَوْقَ الذَّرَى وَالْمَنَابِرِ
فَسَلِّ سَاكِنِ الْأَحْسَاءِ هَلْ أَنْتَ مُؤْمِنٌ
بِهَذَا وَمَا يَجْرِي صَحِيحُ الدَّفَاتِرِ
وَهَلْ نَافِعٌ لِلْمُجْرِمِينَ اعْتِدَارُهُمْ
إِذَا دَارَ يَوْمَ الْجَمْعِ سُوءُ الدَّوَابِرِ

وقال الشَّقِيُّ الْمُفْتَرِي كُنْتُ كَارِهًا
 ضَعِيفًا مُضَاعًا بَيْنَ تِلْكَ الْعَسَاكِرِ
 أَمَانِي تَلَقَّاهَا لِكُلِّ مُتَبَّرٍ
 حَقِيقَتُهَا نَبْذُ الْهُدَى وَالشَّعَائِرِ
 تَعُودُ سَرَابًا بَعْدَ مَا كَانَ لِامِعًا
 لِكُلِّ جَهُولٍ فِي الْمَهَامِ حَائِرِ
 فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تُحْضِيَ بِكُلِّ فَضِيلَةٍ
 وَتُظَهِّرَ فِي ثَوْبٍ مِنَ الْمَجْدِ بَاهِرِ
 وَتَدْنُوا مِنَ الْجِبَارِ جَلَّ جَلَالُهُ
 إِلَى غَايَةِ فَوْقِ الْعُلَى وَالْمَظَاهِرِ
 فَهَاجِرُ إِلَى رَبِّ الْبَرِيَّةِ طَالِبًا
 رِضَاهُ وَرَاغِمُ بِالْهُدَى كُلِّ جَائِرِ
 وَجَانِبِ سَبِيلِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمْ
 ذَوِي الشُّرْكِ وَالتَّعْطِيلِ مَعَ كُلِّ غَادِرِ
 وَبَادِرُ إِلَى رَفَعِ الشُّكَايَةِ ضَارِعًا
 إِلَى كَاشِفِ الْبَلْوَى عَلِيمِ السَّرَائِرِ
 وَكَابِدُ إِلَى أَنْ تَبْلُغَ النَّفْسُ عُذْرَهَا
 وَتُرْفَعَ فِي ثَوْبٍ مِنَ الْعَفْوِ سَاتِرِ
 وَلَا تَيَأْسُنْ مِنْ صُنْعِ رَبِّكَ إِنَّهُ
 مُجِيبٌ وَإِنَّ اللَّهَ أَقْرَبُ نَاصِرِ

أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يُبَدِّلُ بِلُطْفِهِ
وَيُعَقِّبُ بَعْدَ الْعُسْرِ يُسْرًا لِيَصَابِرَ
وَأَنَّ الدِّيَارَ الهَامِدَاتِ يَمُدُّهَا
بِوَبْلِ مِنَ الوَسْمِيِّ هَامٍ وَمَاطِرٍ
فَتُضْبِحُ فِي رَعْدٍ مِنَ العَيْشِ نَاعِمٍ
وَتَهْتَرُ فِي ثَوْبٍ مِنَ الحُسْنِ فَآخِرِ

اللَّهُمَّ يَا مَنْ فَتَحَ بَابَهُ لِلطَّالِبِينَ وَأَظْهَرَ غِنَاءَهُ لِلرَّاغِبِينَ أَلْهَمْنَا مَا أَلْهَمْتَ
عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ وَأَيَقُضْنَا مِنْ رَفْدَةِ الغَافِلِينَ إِنَّكَ أَكْرَمُ مُنْعِمٍ وَأَعَزُّ مُعِينٍ وَاغْفِرْ
لَنَا اللَّهُمَّ وَوَفِّقْنَا لِصَالِحِ الأَعْمَالِ ، وَنَجِّنَا مِنْ جَمِيعِ الأَهْوَالِ ، وَأَمِّنَا مِنَ الفَوَاحِشِ
الأَكْبَرِ يَوْمَ الرَّجْفِ وَالزَّلْزَلِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ، وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ
الأَخْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

قصة عبد الله بن عباس

عبدُ اللهِ بنُ عَبَّاسِ بنُ عَمِّ المُصْطَفَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
اجْتَمَعَ لَهُ رِضَى اللهِ عَنْهُ مَجْدُ الصُّحْبَةِ وَمَجْدُ القَرَابَةِ لِلرُّسُولِ صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَجْدُ العِلْمِ وَمَجْدُ التَّقِي ، فَقَدْ كَانَ صَوَّامًا بِالنَّهَارِ قَوَّامًا
بِاللَّيْلِ بَكَاءً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ حَتَّى قِيلَ إِنْ الدَّمْعَ حَفَرَ خَدَّيْهِ أَعْلَمَ الأُمَّةِ
بِكِتَابِ اللهِ وَأَفْقَهُهَا بِتَأْوِيلِهِ وَأَقْدَرُهَا عَلَى التَّفْوِذِ إِلَى أَغْوَارِهِ وَإِدْرَاكِ
مَرَامِيهِ وَأَسْرَارِهِ .

وُلِدَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَمَّا قَبْلَ الهِجْرَةِ بِثَلَاثِ سِنَوَاتٍ وَلَمَّا تُوْفِيَ رَسولُ اللهِ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ عَشْرَةَ سَنَةً فَقَطُّ وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ حَفِظَ
لِلْمُسْلِمِينَ عَنْ نَبِيِّهِمْ أَلْفًا وَسِتِّمِائَةَ وَسِتِّينَ حَدِيثًا أَثْبَتَهَا البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي
صَحِيحِهِمَا .

وَلَمَّا وَضَعَتْهُ أُمُّهُ حَمَلَتْهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَحَنَكُهُ بِرَبِيقِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ أَوَّلَ مَا دَخَلَ جَوْفَهُ رِبْقُ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُبَارَكُ الطَّاهِرُ وَعِنْدَمَا دَخَلَ سِنَّ التَّمْيِيزِ لَازِمٌ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُلَازِمَةً الْعَيْنِ لِأَخْتِهَا .

فَكَانَ يُعِدُّ لَهُ مَاءً وَضُؤْتَهُ إِذَا هَمَّ أَنْ يَتَوَضَّأَ وَيُصَلِّي خَلْفَهُ إِذَا وَقَفَ
لِلصَّلَاةِ وَيَكُونُ رَدِيقَهُ إِذَا عَزَمَ عَلَى سَفَرٍ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَحْمِلُ بَيْنَ جَنْبَيْهِ
قَلْبًا وَاعِيًا وَذَهْنًا صَافِيًا .

حَدَّثَ عَنِ نَفْسِهِ قَالَ هَمَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِالْوُضُوءِ ذَاتَ مَرَّةٍ فَمَا أَسْرَعَ أَنْ أُعِدَّتْ لَهُ الْمَاءُ فَسَرَّ بِمَا صَنَعْتُ وَلَمَّا
هَمَّ بِالصَّلَاةِ أَشَارَ إِلَيَّ أَنْ أَقِفَ بَازَائِهِ فَوَقَّفْتُ خَلْفَهُ .

فَلَمَّا انْتَهَيْتِ الصَّلَاةَ مَالَ عَلِيٌّ وَقَالَ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَكُونَ بَازَائِي يَا
عَبْدَ اللَّهِ فَقُلْتُ أَنْتَ أَجَلٌ فِي عَيْنِي وَأَعَزُّ مِنْ أَوَازِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ .
فَرَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ « اللَّهُمَّ آتِهِ الْحِكْمَةَ » وَقَدْ اسْتَجَابَ
اللَّهُ دَعْوَةَ نَبِيِّهِ فَآتَاهُ مِنَ الْحِكْمَةِ مَا فَاقَ بِهِ أَسَاطِينَ الْحُكَمَاءِ .

مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا اعْتَرَلَ بَعْضُ أَصْحَابِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ
وَخَذَلُوهُ فِي نِزَاعِهِ مَعَ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ
لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ائْذَنْ لِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ آتِيَ الْقَوْمَ وَأَكْلِمَهُمْ
فَقَالَ إِنِّي أَتَخَوَّفُ عَلَيْكَ مِنْهُمْ فَقَالَ كَلَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَرَ قَوْمًا أَشَدَّ اجْتِهَادًا مِنْهُمْ فِي الْعِبَادَةِ فَقَالُوا مَرْحَبًا
بِكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ مَا جَاءَ بِكَ فَقَالَ جِئْتُ أَحَدِيكُمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا تُحَدِّثُوهُ وَقَالَ
بَعْضُهُمْ بَلْ نَسْمَعُ مِنْكَ .

فَقَالَ أَخْبِرُونِي مَا تَنْقُمُونَ عَلَيَّ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَزَوْجِ ابْنَتِهِ وَأَوَّلِ مَنْ آمَنَ بِهِ قَالُوا نَنْقُمُ عَلَيْهِ ثَلَاثَةٌ أُمُورٍ أَوْلَاهَا أَنَّهُ حَكَّمَ
الرِّجَالَ وَثَابَنَهَا أَنَّهُ قَاتَلَ عَائِشَةَ وَمُعَاوِيَةَ وَلَمْ يَأْخُذْ غَنَائِمَ وَلَا سَبَايَا وَثَابَلَهَا أَنَّهُ مَحَا
عَنْ نَفْسِهِ لَقَبَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ قَدْ بَايَعُوهُ وَأَمَرُوهُ .

فَقَالَ أَرَأَيْتُمْ ، إِنْ أَسْمَعْتُمْكُمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَحَدَّثْتُمْكُمْ مِنْ
حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ مَا لَا تُنْكِرُونَهُ أَفْتَرَجِعُونَ عَمَّا أَنْتُمْ فِيهِ قَالُوا نَعَمْ قَالَ أَمَّا
قَوْلُكُمْ أَنَّهُ حَكَّمَ الرِّجَالَ فِي دِينِ اللَّهِ فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ
يُحْكَمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ » .

أَنْشَدُكُمْ اللَّهَ أَفْحَكُمُ الرِّجَالَ فِي حَقِّنِ دِمَائِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ
وَصَلَحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ أَحَقُّ أَمْ فِي أَرْبِ ثَمْنِهَا رُبْعِ دِرْهَمٍ فَقَالُوا بَلْ فِي
حَقِّنِ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَصَلَحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ فَقَالَ أَخْرَجْنَا مِنْ هَذِهِ قَالُوا
اللَّهُمَّ نَعَمْ .

قَالَ وَأَمَّا قَوْلُكُمْ إِنَّ عَلِيًّا قَاتَلَ وَلَمْ يَسْب - أَيُّ لَمْ يَأْخُذْ سَبَايَا كَمَا
سَبَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفَكُنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْبُوا أُمَّكُمْ
عَائِشَةَ كَمَا تُسْتَحَلُّ السَّبَايَا فَإِنْ قُلْتُمْ نَعَمْ كَفَرْتُمْ وَإِنْ قُلْتُمْ إِنَّهَا لَيْسَتْ
بِأُمَّكُمْ كَفَرْتُمْ أَيْضًا فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ « النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ
أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ » فَاخْتَارُوا لِأَنْفُسِكُمْ مَا شِئْتُمْ ثُمَّ قَالَ أَخْرَجْنَا مِنْ هَذِهِ
قَالُوا اللَّهُمَّ نَعَمْ .

قَالَ وَأَمَّا قَوْلُكُمْ إِنَّ عَلِيًّا مَحَا عَنْ نَفْسِهِ لَقَبَ امْرَأَةِ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِئِنَ طَلَبَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ
الْحُدَيْبِيَّةِ أَنْ يَكْتُبُوا فِي الصُّلْحِ الَّذِي عَقَدَهُ مَعَهُمْ هَذَا مَا قَاضَى

عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، قَالُوا لَوْ كُنَّا نُؤْمِنُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ
عَنِ الْبَيْتِ وَلَا قَاتَلْنَاكَ وَلَكِنْ أَكْتُبُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَتَنَزَّلْ عِنْدَ
طَلَبِهِمْ وَهُوَ يَقُولُ وَاللَّهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي فَهَلْ خَرَجْنَا
مِنْ هَذِهِ فَقَالُوا اللَّهُمَّ نَعَمْ .

وَكَانَ مِنْ ثَمَرَةِ هَذَا اللَّقَاءِ وَمَا وَفَّقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ مِنْ
حِكْمَةٍ وَحُجَّةٍ أَنْ عَادَ مِنْهُمْ عِشْرُونَ أَلْفًا إِلَى صُفُوفِ عَلِيٍّ وَأَصْرًا أَرْبَعَةَ
آلَافٍ عَلَى خُصُومَتِهِمْ لِعَلِيٍّ ، وَلَمَّا لَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ بِجَوَارِ رَبِّهِ اتَّجَعَتْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ إِلَى الْبَقِيَّةِ الْبَاقِيَّةِ مِنْ عُلَمَاءِ
الصَّحَابَةِ يَأْخُذُ عَنْهُمْ الْعِلْمَ وَيَتَلَقَّى عَنْهُمْ .

وَحَدَّثَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ نَفْسِهِ فَقَالَ كَانَ إِذَا بَلَغَنِي الْحَدِيثَ عِنْدَ
رَجُلٍ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَيْتُ بَابَ بَيْتِهِ فِي
وَقْتٍ قِيلَوْلَتِهِ وَتَوَسَّدْتُ رِذَائِي عِنْدَ عَتَبَةِ دَارِهِ فَتَسْفِي عَلَيَّ الرِّيحُ مِنَ
التُّرَابِ مَا تَسْفِي وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَسْتَأْذِنَ عَلَيْهِ لِأَذِنَ لِي .

وَإِنَّمَا كُنْتُ أَفْعَلُ ذَلِكَ لِأَطِيبَ نَفْسَهُ فَإِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ رَأَيْتُ عَلَيَّ
هَذِهِ الْحَالِ وَقَالَ يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا جَاءَ بِكَ
هَلَّا أُرْسَلْتُ إِلَيْكَ فَاتِيكَ فَأَقُولُ أَنَا أَحَقُّ بِالْمَجِيءِ إِلَيْكَ فَالْعِلْمُ يُوْتِي وَلَا
يَأْتِي ثُمَّ أَسْأَلُهُ عَنِ الْحَدِيثِ .

وَكَمَا كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يُدِلُّ نَفْسَهُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَقَدْ كَانَ يُعَلِّي
مِنْ قَدْرِ الْعُلَمَاءِ فَهَذَا هُوَ ذَا زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ كَاتِبُ الْوَجْهِ وَرَأْسُ أَهْلِ
الْمَدِينَةِ فِي الْقَضَاءِ وَالْفِقْهِ وَالْقِرَاءَةِ وَالْفَرَائِضِ يَهُمُّ بِرُكُوبِ دَابَّتِهِ فَيَقِفُ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيُمْسِكُ لَهُ رِكَابَهُ وَيَأْخُذُ بِرِمَامِ دَابَّتِهِ ، فَقَالَ
زَيْدُ دَعْ عَنْكَ يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ ابْنُ
عَبَّاسٍ هَكَذَا أَمَرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بِعُلَمَائِنَا .

اللَّهُمَّ يَا عَالِمَ الْخَفِيَّاتِ وَيَا سَامِعَ الْأَصْوَاتِ وَيَا بَاعِثَ الْأَمْوَاتِ وَيَا مُجِيبَ
الدَّعَوَاتِ وَيَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ يَا خَالِقَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ أَنْتَ اللَّهُ الْأَحَدُ
الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ الْوَهَّابُ الَّذِي لَا يَبْخُلُ
وَالْحَلِيمُ الَّذِي لَا يَعْجَلُ لَا رَادَّ لَأَمْرِكَ وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِكَ نَسَأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ
ذُنُوبَنَا وَتُنَوِّرَ قُلُوبَنَا وَتُثَبِّتَ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَتُسَكِّنَنَا دَارَ كَرَامَتِكَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل) وَقَدْ اجْتَهَدَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي طَلْبِ الْعِلْمِ حَتَّى بَلَغَ فِيهِ مَبْلَغًا وَأَدْمَشَ
الْفُحُولَ فَقَالَ فِيهِ مَسْرُوقٌ بْنُ الْأَجْدَعِ أَحَدُ التَّابِعِينَ كُنْتُ إِذَا رَأَيْتُ ابْنَ
عَبَّاسٍ قُلْتُ أَجْمَلُ النَّاسِ فَإِذَا نَطَقَ قُلْتُ أَفْصَحُ النَّاسِ فَإِذَا تَحَدَّثَ قُلْتُ
أَعْلَمُ النَّاسِ .

وَلَمْ يَكُنْ ابْنُ عَبَّاسٍ مِنَ الَّذِينَ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ وَيَنْهَوْنَ وَلَا
يَنْتَهُونَ وَإِنَّمَا كَانَ صَوَّامًا بِالنَّهَارِ قَوَّامًا بِاللَّيْلِ .

أَخْبَرَ عَنْهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُلَيْكَةَ قَالَ صَحِبْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَكُنَّا إِذَا نَزَلْنَا مَنْزِلًا قَامَ شَطْرَ
اللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامُ مِنْ شِدَّةِ التَّعَبِ وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ يَقْرَأُ « وَجَاءَتْ
سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتُ مِنْهُ نَجِيدًا » فَظَلَّ يُكْرَرُهَا وَيَتَشَجُّعُ
حَتَّى طَلَعَ عَلَيْهِ الْفَجْرُ .

وَحَسْبُنَا بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ كَانَ مِنْ
أَجْمَلِ النَّاسِ وَجَهًا فَمَا زَالَ يَبْكِي فِي جَوْفِ اللَّيْلِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى
أُحْدِثَ الدَّمْعُ عَلَى خَدَيْهِ مَجْرِيَيْنِ شَبَّهُهُمَا بَعْضُهُمْ بِشِرَاكِي النَّعْلِ .
وَقَدْ بَلَغَ ابْنُ عَبَّاسٍ مِنْ مَجْدِ الْعِلْمِ غَايَتَهُ ذَلِكَ أَنَّ مُعَاوِيَةَ ابْنَ أَبِي
سُفْيَانَ خَرَجَ ذَاتَ سَنَةٍ حَاجًا وَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ حَاجًا أَيْضًا وَلَمْ
يَكُنْ لَهُ صَوْلَةٌ وَلَا أَمَارَةٌ فَكَانَ لِمُعَاوِيَةَ مَوْكِبٌ مِنْ رِجَالِ دَوْلَتِهِ وَكَانَ لِعَبْدِ
اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ مَوْكِبٌ مِنْ طَلَبَةِ الْعِلْمِ يَفُوقُ مَوْكِبَ مُعَاوِيَةَ .

رَوَى بَعْضُ أَصْحَابِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ لَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مَجْلِسًا لَوْ أَنَّ جَمِيعَ قَرَيْشٍ افْتَخَرَتْ بِهِ لَكَانَ لَهَا مَفْخَرَةٌ فَلَقَدْ رَأَيْتُ النَّاسَ اجْتَمَعُوا فِي الطَّرِيقِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى بَيْتِهِ حَتَّى ضَاقَتْ بِهِمْ وَسَدُّوَهَا فِي وُجُوهِ النَّاسِ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَأَخْبَرْتُهُ بِاِحْتِشَادِ النَّاسِ عَلَى بَابِهِ .

فَقَالَ ضَعْ لِي وُضُوءًا فَتَوَضَّأَ وَجَلَسَ وَقَالَ أَخْرُجْ وَقُلْ لَهُمْ مَنْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْقُرْآنِ وَحُرُوفِهِ فَلْيَدْخُلْ فَخَرَجْتُ فَقُلْتُ لَهُمْ فَدَخَلُوا حَتَّى مَلَأُوا الْبَيْتَ وَالْحُجْرَةَ فَمَا سَأَلُوا عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرَهُمْ بِهِ وَزَادَهُمْ مِثْلَ مَا سَأَلُوا عَنْهُ وَأَكْثَرَ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ افْسَحُوا الطَّرِيقَ لِإِخْوَانِكُمْ فَخَرَجُوا .

ثُمَّ قَالَ أَخْرُجْ فَقُلْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَتَأْوِيلِهِ فَلْيَدْخُلْ فَخَرَجْتُ فَقُلْتُ لَهُمْ فَدَخَلُوا حَتَّى مَلَأُوا الْبَيْتَ وَالْحُجْرَةَ فَمَا سَأَلُوهُ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرَهُمْ بِهِ وَزَادَهُمْ مِثْلَ مَا سَأَلُوا عَنْهُ وَأَكْثَرَ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ افْسَحُوا الطَّرِيقَ لِإِخْوَانِكُمْ فَخَرَجُوا .

ثُمَّ قَالَ لِي أَخْرُجْ فَقُلْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالْفِقْهِ فَلْيَدْخُلْ فَخَرَجْتُ فَقُلْتُ لَهُمْ فَدَخَلُوا حَتَّى مَلَأُوا الْبَيْتَ وَالْحُجْرَةَ فَمَا سَأَلُوهُ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرَهُمْ بِهِ وَزَادَهُمْ مِثْلَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ افْسَحُوا الطَّرِيقَ لِإِخْوَانِكُمْ فَخَرَجُوا .

ثُمَّ قَالَ أَخْرُجْ فَقُلْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْفَرَائِضِ وَمَا أَشْبَهَهَا فَلْيَدْخُلْ فَخَرَجْتُ فَقُلْتُ لَهُمْ فَدَخَلُوا حَتَّى مَلَأُوا الْبَيْتَ وَالْحُجْرَةَ فَمَا سَأَلُوهُ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرَهُمْ بِهِ وَزَادَهُمْ مِثْلَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ افْسَحُوا الطَّرِيقَ لِإِخْوَانِكُمْ فَخَرَجُوا .

ثُمَّ قَالَ أَخْرَجَ فَقُلَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْعَرَبِيَّةِ وَالشَّعْرِ وَغَرِيبِ
كَلَامِ الْعَرَبِ فَلْيَدْخُلْ فَدَخَلُوا حَتَّى مَلَأُوا الْبَيْتَ وَالْحُجْرَةَ فَمَا سَأَلُوهُ عَنْ
شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرَهُمْ بِهِ وَزَادَهُمْ مِثْلَهُ قَالَ رَاوِي الْخَبَرِ فَلَوْ أَنَّ قُرَيْشًا
كُلَّهَا فَخَرَتْ بِذَلِكَ لَكَانَ ذَلِكَ لَهَا فَخْرًا .

وكان ابن عباس رأى أن يُوزَّعَ العُلُومُ عَلَى الأَيَّامِ حَتَّى لَا يَخْدُثَ
عَلَى بَابِهِ مِثْلُ ذَلِكَ الرَّحَامِ فَصَارَ يَجْلِسُ فِي الأَسْبُوعِ يَوْمًا لَا يَذْكَرُ فِيهِ إِلَّا التَّفْسِيرَ
ويَوْمًا لَا يَذْكَرُ فِيهِ إِلَّا الفِيقَةَ ويَوْمًا لَا يَذْكَرُ فِيهِ إِلَّا المَعَازِي وَيَوْمًا لَا يَذْكَرُ فِيهِ إِلَّا
أَيَّامَ الْعَرَبِ .

وَقَدْ عَدَا ابْنُ عَبَّاسٍ بِفَضْلِ مَا وَهَبَهُ اللَّهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْفِيقَةِ مُسْتَشَارًا
لِلْخِلَافَةِ الرَّاشِدَةِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ حَدَاثَةِ سِنِهِ فَكَانَ إِذَا عَرَضَ لِعُمَرَ بْنِ
الْخَطَّابِ أَمْرٌ وَوَأَجَهَتْهُ مُعْضَلَةٌ دَعَا جِلَّةَ الصَّحَابَةِ وَدَعَا مَعَهُمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ
عَبَّاسٍ فَإِذَا حَضَرَ رَفَعَ مَنزِلَتَهُ وَأَدْنَى مَجْلِسَهُ وَقَالَ لَهُ لَقَدْ أَعْضَلَ عَلَيْنَا
أَمْرٌ أَنْتَ لَهُ وَالْأَمْثَالِ .

وَقَدْ عُوْتِبَ عُمَرُ مَرَّةً فِي تَقْدِيمِهِ لِابْنِ عَبَّاسٍ وَجَعَلِهِ مَعَ الشُّيُوخِ
وَهُوَ مَا زَالَ فَتَى فَقَالَ إِنَّهُ فَتَى الْكُهُولِ لَهُ لِسَانٌ وَقَلْبٌ عَقُولُ أ هـ .

قال ابن عباس رضي الله عنهما فأذن لهم يوماً وأذن لي معهم
فسألهم عن هذه السورة ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ فقالوا أمر الله
نبيه صلى الله عليه وسلم إذ فتح الله عليه أن يستغفر وأن يتوب إليه .

فَقَالَ مَا تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ فَقُلْتُ لَيْسَ كَذَلِكَ وَلَكِنَّهُ أَخْبَرَ نَبِيَّهُ
بِحُضُورِ أَجَلِهِ فَقَالَ ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ فَتَحُ مَكَّةَ وَرَأَيْتَ النَّاسَ

يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا أَيَّ فَعِنْدَ ذَلِكَ عَلَامَةٌ مَوْتِكَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا .

فَقَالَ لَهُمْ كَيْفَ تَلُومُونَنِي عَلَيْهِ بَعْدَ مَا تَرَوْنَهُ وَقِيلَ لِابْنِ عَبَّاسٍ أَنِّي أَصَبْتُ هَذَا الْعِلْمَ قَالَ بِلِسَانِ سَوْوَلٍ وَقَلْبِ عَقُولٍ وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ نَعَمْ تَرْجُمَانُ الْقُرْآنِ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَالَ مُجَاهِدٌ كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يُسَمَّى الْبَحْرَ لِكَثْرَةِ عِلْمِهِ .

عَلَى أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ حِينَ انْصَرَفَ إِلَى الْخَاصَّةِ لِيُعَلِّمَهُمْ وَيُفَقِّهَهُمْ لَمْ يَتَسَّرَ حَقُّ الْعَامَّةِ فَكَانَ يَعْقِدُ لَهُمْ مَجَالِسَ الْوَعظِ وَالْإِرْشَادِ وَالتَّدْكِيرِ . فَمِنْ مَوَاعِظِهِ قَوْلُهُ مُخَاطِبًا أَصْحَابَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي : يَا صَاحِبَ الذَّنْبِ لَا تَأْمَنْ عَاقِبَةَ ذَنْبِكَ وَأَعْلَمْ أَنَّ مَا يَتَّبِعُ الذَّنْبَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ نَفْسِهِ فَإِنَّ عَدَمَ اسْتِحْيَاثِكَ مِمَّنْ عَلَى يَمِينِكَ وَعَلَى شِمَالِكَ وَأَنْتَ تَقْتَرِفُ الذَّنْبَ لَا يَقِلُّ عَنِ الذَّنْبِ .

وَإِنَّ ضِحْكَكَ عِنْدَ الذَّنْبِ وَأَنْتَ لَا تَدْرِي مَا اللَّهُ صَانِعٌ بِكَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ وَإِنَّ حُزْنَكَ عَلَى الذَّنْبِ إِذَا فَاتَكَ ، أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ وَإِنَّ خَوْفَكَ مِنَ الرِّيحِ إِذَا حَرَّكَتْ سِتْرَكَ وَأَنْتَ تَرْتَكِبُ الذَّنْبَ مَعَ كَوْنِكَ لَا يَضْطَرُّ فُوَادُكَ مِنْ نَظَرِ اللَّهِ إِلَيْكَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ .

يَا صَاحِبَ الذَّنْبِ مَا كَانَ ذَنْبُ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَاِبْتِلَاءَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِجَسَدِهِ وَمَالِهِ إِنَّمَا كَانَ ذَنْبُهُ أَنَّهُ اسْتَعَانَ بِهِ مِسْكِينٌ لِيُدْفَعَ عَنْهُ الظُّلْمَ فَلَمْ يُعْنَهُ .

وَكَانَ يَقُولُ أَعُولُ أَهْلَ بَيْتِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ شَهْرًا أَوْ جَمْعَةً أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حَجَّةٍ بَعْدَ حَجَّةٍ وَلَطَبِقُ بِدَانِقِ أَهْدِيَةِ إِلَى أَخِي لِي فِي اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ دِينَارٍ أَنْفَقُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

وكان يَقُولُ آخِرُ شِدَّةٍ يَلْقَاهَا الْمُؤْمِنُ الْمَوْتَ وَيَقُولُ خُذِ الْحِكْمَةَ
مِمَّنْ سَمِعْتَ فَإِنَّ الرَّجُلَ يَتَكَلَّمُ بِالْحِكْمَةِ وَلَيْسَ بِحَكِيمٍ فَتَكُونُ كَالرَّمِيَّةِ
خَرَجَتْ مِنْ غَيْرِ رَامِي ، عُمَرُ بْنُ عَبَّاسٍ أَحَدَى وَسَبْعِينَ سَنَةً مَلَأَ فِيهَا
الدُّنْيَا عِلْمًا وَفَهْمًا وَحِكْمَةً وَزَهْدًا وَتَقَى .

وَلَمَّا سَقَطَ فِي عَيْنَيْهِ الْمَاءُ وَذَهَبَ بَصَرُهُ قِيلَ لَهُ خَلِّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ
عَيْنَيْكَ نُسِيلُ مَاءُهُمَا وَلَكِنَّكَ تُمْسِكُ خَمْسَةَ أَيَّامٍ لَا تَسْجُدُ فَقَالَ لَا وَاللَّهِ
وَلَا رَكْعَةً وَاحِدَةً إِنِّي حَدَّثْتُ أَنَّهُ مَنْ تَرَكَ صَلَاةً وَاحِدَةً مُتَعَمِّدًا لَقِيَ اللَّهَ
وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ .

قَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ شَهِدْتُ جَنَازَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ بِالطَّائِفِ
فَلَمَّا وُضِعَ لِيُصَلَّى عَلَيْهِ جَاءَ طَائِرٌ أَبْيَضٌ حَتَّى دَخَلَ فِي أَكْفَانِهِ فَالْتَمَسَ
فَلَمْ يُوَجَدْ فَلَمَّا سُويَ عَلَيْهِ الرَّأْبُ سَمِعْنَا صَوْتًا وَلَا نَرَى شَخْصًا « يَا أَيُّهَا
النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي
جَنَّتِي » أَهْ بِتَصْرِفِ بَزِيَادَةِ وَنَقْصِ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

قِصَّةُ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ

قَالَ سَلْمَانُ كُنْتُ رَجُلًا فَارِسِيًّا مِنْ أَهْلِ أَصْبَهَانَ مِنْ قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا
جَيَّانٍ وَكَانَ أَبِي دَهْقَانَ الْقَرْيَةِ وَأَعْنَى أَهْلِهَا وَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةٌ وَكُنْتُ أَحَبُّ
خَلْقِ اللَّهِ إِلَيْهِ مُنْذُ وُلِدْتُ ثُمَّ مَا زَالَ حُبُّهُ لِي يَشْتَدُّ وَيَزْدَادُ حَتَّى حَبَسَنِي
فِي الْبَيْتِ خَشِيَّةً عَلَيَّ كَمَا تُحْبَسُ الْفَتَيَاتُ .

قَالَ سَلْمَانُ وَقَدْ اجْتَهَدْتُ فِي الْمَجُوسِيَّةِ حَتَّى عَدَوْتُ قِيمَ النَّارِ الَّتِي
كُنَّا نَعْبُدُهَا قَالَ سَلْمَانُ وَأَنْبِطْ بِي أَمْرٌ إِضْرَامُهَا حَتَّى لَا تَخْبُو سَاعَةً فِي

لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ وَكَانَ لِأَبِي ضَيْعَةٌ عَظِيمَةٌ - الْأَرْضُ الْمُغِيلَةُ - تُدْرُ عَلَيْنَا غَلَّةٌ
كَبِيرَةٌ وَكَانَ أَبِي يَقُومُ عَلَيْهَا وَيَجْنِي غَلَّتَهَا .

وَفِي ذَاتِ مَرَّةٍ شَغَلَهُ عَنِ الذَّهَابِ إِلَى الْقَرْيَةِ شَاغِلٌ فَقَالَ يَا بُنَيَّ
إِنِّي قَدْ شَغِلْتُكَ عَنِ الضَّيْعَةِ بِمَا تَرَى فَأَذْهَبْ إِلَيْهَا وَتَوَلَّى الْيَوْمَ عَنِّي شَأْنَهَا
فَخَرَجْتُ أَقْصِدُ ضَيْعَتَنَا .

وَبَيْنَمَا أَنَا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ مَرَرْتُ بِكَنِيسَةٍ مِنْ كَنَائِسِ النَّصَارَى
فَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ فِيهَا وَهُمْ يُصَلُّونَ فَلَقْتُ ذَلِكَ انْتِبَاهِي وَذَلِكَ أَنِّي لَمْ
أَكُنْ أَعْرِفُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ النَّصَارَى وَلَا أَمْرٍ غَيْرِهِمْ مِنْ أَصْحَابِ الْأَدْيَانِ
لِطَوْلِ مَا حَجَبَنِي أَبِي عَنِ النَّاسِ فِي بَيْتِنَا .

فَلَمَّا سَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ لِأَنْظُرَ مَا يَصْنَعُونَ فَلَمَّا تَأَمَّلْتُهُمْ
أَعْجَبْتَنِي صَلَاتَهُمْ وَرَغَبْتُ فِي دِينِهِمْ وَقُلْتُ وَاللَّهِ هَذَا خَيْرٌ مِنَ الَّذِي
نَحْنُ عَلَيْهِ فَوَاللَّهِ مَا تَرَكْتُهُمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ وَلَمْ أَذْهَبْ إِلَى ضَيْعَةِ
أَبِي ثُمَّ سَأَلْتُهُمْ أَيْنَ أَصْلُ هَذَا الدِّينِ قَالُوا فِي بِلَادِ الشَّامِ .

وَلَمَّا أَقْبَلَ اللَّيْلُ عُدْتُ إِلَى بَيْتِنَا فَتَلَقَانِي أَبِي يَسْأَلُنِي عَمَّا صَنَعْتُ
فَقُلْتُ يَا أَبَتِ إِنِّي مَرَرْتُ بِأَنَاسٍ يُصَلُّونَ فِي كَنِيسَةٍ فَأَعْجَبَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ
دِينِهِمْ وَمَا زِلْتُ عِنْدَهُمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ فَذَعَرَ أَبِي مِمَّا صَنَعْتُ .

وَقَالَ أَيُّ بُنَيَّ لَيْسَ فِي ذَلِكَ الدِّينِ خَيْرٌ دِينِكَ وَدِينُ آبَائِكَ خَيْرٌ مِنْهُ
قُلْتُ كَلًّا - وَاللَّهِ - إِنَّ دِينَهُمْ لَخَيْرٌ مِنْ دِينِنَا فَخَافَ أَبِي مِمَّا أَقُولُ وَخَشِيَ
أَنْ أَرْتَدَّ عَنِ دِينِي وَحَبَسَنِي بِالْبَيْتِ وَوَضَعَ قَيْدًا فِي رِجْلِي .

وَلَمَّا أُتِيحَتْ لِي الْفُرْصَةُ بَعَثْتُ إِلَى النَّصَارَى أَقُولُ لَهُمْ إِذَا قَدِمَ
عَلَيْكُمْ رَكْبٌ يُرِيدُ الذَّهَابَ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ فَأَعْلِمُونِي فَمَا هُوَ إِلَّا قَلِيلٌ

حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِمْ رَكْبٌ مُتَّجِهَةٌ إِلَى الشَّامِ فَأَخْبَرُونِي بِهِ فَاخْتَلْتُ عَلَى قَيْدِي حَتَّى حَلَلْتُهُ وَخَرَجْتُ مَعَهُمْ مُتَّخِفِيًا حَتَّى بَلَّغْنَا بِلَادَ الشَّامِ .

فَلَمَّا نَزَلْنَا فِيهَا قُلْتُ مَنْ أَفْضَلُ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ هَذَا الدِّينِ قَالُوا الْأَسْقَفُ - مَرْتَبَةٌ فَوْقَ الْقَيْسِ عِنْدَ النَّصَارَى - رَاعِي الكَنِيسَةِ فَجِئْتُهُ فَقُلْتُ إِنِّي رَغِبْتُ فِي النَّصْرَانِيَّةِ وَأَحْبَبْتُ أَنْ أَلْزَمَكَ وَأُحْدِمَكَ وَأَتَعَلَّمَ مِنْكَ وَأَصْلِي مَعَكَ فَقَالَ أُدْخِلْ فَدَخَلْتُ عِنْدَهُ وَجَعَلْتُ أُحْدِمُهُ .

ثُمَّ مَا لَبِثْتُ أَنْ عَرَفْتُ أَنَّ الرَّجُلَ رَجُلٌ سُوءٍ فَقَدْ كَانَ يَأْمُرُ أَتْبَاعَهُ بِالصَّدَقَةِ وَيُرْغِبُهُمْ بِثَوَابِهَا إِذَا أَعْطَوْهُ مِنْهَا شَيْئًا لِيُنْفِقَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ اِكْتَنَزَهُ لِنَفْسِهِ وَلَمْ يُعْطِ الْفُقَرَاءَ وَالْمَسَاكِينَ مِنْهُ شَيْئًا حَتَّى جَمَعَ سَبْعَ قِلَالٍ مِنْ ذَهَبٍ فَأَبْغَضْتُهُ بَغْضًا شَدِيدًا لِمَا رَأَيْتُهُ مِنْهُ .

ثُمَّ مَا لَبِثْتُ أَنْ مَاتَ فَاجْتَمَعَتِ النَّصَارَى لِذَنْبِهِ فَقُلْتُ لَهُمْ إِنَّ صَاحِبَكُمْ كَانَ رَجُلٌ سُوءٍ يَأْمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرْغِبُكُمْ فِيهَا إِذَا جِئْتُمُوهُ بِهَا اِكْتَنَزَهَا لِنَفْسِهِ وَلَمْ يُعْطِ الْمَسَاكِينَ مِنْهَا شَيْئًا قَالُوا مِنْ أَيْنَ عَرَفْتَ ذَلِكَ قُلْتُ أَنَا أَذْلُكُمْ عَلَى كَنْزِهِ .

قَالُوا نَعَمْ دُلْنَا عَلَيْهِ فَأَرَيْتُهُمْ مَوْضِعَهُ فَاسْتَخْرَجُوا مِنْهُ سَبْعَ قِلَالٍ مَمْلُوءَةٌ ذَهَبًا وَفِضَّةً فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا وَاللَّهِ لَا نَذْفُهُ ثُمَّ صَلَّبُوهُ وَرَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ ثُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَمُضْ غَيْرُ قَلِيلٍ حَتَّى نَصَبُوا رَجُلًا آخَرَ مَكَانَهُ فَلَزِمْتُهُ فَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَزْهَدَ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا وَلَا أَرْغَبَ مِنْهُ فِي الْآخِرَةِ وَلَا أَذَابَ مِنْهُ عَلَى الْعِبَادَةِ لَيْلًا وَنَهَارًا فَأَحْبَبْتُهُ حُبًّا جَمًّا وَأَقَمْتُ مَعَهُ زَمَانًا .

فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قُلْتُ يَا فُلَانُ إِلَى مَنْ تُوصِي بِي وَمَعَ مَنْ تَنْصَحُنِي أَنْ أَكُونَ مِنْ بَعْدِكَ فَقَالَ أَيُّ بُنْيٍ لَا أَعْلَمُ أَحَدًا عَلَى مَا كُنْتُ

عَلَيْهِ إِلَّا رَجُلًا بِالْمَوْصِلِ هُوَ فُلَانٌ لَمْ يُحَرِّفْ وَلَمْ يُبَدِّلْ فَالْحَقُّ بِهِ فَلَمَّا مَاتَ صَاحِبِي لَحِقْتُ فِي الْمَوْصِلِ فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَيْهِ قَصَصْتُ عَلَيْهِ خَبْرِي وَقُلْتُ لَهُ إِنَّ فُلَانًا أَوْصَانِي عِنْدَ مَوْتِهِ أَنَّ الْحَقَّ بِكَ وَأَخْبَرَنِي أَنَّكَ مُتَمَسِّكٌ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ فَقَالَ أَقِمِ عِنْدِي فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ فَوَجَدْتُهُ عَلَى خَيْرِ حَالٍ .

ثُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قُلْتُ لَهُ يَا فُلَانُ لَقَدْ جَاءَكَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا تَرَى وَأَنْتَ تَعْلَمُ مِنْ أَمْرِي مَا تَعْلَمُ فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي وَمَنْ تَأْمُرُنِي بِاللِّحَاقِ بِهِ فَقَالَ أَيُّ بَنِيِّ وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَنَّ رَجُلًا عَلَى مِثْلِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ إِلَّا رَجُلًا بِنَصِيبَيْنِ وَهُوَ فُلَانٌ فَالْحَقُّ بِهِ فَلَمَّا غِيبَ الرَّجُلُ فِي لِحْدِهِ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ نَصِيبَيْنِ وَأَخْبَرْتُهُ خَبْرِي وَمَا أَمَرَنِي بِهِ صَاحِبِي فَقَالَ لِي أَقِمِ عِنْدَنَا فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ فَوَجَدْتُهُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ صَاحِبَاهُ مِنْ الْخَيْرِ .

فَوَاللَّهِ مَا لَبِثَ أَنْ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ فَلَمَّا أَنْ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قُلْتُ لَهُ لَقَدْ عَرَفْتُ مِنْ أَمْرِي مَا عَرَفْتُ فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي فَقَالَ أَيُّ بَنِيِّ وَاللَّهِ إِنِّي مَا أَعْلَمُ أَحَدًا بَقِيَ عَلَى أَمْرِنَا إِلَّا رَجُلًا بَعْمُورِيَّةَ هُوَ فُلَانٌ فَالْحَقُّ بِهِ فَلَحِقْتُ بِهِ وَأَخْبَرْتُهُ خَبْرِي فَقَالَ أَقِمِ عِنْدِي فَأَقَمْتُ عِنْدَ رَجُلٍ كَانَ - وَاللَّهِ - عَلَى هَدْيِ أَصْحَابِهِ وَقَدْ اكَتَسَبْتُ وَأَنَا عِنْدَهُ بَقَرَاتٍ وَغَنِيمَةً .

ثُمَّ مَا لَبِثَ أَنْ نَزَلَ بِهِ مَا نَزَلَ بِأَصْحَابِهِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قُلْتُ لَهُ إِنَّكَ تَعْلَمُ مِنْ أَمْرِي مَا تَعْلَمُ فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي وَمَا تَأْمُرُنِي أَنْ أَفْعَلَ فَقَالَ يَا بَنِيِّ : وَاللَّهِ - مَا أَعْلَمُ أَنْ هُنَاكَ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَقِيَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ مُسْتَمْسِكًا بِمَا كُنَّا عَلَيْهِ وَلَكِنَّهُ قَدْ أَظْلَلَ زَمَانٌ يَخْرُجُ فِيهِ بِأَرْضِ الْعَرَبِ نَبِيٌّ يُبْعَثُ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ ثُمَّ يُهَاجِرُ مِنْ أَرْضِهِ إِلَى أَرْضِ

ذَاتِ نَخْلٍ بَيْنَ حَرَّتَيْنِ وَلَهُ عِلَامَاتٌ لَا تُخْفَى فَهُوَ يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ وَلَا يَأْكُلُ
الصَّدَقَةَ وَبَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلْحَقَ بِتِلْكَ الْبِلَادِ
فَأَفْعَلْ .

ثُمَّ وَافَاهُ الْأَجَلُ فَمَكَثَتْ بَعْدَهُ بِعُمُورِيَّةَ زَمَانًا إِلَى أَنْ مَرَّ بِبِي نَفَرٌ مِنْ
تُجَّارِ الْعَرَبِ مِنْ قَبِيلَةِ كَلْبٍ فَقُلْتُ لَهُمْ أَنْ حَمَلْتُمُونِي مَعَكُمْ إِلَى أَرْضِ
الْعَرَبِ أَعْطَيْتُكُمْ بَقْرَاتِي هَذِهِ وَعُنَيْمَتِي فَقَالُوا نَعَمْ نَحْمِلُكَ فَأَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا
وَحَمَلُونِي مَعَهُمْ حَتَّى إِذَا بَلَّغْنَا وَادِي الْقُرَى غَدَرُوا بِي وَبَاعُونِي لِرَجُلٍ
مِنَ الْيَهُودِ فَالتَّحَقَّتْ بِخِدْمَتِهِ .

ثُمَّ مَا لَبِثَ أَنْ زَارَهُ ابْنُ عَمِّ لَهُ مِنْ بَنِي قُرَيْضَةَ فَاشْتَرَانِي مِنْهُ وَنَقَلْنِي
مَعَهُ إِلَى يَثْرِبَ فَرَأَيْتُ النَّخْلَ الَّذِي ذَكَرَهُ لِي صَاحِبِي بِعُمُورِيَّةَ وَعَرَفْتُ
الْمَدِينَةَ بِالْوَصْفِ الَّذِي نَعَتَهَا بِهِ فَأَقَمْتُ بِهَا مَعَهُ وَكَانَ النَّبِيُّ حِينَئِذٍ يَدْعُو
قَوْمَهُ بِمَكَّةَ لَكِنِّي لَمْ أَسْمَعْ لَهُ بِذِكْرِ لِانْشِغَالِي بِمَا يُوجِبُهُ عَلَيَّ الرِّقُّ .

ثُمَّ مَا لَبِثَ أَنْ هَاجَرَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَثْرِبَ فَوَاللَّهِ
إِنِّي لَفِي رَأْسِ نَخْلَةٍ لِسَيِّدِي أَعْمَلُ فِيهَا بَعْضَ الْعَمَلِ وَسَيِّدِي جَالِسٌ
تَحْتَهَا إِذْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ ابْنُ عَمِّ لَهُ وَقَالَ لَهُ قَاتِلِ اللَّهُ بَنِي قَبِيلَةَ وَاللَّهِ إِنَّهُمْ
الآنَ لَمُجْتَمِعُونَ بِقُبَاءَ عَلَى رَجُلٍ قَدِمَ عَلَيْهِمُ الْيَوْمَ مِنْ مَكَّةَ يَزْعُمُ أَنَّهُ
نَبِيٌّ .

فَمَا إِنْ سَمِعْتُ مَقَالَتهُ حَتَّى مَسَّنِي مَا يُشْبِهُ الْحُمَّى وَاضْطَرَبْتُ
اضْطِرَابًا شَدِيدًا حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أَسْقُطَ عَلَى سَيِّدِي وَبَادَرْتُ إِلَى التُّزُولِ
عَنِ النَّخْلَةِ وَجَعَلْتُ أَقُولُ لِلرَّجُلِ مَاذَا تَقُولُ أَعِدْ عَلَيَّ الْخَبَرَ فَغَضِبَ

سَيِّدِي وَلَكَمْنِي لَكَمَةً شَدِيدَةً وَقَالَ لِي مَالِكٌ وَلِهَذَا عُدُّ إِلَى مَا كُنْتُ فِيهِ
مِنْ عَمَلِكَ .

وَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ أَخَذْتُ شَيْئًا مِنْ تَمْرَاتٍ كُنْتُ جَمَعْتُهُ وَتَوَجَّهْتُ إِلَى
حَيْثُ يَنْزِلُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ إِنَّهُ قَدْ
بَلَّغَنِي أَنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ وَمَعَكَ أَصْحَابٌ لَكَ غُرَبَاءُ ذُوُوا حَاجَةٍ وَهَذَا كَانَ
عِنْدِي لِلصَّدَقَةِ فَرَأَيْتُكُمْ أَحَقُّ بِهِ مِنْ غَيْرِكُمْ ثُمَّ قَرَّبْتُهُ إِلَيْهِ .

فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ كُلُوا وَأَمْسِكْ يَدَهُ فَلَمْ يَأْكُلْ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي هَذِهِ
وَاحِدَةٌ ثُمَّ انصرفتُ وَأَخَذْتُ أَجْمَعَ بَعْضَ التَّمْرِ فَلَمَّا تَحَوَّلَ الرَّسُولُ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ جِئْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ إِنِّي رَأَيْتُكَ لَا تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ
وَهَذِهِ هَدِيَّةٌ أَكْرَمْتُكَ بِهَا فَأَكَلْ مِنْهَا وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَأَكَلُوا مَعَهُ فَقُلْتُ فِي
نَفْسِي هَذِهِ الثَّانِيَةُ .

ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِبَيْعِ الْعِرْقَدِ حَيْثُ
كَانَ يُوَارِي أَحَدَ أَصْحَابِهِ فَرَأَيْتُهُ جَالِسًا وَعَلَيْهِ شِمْلَتَانِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ
اسْتَدْرْتُ أَنْظُرُ إِلَى ظَهْرِهِ لَعَلِّي أَرَى الْخَاتَمَ الَّذِي وَصَفَهُ لِي صَاحِبِي فِي
عَمُورِيَّةٍ .

فَلَمَّا رَأَيْتُ أَنْظُرُ إِلَى ظَهْرِهِ عَرَفَ غَرَضِي فَأَلْقَى رِدَاءَهُ عَنْ ظَهْرِهِ
فَنَظَرْتُ فَرَأَيْتُ الْخَاتَمَ فَعَرَفْتُهُ فَاكْتَبَيْتُ عَلَيْهِ أُقْبَلُهُ وَأَبْكِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا خَبَرُكَ فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ قِصَّتِي فَأَعْجَبَ بِهَا وَسَرَّهُ
أَنْ يُسْمِعَهَا أَصْحَابَهُ فَاسْمَعْتُهُمْ إِيَّاهَا فَعَجِبُوا مِنْهَا أَشَدَّ الْعَجَبِ وَسُرُّوا بِهَا
أَعْظَمَ السُّرُورِ أَهْ بِتَصْرِفِ سِيرٍ .

اللهم يا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيَقْظَنَا مِنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ وَنَبِّهَنَا
لَاغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهْلَةِ وَوَقَّفَنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَلَا تَوَاخِذْنَا بِمَا
انطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَأَكْتَنَتْهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعَلَّمَهَا

مِنَا ، وَامُنْ عَلَيْنَا يَا مَوْلَانَا بِتَوْبَةٍ تَمْحُو بِهَا عَنَا كُلَّ ذَنْبٍ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيُتِّينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

ثُمَّ شَغَلَ سَلْمَانَ الرَّقُّ حَتَّى فَاتَهُ بَدْرٌ وَأُحُدٌ قَالَ سَلْمَانُ ثُمَّ قَالَ لِي
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَاتِبٌ يَا سَلْمَانُ فَكَاتَبْتُ صَاحِبِي عَلَى
ثَلَاثِمِائَةِ نَخْلَةٍ أَحْيَيْهَا لَهُ بِالْفِقْرِ وَبِأَرْبَعِينَ أُوقِيَةً فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ أَعَيْنُوا أَحَاكِمَ فَأَعَانُونِي حَتَّى اجْتَمَعَتْ لِي ثَلَاثِمِائَةٌ
وَدِيَّةٌ .

قَالَ سَلْمَانُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَذْهَبَ فَاغْفُرُ
لَهَا فَإِذَا فَرَعْتَ فَأَتِنِي أَكْرُنَ أَنَا أَضْعَفُ بِيَدِي قَالَ فَفَقَرْتُ لَهَا وَأَعَانَنِي
أَصْحَابِي فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهَا فَجَعَلْنَا نُقْرَبُ لَهُ
الْوَدِيَّ وَيَضَعُهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ فَوَالَّذِي نَفْسُ
سَلْمَانَ بِيَدِهِ مَا مَاتَ مِنْهَا وَدِيَّةٌ وَاحِدَةٌ بَقِيَ عَلَيَّ الْمَالُ .

فَفِي هَذِهِ الْقِصَّةِ مُعْجَزَةٌ عَظِيمَةٌ حَيْثُ لَمْ يَمُتْ مِنْهَا غَرَسُهُ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا وَاحِدَةٌ قَالَ سَلْمَانُ فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِمِثْلِ بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ مَا فَعَلَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ الْمُكَاتِبُ
فَدَعَيْتُ لَهُ فَقَالَ هَذِهِ أَدْبَاهَا مَا عَلَيْكَ قُلْتُ وَأَيْنَ تَقَعُ هَذِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ
مِمَّا عَلَيَّ قَالَ خُذْهَا فَإِنَّ اللَّهَ سَيُؤَدِّي بِهَا عَنْكَ .

فَأَخَذْتُهَا فَوَزَنْتُ لَهُمْ مِنْهَا وَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ أَرْبَعِينَ أُوقِيَةً
وَعَتَقْتُ فَشَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَنْدَقَ ثُمَّ لَمْ
يَقْتُنِي مَعَهُ مَشْهَدٌ وَاحِدٌ وَهَذِهِ أَيْضًا مُعْجَزَةٌ عَظِيمَةٌ .

وَكَانَ سَلْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَرِعًا زَاهِدًا قَالَ الْحَسَنُ كَانَ عَطَاءُ
سَلْمَانَ خَمْسَةَ آلَافٍ وَكَانَ أَمِيرًا عَلَى زُهَاءِ ثَلَاثِينَ أَلْفًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ

وكان يخطبُ الناسَ في عِباءةٍ يفتَرشُ بَعْضَهَا وَيَلْبَسُ بَعْضَهَا فَإِذَا خَرَجَ عَطَاؤُهُ أَمْضَاهُ - يَعْنِي أَنَّهُ كَانَ يَتَصَدَّقُ بِوَضِيفَتِهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ وَيَأْكُلُ مِنْ سَفِيْفِ يَدِيهِ أَيِ سِفِّ الْخُوصِ وَيَأْكُلُ مِنْ قِيَمَتِهِ إِذَا بَاعَهُ .

وعنه رَضِيَ اللهُ عنه قال اشْتَرَيْتُ خُوصاً بِدِرْهَمٍ فَأَعْمَلُهُ فَأَبِيعُهُ بِثَلَاثَةِ دَرَاهِمٍ فَأُعِيدُ دِرْهَمًا فِيهِ وَأُنْفِقُ دِرْهَمًا عَلَى عِيَالِي وَأَتَصَدَّقُ بِدِرْهَمٍ وَكَانَ سَلْمَانَ أَمِيرًا عَلَى الْمُدَائِنِ فَجَاءَ رَجُلٌ مَعَهُ حِمْلٌ تَيْنٍ وَعَلَى سَلْمَانَ عِبَاءَةٌ فَقَالَ لَهُ تَعَالَى أَحْمِلْ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ فَحَمَلَ فَرَأَهُ النَّاسُ فَقَالُوا هَذَا الْأَمِيرُ فَقَالَ الرَّجُلُ لِسَلْمَانَ لَمْ أَعْرِفْكَ فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ إِنِّي قَدْ نَوَيْتُ فِيهِ نِيَّةً فَلَنْ أَضَعَهُ حَتَّى أَبْلُغَ بَيْتَهُ ، هَذِهِ نُبْدَةٌ يَسِيرَةٌ مِنْ سِيرَةِ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللهُ عنه .

كم ذا أوْمِلُ عَفْوَاً لَسْتُ أَكْسَبُهُ
قَوْلٌ جَمِيلٌ وَأَفْعَالٌ مُقْبَحَةٌ
يا بؤسَ لِلْعَيْشِ غُرِّ الْعَالِمُونَ بِهِ
مَضَوْا جَمِيعاً فَلَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرٌ
كَأَنَّهُمْ بَعْدَ مَا اسْتَمَطُوا جَنَائِزَهُمْ
قَالُوا: فَرَعْتَ مِنَ الْأَشْغَالِ؟ قُلْتُ لَهُمْ:
إِنِّي لِأَعْلَمُ عِلْمًا لَا يُخَالِجُهُ
بَأَنَّهُ لَا يَحِصُّ عَنْ مَدَى سَفَرِي
وَأَنِّي سَوْفَ أَلْقَى مَا يُطِيعُ بِهِ
وَكَيْفَ يُطَبِّقُ جَفْنَاً بِالْكَرَى رَجُلٌ
أَمْ كَيْفَ يُصْبِحُ جَدْلَانًا وَلَيْسَ لَهُ
يَا رَاقِدًا وَنِدَاءُ اللَّهِ يُوقِظُهُ

وَيْلٌ لِجِلْدِي يَوْمَ النَّارِ مِنْ أَمَلِي
يَا بَعْدَ ذَا الْقَوْلِ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْعَمَلِ
وَالجَاهِلُونَ مَعاً فِي الْأَعْصُرِ الْأَوَّلِ
حَانُوا وَحَالُوا وَهَذَا الدُّهْرُ لَمْ يَحُلْ
لَمْ يَمْتَطُوا صَهَوَاتِ الْخِيَلِ وَالْإِبِلِ
لَوْ لَمْ أَكُنْ بَانْتَظَارِ الْمَوْتِ فِي شُغْلِ
شَكِّ ، فَاطْمَعُ لِلدُّنْيَا وَيُطْمَعُ لِي
وَلَا دَوَاءَ لِمَا أَشْكُوهُ مِنْ عِلْمِي
كَيْدِي وَتَذَهَبُ عَنْهُ ضَلَالًا حَيْلِي
وَرَأَهُ لِلرَّدَى حَادٍ مِنَ الْأَجْلِ ؟
عِلْمُ الْآلِهَةِ يُعْقِبِي ذَلِكَ الْجَدْلُ ؟
أَلَا تَزَوَّدَتْ فِينَا زَادَ مُرْتَحِلٍ ؟

اللهم إنا نسألك رحمةً من عندك تهدي بها قلوبنا ، وتجمع بها شملنا ،

ولم بها شعنتنا ، وترفع بها شاهدنا ، وتحفظ بها غائنا ، وتزكّي بها أعمالتنا ،
وتلهمنا بها رشدنا ، وتعصمنا بها من كل سوء يا أرحم الراحمين .

اللَّهُمَّ قَوِّ إِيْمَانَنَا بِكَ وَبِمَلَائِكَتِكَ وَبِكُتُبِكَ وَبِرُسُلِكَ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَسَرِّهِ وَبِتِنَانَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحَّحَهُ أَجْمَعِينَ

قصة : كان طاووسُ بنُ كيسانَ من أهل اليمن وكانت الولاية في اليمن إذ ذاك
لمحمد بن يوسف الثقفي أخي الحجاج بن يوسف، أرسله الحجاج والياً
عليها بعد أن عظم أمره... وقويت شوكته.. واشتدت هيبتُهُ إثر قضائه على
حركة عبد الله ابن الزبير.

وكان محمد بن يوسف يجمع في ذاته كثيراً من سيئات أخيه الحجاج،
ولكنه ما كان يتحلّى بشيءٍ من حسناته.

وفي غداة يوم باردٍ من أيام الشتاء دخل عليه طاووس بن كيسان ومعه
وهب بن منبه.

فلما أخذَا مجلسيهما عنده طفق طاووس يعظه ويرغبه ويرهبه.
والناس جلوس بين يديه.

فقال الوالي لأحد حُجابه: يا غلامُ احضِرْ طيلساناً، وألقه على كتفي أبي
عبد الرحمن.

فعمد الحاجب إلى طيلسانٍ ثمين وألقاه على كتفي طاووس، فظلَّ
طاووس متدفقاً في موعظته.

وجعل يحركُ كَتْفِيهِ فِي تُوْدَةٍ حَتَّى أَلْقَى الطَّيْلَسَانَ عَنْ عَاتِقِهِ، وَهَبَّ وَاقِفًا،
وَانصَرَفَ...

فَغَضِبَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ غَضَبًا ظَهَرَ فِي احْمِرَارِ عَيْنَيْهِ، وَاحْتِقَانِ
وَجْهِهِ.. غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ شَيْئًا...

فَلَمَّا صَارَ طَاوُوسٌ وَصَاحِبُهُ خَارِجَ الْمَجْلِسِ قَالَ وَهَبْ لِطَاوُوسٍ: وَاللَّهِ
لَقَدْ كُنَّا فِي غِنَى عَنِ إِثَارَةِ غَضَبِهِ عَلَيْنَا... فَمَاذَا كَانَ يُضِيرُكَ لَوْ أَخَذْتَ
الطَّيْلَسَانَ مِنْهُ، ثُمَّ بَعْتَهُ وَتَصَدَّقْتَ بِثَمَنِهِ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ!؟

فَقَالَ طَاوُوسٌ: هُوَ مَا تَقُولُ.

لَوْلَا أَنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقُولَ الْعُلَمَاءُ مِنْ بَعْدِي: نَأْخُذُ كَمَا أَخَذَ طَاوُوسٌ...
ثُمَّ لَا يَصْنَعُونَ فِيمَا أَخَذُوهُ مَا تَقُولُ.

وَكَأَنَّمَا أَرَادَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ أَنْ يَرُدَّ لِطَاوُوسِ الْحَجَرَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ...
فَنَصَبَ لَهُ شَرَكًا مِنْ شِرَاكِهِ، حَيْثُ أَعَدَّ صُرَّةً فِيهَا سَبْعُمِائَةِ دِينَارٍ ذَهَبًا.

وَاخْتَارَ رَجُلًا حَازِقًا مِنْ رِجَالِ حَاشِيَتِهِ وَقَالَ لَهُ: ائْمِضْ بِهَذِهِ الصُّرَّةِ إِلَى
طَاوُوسِ بْنِ كَيْسَانَ، وَاحْتَلْ عَلَيْهِ فِي أَخِذِهَا، فَإِنْ أَخَذَهَا مِنْكَ أَجَزَلْتُ عَطِيَّتَكَ
وَكَسَوْتُكَ، وَقَرَّبْتُكَ.

فَخَرَجَ الرَّجُلُ بِالصُّرَّةِ حَتَّى أَتَى طَاوُوسًا فِي قَرْيَةٍ كَانَ يُقِيمُ بِهَا بِالْقُرْبِ مِنْ
صَنْعَاءَ يُقَالُ لَهَا «الْحَنْد»، فَلَمَّا صَارَ عِنْدَهُ حَيَّاهُ، وَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ،
هَذِهِ نَفَقَةٌ بَعَثَ بِهَا الْأَمِيرُ إِلَيْكَ، فَقَالَ: مَا لِي بِهَا مِنْ حَاجَةٍ.

فَاحْتَالَ عَلَيْهِ بِكُلِّ طَرِيقٍ لِيَقْبَلَهَا، فَأَبَى... وَأَدْلَى لَهُ بِكُلِّ حُجَّةٍ فَرَفَضَ.

فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ اغْتَنَمَ غَفْلَةً مِنْ طَاوُوسٍ، وَرَمَى بِالصُّرَّةِ فِي كُوَّةٍ كَانَتْ
بِجِدَارِ الْبَيْتِ، وَعَادَ رَاجِعًا إِلَى الْأَمِيرِ وَقَالَ: لَقَدْ أَخَذَ طَاوُوسٌ الصُّرَّةَ أَيُّهَا
الْأَمِيرُ، فَسُرَّ لِذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، وَسَكَتَ عَلَيْهِ.

فَلَمَّا مَضَتْ عَلَى ذَلِكَ أَيَّامٍ عِدَّةٍ أُرْسِلَ اثْنَيْنِ مِنْ أَعْوَانِهِ، وَمَعَهُمَا الرَّجُلُ
الَّذِي حَمَلَ إِلَيْهِ الصُّرَّةَ... وَأَمَرَهُمَا أَنْ يَقُولَا لَهُ: إِنَّ رَسُولَ الْأَمِيرِ قَدْ أَخْطَأَ
فَدَفَعَ إِلَيْكَ الْمَالَ، وَهُوَ مُرْسَلٌ لِعَيْرِكَ، وَقَدْ أَتَيْنَا لِنَسْتَرِدَّهُ مِنْكَ، وَنَحْمِلَهُ إِلَى
صَاحِبِهِ.

فَقَالَ طَاوُوسٌ مَا أَخَذْتُ مِنْ مَالِ الْأَمِيرِ شَيْئاً حَتَّى أُرُدَّهُ إِلَيْهِ.
فَقَالَا: بَلْ أَخَذْتَهُ.

فالتفت إلى الرجل الذي حمل إليه الصرّة وقال له: هل أخذت منك
شيئاً؟!

فأصاب الرجل ذعراً وقال: كلا، وإنما وضعت المال في هذه الكوّة في
غفلة منك. فقال طاووس: دونكما الكوّة فانظرا فيها: فنظرا في الكوّة، فوجدوا
فيها الصرّة كما هي وقد ضرب عليها العنكبوت بنسجه. فأخذاها وعادا بها إلى
الأمير.

حدث طاووس بن كيسان قال: بينما أنا في مكة حاجاً بعث إليّ الحجاج
بن يوسف الثقفي، فلما دخلت عليه رحّب بي وأذنني مجلسي منه... وطرح لي
وسادة، ودعاني لأن أتكىء عليها... ثم راح يسألني عما أشكل عليه من
مناسك الحج، وغيرها.

وفيما نحن كذلك سمع الحجاج ملبياً يلبي حول البيت، ويرفع صوته
بالتلبية وله نبرة تهز القلوب هزاً...

فقال: عليّ بهذا الملبّي.
فأتيت له به، فقال له: ممن الرجل؟
فقال: من المسلمين.

فَقَالَ: لَمْ أَسْأَلْكَ عَنْ هَذَا، وَإِنَّمَا سَأَلْتُكَ عَنْ الْبَلَدِ؟

فَقَالَ: مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ.

فَقَالَ: كَيْفَ تَرَكْتَ أَمِيرَكُمْ (يَعْنِي أَخَاهُ)؟

فَقَالَ: تَرَكْتُهُ عَظِيمًا، جَسِيمًا... لِبَاسًا، رَكَابًا... خَرَّاجًا، وَلَاجًا...

فَقَالَ: لَيْسَ عَنْ ذَا سَأَلْتُكَ؟

فَقَالَ: عَمَّ سَأَلْتَنِي إِذَنْ؟

فَقَالَ: سَأَلْتُكَ عَنْ سِيرَتِهِ فَيَكُفُّمُ؟

فَقَالَ: تَرَكْتُهُ ظَلُومًا غَشُومًا... مُطِيعًا لِلْمَخْلُوقِ عَاصِيًا لِلْمَخْلُوقِ.

فَاخْمَرَ وَجْهَ الْحَجَّاجِ خَجَلًا مِنْ جُلُسَائِهِ وَقَالَ لِلرَّجُلِ:

مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ تَقُولَ فِيهِ مَا قُلْتَهُ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ مَكَانَهُ مِنِّي؟!

فَقَالَ: أُرَاهُ بِمَكَانِهِ مِنْكَ أَعَزَّ مِنِّي بِمَكَانِي مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟

وَأَنَا وَافِدٌ بَيْتِهِ... وَمُصَدِّقٌ نَبِيِّهِ... وَقَاضِي دِينِهِ...

فَسَكَتَ الْحَجَّاجُ، وَلَمْ يُحِرْ جَوَابًا.

قَالَ طَاوُوسٌ: ثُمَّ مَا لَبِثَ الرَّجُلُ أَنْ قَامَ، وَانصَرَفَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْتَأْذِنَ أَوْ

يُؤْذِنَ لَهُ.

فَقُمْتُ فِي إِثْرِهِ، وَقُلْتُ فِي نَفْسِي: إِنَّ الرَّجُلَ صَالِحٌ، فَاتَّبَعْتُهُ وَاطْفَرْتُ بِهِ قَبْلَ

أَنْ تُغَيِّبَهُ عَنْ عَيْنَيْكَ جُمُوعُ النَّاسِ.

فَتَبِعْتُهُ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ أَتَى الْبَيْتَ وَتَعَلَّقَ بِأَسْتَارِهِ، وَوَضَعَ حَدَّهُ عَلَى جِدَارِهِ،

وَجَعَلَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ بِكَ أَعُوذُ... وَبِجَنَابِكَ الْوَدُودِ... اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي فِي الْأَطْمِئِنَانِ

إِلَى جُودِكَ وَالرِّضَا بِضَمَانِكَ مَنُوحَةً عَنْ مَنَعِ الْبَاخِلِينَ وَغِنَى عَمَّا فِي أَيْدِي

الْمُسْتَأْثِرِينَ... اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فَرَجَكَ الْقَرِيبَ... وَمَعْرِوْفَكَ الْقَدِيمَ وَعَادَتَكَ

الْحَسَنَةَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

ثُمَّ ذَهَبَتْ بِهِ مَوْجَةً مِنَ النَّاسِ وَأَخْفَتْهُ عَنْ عَيْنِي، فَأَيَّمْتُ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى لِقَائِهِ بَعْدَ ذَلِكَ.

فَلَمَّا كَانَتْ عَشِيَّةُ عَرَفَةَ رَأَيْتُهُ وَقَدْ أَفَاضَ مَعَ النَّاسِ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَإِذَا هُوَ يَقُولُ:

اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ لَمْ تَقْبَلْ حَجِّي، وَتَعَبِي، وَنَصَبِي، فَلَا تَحْرِمْنِي الْأَجْرَ عَلَيَّ مُصِيبَتِي، بِتَرْكِكَ الْقَبُولِ مِنِّي ثُمَّ ذَهَبَ فِي النَّاسِ، وَسَتَرَهُ الظُّلَامُ عَنِّي، فَلَمَّا بَيَّسْتُ مِنْ لِقَائِهِ قُلْتُ:

اللَّهُمَّ أَقْبَلْ دُعَائِي وَدُعَاءَهُ وَاسْتَجِبْ رَجَائِي وَرَجَاءَهُ وَتَبَّتْ قَدَمَيَّ وَقَدَمَيْهِ يَوْمَ تَزُلُّ الْأَقْدَامُ، وَاجْمَعْنِي مَعَهُ عَلَيَّ حَوْضِ الْكَوْثَرِ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ، وَالْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ . « قِصَّةُ لِطَاوُوسَ »

قِصَّةُ لِطَاوُوسَ

مَا كَادَ خَلِيفَةُ الْمُسْلِمِينَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ يُلْقِي رِحَالَهُ فِي أَكْنَافِ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ... وَيُقَلُّ أَشْوَاقُهُ إِلَى الْكَعْبَةِ الْمُعْظَمَةِ حَتَّى التَفَّتْ إِلَى حَاجِبِهِ وَقَالَ:
ابْتَغِ لَنَا عَالِمًا يُفَقِّهُنَا فِي الدِّينِ، وَيَذَكِّرُنَا فِي هَذَا الْيَوْمِ الْأَغْرَّ مِنْ أَيَّامِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

فَمَضَى الْحَاجِبُ إِلَى وُجُوهِ أَهْلِ الْمَوْسِمِ، وَطَفِقَ يَسْأَلُهُمْ عَنْ بُعْيَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. فَقِيلَ لَهُ:

هَذَا طَاوُوسُ بْنُ كَيْسَانَ سَيِّدُ فُقَهَاءِ عَصْرِهِ... وَأَصْدَقُهُمْ لَهْجَةً فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ... فَعَلَيْكَ بِهِ.

فَأَقْبَلَ الْحَاجِبُ عَلَى طَاوُوسٍ وَقَالَ: أَجِبْ دَعْوَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَيُّهَا الشَّيْخُ
فَاسْتَجَابَ طَاوُوسٌ لَهُ مِنْ غَيْرِ إِبْطَاءٍ.

ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يُؤْمِنُ بِأَنَّ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَلَّا تَعْرِضَ لَهُمْ فُرْصَةً إِلَّا
اغْتَنَمُوهَا... وَأَلَّا تَسْنَحَ لَهُمْ بَادِرَةً إِلَّا ابْتَدَرُوهَا.

وَكَانَ يُوقِنُ أَنَّ أَفْضَلَ كَلِمَةٍ تُقَالُ هِيَ كَلِمَةٌ حَقٌّ أُرِيدَ بِهَا تَقْوِيمُ اعْوِجَاجِ
ذَوِي السُّلْطَانِ... وَتَجْنِيبُهُمُ الْحَيْفَ وَالْجَوْرَ... وَتَقْرِيبُهُمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى...

مَضَى طَاوُوسٌ مَعَ الْحَاجِبِ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَيَّاهُ فَرَدَّ الْخَلِيفَةُ
التَّحِيَّةَ بِأَحْسَنَ مِنْهَا... وَأَكْرَمَ اسْتِقْبَالَ زَائِرِهِ، وَأَذْنَى مَجْلِسَهُ ثُمَّ أَخَذَ عَمَّا
أَشْكَلَ عَلَيْهِ مِنْ مَنَاسِكِ الْحَجِّ، وَبُنِصَتْ إِلَيْهِ فِي تَوْقِيرِ وَإِجْلَالِ.

قَالَ طَاوُوسٌ: فَلَمَّا شَعَرْتُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ بَلَغَ بُغْيَتَهُ، وَلَمْ يَبْقَ لَدَيْهِ مَا
يَسْأَلُ عَنْهُ قُلْتُ فِي نَفْسِي: إِنَّ هَذَا الْمَجْلِسَ لِمَجْلِسٍ يَسْأَلُكَ اللَّهُ عَنْهُ يَا
طَاوُوسُ... ثُمَّ تَوَجَّهْتُ إِلَيْهِ وَقُلْتُ:

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ صَخْرَةَ كَانَتْ عَلَى شَفِيرِ بَيْتٍ فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ...

وَقَدْ ظَلَّتْ تَهْوِي فِي هَذِهِ الْبَيْتِ سَبْعِينَ خَرِيفًا حَتَّى بَلَغَتْ قَرَارَهَا.

أَتَدْرِي لِمَنْ أَعَدَّ اللَّهُ هَذِهِ الْبَيْتَ مِنْ آبَارِ جَهَنَّمَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟
فَقَالَ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ: لَا.

ثُمَّ عَادَ إِلَى نَفْسِهِ، وَقَالَ:

وَيْلَكَ، لِمَنْ أَعَدَّهَا!؟

فَقَالَ: أَعَدَّهَا اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ لِمَنْ أَشْرَكَهُ فِي حُكْمِهِ، فَجَار...

فَأَخَذَتْ سُلَيْمَانَ لِذَلِكَ رَعْدَةً ظَنَنْتُ مَعَهَا أَنْ رُوحَهُ سَتَّصَعَدُ مِنْ بَيْنِ
جَنَبَيْهِ.

وَجَعَلَ بَيْنَكِي، وَلِبُكَائِهِ نَشِيحٌ يُفَطِّعُ نِيَاطَ الْقُلُوبِ... فَتَرَكَتُهُ وَانصَرَفَتْ...
وَهُوَ يُجَزِّيَنِي خَيْرًا.

وَلَمَّا وَلِيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْخِلَافَةَ بَعَثَ إِلَى طَاوُوسِ بْنِ كَيْسَانَ يَقُولُ:
أَوْصِنِي يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ: فَكَتَبَ إِلَيْهِ طَاوُوسٌ رِسَالَةً فِي سَطْرٍ وَاحِدٍ قَالَ فِيهَا:
«إِذَا أَرَدْتَ أَنْ يَكُونَ عَمَلُكَ خَيْرًا كُلَّهُ، فَاسْتَعْمِلْ أَهْلَ الْخَيْرِ، وَالسَّلَامَ».

فَلَمَّا قَرَأَ عُمَرُ الرِّسَالَةَ قَالَ: كَفَى بِهَا مَوْعِظَةً... كَفَى بِهَا مَوْعِظَةً.

وَلَمَّا آلَتِ الْخِلَافَةَ إِلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ كَانَتْ لِبَطَاوُوسِ بْنِ كَيْسَانَ
مَعَهُ مَوَاقِفٌ مَشْهُورَةٌ مَأْثُورَةٌ... مِنْ ذَلِكَ أَنَّ هِشَامًا قَدِمَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ حَاجًّا
فَلَمَّا صَارَ فِي الْحَرَمِ قَالَ لِخَاصَّتِهِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ: التَّمِسُوا لَنَا رَجُلًا مِنْ صَحَابَةِ
الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ الصَّحَابَةَ — يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ — قَدْ تَلَاخَقُوا بِرَبِّهِمْ وَاحِدًا
بِأُخْرَى حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ.

فَقَالَ: إِذَنْ فَمِنْ التَّابِعِينَ.

فَأَتَى بِطَاوُوسِ بْنِ كَيْسَانَ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ خَلَعَ نَعْلَيْهِ بِحَاشِيَةِ بَسَاطِهِ...
وَسَلَّمَ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَدْعُوهُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ... وَخَاطَبَهُ بِاسْمِهِ دُونَ أَنْ
يُكْتَبَهُ... وَجَلَسَ قَبْلَ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ بِالْجُلُوسِ...

فَاسْتَشَاطَ هِشَامٌ غَضَبًا حَتَّى بَدَأَ الْغَيْظُ فِي عَيْنَيْهِ.

ذَلِكَ أَنَّهُ رَأَى فِي تَصَرُّفَاتِهِ تِلْكَ اجْتِرَاءَ عَلَيْهِ، وَنَيْلًا مِنْ هَيْبَتِهِ أَمَامَ جُلَسَائِهِ،
وَرِجَالِ حَاشِيَتِهِ...

يَبْدَأُ أَنَّهُ مَا لَيْتَ أَنْ تَذَكَّرَ أَنَّهُ فِي حَرَمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

فَرَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ وَقَالَ لِطَاوُوسٍ: مَا حَمَلَكَ يَا طَاوُوسُ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟!
فَقَالَ: وَمَا الَّذِي صَنَعْتُهُ؟!

خَلَعْتَ نَعْلَيْكَ بِحَاشِيَةِ بَسَاطِي...
وَلَمْ تُسَلِّمْ عَلَيَّ بِأَمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ...
وَسَمَّيْتَنِي بِاسْمِي، وَلَمْ تُكْنِنِي...
ثُمَّ جَلَسْتَ مِنْ غَيْرِ إِذْنِي.

فَقَالَ طَاوُوسٌ بِهِدْوَاءٍ: أَمَّا خَلَعُ نَعْلَيْ بِحَاشِيَةِ بَسَاطِكَ، فَأَنَا أَخْلَعُهُمَا بَيْنَ
يَدَيْ رَبِّ الْعِزَّةِ كُلِّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ...

وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنِّي لَمْ أُسَلِّمْ عَلَيْكَ بِأَمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ... فَلَأَنَّ جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ
لَيْسُوا رَاضِينَ بِأَمْرَتِكَ...

وَقَدْ حَشَيْتُ أَنْ أَكُونَ كَاذِبًا إِذَا دَعَوْتُكَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ.

وَأَمَّا مَا أَخَذْتَهُ عَلَيَّ مِنْ أَنِّي نَادَيْتُكَ بِاسْمِكَ، وَلَمْ أَكُنْ... فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ
وَجَلَّ نَادَى أَنْبِيََاءَهُ بِأَسْمَائِهِمْ، فَقَالَ: يَا دَاوُودُ... يَا يَحْيَى... يَا عِيسَى...

وَكُنِّي أَعْدَاءَهُ فَقَالَ: «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ».

وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنِّي جَلَسْتُ قَبْلَ أَنْ تَأْذَنَ لِي فَإِنِّي سَمِعْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيَّ
بْنِ أَبِي طَالِبٍ يَقُولُ:

«إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَاَنْظُرْ إِلَى رَجُلٍ جَالِسٍ،
وَحَوْلَهُ قَوْمٌ قِيَامٌ بَيْنَ يَدَيْهِ».

فَكَرِهْتُ أَنْ تَكُونَ ذَلِكَ الرَّجُلَ الَّذِي عُذِّ مِنْ أَهْلِ النَّارِ.

فَأَطْرَقَ هِشَامٌ إِلَى الْأَرْضِ نَحْجَلًا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ: عِظْنِي يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ:

فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: «إِنَّ فِي جَهَنَّمَ حَيَاتٍ كَالْقِلَالِ... وَعِقَارِبٍ كَالْبِغَالِ... تَلْدَغُ كُلَّ رَاغٍ لَا يَبْغِدُ فِي رَعِيَّتِهِ»... ثُمَّ قَامَ وَانصَرَفَ.

وَمَا كَانَ طَاوُوسٌ يُقْبَلُ عَلَى بَعْضِ أَوْلِي الْأَمْرِ تَذْكَيرًا لَهُمْ وَتَوْجِيهًا... فَقَدْ كَانَ يُعْرِضُ عَنْ بَعْضِهِمْ الْآخِرَ تَبْكِيتًا وَتَأْنِيًا.

حَدَّثَ ابْنُهُ قَالَ: خَرَجْنَا ذَاتَ سَنَةٍ مَعَ أَبِي حُجَّاجًا مِنَ الْيَمَنِ، فَزَلْنَا فِي بَعْضِ الْمُدُنِ وَعَلَيْهَا عَامِلٌ يُقَالُ لَهُ ابْنُ نَجِيحٍ وَكَانَ مِنْ أُحْبَثِ الْعُمَّالِ، وَأَكْثَرِهِمْ جُرْأَةٌ عَلَى الْحَقِّ، وَأَشَدَّهُمْ إِيْغَالًا فِي الْبَاطِلِ.

فَاتَيْنَا مَسْجِدَ الْبَلَدِ نُرِيدُ أَدَاءَ الْمَكْتُوبَةِ، فَإِذَا ابْنُ نَجِيحٍ قَدْ عَلِمَ بِقُدُومِ أَبِي، فَجَاءَ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَقَعَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَسَلَّمَ عَلَيْهِ.

فَلَمْ يُجِبْهُ أَبِي، وَأَدَارَ لَهُ ظَهْرَهُ... فَأَتَاهُ عَنْ يَمِينِهِ وَكَلَّمَهُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَعَدَلَ إِلَى يَسَارِهِ وَكَلَّمَهُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ أَيْضًا، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ قُمْتُ إِلَيْهِ، وَمَدَدْتُ يَدِي نَحْوَهُ، وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ أَبِي لَمْ يَعْرِفْكَ.

فَقَالَ: بَلْ إِنَّ أَبَاكَ يَعْرِفُنِي... وَإِنَّ مَعْرِفَتَهُ بِي هِيَ الَّتِي جَعَلْتَهُ يَصْنَعُ مَا رَأَيْتُ... ثُمَّ مَضَى وَهُوَ سَاكِتٌ لَا يَقُولُ شَيْئًا، فَلَمَّا عُدْنَا إِلَى الْمَنْزِلِ التَفَّتْ إِلَيَّ أَبِي وَقَالَ: يَا لُكْعُ... تَسَلَّقُوا هَؤُلَاءِ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ فِي غَيْبَتِهِمْ... فَإِذَا حَضَرُوا خَضَعَتْ لَهُمْ بِالْقَوْلِ، وَهَلِ النَّفَاقُ غَيْرُ هَذَا!؟

لم يَخْصَّ طَاوُوسُ بِنُ كَيْسَانَ الخُلَفَاءِ وَالْوَلَاةِ بِمَوَاعِظِهِ، وَإِنَّمَا بَدَّلَهَا لِكُلِّ
مَنْ أَنَسَ بِهِ حَاجَةً إِلَيْهَا أَوْ رَغْبَةً فِيهَا.

مِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ عَطَاءُ بْنُ رَبَاحٍ قَالَ: رَأَى طَاوُوسُ بِنُ كَيْسَانَ فِي مَوْقِفٍ
لَمْ يَرْتَحِ لَهُ، فَقَالَ:

يَا عَطَاءُ إِيَّاكَ أَنْ تَرْفَعَ حَوَائِجَكَ إِلَى مَنْ أَعْلَى فِي وَجْهِكَ بَابَهُ... وَأَقَامَ
دُونَكَ حُجَابَهُ... وَإِنَّمَا أَطْلَبُهَا مِمَّنْ أَسْرَعَ لَكَ أَبْوَابَهُ... وَطَالَبَكَ بِأَنْ تَدْعُوهُ...
وَوَعَدَكَ بِالْإِجَابَةِ.

وَكَانَ يَقُولُ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ صَاحِبِ العُقَلَاءِ تُنْسَبُ إِلَيْهِمْ، وَإِنْ لَمْ تُكُنْ
مِنْهُمْ.

وَلَا تُصَاحِبِ الجُهَّالَ، فَإِنَّكَ إِنْ صَحِبْتَهُمْ نُسِبْتَ إِلَيْهِمْ وَإِنْ لَمْ تُكُنْ
مِنْهُمْ...

وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ غَايَةً، وَأَنَّ غَايَةَ المَرءِ تَمَامُ دِينِهِ، وَكَمَالُ خُلُقِهِ.

وَقد نَشَأَ ابْنُهُ عَبْدُاللهِ عَلَى مَا رَبَّاهُ عَلَيْهِ، وَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِهِ، وَسَارَ بِسِيرَتِهِ.

مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الخَلِيفَةَ العَبَّاسِيَّ أَبَا جَعْفَرِ المَنْصُورِ اسْتَدْعَى وَلَدَهُ عَبْدُاللهِ،
وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ لَزِيَارَتِهِ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ وَأَخَذَا مَجْلِسَيْهِمَا عِنْدَهُ التَفَّتْ إِلَى
عَبْدِاللهِ بْنِ طَاوُوسٍ وَقَالَ: إِرْوِ لِي شَيْئًا مِمَّا كَانَ يُحَدِّثُكَ بِهِ أَبُوكَ:

فَقَالَ: «حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ رَجُلٌ أَشْرَكَهُ اللهُ عَزَّ
وَجَلَّ فِي سُلْطَانِهِ، فَأَدْخَلَ الجُورَ فِي حُكْمِهِ».

قَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ: فَلَمَّا سَمِعْتُ مَقَالَتَهُ هَذِهِ ضَمَمْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي خَوْفًا
مِنْ أَنْ يُصَيِّبَنِي شَيْءٌ مِنْ دَمِهِ.

يَبْدُ أَنْ أَبَا جَعْفَرٍ أَمْسَكَ سَاعَةً لَا يَتَكَلَّمُ... ثُمَّ صَرَفْنَا بِسَلَامٍ.

وقد امتدَّت الحَيَاةُ بِطَاوُوسِ بْنِ كَيْسَانَ حَتَّى بَلَغَ الْمِائَةَ، أَوْ جَاوَزَهَا قَلِيلًا،
غَيْرَ أَنَّ الْكَبِيرَ وَالشَّيْخُوخَةَ لَمْ يَنَالَا شَيْئًا مِنْ صَفَاءِ ذَهَبِهِ، وَحِدَّةِ خَاطِرِهِ، وَسُرْعَةِ
بَدِيهِتِهِ.

حَدَّثَ عَبْدُ اللَّهِ الشَّامِيُّ قَالَ: أَتَيْتُ طَاوُوسًا فِي بَيْتِهِ لَأَخُذَ عَنْهُ، وَأَنَا لَا
أَعْرِفُهُ فَلَمَّا طَرَقْتُ الْبَابَ خَرَجَ إِلَيَّ شَيْخٌ كَبِيرٌ، فَحَيَّيْتُهُ وَقُلْتُ: أَنْتَ طَاوُوسُ
بْنِ كَيْسَانَ؟

فَقَالَ: بَلَى أَنَا ابْنُهُ...

فَقُلْتُ: إِنْ كُنْتَ ابْنُهُ فَلَا أَمْنُ أَنْ يَكُونَ الشَّيْخُ قَدْ هَرِمَ وَخَرِفَ، وَإِنِّي
قَصَدْتُهُ مِنْ أَمَاكِينٍ بَعِيدَةٍ لِأَفِيدَ مِنْ عِلْمِهِ.

فَقَالَ: وَيَحْكُ...

إِنَّ حَمَلَةَ كِتَابِ اللَّهِ لَا يَخْرَفُونَ.
ادْخُلْ عَلَيْهِ.

فَدَخَلْتُ وَسَلَّمْتُ، وَقُلْتُ:

لَقَدْ أَتَيْتُكَ طَالِبًا عِلْمَكَ رَاغِبًا فِي نُصْحِكَ.

فَقَالَ: سَلْ وَأَوْجِزْ.

فَقُلْتُ: سَأَوْجِزُ مَا وَسِعَنِي الْإِيجَازُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

فَقَالَ: أَتُرِيدُ أَنْ أَجْمَعَ لَكَ صَفْوَةَ مَا فِي التَّوْرَةِ، وَالزَّبُورِ، وَالْإِنْجِيلِ،

وَالْقُرْآنِ؟

فَقُلْتُ: نَعَمْ.

فَقَالَ: خَفِ اللَّهُ تَعَالَى خَوْفًا بِحَيْثُ لَا يَكُونُ شَيْءٌ أَخْوَفَ لَكَ مِنْهُ...

وَارْجُهُ رَجَاءً أَشَدَّ مِنْ خَوْفِكَ إِيَّاهُ...
وَأَحَبُّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ.

وَفِي لَيْلَةِ الْعَاشِرِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ سِتِّ وَمِائَةِ أَفْضَلَ الشَّيْخِ الْمُعَمَّرِ
طَاوُوسُ بْنُ كَيْسَانَ مَعَ الْحَجَّاجِ مِنْ عَرَفَاتٍ إِلَى الْمَزْدَلِفَةِ لِلْمَرَّةِ الْأَرْبَعِينَ، فَلَمَّا
حَطَّ رِحَالُهُ فِي رِحَابِهَا الطَّاهِرَةِ، وَأَدَّى الْمَغْرِبَ مَعَ الْعِشَاءِ، وَأَسْلَمَ جَنَبِيَّهُ إِلَى
الْأَرْضِ يَلْتَمِسُ شَيْئًا مِنَ الرَّاحَةِ، أَنَاهُ الْيَقِينُ، فَلَمَّا طَلَعَ عَلَيْهِ الصُّبْحُ وَأَرَادُوا دَفْنَهُ
لَمْ يَتِمَّ كُنُوتُهَا مِنْ إِخْرَاجِ جَنَازَتِهِ لِكَثْرَةِ مَا أزدَحَمَ عَلَيْهَا مِنَ النَّاسِ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ
أَمِيرُ مَكَّةَ حَرَسًا لِيُدُودُوا النَّاسَ عَنِ الْجَنَازَةِ، حَتَّى يُتَاحَ لَهُمْ دَفْنُهَا.

وَقَدْ صَلَّى عَلَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ لَا يُحْصَى عَدَدُهُمْ إِلَّا اللَّهُ، وَكَانَ فِي جُمْلَةِ
الْمُصَلِّينَ خَلِيفَةَ الْمُسْلِمِينَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ.

اللَّهُمَّ اعْصِمْنَا عَنِ الْمَخَالَفَةِ وَالْعِصْيَانِ وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ يَا
كَرِيمُ يَا مَنَّانُ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ

« غَزْوَةُ تَبُوكَ »

أَوْ الْعُسْرَةَ

تَبُوكَ مَوْضِعٌ بَيْنَ وَادِي الْقُرَى وَالشَّامِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ مِنْ جِهَةِ
الشَّامِ أَرْبَعُ عَشْرَةَ مَرَّحَلَةً وَبَيْنَ دِمَشْقٍ إِحْدَى عَشْرَةَ مَرَّحَلَةً وَهِيَ غَزْوَةُ
الْعُسْرَةِ أَخَذًا مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ﴾ .

وَكَانَتْ فِي رَجَبِ سَنَةِ ٩ هـ مِنْ الْهَجْرَةِ وَهِيَ آخِرُ غَزَوَاتِهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ الَّتِي افْتَضَحَ الْمُتَأَفِّقُونَ فِيهَا وَكَانَ الْوَقْتُ حِينَ
خُرُوجِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَرًّا شَدِيدًا وَقُحْطًا شَدِيدًا وَكَانُوا مِنْ

شِدَّةِ الْعَطَشِ وَالْحَرِّ يَنْحَرُونَ الْبَعِيرَ فَيَعَصِرُونَ فَرْتَهُ الَّذِي فِي الْكَرْشِ
وَيَشْرَبُونَهُ فَلِذَا سُمِيتْ غَزْوَةُ الْعُسْرَةِ أَيِ الشَّدَّةِ وَالضُّيْقِ .

وَسَبَبُهَا أَنَّ الرُّومَ قَدْ جَمَعَتْ جُمُوعًا كَثِيرَةً بِالشَّامِ وَأَنَّ هِرْقَلَ قَدْ
رَزَقَ أَصْحَابَهُ لِسَنَةِ وَأَجْلَبَتْ مَعَهُ لَحْمٌ وَجُدَامٌ وَعَامِلَةٌ وَعَسَانٌ وَزَحْفُوا
وَقَدَّمُوا مُقَدَّمَاتِهِمْ إِلَى الْبَلْقَاءِ وَعَسَكُرُوا بِهَا .

فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَدَبَّ النَّاسَ إِلَى الْخُرُوجِ
وَأَظْهَرَ لَهُمُ الْأَمْرَ لِيَتَأَهَّبُوا لِذَلِكَ أَهْبَتَهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ بِالْوَجْهِ الَّذِي يُرِيدُ وَبَعَثَ
إِلَى الْقَبَائِلِ مَكَّةَ يَسْتَنْفِرُهُمْ إِلَى عَدُوِّهِمْ وَخَطَبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي
النَّاسِ فَحَضَّ عَلَى الْجِهَادِ وَأَمَرَهُمْ بِالصَّدَقَةِ وَحَثَّهُمْ عَلَى التَّفَقُّهِ وَرَغَّبَ
أَهْلَ الثَّرْوَةِ بِالْخَيْرِ وَالْمَعْرُوفِ وَحَثَّ الْمُوسِرِينَ عَلَى تَجْهِيزِ الْمُعْسِرِينَ .

فَتَبَادَرَ الْمُسْلِمُونَ وَجَاءُوا بِصَدَقَاتٍ كَثِيرَةٍ وَتَنَافَسُوا فِي تَجْهِيزِ
جَيْشِهِمْ فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَاءَ بِمَالِهِ كُلِّهِ أَرْبَعَةَ
آلَافٍ دِرْهَمٍ .

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ شَيْئًا
قَالَ أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَجَاءَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِنِصْفِ مَالِهِ فَسَأَلَهُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ شَيْئًا قَالَ نَعَمْ نِصْفَ مَالِي وَجَاءَ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمِائَةِ أَوْقِيَّةٍ فِضَّةً .

وَجَاءَ الْعَبَّاسُ بِمَالٍ كَثِيرٍ وَجَاءَ طَلْحَةُ بِمَالٍ وَجَهْرٌ عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ثُلُثَ
الْجَيْشِ وَجَاءَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ بِمَالٍ وَجَاءَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ بِمَالٍ وَجَاءَ عَاصِمُ بْنُ
عَدِيٍّ بِتِسْعِينَ وَسَقَا مِنْ تَمْرٍ وَبَعَثَ النِّسَاءَ كُلَّ مَا قَدِرْنَ عَلَيْهِ مِنْ مِسْكِ وَحُلِيِّ
مَعَاضِدٍ وَخَلَائِلٍ وَأَقْرَاطٍ وَخَوَاتِمٍ .

قال ابن اسحاق فذَكَرَ لَنَا الزُّهْرِيُّ وَيَزِيدُ بْنُ رُوْمَانَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَعَاصِمُ بْنُ عُمَرَ وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَصْحَابِنَا وَبَعْضُ الْقَوْمِ يُحَدِّثُ مَا يُحَدِّثُ بَعْضٌ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالتَّهْيُؤِ لِغَزْوِ الرُّومِ وَذَلِكَ فِي زَمَنِ عُسْرَةٍ مِنَ النَّاسِ وَشِدَّةٍ مِنَ الْحَرِّ وَجُدْبٍ مِنَ الْبِلَادِ حِينَ طَابَتِ الثَّمَارُ وَالنَّاسُ يُحِبُّونَ الْمَقَامَ وَيَكْرَهُونَ الشُّخُوصَ عَلَى حَالٍ مِنَ الزَّمَانِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلَّ مَا يَخْرُجُ فِي غَزْوَةٍ إِلَّا كَفَأَ عَنْهَا وَأَخْبَرَ أَنَّهُ يُرِيدُ غَيْرَ الْوَجْهِ الَّذِي يَعْمِدُ إِلَيْهِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ فَإِنَّهُ بَيْنَهَا لِلنَّاسِ لِبُعْدِ الْمَشَقَّةِ وَشِدَّةِ الزَّمَانِ وَكَثْرَةِ الْعَدُوِّ الَّذِي يَعْمِدُ لَهُ لِيَتَأَهَّبَ النَّاسُ لِذَلِكَ أَهْبَتَهُ .

فَأَمَرَ النَّاسَ بِالْجَهَّازِ وَأَخْبَرَ أَنَّهُ يُرِيدُ الرُّومَ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ فِي جَهَّازِهِ ذَلِكَ لِلْجَدِّ بْنِ قَيْسٍ أَحَدِ بَنِي سَلِيمَةَ يَا جَدُّ هَلْ لَكَ الْعَامَ فِي جَلَادِ بَنِي الْأَصْفَرِ .

فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ تَأْذُنُ لِي وَلَا تَسْفِينِي ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفَ قَوْمِي أَنَّهُ مَا مِنْ رَجُلٍ أَشَدَّ عُجْبًا بِالنِّسَاءِ مِنِّي وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ رَأَيْتُ نِسَاءَ بَنِي الْأَصْفَرِ أَنِّي لَا أَصْبِرُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ قَدْ أَذِنْتُ لَكَ فِيهِ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ إِذْذُنْ لِي وَلَا تَفْتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ .

وَقَالَ قَوْمٌ مِنَ الْمُتَأَفِّقِينَ لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ ، زَهَادَةٌ فِي الْجِهَادِ وَشَكَاً فِي الْحَقِّ وَارْتِجَافاً بِالرُّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَقَالَ لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ ، قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جد في سفره وعجز نفر من فقراء المسلمين عن تجهيز أنفسهم وهم البكاون وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم من بني عمرو بن عوف وسالم ابن عمير، وعليه بن زيد، أحد بني حارثة، وأبو ليلى عبد الرحمن أخو بني مازن بن النجار، وعمرو بن الحمام، وعبد الله بن مغفل المازني وبعض الناس يقول عبد الله بن عمرو المازني وهرمي بن عبد الله وعرباض بن سارية.

فاستحملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا أهل حاجة فقال لا أجد ما أحملكم عليه فتولوا ييكون وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون.

وقام عليه بن يزيد فصلى من الليل وبكى وقال اللهم إنك قد أمرت بالجهاد ورغبت فيه ثم لم تجعل عندي ما أتقوى به مع رسولك ولم تجعل في يد رسولك ما يحملني عليه وإني أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني فيها من مال أو جسد أو عرض.

ثم أصبح مع الناس فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أين المتصدق هذه الليلة فلم يبق إليه أحد قال أين المتصدق فليقم فقام إليه فأخبره فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أبشر فوالدي نفس محمد بيده لقد كتبت في الزكاة المتسبلة ففي هذا معجزة من معجزاته صلى الله عليه وسلم وذلك بأخباره المتصدق:

فلقي اثنان منهما يامين بن عمير بن كعب الثفري فقال ما يبيكما قالاً جئنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحملنا فلم نجد عنده ما يحملنا عليه وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج ونحن نكره أن نفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاهما ناضحاً له،

الْبَعِيرَ الَّذِي يَحْمِلُ عَلَيْهِ الْمَاءَ فَارْتَحَلَاهُ وَزَوَّدَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاعَيْنِ
مِنْ تَمْرٍ وَحَمَلَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَجُلَيْنِ وَحَمَلَ عُثْمَانُ بْنُ
عَفَانَ مِنْهُمْ ثَلَاثَةً .

أَمَّا الْمُنَافِقُونَ فَقَدْ أَخَذُوا يَتَعَلَّلُونَ وَيَتَّحِلُونَ الْأَعْدَارَ لِيَتَخَلَّفُوا عَنِ
الرُّكْبِ وَكَانُوا مِنَ الْأَغْنِيَاءِ الْقَادِرِينَ عَلَى تَجْهِيزِ أَنْفُسِهِمْ وَغَيْرِهِمْ وَلَكِنَّ
النَّفَاقَ ضَرَبَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَجَّوْا إِلَى الْحِيَلِ يَعْتَدِرُونَ وَجَعَلُوا يَسْتَأْذِنُونَ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْقُعُودِ فَيَأْذَنُ لَهُمْ وَيُعْرِضُ عَنْهُمْ .

وَلَمْ يَقْتَصِرِ الْمُنَافِقُونَ عَلَى تَخَلُّفِهِمْ وَقُعُودِهِمْ بَلْ بَنَوْا سُورَهُمْ وَجَعَلُوا
يُبْطِطُونَ النَّاسَ وَيُخَوِّفُونَهُمْ لِقَاءَ الرُّومِ وَيُرْجِفُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَيَقُولُونَ فِيمَا يَقُولُونَ يَغْزُو مُحَمَّدٌ بَنِي الْأَصْفَرِ مَعَ جُهْدِ الْحَالِ وَالْحَرِّ
وَالْبَلَدِ الْبَعِيدِ أَيَحْسَبُ مُحَمَّدٌ أَنْ قِتَالَ بَنِي الْأَصْفَرِ بَسِيطٌ كَقِتَالِ الْعَرَبِ
بَعْضِهِمْ بَعْضًا وَاللَّهِ لَكَأَنَّكُمْ بِأَصْحَابِهِ غَدًا مُقَرَّرِينَ فِي الْجِبَالِ .

وَكَانَ الْعَرَبُ يَنْظُرُونَ إِلَى دَوْلَةِ الرُّومِ حَيْثُ ذَاكَ كَنْظَرِ
كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ الْيَوْمِ إِلَى دَوْلِ الْكُفْرِ دَوْلِ أَوْرُبَا وَأَمْرِيكََا
وَرُوسِيَا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ
وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَمْنَعِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ
أَنْ يُعِدُّوا لِلْخُرُوجِ عُدَّتَهُ .

وَتَتَابَعَ النَّاسُ يَتَوَافَدُونَ عَلَى الْمَدِينَةِ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ حَتَّى زَادَ عَدَدُهُمْ
عَلَى ثَلَاثِينَ أَلْفًا وَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَسْكَرَهُ عَلَى
ثَنِيَةِ الْوَدَاعِ وَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهِ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى
الْمَدِينَةِ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَهَا ، وَاجْعَلْنَا مِنْ
عِبَادِكَ الْمُفْلِحِينَ الَّذِينَ نَوَّرَتْ قُلُوبَهُمْ بِمَعْرِفَتِكَ ، وَأَهْلَتْهُمْ لِخِدْمَتِكَ ،
وَخَرَسَتْهُمْ مِنْ عَدْوِكَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، بِرَحْمَتِكَ

يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَخَلَّفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَهْلِهِ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَمْرَهُ بِالْإِقَامَةِ فِيهِمْ فَأَرْجَفَ بِهِ الْمُنَافِقُونَ وَقَالُوا مَا خَلَفَهُ إِلَّا اسْتِشْقَالًا لَهُ وَتَخَفُفًا مِنْهُ فَلَمَّا قَالَ الْمُنَافِقُونَ ذَلِكَ أَخَذَ عَلِيٌّ سِلَاحَهُ ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجُرْفِ مَوْضِعَ عَلِيٍّ ثَلَاثَةَ أَمْيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ .

فَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ زَعَمَ الْمُنَافِقُونَ أَنَّكَ إِنَّمَا خَلَفْتَنِي أَنْكَ اسْتَشَقَّيْتَنِي وَتَخَفَفْتَ مِنِّي فَقَالَ كَذَبُوا وَلَكِنِّي إِنَّمَا خَلَفْتُكَ لِمَا وَرَأَيْتَنِي فَارْجِعْ فَاخْلُفْنِي فِي أَهْلِي وَأَهْلِكَ أَفَلَا تَرْضَى يَا عَلِيُّ أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي فَارْجِعْ عَلِيٌّ .

وَعَقَدَ الْأَلْوِيَةَ وَالرَّايَاتِ فَدَفَعَ لِوَأَيْهِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَدَفَعَ رَأْيَتَهُ إِلَى الزُّبَيْرِ وَدَفَعَ رَأْيَةَ الْأَوْسِ إِلَى أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ وَرَأْيَةَ الْخَزْرَجِ إِلَى الْحُبَابِ بْنِ الْمُنْذِرِ وَأَمَرَ كُلَّ بَطْنٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ أَنْ يَتَّخِذُوا لِوَأَيْهِ أَوْ رَأْيَتَهُ .

وَخَرَجَ فِي شَهْرِ رَجَبٍ فِي السَّنَةِ الثَّاسِعَةِ قَاصِدًا نَاحِيَةَ الشَّامِ فِي ثَلَاثِينَ أَلْفًا مِنَ النَّاسِ وَالْحَيْلُ عَشْرَةُ آلَافٍ فَرَسٌ وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَيْثَانَ الْمُنَافِقِينَ خَرَجَ فِي حُلَفَائِهِ مِنَ الْيَهُودِ وَالْمُنَافِقِينَ فَعَسَكَرَ بِهِمْ إِزَاءَ عَسْكَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَلَمَّا أَجْمَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّيْرِ تَخَلَّفَ عَنْهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي وَمَنْ كَانَ مَعَهُ كَمَا تَخَلَّفَ عَنْهُ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ وَلَمْ يَكُنْ الطَّرِيقُ سَهْلًا وَلَا السَّفَرُ قَرِيبًا وَلَا الْوَقْتُ مُلَائِمًا لِلسَّيْرِ إِنَّمَا كَانَ كَمَا تَقَدَّمَ زَمَانُ عُسْرَةٍ وَشِدَّةِ حَرٍّ وَجُدْبٍ وَحِينٍ طَابَتِ الثَّمَارُ وَالظُّلَالُ فَالنَّاسُ يُحِبُّونَ الْمَقَامَ فِي ثِمَارِهِمْ وَظِلَالِهِمْ .

ولكنَّ الجِهَادَ لِدَفْعِ عَدُوِّ مُهَاجِمٍ وَرَدِّ خَطَرِ جَائِمٍ عَلَى الْأَبْوَابِ
فَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ وَهُمْ أَهْلُ الدَّعْوَةِ وَحِمَاتِهَا لِيَتَّكِلُوا عَنِ الْجِهَادِ مَهْمَا
تَكُنَ الْأَسْبَابُ غَيْرَ مُوَاتِيَةٍ وَمَهْمَا تَكُنِ الظُّرُوفُ غَيْرَ مُلَائِمَةٍ قَالَ تَعَالَى
﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِ رَسُولِ
اللَّهِ وَلَا يُرْغَبُوا بِنَفْسِهِمْ عَنِ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ
وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ
عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ
وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ
لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

وَقَدْ قَاسَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ فِي هَذِهِ
السَّفَرَةِ مَشَقَّةً عَظِيمَةً وَعَتَاً وَنَصَباً كَثِيراً قَالَ قَتَادَةُ خَرَجُوا إِلَى الشَّامِ عَامَ
تَبُوكَ فِي لَهْبَانِ الْحَرِّ عَلَى مَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنَ الْجُهْدِ فَأَصَابَهُمْ فِيهَا جُهْدٌ
شَدِيدٌ حَتَّى لَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الرَّجُلَيْنِ كَانَا يَشْقَانِ الثَّمَرَةَ بَيْنَهُمَا وَكَانَ الثَّمَرُ
يَتَدَاوَلُونَ الثَّمَرَةَ بَيْنَهُمْ يَمُصُّهَا هَذَا ثُمَّ يَشْرَبُ عَلَيْهَا ثُمَّ يَمُصُّهَا هَذَا ثُمَّ
يَشْرَبُ عَلَيْهَا .

وَرُوِيَ أَنَّهُ قِيلَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدَّثَنَا عَنْ شَائِنِ
سَاعَةِ الْعُسْرَةِ فَقَالَ عُمَرُ خَرَجْنَا إِلَى تَبُوكَ فِي قَيْضٍ شَدِيدٍ فَتَرَلْنَا مَنَزِلًا
وَأَصَابَنَا فِيهِ عَطَشٌ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّ رِقَابَنَا سَتَنْقَطِعُ وَحَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْحَرُ بَعِيرَهُ
فَيَعْبِرُ فَرْتَهُ فَيَشْرَبُهُ ثُمَّ يَجْعَلُ مَا بَقِيَ عَلَى كَبِدِهِ .

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ عَوَّدَكَ فِي الدُّعَاءِ
خَيْرًا فَادْعُ اللَّهَ لَنَا فَقَالَ أَوْ تُحِبُّ ذَلِكَ قَالَ نَعَمْ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ فَلَمْ يُرْجِعْهُمَا حَتَّى قَالَتِ السَّمَاءُ - أَيُّ

أَذْنَتْ بِمَطَرٍ فَأَطْلَلَتْ ثُمَّ سَكَبَتْ فَمَلَوْا مَا مَعَهُمْ ثُمَّ ذَهَبْنَا نَنْظُرُ فَلَمْ نَرَهَا
جَاوَزَتْ الْعَسْكَرَ .

وَهَذِهِ مُعْجِزَةٌ أَيْضًا وَلَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَشَقَّةُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي عَانَاهَا
الْمُسْلِمُونَ فِي السَّيْرِ إِلَى تَبُوكَ امْتِحَانًا مِنَ اللَّهِ لَهُمْ أَرَادَ بِهِ تَمْحِصَ
الْمُؤْمِنِينَ وَاسْتِخْلَاصَهُمْ وَأَعْدَادَهُمْ لِإِحْتِمَالِ مَشَاقِّ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ
وَلِيَنْظُرَ مَبْلَغَ صَبْرِ الصَّابِرِينَ وَصِدْقَ الصَّادِقِينَ فِي سَبِيلِ الذَّبِّ عَنِ
دِينِهِمْ .

فَكَانَ لَا يَحْتَمِلُ هَذِهِ الْمَشَقَّاتِ إِلَّا الَّذِينَ لَهُمْ إِيمَانٌ عَمِيقٌ رَاسِخَةٌ
عَقِيدَتُهُمْ أَمَا الَّذِينَ نَافَقُوا وَتَظَاهَرُوا بِالْإِيمَانِ فَقَدْ تَضَعَعُوا وَصَعَفُوا
وَخَارَتْ عَزَائِمُهُمْ فَكَانُوا يَتَسَلَّلُونَ مِنْ وَرَاءِ الصُّفُوفِ رَاجِعِينَ .

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

مَوْعِظَةٌ: عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الْحَيَاءَ كَمَا عَلِمْتُمْ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ وَإِنَّهُ خُلِقَ
الْإِسْلَامَ وَذَلِكَ أَنَّهُ يَجْرُ إِلَى الْكَمَالِ وَالْفَضَائِلِ وَهُوَ خُلِقَ الْكِرَامَ
وَسِمَةٌ أَهْلِ الْمُرُوءَةِ وَعَتْوَانِ الْفَضْلِ وَالنَّبْلِ .

وَالْحَيَاءُ بَاعِثُهُ إِحْسَاسُ رَقِيقٍ وَشُعُورٌ دَقِيقٌ يَبْدُو فِي الْعَيْنِ مَظْهَرُهُ
وَعَلَى الْوَجْهِ أَثْرُهُ وَمَنْ حُرِمَهُ حَرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ وَمَنْ تَحَلَّى بِهِ ظَفَرَ بِالْعِزِّ
وَالْكَرَامَةِ وَنَالَ الْخَيْرَ أَجْمَعَ .

وَلَقَدْ كَانَ السَّلْفُ الصَّالِحُ هُمْ أَهْلُ الْحَيَاءِ فَعَلَيْنَا أَنْ نَقْتَدِيَ بِهِمْ
فِي ذَلِكَ الْخُلُقِ الْجَمِيلِ وَلَقَدْ كَانَتْ نِسَاؤُهُمْ مِنْ شِدَّةِ حَيَاتِهِنَّ إِذَا
خَرَجْنَ لِحَاجَةٍ أَوْ ضَرُورَةٍ لَا يُرَى مِنْهَا شَيْئًا أَبَدًا وَتَبْتَعُدُ عَنِ الرَّجَالِ
لِاصِقَةٍ بِالْجِدَارِ مُرْخِيَةٍ ثَوْبَهَا شَيْبًا أَوْ ذِرَاعًا. فِي ثَوْبِ رَثِّ خَلْقٍ وَعِبَاءَةٍ كَذَلِكَ .

مَضَى عَلَى هَذَا مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ ثُمَّ لَمَّا عَشَوْنَا الْأَجَابِثَ وَكَثُرُوا عِنْدَنَا وَهُمْ لَا يَرُونَ فِي التَّبْرُجِ وَالسُّفُورِ بَأْسًا ضَعُفَ دَاعِي الْحَيَاءِ وَآثَرُوا عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النِّسَاءِ .

وَلَا شَكَّ أَنَّ التَّبْرُجَ وَإِبْدَاءَ الزَّيْتَةِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِبْدَاءَهَا مِنَ الْمُتَكْرَاتِ الَّتِي يَجِبُ أَنْكَارُهَا وَمَنْعُهَا لَمَّا يَنْشَأُ عَنْهَا مِنَ الْفَوَاحِشِ وَالْمَعَاصِيِ وَأَفْسَادِ الْأَخْلَاقِ وَإِلَيْكَ الْأَدْلَةُ الدَّالَّةُ عَلَى تَحْرِيمِ السُّفُورِ وَالتَّبْرُجِ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى « وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ » فَهَذِهِ الْآيَةُ دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى النِّسَاءِ الْاِحْتِجَابُ عَنِ الرِّجَالِ

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ ﴾ الْآيَةَ ، فَذَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ مَنْ لَهَا تَشَوُّقٌ إِلَى النِّكَاحِ بَأَنَّ كَانَتْ تَرْجُوهُ عَلَيْهَا جُنَاحٌ وَهُوَ الْإِثْمُ إِنْ وَضَعَتْ ثِيَابَهَا وَرَأَاهَا الْأَجَانِبُ مِنْهَا فَالْشَّابَاتُ مِنْ بَابِ أَوْلَى وَأُخْرَى لَا يَجُوزُ لَهُنَّ وَضْعُ ثِيَابِهِنَّ لِأَنَّ الْفِتْنَةَ بِهِنَّ أَشَدُّ وَائْتُمَّهُنَّ أَعْظَمُ فَتَأَمَّلْ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ ﴾ الْآيَةَ وَأَعْظَمُ مَا تَبْدُو بِهِ الزَّيْنَةُ الْوَجْهَ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَلَا يَضْرِبَنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴾ وَوَجْهَ الدَّلَالَةِ عَلَى الاحْتِجَابِ أَنَّهُ إِذَا كَانَ قَدْ نُهِيَ عَنْ أَنْ تَضْرِبَ بِرِجْلِهَا إِذَا مَشَتْ لِيُسْمَعَ صَوْتَ خِلْخَالِهَا مَنْ يَسْمَعُهُ مِنَ الرِّجَالِ فَتَحَرَّكَ الشَّهْوَةُ فَكَيْفَ بِأَبْدَاءِ الْوَجْهِ الَّذِي فَتَنَتْهُ أَعْظَمُ وَتَحْرِيكُهُ لِلشَّهْوَةِ أَشَدُّ وَهُوَ الَّذِي إِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ أَقْدَمَ أَوْ أَحْجَمَ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ قَالَ فِي فَتْحِ الْقَدِيرِ وَفِي هَذِهِ دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ النَّظَرِ إِلَى غَيْرِ مَنْ يَحِلُّ النَّظَرُ إِلَيْهِ أ هـ .
وَمِنَ الْأَدْلَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى نَاهِيًا لِأَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ .

هَذَا النَّهْيُ وَهَذَا التَّحْذِيرُ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَهْدِ الصَّفْوَةِ الْمُخْتَارَةِ مِنَ الْبَشَرِ لِصُحْبَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَيْفَ بِهَذَا الْمُجْتَمَعِ الَّذِي نَعِيشُ فِيهِ الْيَوْمَ فِي عَصْرِنَا الْمَرِيضِ الدَّنِسِ الْهَابِطِ الَّذِي تَهَيُّجُ فِيهِ الْفِتْنُ وَتَثُورُ فِيهِ الشَّهَوَاتُ وَتَرْفُ فِيهِ الْأَطْمَاعُ نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُفِيضَ لِدِينِهِ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ .

ثُمَّ مِنَ الْأَدْلَةِ الدَّلَالَةِ عَلَى وَجُوبِ الْحِجَابِ وَالسَّتْرِ عَنِ الْأَجَانِبِ مَا وَرَدَ عَنْ أَبِي حَمَيْدٍ أَوْ حُمَيْدَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَطَبَ أَحَدُكُمْ إِمْرَأَةً فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْظُرَ مِنْهَا إِذَا كَانَ إِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا لِخُطْبَةٍ وَإِنْ كَانَتْ لَا تَعْلَمُ رَوَاهُ أَحْمَدُ .

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِطَاعَتِكَ وَاللَّهُمَّ ذَكِّرْكَ وَشُكِّرْكَ وَارْزُقْنَا الْإِنَابَةَ إِلَيْكَ وَحَسْنَ التَّوَكُّلِ عَلَيْكَ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ

وَصَلَّى اللّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ) : وَوَجْهُ الدَّلَالَةِ أَنَّهُ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفَى الْجُنَاحَ وَهُوَ الْاِثْمُ
عَنِ الْخَاطِبِ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا إِذَا كَانَ إِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا لِلْخُطْبَةِ فَدَلَّ الْحَدِيثُ
عَلَى أَنَّ النَّاطِرَ لِغَيْرِ الْخُطْبَةِ آثِمٌ .

وَمِنَ الْأَدْلَةِ قَوْلُهُ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلَاءَ لَمْ
يَنْظُرِ اللّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ فَكَيْفَ يَصْنَعُ النِّسَاءُ بِذُبُولِهِنَّ ،
قَالَ يُرْخِيئُهُ شِبْرًا قَالَتْ إِذَا تَنَكَّشِفَ أَقْدَامُهُنَّ قَالَ يُرْخِيئُ ذِرَاعًا لَا يَزِيدَنَّ
عَلَيْهِ .

وَوَجْهُ دَلَالَتِهِ عَلَى وَجُوبِ التَّسْتُرِ عَنِ الْأَجَانِبِ أَنَّ الْقَدَمَ وَهُوَ أَقْلُ
فِتْنَةٍ مِنَ الْوَجْهِ يَجِبُ سِتْرُهُ فَيَكُونُ وَجُوبُ سِتْرِ الْوَجْهِ مِنْ بَابِ أَوْلَى
وَأُخْرَى .

وَمِنَ الْأَدْلَةِ عَلَى وَجُوبِ التَّسْتُرِ مَا وَرَدَ عَنِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ
رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ الرُّكْبَانُ يَمُرُّونَ بِنَا وَنَحْنُ مُحْرَمَاتٌ مَعَ رَسُولِ
اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا حَادَوْا بِنَا سَدَلَتْ إِحْدَانَا جِلْبَابَهَا عَلَى
وَجْهَهَا مِنْ رَأْسِهَا فَإِذَا جَاوَزُونَا كَشَفْنَاهُ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَةَ .

فَالْحَدِيثُ يَدُلُّ دَلَالَةً وَاضِحَةً عَلَى وَجُوبِ تَغْطِيَةِ الْوَجْهِ عَنِ
الْأَجَانِبِ إِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَّقِيَ اللّهُ
وَيَأْخُذَ عَلَى أَيْدِي نِسَائِهِ وَيَمْنَعَهُنَّ مِمَّا حَرَّمَ اللّهُ عَلَيْهِنَّ مِنَ السُّفُورِ
وَالتَّبْرِجِ .

وَلَا عِبْرَةَ بِالْأَجَانِبِ الَّذِينَ تَرَبَّوْا عَلَى السُّفُورِ وَنَشَؤُوا عَلَيْهِ وَقَلَّدُوا فِيهِ
أَعْدَاءَ الْإِسْلَامِ وَصَارُوا لَا يُبَالُونَ بِهِ وَبِمَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ مِنَ الْمَعَاصِي
وَالْعِيَادُ بِاللّهِ مِنْ تَرْكِ صَلَاةٍ مَعَ الْجَمَاعَةِ وَحُضُورِ مُنْكَرَاتٍ وَرُكُوبِ النِّسَاءِ بِلَا
مَحْرَمٍ وَخَلْوَةِ بِالرِّجَالِ الْأَجَانِبِ وَمُبَاشَرَتِهِمْ وَنَحْوِ ذَلِكَ .

شِعْرًا : إِذَا كَانَ الدُّبُورُ عَلَى أَنَاسٍ أُتِيحَ لَهُمْ أَكْبَرَ مُعْتَدِينَا

ذَوِي كِبَرٍ وَمَجْهَلَةٍ وَجُبْنٍ وَإِهْمَالٍ لِمَا يَتَوَقَّعُونَ
وَإِنْ يُرِدِ الْإِلَهُ صِلَاحَ قَوْمٍ أَتَاخَ لَهُمْ أَكَابِرَ مُصْلِحِينَا
ذَوِي رَأْيٍ وَمَعْرِفَةٍ وَفَهْمٍ وَإِعْدَادٍ لِمَا قَدْ يَحْذَرُونَ

وَلِذَلِكَ تَجِدُ أَهْلَ نَجْدِ الَّذِينَ تَرَبَّوْا فِي مَقَرِّ الدَّعْوَةِ يَسْتَنْكِرُونَ ذَلِكَ أَشَدَّ
الْأَنْكَارِ عَلَى مَنْ أَتَى مِنْ بِلَادِ الْكُفَّارِ فَأَهْلُ نَجْدٍ إِذَا تَأَمَّلْتَ أَكْثَرَهُمْ وَجَدْتَ
عِنْدَهُمْ مَحَبَّةً لِلَّذِينَ وَأَهْلِهِ وَالِدَّعْوَةَ إِلَيْهِ مَا لَيْسَ عِنْدَ غَيْرِهِمْ قَالَ بَعْضُهُمْ :

(دِيَارِ نَجْدٍ هِيَ الدُّنْيَا وَسَاكِنُهَا هُمُ الْأَتَامُ فَقَابِلُهَا بِتَفْضِيلِ)
(يَا مَنْ يُبَاهِي بِلِدَانٍ وَيَمْدُحُهَا نَجْدٌ مُقَدَّمَةٌ وَاسْمَعْ لِتَعْلِيلِ)
(لِأَنَّ فِيهَا حُلُودَ الشَّرْعِ نَافِذَةٌ وَغَيْرُهَا فِي قَوَائِنِ وَتَضْلِيلِ)

نَظَّمُ فِي الْحَثِّ عَلَى الْأَخْذِ بِالْحَدِيثِ وَتَقْدِيمِهِ عَلَى الْأَرَاءِ
وَقَدَّمَ أَحَادِيثَ الرَّسُولِ وَنَصَّهُ
عَلَى كُلِّ قَوْلٍ قَدْ أَتَى بِإِزَائِهِ

فَإِنْ جَاءَ رَأْيٌ لِلْحَدِيثِ مُعَارِضٌ
فَلِلرَّأْيِ فَاطْرَحَ وَاسْتَرَحَّ مِنْ عَنَائِهِ

فَهَلْ مَعَ وُجُودِ الْبَحْرِ يَكْفِي تَيْمُمٌ
لِمَنْ لَيْسَ مَعْذُورًا لَدَى فُقَهَائِهِ

وَهَلْ يُوقَدُ النَّاسُ الْمَصَابِيحَ لِلضِّيَا
إِذَا مَا أَتَى زَفْوُ الضُّحَى بِضِيَائِهِ

سَلَامِي عَلَى أَهْلِ الْحَدِيثِ فَإِنَّهُمْ
مَصَابِيحُ عِلْمٍ بَلْ نُجُومُ سَمَائِهِ

بِهِمْ يَهْتَدِي مَنْ يَقْتَدِي بِعُلُومِهِمْ
وَيَرْقَى بِهِمْ ذُو الدَّاءِ عِلَّةَ دَائِهِ

وَيَحْيَا بِهِمْ مَنْ مَاتَ بِالْجَهْلِ قَلْبُهُ
فَهُمْ كَالْحَيَا تَحْيَا الْبِقَاعِ بِمَائِهِ
لَهُمْ حُلٌّ قَدْ زَيَّنْتَهُمْ مِنَ الْهُدَى
إِذَا مَا تَرَدَّى ذُو الرِّدَا بِرِدَائِهِ
وَمَنْ يَكُنِ الْوَحْيِي الْمُطَهَّرُ عِلْمُهُ
فَلَا رَيْبَ فِي تَوْفِيقِهِ وَاهْتِدَائِهِ
وَمَا يَسْتَوِي تَالِي الْحَدِيثِ وَمَنْ تَلَا
زَخَارِفَ مِنْ أَهْوَائِهِ وَهَدَائِهِ
وَكُنْ رَاغِبًا فِي الْوَحْيِ لَا عَنْهُ رَاغِبًا
كَخَابِطِ لَيْلٍ تَائِهِ فِي دُجَائِهِ
إِذَا شَامَ بَرَقًا فِي سَحَابٍ مَشَى بِهِ
وَإِلَّا بَقِيَ فِي شَكِّهِ وَأَمْتِرَائِهِ
وَمَنْ قَالَ ذَا حِلٍّ وَهَذَا مُحَرَّمٌ
بِغَيْرِ دَلِيلٍ فَهُوَ مَحْضٌ افْتِرَائِهِ
وَكُلُّ فِقِيهِ فِي الْحَقِيقَةِ مُدْعٍ
وَيُثْبِتُ بِالْوَحْيَيْنِ صِدْقَ ادِّعَائِهِ
هُمَا شَاهِدَا عَدْلِ وَلَكِنْ كِلَاهُمَا
لَدَى الْحُكْمِ قَاضٍ عَادِلٍ فِي قَضَائِهِ
فَوَاحِرٌ قَلْبِي مِنْ جَهُولٍ مُسَوِّدٍ
بِهِ يُقْتَدَى فِي جَهْلِهِ لِشَقَائِهِ
إِذَا قُلْتُ قَوْلَ الْمُصْطَفَى هُوَ مَذْهَبِي
مَتَى صَحَّ عِنْدِي لَمْ أَقُلْ بِسِوَائِهِ

يَرَى أَنَّهَا دَعْوَى اجْتِهَادٍ صَاحِبَةٍ
فَوَا عَجَباً مِنْ جَهْلِهِ وَجَفَائِهِ
فَسَلَّهُ أَقُولُ لِلَّهِ مَاذَا أَجَبْتُمْ؟
لِمَنْ هُوَ يَوْمَ الْحَشْرِ عِنْدَ نِدَائِهِ
أَيَسْأَلُهُمْ مَاذَا أَجَبْتُمْ مُلُوكَكُمْ
وَمَا عَظَّمَ الْإِنْسَانَ مِنْ رُؤَسَائِهِ
أَمْ اللَّهُ يَوْمَ الْحَشْرِ يَمْتَحِنُ الْوَرَى
بِمَاذَا أَجَابُوا الرُّسُلَ مِنْ أَنْبِيَائِهِ
وَهَلْ يُسْأَلُ الْإِنْسَانُ عَنْ غَيْرِ أَحْمَدٍ
إِذَا مَا تَوَى فِي الرُّمَسِ تَحْتَ ثَرَائِهِ
وَهَلْ قَوْلُهُ يَا رَبُّ قَلَّدْتُ غَيْرَهُ
لَدَى اللَّهِ عُذْرٌ يَوْمَ فَضْلِ قَضَائِهِ

اللهم فَنَعْنَا مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَسِيرِ وَسَهِّلْ عَلَيْنَا كُلَّ أَمْرٍ عَسِيرٍ وَوَفِّقْنَا لِمَا
تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَسْكِنْنَا دَارَ كَرَامَتِكَ يَا مَنْ هُوَ
مَلْجُؤُنَا وَمَلَاذِنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ كُلِّ فَرْجٍ وَمِنْ كُلِّ ضَيْقٍ
مَخْرَجًا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ إِخْوَانِنَا الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَضَلَّتْ نَاقَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِيَعْضِ الطَّرِيقِ فَخَرَجَ أَصْحَابُهُ فِي طَلَبِهَا
وَعِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ مِنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ يُقَالُ لَهُ عِمَارَةُ بْنُ حَزْمٍ
الْأَنْصَارِيُّ .

وَكَانَ فِي رَحْلِهِ زَيْدُ بْنُ لُصَيْبِ الْقَيْنُقَاعِيِّ وَكَانَ مُنَافِقًا فَقَالَ زَيْدُ بْنُ
لُصَيْبٍ وَهُوَ فِي رَحْلِ عُمَارَةَ وَعُمَارَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ؛ أَلَيْسَ يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ أَنَّهُ يُخْبِرُكُمْ مِنْ خَبَرِ السَّمَاءِ وَهُوَ لَا يَدْرِي
أَيْنَ نَاقَتُهُ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعُمَارَةُ عِنْدَهُ إِنَّ رَجُلًا قَالَ
إِنَّ مُحَمَّدًا يُخْبِرُكُمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُخْبِرُكُمْ بِخَبَرِ السَّمَاءِ وَهُوَ لَا
يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا أَعْلَمَنِي اللَّهُ وَقَدْ دَلَّنِي اللَّهُ
عَلَيْهَا وَهِيَ فِي الْوَادِي فِي شِعْبٍ كَذَا وَكَذَا قَدْ حَبَسَتْهَا شَجَرَةٌ بِزِمَامِهَا
فَانْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا بِهَا .

فَذَهَبُوا فَجَاؤُوا بِهَا وَقَدْ وَجَدَهَا الْحَارِثُ بْنُ خَزَمَةَ الْأَشْهَلِيِّ كَمَا
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ زَيْدٌ لَكَأَنِّي لَمْ أُسَلِّمْ إِلَّا الْيَوْمَ
فَقَدْ كُنْتُ شَاكًا فِي مُحَمَّدٍ وَقَدْ أَصْبَحْتُ وَأَنَا فِيهِ دُوٌّ بِصِيرَةٍ أَشْهَدُ أَنَّهُ
رَسُولُ اللَّهِ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ مُعْجَزَةٌ وَاضِحَةٌ .

ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَائِرًا فَجَعَلَ يَتَخَلَّفُ
عَنْهُ الرَّجُلُ فَيَقُولُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَخَلَّفَ فَلَانُ فَيَقُولُ دَعُوهُ فَإِنْ يَكُ فِيهِ
خَيْرٌ فَسَيُلْحِقُهُ اللَّهُ بِكُمْ وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاكُمْ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى
قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَخَلَّفَ أَبُو ذَرٍّ وَأَبْطَأَ بِهِ بَعِيرُهُ فَقَالَ دَعُوهُ فَإِنْ يَكُ فِيهِ
خَيْرٌ فَسَيُلْحِقُهُ اللَّهُ بِكُمْ وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاكُمْ اللَّهُ مِنْهُ .

وَتَلَوَّمَ أَبُو ذَرٍّ عَلَى بَعِيرِهِ فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَيْهِ بَعِيرُهُ - أَيِ انْقَطَعَ - أَخَذَ
الْمَتَاعَ مِنْ عَلَيْهِ فَحَمَلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ ثُمَّ خَرَجَ يَتَّبِعُ أَثَرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شِئًا وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنَازِلَهُ

فَنظَرَ نَاطِرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا رَجُلٌ يَمْشِي عَلَى الطَّرِيقِ وَحَدَهُ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُنْ أَبَا ذَرٍّ فَلَمَّا تَأَمَّلَهُ الْقَوْمُ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ - وَاللَّهِ أَبُو ذَرٍّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحِمَ اللَّهُ أَبَا ذَرٍّ يَمْشِي وَحَدَهُ وَيَمُوتُ وَحَدَهُ وَيَبْعَثُ وَحَدَهُ وَقَدْ تَحَقَّقَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا نَفَى أَبَا ذَرٍّ نَزَلَ أَبُو ذَرٍّ الرَّبْدَةَ فَأَصَابَهُ بِهَا قَدْرُهُ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُمَّرَأَتُهُ وَعَلَامُهُ فَأَوْصَاهُمَا أَنْ غَسِّلَانِي وَكَفَّنَانِي .

ثُمَّ ضَعَانِي عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ فَأَوْلُ مَرْكَبٍ يَمُرُّ بِكُمْ فَقُولُوا لَهُ هَذَا أَبُو ذَرٍّ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعِينُونَا عَلَى دَفْنِهِ فَلَمَّا مَاتَ فَعَلَا ذَلِكَ بِهِ ثُمَّ وَضَعَاهُ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ .

فَأَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَرَهْطٌ مَعَهُ أَهْلُ الْعِرَاقِ عُمَارًا فَلَمْ يَرُغَهُمْ إِلَّا جَنَازَةً عَلَى الطَّرِيقِ قَدْ كَادَتْ الْإِبِلُ تَطْوُهَا وَقَامَ الْغَلَامُ فَقَالَ هَذَا أَبُو ذَرٍّ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعِينُونَا عَلَى دَفْنِهِ .

فَاسْتَهَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ يَبْكِي وَيَقُولُ صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « تَمْشِي وَحَدَكَ وَتَمُوتُ وَحَدَكَ وَتَبْعَثُ وَحَدَكَ » .
ثُمَّ نَزَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ وَوَارَوْهُ ثُمَّ حَدَّثَهُمْ ابْنُ مَسْعُودٍ حَدِيثَهُ وَمَا قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَسِيرِهِ إِلَى تَبُوكَ وَاسْمُ أَبِي ذَرٍّ « جُنْدُبُ بْنُ جُنَادَةَ » وَمَاتَ فِي سَنَةِ ٣٢ هـ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ جِزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ ، وَعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ أَهْلَتْهُمْ لِيُخْدَمَتِكَ وَجَعَلْتَهُمْ آمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ فَاعِلِينَ لَهُ ، وَنَاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَمُجْتَنِبِينَ لَهُ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ

مِنْهُمْ وَالْمَيْتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصَّلْ) : وَذَكَرَ أَبُو حَاتِمٍ بْنُ حِبَّانٍ فِي صَحِيحِهِ وَغَيْرُهُ فِي قِصَّةِ وَفَاتِهِ عَنْ
مُجَاهِدٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَشْتَرِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أُمِّ دُرٍّ قَالَتْ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا دُرٍّ
الْوَفَاءَ بَكَيْتُ فَقَالَ مَا يُبْكِيكَ فَقُلْتُ مَا لِي لَا أَبْكِي وَأَنْتَ تَمُوتُ بِفَلَاةٍ مِنَ
الْأَرْضِ وَلَيْسَ عِنْدِي ثَوْبٌ يَسْعُكَ كَفْنَا وَلَا يَدَانِ لِي فِي تَغْيِيكِ .

قَالَ أَبُو بَرِيٍّ وَلَا تَبْكِي فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَقُولُ لَنْفَرٍ أَنَا فِيهِمْ لَيَمُوتَنَّ رَجُلٌ مِنْكُمْ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ يَشْهَدُهُ عِصَابَةٌ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَوْلِيكَ النَّفَرِ إِلَّا وَقَدْ مَاتَ فِي قَرْيَةٍ وَجَمَاعَةٍ
فَأَنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ فَوَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ فَأَبْصِرِي الطَّرِيقَ فَقُلْتُ أَنِّي
وَقَدْ ذَهَبَ الْحَاجُّ وَتَقَطَّعَتِ الطَّرِيقُ .

فَقَالَ إِذْهَبِي فَتَبْصِرِي قَالَتْ فَكُنْتُ أَشْتَدُّ إِلَى الْكَيْثِبِ أَتَبَصَّرُ ثُمَّ
أَزْجَعُ فَأَمْرُضُهُ فَيَبِينَا أَنَا وَهُوَ كَذَلِكَ إِذَا أَنَا بِرِجَالٍ عَلَى رِحَالِهِمْ كَأَنَّهُمْ
الرَّحِمُ تَحِبُّ بِهِمْ رَوَاجِلُهُمْ قَالَتْ فَأَشْرْتُ إِلَيْهِمْ فَأَسْرَعُوا إِلَيَّ حَتَّى وَقَفُوا
عَلَيَّ .

فَقَالُوا يَا أُمَّةَ اللَّهِ مَا لِكَ قُلْتَ امْرُؤًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَمُوتُ قَالُوا وَمَنْ
هُوَ قُلْتَ أَبُو دُرٍّ قَالُوا صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتَ نَعَمْ
فَفَدَّوهُ بِأَبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ وَأَسْرَعُوا إِلَيْهِ حَتَّى دَخَلُوا عَلَيْهِ .

فَقَالَ لَهُمْ أَبُو بَرِيٍّ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَقُولُ لَنْفَرٍ أَنَا فِيهِمْ لَيَمُوتَنَّ رَجُلٌ مِنْكُمْ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ يَشْهَدُهُ عِصَابَةٌ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَيْسَ مِنْ أَوْلِيكَ النَّفَرِ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ هَلَكَ فِي جَمَاعَةٍ .

وَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ وَإِنَّهُ لَوْ كَانَ عِنْدِي ثَوْبٌ يَسْعُنِي كَفْنَا لِي
أَوْ لِامْرَأَتِي لَمْ أَكْفُنْ إِلَّا فِي ثَوْبٍ هُوَ لِي أَوْ لَهَا وَإِنِّي أَنشُدُكُمْ اللَّهَ أَنْ لَا

يُكْفِنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ كَانَ أَمِيرًا أَوْ عَرِيفًا أَوْ بَرِيدًا أَوْ نَقِيبًا وَلَيْسَ مِنْ أَوْلِيكَ
النَّفَرِ أَحَدٌ إِلَّا وَقَدْ قَارَفَ بَعْضُ مَا قَالَ إِلَّا فَتَى مِنَ الْأَنْصَارِ .

قَالَ أَنَا أَكْفِنُكَ يَا عَمُّ أَكْفُنُكَ فِي رِدَائِي هَذَا وَفِي ثَوْبِي مِنْ عَيْبَتِي
مِنْ غَزَلِ أُمِّي قَالَ فَأَنْتِ تُكْفِنِي فَكَفَّنَهُ الْأَنْصَارِيُّ وَقَامُوا عَلَيْهِ وَدَفَنُوهُ فِي
نَفَرٍ كُلَّهُمْ إِيْمَانٌ .

وفي هذه القصة أيضاً مُعْجِزَةٌ حَيْثُ وَقَعَ طَبَقٌ مَا أَخْبَرَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَأَمَّلْ .

قال ابن اسحاق ثم إن أبا خَيْثَمَةَ رَجَعَ - بَعْدَ مَا سَارَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيَّاماً إِلَى أَهْلِهِ فِي يَوْمٍ حَارٍّ فَوَجَدَ امْرَأَتَيْنِ لَهُ فِي
عَرِيْشٍ لُهُمَا فِي حَائِطِهِ قَدْ رَشَّتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَرِيْشَهَا وَبَرَّدَتْ لَهُ فِيهِ
مَاءً وَهَيَّأَتْ لَهُ فِيهِ طَعَاماً .

فَلَمَّا دَخَلَ قَامَ عَلَى بَابِ الْعَرِيْشِ فَنظَرَ إِلَى امْرَأَتَيْهِ وَمَا صَنَعَتَا لَهُ
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصُّبْحِ - لَهَبُ الشَّمْسِ
وَحَرَارَتُهَا - وَالرِّيحُ وَالْحَرُّ وَأَبُو خَيْثَمَةَ فِي ظِلِّ بَارِدٍ وَطَعَامٍ مُهَيَّأٍ وَامْرَأَةٍ
حَسَنَاءَ فِي مَالِهِ مُقِيمٌ مَا هَذَا بِالنَّصْفِ وَالْعَدْلِ .

ثُمَّ قَالَ وَاللَّهِ لَا أَدْخُلُ عَرِيْشَ وَاحِدَةٍ مِنْكُمْا حَتَّى أَلْحَقَ بِرَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهَيَّأْتُ لِي زَاداً فَفَعَلْتَا ثُمَّ قَدَّمْ نَاصِحَهُ فَارْتَحَلَهُ - أَيُّ
أَحْضَرَ جَمَلَهُ فَوَضَعَ عَلَيْهِ الرَّحْلَ وَأَعَدَّهُ لِلسَّفَرِ - .

ثُمَّ خَرَجَ فِي طَلَبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أُدْرِكَهُ
حِينَ نَزَلَ تَبُوكَ وَكَانَ عِنْدَمَا أُقْبِلَ قَالَ النَّاسُ هَذَا رَاكِبٌ عَلَى الطَّرِيقِ
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ

هُوَ وَاللَّهُ أَبُو خَيْثَمَةَ فَلَمَّا أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ أَقْبَلَ فَسَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخْبَرَ خَبْرَهُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرًا وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ وَفِي هَذِهِ مُعْجَزَةٌ ظَاهِرَةٌ حَيْثُ وَقَعَ طَبَقَ مَا أَخْبَرَ .

وَقَدْ كَانَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ مِنْهُمْ وَدِيعَةُ بْنُ ثَابِتٍ وَمِنْهُمْ مَخْشِيُّ بْنُ حَمِيرٍ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَتَحْسُبُونَ جِلَادَ بَنِي الْأَصْفَرِ كَقِتَالِ الْعَرَبِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَاللَّهُ لَكَأَنَّكُمْ غَدًا مُقَرَّنِينَ فِي الْجِبَالِ إِرْجَافًا وَإِرْهَابًا لِلْمُؤْمِنِينَ .

فَقَالَ مَخْشِيُّ وَاللَّهِ لَوِدِدْتُ أَنِّي أَقَاضِي عَلَى أَنْ يُضْرَبَ كُلُّ مِثْنَا مِائَةَ جِلْدَةٍ وَأَنَا نَتَقَلِبُ قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ فِيْنَا قُرْآنٌ لِمَقَالَتِكُمْ هَذِهِ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعِمَارِ بْنِ يَاسِرٍ « أَدْرَكَ الْقَوْمَ فَإِنَّهُمْ قَدْ احْتَرَقُوا فَسَلِّهِمْ عَمَّا قَالُوا فَإِنْ أَنْكَرُوا فَقُلْ بَلَى قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا فَانْطَلَقَ إِلَيْهِمْ عِمَارٌ فَقَالَ ذَلِكَ لَهُمْ .

فَاتُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ فَقَالَ وَدِيعَةُ بْنُ ثَابِتٍ كُنَّا نَحْوُضُ وَنَلْعَبُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخْوُضُ وَنَلْعَبُ فَقَالَ مَخْشِيُّ بْنُ حَمِيرٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ قَعَدَ بَنِي اسْمِي وَاسْمُ أَبِي فَكَانَ الَّذِي عَفَا عَنْهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَتَسْمَى عَبْدَ الرَّحْمَنِ وَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُقْتَلَ شَهِيدًا لَا يُعْلَمُ بِمَكَانِهِ فَقُتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ اثْرٌ ، ففِي هَذِهِ الْقِصَّةِ مُعْجَزَةٌ أَيْضًا وَهِيَ إِخْبَارُهُ بِمَا قَالُوا .

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَذَكَرَ ابْنُ عَثَائِدٍ فِي مَغَازِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزَلَ تَبُوكَ فِي زَمَانٍ قَلَّ مَاؤُهَا فِيهِ فَاعْتَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وسلم غُرْفَةً بِيَدِهِ مِنْ مَاءٍ فَمَضْمِضٍ بِهَا فَاهُ ثُمَّ بَصَقَهُ فِيهَا فَفَارَتْ عَيْنُهَا حَتَّى امْتَلَأَتْ فِيهِ كَذَلِكَ حَتَّى السَّاعَةَ .

قُلْتُ ؛ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ : أَنَّهُ قَبْلَ وُصُولِهِ إِلَيْهَا قَالَ إِنَّكُمْ سَتَاتُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - عَيْنَ تَبُوكٍ وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتَوْهَا حَتَّى يُضْحِيَ النَّهَارُ فَمَنْ جَاءَهَا فَلَا يَمَسُّ مِنْ مَائِهَا شَيْئًا حَتَّى آتِي .

قَالَ فَجِئْنَاهَا وَقَدْ سَبَقَ إِلَيْهَا رَجُلَانِ وَالْعَيْنُ مِثْلُ الشَّرَاكِ تَبُصُ بِشَيْءٍ مِنْ مَائِهَا فَسَأَلَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ مَسَسْتُمَا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا قَالَا نَعَمْ .

فَسَبَّهُمَا وَقَالَ لَهُمَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ ثُمَّ غَرَفُوا مِنَ الْعَيْنِ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى اجْتَمَعَ فِي شَيْءٍ ثُمَّ غَسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ ثُمَّ أَعَادَهُ فِيهَا فَجَرَّتِ الْعَيْنُ بِمَاءٍ كَثِيرٍ فَاسْتَقَى النَّاسُ .

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوْشِكُ يَا مُعَاذُ إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ أَنْ تَرَى مَا هَا هُنَا قَدْ مَلِيَءَ جِنَانًا .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ قُمْتُ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ وَأَنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فَرَأَيْتُ شُعْلَةً مِنْ نَارٍ فِي نَاحِيَةِ الْعَسْكَرِ فَاتَّبَعْتُهَا أَنْظُرُ إِلَيْهَا فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ ذُو الْبِجَادَيْنِ وَالْبِجَادُ الْكِسَاءُ الْأَسْوَدُ الْغَلِيظُ - الْمُزْنِيُّ قَدْ مَاتَ .

وَإِذَا هُمْ قَدْ حَفَرُوا لَهُ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حُفْرَتِهِ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ يُدْلِيَانِهِ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ أَدْنِيَا إِلَيَّ أَحَاكَمَا فَدَلِّيَاهُ إِلَيْهِ

فَلَمَّا هَيَّأَهُ لِبِشْقَةِ قَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ أُمْسَيْتُ رَاضِيًا عَنْهُ فَارْضَ عَنْهُ قَالَ
يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ صَاحِبَ الْحُفْرَةِ .

وَلَمَّا وَصَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى تَبُوكَ وَصَارَ عَلَى حُدُودِ دَوْلَةِ
الرُّومِ لَمْ يَجِدْ أَحَدًا مِنَ الْعَدُوِّ وَمِنَ الْمُحْتَمَلِ أَنْ يَكُونَ الرُّومُ آثَرُوا
الْإِنْسِحَابَ إِلَى دَاخِلِ بِلَادِ الشَّامِ لِيَتَحَصَّنُوا بِحُصُونِهَا حِينَ بَلَغَهُمْ أَمْرُ
هَذَا الْجَيْشِ وَقُوَّتُهُ .

وَأَيْمًا كَانَ الْوَاقِعُ فَقَدْ وَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ
تَبُوكَ لَمْ يُجَاوِزْهَا وَبَعَثَ سَرَايَاهُ إِلَى مَنْ حَوْلَ تَبُوكَ فَاتَاهُ صَاحِبُ إِيْلَةَ
فَصَالَحَهُ وَأَعْطَاهُ الْجِزْيَةَ وَأَتَاهُ أَهْلُ جِرْبَاءَ وَأَذْرَحَ فَأَعْطُوهُ الْجِزْيَةَ وَكَتَبَ لَهُمْ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا فَهُوَ عِنْدَهُمْ .

وَكَتَبَ لِصَاحِبِ إِيْلَةَ « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هَذَا أَمْنَةٌ مِنْ
اللَّهِ وَمُحَمَّدِ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ لِيُؤْحِثَهُ ابْنُ ذُوْبَةَ وَأَهْلُ إِيْلَةَ لِسُفْنِهِمْ
وَلِسَيَّارَاتِهِمْ وَلِبَحْرِهِمْ وَلِبَرِّهِمْ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ مُحَمَّدِ النَّبِيِّ وَلِمَنْ كَانَ مَعَهُمْ
مِنْ كُلِّ مَآرٍ مِنَ النَّاسِ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَأَهْلِ الْيَمَنِ وَأَهْلِ الْبَحْرِ .

فَمَنْ أَحْدَثَ مِنْهُمْ حَدَثًا فَإِنَّهُ لَا يَحُولُ مَالُهُ دُونَ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لِمَنْ
أَخَذَهُ مِنَ النَّاسِ وَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ أَنْ يُمْنَعُوا مَاءً يَرُدُّونَهُ وَلَا طَرِيقًا يَرُدُّونَهَا مِنْ
بَرٍّ وَبَحْرٍ هَذَا كِتَابُ جُهِيمِ بْنِ الصَّلْتِ أ هـ .

اللَّهُمَّ قُوِّ إِيْمَانَنَا بِكَ وَبِمَلَائِكَتِكَ وَبِكُتُبِكَ وَبِرُسُلِكَ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا
اللَّهُمَّ اسْلُكْ بِنَا سَبِيلَ عِبَادِكَ الْأَبْرَارِ وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُصْطَفِينَ
الْأَخْيَارِ وَآمِنْ عَلَيْنَا بِالْعَفْرِ وَالْعِتْقِ مِنَ النَّارِ وَاحْفَظْنَا مِنَ الْمَعَاصِي فِيمَا بَقِيَ
مِنَ الْأَعْمَارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ

برحمتك يا أرحم الراحمين صلى الله علي محمد وآله وصحبه
أجمعين .

« فَضْلٌ »

وَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ بَدَأَ
بِالْمَسْجِدِ ، فَصَلَّى فِيهِ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ . فَجَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ
فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ ، وَيَحْلِفُونَ لَهُ . وَكَانُوا بَضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا . فَقَبِلَ
مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَانِيَتَهُمْ ، وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ ،
وَوَكَّلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ .

وَجَاءَهُ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ . فَلَمَّا سَلَّمَ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ ثُمَّ
قَالَ لَهُ « تَعَالَ ، قَالَ : فَجِئْتُ أُمْسِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ
لِي : مَا خَلَفَكَ ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ ؟ فَقُلْتُ : بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي
لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخِطِهِ
بِعُذْرٍ ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا وَلِكَيْتِي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ
حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي ، لِيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَسْخِطَكَ عَلَيَّ . وَلَنْ
حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ ، تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ ، إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللَّهِ . لَا
وَاللَّهِ مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ
تَخَلَّفْتُ عَنْكَ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ فَقَمُّ
حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ ، فَقُمْتُ . وَثَارَ رِجَالُ مِنْ بَنِي سَيْلَمَةَ ، فَاتَّبَعُونِي
يُؤَيَّبُونِي ، فَقَالُوا لِي : وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا ،
وَلَقَدْ عَجِزْتَ أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِمَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ الْمُخَلَّفُونَ ، فَقَدْ كَانَ كَافِيكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارَ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكَ .

قَالَ . فَوَ اللّهِ ، مَا زَالُوا يُؤْتِبُونَنِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأَكْذِبَ نَفْسِي ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ : هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِيَ أَحَدٌ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، رَجُلَانِ قَالَا مِثْلَ مَا قُلْتَ ، فَقِيلَ لَهُمَا مِثْلَ الَّذِي قِيلَ لَكَ . فَقُلْتُ : مَنْ هُمَا ؟ قَالُوا : مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَامِرِيُّ ، وَهَلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ ، فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحِينَ شَهِدَا بَدْرًا فِيهِمَا أُسْوَةٌ . فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي .

وَنَهَى رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا - أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ - مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ . فَاجْتَنَبْنَا النَّاسَ ، وَتَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَرَتْ لِي فِي نَفْسِي الْأَرْضُ ، فَمَا هِيَ الْبَيْتِي أَعْرِفُ ، فَلَبِئْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً .

فَأَمَّا صَاحِبَايَ : فَاسْتَكَانَا ، وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَتَكَيَّانِ وَأَمَّا أَنَا : فَكُنْتُ أَشْبُ الْقَوْمِ وَأَجْلَدُهُمْ ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ وَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ ، وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ وَآتَى رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ ، وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي : هَلْ حَرَكْتُ شَفْتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ عَلَيَّ أَمْ لَا .

ثُمَّ أَصْلَبِي قَرِيبًا مِنْهُ ، فَاسَارِقُهُ النَّظَرَ . فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ ، وَإِذَا التَّفْتُ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي ، حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ الْمُسْلِمِينَ : مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ - وَهُوَ ابْنُ عَمِّي ، وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ - فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ . فَوَاللّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ .

فَقُلْتُ : يَا أَبَا قَتَادَةَ ، أَسْأَلُكَ اللّهُ ، هَلْ تَعَلَّمَنِي أَحِبُّ اللّهُ وَرَسُولَهُ ؟ فَسَكَتَ . فَعُدْتُ لَهُ ، فَتَشَدَّدْتُ ، فَسَكَتَ . فَعُدْتُ لَهُ فَتَشَدَّدْتُ .

فَقَالَ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . ففَاضَتْ عَيْنَايَ ، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسُوْرَتْ
الجِدَارَ .

فَبَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي بِسُوْقِ الْمَدِيْنَةِ وَإِذَا نَبْطِي مِنْ أَنْبَاطِ الشَّامِ مِمَّنْ
قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيْعُهُ بِالْمَدِيْنَةِ ، يَقُولُ : مَنْ يَدُلُّ عَلَيَّ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ؟ فَطَفَّقَ
النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ ، حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ ،
فَإِذَا فِيهِ : أَمَا بَعْدُ ، فَانِهِ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ
اللَّهُ بَدَارِ هَوَانٍ وَلَا مَضِيْعَةٍ ، فَالْحَقُّ بِنَا نُوَاسِكَ .

فَقُلْتُ ، لَمَّا قَرَأْتُهَا : وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الْبَلَاءِ ، فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التُّوْرَ
فَسَجَرْتُهَا ، حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنَ الْخَمْسِيْنَ إِذَا رَسُوْلُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِيَنِي ، فَقَالَ : إِنَّ رَسُوْلَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزَلَ أَمْرَاتِكَ . فَقُلْتُ : أَطَلَّقُهَا ، أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ ؟
قَالَ : لَا . وَلَكِنْ اعْتَزِلْهَا وَلَا تَقْرَبْهَا .

وَأَرْسَلَ إِلَيَّ صَاحِبِي بِمِثْلِ ذَلِكَ . فَقُلْتُ لِأَمْرَاتِي ، الْحَقِي
بِأَهْلِكَ ، فَكُوْنِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ ، فَجَاءَتْ أَمْرَأَةٌ
هِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُوْلَ اللَّهِ ، إِنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ
ضَائِعٌ ، لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ ، فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدِمَهُ ؟ قَالَ لَا ، وَلَكِنْ لَا
يَقْرُبُكَ ، قَالَتْ : إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ . وَاللَّهِ مَا زَالَ يَبْكِي
مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا .

قَالَ كَعْبٌ : فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي : لَوْ اسْتَأْذَنْتَ رَسُوْلَ اللَّهِ
فِي أَمْرَاتِكَ كَمَا أُذِنَ لِأَمْرَأَةِ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدِمَهُ ؟ فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَا
أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُوْلَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيْنِي مَا يَقُولُ رَسُوْلُ اللَّهِ إِذَا اسْتَأْذَنْتَهُ
فِيهَا ، وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌ .

قَالَ : فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ ، حَتَّى كَمَلْتُ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً
مِنْ حِينَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ عَن كَلَامِنَا . فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صُبْحَ
خَمْسِينَ لَيْلَةً ، وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا ، فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى
الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى ، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي ، وَضَاقَتْ عَلَيَّ
الْأَرْضُ بِمَا رُحِبْتُ ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْ فِي عَلَى جَبَلٍ سَلَعٍ
بَأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ، أَبْشِرْ .

فَخَرَزْتُ سَاجِدًا ، فَعَرَفْتُ أَنَّ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ مِنَ اللَّهِ ، وَأَذِنَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى الْفَجْرَ . فَذَهَبَ
النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا . وَذَهَبَ قَبْلَ صَاحِبِي مُبَشِّرُونَ ، وَرَكَضَ إِلَيَّ رَجُلٌ
فَرَسًا ، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ ، فَأَوْفَى عَلَيَّ ذِرْوَةَ الْجَبَلِ ، وَكَانَ الصَّوْتُ
أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ .

فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبِي فَكَسَوْتُهُ
إِيَّاهُمَا بِبُشْرَاهُ ، وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا . وَاسْتَعْرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبَسْتُهُمَا .

فَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَلَقَانِي النَّاسُ
فَوْجًا فَوْجًا يُهَيِّئُونَنِي بِالتَّوْبَةِ ، يَقُولُونَ : لِيَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ ، قَالَ
كَعْبُ : حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ يُهْرَوِلُ ، حَتَّى
صَافَحَنِي وَهَنَانِي ، وَاللَّهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ ، وَلَا
أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ .

فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ قَالَ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ
أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدْتِكَ أُمَّكَ ، قُلْتُ : أَهْوَ مِنْ عِنْدِكَ يَا

رسول الله ، أم من عند الله ؟ قال : لا ، بل من عند الله ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سر استنار وجهه ، حتى كأنه قطعة قمر ، وكنا نعرف ذلك منه .

فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله ، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله ، فقال : أمسك عليك بعض ما لك ، فهو خير لك . قلت : فإني أمسك سهمي الذي بخيبر ، وقلت : يا رسول الله إن الله إنما نجاني بالصديق ، وإن من توبتي : أن لا أتحدث إلا صدقاً ما بقيت .

فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومي هذا ما أبلاني . والله ما تعمدت بعد ذلك إلى يومي هذا كذباً ، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت ، فأنزل الله تعالى على رسوله (١٩ : ١١٧ - ١١٩) لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار - إلى قوله - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴿ .

فوالله ما أنعم الله عليّ نعمة قط بعد أن هداني للإسلام - أعظم في نفسي من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن لا أكون كذبتُهُ ، فأهلك كما هلك الذين كذبوا ، فإن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شراً ما قال لإحدٍ ، قال ﴿ ٩ : ٩٥ ، ٩٦ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ إِلَى قَوْلِهِ - فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ .

قال كعب : وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله حين حلفوا له ، فبايعهم ، واستغفر لهم ، وأرجأ أمرنا حتى قضى

اللَّهُ فِيهِ ، فَبَدَّلِكَ قَالَ اللَّهُ ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا ﴾ وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ مِمَّا خَلَفْنَا : عَنِ الْغَزْوِ ، وَإِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا ، وَارْجَاؤُهُ أَمْرًا عَمَّنْ خَلَفَ لَهُ وَاعْتَدَرَ إِلَيْهِ ، فَاقْبَلْ مِنْهُ .

وَقَالَ عِثْمَانُ بْنُ سَعِيدِ الدَّارِمِيِّ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ (٩ : ١٠٢) وَآخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا) قَالَ « كَانُوا عَشْرَةَ رَهْطٍ ، تَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ .

فَلَمَّا حَضَرَ رُجُوعَ رَسُولِ اللَّهِ أُوتِقَ سَبْعَةٌ مِنْهُمْ أَنْفُسَهُمْ بِسَوَارِي الْمَسْجِدِ . وَكَانَ مَمَرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَجَعَ فِي الْمَسْجِدِ عَلَيْهِمْ ، فَلَمَّا رَأَاهُمْ ، قَالَ : مَنْ هَؤُلَاءِ الْمُوثِقُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالسَّوَارِي ؟ قَالُوا : هَذَا أَبُو لُبَابَةَ وَأَصْحَابٌ لَهُ تَخَلَّفُوا عَنْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أُوتِقُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَخَلَفُوا أَنَّهُمْ لَا يُطَلِّقُهُمْ أَحَدٌ حَتَّى يُطَلِّقَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَعْتَدِرَهُمْ .

فَقَالَ : وَأَنَا أَقْسِمُ بِاللَّهِ لَا أُطَلِّقُهُمْ وَلَا أَعْتَدِرُهُمْ ، حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يُطَلِّقُهُمْ ، رَغِبُوا عَنِّي ، وَتَخَلَّفُوا عَنِ الْغَزْوِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ . فَلَمَّا بَلَغَهُمْ ذَلِكَ قَالُوا : وَنَحْنُ نَقْسِمُ بِاللَّهِ لَا نُطَلِّقُ أَنْفُسَنَا حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يُطَلِّقُنَا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَآخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ - وَعَسَى مِنَ اللَّهِ وَاجِبٌ - إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ .

فَلَمَّا نَزَلَتْ أُرْسِلَ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَطَلَقَهُمْ ، وَاعْتَدِرَهُمْ ، فَجَاءُوا بِأَمْوَالِهِمْ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ أَمْوَالُنَا فَتَصَدَّقْ بِهَا

عَنَا ، وَاسْتَغْفِرْ لَنَا ، قَالَ : مَا أَمَرْتُ أَنْ أَخَذَ أَمْوَالَكُمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿ ٩ ﴾ :
١٠٣ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ، وَصَلِّ عَلَيْهِمْ - يَقُولُ :
اسْتَغْفِرْ لَهُمْ - إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴿ فَأَخَذَ مِنْهُمْ الصَّدَقَةَ ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ .

وَكَانَ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ لَمْ يُؤْتِقُوا أَنْفُسَهُمْ بِالسَّوَارِي ، فَأَرْجَتْوَا لَا يَدْرُونَ
أَيَعَذَّبُونَ أَمْ يَتَابُ عَلَيْهِمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ
وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ - إِلَى قَوْلِهِ : وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَقُوا - إِلَى قَوْلِهِ :
إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَنَا رِزْقًا رَغَدًا ، وَلَا تَسْمِتْ بِنَا أَجْدًا .
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

قِصَّةُ هِرْقَلِ مَلِكِ الرُّومِ حِينَمَا جَاءَهُ
كِتَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عن ابن عباس رضي الله عنهما:

أَنَّ أَبَا سَفْيَانَ أَخْبَرَهُ مِنْ فِيهِ إِلَى فِيهِ قَالَ: انْطَلَقْتُ فِي الْمَدَّةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنِي
وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَبَيْنَمَا أَنَا بِالشَّامِ إِذْ جَاءَ بِكِتَابٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى هِرْقَلٍ، يَعْنِي عَظِيمَ الرُّومِ، قَالَ: وَكَانَ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ جَاءَ بِهِ فَدَفَعَهُ إِلَى
عَظِيمِ بَصْرَى، فَدَفَعَهُ عَظِيمُ بَصْرَى إِلَى هِرْقَلِ.

فَقَالَ هِرْقَلُ: هَلْ هَاهُنَا أَحَدٌ مِنْ قَوْمِ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟
قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ: فَدُعِيتُ فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَدَخَلْنَا عَلَى هِرْقَلٍ، فَاجْلَسْنَا بَيْنَ يَدَيْهِ.
فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا مِنْ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟
فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ: فَقُلْتُ أَنَا.

فأجلسوني بين يديه، وأجلسوا أصحابي خلفي ثم دعا بترجمانه.
فقال له: قل لهم إني سائل هذا عن الرجل الذي يزعم أنه نبي، فإن
كذبتني فكذبوه.

قال: فقال أبو سفيان: وأيم الله لولا مخافة أن يؤثر عليّ الكذب لكذبت،

ثم قال، لترجمانه: سله كيف حسبه فيكم؟

قال: قلت: هو فينا ذو حسب.

قال: فهل كان من آباءه ملك؟

قلت: لا.

قال: فهل كنتم تتهمونهم بالكذب قبل أن يقول ما قال؟

قلت: لا.

قال: ومن يتبعه، أشرف الناس أم ضعفاؤهم؟

قال: قلت بل ضعفاؤهم.

قال: أيزيدون أم ينقصون؟

قال: قلت، لا، بل يزدون.

قال: هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطاً له؟

قال: قلت: لا.

قال: فهل قاتلتموه؟

قلت: نعم.

قال: فكيف كان قتالكم إياه؟

قال: قلت: تكون الحرب بيننا وبينه سجالاً، يُصيب منا ويُصيب منه.

قال: فهل يغدر؟

قلت: لا، ونحن منه في مدّة لا ندري ما هو صانع فيها. قال: فوالله ما

أمكنني من كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه.

قال: فهل قال هذا القول أحد قبله؟

قلت: لا.

قال لترجمانه: قل له: إني سألتك عن حسبه، فزعمت أنه فيكم ذو حسب، وكذلك الرسل تُبعثُ في أحساب قومها.

وسألتك هل كان في آباءه ملك؟ فزعمت: أن لا، فقلت: لو كان من آباءه ملك، قلت رجل يطلب ملك آباءه.

وسألتك عن أتباعه أضعفاؤهم أم أشرافهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم، وهم أتباع الرسل.

وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت: أن لا. فقد عرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس، ثم يذهب فيكذب على الله.

وسألتك: هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخله سخطة له، فزعمت أن لا، وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب.

وسألتك: هل يزيدون أو ينقصون؟ فزعمت أنهم يزيدون، وكذلك الإيمان حتى يتم.

وسألتك: هل قاتلتموه؟ فزعمت أنكم قد قاتلتموه، فتكون الحرب بينكم وبينه سجالاً، ينال منكم وتنالون منه. وكذلك الرسل تُبتلى، ثم تكون لهم العاقبة.

وسألتك: هل يغدر؟ فزعمت أنه لا يغدر، وكذلك الرسل لا تغدر.

وسألتك: هل قال هذا القول أحد قبله؟ فزعمت أن لا، فقلت: لو قال هذا القول أحد قبله، قلت: رجل اتهم بقول قيل قبله.

قال: ثم قال: بسم يأمركم؟

قلت: يأمرنا بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف.

قال: إن يكن ما تقول فيه حقاً فإنه نبي، وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظنه منكم، ولو أنني أعلم أنني أحلص إليه لأحببت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه، ولَيَبْلُغَنَّ ملكه ما تحت قدمي.

قال: ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقراه، فإذا فيه:

(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى. أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام. أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، و﴿يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله، ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾).

فلما فرغ من قراءة الكتاب، ارتفعت الأصوات عنده، وكثر اللفظ وأمر بنا فأخرجنا.

قال: فقلت لأصحابي، حين خرجنا: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة، إنه ليخافه ملك بني الأصفر!.

قال: فما زلت موقناً بأمر رسول الله ﷺ أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام.

شعرا : عَلَيْكَ بِمَا يُفِيدُكَ فِي الْمَعَادِ
فَمَا لَكَ لَيْسَ يَنْفَعُ فِيكَ وَعَظٌ
وَمَا تَنْجُو بِهِ يَوْمَ التَّيَادِ
وَلَا زَجْرٌ كَأَنَّكَ مِنْ جَمَادِ
سَتَنْدُمُ إِنْ رَحَلْتَ بِغَيْرِ زَادِ
وَتَشْقَى إِذْ يُنَادِيكَ الْمُنَادِي
فَلَا تَفْرَحْ بِمَالٍ تَفْتَنِيهِ
وَأَنْتَ حَيٌّ وَتُبُّ مِمَّا جَنَيْتَ
فَأِنَّكَ فِيهِ مَعَكُوسُ الْمُرَادِ
وَأَلْسِنَتُنَا رَطْبَةٌ بِذِكْرِكَ
وَأَمِينًا مِنْ سَطَوَاتِكَ وَمَكْرِكَ ،
اللَّهُمَّ اجْعَلْ قُلُوبَنَا مَمْلُوءَةً بِحُبِّكَ
اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي دِينِنَا
مُطِيعَةً لِأَمْرِكَ

وَدُنْيَانَا وَأَخْرَانَا وَأَهْلِنَا وَمَا لَنَا اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا وَأَمِّنْ رَوْعَاتِنَا وَاحْفَظْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَمِنْ خَلْفِنَا وَعَنْ أَيْمَانِنَا وَعَنْ شِمَائِلِنَا وَمِنْ فَوْقِنَا وَنَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ نَفْتَالَ مِنْ تَحْتِنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

قِصَّةُ الْغَلَامِ الْمُؤْمِنِ وَالْمَلِكِ

(أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ)

عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:
(كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إليّ غلاماً أعلمه السّحر.

فبعث إليه غلاماً يعلمه. وكان في طريقه إذا سلك راهب، فقعده إليه وسمع كلامه فأعجبه، وكان إذا أتى الساحر مرّ بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكبا ذلك إلى الراهب.

فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر.

فبينما هو على ذلك، إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس.

فقال: اليوم أعلم السّاحر أفضل أم الراهب أفضل؟

فأخذ حجراً فقال:

اللّهم إن كان أمر الراهب أحبّ إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدّابة حتى يمضي الناس. فرماها فقتلها، ومضى الناس. فأتى الراهب فأخبره.

فقال له الراهب: أي بُنيّ، أنت اليوم أفضل منّي، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدلّ عليّ.

وكان الغلام يرى الأكمة، والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأدواء.

فسمع جليس للملك كان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة فقال: ما ههنا لك أجمع إن أنت شفيتني.

فقال: إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله تعالى. فإن آمنت بالله تعالى دعوت الله فشفاك.

فأمن بالله تعالى، فشفاه الله تعالى. فأتى الملك، فجلس إليه كما كان يجلس. فقال له الملك: من ردّ عليك بصرك؟ قال: ربّي.

قال: أولك ربّ غيري؟

قال: ربي وربك الله.

فأخذه فلم يزل يعذّبه حتّى دلّ على الغلام، فجيء بالغلام. فقال له الملك: أي بنيّ قد بلغ من سحرك ما تُبرىء الأكمة، والأبرص، وما تفعل وتفعل!

فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله تعالى.

فأخذه فلم يزل يعذبه حتّى دلّ على الرّاهب، فجيء بالرّاهب فقيل له: إرجع عن دينك، فأبى.

فدعا بالمنشار، فوضع المنشار في مفرق رأسه، فشقّه، حتّى وقع شقّاه، ثم جيء بجليس الملك.

فقال له: إرجع عن دينك، فأبى.

فوضع المنشار في مفرق رأسه، فشقّه به، حتى وقع شقّاه، ثم جيء بالغلام.

فقيل له: إرجع عن دينك، فأبى.

فدفعه إلى نفرٍ من أصحابه، فقال: اذهبوا إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغت ذروته، فإن رجع عن دينه وإلا فاطر حوه. فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال:

اللَّهُمَّ اكفينهم بما شئت. فرجف بهم الجبل، فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك.

فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟
فقال: كفانيهم الله تعالى.

فدفعه إلى نفرٍ من أصحابه، فقال: اذهبوا به، فاحملوه في قُرُورٍ وتوسَّطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه. فذهبوا به فقال:
اللَّهُمَّ اكفينهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة، فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك.

فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟
فقال: كفانيهم الله تعالى.

فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به.
قال: ما هو؟

قال: تجمع النَّاسُ في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهماً من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل:

بسم الله ربَّ الغلام، ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني.

فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهماً من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال:

بسم الله ربَّ الغلام. ثم رماه فوق السهم في صدغه، فوضع يده في صدغه فمات.

فقال الناس: أمّا برّب الغلام.

فأتى الملك فقيل له: أ رأيت ما كنت تحذر، قد والله نزل بك حذرَكَ قد آمن الناس.

فأمر بالأخدود بأفواه السكك، فحذت، وأضرَم فيها النيران وقال: من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها، أو قيل له اقتحم، ففعلوا، حتّى جاءت امرأة، ومعها صبيّ لها فتقاعست أن تقع فيها.

فقال لها الغلام: (يا أمّه اصبري، فإنّك على الحق). «رواه مسلم».

قصة الثلاثة أصحاب الغار

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطّاب رضي الله عنهما قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: (انطلق ثلاثة نفرٍ ممّن كان قبلكم حتّى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فأنحدرت صخرة من الجبل فسدّت عليهم الغار. فقالوا، إنّه لا يُنجيكم من هذه الصخرة إلّا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم. قال رجل منهم:

اللهمّ كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بي طلب الشجر يوماً فلم أرح عليهما حتّى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت — والقَدح في يدي — أنتظر استيقاظهما حتّى برّق الفجر، والصبيّة يتضاغون عند قدمي، فاستيقظا فشرّبا غبوقهما.

اللهمّ إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، ففرّج عنّا ما نحن فيه من هذه الصخرة. فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه.

قال الآخر: اللهمّ إنّه كانت لي ابنة عمّ كانت أحبّ الناس إليّ. «وفي

رواية: كنت أحبها كأشد ما يُحب الرجال النساء، فأردتها على نفسها، فامتنت مني حتى أَلَمَّت بها سنة من السنين، فجاءتني، فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بين وبين نفسها، ففعلت، حتى إذا قَدِرت عليها، وفي رواية: «فلما قعدت بين رجلها» قالت: اتق الله ولا تُفُضْ الخاتم إلا بحقه، فانصرفت عنها وهي أحبُّ الناس إليّ وتركت الذهب الذي أعطيتها.

اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عَنَّا ما نحن فيه. فانفرجت الصخرة، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها.

وقال الثالث: اللهم استأجرت أجراً وأعطيتهم أجرهم غير رجلٍ واحدٍ ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين: فقال: يا عبدالله أدِّ إليّ أجري. فقلت: كل ما ترى من أجرك، من الإبل والبقر والغنم والرقيق.

فقال: يا عبدالله لا تستهزيء بي!

فقلت: لا أستهزيء بك.

فأخذه كله فاستاقه، فلم يترك منه شيئاً.

اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عَنَّا ما نحن فيه. فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون). «متفق عليه».

قِصَّةُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ ابْتَلَاهُمُ اللَّهُ

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: (إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص، وأقرع، وأعمى، أراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكاً، فألقى الأبرص.

فقال: أي شيء أحب إليك؟

قال: لون حسن، وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قدرني الناس.

فمسحه، فذهب عنه قَدْرُهُ، وأَعْطِي لوناَ حَسَناً.

فقال: فَأَيَّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قال: الإِبِلُ — أو قال البقر — .

فأَعْطِي نَاقَةَ عُسْرَاءِ.

فقال: بَارِكِ اللهُ لَكَ فِيهَا.

فَأَتَى الأَقْرَعَ:

فقال: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قال: شَعْرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَدَرَنِي النَّاسُ.

فمسحه، فذهب عنه وأَعْطِي شَعْرًا حَسَنًا.

قال: فَأَيَّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قال: البقر.

فأَعْطِي بَقْرَةً حَامِلًا.

قال: بَارِكِ اللهُ لَكَ فِيهَا.

فَأَتَى الأَعْمَى:

فقال: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قال: أَنْ يَرِدَ اللهُ بِصَرِي، فَأُبْصِرَ النَّاسُ.

فمسحه، فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصْرَهُ.

قال: فَأَيَّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قال: الغنم.

فأَعْطِي شَاةً وَالِدًا.

فَأَنْتَجَ هَذَانِ، وَوُلِدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وادٍ مِنَ الإِبِلِ، وَلِهَذَا وادٍ مِنَ البَقَرِ،

ولِهَذَا وادٍ مِنَ الغنمِ.

ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ فِي صَوْرَتِهِ وَهَيْئَتِهِ.

فقال: رجل مسكين، قد انقطعت به الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن، والمال، بغير أتبلغ به في سفري.
فقال: الحقوق كثيرة.

فقال: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقدرك الناس، فقيراً فأعطاك الله؟!
فقال: إنما ورثت هذا المال كاهراً عن كاهر.
فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت.

وأتى الأقرع في صورته وهيئته، فقال له مثل ما قال لهذا، وردّ عليه مثل ما ردّ هذا، فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت.
وأتى الأعمى في صورته وهيئته.

فقال: رجل مسكين، وابن سبيل، انقطعت به الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي ردّ عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري؟

فقال: قد كنت أعمى فردّ الله إليّ بصري، فخذ ما شئت ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته الله عزّ وجل.
فقال: أمسك مالك، فإنما أبليتيم، فقد رضي الله عنك وسخّط على صاحبك. «متفق عليه».

قِيلَ إِنَّ مَلِكًا مِنَ الْمُلُوكِ كَانَ كَافِرًا عَاتِيًا مُتَكَبِّرًا مُعْجَبًا بِنَفْسِهِ حَدِيثَ السِّنِّ مُسْتَحْكِمَ الْغَيْرَةِ وَكَانَ إِذَا رَكَبَ لَمْ يَرْفَعْ أَحَدٌ صَوْتَهُ إِلَّا بِمَدْحِهِ وَالثناءَ عَلَيْهِ .
وَكَانَ لَهُ وَزِيرٌ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ جَلَّ وَعَلَا قَدْ أَدْرَكَ حَوَارِيَّ الْمَسِيحِ وَهُوَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ وَيَتَحَيَّنُ وَقَفًا يَتِمَكَّنُ فِيهِ مِنْ دَعْوَةِ الْمَلِكِ إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا .

فَرَكِبَ الْمَلِكُ يَوْمًا فَسَمِعَ شَيْخًا) أَيِ قَدْ شَابَ رَافِعًا صَوْتَهُ لِبَعْضِ حَاجَتِهِ فَقَالَ لِبَعْضِ أَعْوَانِهِ خُذُوهُ فَلَمَّا أَخَذُ ذَلِكَ الشَّابَّ الَّذِي رَفَعَ صَوْتَهُ قَالَ إِنَّ رَبِّيَ اللَّهُ .

فَقَالَ الْوَزِيرُ خَلُّوا عَنْهُ فَخَلِيَ عَنْهُ فَغَضِبَ الْمَلِكُ عَلَى الْوَزِيرِ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ عَلَيْهِ وَلَمْ يُمَكِّنْهُ الْإِنْكَارُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ بِحَضْرَةِ النَّاسِ فَسَكَتَ الْمَلِكُ لِيُوهِمَ النَّاسَ أَنْ فِعْلَ الْوَزِيرِ كَانَ بِأَمْرِهِ .

فَلَمَّا عَادَ الْمَلِكُ إِلَى قَصْرِهِ أَحْضَرَ الْوَزِيرَ وَقَالَ لَهُ مَا الَّذِي دَعَاكَ إِلَى مُنَاقَظَةِ أَمْرِي بِمَشْهَدٍ مِنْ عَيْدِي .

فَقَالَ لَهُ الْوَزِيرُ إِنْ لَمْ يَعْجَلِ الْمَلِكُ عَلَيَّ أَرَيْتَهُ وَجَهَ نُصْحِي لَهُ وَشَفَقَتِي عَلَيْهِ فِيمَا أَتَيْتُهُ فَقَالَ الْمَلِكُ أَرِنِي ذَلِكَ فَاتْنِي لَا أُعْجَلُ عَلَيْكَ .

فَقَالَ الْوَزِيرُ أَسْأَلُ الْمَلِكَ أَنْ يَخْتَبِيَ فِي مَجْلِسِهِ هَذَا خَلْفَ حِجَابٍ بِحَيْثُ أَنَّهُ لَا يُرَى وَيَسْمَعُ مَا يَكُونُ مِنِّي فَقَعَدَ الْمَلِكُ لِذَلِكَ .

ثُمَّ إِنَّ الْوَزِيرَ أَحْضَرَ قَوْسًا جَيِّدَةً صَنَعَهَا لِلْمَلِكِ بَعْضُ خَدَمِهِ وَكَتَبَ الصَّانِعُ اسْمَهُ عَلَيْهَا فَأَعْطَى الْقَوْسَ غُلَامًا لَهُ .

وَقَالَ لَهُ إِنْ سَأَخْضِرُ صَانِعَ هَذِهِ الْقَوْسِ فَإِذَا حَضَرَ وَحَادَثْتُهُ فَأَقْرَأْ أَنْتَ اسْمَ صَاحِبِهَا جَهْرًا حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ سَمِعَكَ ثُمَّ اكْسِرْهَا وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْكَ .

فَحَضَرَ الْقَوْسَ وَفَعَلَ الْغُلَامُ مَا أَمَرَهُ بِهِ الْوَزِيرُ فَلَمَّا كَسَرَ الْقَوْسَ لَمْ يَتَمَالِكْ صَانِعُ الْقَوْسِ أَنْ ضَرَبَ الْغُلَامَ فَشَجَّهُ .

فَقَالَ الْوَزِيرُ أَضْرِبْ غُلَامِي بِحَضْرَتِي قَالَ نَعَمْ لِأَنَّهُ كَسَرَ الْقَوْسَ الَّتِي هِيَ صَنْعَتِي وَعَمَلِي وَهِيَ فِي نِهَائَةِ الْجُودَةِ وَالْحُسْنِ فَلَايَ شَيْءٍ كَسَرَهَا وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهَا صَنْعَتِي .

فقال له الوزير فلعله ما يعلم أنها صنعتك قال بلى إن القوس قد أخبرته أنها صنعتي .

قال الوزير أرايت قوساً تُخبرُ قال نعم إن إسمي مكتوب عليها وقد قرأه وأنا أسمع ثم إن الوزير صرف الصانع والعلام .

ثم قال للملك قد أوضحتُ نُصحي وإشفاقي عليك وذلك أنك لما رأيت البطش بالشيخ أخبرك أن الله ربه فحفتُ عليك من ربه أن يغضب له كما غضب هذا القواسُ لقوسه فقال الملك وهل للشيخ ربٌ غيري .

قال الوزير ألم يره الملك شيخاً والملك شابٌ فهل كان قبل أن يولد الملك لاربٌ فقال الملك إن أبي كان ربه .

قال الوزير فما بال الرب هلك والمربوب بقي فسكت الملك ساعة ثم قال الآن علمت أن للملك والمملوك رباً لا يزول فهل تعرفه .

قال الوزير نعم أعرفه قال صفه لي ودلني عليه فشرع الوزير يشرح له صفات الخالق وأوضح له الدلالة على ذلك فانشرح صدر الملك للإيمان فآمن بالله تعالى .

فلما رسخ التوحيد في قلبه قال أما لربنا خدمة نتقربُ إليه بها قال إن الله غني عن كل شيء قال فهل أمرنا بشيء إذا فعلناه حطينا عنده .

قال بلى إن له علينا وضايف أمرنا بها ورضى لنا فعلها ووعدنا رضوانه والقرب منه فسأله عنها فذكر له الصلاة والصيام وغيرهما من الشرائع فعرّفها الملك وراض نفسه بها حتى رسخ في علمها وتمرن على العمل بها .

ثم قال يوماً للوزير مالك لا تدعو الناس إلى الله تعالى كما دعوتني فقال لأن الأمة ذات قلوب قاسية وفهوم قصبية ونفوس عصبية ولست آمنهم على نفسي .

فَقَالَ الْمَلِكُ أَنَا أَفْعَلُهُ إِنْ تَفَعَلُهُ أَنْتَ فَقَالَ الْوَزِيرُ لِيَعْلَمَ الْمَلِكُ أَنَّهُمْ إِنْ لَمْ تَرُدَّهُمْ هَيِّبْتُهُ عَنِي لَمْ تَرُدَّهُمْ عَنهُ وَسَاقِيهِ بِنَفْسِي أَيْسَاءٌ مِنَ النَّجَاةِ فَلْيَجْذِرْهُمْ الْمَلِكُ عَلَى نَفْسِهِ إِنْ إِجْتَرَأُوا بِالْقَتْلِ .

ثُمَّ إِنَّ الْوَزِيرَ أَحْضَرَ وَجُوهَ أَهْلِ تِلْكَ الْمَمْلَكَةِ وَوُلَاةَ أَحْكَامِ رَعَايَاهُ وَأَفَاضِلَهَا فَلَمَّا اجْتَمَعُوا فِي مَنْزِلِهِ قَامَ فِيهِمْ حَاطِبِيًّا ثُمَّ بِالذُّعُورَةِ إِلَى التَّوْحِيدِ فَوَثَبُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ .

ثُمَّ اتَّوَا إِلَى الْمَلِكِ فَأَخْبَرُوهُ بِمَا كَانَ مِنْ وَزِيرِهِ فَأَظْهَرَ لَهُمُ الرِّضَا بِقَتْلِهِ فَانْقَلَبُوا عَنْهُ رَاضِينَ ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ ضَاقَ صَدْرُهُ عَلَى وَزِيرِهِ .

فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ لَيْسَ مُسْحَ الشَّعْرِ وَالتَّحَقُّقَ بِالرُّهْبَانِ وَتَبَدَّدَ مَا كَانَ مِنَ الْمُلْكِ وَلَمْ يَزَلْ يَعْبُدُ اللَّهَ حَتَّى قَضَى نَحْبَهُ .

مَوْعِظَةٌ إِخْوَانِي أُبْسُطُوا الْأَيْدِي إِلَى الْمَوْلَى الْكَرِيمِ بِالذُّلِّ وَالضَّرَاعَةِ ، وَتَضَرَّعُوا إِلَيْهِ بِالذُّلِّ وَالْإِنْكَسَارِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ ، وَنَادُوا اللَّطِيفَ الْخَيْرِ يَأْمَنُ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ ، نَسَأُ لَكَ أَنْ تُبَدِّلَ مِنَّا الْفَسَادَ بِالصَّلَاحِ وَالْخُسْرَانَ بِالْأَرْبَاحِ وَأَنْ تُعَامِلَنَا بِالْعَفْوِ وَالسَّمَّاحِ يَأْمَنُ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ، وَنَسَأُ لَكَ أَنْ تَرْحَمَنَا وَإِخْوَانَنَا الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ الْوَاسِعَةِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحَابَتِهِ أَجْمَعِينَ .

وقال بعضهم :

وَمَالِي وَلِلدُّنْيَا وَلَيْسَتْ بِبُغْيَتِي
وَلَا مُتْتَهَى قَضْدِي وَلَسْتُ أَنَالَهَا
وَلَسْتُ يَمِيَالِ إِلَيْهَا وَلَا إِلَى
رِيَاسَتِهَا تَبَأً وَقُبْحاً لِحَالِهَا

هِيَ الدَّارُ دَارُ الهمِّ والغَمِّ والعَنَا
سَرِيْعٌ تَقْضِيْهَا وَشِيْكُ زَوَالِهَا
مِيَاسِرُهَا عُسْرٌ وَحُزْنٌ سُرُوْرُهَا
وَأَرْبَاحُهَا خُسْرٌ وَنَقْصٌ كَمَالُهَا
إِذَا أَضْحَكْتَ أَبْكْتَ وَإِنْ رَامَ وَصَلَهَا
غَيْبِي فَيَا سِرْعَ انْقِطَاعِ وَصَالِيهَا
فَأَسْأَلُ رَبِّي أَنْ يَحْوَلَ بِحَوْلِهِ
وَقُوَّتِهِ بَيْنَ وَبَيْنَ اغْتِيَالِهَا
فَيَا طَالِبَ الدُّنْيَا الدُّنْيَةَ جَاهِدًا
أَلَا أَطْلُبُ سِوَاهَا إِنَّهَا لَا وَفَالَهَا
فَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ حَرِيصٍ وَمُشْفِقٍ
عَلَيْهَا فَلَمْ يَظْفُرْ بِهَا أَنْ يَنَالَهَا
لَقَدْ جَاءَ فِي أَيِّ الْحَدِيدِ وَيُونُسَ
وَفِي الْكَهْفِ إِيْضًا بِضَرْبِ مِثَالِهَا
وَفِي آلِ عَمْرَانَ وَسُورَةَ فَاطِرٍ
وَفِي غَافِرٍ قَدْ جَاءَ تَبْيَانُ حَالِهَا
وَفِي سُورَةِ الْأَحْقَافِ أَعْظَمُ وَعَظِ
وَكَمْ مِنْ حَدِيثٍ مُوجِبٍ لِإِعْتِزَالِهَا
لَقَدْ نَظَرَ أَقْوَامٌ بِعَيْنِ بَصِيْرَةٍ
إِلَيْهَا فَلَمْ تَغْرُرْ هُمُومًا بِاخْتِيَالِهَا
أُولَئِكَ أَهْلُ اللَّهِ حَقًّا وَجِزْبُهُ
لَهُمْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ إِرْثًا فَيَا لَهَا

وَمَالَ إِلَيْهَا آخِرُونَ بِجَهْلِهِمْ
فَلَمَّا اطمأنوا أُرْشَقْتَهُمْ نِبَالَهَا
أَوْلَيْكَ قَوْمٌ آثَرُوها فَأَعْقِبُوا
بِهَا الْخِزْيَ فِي الْأُخْرَى فذَاقُوا وَبَالَهَا
فَقُلْ لِلَّذِينَ اسْتَعَذَبُواها رُوَيْدُكُمْ
سَيَنْقَلِبُ السُّمُّ النَّقِيعُ زِلَالَها
لِيَلْهُوا وَيَغْتَرُوا بِها ما بَدَأَ لَهُمْ
مَتَى تَبْلُغُ الْحُلُقُومَ تَضْرِمُ جِبَالَها
وَيَوْمَ تُوفَى كُلُّ نَفْسٍ بِكَسِبِها
تَوَدُّ فِدَاءً لَوْ بَنِيها وَمَالَها
وَتَأْخُذُ إِمَّا بِالْيَمِينِ كِتَابِها
إِذَا أَحْسَنْتَ أَوْ ضِدُّ ذَا بِشِمَالِها
وَيَبْدُو لَدَيْها ما أَسْرَتْ وَأُعْلَنْتَ
وَمَا قَدَّمْتَ مِنْ قَوْلِها وَفِعَالِها
بِأَيْدِي الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ مُسَطَّرُ
فَلَمْ يُغْنِ عَنْها عُذْرَةٌ وَجِدَالِها
هُنَالِكَ تَذَرِي رِبْحِها وَخَسَارِها
وَإِذْ ذَاكَ تَلْقَى ما عَلِيها وَمَالَها
فَإِنْ تَكُ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَالتَّقَى
فَإِنَّ لَها الْحُسْنَى بِحُسْنِ فِعَالِها

تَفُوزُ بِجَنَاتِ النُّعِيمِ وَحُورِهَا
وَتُحْبَرُ فِي رَوْضَاتِهَا وَظِلَالِهَا
وَتُرْزَقُ مِمَّا تَشْتَهِي مِنْ نَعِيمِهَا
وَتَشْرَبُ مِنْ تَسْنِيمِهَا وَزِلَالِهَا
فَإِنَّ لَهُمْ يَوْمَ الْمَزِيدِ لَمَوْعِدًا
زِيَارَةُ زُلْفَى غَيْرُهُمْ لَا يَنَالُهَا
وُجُوهٌ إِلَى وَجْهِ الْإِلَهِ نَوَاطِرُ
لَقَدْ طَالَ بِالْدَّمْعِ الْغَزِيرِ ابْتِلَالُهَا
تَجَلَّى لَهُمْ رَبُّ رَجِيمٍ مُسْلِمًا
فَيَزْدَادُ مِنْ ذَاكَ التَّجَلِّي جَمَالَهَا
بِمَقْعَدِ صِدْقِ حَبَا الْجَارِ رَبُّهُمْ
وِدَارُ خُلُودٍ لَمْ يَخَافُوا زَوَالَهَا
فَوَاكِهُهَا مِمَّا تَلَذُّ عُيُونُهُمْ
وَتَنْظَرُ الْأَنْهَارُ بَيْنَ خِلَالِهَا
عَلَى سُرْرِ مَوْضُونَةٍ ثُمَّ فُرْشُهُمْ
كَمَا قَالَ فِيهَا رَبُّنَا وَاصِفًا لَهَا
بَطَائِنُ مِنْ إِسْتَبْرَقٍ كَيْفَ ظَنُّكُمْ
ظَوَاهِرَهَا لَا مَتَّهَى لِجَمَالِهَا
وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى فَوَيْلٌ وَحَسْرَةٌ
وَنَارُ جَحِيمٍ مَا أَشَدُّ نَكَالِهَا
لَهُمْ تَحْتَهُ مِنْهَا مِهَادٌ وَفَوْقَهُمْ
غَوَاشِي وَمِنْ يَحْمُومٍ سَاطِلِهَا

طَعَامُهُمُ الْغَسِيلِينَ فِيهَا وَإِنْ سُقُوا
 حَمِيمًا بِهِ الْأَمْعَاءُ كَانَ أَنْجِلَافًا
 أَمَانِيَهُمُوا فِيهَا الْخُرُوجُ وَمَالَهُمْ
 خُرُوجٌ وَلَا مَوْتُ كَمَا لَا فَنَى لَهَا
 مَحَلِّينِ قُلْ لِلنَّفْسِ لَيْسَ سِوَاهُمَا
 لَتَكْتَسِبَنَّ أَوْ تَكْتَسِبَ مَا بَدَا لَهَا
 فَطُوبَى لِنَفْسٍ جَوَزَتْ فَتَخَفُّفَتْ
 فَتَنْبُحُوا كَفَافًا لَا عَلَيْهَا وَلَا لَهَا
 اللَّهُمَّ أَنَا نَعُوذُ بِكَ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ وَدَرْكِ الشَّقَاءِ وَشِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ وَسُوءِ
 الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْوَالِدِ اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا

اللَّهُمَّ الْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأَرْزُقْنَا الْإِسْتِقَامَةَ طَوْعَ أَمْرِكَ وَتَفَضَّلْ
 عَلَيْنَا بِعَافِيَتِكَ وَجَزِيلِ عَفْوِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِحَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ
 مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى
 آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَصْلٌ »

في ذكر بعض محاسن الدين الاسلامي نصره الله

عباد الله قال الله تعالى - وهو أصدق القائلين ﴿ اليوم أكملت لكم
 دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام ديناً ﴾ أكمل
 الدين ، بالنصر ، والإظهار على الأديان كلها ، فنصر عبده ورسوله ، وحذل
 أهل الشرك انخذلاً عظيماً ، بعد ما كانوا حريصين على صد المؤمنين عن
 دينهم ، طامعين في ذلك ، فلما رأوا عز الإسلام وانتصاره يسوا كل اليأس .

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى دِينِهِمْ ، وَصَارُوا يَخَافُونَ مِنْهُمْ وَيَخْشَوْنَ :
 وَأَنْتُمْ جَلٌّ وَعَلَا عَلَى عِبَادِهِ نِعْمَتَهُ بِالْهُدَايَةِ وَالتَّوْفِيقِ ، وَالْعِزِّ وَالتَّأْيِيدِ ، وَرَضِيَ
 الْإِسْلَامَ لَنَا دِينًا ، اخْتَارَهُ لَنَا مِنْ بَيْنِ الْأَدْيَانِ ، فَهُوَ الدِّينُ عِنْدَ اللَّهِ لَا غَيْرُهُ ، قَالَ
 تَعَالَى ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ ، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ
 الْخَاسِرِينَ ﴾ عِبَادَ اللَّهِ نَظَرَ أَصْحَابُ الْأَفْكَارِ الْبَرِيئَةِ السَّلِيمَةِ فِي أَحْكَامِ
 الْإِسْلَامِ ، فَاعْتَنَقُوهُ ، وَتَأَمَّلُوا فِي حِكْمِهِ الْجَلِيلَةِ فَاحْبُوهُ وَمَلَكَتْ قُلُوبَهُمْ مَبَادِئُهُ
 الْحَكِيمَةَ فَعَظَّمُوهُ ، وَكُلَّمَا كَانَ الْمَرْءُ سَلِيمَ الْعَقْلِ ، نَيْرَ الْبَصِيرَةِ ، مُسْتَقِيمَ
 الْفِكْرِ ، اشْتَدَّ تَعَلُّقُهُ بِهِ ، لِمَا فِيهِ مِنْ جَمِيلِ الْمَحَاسِنِ ، وَجَلِيلِ الْفَضَائِلِ ،
 جَاءَ الدِّينَ الْإِسْلَامِيَّ بِعَقَائِدِ التَّوْحِيدِ ، الَّتِي يَرْتَأَى لَهَا الْعَقْلُ السَّلِيمُ وَيُقْرَهُهَا
 الطَّبَعُ الْمُسْتَقِيمُ ، يَدْعُوا إِلَى اعْتِقَادِ أَنَّ لِلْعَالَمِ إِنَهَا وَاحِدًا لَا شَرِيكَ لَهُ ، أَوَّلًا
 لَا ابْتِدَاءَ لَهُ ، وَآخِرًا لَا انْتِهَاءَ لَهُ ، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، وَهُوَ السَّمِيعُ
 الْبَصِيرُ ﴾ لَهُ الْقُدْرَةُ التَّامَّةُ ، وَالْإِرَادَةُ الْمَطْلُوقَةُ ، وَالْعِلْمُ الْمُحِيطُ ، يَلْزِمُ الْخَلْقَ
 الْخُضُوعَ لَهُ وَالْإِنْقِيَادَ ، وَالْعَمَلَ عَلَى مَرْضَاتِهِ ، بِامْتِنَالِ أَمْرِهِ سُبْحَانَهُ ،
 وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ نَصَبَ الْأَدَلَّةِ وَالْبَرَاهِينِ ، فِي الْأَنْفُسِ وَالْأَفَاقِ ، وَحَثِّ الْعُقُولِ
 عَلَى النَّظَرِ وَالْإِسْتِدْلَالِ ، لِتَصَلَّ بِالْبُرْهَانِ إِلَى مَعْرِفَتِهِ وَتَعْظِيمِهِ ، وَالْقِيَامِ
 بِحُقُوقِهِ ، فَتَرَاهُ تَارَةً يَلْفُتُ نَظْرَكَ إِلَى أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تُوَجِدَ نَفْسَكَ ، وَلَا أَنْ
 تُوجِدَ مِنْ دُونِ مُوجِدٍ ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ؟ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ﴾ أَمَا كَوْنُ
 الْإِنْسَانِ مُوجِدًا لِنَفْسِهِ فَهَذَا أَمْرٌ مَا ادَّعَاهُ الْخَلْقُ ، وَأَمَا وُجُودُ الْإِنْسَانِ هَكَذَا
 مِنْ غَيْرِ مُوجِدٍ ، فَأَمْرٌ يُنْكَرُهُ مَنْطِقُ الْفِطْرَةِ ابْتِدَاءً وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى جَدَلٍ كَثِيرٍ أَوْ
 قَلِيلٍ ، وَإِذَا كَانَ هَذَانِ الْفُرْصَانِ بَاطِلَيْنِ ، فَانْهَ لَا يَبْقَى إِلَّا الْحَقِيقَةُ ، الَّتِي
 يَقُولُهَا الْقُرْآنُ ، وَهِيَ أَنَّ الْخَلْقَ خَلَقَهُ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الْفَرْدُ الصَّمَدُ الَّذِي
 ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ ، وَتَارَةً يَلْفُتُ النَّظْرَ إِلَى

السموات والأرض ، فَهَلْ هُمْ خَلَقُوهَا ، فانها لم تَخْلُقْ نَفْسَهَا ، كَمَا أَنَّهُمْ لَمْ
 يَخْلُقُوا أَنفُسَهُمْ ، وَتَارَةً يَفْتَحُ أَمَامَ الْعَقْلِ وَالْبَصْرِ صَحِيفَةَ السَّمَاءِ ، وَمَا حَوَتْ
 مِنْ شَمْسٍ مُشْرِقَةٍ ، وَقَمَرٍ مُنِيرٍ ، وَنَجْمٍ مُضِيءٍ ، فَيَقُولُ ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ
 فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ، وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾ وفي الآية الأخرى يقول
 ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ، وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ ، لِيَتَعَلَّمُوا عَدَدَ
 السِّنِينَ وَالْحِسَابِ ﴾ وَيَقُولُ ﴿ فَالِقَ الْإِصْبَاحِ ، وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ
 وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ وَيَقُولُ ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى
 السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ ، كَيْفَ بَنَيْنَاهَا ، وَزَيَّنَّاهَا ، وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ وَيَقُولُ ﴿ أَفَلَمْ
 يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾ وَيَقُولُ
 ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ، مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ ،
 فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ؟ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ ، يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ
 الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ وَمَرَّةً يَلْفُتُ النَّظَرَ إِلَى الْأَرْضِ ، وَمَا فِيهَا مِنْ أَشْجَارٍ
 مُتَنَوِّعَةٍ ، ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ ، وَجَنَاتٌ مِنْ أُعْنَابٍ ، وَزَرْعٍ
 وَنَخِيلٍ ، صُنُوفٍ وَغَيْرِ صُنُوفٍ ، يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ ، وَنُفِضَ لِبَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ
 فِي الْأَكْلِ ﴾ فَتَشَاهِدُ شَجَرَ الْعِنَبِ ، بِجَوَارِ شَجَرِ الْحَنْظَلِ ، فِي قِطْعَةٍ
 وَاحِدَةٍ ، تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ ، وَقَدْ جَعَلَ لِكُلِّ شَجَرَةٍ جُذُورًا ، تَمْتَصُّ بِهَا مِنَ
 الْأَرْضِ مَا يَنَاسِبُهَا مِنَ الْغِذَاءِ الَّذِي بِهِ قِيَامُهَا وَحَيَاتُهَا ، وَتَنْفَتِحُ كُلُّ وَاحِدَةٍ عَنْ
 ثَمَرَةِ تَخَالِفِ الْأُخْرَى فِي اللَّوْنِ وَالطَّعْمِ وَالرَّائِحَةِ ، وَكَذَلِكَ بَاقِي الْأَشْجَارِ
 الْمُتَجَاوِرَةِ الَّتِي أَرْضُهَا وَاحِدَةٌ وَمَاؤُهَا وَاحِدٌ ، أَلَا يَدُلُّ هَذَا عَلَى وُجُودِ صَانِعٍ
 حَكِيمٍ قَادِرٍ (إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ) وَمَرَّةً يَلْفُتُ النَّظَرَ إِلَى مَا يُنَزَّلُهُ مِنَ السَّمَاءِ ،
 مِنَ الْمَاءِ الَّذِي بِهِ قِيَامُ الْحَيَاةِ ، وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ أَجَاغًا ، لَا نَفْعَ فِيهِ ، وَمَرَّةً
 يَتَحَدَّثُ عَنْ وَحْدَانِيَّتِهِ وَأَنْفِرَادِهِ بِالْمُلْكِ وَالتَّدْبِيرِ ، ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ ، وَمَا

كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ﴿ الْآيَةَ وَفِي الْآيَةِ الْآخَرَى يَقُولُ فِي جَزَائِهِ لَقَطِ ، وَفَخَامَةً
 مَعْنَى ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَدْلَةِ ، وَشَرَعَ
 لِعِبَادِهِ مِنَ الْعِبَادَاتِ مَا يُهْدِبُ النُّفُوسَ وَيُصَفِّيهَا وَيُنظِّمُ الْعِلَاقَاتِ وَيُقَوِّمُهَا ،
 وَيَجْمَعُ الْقُلُوبَ وَيُزَكِّيهَا ، وَهَذَا الَّذِي جَاءَ بِهِ الْإِسْلَامُ اتَّفَقَتْ فِي الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ
 كُلُّ الرُّسُلِ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ، وَالَّذِي
 أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ، وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ، أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ، وَلَا
 تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ، كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ
 وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ .

اللهم نور قلوبنا بنور الايمان واعذنا من شر نفوسنا والشيطان ووقفنا
 لطاعتك اللهم انظمننا في سلك عبادك المفلحين واحشرتنا مع الذين انعمت
 عليهم من النبيين والصدقيين والشهداء والصالحين واغفر لنا ولوالدينا وجميع
 المسلمين الاحياء منهم والميتين برحمتك يا ارحم الراحمين وصلى الله على
 محمد وعلى آله وصحبه اجمعين .

(فصل): فَقَدْ اعْتَرَفَ الْمُحَقِّقُونَ الْمُنْصِفُونَ : أَنْ كُلَّ عِلْمٍ نَافِعٍ دِينِي أَوْ دُنْيَوِي
 أَوْ سِيَاسِي قَدْ دَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ دَلَالَةً لَا شَكَّ فِيهَا ، فَلَيْسَ فِي شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ مَا
 تُجْبِلُهُ الْعُقُولُ ، وَإِنَّمَا فِيهِ مَا تَشْهَدُ الْعُقُولُ السَّلِيمَةَ الزَّكِيَّةُ بِصِدْقِهِ وَنَفْعِهِ
 وَصَلَاحِهِ ، وَكَذَلِكَ أَوَامِرُهُ كُلُّهَا عَدْلٌ ، لَا خَيْفَ فِيهَا وَلَا ظُلْمَ ، فَمَا أَمَرَ بِشَيْءٍ
 إِلَّا وَهُوَ خَيْرٌ خَالِصٌ ، أَوْ رَاجِعٌ ، وَمَا نَهَى عَنْ شَيْءٍ إِلَّا وَهُوَ شَرٌّ خَالِصٌ ، أَوْ
 مَا تَزِيدُ مَفْسِدَتَهُ عَلَى مَصْلَحَتِهِ ، وَكُلَّمَا تَدَبَّرَ الْعَاقِلُ اللَّيِّبُ أَحْكَامَ الْإِسْلَامِ
 قَوِيَّ إِيمَانَهُ وَإِخْلَاصَهُ ، وَعِنْدَمَا يَتَأَمَّلُ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ هَذَا الدِّينُ الْقَوِيمُ بِجِدِّهِ
 يَدْعُو إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، يَدْعُو إِلَى الصُّدْقِ وَالْعِفَافِ وَالْعَدْلِ ، وَحِفْظِ

العُهودِ ، وأداء الأماناتِ ، والإحسانِ إلى اليتيمِ والمِسكينِ ، وحُسنِ الجِوارِ ، وأكرامِ الضيفِ ، والتَّحلي بمكارمِ الأخلاقِ ، يدْعُو إلى تحصيلِ . التَّمتعِ بلذائذِ الحَيَاةِ في قَصْدِ واعتِدالِ ، يدْعُو إلى البرِّ والتَّقوى وَيُنهي عن الفَحشاءِ والمنكرِ ، والاثمِ والعدوانِ ، لا يأمرُ إلا بما يَعُودُ على العالَمِ بالسعادةِ والفلاحِ ، ولا يَنْهي إلا عَمَّا يَجلبُ الشقاءَ والمَضرةَ لِلعِبَادِ .

٣ وتأملُ مَحاسِنَ شَرائعِ الاسلامِ الكبارِ ، التي هي إقامُ الصلاةِ ، وإيتاءُ الزكاةِ ، وصومُ رمضانَ ، وحجُّ البيتِ ، فعندَما تأملُ الصلاةَ التي هي صلةٌ بينَ العبدِ وبينَ رَبِّهِ ، تجدُ فيها الاخلاصَ لله ، والاقبالَ عليه ، والأدبَ والاحترامَ ، والشأنَ والدُعَاءَ ، والخُضوعَ له ، ومَظَهْرَ الإجلالِ مِنَ العبدِ لِرَبِّهِ ، يُؤدِّي واجبَ الإكبارِ والتَّعظيمِ والتَّقديسِ لِسَيِّدِهِ وَمَوْلَاهُ ، شأنُ العبدِ بَيْنَ يَدَيِ سَيِّدِهِ ، يَقِفُ المرءُ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّهِ ، فَيَبْتَدِيءُ بِالاعْتِرَافِ لله بِأنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَأَنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لَأَنْ يُعَظَّمَ وَيُجَلَّ وَيُقَدَّرَ (اللهُ أَكْبَرُ) ، ثم يأخذُ في الثَّنَاءِ عَلَى اللهِ بما هُوَ أَهْلُهُ ، وَيُخَصِّصُهُ بِالْعِبَادَةِ ، وَطَلِبِ الْمَعُونَةِ ضَارِعاً إِلَيْهِ بِأَنْ يَهْدِيَهُ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ بِالتَّوْفِيقِ وَالْهِدَايَةِ ، وَأَنْ يُجَنِّبَهُ عَنِ طَرِيقِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ، لِأَنْجِرَافِهِمْ عَنِ سَوَاءِ السَّبِيلِ ، بَعْدَ أَنْ عَرَفُوهُ ، وَأَنْ يُبْعِدَهُ عَنِ طَرِيقِ الضَّالِّينَ ، الْمُنْحَرِفِينَ الَّذِينَ عَبَدُوا أَهْوَاءَهُمْ وَشِيَاطِينَهُمْ .

وَعِنْدَئِذٍ تَمْتَلِيءُ النَّفْسُ مِنَ عَظَمَةِ اللهِ وَهَيْبَتِهِ وَجَلَالِهِ ، فَيَخِرُّ الْمَرْءُ سَاجِداً لِلَّهِ عَلَى أَشْرَفِ أَعْضَائِهِ ، مُظْهِراً لِلدَّلَّةِ وَالْمَسْكِنَةِ إِلَى مَنْ بِيَدِهِ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، فَمَزَايَا الصَّلَاةِ مِنْ نَاحِيَةِ الدِّينِ ، خُضُوعُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَخُشُوعُ وَعِترَافُ بِعَظَمَةِ الْقَاهِرِ الْقَادِرِ ، وَمَتَى اسْتَشَعَرَ الْقَلْبُ ذَلِكَ . وَامْتَلَأَتِ النَّفْسُ مِنْ هَيْبَةِ اللهِ ، كَفَّتْ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ ، وَلَا عَجَبَ مِنْ

ذلك، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ عَنِ الصَّلَاةِ ﴿ ان الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ وَهِيَ أَكْبَرُ عَوْنٌ لِلْعَبْدِ عَلَى مَصَالِحِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ .

أما عونُها على مَصَالِحِ دِينِهِ ، فلأن العبدَ إذا دَاوَمَ على الصَّلَاةِ ، وَحَافَظَ عليها ، قَوِيَتْ رَغْبَتُهُ فِي الْخَيْرِ ، وَسَهَلَتْ عَلَيْهِ الطَّاعَاتُ ، وَبَدَلُ الْإِحْسَانِ ، بِطَمَآنِينَةٍ نَفْسٍ ، وَاحْتِسَابِ ، وَرَجَاءِ لِلثَّوَابِ ، وَأما عَوْنُهَا على مَصَالِحِ الدُّنْيَا ، فانها تُهَوِّنُ الْمَشَاقَّ ، وَتُسَلِّيُ عَنِ الْمَصَائِبِ ، وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ، فَيَجَازِيهِ بِتَيْسِيرِ أُمُورِهِ ، وَيُبَارِكُ فِي مَالِهِ وَأَعْمَالِهِ .

وفي تَأْدِيبِهَا جَمَاعَةً يَحْصُلُ التَّعَارُفُ وَالتَّوَاصُلُ ، وَالتَّوَادُّ وَالتَّعَاطُفُ وَالتَّرَاحُمُ ، وَيَسُوذُ الْوَقَارُ وَالمَحَبَّةُ بَيْنَ الصَّغِيرِ وَالكَبِيرِ ، وَيَحْصُلُ بِذَلِكَ تَعْلِيمٌ فِعْلِيٌّ لِصِفَةِ الصَّلَاةِ .

وَانظُرْ إِلَى مَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ مِنَ الزَّكَاةِ ، تَرَى مَحَاسِنَ جَمَّةً ، مِنْهَا إِصْلَاحُ حَالِ الْفُقَرَاءِ ، وَسَدِّ حَاجَةِ الْمِسْكِينِ ، وَقَضَاءِ دَيْنِ الْمَدِينِ ، وَمِنْهَا التَّخَلُّقُ بِأَخْلَاقِ الْكِرَامِ ، مِنْ السَّخَاءِ وَالْجُودِ ، وَالبُعْدِ عَنِ أَخْلَاقِ اللُّثَامِ ، وَمِنْهَا أَنِهَا تُطَهِّرُ الْقَلْبَ مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا بِبَدْلِ الْيَسِيرِ ، وَمِنْهَا حِفْظُ الْمَالِ مِنَ الْمُكْدَّرَاتِ وَالمُنْغِصَاتِ الْحَسِيَّةِ وَالمُغْنَوِيَّةِ ، وَمِنْهَا الاسْتِعَانَةُ بِهَا على الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . وَالمَصَالِحِ الْكُلِّيَّةِ ، الَّتِي لَا يَسْتَغْنِي عَنْهَا الْمُسْلِمُونَ ، وَمِنْهَا دَفْعُ صَوْلَةِ الْفُقَرَاءِ ، وَمِنْهَا أَنِهَا دَوَاءٌ لِلْمُجْتَمَعِ ، وَطِبٌّ لِلنَّفُوسِ بِهَا يَطْهَرُ الْمَرْءُ مِنْ رَذِيلَةِ الشُّحِّ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ وَمَنْ يوق شَحْ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمفلِحُونَ ﴾ وَمِنْهَا أَنِهَا لو أَخْرَجَهَا الْأَغْنِيَاءُ لَأَنْقَطَعَ دَابِرُ الْأَشْتِرَاقِيَّةِ الْمُتَطَرِّفَةِ ، وَالشُّيُوعِيَّةِ الْمُسْرِفَةِ ، وَمِنْهَا أَنِهَا لو أُدِيَتْ تَمَامًا لَحَصَلُ : بِذَلِكَ رَاحَةُ الْحُكَّامِ ، وَصَرْفٌ مَجْهُودَاتِهِمْ إِلَى مَا يَعُودُ على الْأُمَّمِ بِالفلاحِ وَرَغْدِ الْعَيْشِ .

قَصِيدَةٌ تَتَضَمَّنُ التَّضَرُّعَ لِلَّهِ جَلُّ وَعَلَا :

يا فَاطِرَ الْخَلْقِ الْبَدِيعِ وَكَافِلًا
أَرْزَاقَ مَنْ هُوَ صَامِتٌ أَوْ سَائِلُ
أَوْسَعْتَهُمْ جُودًا فَيَا مَنْ عِنْدَهُ
رِزْقُ الْجَمِيعِ سَحَابٌ جُودِكَ هَاطِلُ
يا مُسَبِّحَ الْبَرِّ الْجَزِيلِ وَمُسَبِّحَ الْعَفْوِ الْعَظِيمِ عَظِيمُ فَضْلِكَ وَابِلُ
يا صَاحِبَ الْإِحْسَانِ يَا مُرْخَ لَنَا السُّتْرِ الْجَمِيلِ عَمِيمُ طَوْلِكَ طَائِلُ
يا عَالِمَ السَّرِّ الْخَفِيِّ وَمُنْجِزَ الْ
مِيعَادِ صِدْقٌ قَدْ حَكَاهُ الْفَاصِلُ
يا مَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى يَا صَادِقَ الْ
وَعْدِ الْوَفَى قَضَاءُ حُكْمِكَ عَادِلُ
عَظُمْتَ صِفَاتُكَ يَا عَظِيمُ فَجَلُّ أَنْ
يَأْتِيَ الْمُشَبَّهُ ظَالِمًا وَيُشَاكِلُ
جَلَّتْ فَضَائِلُكَ الْعِظَامُ فَلَمْ نَجِدْ
يُحْصِي الشَّنَاءَ عَلَيْكَ فِيهَا قَائِلُ
الذَّنْبُ أَنْتَ لَهُ بِمَنْكَ غَافِرُ
مَا لَمْ يَكُنْ شِرْكَاءَ فَفَضْلُكَ حَاصِلُ
يَغْصِيكَ جَمٌّ ثُمَّ تَضْفَعُ عَنْهُمْ
وَلِتَوْبَةِ الْعَاصِي بِحِلْمِكَ قَابِلُ
رَبُّ يُرَبِّي الْعَالَمِينَ بِبِرِّهِ
وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَيُوَاصِلُ
يُعْطِيهِمُوا مَا أَمَلُوا مِنْ جُودِهِ
وَنَوَالُهُ أَبَدًا إِلَيْهِمْ وَاصِلُ

تَفْصِيهِ وَهُوَ يَسُوقُ نَحْوَكَ دَائِمًا
نِعْمًا وَعَنْ شُكْرِ لَهَا أَنْتَ غَافِلٌ
سَتَرَ الذُّنُوبَ وَزَادَ فِي بَدَلِ الْعَطَا
مَا لَا تَكُونُ لِبَعْضِهِ تَسْتَاهِلُ
مُتَفَضِّلٌ أَبَدًا وَأَنْتَ لِحُودِهِ
تَسَى وَتَغْفُلُ هَلْ تَعِي يَا غَافِلُ
يَذْنُوا وَتُبْعِدُ ثُمَّ أَنْتَ لِفَضْلِهِ
بِقَبَائِحِ الْعِضْيَانِ مِنْكَ تُقَابِلُ
وَإِذَا دَجَى لَيْلُ الْخُطُوبِ وَأظْلَمَتْ
طُرُقُ السَّلَامَةِ بَلْ قَلَاكَ النَّازِلُ
وَعَلِمْتَ أَنْ لَا مَنْجِي ثُمَّ تَلَا حَمَتُ
سُبُلِ الْخَلَاصِ وَخَابَ فِيهَا الْأَمِلُ
وَأَيْسَتْ مِنْ وَجْهِ النِّجَاةِ فَمَالَهَا
طُرُقٌ وَقَدْ عَظُمَ الْبَلَا الْمُتَنَازِلُ
وَقَنِطَتْ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ وَلَمْ يَكُنْ
سَبَبٌ وَلَا يَذْنُوا لَهَا مُتَنَاوِلُ
يَأْتِيكَ مِنَ الطَّافِهِ الْفَرَجُ الَّذِي
فِيهِ نَجَاتُكَ لَيْسَ يَشْغَلُ شَاغِلُ
فِي لَحْظَةٍ يَأْتِيكَ لُطْفٌ فَارِجٌ
لَمْ تَحْتَسِبْهُ وَأَنْتَ عَنْهُ غَافِلُ
يَا مُوْجِدَ الْأَشْيَاءِ مَنْ أَلْقَى إِلَى
أَحَدٍ سِوَاكَ فَإِنَّ ذَلِكَ بِاقِلُ

يَا طَيِّبَ الْأَسْمَاءِ مَنْ يَقْصُدُ إِلَى
 أَبْوَابِ غَيْرِكَ فَهُوَ غَرٌّ جَاهِلٌ
 وَمَنْ اسْتَرَاحَ بِغَيْرِ ذِكْرِكَ أُورِجَا
 مِنْ غَيْرِكُمْ فَضْلاً فَذَلِكَ الْمَبَائِلُ
 وَمَنْ اسْتَنْظَلَ بِغَيْرِ ظِلِّكَ رَاجِياً
 أَحَدًا سِوَاكَ فَذَلِكَ ظِلُّ زَائِلٌ
 وَمَنْ اسْتَعَاذَ إِذَا عَرَّتْهُ مُلِمَّةٌ
 بِجَلَالِكُمْ ذَا الرَّئِي رَائِي بِاسِئِلُ
 وَالرَّائِي فِي عَكْسِ الَّذِي حَبَّرْتُهُ
 بِسُوءِ جَنَابِكَ فَهُوَ رَائِي مَائِلُ
 عَمَلٌ أُرِيدَ بِهِ سِوَاكَ فَآئُهُ
 عَمَلٌ يُرَدُّ عَلَى الَّذِي هُوَ عَامِلُ
 لَوْ صَلَّى ذَاكَ وَصَامَ حَجَّ فَإِنَّ ذَا
 عَمَلٌ وَإِنْ زَعَمَ الْمُرَائِي بَاطِلُ
 وَإِذَا رَضِيتَ فَكُلُّ شَيْءٍ هَيِّنٌ
 حَسْبِي رِضَاكَ فَكُلُّ شَيْءٍ زَائِلُ
 أَنْتَ الْمُنَى وَرِضَاكَ سُؤْلِي فِي الدُّجَى
 وَإِذَا حَصَلَتْ فَكُلُّ شَيْءٍ حَاصِلُ
 أَنَا عَبْدٌ سُوءٍ أَبَقُ كُلُّ عَلِيٍّ
 مَعْبُودِهِ يَا بَشَرُ مَا أَنَا فَاعِلُ
 وَلَقَدْ أَتَى الْعَبْدُ الْمُسِيءُ مِيَمًا
 مَوْلَاهُ أَوْزَارَ الْكَبَائِرِ حَامِلُ

قَدْ أَثَقَلْتُ ظَهْرِي الذُّنُوبُ وَسَوَدَتْ
 وَجْهِي الْمَعَاصِي ثُمَّ ذَا أَنَا سَائِلُ
 مَالِي سِوَاكَ وَلَسْتُ أَرْجُو غَافِرًا
 صُحُفَ الْعُيُوبِ وَسِتْرَ عَفْوِكَ شَامِلُ
 هَا قَدْ أَتَيْتُ وَحُسْنُ ظَنِّي شَافِعِي
 إِذْ لَمْ يَكُنْ عَمَلٌ لَدَيَّ يُقَابِلُ
 وَلَيْسَتْ ثَوْبَ الْخَوْفِ مِنْكَ مَعَ الرَّجَى
 وَوَسَائِلِي نَدَمٌ وَدَمْعٌ سَائِلُ
 فَاغْفِرْ لِعَبِيدِكَ مَا مَضَى وَارْزُقْهُ تَوْ
 بَةً مُقْلِعٍ فِيهَا الشَّرُوطُ كَوَامِلُ
 وَارْزُقْهُ عِلْمًا نَافِعًا وَارْزُقْهُ تَوْ
 بَةً فَيَقَا لِمَا تَرْضَى فَفَضْلُكَ كَامِلُ
 وَفَعَلْ بِهِ مَا أَنْتَ أَهْلُ جَمِيلِهِ
 يَا مَنْ لَهُ اسْمًا جِسَانٌ فَوَاضِلُ
 فَإِذَا فَعَلْتَ فَحَسُنُ ظَنِّي صَائِبُ
 وَالظَّنُّ كُلُّ الظَّنِّ أَنْكَ فَاعِلُ

اللهم اجعلنا لك شاكرين واجعلنا لك من الذاكرين واجعلنا من عبادك
 الصابرين المحسنين المتقين الذين أهلتهم لخدمتك ووفقتهم لمحبتك
 وطاعتك واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين
 اللهم يا عظيم العفو ، يا واسع المغفرة ، يا قريب الرحمة ، يا ذا الجلال
 والاکرام ، هب لنا العافية في الدنيا والآخرة .

اللهم يا حي وياقيوم فرغنا لما خلقتنا له ، ولا تشغلنا بما تكفلت لنا به ،

واجعلنا ممن يؤمن بِلِقَائِكَ ، وَيَرْضَى بِقَضَائِكَ ، وَيَقْنَعُ بِعَطَائِكَ ، وَيَخْشَاكَ
حَقَّ خَشْيَتِكَ .

اللهم اكتب في قلوبنا الإيمان وأيدنا بنور منك يا نور السموات
والأرضي ، اللهم وافتح لدُعائنا باب القبول والاجابة وأغفر لنا وارحمنا برحمتك
الواسعة إنك أنت الغفور الرحيم وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

« فَصْلٌ » وتأمل الصيام وما فيه من المحاسن التي منها أنه يبعث في الانسان
فضيلة الرحمة بالفقراء ، والعطف على البائسين فإن الانسان إذا جاع تذكر
الفقير الجائع ، ومنها أنه بامتناعه عن الاكل يعرف فضل نعمة الله عليه
في شكرها ، ومنها أن الصيام يقوي النفس على الصبر والحلم ، وهما تجنب كل ما
من شأنه اثاره الغضب ، لأن الصوم يصف الصبر ، والصبر يصف الايمان ،
ومنها أنه ينفي الجسم من الأخلاط الرديئة ، ومنها أنه مهدب للنفوس ،
ومصفي للأرواح ، ومطهر للأجسام ، فله الأثر العجيب في حفظ القوى
الباطنة ، وجماعتها مما يضرها ثم هو عبادة وامثال لأمر الله سبحانه ،
والمشقة الحاصلة من الصوم ليست بشيء في جانب رضى الله ، طمعا في
الثواب ، والزلفي والأجر العظيم ، إلى غير ذلك من المحاسن .

وتأمل ما في حج بيت الله من المحاسن ، التي منها أنه مجمع لسراة
المسلمين ، يجتمعون فيه من مشارق الأرض ومغاربها في صعيد واحد ،
يعبدون إلهاً واحداً ! قلوبهم متحدة ، وأرواحهم مؤتلفة في الحج ، يتذكر
المسلمون الرابطة الدينية ، وقوة الوحدة الإسلامية ، وفي الحج تذكر لحال
الأنبياء والمرسلين ومقامات الأصفياء المخلصين ، كما قال تعالى ﴿ واتخذوا
من مقام ابراهيم مصلي ﴾ وتذكر بحال سيد المرسلين وإمامهم ، ومقاماته
في الحج التي هي أجل المقامات ، وهذا التذكير أعلى أنواع
التذكيرات ، فإنه تذكير بأحوال عظماء الرسل ، ابراهيم ومحمد صلى الله
عليه وسلم ، وما أثرهم الجليلة ، وتعبداتهم الجميلة والمتذكر بذلك مؤمن

بالرُّسُلِ ، مُعْظَمٌ لَهُمْ ، مُتَأَثِّرٌ بِمَقَامَاتِهِمِ السَّامِيَةِ ، مُقْتَدٍ بِهِمْ ، وَبِأَثَارِهِمِ
الْحَمِيدَةِ ، ذَاكِرٌ لِمَنَاقِبِهِمْ وَفَضَائِلِهِمْ ، فَيَزْدَادُ بِهِ الْعَبْدُ إِيمَانًا وَيَقِينًا .

وَمِنْ مَحَاسِنِ الْحَجِّ تَصْفِيَةُ النَّفْسِ ، وَتَعْوِيدُهَا الْبَدَلَ وَالْإِنْفَاقَ ،
وَتَحْمَلُ الْمَشَاقِ ، وَتَرْكُ الزِينَةِ وَالْخِيَلَاءِ ، وَمِنْهَا شُعُورُ الْمَرْءِ بِمَسَاوَاتِهِ
لِغَيْرِهِ ، فَلَا مَلِكٌ وَلَا مَمْلُوكٌ ، وَلَا غَنِيٌّ وَلَا فَقِيرٌ ، بَلِ الْكُلُّ هُنَاكَ سَوَاءٌ ،
وَمِنْ مَحَاسِنِ الْحَجِّ التَّنَقُّلُ فِي الْبِلَادِ لِمَعْرِفَةِ أَحْوَالِهَا ، وَعَادَاتِ سُكَّانِهَا ،
وَزِيَارَةِ مَهَبِّطِ الْوَحْيِ ، وَالرُّسُلِ الْكِرَامِ ، وَمِنْ مَحَاسِنِ الْحَجِّ تَذَكُّرُ الْمَجْمَعِ
الْعَظِيمِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِيَ ، وَيُنْفِذُهُمُ الْبَصْرَ ، وَذَلِكَ فِي
الْمَحْشَرِ ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ حُفَاةَ عَرَاءٍ غُرًّا ، وَمِنْ مَحَاسِنِهِ
تَوْطِينُ النَّفْسِ عَلَى فِرَاقِ الْأَهْلِ وَالْوَالِدِ ، إِذْ لَا بُدَّ مِنْ مُفَارَقَتِهِمْ ، فَلَوْ فَارَقَهُمْ
فُجَاءَةً حَصَلَ صَدْمَةٌ عَظِيمَةٌ عِنْدَ الْفِرَاقِ ، وَمِنْ مَحَاسِنِ الْحَجِّ أَنَّهُ مَتَى قَصَدَهُ
يَتَزَوَّدُ لِسَفَرِهِ بِكُلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، مُدَّةَ ذَهَابِهِ وَإِيَابِهِ ، فَيَتَزَوَّدُ لِلْعُقْبَى ، وَهِيَ
السَّفَرَةُ الطَّوِيلَةُ ، الَّتِي لَا رُجُوعَ بَعْدَهَا ، حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ
وَالْآخِرِينَ .

وَفِي سَفَرِ الْحَجِّ قَدْ يَجِدُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي غَيْرِ بَلَدِهِ ، وَلَا يَجِدُ فِي الْعُقْبَى
مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ لِلدَّارِ الْآخِرَةِ ، إِلَّا إِذَا تَزَوَّدَهُ فِي الدُّنْيَا ، قَالَ تَعَالَى ﴿ وَتَزَوَّدُوا
فَإِنْ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ .

وَمِنْ مَحَاسِنِهِ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَعْتَادُ التَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ ، لِأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُهُ أَنْ
يَحْمِلَ كُلَّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي سَفَرِهِ لِلْحَجِّ ، فَلَا بُدَّ مِنَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى
فِيمَا حَمَلَهُ ، وَفِيمَا لَمْ يَحْمِلْهُ مَعَ نَفْسِهِ ، فَيَعْتَادُ تَوَكُّلَهُ إِلَى كُلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ،
وَمِنْ مَحَاسِنِهِ أَنَّهُ إِذَا أَحْرَمَ نَزَعَ الْمَخِيطَ الَّذِي هُوَ لِبَاسُ الْأَحْيَاءِ ، وَيَلْبَسُ غَيْرَهُ
مِمَّا هُوَ أَشْبَهُ بِلِبَاسِ الْأَمْوَاتِ ، فَيَجِدُ وَيَجْتَهِدُ فِي الْاسْتِعْدَادِ لِمَا أَمَامَهُ إِلَى غَيْرِ
ذَلِكَ مِنَ الْمَحَاسِنِ الَّتِي يَصْعُبُ حَضْرُهَا .

اللَّهُمَّ اجْعَلِ الْإِيمَانَ هَادِمًا لِلْسَيِّئَاتِ ، كَمَا جَعَلْتَ الْكُفْرَ هَادِمًا

لِلْحَسَنَاتِ وَوَفَّقَنَا لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ ، واجعلنا مِمَّنْ تَوَكَّلَ عَلَيْكَ
فَكَفَيْتَهُ ، وَاسْتَهْدَاكَ فَهَدَيْتَهُ وَدَعَاكَ فَأَجَبْتَهُ ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع
المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله
على محمد وآله وصحبه أجمعين .

(فَضْلٌ) ثم تَأْمَلُ مَحَاسِنَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، إِذْ فِيهِ قَمْعُ أَعْدَاءِ اللَّهِ ، وَنَصْرُ
أَوْلِيَائِهِ ، وَإِعْلَاءُ كَلِمَةِ الْإِسْلَامِ ، وَحَمْلُ الْكَافِرِ عَلَى تَرْكِ الْكُفْرِ الَّذِي هُوَ
أَقْبَحُ الْأَشْيَاءِ ، وَالْإِقْبَالُ عَلَى مَا هُوَ أَحْسَنُ الْأَشْيَاءِ ، وَفِيهِ إِخْرَاجُ الْبَشَرِ عَنْ
دَرَجَةِ الْأَنْعَامِ ، قَالَ تَعَالَى - فِي حَقِّ الْكُفْرَةِ ﴿ إِنَّهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ، بَلْ هُمْ
أَضَلُّ ﴾ وَمِنْ مَحَاسِنِهِ اِكْتِسَابُ حَيَاةِ الْأَبَدِ ، فَإِنَّهُ إِنْ قُتِلَ فَقَدْ أَعْلَى دِينَ
اللَّهِ ، وَإِنْ قُتِلَ فَقَدْ أَحْيَا نَفْسَهُ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ، بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ .

ومنها ما يَحْصُلُ لِلْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنَ الثَّوَابِ الْجَزِيلِ ومنها تكثير
المُسْلِمِينَ ، وَتَقْلِيلُ الْكُفْرَةِ ، ومنها وَهُوَ أَعْلَاهَا امْتِثَالُ أَمْرِ اللَّهِ حَيْثُ يَقُولُ
﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ وقوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ
يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ ﴾ .

وَمِنْ مَحَاسِنِ الْجِهَادِ أَنَّهُمْ فِي الْإِنْتِصَارِ يَغْنَمُونَ وَيَشْكُرُونَ وَيَقْتَوُونَ ،
وَإِنْ أَدِيلَ عَلَيْهِمُ الْكُفَّارُ عَرَفُوا أَنَّ ذَلِكَ بِسَبَبِ مَعْصِيَتِهِمْ وَذُنُوبِهِمْ ، وَفَسَلِهِمْ
وَتَنَازَعِهِمْ ، فَيَلْجِئُوا إِلَى اللَّهِ مُتَضَرِّعِينَ تَائِبِينَ ، وَمِنْ مَحَاسِنِهِ أَنْ تَرَكَ الْجِهَادَ
سَبَبٌ لِلذُّلِّ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
« إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعَيْنَةِ ، وَأَخَذْتُمْ بِأَذْنَابِ الْبَقَرِ ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ دُلًّا
لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ » رواه أبو داود ، وَمِنْ مَحَاسِنِ الْجِهَادِ
السَّلَامَةُ مِنَ النِّفَاقِ ، لِحَدِيثِ « مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ ، وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِهِ مَاتَ
عَلَى شُعْبَةٍ مِنَ النِّفَاقِ » رواه أبو داود والنسائي ، وفي الحديث الآخر « مَنْ

لَقِيَ اللَّهَ بِغَيْرِ أَثَرِ جِهَادٍ ، لَقِيَ اللَّهَ وَفِيهِ ثَلَمَةٌ « وفي الحديثِ الآخرِ » ما تَرَكَ قَوْمُ
الْجِهَادِ إِلَّا عَمَّهُمُ اللَّهَ بِالْعَذَابِ « وَمِنْ مَحَاسِنِهِ اسْتِخْرَاجُ عُبُودِيَّةِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ ،
فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ، وَفِي مَا يُحِبُّونَ وَيَكْرَهُونَ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَدَلَّةِ الدَّالَّةِ
عَلَى مَحَاسِنِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ .

ثم تأمل ما جَاءَتْ بِهِ الشَّرِيعَةُ مِنَ الْمُعَامَلَاتِ ، فَمِنْ مَحَاسِنِ الْبَيْعِ
وَالشِّرَاءِ وَصُورِ الْإِنْسَانِ إِلَى مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَأْكَلٍ وَمَشْرَبٍ وَمَلْبَسٍ
وَمَسْكَنِ ، وَمِنْ مَحَاسِنِهِ قَطْعُ مَسَافَةِ الطَّلَبِ ، فَإِنَّ مَنْ طَلَبَ الشَّيْءَ مِنْ مَعْدِنِهِ
يَحْتَاجُ إِلَى الْأَسْفَارِ ، وَرُكُوبِ الْمَرْكُوبِ ، وَتَحْمَلِ الْأَحْطَارِ ، وَمَتَى وَجَدَهُ
بِالْبَيْعِ سَلِمَ مِنَ الْأَحْطَارِ وَسَقَطَ عَنْهُ مَوْزَنَةُ الْأَسْفَارِ ، فَانْظُرْ إِلَى الْعُودِ وَالْمِسْكِ ،
وَالسِّيَّارَاتِ وَالْمَكَائِنِ وَالْأَقْمِشَةِ وَالْهَيْلِ وَالسُّكَّرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ، مَعَادِنُهَا بَعِيدَةٌ ،
فَمِنْ لُطْفِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ أَنْ سَخَّرَ بَعْضَ النَّاسِ لِبَعْضٍ ، وَجَاءَتْ الشَّرِيعَةُ
الْكَامِلَةَ بِحِلِّ أَنْوَاعِ الْمُعَامَلَاتِ ، كَالْإِجَارَاتِ وَالشَّرَكَاتِ ، إِلَّا مَا دَلَّ الدَّلِيلُ
عَلَى تَحْرِيمِهِ ، مِمَّا فِيهِ ضَرَرٌ أَوْ ظُلْمٌ أَوْ جَهَالَةٌ أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ ، فَمَنْ تَأَمَّلَ
الْمُعَامَلَاتِ الشَّرْعِيَّةَ ، رَأَى اِرْتِبَاطَهَا بِصَلَاحِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا ، وَشَهِدَ لِلَّهِ بِسَعَةِ
رَحْمَتِهِ ، وَلُطْفِهِ بِعِبَادِهِ ، وَحِكْمَتِهِ حَيْثُ أَبَاحَ لِعِبَادِهِ جَمِيعَ الطَّيِّبَاتِ ، وَلَمْ
يَمْنَعْ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا كُلَّ حَبِيبٍ ، ضَارٍ عَلَى الدِّينِ أَوْ الْعَقْلِ أَوْ الْبَدَنِ أَوْ الْمَالِ .

فَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِجَارَةِ دَفْعُ حَاجَاتِ الْعِبَادِ ، بِقَلِيلٍ مِنَ الْإِبْدَالِ وَبَسِيرٍ
مِنَ الْأَمْوَالِ ، فَلَا كُلُّ أَحَدٍ يَمْلِكُ دَارًا يَسْكُنُهَا ، وَلَا سَيَّارَةً يَرْكَبُهَا ، وَلَا طَائِرَةً
يَرْكَبُهَا ، وَلَا طَاحُونَةً يَطْحَنُ فِيهَا ، وَلَا مَخْرَزًا لِأَمْوَالِهِ ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِمَّا يُطُولُ
تَعْدَادُهُ ، فَجُوزَتْ الْإِجَارَةُ ، وَلَا حَاجَةٌ إِلَى ذِكْرِ مَحَاسِنِ الصُّلْحِ ، فَهُوَ كَمَا
ذَكَرَهُ اللَّهُ خَيْرٌ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ الْآيَةَ .

وَأَمَّا الْوَكَالَةُ وَالْكَفَالَةُ فَفِيهِمَا مِنَ الْإِحْسَانِ مَا لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ مِمَّنْ
اعْتَقَدَ الشَّرْعَ ، وَمَنْ لَمْ يَعْتَقِدْ ، وَعَقَلَ الشَّرَائِعَ ، أَوْ لَمْ يَعْقِلْ ، اِحْتِاجٌ إِلَى

الْوَكَالَةِ وَالْكَفَالَةِ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلَائِقَ ، وَجَعَلَهُمْ مُخْتَلِفِينَ فِي الْقَضْدِ وَالْهَمِّ ، فَلَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ يَرْغَبُ أَنْ يُبَاشِرَ الْأَعْمَالَ بِنَفْسِهِ ، وَلَا كُلُّ يَهْتَدِي إِلَى الْمُعَامَلَاتِ فَمِنْ لُطْفِ اللَّهِ بِخَلْقِهِ إِبَاحَتُهَا ، فَلَا يَلِيقُ بِأَصْحَابِ الْمُرَوَّاتِ ، وَأَوْلِيَاءِ الْأُمُورِ ، مُبَاشَرَةَ الْبِيعَاتِ كُلَّهَا بِأَنْفُسِهِمْ ، فَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَاشَرَ بَعْضَ الْأُمُورِ بِنَفْسِهِ ، تَعْلِيمًا لِسُنَّةِ التَّوَاضُعِ ، وَبَيَانًا لِحَوَازِيهِ ، وَأَصَافَ بَعْضَ الْأُمُورِ إِلَى غَيْرِهِ ، وَبَاشَرَ ذَبْحَ الْأَضْحِيَّةِ بِنَفْسِهِ ، وَفَوَّضَ إِلَى عَلِيٍّ ذَبْحَ قِسْمٍ مِنْ هَدِيَّةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَأَمَّا الْحُسْنُ فِي الْكَفَالَةِ ، فَإِنَّ فِيهَا إِظْهَارَ الشَّفَقَةِ وَالرَّحْمَةِ وَمُرَاعَاةَ الْأَخُوَّةِ ، يَبْدُلُ الذِّمَّةَ لِيَضُمَّهَا إِلَى الذِّمَّةِ ، فَيَنْفَسِحُ وَجْهَ الْمُطَالِبَةِ ، وَيَسْكُنُ قَلْبَ الْمُطَالِبِ بِسَبَبِ السَّعَةِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَمَا كُنْتُ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ إِلَى أَنْ جَعَلَ كَافِلَهَا زَكَرِيَّا ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ وَإِذَا عَلِمْتَ مَحَاسِنَ الْوَكَالَةِ وَالْكَفَالَةِ ، فَالْحَوَالَةُ وَاضِحَةٌ مَحَاسِنُهَا فِي الْحَوَالَةِ كِفَالَةٌ وَوَكَالَةٌ ، وَزِيَادَةُ فِرَاقِ ذِمَّةِ الْأَصِيلِ ، عَنِ الْحُزْنِ الطُّوْبِلِ ، فَإِذَا قُبِلَتْ حَوَالَتُهُ أَذْخَلَتْ عَلَى قَلْبِ أَخِيكَ - بِفِرَاقِ ذِمَّتِهِ - سُرُورًا ، وَلَا يَخْفِي مَا فِي إِذْخَالِ السُّرُورِ عَلَى الْمُسْلِمِ مِنَ الْأَجْرِ .

وَمِنْ مَحَاسِنِ الشُّفْعَةِ أَنْ الْجَارَ رَبَّمَا يَكُونُ فِي حَاجَةٍ إِلَى هَذِهِ الْحِصَّةِ الْمَبِيعَةِ ، كَأَنْ يَكُونَ بَيْنَهُ ضَيْقًا ، وَيُرِيدُ اتِّسَاعَهُ ، أَوْ تَكُونَ الْأَرْضُ الْمُشْتَرَكَةَ بِجَوَارِ مَزَارِعِهِ ، وَيَحْتَاجُ إِلَيْهَا ، وَمِنْ مَحَاسِنِهَا التَّنْبِيهُ عَلَى عِظَمِ حَقِّ الْجَارِ وَالشَّرِيكِ ، حَيْثُ أَنَّ لَهُ الْحَقَّ فِي التَّقَدُّمِ عَلَى غَيْرِهِ فِي الشَّرَاءِ ، إِلَّا إِذَا اسْقَطَ حَقَّهُ بِامْتِنَاعِهِ عَنِ الشَّرَاءِ ، وَمِنْهَا دَفْعُ ضَرَرِ الْجَارِ ، وَهُوَ مَادَّةُ الضَّرَرِ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَا ضَرَرَ وَلَا إِضْرَارَ فِي الْإِسْلَامِ وَلَا شَكٌّ عِنْدَ أَحَدٍ فِي حُسْنِ دَفْعِ ضَرَرِ التَّأْذِي بِسَبَبِ الْمُجَاوِرَةِ عَلَى الدَّوَامِ ، مِنْ إِعْقَادِ

نيرانٍ ، وإعلاءِ جَدَارٍ ، وإثارةِ غُبَارٍ ودُخَانٍ ، وأعظمُ مِنْ ذَلِكَ سَمَاعُ التَّلْفِيزِيُونِ
والمذيعِ ، وإحداثِ أَشْيَاءٍ تُضُرُّ بِمُلْكِهِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الضَّرْرِ .

١٢
وأما الوَدِيعَةُ فَمَحَاسِنُهَا ظَاهِرَةٌ ، إِذْ فِيهَا إِعَانَةُ عِبَادِ اللَّهِ فِي حِفْظِ
أَمْوَالِهِمْ ، وَوَفَاءُ الْأَمَانَةِ ، وَهُوَ مِنْ أَشْرَفِ الْخِصَالِ عَقْلاً وَشَرْعاً ، وَمِنْ
مَحَاسِنِهَا أَنَّهَا إِحْسَانٌ إِلَى عِبَادِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ، وَمِنْهَا أَنَّهَا سَبَبٌ
لِلتَّالِفِ وَالتَّاجِي بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَسَبَبٌ لِمَحَبَةِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ .

١٣- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ النَّهْيُ عَنِ سُوءِ مُعَامَلَةِ الزَّوْجِ لِزَوْجَتِهِ ، وَأَنَّ عَلَيْهِ أَنْ
يُقَارِنَ بَيْنَ الْمَحَاسِنِ وَالْمَسَاوِي ، فَإِذَا كَانَ مُنْصِيفاً غَضُّ بَصَرِهِ عَنِ الْمَسَاوِي ،
إِذَا كَانَتْ مَحَاسِنُهَا تَغْمُرُهَا ، لِأَضْمِحْلَالِهَا فِيهَا ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَا يَفْرُكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً ،
إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خَلْقاً رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

١٤
وَأَمَّا الْفَرَائِضُ وَتَوَزِيْعُ الْمَالِ عَلَى الْوَرَثَةِ فَقَدْ وَضَعَهُ اللَّهُ بِنَفْسِهِ ، بِحَسَبِ
مَا يَعْلَمُهُ مِنْ قُرْبٍ وَبَعْدٍ وَنَفْعٍ ، وَمَا هُوَ أَوْلَى بِبِرِّ الْعَبْدِ ، وَرَبِّهِ تَرْبِيئاً تَشْهَدُ لَهُ
الْعُقُولُ الصَّحِيْحَةُ بِالْحُسْنِ وَأَنَّهُ لَوْ وُكِّلَ الْأَمْرُ إِلَى آرَاءِ النَّاسِ وَأَهْوَائِهِمْ
وإِرَادَاتِهِمْ ، لَحَصَلَ بِسَبَبِ ذَلِكَ مِنَ الْخَلَلِ وَالْاِخْتِلَالِ ، وَزَوَالِ الْإِنْتِظَامِ ،
وسوءِ الاختيارِ فَوْضَى ، وَمِنْ جُمْلَةِ الْمَحَاسِنِ أَنَّ الْحَقَّ السَّبَبَ بِالنَّسَبِ
فَالسَّبَبُ الْمُنَاكِحَةُ وَالْوَلَاءُ ، وَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَقْدَ النِّكَاحِ ذَرِيْعَةَ الْمَحَبَّةِ
وَالْأَلْفَةِ ، وَالْأَزْدِوَاجِ ، وَالاسْتِئْثَانِ بَيْنَ النَّاسِ ، فَلَا يَحْسُنُ أَنْ يُلْحَقَهَا عِنْدَ
مَوْتِ أَحَدِهِمَا مَضَاضَةُ أَلْمِ الْفِرَاقِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرْتَفِقَ أَحَدُهُمَا بِمَا فَضَّلَ عَنْهُ
نَوْعَ ارْتِفَاقٍ ، ثُمَّ جَعَلَ لِلزَّوْجِ ضِعْفَ مَا لِلْمَرْأَةِ مِنَ الزَّوْجِ .

وَمِنْ جُمْلَةِ الْمَحَاسِنِ أَنَّهُ لَمْ يُورَثْ عِنْدَ اِخْتِلَافِ الدِّينِ ، إِذَا مَاتَ الْمُسْلِمُ
فَالْكَافِرُ لَا يُورَثُ مِنْهُ ، لِأَنَّ الْكَافِرَ وَإِنْ كَانَ قَرِيْباً نَسَباً ، فَهُوَ بَعِيدٌ دِيناً ، لِأَنَّ

الكَافِرَ مَيِّتٌ لَا يَرِثُ الْمَيِّتَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ، وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾ الآية ، وَقَالَ تَعَالَى ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَرِثُ الْكَافِرَ ، لِاسْتَوَاءِ حَالَيْهِمَا وَمَالَيْهِمَا .

١٥- وَأَمَّا الْهَبَةُ فَمُسْتَحَبَّةٌ ، إِذَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ ، وَالْأَصْلُ فِيهَا قَبْلُ الْأَجْمَاعِ - قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ فَإِنْ طَبَنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا ، فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴾ وَقَوْلُهُ ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ﴾ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ كَرِيمٌ جَوَادٌ وَهَّابٌ ، وَمِنْ مَحَاسِنِهَا أَنَّهَا سَبَبٌ لِلتَّحَابِ وَالتَّوَادُّ ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ « تَهَادَوْا تَحَابُّوا » ، وَمِنْ مَحَاسِنِهَا أَنَّهَا تَسْلُ السَّخِيمَةَ ، وَفِي الْحَدِيثِ « تَهَادَوْا فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تَسْلُ السَّخِيمَةَ » ، وَقَدْ أَهْدَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلنَّجَاشِيِّ حُلَّةً ، وَأَوَاقِي مِنْ مِسْكِ ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَيُثِيبُ عَلَيْهَا ، وَمِنْ مَحَاسِنِهَا أَنَّهَا تُقَوِّي الصَّلَاةَ ، وَمَتَى قَوِيَتِ الصَّلَاةُ سَارَتِ الْأُمَّةُ بِقَدَمٍ ثَابِتٍ ، فَحَسُنُ الصَّلَاةِ بَيْنَ أَفْرَادِ الْأُمَّةِ سِرُّ نَجَاحِهَا ، وَمِنْ مَحَاسِنِهَا وَفَرَةُ الثَّقَّةُ بَيْنَ الْمُتَهَادِينَ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَحَاسِنِ .

١٦- وَأَمَّا النِّكَاحُ فَمُسْتَحَبٌّ ، وَمَحَاسِنُهُ كَثِيرَةٌ ، مِنْهَا تَحْصِينُ الْفَرْجِ ، وَمِنْهَا تَحْصِينُ الزَّوْجَةِ ، وَمِنْهُ حِفْظُهَا وَالْقِيَامُ بِهَا ، وَمِنْ مَحَاسِنِهِ أَنَّهُ طَرِيقَةُ الرُّسُلِ ، وَمِنْ مَحَاسِنِهِ تَكْثِيرُ الْأُمَّةِ ، وَتَكْثِيرُ النَّسْلِ ، وَمِنْهَا تَحْقِيقُ مَبَاهِةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمِنْهَا قَضَاءُ حَوَائِجِهِ مِنْ طَبْخٍ وَنَحْوِهِ ، وَمِنْهَا حِفْظُ بَيْتِهِ وَأَوْلَادِهِ وَمِنْهَا سُكُونُهُ وَطَمَأْنِينَتُهُ إِلَيْهَا ، وَاسْتِنْسَانُهُ بِهَا ، وَمُعَاشَرَتُهَا وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْمَصَالِحِ الَّتِي لَا يَتَسَبَّحُ هَذَا الْمَقَامُ لِغَدَّهَا .

١٧- وَأَمَّا الطَّلَاقُ فَمِنْ مَحَاسِنِهِ أَنْ جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُلْكَ الطَّلَاقِ إِلَى الزَّوْجِ ، وَمِنْ مَحَاسِنِهِ أَنْ حَكَمَ بِالْحُرْمَةِ الْغَلِيظَةِ بَعْدَ الطَّلَاقِ الثَّلَاثِ ، لِأَنَّ

الظاهر أن مَنْ طَلَّقَ ثَلَاثًا رَأَى الصَّلَاحَ فِي الْفِرَاقِ وَعَلَّقَ الشَّرْعُ حِلَّ الْمُطَلِّقَةِ
ثَلَاثًا بِالتَّرْوِيجِ بِزَوْجٍ آخَرَ ، وَالدُّخُولِ بِهَا ، لِيَصِيرَ هَذَا الشَّرْطُ مَانِعًا لَهُ مِنْ
الْعَوْدِ إِلَيْهَا ، وَثَبَّتَ عَلَى رَأْيٍ مِنَ الصَّلَاحِ فِي مُفَارَقَتِهَا ، وَمِنْ مَحَاسِنِ أَنَّهُ
لَمْ يَحْكَمْ بِحُرْمَتِهَا عَلَى وَجْهِ لَا رُجُوعٍ فِيهِ أَصْلًا ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا لَا يَصْبِرُ عَنْهَا
فَيَهْلِكُ فِي ذَلِكَ ، فَالشَّرْعُ جَعَلَ لِلْوُصُولِ إِلَيْهِ سَبِيلًا ، لَكِنْ بَعْدَمَا يَذُوقُ
الْآخَرَ عُسَيْلَتَهَا ، وَتَذُوقُ عُسَيْلَتَهُ ، وَلَا يَجُوزُ عَنْ طَرِيقِ التَّحْلِيلِ ، لِحَدِيثِ
« لَعَنَ اللَّهُ الْمُحْلِلَ ، وَالْمُحَلَّلَ لَهُ » وَمِنْ مَحَاسِنِ الطَّلَاقِ أَنْ يَكُونَ فِي طَهْرِ
لَمْ يُجَامِعْهَا فِيهِ ، هَذَا هُوَ السُّنَّةُ ، فَإِنَّهُ إِذَا قَضَى وَطْرَهُ مِنْهَا ، انْتَقَصَ مِثْلُهُ إِلَيْهَا
طَبَعًا ، فَيَبَادِرُ إِلَى مُفَارَقَتِهَا بِقَلِيلٍ دَاعِيَةٍ ، وَيَسِيرِ أَدْيَةٍ ، فَإِنَّ الْمَرْءَ إِذَا شَبِعَ مِنْ
شَيْءٍ سَقَطَ مِنْ عَيْنِهِ ، وَهَانَ عَلَيْهِ ، وَإِذَا جَاعَ قَوِيَّ ذَلِكَ فِي قَلْبِهِ فَلَا يَحْصُلُ
الطَّلَاقُ عَنْ رَوِيَّةٍ ، وَرُبَّمَا يَنْدُمُ عَلَى ذَلِكَ ، فَيَحْتَاجُ إِلَى نَقْضِ الطَّلَاقِ ،
فَكَانَ الطَّلَاقُ الْحَسَنُ الْمَسْنُونُ ، أَنْ يُطَلِّقَهَا فِي طَهْرِ لَمْ يُجَامِعْهَا فِيهِ ، فَإِنَّ
هَذِهِ الْحَالُ حَالَهُ كَمَالِ الرَّغْبَةِ ، وَتَمَامِ الْمِيلِ ، فَالظَّاهِرُ أَنَّهُ لَا يُقَدِّمُ عَلَى
الطَّلَاقِ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ ، إِلَّا لِحَاجَةٍ دَاعِيَةٍ ، فَرُخِّصَ لَهُ فِي الطَّلَاقِ .

١٨- وَمِنْ مَحَاسِنِهِ أَنْ جَعَلَ هَزْلُهُ جِدًّا ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « ثَلَاثُ
جِدْهِنَّ جِدٌّ ، وَهَزْلُهُنَّ جِدٌّ ، الطَّلَاقُ وَالْعَتَاقُ وَالنِّكَاحُ فَإِذَا عَرَفَ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ
بِمُجَرَّدِ تَلْفِظِهِ بِهِ ، وَلَوْ مَازِحًا يَقَعُ ، امْتَنَعَ بِإِذْنِ اللَّهِ إِذَا كَانَ عَاقِلًا .

١٩- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْقِصَاصِ ، وَفَرْضِ الْعُقُوبَاتِ ، زَجْرُ النُّفُوسِ
الْبَاطِيَةِ ، وَرَدُّعِ الْقُلُوبِ الْقَاسِيَةِ ، الْحَالِيَةِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ وَمِنْ مَحَاسِنِهِ
تَأْدِيبُ الْجَمَاعَاتِ الطَّاعِيَةِ ، فَحَكْمَ يَقْتُلِ الْقَاتِلِ وَأَمَرَ بِقَطْعِ يَدِ السَّارِقِ ،
لِيَحْقِنَ الدِّمَاءَ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ الْآيَةَ ، وَالْقَطْعُ

لِحِفْظِ الْأَمْوَالِ ، فَيَعِيشُ النَّاسُ آمِنِينَ مُطْمَئِنِّينَ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ وَالسَّارِقُ
 وَالسَّارِقَةُ ، فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا ، نَكَالًا مِنَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ
 حَكِيمٌ ﴾ وَحَرَّمَ الزَّانَا وَمُقَدَّمَاتِهِ ، كَالنَّظَرِ إِلَى الْأَجْنَبِيَّةِ ، وَالخَلْوَةِ بِهَا ، وَالقُبْلَةَ
 وَاللَّمْسَ وَأَمَرَ بِرَجْمِ الزَّانِي ، وَقَتْلِ اللُّوطِيِّ ، عَلَى رُؤْسِ الْأَشْهَادِ وَحَكَمَ
 بِجَلْدِ الزَّانِي الْبَكْرَ ، مِائَةَ جَلْدَةٍ وَالتَّغْرِيبِ ، كُلُّ ذَلِكَ مُحَافَظَةٌ عَلَى
 الْأَنْسَابِ ، وَالْأَعْرَاضِ ، وَحِمَايَةِ لِلْأَخْلَاقِ ، وَصِيَانَةِ لِلْأُمَّةِ مِنَ الْفَنَاءِ
 وَالْفُسَادِ ، وَحَرَّمَ الْخَمْرَ ، وَعَدَّهَا أُمَّ الْخَبَائِثِ ، وَحَكَمَ عَلَى مُتَعَاظِيهَا
 بِالْجَلْدِ ، لِارْتِكَابِهِ النَّقَائِصَ وَالْخَسَائِيسَ ، كُلُّ ذَلِكَ لِيَبْقَى الْعَقْلُ سَلِيمًا ،
 وَيَظُلَّ الْمَالُ مَصُونًا ، وَيَدُومَ الشَّرْفُ وَالخُلُقُ طَاهِرًا نَقِيًّا .

شعراً :

لَقَدْ أَتَقَطَّ الْإِسْلَامُ لِلْمَجْدِ وَالْعُلَى
 بِصَائِرِ أَقْوَامٍ عَنِ الْمَجْدِ نُومٍ
 فَأَشْرَقَ نُورُ الْعِلْمِ مِنْ حُجْرَاتِهِ
 عَلَى وَجْهِ عَصْرِ بِالْجَهَالَةِ مُظْلِمٍ
 وَذَكَ حُصُونِ الْجَاهِلِيَّةِ بِالْهُدَى
 وَقَوَّضَ أَطْنَابَ الضَّلَالِ الْمُخِيمِ
 وَأَنْشَطَ بِالْعِلْمِ الْعَزَائِمَ وَابْتَنَى
 لِأَهْلِيهِ مَجْدًا لَيْسَ بِالْمُتَهَدِّمِ
 وَأَطْلَقَ أَذْهَانَ الْوَرَى مِنْ قِيُودِهَا
 فَطَارَتْ بِأَفْكَارٍ عَلَى الْمَجْدِ حُومٍ
 وَفَكَ أَسَارَ الْقَوْمِ حَتَّى تَحْفُزُوا
 نُهوضاً إِلَى الْعَلِيَاءِ مِنْ كُلِّ مَجْتَمِ

وَعَمَّا قَلِيلٍ طَبَقَ الْأَرْضَ حُكْمُهُمْ
بِأَسْرَعٍ مِنْ رَفْعِ الْيَدَيْنِ إِلَى الْقَمِ

اللَّهُمَّ رَبِّ قُلُوبِنَا عَلَى مَحَبَّتِكَ وَطَاعَتِكَ وَبُئْتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَالْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشَكَرَكَ وَأَتْنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي
الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقْنَا عَذَابَ النَّارِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا
أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَضْلٌ »

٢٠- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ الْحَثُّ عَلَى الْمَشُورَةِ وَالْأَخْذُ بِهَا ، مَتَى كَانَتْ
صَائِبَةً ، مُتَّفَقَةً مَعَ الْعَقْلِ وَالْمَنْطِقِ وَالتَّجْرِبَةِ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى
بَيْنَهُمْ ﴾ .

٢١- وَمِنْ مَحَاسِنِهِ أَنْ أَفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ أَكْثَرُهُمْ صَلَاحًا وَتَقْوَى ، كَمَا
قَالَ تَعَالَى ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ .

٢٢- وَمِنْ مَحَاسِنِهِ الْحَثُّ عَلَى الْعِتْقِ ، وَتَحْرِيرِ الْأَرْقَاءِ ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى
الْمَمْلُوكِ .

٢٣- وَمِنْ مَحَاسِنِهِ الْحَثُّ عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَى الْجَارِ وَالضَّيْفِ وَالْمِسْكِينِ
وَالْيَتِيمِ .

٢٤- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ أَنَّهُ يَدْعُو إِلَى تَبَادُلِ الْإِلْفَةِ وَالْمَحَبَّةِ ، وَالتَّصَافِي
وَالتَّعَاوُنِ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ ، يَشُدُّ
بَعْضُهُ بَعْضًا » .

٢٥- وَمِنْ مَحَاسِنِهِ أَنَّهُ يَذُمُ النَّزَاعَ وَالْكَرَاهِيَةَ وَالتَّفْرِقَةَ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا » .

٢٦- وَمِنْ مَحَاسِنِهِ النَّهْيُ عَنِ النَّمِيمَةِ وَالغِيْبَةِ ، وَالْحَسَدِ وَالتَّجَسُّسِ ، وَالكَذِبِ وَالحِيَانَةِ ، وَالآيَاتُ وَالأَحَادِيثُ الدَّالَّةُ عَلَى ذَلِكَ كَثِيرَةٌ جَدًّا ، فَتَذَكَّرْ لَهَا تَجَدُّهَا .

٢٧- وَمِنْ مَحَاسِنِهِ النَّهْيُ عَنِ الظُّلْمِ ، وَالأَمْرِ بِالْعَدْلِ ، مَعَ القَرِيبِ وَالبَعِيدِ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ، وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاانُ قَوْمٍ عَلَى أَنْ لَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا ﴾ وَقَالَ ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرٍ بِالْعَدْلِ وَالأِحْسَانِ ﴾ .

٢٨- وَمِنْ مَحَاسِنِ الإِسْلَامِ الحُثُّ عَلَى العَفْوِ عَنِ المُعْتَدِي ، قَالَ تَعَالَى ﴿ وَليَعْفُوا وَليَصْفَحُوا ﴾ وَقَالَ ﴿ ادْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ وَقَالَ ﴿ وَإِن تَعَفُّوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ .

٢٩- وَمِنْ مَحَاسِنِهِ الدَّعْوَةُ إِلَى الصُّلْحِ بَيْنَ الأَخَوَيْنِ ، وَالنَّهْيُ عَنِ الهُجْرَانِ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ، فَاصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ وَقَالَ ﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ .

٣٠- وَمِنْ مَحَاسِنِهِ النَّهْيُ عَنِ التَّقَاطُعِ وَالتَّدَابُرِ ، وَالتَّبَاغُضِ وَالتَّحَاسُدِ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَا تَقَاطِعُوا وَلَا تَدَابِرُوا ، وَلَا تَبَاغُضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا » الحديث .

٣١- وَمِنْ مَحَاسِنِهِ النَّهْيُ عَنِ الإِسْتِهْزَاءِ بِالنَّاسِ ، وَذِكْرِ عُيُوبِهِمْ قَالَ تَعَالَى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ وَ الآيَةُ .

شعرا :

إِذَا مَا ذَكَرْتَ النَّاسَ فَاتْرِكْ عُيُوبَهُمْ فَلَا عَيْبَ إِلَّا دُونَ مَا مِنْكَ يُذَكَّرُ
فَإِنْ عَيْبَتْ قَوْمًا بِالذَّنْبِ هُوَ فِيهِمْ فَذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ مُنْكَرُ

٣٢- وَمِنْ مَحَاسِنِهِ النَّهْيُ عَنِ بَيْعِ الْإِنْسَانِ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ ، وَالخِطْبَةُ عَلَى خِطْبَتِهِ ، إِلَّا أَنْ يَأْذُنَ أَوْ يُرَدَّ ، لِمَا يَنْشَأُ عَنْ ذَلِكَ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالتَّقَاطُعِ .

٣٣- وَمِنْ مَحَاسِنِهِ مَشْرُوعِيَّةُ السَّلَامِ عَلَى الْمُسْلِمِ ، عَرَفَهُ أَوْ لَمْ يَعْرِفَهُ .
وَمِنْ مَحَاسِنِهِ الْأَمْرُ بِرَدِّ التَّجِيَّةِ بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رَدِّهَا قَالَ تَعَالَى ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَجِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنٍ مِنْهَا أَوْ رُدُّهَا ﴾ الْآيَةَ .

٣٤- وَمِنْ مَحَاسِنِهِ الْأَمْرُ بِالتَّثَبُّتِ فِيمَا نَسَمِعُهُ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ، أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ ، فَتُصْحَبُوا عَلَيَّ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ وَقَالَ ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ الْآيَةَ .

٣٥- وَمِنْ مَحَاسِنِهِ النَّهْيُ عَنِ الْبَوْلِ فِي الْمَاءِ الرَّائِدِ ، وَفِي ذَلِكَ الْعِنَايَةُ بِالنَّاحِيَةِ الصَّحِيَّةِ ، وَالْوَقَايَةُ مِنَ النَّجَاسَةِ وَالْأَمْرَاضِ بِإِذْنِ اللَّهِ .

٣٦- وَمِنْ مَحَاسِنِهِ النَّهْيُ عَنِ إِذَاءِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْإِضْرَارِ بِهِمْ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا ، فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ أَكَلَ الثُّومَ وَالبَصَلَ وَالكُرَّاثَ ، فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَى مِمَّا يَتَأَذَى مِنْهُ بَنُو آدَمَ » .

٣٧- وَمِنْ مَحَاسِنِهِ النَّهْيُ عَنِ الْأَكْلِ بِالشِّمَالِ ، وَالشَّرْبِ بِهَا ، لِأَنَّهَا لِإِزَالَةِ مَا يُسْتَقْدَرُ ، وَلِأَنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ .

٣٨- وَمِنْ مَحَاسِنِهِ الْأَمْرُ بِاتِّبَاعِ جَنَازَةِ الْمُسْلِمِ ، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الدُّعَاءِ وَالتَّرْحِمِ عَلَيْهِ ، وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِ ، وَجَبْرِ خَوَاطِرِ أَهْلِهِ الْمُؤْمِنِينَ .

٣٩- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ تَشْمِيتِ الْعَاطِسِ ، وَإِبْرَارِ الْمُقْسِمِ ، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّأَلُّفِ وَالتَّأَخِي ، وَالدُّعَاءِ لِأَخِيكَ بِالرَّحْمَةِ ، وَلِمَا فِي إِبْرَارِ الْقَسَمِ مِنْ جَبْرِ خَاطِرِهِ ، وَإِجَابَةِ طَلْبِهِ ، مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ مُخَالَفَةِ الشَّرْعِ .

٤٠- وَمِنْ مَحَاسِنِهِ إِجَابَةُ دَعْوَتِهِ ، وَلَا سِيَّامَا إِذَا كَانَ لِعُرْسٍ ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا مَا يُخَالِفُ الشَّرِيعَةَ ، أَوْ يُخِلُّ بِالْمَرْوَةِ وَالْأُنْسَانِيَّةِ كَمَا تَرَاهُ الْيَوْمَ عِنْدَ بَعْضِ النَّاسِ مِنَ الْمَلَهِمِيِّ وَالْمُنْكَرَاتِ ، لِأَنَّ فِي حُضُورِهِ وَالْحَالَةَ هَذِهِ تَشْجِيعٌ لِلْفُسْقَةِ وَأَهْلِ الْمُجُونِ ، وَإِعَانَةٌ عَلَى نَشْرِ الْمَعَاصِي ، وَعَدَمُ الْمَبَالَاةِ فِيهَا فَإِنْ كَانَ يَقْدُرُ عَلَى إِنْكَارِ الْمُنْكَرِ كإِزَالَةِ التِّلْفِيزِيُونِ وَنَحْوِهِ حَضَرَ وَأَزَالَهُ وَإِلَّا

أَمْتَنَعَ .
٤١- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ أَنَّهُ حَرَّمَ عَلَى الْمُسْلِمِ تَرْوِيعَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ ، إِمَّا بِإِخْبَارِهِ بِخَبْرٍ يُفْزِعُهُ ، أَوْ يُشِيرُ إِلَيْهِ بِسِلَاحٍ ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ . .

٤٢- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ أَنَّهُ نَهَى عَنْ تَشْبِهِ الرَّجَالِ بِالنِّسَاءِ ، وَبِالْعَكْسِ بِأَنَّ تَشْبِهُ النِّسَاءِ بِالرَّجَالِ ، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَفَاسِدِ ، الَّتِي مِنْهَا التَّخَنُّثُ فَيَمُنُّ بِتَشْبِهِ بِهِنَّ ، فِي مَلَابِسِهِنَّ وَحَرَكَاتِهِنَّ وَكَلَامِهِنَّ ، كَمَا هُوَ مَوْجُودٌ عِنْدَ بَعْضِ الْمُنْحَلِّينَ ، الْمَعْرُورِينَ أَصْحَابِ الْخَنَافِسِ وَالتَّوَالِيَتَاتِ مَخْلُوقِي اللَّحَا .

٤٣- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ اتِّقَاءُ مَوَاضِعِ التُّهْمِ وَالرَّيْبِ ، كَمَا يَصُونُ أَلْسِنَةَ النَّاسِ وَقُلُوبَهُمْ عَنِ سُوءِ الظَّنِّ بِهِ ، وَوَرَدَ أَنَّ صَفِيَّةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَتْ تَزُورُهُ وَهُوَ مُعْتَكِفٌ ، فَقَامَ مَعَهَا مُودِّعًا ، حَتَّى بَلَغَتْ بَابَ الْمَسْجِدِ ، فَرَأَتْ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ « عَلَيَّ رِسْلُكُمَا ، إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتِ حُبَيْبٍ » فَقَالَا : سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ وَكَبَّرَ عَلَيْهِمَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنَ الْإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْدِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا » فَهَذَا أَشْرَفُ الْخَلْقِ وَأَرْكَاهُمْ ، أَبْعَدَ التُّهْمَةَ وَالشُّكَّ عَنِ نَفْسِهِ ، وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَنْ أَقَامَ نَفْسَهُ مَقَامَ التُّهْمِ ، فَلَا يَلُومَنَّ مَنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ ، وَمَرَّ عُمَرُ بِرَجُلٍ يُكَلِّمُ امْرَأَتَهُ عَلَى ظَهْرِ

الطريق ، فعلاه وضربه بالدرّة ، فقال الرجلُ : يا أمير المؤمنين إنها امرأتي .
فقال عمرُ : هلا كلمتها حيث لا يراك أحدٌ من الناس .

فالإسلام من محاسنه الابتعاد عن مواضع التهم والشبهات ، فكيف لو
رأى من تدخل على الخياط ، يفصل على بدنها وحده ، خالياً بها ، أوراى
من تدخل على المصور وحدها ، أوراى من تركب مع من ليس محرماً لها ،
أو سافرت مسلمة إلى بلاد الكفر بدون محرم ، أو دخلت على الدكتور
وحدها باسم الكشف الطبي ، أو نحو ذلك ، مما حدث في زمننا الذي كثرت
فيه الفتن ، وقل فيه الأمر والنهي ، وردع أهل الشر والفساد الذين قويت
شوكتهم ، وساند بعضهم بعضاً عكس ما عليه أهل الخير والصالح ، من
التفكك والتخاذل والمصانعات ، فالله المستعان .

أيا علماء الدين مالي أراكم
تغاضيتُم عن منكرات الأوامر
أما الأمر بالمعروف والنهي فرفضكم
فأعرضتُم عن ذلك إغراض هاجر
أما أخذ الميثاق ربّي عليكم
بأن تنصّحوا بالحق أهل المناكير
فإن هم عصوكم فاهجروهم وهاجروا
تنالوا بنصر الدين أجر المهاجر
إذا كان هذا حال قاض وعالم
وحال وزير أو أمير مظاهر

وَلَمْ تَنْتَهُوا عَنْ غَيِّكُمْ فَتَرْقُبُوا
 صَوَاعِقَ قَهَارٍ وَسَطَوَةَ قَاهِرٍ
 فَمَا اللَّهُ عَمَّا تَعْمَلُونَ بِغَافِلٍ
 وَلَكِنَّهُ يُمْلِي لِبَطَاحٍ وَفَاجِرٍ
 وَقَدْ أَرْسَلَ الْآيَاتِ مِنْهُ مُخَوِّفًا
 وَلَكِنْ غَفَلْتُمْ عَنْ سَمَاعِ الزَّوَاجِرِ
 أَجِئُوا عِبَادَ اللَّهِ صَوْتِ مُنَاصِحٍ
 دَعَاكُمْ بِصَوْتِ مَالِهِ مِنْ مُنَاصِرٍ
 وَقُومُوا سِرَاعًا نَحْوَ نَصْرَةِ دِينِكُمْ
 إِذَا رُمْتُمْ فِي الْحَشْرِ غُفْرَانَ غَافِرٍ
 وَحُسْنُ خِتَامِ النَّظْمِ أَزْكَى صَلَاتِنَا
 عَلَى الْمُصْطَفَى وَالْأَهْلِ الْمَفَاجِرِ

اللَّهُمَّ بَارِكْ فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَنَوِّرْ قُلُوبِنَا وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَأَلْفِ
 بَيْنَ قُلُوبِنَا وَاهْدِنَا سُبُلَ السَّلَامِ وَنَجِّنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَجَنِّبْنَا الْفَوَاحِشَ
 مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ اللَّهُمَّ توفنا مسلمين ، وألحقنا بعبادك الصالحين ، واعفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
 وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
 وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَضْلٌ »

٤٤- وَمِنْ مَخَاسِنِ الْإِسْلَامِ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا ابْتُلِيَ بِشَرِّهِ مِنَ الْأَشْرَارِ ، أَوْ
 فَاجِرٍ مِنَ الْفُجَّارِ ، أَوْ مُجِبٍ لِلْإِجْرَامِ ، يَنْبَغِي أَنْ يَحْذَرَهُ وَيَتَّعِدَ عَنْ شَرِّهِ ،
 وَيُدَارِيهِ وَيَتَّجَنَّبَهُ مَا أَمْكَنَ ، قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ : إِنَّا لَنَبْشُ فِي وُجُوهِ قَوْمٍ ، وَإِنْ

قُلُوبِنَا لَتَلْعَنُهُمْ ، وَمَعْنَى هَذَا مُدَارَاةَ الْأَشْرَارِ الَّذِينَ لَا تَقْدِيرَ عَلَى رَدِّعِهِمْ ،
وَالانْكَارِ عَلَيْهِمْ ، لِخَوْفِكَ مِنْ شَرِّهِمْ وَأَذِيَّتِهِمْ ، وَاجْرَامِهِمْ ، وَتُنْكَرُ بِقَلْبِكَ .

٤٥- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ الْأَمْرُ بِاصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ ، وَالْأَدِلَّةُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ
الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كَثِيرَةٌ مُتَظَاهِرَةٌ .

٤٦- وَمِنْ مَحَاسِنِهِ الْأَمْرُ بِسِتْرِ عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ ، وَعُيُوبِهِمْ وَنَقَائِصِهِمْ ،
قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ » وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ « يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ ، لَا تَغْتَابُوا
الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ » الْحَدِيثُ وَتَقْدِمُ .

٤٧- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ ادْخَالَ السُّرُورِ عَلَى قَلْبِ الْمُسْلِمِ ، وَمُسَاعَدَةُ
الْمُحْتَاجِ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا
يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » وَقَالَ « وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ ، كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ » .

٤٨- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ تَوْقِيرُ الْمُسْلِمِ ، وَلَا سِيَّمَا ذِي الشُّبَّةِ ، وَرَحْمَةُ
الصَّبِيَّانِ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُوقِرْ كَبِيرَنَا ، وَبِرْحَمِ
صَغِيرَنَا » وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشُّبَّةِ
الْمُسْلِمِ » الْحَدِيثُ .

٤٩- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ النَّهْيُ عَنِ الْفَحْشِ ، وَبِدَاةِ اللِّسَانِ ، قَالَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَانِ ، وَلَا اللَّعَانِ ، وَلَا الْفَاجِشِ ،
وَلَا الْبِدِّي » .

٥٠- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ النَّهْيُ عَنِ التَّكْلُمِ سِرًّا بَيْنَ اثْنَيْنِ ، مَعَ وُجُودِ
ثَالِثٍ ، مِنْ أَجْلِ أَنْ ذَلِكَ يُحْزِنُ الثَّلَاثَ ، فَيُظَنُّ أَنَّهُمْ يَتَنَاجَوْنَ بِهِ ، فَهَذَا يُنَافِي
الْأَدَبَ ، وَكَذَلِكَ لَيْسَ مِنَ الْأَدَبِ أَنْ تَتَحَدَّثَ بِلُغَةٍ أَعْجَبِيَّةٍ ، إِذَا كَانَ هُنَاكَ مَنْ لَا

يَعْرِفُهَا ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةٌ فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ
الْآخَرِ ، حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ ، مِنْ أَجْلِ أَنْ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ » .

٥١- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ أَنْ لَا يَتَدَخَّلَ الْإِنْسَانُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ ،
وَهَذِهِ مِنْ جَوَامِعِ كَلِمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ « مِنْ حُسْنِ
إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ » أَخَذَهُ بَعْضُهُمْ وَصَاغَهُ بِعِبَارَةٍ : (ابْحَثْ عَنْ
عَمَلِكَ الْخَاصِّ) . وَلَوْ تَتَّبَعَ الْمُسْلِمُونَ ارشاداتِ نَبِيِّهِمْ ، وَنَصَائِحِهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لاسْتَرَأَوْا وَأَرَأَوْا غَيْرَهُمْ ، وَلَوْ تَتَّبَعَتْ أَكْثَرُ الْمَشَاكِلِ ،
وَالْمَنَازِعَاتِ وَالْمُخَاصِمَاتِ وَالْمُجَادَلَاتِ ، لَوَجَدَتْ سَبِيلَهَا الْوَجِيدَ التَّدْخُلُ
فِيهَا لَا يَعْنِي .

٥٢- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ النَّهْيُ وَالتَّحْذِيرُ عَنِ الْجُلُوسِ فِي
الطَّرِيقَاتِ ، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّعْرُضِ لِمَا لَا يَنْبَغِي ، وَلِمَا يَلْزَمُ الْإِنْسَانَ الْقِيَامُ
بِهِ وَرُبَّمَا لَمْ يَقُمْ بِهِ مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَنَصْرِ
الْمَظْلُومِ ، وَرَدِّعِ الظَّالِمِ ، وَذَلِكَ نَصْرُهُ ، وَاعَانَةُ الْمُسْلِمِ ، وَغَضُّ الْبَصْرِ ،
وَرَدُّ السَّلَامِ ، وَكَفِّ الْأَذَى .

٥٣- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ أَنْ مَنْ اسْتَعَاذَنَا بِاللَّهِ عَلَيْنَا أَنْ نُعَيْدَهُ ،
وَأَنْ مَنْ سَأَلَنَا بِاللَّهِ نُعْطِيَهُ ، وَنُكَافِيَهُ مَنْ صَنَعَ إِلَيْنَا مَعْرُوفًا إِنْ اسْتَطَعْنَا ، فَإِنْ
لَمْ نَسْتَطِعْ نَدْعُو لَهُ أَنْ يَجْزِيَهُ اللَّهُ جَزَاءً حَسَنًا ، عَلَى مَا أَسَدَاهُ إِلَيْنَا مِنَ
الْمَعْرُوفِ ، عَمَلًا بِالْحَدِيثِ « مَنْ اسْتَعَاذَكُمْ بِاللَّهِ فَأَعِيدُوهُ » الْحَدِيثُ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الْأَعَزِّ الْأَجَلِّ الْأَكْرَمِ الَّذِي إِذَا
دُعِيَ بِهِ أُجِبْتَ ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ ، وَنَسْأَلُكَ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ أَكْرَمِ
الْوُجُوهِ وَأَعَزِّ الْوُجُوهِ ، يَا مَنْ عَنَتَ لَهُ الْوُجُوهُ وَخَضَعَتْ لَهُ الرِّقَابُ ،

وَحَشَعَتْ لَهُ الْأَصْوَاتُ ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا مَالِكَ الْمَلِكِ يَا مَنْ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَبِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ، وَبِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ، يَا مَنْ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ، نَسَأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ سَيِّئَاتِنَا وَتُبَدِّهَا بِحَسَنَاتٍ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ وَأَجْوَدَ الْأَجْوَدِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَضْلٌ »

٥٤- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ أَنْ تُنْصَفَ مِنْ نَفْسِكَ ، وَأَنْ تُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ ، وَتَضَعَنَّ نَفْسَكَ مَوْضِعَ إِخْوَانِكَ الْمُسْلِمِينَ ، وَتُعَامِلَهُمُ الْمُعَامَلَةَ الَّتِي تُحِبُّ أَنْ يُعَامِلُوكَ بِهَا ، وَتُؤَدِّيَ حُقُوقَهُمْ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَا يَسْتَكْمِلُ الْعَبْدُ الْإِيمَانَ حَتَّى يَكُونَ فِيهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ ، الْإِنْفَاقُ مِنَ الْإِقْتَارِ ، وَالْإِنْصَافُ مِنَ نَفْسِهِ ، وَبِذَلِ السَّلَامِ » وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « طَعَامُ الْأَثْنَيْنِ يَكْفِي الثَّلَاثَةَ » إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ ، وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرَ « وَمَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ ، فَلْيُعِدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ ، فَلْيُعِدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ » فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

٥٥- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ ، وَأَخْلَاقِهِ السَّامِيَةِ ، أَنْ يَصُونَ الْإِنْسَانَ عِرْضَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ ، وَنَفْسَهُ وَمَالَهُ ، مِنْ ظُلْمِ أَصَابِهِ بِقَدْرِ اسْتِطَاعَتِهِ ، وَبِرُدِّ عَنْهُ الظُّلْمَ وَالْعُدْوَانَ ، وَيُدَافِعَ وَيُنَاضِلَ عَنْهُ حَسَبَ قُدْرَتِهِ ، فَرَوَى أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا نَالَ مِنْ رَجُلٍ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

فَرَدَّ عَنْهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ ، كَانَ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ » وَوَرَدَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ « مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ ، رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » رواه الترمذي .

٥٦- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ الْأَمْرُ بِالتَّوَسُّطِ بَيْنَ البُخْلِ وَالِاسْتِرْفَافِ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ ، وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ، فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴾ وَقَالَ ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا ، وَلَمْ يَقْتُرُوا ، وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ بَيْنَ تَبْذِيرٍ وَبُخْلِ رُبَّةٌ وَكِلَا هَآذَيْنِ إِنْ زَادَ قَتَلَ .

٥٧- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ الْحَثُّ عَلَى الصَّبْرِ بِأَنْوَاعِهِ الثَّلَاثَةِ ، الصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ حَتَّى يُؤَدِّيَهَا ، وَالصَّبْرِ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَتْرُكَهَا ، وَالصَّبْرِ عَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ الْمُؤَلِّمَةِ .

٥٨- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ الْعَطْفُ عَلَى الضُّعْفَاءِ ، وَالشَّفَقَةُ عَلَى الْفُقَرَاءِ ، وَالرَّافَةُ بِالْيَتَامَى ، وَالخَدَمِ وَالْعَبِيدِ وَالْإِمَاءِ ، وَالْإِحْسَانُ إِلَيْهِمْ ، وَدَفْعُ الْأَدَى عَنْهُمْ ، وَحَسَنُ مُعَامَلَتِهِمْ ، وَالتَّوَاضُّعُ مَعَهُمْ ، وَمُلَاطَفَتُهُمْ وَخَفْضُ الْجَنَاحِ لَهُمْ ، وَلِيْنِ الْجَانِبِ مَعَهُمْ ، قَالَ تَعَالَى لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وَقَالَ ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ، يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ وَقَالَ ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ وَقَالَ ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ ، فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ، وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴾ وَقَالَ ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعُقْبَةُ ؟ فَكُ رَقَبَةً ، أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ، يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ، أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ وَقَالَ ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ، أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكَّى ﴾ الْآيَةُ .

٥٩- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ الرَّافَةُ وَالرَّحْمَةُ وَالشَّفَقَةُ ، لَا الْقَسْوَةُ

وَالْعِلْظَةُ وَالتَّعْذِيبُ ، حتى في حَقِّ الْحَيَوَانَاتِ الْبَهِيمِيَّةِ ، عن ابن عمر رضي
اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « عُدَّتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ
سَجَّتْهَا حَتَّى مَاتَتْ ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا ، وَلَا هِيَ
تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ » متفق عليه .

وَرَوَى الشَّيْخَانِ وَغَيْرُهُمَا مَرْفُوعاً « أَنَّ رَجُلًا دَنَا مِنْ بَيْتٍ فَنَزَلَ وَشَرِبَ
مِنْهَا ، وَعَلَى الْبَيْتِ كَلْبٌ يَلْهَثُ مِنَ الْعَطَشِ ، فَرَجِمَهُ فَتَزَعَّ أَحَدُ خَفِيهِ فَسَقَاهُ ،
فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ » .

وَرَوَى مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى حِمَارٍ
قَدْ وَسِمَ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ « لَعَنَ اللَّهُ الَّذِي وَسَمَهُ » .

شِعْرًا :

أَنَا الْعَبْدُ الَّذِي كَسَبَ الذُّنُوبَا
وَصَدَّتْهُ الْأَمَانِي أَنْ يَتُوبَا
أَنَا الْعَبْدُ الَّذِي أَضْحَى حَزِينًا
عَلَى زَلَّاتِهِ قَلِقًا كَثِيبًا
أَنَا الْعَبْدُ الَّذِي سَطَرَتْ عَلَيْهِ
صَحَائِفَ لَمْ يَخْفَ فِيهَا الرَّقِيبَا
أَنَا الْعَبْدُ الْمُسِيءُ عَصِيْتُ سِرًّا
فَمَا لِي الْآنَ لَا أَبْدِي النُّجِيبَا
أَنَا الْعَبْدُ الْمُفْرِطُ ضَاعَ عُمْرِي
فَلَمْ أَرْعَ الشُّبُهَاتِ وَالْمَشِيبَا

أَنَا الْعَبْدُ الْفَرِيقُ بِلُجِّ بَحْرِ
أَصِيحُ لَرُبِّمَا أَلْقَى مُجِيبًا

أَنَا الْعَبْدُ السَّقِيمُ مِنَ الْخَطَايَا
وَقَدْ أَقْبَلْتُ التَّمِسَّ الطَّيِّبَا

أَنَا الْعَبْدُ الْمُخَلَّفُ عَنْ أَنَا
حَوُوا مِنْ كُلِّ مَعْرُوفٍ نَصِيبَا

أَنَا الْعَبْدُ الشَّرِيدُ ظَلَمْتُ نَفْسِي
وَقَدْ وَافَيْتُ بِأَبْكُمْ مُنِيبَا

أَنَا الْعَبْدُ الْفَقِيرُ مَدَدْتُ كَفِّي
إِلَيْكُمْ فَادْفَعُوا عَنِّي الْخُطُوبَا

أَنَا الْغَدَارُ كَمْ عَاهَدْتُ عَهْدًا
وَكُنْتُ عَلَى الْوَفَاءِ بِهِ كَذُوبَا

أَنَا الْمَقْطُوعُ فَارْحَمْنِي وَصِلْنِي
وَيَسِّرْ مِنْكَ لِي فَرَجًا قَرِيبَا

أَنَا الْمُضْطَرُّ أَرْجُو مِنْكَ عَفْوًا
وَمَنْ يَرْجُو رِضَاكَ فَلَنْ يَخِيبَا

فَيَا أَسْفِي عَلَى عُمْرٍ تَقْضَى
وَلَمْ أَكْسِبْ بِهِ إِلَّا الذُّنُوبَا

وَأَحْذَرُ أَنْ يُعَاجِلْنِي مَمَاتُ
يُخَيِّرُ هَوْلُ مَضْرَعِهِ اللَّيْبَا

وَيَا حَزَنَاهُ مِنْ حَشْرِي وَنَشْرِي
بِيَوْمٍ يَجْعَلِ الْوَلْدَانَ شَيْبَا
تَفَطَّرَتْ السَّمَاءُ بِهِ وَمَارَتْ
وَأَضْبَحَتْ الْجِبَالَ بِهِ كُثَيْبَا
إِذَا مَا قُمْتُ حَيْرَانًا ظَمِيمًا
حَسِيرَ الطَّرْفِ عُرْيَانًا سَلِيمًا
وَيَا خَجَلَاهُ مِنْ قُبْحِ اكْتِسَابِي
إِذَا مَا أَبَدَتِ الصُّحُفُ الْعُيُوبَا
وَذِلَّةَ مَوْقِفِي وَجِسَاتِ عَدْلِي
أَكُونُ بِهِ عَلَى نَفْسِي حَسِيمًا
وَيَا حَذْرَاهُ مِنْ نَارِ تَلْظِي
إِذَا زَفَرَتْ وَأَقْلَقَتِ الْقُلُوبَا
تَكَادُ إِذَا بَدَتْ تَنْشِقُ غَيْظًا
عَلَى مَنْ كَانَ ظَلَامًا مَرِيبَا
فَيَا مَنْ مَدَّ فِي كَسْبِ الْخَطَايَا
خُطَاهُ أَمَا يَأْنِي لَكَ أَنْ تَتُوبَا
أَلَا فَاقْلِعْ وَتُبْ وَاجْهَدْ فَإِنَّا
رَأَيْنَا كُلَّ مُجْتَهِدٍ مُصِيبَا
وَأَقْبِلْ صَادِقًا فِي الْعَزْمِ وَأَقْصِدْ
جَنَابًا لِلْمُنِيبِ لَهُ رَجِيمَا
وَكُنْ لِلصَّالِحِينَ أَحَاً وَجَلَاً
وَكُنْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا غَرِيمَا

وَكُنْ عَنْ كُلِّ فَاحِشَةٍ جَبَانًا
وَكُنْ فِي الْخَيْرِ مَقْدَامًا نَجِيبًا
وَلَا حِظَّ زِينَةَ الدُّنْيَا بِبُغْضٍ
تَكُنْ عَبْدًا إِلَى الْمَوْلَى حَبِيبًا
فَمَنْ يَخْبُرُ زَخَارِفَهَا يَجِدْهَا
مُخَالِبَةً لِطَالِبِهَا خَلُوبًا
وَعُضَّ عَنِ الْمَحَارِمِ مِنْكَ طَرْفًا
طُمُوحًا يَفْتِنُ الرَّجُلَ الْأَرِيبَا
فَخَائِنَةُ الْعُيُونِ كَأْسِدِ غَابٍ
إِذَا مَا أَهْمَكَ وَثَبْتَ وَثُوبَا
وَمَنْ يَغْضُضُ فُضُولَ الطَّرْفِ عَنْهَا
يَجِدُ فِي قَلْبِهِ رَوْحًا وَطِيبَا
وَلَا تُطَلِّقِ لِسَانَكَ فِي كَلَامٍ
يَجْرُ عَلَيْكَ أَحْقَادًا وَحُوبَا
وَلَا يَبْرَحِ لِسَانُكَ كُلَّ وَقْتٍ
بِذِكْرِ اللَّهِ رِيَانًا رَطِيبَا
وَصَلِّ إِذَا الدُّجَى أَرْخَى سُدُولًا
وَلَا تَضْجُرْ بِهِ وَتَكُنْ هَيُوبَا
تَجِدُ أَنْسَاءً إِذَا أُودِعْتَ قَبْرًا
وَفَارَقْتَ الْمُعَاشِرُ وَالنَّسِيبَا

وَصُمْ مَا تَسْتَطِيعُ تَجِدُهُ رِيًّا
 إِذَا مَا قُمْتَ ظَمَانًا سَغِيْبًا
 وَكُنْ مُتَّصِدًّا سِرًّا وَجَهْرًا
 وَلَا تَبْخُلْ وَكُنْ سَمْحًا وَهُوْبًا
 تَجِدْ مَا قَدَمْتَهُ يَدَاكَ ظِلًّا
 إِذَا مَا اشْتَدَّ بِالنَّاسِ الْكُرُوبًا
 وَكُنْ حَسَنَ السَّجَايَا وَذَا حَيَاءٍ
 طَلِيقَ الْوَجْهِ لِاشْكُسَا غُضُوبًا

اللهم وفقنا توفيقاً يقيناً عن معاصيك ، وأرشدنا برشدك الى السعي
 فيما يرضيك ، وأجرنا يا مولانا من خزيك وعذابك ، وهب لنا ما وهبته
 لأوليايك وأحبابك ، وآتنا في الدنيا حسنةً ، وفي الآخرة حسنةً ، وقنا عذاب
 النار ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، برحمتك يا أرحم
 الراحمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

« فَضْلٌ »

٦٠- ومن محاسن الاسلام مراعاة الحكمة ، وذلك أن نضع كل انسان من
 المؤمنين في منزلته ، ونراعي كرامته وشعوره ، ونجعل له في المكان الذي
 يليق به .

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أنزلوا
 الناس منازلهم » رواه أبو داود ، ورؤي أن عائشة رضي الله عنها كانت
 مسافرةً ، فنزلت منزلاً تستريح فيه ، وتتناول طعامها ، فجاء سائل فقير ،

فَقَالَتْ : نَاولُوا هَذَا الْمِسْكِينَ قُرْصًا ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ يَرْكَبُ فَرَسًا ، فَقَالَتْ : ادْعُوهُ إِلَى الطَّعَامِ . فَقِيلَ لَهَا : لِمَاذَا تُعْطِينَ الْمِسْكِينَ قُرْصًا ، وَتَدْعِينَ هَذَا الْغَنِيَّ إِلَى الطَّعَامِ ، فَأَجَابَتْ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ النَّاسَ مَنَازِلَ ، لَا بُدَّ لَنَا أَنْ نُنزِلَهُمْ تِلْكَ الْمَنَازِلَ ، هَذَا الْمِسْكِينُ يَرْضَى بِقُرْصٍ ، وَقَبِيحٌ بِنَا أَنْ نُعْطِيَ هَذَا الْغَنِيَّ - وَهُوَ عَلَى هَذِهِ الْهَيْئَةِ - قُرْصًا ، فَرَحِمَهَا اللَّهُ مَا أَحْسَنَ هَذَا مِنْ جَوَابٍ رَدٍ ، دَلَّ عَلَى الْحِكْمَةِ ، وَحُسْنِ الدُّوْقِ ، وَتَبَلِّ الْخُلُقِ ، وَكَرَمِ الْمُعَامَلَةِ ، وَالِاقْتِدَاءِ النَّامِ بِإِرْشَادَاتِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَرُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ بَيْتًا مِنْ بُيُوتِهِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ ، حَتَّى امْتَلَأَ الْمَجْلِسُ ، فَجَاءَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ ، فَلَمْ يَجِدْ مَكَانًا ، فَقَعَدَ عَلَى الْبَابِ ، فَلَفَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رِدَاءَهُ ، وَقَدَّمَهُ لَهُ لِيَجْلِسَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ « اجْلِسْ عَلَى هَذَا » فَأَخَذَ جَرِيرُ الرِّدَاءَ ، وَوَضَعَهُ عَلَى وَجْهِهِ ، وَجَعَلَ يُقَبِّلُهُ وَيَبْكِي ، مُتَأَثِّرًا مِنْ إِكْرَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ ، ثُمَّ لَفَّهُ وَرَدَّهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاكِرًا مُقَدِّرًا ، وَقَالَ : مَا كُنْتُ لِأَجْلِسَ عَلَى نَوْبِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكْرَمَكَ اللَّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَمَا أَكْرَمْتَنِي ، فَنَظَرَ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمِينًا وَشِمَالًا ، ثُمَّ قَالَ « إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمٌ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ » .

فَانظُرْ إِلَى هَذِهِ الْمُعَامَلَةِ الْجَمِيلَةِ ، تَجِدُ الْمَثَلَ الْكَامِلَ فِي مُعَامَلَةِ الرَّسُولِ لَهُ ، حَيْثُ رَاعَى شُعُورَ جَرِيرٍ وَأَكْرَمَهُ ، وَكَيْفَ تَأَثَّرَ جَرِيرٌ بِهِذِهِ الْمُعَامَلَةِ الْكَرِيمَةِ النَّبِيلَةِ اللَّطِيفَةِ .

٦١- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ أَنَّهُ أُثْبِتَ لِلزُّوجَاتِ عَلَى الْأَزْوَاجِ حُقُوقًا ، مِثْلَ

الحقوق التي للرجال بالمعروف ، وحسن العشرة ، وترك الإضرار ، وجعل (للرجال عليهن درجة) أي في الفضيلة في الخلق والمنزلة ، وطاعة الأمر ، والانفاق ، وأداء المهر ، والقيام بالمصالح ، والفضل في الدنيا والآخرة .

٦٢- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ أَنَّ الْمَرْأَةَ عِنْدَ بَعْضِ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تُعَدُّ جُزْأً مِنْ ثَرْوَةِ أَبِيهَا أَوْ زَوْجِهَا ، وَكَانَ ابْنُ الرَّجُلِ يَرِثُ أَرْمَلَةَ أَبِيهِ بَعْدَ وَفَاتِهَا ، وَكَانَ الْعَرَبُ قَبْلَ الْإِسْلَامِ يَرِثُونَ النِّسَاءَ كُرْهًا ، بِأَنَّ يَأْتِي الْوَارِثُ وَيَلْقِي ثَوْبَهُ عَلَى زَوْجَةِ أَبِيهِ ، ثُمَّ يَقُولُ وَرِثْتَهَا كَمَا وَرِثْتُ مَالَ أَبِي ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا تَزَوَّجَهَا بِدُونِ مَهْرٍ ، أَوْ زَوْجَهَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ وَتَسَلَّمَ مَهْرَهَا مِمَّنْ يَتَزَوَّجَهَا ، أَوْ حَرَّمَ عَلَيْهَا أَنْ تَتَزَوَّجَ كَيْ يَرِثَهَا ، فَمَنَعَتِ الشَّرِيعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ هَذَا الظُّلْمَ وَهَذَا الْإِرْثَ ، قَالَ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كُرْهًا) وَكَانَ الْعَرَبُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَمْنَعُونَ النِّسَاءَ مِنَ الزَّوْجِ ، فَالابْنُ الْوَارِثُ كَانَ يَمْنَعُ زَوْجَةَ أَبِيهِ مِنَ التَّزْوِجِ ، كَيْ تُعْطِيَهُ مَا أَخَذَتْهُ مِنْ مِيرَاثِ أَبِيهِ ، وَالْأَبُ يَمْنَعُ ابْنَتَهُ مِنَ التَّزْوِجِ حَتَّى تَتْرَكَ لَهُ مَا تَمْلِكُهُ ، وَالرَّجُلُ يُطَلِّقُ زَوْجَتَهُ وَيَمْنَعُهَا مِنَ الزَّوْجِ ، حَتَّى يَأْخُذَ مِنْهَا مَا يَشَاءُ : وَالزَّوْجُ الْمُبْغِضُ لِزَوْجَتِهِ يُسِيءُ عَشْرَتَهَا ، وَيُمَلِّئُهَا ، وَلَا يُطَلِّقُهَا حَتَّى تَرُدَّ إِلَيْهِ مَهْرَهَا ، فَالْعَرَبُ قَبْلَ الْإِسْلَامِ يَظْلِمُونَ الْمَرْأَةَ ، وَيَتَحَكَّمُونَ فِيهَا ، قَالَ تَعَالَى ﴿ وَلَا تَعْضَلُوهُنَّ ، لِيَتَذَهَبْنَ بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ ﴾ وَكَانُوا لَا يَعْدِلُونَ بَيْنَ النِّسَاءِ ، فِي النُّفَقَةِ وَالْكِسْفَةِ وَالْمُعَاشَرَةِ ، فَأَمَرَ الْإِسْلَامُ بِالْعَدَالَةِ بَيْنَهُنَّ ، قَالَ تَعَالَى (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) الْآيَةُ ، وَقَالَ (فَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لَا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً) وَقَالَ ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ ، وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا ، فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ، أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾ وَقَالَ فِي نَاحِيَةِ الدِّينِ ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا

مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، فَلَنُحْيِيَنَّهَ حَيَاةً طَيِّبَةً ، وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ
 مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ وفي نَاحِيَةِ الْأَهْلِيَّةِ وَالْمُلْكِ قَالَ تَعَالَى ﴿ لِلرِّجَالِ
 نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ، وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ
 وَالْأَقْرَبُونَ ﴾ وَقَالَ ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ، وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا
 اكْتَسَبْنَ ﴾ .

وَحَسْبُ الْإِسْلَامِ مَا كَفَلَ لِلْمَرْأَةِ مِنْ مُسَاوَاةٍ دِينِيَّةٍ ، وَمِنْ مُسَاوَاةٍ فِي
 التَّمَلُّكِ وَالْكَسْبِ ، وَمَا حَقَّقَ لَهَا مِنْ ضَمَانَاتٍ فِي الزَّوْجِ ، بِإِذْنِهَا وَرِضَاهَا
 دُونَ إِكْرَاهٍ وَلَا إِهْمَالٍ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَا تُنْكَحُ الشَّيْبُ حَتَّى
 تُسْتَأْمَرَ ، وَلَا تُنْكَحُ الْبِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ ، وَإِذْنُهَا الصُّمُوتُ » وَفِي مَهْرِهَا قَالَ
 ﴿ فَاتَوْهَنَّ أَجُورَهِنَّ فَرِيضَةً ﴾ .

٦٣- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ أَنَّ الْعَرَبَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ يَتَدُونُ الْبَنَاتِ ،
 وَيَذْفُونَهُنَّ وَهُنَّ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ ، خَوْفًا مِنَ الْعَارِ ، يُهْلُ عَلَى ابْنَتِهِ التُّرَابَ
 حَتَّى تَمُوتَ ، فَجَاءَ الْإِسْلَامُ وَحَرَّمَ وَأَذْهَنَ وَقَتْلَهُنَّ ، تَحْرِيمًا قَاطِعًا ، وَمَنْحَهُنَّ
 الْحَقَّ فِي الْحَيَاةِ ، وَبِهَذَا أَنْصَفَ الْإِسْلَامُ الْمَرْأَةَ كُلَّ الْأَنْصَافِ ، وَحَافَظَ عَلَى
 حَيَاتِهَا وَحُقُوقِهَا الْإِنْسَانِيَّةِ .

اللهم أعذنا من الهمِّ والحزنِ والعجزِ والكسلِ والجبنِ والبخلِ وغلبة
 الدينِ وقهرِ الرجالِ وشماتَةِ الأعداءِ واغفر لنا ولوالدينا وجميعِ المسلمين
 اللهمَّ أحيِ قلوبنا ونورها بنورِ الأيمانِ وزيِّنْها بمحبَّتِكَ وجملِ ألسنتنا
 بِذِكْرِكَ وشكْرِكَ وحسِّنْ أعمالنا ووفِّقنا لحفظِ أوقَاتِنَا وأحيينا حياةً طَيِّبَةً وتوفِّقنا
 مُسْلِمِينَ وَأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَصَلِّ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
فصل ٦٤- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ ابْطَالُ الْكِهَانَةِ وَتَحْرِيمُهَا ، وَتَحْرِيمُ زَجْرِ الطَّيْرِ ،

وَتَحْرِيمُ الْمَيْسِرِ ، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الْقِمَارِ ، وَمِنْهَا الْأَزْلَامُ وَالْبَحِيرَةُ وَالسَّائِبَةُ
وَالْوَصِيلَةُ وَالْحَامِي .

٦٥- وَمِنْهَا رَمِي الْبَعْرَةَ ، كَانَتِ الْمَرْأَةُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا مَاتَ زَوْجُهَا دَخَلَتْ
حُشِيئًا ، وَلَبَسَتْ شَرَّ ثِيَابِهَا ، وَلَمْ تَمَسَّ طَيِّبًا ، حَتَّى تَمُضِيَ عَلَيْهَا سَنَةٌ ، ثُمَّ
تُؤْتَى بِدَابَّةٍ ، حِمَارٍ أَوْ طَيْرٍ أَوْ شَاةٍ فَتَفْتَضُّ بِهِ ، فَقَلَمًا تَفْتَضُّ بِشَيْءٍ إِلَّا مَاتَ ،
ثُمَّ تَخْرُجُ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَتُعْطَى بَعْرَةً ، فَتَرْمِي بِهَا ، ثُمَّ تَرَاجِعُ مَا شَاءَتْ .

٦٦- وَمِنْهَا قَتْلُ الْأَوْلَادِ خَشِيَةَ الْفَقْرِ ، فَكَانَ الرَّجُلُ يَقْتُلُ وَلَدَهُ خَشِيَةَ أَنْ يَطْعَمَ
مَعَهُ إِلَى أَنْ نَهَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ ، نَحْنُ
نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ، إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾ .

٦٧- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ أَنَّهُ حَوَّلَ الْوَثْنِيَّينَ وَالْمُشْرِكِيَّينَ وَالْكَفَّارَ
إِلَى مُؤْمِنِيْنَ صَالِحِيْنَ ، أَتَقِيَاءَ زُهَادًا وَرِعِيْنَ ، يَخَافُونَ اللَّهَ ، وَيَعْبُدُونَهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَيَقْفُونَ بِجَانِبِ الْحَقِّ ، لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ ،
﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ .

٦٨- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ تَحْرِيمُ الْغَدْرِ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ وَقَوْلُ تَعَالَى ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ، إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئَلًا ﴾ ؟
وَوَرَدَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ « لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يُقَالُ :
هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ » وَقَالَ « أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا » وَعَدَّ مِنْهَا « وَإِذَا
عَاهَدَ غَدَرَ » وَقَالَ « يَقُولُ اللَّهُ ثَلَاثَةَ أَنَا خَصَمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، رَجُلٌ أُعْطِيَ بِي
ثُمَّ غَدَرَ » الْحَدِيثُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

٦٩- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ الْحَثُّ عَلَى الْعَمَلِ ، وَكَسْبِ الرِّزْقِ ،
وَتَرْكُ الْكَسَلِ ، وَسُؤَالِ النَّاسِ إِلَّا عِنْدَ الضَّرُورَةِ ، فَالْإِسْلَامُ دِينُ سَعْيٍ

وَعَمَلٍ وَاجْتِهَادٍ ، لَا دِينَ كَسَلَ وَعَجَزَ وَتَوَانٍ ، دِينَ يُحَافِظُ عَلَى الْعِزَّةِ
الْأُنْسَانِيَّةِ ، وَالكَرَامَةِ الشَّخْصِيَّةِ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ
عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ﴾ وَقَالَ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ، وَأَنْ سَعْيَهُ سَوْفَ
يُرَى ﴿ وَيَحْتُ عَلَى الْجَمْعِ بَيْنَ الْعَمَلِ لِلدُّنْيَا وَالْدُّنْيَا ، فَيَقُولُ جَلٌّ وَعَلَا
﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ، وَلَا تَنْسَ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ وَيَقُولُ
﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ .

٧٠- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ الْقَصْدُ فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، قَالَ اللَّهُ جَلٌّ
وَعَلَا ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ، إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ وَعَنْ الْمُقَدَّادِ بْنِ
مَعْدِيِّ كَرِبٌ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وَعَاءً
شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٍ يُقْمَنُ صَلْبَهُ ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَأَعْلًا
فَثَلْتُ لَطْعَامِهِ ، وَثَلْتُ لِشَرَابِهِ ، وَثَلْتُ لِنَفْسِهِ » أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ .

٧١- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ النَّهْيُ عَنِ الْمُمَاطَلَةِ فِي الْحُقُوقِ ، قَالَ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ ، وَإِذَا اتَّبَعَ أَحَدُكُمْ عَلَى مَلِيٍّ فَلْيَتَّبِعْ » رَوَاهُ
الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

٧٢- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ الْأَمْرُ بِالنَّظَرِ الْمُعْبِرِ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ وَإِنْ
كَانَ ذُو عُسْرَةٍ ، فَنظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنْ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا ،
قَالَ لِفِتْيَانِهِ : تَجَاوَزُوا عَنْهُ ، لَعَلَّ اللَّهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا ، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ » رَوَاهُ
الْبُخَارِيُّ ، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلُهُ
صَدَقَةٌ » .

٧٣- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ النَّهْيُ عَنِ الرَّشْوَةِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ

عنه ، قال قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَعَنَ اللهُ الرَّاشِيَّ وَالْمُرْتَشِيَّ فِي الْحُكْمِ » رواه الترمذي ، وَوَرَدَ « لَعَنَ اللهُ الرَّاشِيَّ وَالْمُرْتَشِيَّ ، وَالرَّائِشُ الَّذِي يَمْشِي بَيْنَهُمَا » .

٧٤- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ الْحُثُّ عَلَى إِقَالَةِ النَّادِمِ ، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْإِحْسَانِ ، وَالْمَعْرُوفِ وَجَبْرِ خَاطِرِهِ ، فِي الْحَدِيثِ « مَنْ أَقَالَ مُسْلِمًا أَقَالَ اللهُ عَثْرَتَهُ » فِي رِوَايَةٍ « مَنْ أَقَالَ نَادِمًا ، أَقَالَ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وَصَلَّى اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَنَجَّنا مِنْ جَمِيعِ الْأَهْوَالِ ، وَأَمَّا مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الرَّجْفِ وَالزَّلْزَالِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا ، وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

٧٥- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ بَدَلُ النَّصِيحَةِ لِلَّهِ ، وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ ، وَاللَّائِمَةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَعَامَتِهِمْ فَالنَّصِيحَةُ لِلَّهِ الْإِيمَانُ بِهِ ، وَنَفْيُ الشُّرَيْكِ عَنْهُ ، وَتَرْكُ الْأَلْحَادِ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ ، وَوَضْفُهُ بِأَوْصَافِ الْكَمَالِ ، وَتَنْزِيهُهُ عَنِ النَّقَائِصِ وَالْعُيُوبِ ، وَطَاعَةُ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابُ نَهْيِهِ ، وَمُؤَالَاةُ مَنْ أَطَاعَهُ ، وَمُعَادَاةُ مَنْ عَصَاهُ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا يَجِبُ لَهُ ، وَأَمَّا النَّصِيحَةُ لِكِتَابِ اللهِ ، فَالْإِيمَانُ بِهِ بِأَنَّهُ كَلَامُ اللهِ ، مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ ، وَتَحْلِيلُ مَا حَلَّلَهُ ، وَتَحْرِيمُ مَا حَرَّمَهُ ، وَالْإِهْتِدَاءُ بِهَدْيِهِ وَالتَّدْبِيرُ لِمَعَانِيهِ ، وَالْقِيَامُ بِحُقُوقِهِ ، وَالْإِتْعَاطُ بِمَوَاعِظِهِ ، وَالْإِعْتِبَارُ بِزَوَاجِرِهِ ، وَأَمَّا النَّصِيحَةُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَتَصَدِيقُهُ فِيمَا جَاءَ بِهِ ، وَمَحَبَّتُهُ ، وَتَقْدِيمُهُ فِيهَا عَلَى النَّفْسِ وَالْمَالِ وَالْوَالِدِ ، وَتَوْقِيرُهُ حَيًّا وَمَيِّتًا ، وَمَعْرِفَةُ سُنَّتِهِ ، وَنَشْرُهَا ، وَالْعَمَلُ بِهَا ، وَتَقْدِيمُ قَوْلِهِ عَلَى قَوْلِ كُلِّ أَحَدٍ كَائِنًا مَا كَانَ ، وَأَمَّا النَّصِيحَةُ لِلَّائِمَةِ الْمُسْلِمِينَ ، فَهِيَ إِعَانَتُهُمْ عَلَى الْحَقِّ وَطَاعَتُهُمْ فِيهِ ، وَأَمْرُهُمْ بِهِ ، وَتَذَكِيرُهُمْ بِحَوَائِجِ الْعِبَادِ وَنُصْحُهُمْ بِرِفْقٍ وَلِينٍ وَعَدْلٍ وَاعْتِقَادُ وَلَايَتِهِمْ وَالسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لَهُمْ فِي غَيْرِ

مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، وَحَثُّ النَّاسِ عَلَى ذَلِكَ ، وَبَذْلُ مَا تَسْتَطِيعُهُ مِنْ إِرْشَادِهِمْ ، وَتَنْبِيهِهُمْ إِلَى مَا يَنْفَعُهُمْ ، وَيَنْفَعُ النَّاسَ وَالْقِيَامُ بِوَاجِبِهِمْ ، وَأَمَا النَّصِيحَةُ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ ، فَهِيَ إِرْشَادُهُمْ إِلَى مَصَالِحِهِمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَأُخْرَاهُمْ ، وَكَفُّ الْأَذَى عَنْهُمْ ، وَتَعْلِيمُهُمْ مَا جَهِلُوا مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ ، وَأَمْرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ، وَنَهْيُهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَنْ يُحِبَّ لَهُمْ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ، وَيَكْرَهُ لَهُمْ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ ، وَيَسْعَى فِي ذَلِكَ حَسَبَ الْإِمْكَانِ .

٧٦- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ النَّهْيُ عَنِ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ، وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « الرَّحِمُ مُتَعَلِّقَةٌ بِالْعَرْشِ ، تَقُولُ : مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ، وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُوْفِيٍّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « إِنْ الْمَلَائِكَةُ لَا تَنْزِلُ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ قَاطِعٌ رَحِمٍ » .

٧٧- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ النَّهْيُ عَنِ التَّشَدُّدِ فِي الدِّينِ ، وَعَنِ الزُّهْدِ فِي الطَّيِّبَاتِ ، لِأَنَّ الْإِسْلَامَ دِينُ الْيُسْرِ وَالسُّهُولَةِ وَالْإِعْتِدَالِ ، فَعَنِ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بَيْتِ نَبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَهُمْ تَقَالُوهَا ، فَقَالُوا : وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ فَقَالَ أَحَدُهُمْ : أَمَا أَنَا فَأَصْلِي اللَّيْلَ أَبَدًا ، وَقَالَ الْآخَرُ : أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ . وَقَالَ الْآخَرُ : وَأَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ ، فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا ، فَجَاءَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ « أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا ؟ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لِأَخْشَاكُمُ لِلَّهِ ، وَأَتْقَاكُمُ لَهُ ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأَفْطِرُ ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي » رَوَاهُ الشَّيْخَانُ .

قصيدة في غربة الاسلام

أَقُولُ وَأُوَلِّى مَا يُرَى فِي الدَّفَائِرِ
وَأَحْسَنُ فَيْضاً مِنْ عُيُونِ الْمَحَابِرِ
هُوَ الْحَمْدُ لِلْمَعْبُودِ وَالشُّكْرُ وَالشَّاءُ
تَقَدَّسَ عَنْ قَوْلِ الْغَوَاةِ الْغَوَادِرِ
وَجَلَّ عَنِ الْأَنْدَادِ لَا رَبَّ غَيْرُهُ
وَعَنْ شَافِعٍ فِي الْإِبْتِدَاءِ أَوْ مُوَازِرِ
وَصَلَّى عَلَيَّ مَنْ قَامَ لِلَّهِ دَاعِياً
وَشَيَّدَ أَعْلَامَ الْهُدَى وَالشَّعَائِرِ
وَأَوْضَحَ دِينَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا سَفَتْ
عَلَيْهِ السُّوْفِي فِي الْقَرَى وَالْجَزَائِرِ
وَعَادَا وَوَالَى فِي رِضَى اللَّهِ قَوْمَهُ
وَلَمْ يَثْنِهِ عَنِ ذَاكَ صَوْلَةٌ قَاهِرِ
مُحَمَّدُ الْمَبْعُوثُ لِلنَّاسِ رَحْمَةً
نَذَارَتُهُ مَقْرُونَةٌ بِالْبَشَائِرِ
وَبَعْدُ فَإِنْ تَعَجَّبَ لِخَطْبٍ تَبَلَّبَتْ
لِفَادِحِهِ أَهْلُ النُّهَى وَالْبَصَائِرِ
فَلَا عَجَباً يَوْمٌ مِنَ الدَّهْرِ مِثْلَ مَا
أَنَاخَ بِنَا مِنْ كُلِّ بَادٍ وَحَاضِرِ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا غُرْبَةُ الدِّينِ يَا لَهَا
مُصِيبَةُ قَوْمٍ مِنْ عِظَامِ الْفَوَاقِرِ

تَرَى أَهْلَهُ مُسْتَضْعَفِينَ أَدْلَةً
فَمَا بَيْنَ طَعَانٍ عَلَيْهِمْ وَنَافِرٍ
وَمُسْتَهْزِءٍ مِنْهُمْ فَيُنْغِضُ رَأْسَهُ
وَيَرْمُونَهُمْ شَرَزَ الْعُيُونِ النَّوَاصِرِ
وَعَادَاهُمْ مَنْ يَدَّعِي الْعِلْمَ وَالْحِجَى
وَكُلُّ خَلِيلٍ أَوْ قَرِيبٍ مُصَاهِرٍ
فَمَا شِئْتَ مِنْ شَتْمٍ وَقَذْفٍ وَغَيْبَةٍ
وَتَنْقِيصُهِمْ فِي كُلِّ نَادٍ لِفَاجِرٍ
وَأَكْبَرُ مِنْ هَذَا وَأَعْظَمُ فِرْيَةٍ
مُؤَلَاةُ أَهْلِ الشَّرْكَ مِنْ كُلِّ كَافِرٍ
وَأَعْيُنُهُمْ فِي فِعْلِ ذَلِكَ قَرِيرَةٌ
فَمِنْ صَامِتٍ فِي فِعْلِهِ أَوْ مُجَاهِرٍ
وَمَنْ قَامَ بِالْإِنْكَارِ فَهُوَ مُشَدَّدٌ
يَكَادُونَ أَنْ يُبَدُوهُ فَوْقَ الْمَنَابِرِ
فَإِنْ يَحْكُمُوا بِالسُّوْطِ ضَرْبًا فَإِنْ يَكُنْ
رُجُوعٌ وَإِلَّا بِالضُّبَا وَالْخَنَاجِرِ
وَأَضْبَحَ ذُو الْإِيمَانِ فِيهِمْ كَقَابِضٍ
عَلَى الْجَمْرِ أَوْ فِي الْجَنْبِ صَلِي الْمَجَامِرِ
وَإِخْوَانُهُ النَّزَّاعُ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ
لَدَى أَهْلِهَا فِي ذَلِيهِمْ كَالْأَصَاغِرِ

وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا ثَبَاتًا مَعَ الرَّضَى
 بِقَلْبٍ سَلِيمٍ لِّلْمُهَيْمِينَ شَاكِرٍ
 فَأَكْرَمَ بِهِمْ مِنْ عُضْبَةِ الْحَقِّ إِنَّهُمْ
 لِحَفِظِ نُصُوصِ الدِّينِ أَهْلٌ تَنَاصَرِ
 إِذَا مَا بَدَا نَصَّ الْكِتَابِ وَسُنَّةِ
 تَنَادَوْا عِبَادَ اللَّهِ هَلْ مِنْ مُثَابِرِ
 وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ فَاهْتَدَوْا
 وَمَا رَغِبُوا عَنْهَا لِخَرَصِ الْخَوَاطِرِ
 عَلَيْكَ بِهَا تَيْكَ الصِّفَاتِ مُنَافِسًا
 فَلِلَّهِ مَا أَسْنَا سَنَاهَا لِسَائِرِ
 هُمْ الْقَوْمُ لَا يَثْنِيهِمْ عَنْ مُرَادِهِمْ
 مَلَامَةٌ لُّؤَامٍ وَخُذْلَانُ نَاصِرِ
 بِنَفْسِي فَتَى مَا زَالَ يَدَابُّ دَائِمًا
 إِلَى رَبِّهِ أَكْرَمَ بِهِ مِنْ مُهَاجِرِ
 مُكَبًّا عَلَى أَيِّ الْكِتَابِ وَدَرَسِهِ
 بِقَلْبِ حَزِينٍ عِنْدَ تِلْكَ الزَّوَاجِرِ
 فَيَا لَيْتَنِي أَلْقَاهُ يَوْمًا لَعَلَّهُ
 يُخَبِّرُنِي عَمَّا حَوَى فِي الضَّمَائِرِ
 وَنَرْفَعُ أَيْدِينَا إِلَى اللَّهِ بِالدُّعَا
 لِيُنْصَرَ دِينِ الْمُصْطَفَى ذِي الْمَفَاجِرِ

وَيَنْصُرَ أَحْزَابَ الشَّرِيعَةِ وَالْهُدَى
 وَيَقْمَعَ أَهْلَ الزَّيْغِ مِنْ كُلِّ فَاجِرٍ
 فَأَهْ عَلَى تَفْرِيقِ شَمْلِ فَهَلْ لِمَا
 مَضَى عَوْدَةٌ نَحْوَ السِّنِينَ الْغَوَابِرِ
 عَسَى نَصْرَةٌ لِلدِّينِ تَجْمَعُ شَمْلَنَا
 تَقْرُ بِهَا مِمَّا تَرَى عَيْنُ نَاطِرٍ
 فَيَرْتَاحُ أَهْلُ الدِّينِ فِيهَا أَعِزَّةٌ
 وَأَعْدَاؤُهُ تَحْتَ الْقَنَا وَالْحَوَابِرِ
 وَأَخْتُمْ نَظْمِي بِالصَّلَاةِ مُسَلِّمًا مَدَى الدَّهْرِ مَا نَاضَتْ بُرُوقُ الْمُوَاطِرِ
 عَلَى أَحْمَدٍ وَالْآلِ وَالصَّحْبِ وَالذِّي
 لَهُمْ تَابِعٌ يَسْعَى بِفِعْلِ الْأَمْرِ

اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا إلى النار مصيرنا ولا
 تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك فينا ولا يرحمنا واغفر لنا ولوالدينا ولجميع
 اللهم ثبت محبتك في قلوبنا وقوتها ووقفنا لشكرك وذكرك وارزقنا التأهب
 والاستعداد للقائك واجعل ختام صحائفنا كلمة التوحيد واغفر لنا ولوالدينا ولجميع
 المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فَصْلٌ)

٧٨- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ التَّرغِيبُ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى الْخَيْرِ ، وَالْأَمْرُ
 بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى ، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ
 مَنْ أَتَبَعَهُ ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا ، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ
 مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ أَتَبَعَهُ ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا » رَوَاهُ مُسْلِمٌ
 وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ .

٧٩- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ حَثُّ الْمَرْءِ عَلَى انْتِهَازِ فُرْصَةِ الْحَيَاةِ ، لِعَمَلِ مَا يَنْفَعُهُ فِي الْآخِرَةِ ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ ، صَدَقَةٌ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ » رواه مسلم . وقال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ .

٨٠- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ الْحَثُّ عَلَى وُجُوبِ الْاعْتِمَادِ عَلَى اللَّهِ ، ثُمَّ عَلَى إِيمَانِهِ وَعَمَلِهِ الصَّالِحِ ، لَا عَلَى مَالِهِ مِنْ صِلَةٍ بِالْمُقَرَّبِينَ إِلَى اللَّهِ ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ فَقَالَ « يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا . وَيَا صَفِيَّةُ عَمَةُ رَسُولِ اللَّهِ ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ، سَلِّينِي مِنْ مَالِي ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا » ، رواه الشيخان والترمذي .

٨١- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ الْأَمْرُ بِتَعَهُدِ النَّفْسِ بِالْإِصْلَاحِ فَيَلْزُمُهَا بِإِذَا مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ، وَاجْتِنَابِ مَا نَهَى عَنْهُ ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ . وَالآيَاتُ فِي الْحَثِّ عَلَى التَّقْوَى كَثِيرَةٌ .

٨٢- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ أَنَّهُ يَجْعَلُ الْإِنْسَانَ عَلَى صِلَةٍ دَائِمَةٍ بِرَبِّهِ ، حِينَ تَفِدُ عَلَيْهِ النِّعْمَةُ ، وَحِينَ تَنْزِلُ بِهِ الشِّدَّةُ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلُّهُ خَيْرٌ ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ » رواه مسلم .

بِعَرَا : أَيَا ابْنَ آدَمَ لَا تُعْرُزْكَ عَافِيَةٌ عَلَيْكَ شَامِلَةٌ فَالْعُمْرُ مَعْدُودٌ مَا أَنْتَ إِلَّا كَزُرْعٍ عِنْدَ حُضْرَتِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ مَقْصُودٌ فَإِنْ سَلِمْتَ مِنَ الْآفَاتِ أَجْمَعِهَا فَأَنْتَ عِنْدَ كَمَالِ الْأَمْرِ مَحْصُودٌ

٨٣- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ أَنَّهُ يُحَثُّ الْخَلْقَ ، وَيُوجِّهُهُمْ إِلَى إِصْلَاحِ
 أَنْفُسِهِمْ وَمُجْتَمَعِهِمْ ، وَيُرْشِدُهُمْ ، وَيُبَيِّنُ لَهُمْ كَيْفَ يُحَرِّزُونَ عُقُولَهُمْ ،
 وَيَسْمُونَ بِهَا عَنْ مَهَاوِي الضَّلَالِ ، إِلَى أَنْ يَخُصُوا اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا بِالْعِبَادَةِ ،
 وَيُوضِحُ لَهُمْ كَيْفَ يَصْقُلُونَ نَفْسَهُمْ ، وَيُغْدُونَ أَرْوَاحَهُمْ ، بِالصَّلَاةِ كُلِّ يَوْمٍ
 خَمْسَ مَرَّاتٍ ، وَيُوضِحُ لَهُمْ كَيْفَ يَطْهَرُونَ أَمْوَالَهُمْ ، بِإِدَاءِ حَقِّ اللَّهِ ، وَكَيْفَ
 يَبْنُونَ الْأُسْرَةَ الْمُسْلِمَةَ ، الَّتِي هِيَ نَوَاةُ الْمُجْتَمَعِ ، عَلَى أُسُسِ سَلِيمَةٍ قَوِيَّةٍ ،
 وَذَلِكَ بِتَوَاصُلِهِمْ ، وَمَعْرِفَتِهِمْ لِحَقِّ قَرَابَتِهِمْ ، وَالآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ تَدُلُّ عَلَى
 ذَلِكَ ، فَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي
 بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ ، فَقَالَ الْقَوْمُ : مَا لَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَرَبَ مَا لَهُ تَعْبُدُ اللَّهَ ، لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِي
 الزَّكَاةَ ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ » الْحَدِيثُ رَوَاهُ الشَّيْخَانُ .

٨٤- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ تَحْرِيمُ الْخُصُومَةِ بِالْبَاطِلِ لِمَنْ يَعْلَمُ ،
 وَتَحْرِيمُ الشَّفَاعَةِ الَّتِي تُعْطَلُ إِقَامَةُ الْحُدُودِ الَّتِي شَرَعَهَا اللَّهُ ، وَتَحْرِيمُ الْقَوْلِ
 عَلَى الْمُؤْمِنِ بِمَا لَيْسَ فِيهِ ، فَمِنَ الْغَايَاتِ الَّتِي حَرَصَ الْإِسْلَامُ عَلَى تَحْقِيقِهَا
 أَنْ يُقِيمَ الْمُجْتَمَعُ الْإِنْسَانِي عَلَى أُسُسِ قَوِيَّةٍ ، مِنْ الْعَدَالَةِ وَالتَّرَاحُمِ ، وَأَنْ
 تَسُودَ أَعْضَاءُهُ رُوحَ الْمَوَدَّةِ ، وَالتَّعَاوُنِ الْمُثْمَرِ ، وَيَسْلَمَ مِنْ عَوَامِلِ الضَّعْفِ ،
 فَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 يَقُولُ « مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدِّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ ، فَقَدْ ضَادَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ،
 وَمَنْ خَاصَمَ فِي الْبَاطِلِ وَهُوَ يَعْلَمُ ، لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَنْتَزِعَ ، وَمَنْ
 قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ ، أَسْكَنَهُ اللَّهُ رَدْغَةَ الْخَبَالِ ، حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ »
 أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ أَبُو دَاوُدَ .

اللهم يا عالم الخفيات ، ويارافع الدرجات ، يا غافر الذنب وقابل
 التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا أنت إليك المصير .

نسألك أن تذيقنا برد عفوك ، وحلاوة رحمتك ، يا أرحم الراحمين ،
وأرأف الرائفين وأكرم الأكرمين .
اللهم طيِّبْنَا لِلْقَائِكَ ، وَأَهْلُنَا لِوَلَائِكَ وَأَدْخِلْنَا مَعَ الْمَرْحُومِينَ مِنْ أَوْلِيَائِكَ ،
وَتُوفِّقْنَا مُسْلِمِينَ وَحَقْنَا بِالصَّالِحِينَ

« فَضْلٌ »

٨٥- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ تَحْرِيمُ شَهَادَةِ الزُّورِ ، وَقَوْلِ الزُّورِ ، لِمَا
فِي ذَلِكَ مِنَ الْأَضْرَارِ وَالْمَفَاسِدِ ، الَّتِي مِنْهَا يَبْعُهُ آخِرَتُهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ ، وَمِنْهَا
إِسَاءَتُهُ إِلَى مَنْ شَهِدَ لَهُ ، بِإِعَانَتِهِ عَلَى ظُلْمِهِ ، وَمِنْهَا إِسَاءَتُهُ إِلَى مَنْ شَهِدَ
عَلَيْهِ ، بِإِضَاعَةِ حَقِّهِ ، وَمِنْهَا إِسَاءَتُهُ إِلَى الْقَاضِيِ ، بِإِضْلَالِهِ عَنِ الْمَحَجَّةِ ،
وَمِنْهَا إِسَاءَتُهُ إِلَى الْأُمَّةِ ، بِزَلْزَلَةِ الْحُقُوقِ فِيهَا ، وَعَدَمِ الْأَطْمِئْنَانِ عَلَيْهَا .

٨٦- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ ابْتِطَالُ مَا عَلَيْهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَحْرِيمُهُ ،
وَهُمَا الطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ ، لِمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ ،
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ
« ائْتِنَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ ، الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى
الْمَيِّتِ » .

٨٧- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ النَّهْيُ عَنِ لَطْمِ الْخُدُودِ ، وَشَقِّ
الْجُيُوبِ فِي الْمُصِيبَاتِ ، وَفِي الصَّحِيحِينَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،
قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ ، وَشَقَّ
الْجُيُوبَ ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ » .

٨٨- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ النَّهْيُ عَنِ الْإِسْتِيلَاءِ عَلَى الْمَاءِ الَّذِي لَا
يَخْتَصُّ بِأَحَدٍ ، وَمَنْعُهُ ابْنَ السَّبِيلِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا يَنْظُرُ
إِلَيْهِمْ ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ، رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِفَلَاةٍ ، يَمْنَعُهُ
ابْنَ السَّبِيلِ » متفق عليه ، وَفِي رِوَايَةٍ وَقَالَ فِيهِ « وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ ،

فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ : الْيَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي ، كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ .

اللَّهُمَّ نُورَ قُلُوبِنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ اللَّهُمَّ اجْعَلِ الْإِيمَانَ هَادِمًا لِلْسَيِّئَاتِ ، كَمَا جَعَلْتَ الْكُفْرَ عَادِمًا لِلْحَسَنَاتِ وَوَقِّفْنَا لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ تَوَكَّلَ عَلَيْكَ فَكَفَيْتَهُ ، وَاسْتَهْدَاكَ فَهَدَيْتَهُ وَدَعَاكَ فَاجَبْتَهُ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

فَصَلِّ « ٨٩- ومن محاسن الدين الاسلامي انه يُحَرِّمُ الاعتداء ، أو النيل من النفس أو المال أو العرض أو العقل ، وَكُلُّ جَرِيمَةٍ مِنْ جَرَائِمِ الاعتداء عَلَيْهَا عُقُوبَةٌ ، مِنْ قِصَاصٍ أَوْحِدٍ ، وَالْأَخْلَاقُ الْإِسْلَامِيَّةُ مِنَ الصَّدْقِ وَالْأَمَانَةِ وَالْوَفَاءِ وَالْعِفَّةِ وَغَيْرِهَا ، لَيْسَتْ أُمُورًا كِمَالِيَّةً فِي نَظَرِ الْإِسْلَامِ ، كَمَا يَتَوَهَّمُهُ بَعْضُ النَّاسِ ، بَلْ هِيَ وَاجِبَاتٌ ، يَحْرِصُ عَلَيْهَا ، وَمُعْرَضٌ كُلُّ مَنْ يَخْرُجُ عَنْ دَائِرَتِهَا ، بِأَنَّهُ سَيُقْتَصُّ مِنْهُ فِي الْآخِرَةِ إِنْ لَمْ يَتُبْ وَيَتَدَارَكَ ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « أَتَدْرُونَ مَنْ الْمُفْلِسُ » قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ . فَقَالَ « إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فِينَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ ، أَخِذْ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطَرَحَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ طَرِحَ فِي النَّارِ » رواه مسلم .

٩٠- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ أَنَّهُ يُرْشِدُ مُعْتَبِقَهُ إِلَى أَنْ صَلَاحَ حَيَاتِهِ يَتَطَلَّبُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ عَفَاً فِي كَلَامِهِ ، فَلَا يَغْتَابُ ، وَلَا يَنْمُ ، وَلَا يَسُبُّ ، وَلَا يَقْذِفُ مُسْلِمًا ، وَلَا يَلْعَنُهُ ، وَلَا يَسْتَهْزِئُ بِهِ ، وَلَا يَفْتَرِي ، وَلَا يَكْذِبُ ، عَنْ

أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ » وقال « إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ » .

٩١- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ أَنَّهُ يَحْتُ الْمُؤْمِنَ عَلَى أَذَاءِ وَاجِبِهِ ، وَأَنْ لَا يُدْخِرَ جُهْدًا فِي تَوْجِيهِ أَهْلِهِ وَإِخْوَانِهِ ، وَأَقْرِبَائِهِ وَجِيرَانِهِ ، وَكُلِّ مَنْ تَرْتُبُهُمْ بِهِ صِلَةٌ وَثِيقَةٌ إِلَى الْخَيْرِ ، وَوَسِيلَتُهُ إِلَى هَذَا التَّوَجِيهِ هِيَ التَّوَاصِي بِالْحَقِّ ، وَالتَّوَاصِي بِالصَّبْرِ ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ .

٩٢- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ الْأَمْرُ بِالْحَيَاءِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ كُلِّ فَضِيلَةٍ ، وَعَصْمَةٌ مِنْ كُلِّ شَرٍّ ، لِمَنْ وَقَفَهُ اللَّهُ ، وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ » قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إنا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ . قَالَ « لَيْسَ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ اسْتَحْيَاءُ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى ، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى ، وَتَتَذَكَّرَ الْمَوْتَ وَالْبَلَى ، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا » رواه الترمذي وأحمد والحاكم بسند صحيح .

٩٣- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ النَّهْيُ عَنِ اتِّخَاذِ شَيْءٍ فِيهِ رُوحٌ غَرَضًا يُرْمَى إِلَيْهِ ، لِمَا فِي الصَّحِيحِينَ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ مَرَّ بِفِتْيَانٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، قَدْ نَصَبُوا طَيْرًا وَهُمْ يَرْمُونَهُ ، فَلَمَّا رَأَوْا ابْنَ عُمَرَ تَفَرَّقُوا ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : مَنْ فَعَلَ هَذَا ؟ لَعَنَ اللَّهُ مَنْ فَعَلَ هَذَا ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَنَ مَنْ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا .

٩٤- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ النَّهْيُ عَنِ بَيْعِ الْحُرِّ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصَمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أُعْطِيَ بَنِي ثُمَّ

عَدَرَ ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا ثُمَّ أَكَلَ ثَمَنَهُ ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا ، فَاسْتَوْفَى مِنْهُ الْعَمَلَ ، وَلَمْ يُؤْفِهِ أَجْرَهُ .

٩٥- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ عَلَى مَنْ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا ، وَاسْتَوْفَى مِنْهُ الْعَمَلَ ، وَلَمْ يُؤْفِهِ أَجْرَهُ ، لِلْحَدِيثِ الْمَتَّقِمِ .

٩٦- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ تَحْرِيمُ السُّحْرِ ، وَتَحْرِيمُ تَصْدِيقِ الْكَاهِنِ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تَطَيَّرَ لَهُ ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تَكَهَّنَ لَهُ ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ ، وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » .

٩٧- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ تَحْرِيمُ الْقِيَادَةِ وَالْعِيَادَةِ بِاللَّهِ ، وَهِيَ الْجَمْعُ بَيْنَ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ أجنبيَّةٍ ، سِوَاءَ مَا كَانَ الْجَامِعُ رَجُلًا أَوْ امْرَأَةً .

٩٨- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ تَحْرِيمُ السَّعَايَةِ عِنْدَ السُّلْطَانِ بِمَضْرَرَةٍ مُسْلِمٍ .

٩٩- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ تَحْرِيمُ غَضَبِ الْمَالِ ، لِأَنَّهُ نَوْعٌ مِنَ الظُّلْمِ وَالْفَسَادِ .

١٠٠- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ تَحْرِيمُ غَضَبِ الْمَالِ ، لِأَنَّهُ نَوْعٌ مِنَ الظُّلْمِ ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ .

١٠١- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ الْحَثُّ عَلَى الْإِسْتِقَامَةِ ، الَّتِي هِيَ الْإِعْتِدَالُ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ ، مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ ، وَالْمُحَافَظَةُ عَلَى جَمِيعِ الْأَحْوَالِ ، الَّتِي تَكُونُ بِهَا النَّفْسُ عَلَى أَفْضَلِ حَالَةٍ وَأَكْمَلِهَا ، فَلَا يَظْهَرُ مِنْهَا قَبِيحٌ ، وَلَا يُتَوَجَّهُ إِلَيْهَا ذَمٌّ ، وَلَا لَوْمٌ وَذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْمُحَافَظَةِ عَلَى الشَّرْعِ الشَّرِيفِ ، وَالتَّمَسُّكِ بِالدِّينِ الْقَوِيمِ ، وَالْوُقُوفِ عِنْدَ حُدُودِهِ ، مَعَ التَّخَلُّقِ بِالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ ، وَالصِّفَاتِ الْكَامِلَةِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ إِنَّ الدِّينَ قَالُوا رَبُّنَا

اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ، تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ ، أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا ، وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿ وَقَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتُ ﴾ وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِسُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ « قَلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ » .

١٠٢- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ أَنَّهُ مَا حَرَّمَ شَيْئًا ، عَلَيْهِمْ إِلَّا عَوَّضَهُمْ خَيْرًا مِنْهُ ، مِمَّا يَسُدُّ مَسَدَهُ وَيُغْنِي عَنْهُ ، كَمَا بَيَّنَّ ذَلِكَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى حَرَّمَ عَلَيْهِمُ الْاسْتِقْسَامَ بِالْأَزْلَامِ ، وَعَوَّضَهُمْ مِنْهُ دُعَاءُ الْاسْتِخَارَةِ ، ١٠٣- وَحَرَّمَ عَلَيْهِمُ الرِّبَا ، وَعَوَّضَهُمُ التِّجَارَةَ الرَّابِحَةَ .

١٠٤- وَحَرَّمَ عَلَيْهِمُ الْقِمَارَ ، وَأَعَاضَهُمْ مِنْهُ أَكْلَ الْمَالِ بِالمُسَابَقَةِ بِالْخَيْلِ وَالْإِبْلِ وَالسَّهَامِ .

١٠٥- وَحَرَّمَ عَلَيْهِمُ الْحَرِيرَ ، وَأَعَاضَهُمْ مِنْهُ أَنْوَاعَ الْمَلَابِسِ الْفَاحِشَةِ مِنَ الصُّوفِ وَالْكَتَّانِ وَالْقَطَنِ .

١٠٦- وَحَرَّمَ عَلَيْهِمُ شُرْبَ الْمُسْكِرَاتِ ، وَأَعَاضَهُمْ عَنْهُ بِالْأَشْرَبَةِ اللَّذِيذَةِ ، النَّافِعَةِ لِلرُّوحِ وَالْبَدَنِ .

١٠٧- وَحَرَّمَ عَلَيْهِمُ الْخُبَائِثَ مِنَ الْمَطْعُمَاتِ ، وَأَعَاضَهُمْ عَنْهَا بِالْمَطَاعِمِ الطَّيِّبَاتِ ، وَهَكَذَا إِذَا تَبَعْنَا تَعَالِيمَ الْإِسْلَامِ كُلَّهَا ، وَجَدْنَا أَنَّهُ جَلٌّ وَعَلَا لَمْ يُضَيِّقْ عَلَى عِبَادِهِ فِي جَانِبٍ ، إِلَّا وَسَّعَ عَلَيْهِمْ فِي جَانِبٍ آخَرَ مِنْ جَنبِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ اللَّهُمَّ أَحْيِنَا فِي الدُّنْيَا مُؤْمِنِينَ طَائِعِينَ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ تَائِبِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَضْلٌ »

١٠٨- وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ أَنَّهُ يُقَدِّرُ الْبَوَاعِثَ الْكَرِيمَةَ ، وَالْقَصْدَ الشَّرِيفَ ، وَالنِّيَّةَ الطَّيِّبَةَ ، فِي تَشْرِيعَاتِهِ وَتَوْجِيهَاتِهِ كُلِّهَا ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وسلم « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى » وبالنية الطيبة تنقلب المباحات والعادات إلى طاعات وقربات الى الله ، فمن تناول غذاءه بنية حفظ حياته وتقوية جسده ، ليستطيع القيام بما أوجبه عليه ربه ، من حقوق وتكاليف لأهله وأولاده ، كان طعامه وشرابه مع النية الصالحة عبادة ، ومن أتى شهوته مع ما أحله الله له من زوجة أو مملوكة له ، بقصد إعفاف نفسه وأهله ، وابتغاء ذرية صالحة ، كان ذلك عبادة ، تستحق الثوبة والأجر من الله ، وفي ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم « وفي بضع أحدكم صدقة » قالوا : يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ، ويكون له فيها أجر ؟ « قال « أليس إن وضعها في حرام كان عليه وزر ، فكذلك إذا وضعها في حلال كان له أجر » .

١٠٩- ومن محاسن الدين الإسلامي أنه حرم على المسلم شراء ما غصب أو سرق أو أخذ من صاحبه بغير حق ، لأنه إذا فعل ذلك يكون معيناً للغاصب والسارق والأخذ ، وهذا إذا علم أنها سرقة ، ولو طال زمن غصبه أو سرقته في يد الغاصب أو السارق أو الناهب ، فإن طول الزمن في الشريعة الإسلامية ، لا يجعل الحرام حلالاً ، ولا يسقط حق المالك الأصلي بالتقدم . وهذا أيضاً من محاسنه .

١١٠- ومن محاسن الدين الإسلامي تحريم الربا ، لأن الربا يقتضي أخذ مال الإنسان من غير عوض ، لأن من يبيع درهماً بدرهمين يحصل له زيادة درهم من غير عوض ، ومال الإنسان متعلق حاجته ، وله حرمة عظيمة ، كما هو معروف : ثانياً استعمل الربا يفضي إلى انقطاع المعروف بين الناس من القرض ، ثالثاً يمنع من تحمل المشاق تجاه الاكتساب ، فلا يكاد يتحمل مشقة الكسب ، وذلك يفضي إلى انقطاع منافع الخلق ،

وَتَكْسِيْلِهِمْ عَنِ الْجَدِّ وَالْاجْتِهَادِ فِي الطَّلَبِ ، وَقَدْ لَعَنَ اللَّهُ آكِلَ الرِّبَا وَمُؤْكَلَهُ
وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدِيَهُ .
مَوْعِظَةٌ :

عِبَادَ اللَّهِ إِنْ مَا سَمِعْتُمْ مِنَ الْمَحَاسِنِ نُقْطَةً مِنْ بَحْرِ مَحَاسِنِ الدِّينِ
الاسلامي ، الَّذِي جَمَعَ اللَّهُ بِهِ فِرْقَةَ الْعَرَبِ وَشَتَاتَهُمْ ، وَوَحَّدَ بِهِ قُلُوبَهُمْ
وَصُفُوفَهُمْ ، وَهَدَّبَ طِبَاعَهُمْ وَأَخْلَاقَهُمْ ، حَتَّى أَوْجَدَ مِنْهُمْ أُمَّةً شَدِيدَةَ
الْبَاسِ ، وَاسِعَةَ السُّلْطَانِ ، مَلَكَتْ نَاصِيَةَ الْأَرْضِ ، وَنَشَرَتْ عِلْمَ الْإِسْلَامِ
فِي نَوَاحِيهَا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ
بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ، فَاصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ وَقَالَ ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ
مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ ، فَآوَاكُمْ ، وَأَيَّدَكُمْ
بِنَصْرِهِ ﴾ .

دَيْنٌ نَشَرَهُ اللَّهُ فِي أَرْجَاءِ الْمَعْمُورَةِ ، كَالشَّمْسِ الضَّاحِيَةِ ، لَا يُحْجَبُ
شِعَاعُهَا ، وَكَالقَمَرِ الزَّاهِرِ ، لَا يَخْفَى ضَوْؤُهُ ، وَلَا يَخْسَفُ نُورُهُ .

دَيْنٌ تَرَى أَعْدَاءَهُ مُبْغِضِيَهُ يَقْتَرِبُونَ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ ، مِنْ حَيْثُ يَشْعُرُونَ ،
وَمِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ، لِأَنَّهُمْ بِمُخْتَرَعَاتِهِمْ وَعُلُومِهِمْ لَمْ يَزِيدُوا عَلَى أَنَّهُمْ بِهِ
يَشْهَدُونَ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ
لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ دَيْنٌ يَكِيدُ لَهُ أَعْدَاؤُهُ وَحَسَادُهُ ، مِنْ يَوْمِ أَنْزَلَ ، وَهُوَ كَمَا
تَرَى ، لَمْ يَطْفَأْ لَهُ نُورٌ ، وَلَمْ يَضَعْفْ لَهُ بُرْهَانٌ قَالَ تَعَالَى ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ
اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ، وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُ حَسْبُكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الدِّينَ الْإِسْلَامِيَّ يَحْتَوِي عَلَى خَيْرِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَنِعْمِ الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ ، فَمَا مِنْ فَضِيلَةٍ إِلَّا حَثَّ عَلَيْهَا ، وَمَا
مِنْ رَذِيلَةٍ إِلَّا نَفَّرَ مِنْهَا ، فَإِذَا اعْتَصَمْتَ بِحَبْلِهِ الْمَتِينِ ، وَحَرِصْتَ عَلَى الْعَمَلِ

بِأَحْكَامِهِ ، وَالتَّحْلِي بِآدَابِهِ ، عِشْتَ سَعِيداً ، وَمُتَّ سَعِيداً حَمِيداً .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى :

هَذَا وَنَضْرُ الدِّينِ فَرَضُ لَازِمٌ
لَا لِكِفَايَةِ بَلْ عَلَى الْأَعْيَانِ
بِيَدٍ وَإِمَا بِاللِّسَانِ فَإِنْ عَجَزَ
تَ فَبِالتَّوَجُّهِ وَالدُّعَا بِجَنَانِ
مَا بَعْدَ ذَا وَاللَّهُ لِلْإِيمَانِ حَبَّةٌ خَرْدَلٍ يَا نَاصِرَ الْإِيمَانِ
بِحَيَاةٍ وَجْهِكَ خَيْرٌ مَسْئُولٍ بِهِ
وَبِنُورٍ وَجْهِكَ يَا عَظِيمَ الشَّانِ
وَبِحَقِّ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَوْلَيْتَهَا
مِنْ غَيْرِ مَا عِوَضٍ وَلَا أَثْمَانِ
وَبِحَقِّ رَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ جَمِيعَ الْخَلْقِ مُحْسِنُهُمْ كَذَاكَ الْجَانِي
وَبِحَقِّ أَسْمَاءِ لَكَ الْحُسْنَى مَعَاً
فِيهَا نَعُوتُ الْمَدْحِ لِلرَّحْمَنِ
وَبِحَقِّ حَمْدِكَ وَهُوَ حَمْدٌ وَاسِعٌ أَلْ
أَكْوَانٍ بَلْ أضعَافُ ذِي الْأَكْوَانِ
وَبِأَنَّكَ اللَّهُ الْإِلَهُ الْحَقُّ مَعْبُودُ الْوَرَى مُتَقَدِّسٌ عَنْ ثَانٍ
بَلْ كُلُّ مَعْبُودٍ سِوَاكَ فَبَاطِلٌ
مِنْ دُونِ عَرْشِكَ لِلشَّرَى التُّحْتَانِي
وَبِكَ الْمَعَادُ وَلَا مَلَاذَ سِوَاكَ أَنْتَ غِيَاثُ كُلِّ مُلْدِدٍ لَهْفَانِ

مَنْ ذَاكَ لِلْمُضْطَرِّ يَسْمَعُهُ سِوَا
 كَ يُجِيبُ دَعْوَتَهُ مَعَ الْعِصْيَانِ
 إِنَّا تَوَجَّهْنَا إِلَيْكَ لِحَاجَةٍ
 تُرَضِّيكَ طَالِبُهَا أَحَقُّ مُعَانِ
 فَاجْعَلْ قَضَاهَا بَعْضَ أَنْعَمِكَ الَّتِي
 سَبَغْتَ عَلَيْنَا مِنْكَ كُلَّ زَمَانِ
 أَنْصُرْ كِتَابَكَ وَالرُّسُولَ وَدِينَكَ الْعَالِي الَّذِي أَنْزَلْتَ بِالْبُرْهَانِ
 وَاخْتَرْتَهُ دِينًا لِنَفْسِكَ وَاصْطَفَيْتَ مُقِيمَةً مِنْ أُمَّةِ الْإِنْسَانِ
 وَرَضِيْتَهُ دِينًا لِمَنْ تَرْضَاهُ مِنْ
 هَذَا الْوَرَى هُوَ قِيَمُ الْأَدْيَانِ
 وَأَقْرَبُ عَيْنِ رَسُولِكَ الْمَبْعُوثِ بِالِدِ
 بَيْنَ الْحَنِيفِ بِنَصْرِهِ الْمُتَدَانِ
 وَأَنْصُرْ بِهِ النَّصْرَ الْعَزِيزَ كَمَا مَثَلِ مَا
 قَدْ كُنْتَ تَنْصُرُهُ بِكُلِّ زَمَانِ
 يَا رَبُّ وَأَنْصُرْ خَيْرَ حِزْبَيْنَا عَلَى
 حِزْبِ الضَّلَالِ وَعَسْكَرِ الشَّيْطَانِ
 يَا رَبُّ وَاجْعَلْ شَرَّ حِزْبَيْنَا فِدَاءً
 لِخِيَارِهِمْ وَلِعَسْكَرِ الْقُرْآنِ
 يَا رَبُّ وَاجْعَلْ حِزْبَكَ الْمَنْصُورَ أَهْلَ تَرَاحِمٍ وَتَوَاصُلٍ وَتَدَانِ
 يَا رَبُّ وَاحْمَهُمْ مِنَ الْبِدْعِ الَّتِي
 قَدْ أُحْدِثَتْ فِي الدِّينِ كُلِّ زَمَانِ

يَا رَبِّ جَنِّبْهُمْ طَرَائِقَهَا الَّتِي
تُفْضِي بِسَالِكِهَا إِلَى النَّيِّرَانِ
يَا رَبِّ وَاهِدِهِمْ بِنُورِ الْوَحْيِ كَيْ
يَصِلُوا إِلَيْكَ فَيَظْفَرُوا بِجَنَانِ
يَا رَبِّ كُنْ لَهُمْ وَلِيًّا نَاصِرًا
وَاحْفَظْهُمْ مِنْ فِتْنَةِ الْفِتَّانِ
وَانصُرْهُمْ يَا رَبِّ بِالْحَقِّ الَّذِي
أَنْزَلْتَهُ يَا مُنْزِلَ الْقُرْآنِ
يَا رَبِّ إِنَّهُمْ هُمُ الْغُرَبَاءُ قَدْ
لَجَّؤُا إِلَيْكَ وَأَنْتَ ذُو الْإِحْسَانِ
يَا رَبِّ قَدْ عَادُوا لِأَجْلِكَ كُلَّ هَذَا الْخَلْقِ إِلَّا صَادِقَ الْإِيمَانِ
قَدْ فَارَقُوهُمْ فِيكَ أَحْوَجَ مَا هُمْ
دُنْيَا إِلَيْهِمْ فِي رِضَى الرَّحْمَنِ
وَرَضُوا وَلَايَتَكَ الَّتِي مَنْ نَالَهَا
نَالَ الْأَمَانَ وَنَالَ كُلَّ أَمَانٍ
وَرَضُوا بِوَحْيِكَ مِنْ سِوَاهُ وَمَا ارْتَضُوا
بِسِوَاهُ مِنْ آرَاءِ ذِي الْهَدْيَانِ
يَا رَبِّ ثَبِّتْهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ وَاجْعَلْهُمْ هُدَاةَ النَّائِبِ الْخَيْرَانِ
وَانصُرْ عَلَى حِزْبِ النَّفَاةِ عَسَاكِرَ الدِّ
إِثْبَاتِ أَهْلِ الْحَقِّ وَالْعِرْفَانِ

وَأَقِمْ لِأَهْلِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الدِّ
أَنْصَارَ وَأَنْصُرْهُمْ بِكُلِّ زَمَانٍ
وَأَجْعَلْهُمْ لِمُتَّقِينَ أُمَّةً
وَأَرْزُقْهُمْ صَبْرًا مَعَ الْإِيقَانِ
تَهْدِي بِأَمْرِكَ لَا بِمَا قَدْ أَحَدْتُوا
وَدَعَاؤُوا إِلَيْهِ النَّاسَ بِالْعُدْوَانِ
وَأَعِزَّهُمْ بِالْحَقِّ وَأَنْصُرْهُمْ بِهِ
نَصْرًا عَزِيزًا أَنْتَ ذُو السُّلْطَانِ
وَإِغْفِرْ ذُنُوبَهُمْ وَأَصْلِحْ شَأْنَهُمْ
فَلَأَنْتَ أَهْلُ الْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ
وَلَكَ الْمَحَامِدُ كُلُّهَا حَمْدًا كَمَا
يُرْضِيكَ لَا يَفْنَى عَلَى الْأَزْمَانِ
مِثْلَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى وَالْأَرْضِ وَالْ
مَوْجُودِ بَعْدُ وَمُنْتَهَى الْإِمْتِكَانِ
مِمَّا تَشَاءُ وَرَاءَ ذَلِكَ كُفْلُهُ
حَمْدًا بِغَيْرِ نِهَائِيَّةٍ بِزَمَانٍ
وَعَلَى رَسُولِكَ أَفْضَلُ الصَّلَوَاتِ وَالتَّسْلِيمِ مِنْكَ وَأَكْمَلُ الرُّضْوَانِ
وَعَلَى صَحَابَتِهِ جَمِيعًا وَالْأَلِيِّ
تَبِعُوهُمْ مِنْ بَعْدُ بِالْإِحْسَانِ

وختاماً فإليك كلمة موجزة قالها أحد العلماء
أَرْسِلْ طَرْفَكَ إِلَى نَشْأَةِ الْأُمَّةِ وَتَبَيَّنْ أَسْبَابَ نُهُوضِهَا الْأَوَّلَ فَتَرَى أَنَّ مَا
جَمَعَ كَلِمَتَهَا وَأَنْهَضَ هِمَمَ أَحَادِهَا وَلَحَمَّ بَيْنَ أَفْرَادِهَا وَصَعَدَ بِهَا إِلَى مَكَانَةِ

تُشْرِفُ مِنْهَا عَلَى رُؤُوسِ الْأُمَمِ وَتَسُوْسُهُمْ وَهِيَ فِي مَقَامِهَا بِدَقِيقِي حِكْمَتِهَا
 إِنَّمَا هُوَ « دِينٌ » قَوِيْمُ الْأَصُوْلِ مُحْكِمُ الْقَوَاعِدِ شَامِلُ لِأَنْوَاعِ الْحَكْمِ بَاعِثٌ
 عَلَى الْأَلْفَةِ دَاعٍ إِلَى الْمَحَبَّةِ مُزَكِّ لِلنَّفُوسِ مُطَهِّرٌ لِلْقُلُوبِ مِنْ أَدْرَانِ الْخَسَائِسِ
 مُنَوِّرٌ لِلْعُقُوْلِ بِأَشْرَاقِ الْحَقِّ مِنْ مَطَالِعِ قَضَايَاهُ كَافِلٌ لِكُلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ
 الْإِنْسَانُ مِنْ مَبَانِي الْأَجْتِمَاعَاتِ الْبَشَرِيَّةِ وَحَافِظٌ وَجُوْدَهَا وَيُنَادِي بِمُعْتَقَدِيهِ إِلَى
 جَمِيْعِ فُرُوْعِ الْمَدِيْنَةِ الصَّحِيْحَةِ ، إِنظُرْ إِلَى التَّارِيخِ قَبْلَ بَعْثَةِ الدِّينِ وَمَا كَانَتْ
 عَلَيْهِ مِنَ الْهَمْجِيَّةِ وَالشَّتَاتِ وَاتِّبَانِ الدُّنَايَا وَالْمُنْكَرَاتِ حَتَّى إِذَا جَاءَهَا الدِّينُ
 وَحَدَّهَا وَقَوَّاهَا وَهَدَّبَهَا وَنَوَّرَ عُقُوْلَهَا وَقَوَّمَ أَخْلَاقَهَا وَسَدَّدَ أَحْكَامَهَا فَسَادَتْ عَلَى
 الْعَالَمِ وَسَاسَتْ مَنْ تَوَلَّاهُ بِالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ أَه .

اللهم عافنا من مكرك وزينا بذكرك واستعملنا بأمرك ولا تهتك علينا
 جميل سترك وأمن علينا بلطفك وبرك وأعنا على ذكرك وشكرك اللهم سلمنا
 من عذابك وأمننا من عقابك .

اللهم وفقنا للاستقامة والعدل فيما وليتنا عليه اللهم إنا نعوذ بك من
 دنيا تمنع خير الآخرة ونعوذ بك من حياة تمنع خير الممات ونعوذ بك من أمل
 يمنع خير العمل ونسألك أن تنور قلوبنا وتثبتنا على قولك الثابت في الحياة
 الدنيا وفي الآخرة وأن تغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم
 الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

« فَضْلٌ »

في ذكر بعض معجزات النبي صلى الله عليه وسلم
 عِبَادَ اللَّهِ لِمَا كَانَتْ مُعْجَزَاتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْوَارًا

تُشْرِقُ عَلَى الْقُلُوبِ الطَّافِحَةِ بِالْإِيمَانِ وَتَزِيدُهَا قُوَّةً وَثَبَاتًا وَاسْتِقَامَةً أَحَبِّتُ
أَنْ أَذْكَرَ مَا تَيْسَّرَ مِنْهَا وَاللَّهُ الْمَسْئُولُ أَنْ يُجْعَلَ عَمَلُنَا خَالِصًا لِوَجْهِهِ
الْكَرِيمِ .

إِعْلَمْ وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ
جَمَعَ لِنَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْمُعْجَزَاتِ وَالْحَوَارِقِ . أَمَا
الْعِلْمُ وَالْأَخْبَارُ الْغَيْبِيَّةُ وَالسَّمَاعُ وَالرُّؤْيَا .

١ - فمثل إخباره صلى الله عليه وسلم عن الأنبياء المتقدمين

وَأَمِّهِمْ .

٢ - وَمَخَاطَبَتِهِ لَهُمْ وَأَحْوَالِهِ مَعَهُمْ .

٣ - وكذلك أخباره عن أمور الرُّبُوبِيَّةِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ بِمَا
يُؤَافِقُ الْأَنْبِيَاءَ قَبْلَهُ مِنْ غَيْرِ تَعَلُّمٍ مِنْهُمْ ، وَيُعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ مُؤَافِقٌ لِنَقُولِ
الْأَنْبِيَاءِ تَارَةً بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْكُتُبِ الظَّاهِرَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ النُّقْلِ
الْمُتَوَاتِرِ .

٤ - وَتَارَةً بِمَا يَعْلَمُهُ الْخَاصَّةُ مِنْ عُلَمَائِهِمْ .

٥ - فإخباره عن الأمور الغائبة ماضيها وحاضرها هو من باب
الْعِلْمِ الْخَارِقِ لِلْعَادَةِ .

٦ - وكذلك إخباره عن الأمور المُسْتَقْبَلَةِ .

٧ - مِثْلَ مَمْلَكَةِ أُمَّيَّةِ .

٨ - وَرِوَالِ مَمْلَكَةِ فَارِسَ .

٩ - وَالرُّومِ .

١٠ - وَقِتَالِ التُّرْكِ وَأُلُوفِ مُؤَلَّفَةِ مِنَ الْأَخْبَارِ الَّتِي أَخْبَرَ بِهَا . وَاِمَا
الْقُدْرَةَ وَالتَّأْيِيرُ .

١١ - فَاِنشِقَاقُ الْقَمَرِ .

١٢ - وَكَذَا مِعْرَاجُهُ إِلَى السَّمَوَاتِ .

١٣ - وَكِبْرَةُ الرَّمِيِّ بِالنُّجُومِ عِنْدَ ظُهُورِهِ .

١٤ - وَكَذَا إِسْرَآؤُهُ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى .

١٥ - وَتَكْثِيرُ الْمَاءِ فِي عَيْنِ تَبُوكَ .

١٦ - وَعَيْنُ الْحُدَيْبِيَّةِ .

١٧ - وَنَبْعِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ .

١٨ - وَكَذَا تَكْثِيرُ الطَّعَامِ . وَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ بَعْضُهَا مُوَضَّحاً

مُفَصَّلاً قَرِيباً .

١٩ - وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ قَالَ : « سِرْنَا مَعَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَزَلْنَا وَادِيًّا أُفِيحَ فَذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْضِي حَاجَتَهُ فَاتَّبَعْتُهُ بِإِدَاوَةٍ مِنْ مَاءٍ فَنَظَرَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا يَسْتُرُ فَإِذَا شَجَرَتَانِ بِشَاطِئِ
الْوَادِي فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَحَدَاهُمَا فَأَخَذَ
بُغْضِنٍ مِنْ أَعْصَانِهَا فَقَالَ أَنْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ .

فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُومِ الَّذِي يُصَانِعُ قَائِدَهُ حَتَّى أَتَى الشَّجْرَةَ
الْأُخْرَى فَأَخَذَ بَعْضَ أَعْصَانِهَا فَقَالَ أَنْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ فَانْقَادَتْ كَذَلِكَ

حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمُنْتَصَفِ فِيمَا بَيْنَهُمَا فَلَأْتُمْ بَيْنَهُمَا حَتَّى جَمَعَ بَيْنَهُمَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ
عَلِيٌّ بِإِذْنِ اللَّهِ فَالْتَأَمَّتَا عَلَيْهِ .

فَخَرَجَتْ أَحْضَرُ مَخَافَةَ أَنْ يُحْسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِقُرْبِي فَتَبَاعَدْتُ فَجَلَسْتُ أَحَدْتُ نَفْسِي فَحَانَتْ مِنِّي لَفْتَةٌ فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقْبِلًا وَإِذَا الشَّجَرَتَانِ قَدْ افْتَرَقَتَا فَقَامَتْ كُلُّ
وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَلَى سَاقِي « وَذَكَرَ الْحَدِيثَ .

٢٠ - وَمِنْهَا أَنهَا انْكَسَرَتْ رِجْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتَيْكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
بَعْدَمَا قَتَلَ أَبَا رَافِعٍ الَّذِي يُؤْذِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَانْتَهَيْتُ
إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَدَّثْتُهُ فَقَالَ لِي « أَبْسِطْ رِجْلَكَ » فَسَطَّطْتُ
رِجْلِي فَمَسَحَهَا فَكَأَنَّمَا لَمْ أَشْتَكِهَا قَطُّ .

٢١ - وَقِصَّةٌ أَمَّ مَعْبِدٍ مَشْهُورَةٌ مِنْ حَدِيثِهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ مَرَّ بِهَا طَلَبَ لَبَنًا أَوْ لَحْمًا يَشْتَرُونَهُ وَكَانُوا مُرْمِلِينَ مُسْتَتِينَ
فَلَمْ يَجِدُوا عِنْدَهَا شَيْئًا قَطُّ فَنَظَرَ إِلَى شَاةٍ فِي كِسْرِ الْحَيْمَةِ خَلْفَهَا الْجَهْدُ عَنِ
الْغَنَمِ ، فَسَأَلَهَا هَلْ بِهَا مِنْ لَبَنٍ ؟ فَقَالَتْ : هِيَ أَجْهَدُ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ :
أَتَأْذِنِينَ لِي أَنْ أَحْلِبَهَا ! فَقَالَتْ بَأبِي أَنْتَ وَأُمِّي إِنْ رَأَيْتَ بِهَا حَلْبًا .

فَدَعَا بِالشَّاةِ فَاعْتَقَلَهَا وَمَسَحَ ضَرْعَهَا فَدَرَّتْ وَاجْتَرَّتْ وَدَعَا بِإِنَاءٍ
يُسْبِغُ الرَّهْطَ فَحَلَبَ حَتَّى مَلَأَهُ وَسَقَى الْقَوْمَ حَتَّى رَوَوْا ثُمَّ شَرَبَ آخِرَهُمْ
ثُمَّ حَلَبَ فِيهِ مَرَّةً أُخْرَى عَلَلًّا بَعْدَ نَهْلِ ثُمَّ غَادَرَهُ عِنْدَهَا وَذَهَبُوا فَجَاءَ أَبُو
مَعْبِدٍ فَلَمَّا رَأَى اللَّبَنَ قَالَ مَا هَذَا يَا أُمَّ مَعْبِدٍ ؟ أُنِي لَكَ هَذَا وَالشَّاةُ عَازِبٌ
حِيَالٌ وَلَا حَلُوبَةٌ بِالْبَيْتِ فَقَالَتْ لَا وَاللَّهِ إِلَّا أَنَّهُ مَرٌّ بِنَا رَجُلٌ مُبَارَكٌ فَقَالَ
صِفِيهِ فَوَصَفْتُهُ لَهُ ، وَذَلِكَ فِي طَرِيقِ هِجْرَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى
الْمَدِينَةِ .

وَقَدْ قِيلَ فِي ذَلِكَ الْآيَاتِ الْمَشْهُورَةِ قَالَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ
 اللَّهُ عَنْهَا فَلَمَّا سَمِعْنَا قَوْلَهُ عَرَفْنَا حَيْثُ وَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ تُشِيرُ إِلَى مَا ذُكِرَ مِنْ أَنَّهُ أَقْبَلَ رَجُلًا مِنَ الْجَنِّ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ يَتَغَنَّى
 بِآيَاتٍ مِنْ شِعْرِ غِنَاءِ الْعَرَبِ وَأَنَّ النَّاسَ لَيَتَّبِعُونَهُ يَسْمَعُونَ صَوْتَهُ وَمَا يَرَوْنَهُ
 حَتَّى خَرَجَ مِنْ أَعْلَى مَكَّةَ وَهُوَ يَقُولُ :

جَزَى اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ
 رَفِيقِينَ حَلًّا خِيَمَتِي أُمَّ مَعْبَدِ
 هُمَا نَزَلَا بِالْبَيْرِ ثُمَّ تَرَوْحَا
 فَأَفْلَحَ مَنْ أَمَسَى رَفِيقَ مُحَمَّدِ
 لِيَهْنِ بَنِي كَعْبٍ مَكَانُ فَتَاهِمِ
 وَمَقْعَدُهَا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمِرْصَدِ
 سَلُّوا أُخْتَكُمْ عَنْ شَاتِهَا وَإِنَائِهَا
 فَإِنَّكُمْوَا إِن تَسْأَلُوا الشَّاةَ تَشْهَدِ
 دَعَاهَا بِشَاةٍ حَائِلٍ فَتَحَلَّبَتْ
 لَهُ بِصَرِيحِ ضَرَّةِ الشَّاةِ مُزِيدِ
 فَعَادَرَهُ رَهْنًا لَدَيْهَا لِحَالِبِ
 يُدِرُّ لَهَا فِي مَضْدِرِ ثُمَّ مَوْرِدِ
 فَلَمَّا سَمِعَ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ أَنشَأَ يَقُولُ مَجِيئًا لِلْهَاتِفِ :

لَقَدْ خَابَ قَوْمٌ زَالَ عَنْهُمْ نَبِيُّهُمْ
 وَقُدِّسَ مَنْ يَسْرِي إِلَيْهِمْ وَيَغْتَدِي

تَرَحَّلَ عَنْ قَوْمٍ فَظَلَّتْ عُقُوبُهُمْ
 وَحَلَّ عَلَى قَوْمٍ بِنُورِ مُجَدِّدِ
 هِدَاهِمُ بِهِ بَعْدَ الضَّلَالَةِ رَبُّهُمْ
 وَأَرْشَدَهُمْ مَنْ يَتَّبِعِ الْحَقَّ يَرْشُدِ
 وَقَدْ نَزَلَتْ مِنْهُ عَلَى أَهْلِ يَثْرِبِ
 رِكَابُ هُدًى حَلَّتْ عَلَيْهِمْ بِأَسْعَدِ
 نَبِيٍّ يَرَى مَا لَا يَرَى النَّاسُ حَوْلَهُ
 وَيَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَسْجِدِ
 وَإِنْ قَالَ فِي يَوْمٍ مَقَالَةً غَائِبِ
 فَتَضَدِّيقُهَا فِي الْيَوْمِ أَوْ فِي ضُحَى الْغَدِ
 لِيَنْهِنَ أَبَا بَكْرٍ سَعَادَةَ جِدِّهِ
 بِصُحْبَتِهِ مَنْ يُسْعِدِ اللَّهَ يُسْعِدِ

٢٢- وفي الترمذي عن علي رضي الله عنه قال : « كُنْتُ مَعَ
 رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ فَخَرَجْنَا فِي بَعْضِ نَوَاحِيهَا فَمَا
 اسْتَقْبَلَهُ شَجَرٌ وَلَا جَبَلٌ إِلَّا وَهُوَ يَقُولُ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ » رواه
 الحاكم في صحيحه .

٢٣- وجاء أعرابيٌّ إلى النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ بِمَ
 أَعْرَفْتُ أَنَّكَ نَبِيٌّ ؟ قَالَ « إِنَّ دَعْوَتُ هَذَا الْعِدْقِ مِنْ هَذِهِ النَّخْلَةِ أَتَشْهَدُ
 أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ؟ قَالَ « نَعَمْ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 فَجَعَلَ يَنْزِلُ مِنَ النَّخْلَةِ حَتَّى سَقَطَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 ثُمَّ قَالَ ارْجِعْ فَعَادَ ، فَاسْلَمَ الْأَعْرَابِيُّ .

شِعْرًا :

تَأْمَلُ فِي تَبَاتِ الْأَرْضِ وَانظُرْ إِلَى آثَارِ مَا صَنَعَ الْمَلِيكَ
عُيُونٌ مِنْ لُجَيْنَ شَاخِصَاتٍ بِأَحْدَاقِ هِيَ الذَّهَبُ السَّبِيكَ
عَلَى قُضْبِ الزَّبْرَجِدِ شَاهِدَاتٍ بَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ
وَأَنَّ مُحَمَّدًا خَيْرُ الْبَرَايَا إِلَى الثَّقَلَيْنِ أَرْسَلَهُ الْمَلِيكَ

اللَّهُمَّ نُبْتُ مَحَبَّتِكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوَّهَا وَارزُقْنَا الْقِيَامَ بِطَاعَتِكَ وَجَنِّبْنَا مَا
يُسْخِطُكَ وَأَصْلِحْ نِيَاتِنَا وَدُرِّيَاتِنَا وَأَعِدْنَا مِنْ شَرِّ نَفُوسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا
وَأَعِدْنَا مِنْ عَدُوِّكَ وَاجْعَلْ هَوَانًا تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَضْلٌ »

٢٤ - وَلَمَّا بَعَثْتَ قُرَيْشٌ فِي فِدَاءِ أَسْرَاهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ بَدْرِ فَقَدَى كُلُّ قَوْمٍ أَسِيرَهُمْ بِمَا رَضُوا وَكَانَ الْعَبَّاسُ
أَسِيرًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ كُنْتُ مُسْلِمًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ « اللَّهُ أَعْلَمُ بِاسْلَامِكَ فَإِنْ يَكُنْ كَمَا تَقُولُ فَإِنَّ اللَّهَ يَجْزِيكَ وَأَمَّا
ظَاهِرُكَ فَقَدْ كَانَ عَلَيْنَا فَاغْتَدِ نَفْسَكَ وَابْنِي أَخَوَيْكَ » قَالَ الْعَبَّاسُ . مَا ذَاكَ
عِنْدِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « فَأَيْنَ الْمَالُ الَّذِي دَفَنْتَهُ
أَنْتَ وَأُمُّ الْفَضْلِ فَقُلْتُ لَهَا إِنْ أُصِبتُ فِي سَفَرِي هَذَا فَهَذَا الْمَالُ الَّذِي
دَفَنْتَهُ لِبَنِي الْفَضْلِ وَعَبْدُ اللَّهِ وَقُتْمٌ » .

قَالَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِأَعْلَمَ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ مَا
عَلِمَهُ أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُ أُمِّ الْفَضْلِ . الخ .

٢٥ - وَقِصَّةُ ارْتَجَافِ أَحَدٍ وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَعِدَ أَحَدًا وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِبْتُ أَحَدًا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصَدِيقٌ وَشَهِيدَانِ .

٢٦ - وَقِصَّةُ مَاءِ الرُّكُوعِ وَهِيَ مَا وَرَدَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ عَطَشَ النَّاسُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ رُكُوعٌ يَتَوَضَّأُ فَجَهَشَ النَّاسُ نَحْوَهُ فَقَالَ : « مَا لَكُمْ ؟ » قَالُوا : لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ وَلَا نَشْرَبُ إِلَّا مَا بَيْنَ يَدَيْكَ قَالَ جَابِرٌ فَوَضَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ فِي الرُّكُوعِ فَجَعَلَ الْمَاءُ يَثُورُ بَيْنَ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعَيْوُنِ فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا قَالَ سَالِمٌ قُلْتُ لِجَابِرٍ كَمْ كُنْتُمْ قَالَ لَوْ كُنَّا مِائَةً أَلْفٍ لَكَفَانَا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً (١٥٠٠) .

٢٧ - وَقِصَّةُ مَوْتِ النَّجَاشِيِّ وَهِيَ مَا وَرَدَ عَنْ أُمِّ كَلثُومَ بِنْتِ أَبِي سَلَمَةَ رَيْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ لَمَّا تَزَوَّجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّ سَلَمَةَ قَالَ لَهَا « إِنِّي قَدْ أَهْدَيْتُ لِلنَّجَاشِيِّ أَوْاقِيَّ مِنْ مِسْكِ وَحُلَّةٍ وَإِنِّي لَا أَرَاهُ إِلَّا قَدْ مَاتَ وَلَا أَرَى الْهَدِيَّةَ إِلَّا سَتَرْدُ إِلَيَّ ، فَإِذَا زِدْتُ إِلَيَّ فَهِيَ لَكَ » فَكَانَ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَاتَ النَّجَاشِيُّ وَرَدَّتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَدِيَّتَهُ فَأَعْطَى كُلَّ امْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِهِ أَوْقِيَّةً مِنْ ذَلِكَ الْمِسْكِ وَأَعْطَى سَائِرَهُ أُمَّ سَلَمَةَ .

٢٨ - وَقِصَّةُ عُكَّاشَةَ بْنِ مُحْصَنٍ بْنِ حَرْثَانَ الْأَسَدِيِّ حِينَمَا أُنْدَفَعُ يُقَاتِلُ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ وَيَحْصِدُ فِيهِمْ حَصْدًا حَتَّى انْكَسَرَ سَيْفُهُ فَلَمْ يَبْقَ فِيهِ ذَلِكَ عَنْ خَوْضِ الْمَعْرَكَةِ وَلَمْ يَتَّخِذْ مِنْ كَسْرِ سَيْفِهِ مَعْدِرَةً عَنِ الْقِتَالِ فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخْبِرُهُ بِكَسْرِ سَيْفِهِ وَإِرَادَةَ غَيْرِهِ

فَدَفَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ جَذْلًا مِنْ حَطَبٍ فَقَالَ لَهُ قَاتِلْ بِهَذَا يَا
عُكَّاشَةُ .

فَلَمَّا أَخَذَهُ عُكَّاشَةُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَزَّهُ فَعَادَ
فِي يَدِهِ سَيْفًا صَارِمًا طَوِيلَ الْقَامَةِ شَدِيدَ الْمَتَنِ أَبْيَضَ الْحَدِيدَةِ فَقَاتَلَ بِهِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ ذَلِكَ
السَّيْفُ يَشْهَدُ بِهِ الْمَشَاهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى
اسْتُشْهِدَ فِي قِتَالِ الرِّدَّةِ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

٢٩ - وَقِصَّةُ عُمَيْرِ بْنِ وَهَبِ الْجُمَحِيِّ وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ مَعَ صَفْوَانَ
بِنِ أُمَيَّةَ بَعْدَ مُصَابِ أَهْلِ بَدْرٍ وَكَانَ عُمَيْرٌ شَيْطَانًا مِنْ شَيَاطِينِ قُرَيْشٍ
وَمِمَّنْ كَانَ يُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ وَيَلْقُونَ مِنْهُ
عَنَاءً وَهُوَ بِمَكَّةَ وَكَانَ ابْنُهُ وَهَبُ ابْنُ عُمَيْرٍ فِي أُسَارَى بَدْرٍ قَالَ فَذَكَرَ عُمَيْرٌ
أَصْحَابَ الْقَلْبِ وَمُصَابَهُمْ فَقَالَ صَفْوَانُ وَاللَّهِ مَا فِي الْعَيْشِ بَعْدَهُمْ
خَيْرٌ .

قَالَ عُمَيْرٌ صَدَقْتَ وَاللَّهِ أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا دِينُ عَلِيٍّ لَيْسَ لَهُ عِنْدِي
قَضَاءٌ وَعِيَالٌ أَخْشَى عَلَيْهِمُ الضُّيْعَةَ بَعْدِي لَرَكِبْتُ إِلَى مُحَمَّدٍ حَتَّى أَقْتَلَهُ
فَإِنَّ لِي قَبْلَهُمْ عِلَّةً ابْنِي أَسِيرٌ فِي أَيْدِيهِمْ قَالَ فَاغْتَمَمَهَا صَفْوَانُ وَقَالَ عَلِيُّ
دِينُكَ أَنَا أَقْضِيهِ عَنْكَ وَعِيَالُكَ مَعَ عِيَالِي أَوْاسِيهِمْ مَا يَقُولُوا لَا يَسْعُنِي شَيْءٌ
يَعْجِزُ عَنْهُمْ .

فَقَالَ عُمَيْرٌ فَانْتَمِ شَأْنِي وَشَأْنُكَ قَالَ أَفْعَلُ ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى قَدِمَ
الْمَدِينَةَ فَبَيْنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي نَفَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَتَحَدَّثُونَ عَنْ يَوْمِ

بَدْرٍ وَمَا أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ بِهِ وَمَا أَرَاهُمُ مِنْ عَدُوِّهِمْ إِذْ نَظَرَ عُمَرُ إِلَى عُمَيْرِ بْنِ وَهَبٍ حِينَ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ ، مُتَوَشِّحًا السَّيْفَ ، فَقَالَ عُمَرُ هَذَا الْكَلْبُ عَدُوُّ اللَّهِ وَاللَّهُ مَا جَاءَ إِلَّا لِشَرِّ .

ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ هَذَا عَدُوُّ اللَّهِ عُمَيْرُ بْنُ وَهَبٍ ، قَدْ جَاءَ مُتَوَشِّحًا سَيْفَهُ . قَالَ فَأَدْخَلَهُ عَلَيَّ فَأَقْبَلَ عُمَرُ حَتَّى أَخَذَ بِحِمَالَةِ سَيْفِهِ فِي عُنُقِهِ فَلَبَّيْهُ بِهَا .

وقال لِرِجَالٍ مِنَ الْأَنْصَارِ ادْخُلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاجْلِسُوا عِنْدَهُ واحذروا عليه من هذا الخبيث فإنه غير مأمور ثم دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أرسله فدنا عُمَيْرُ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فَمَا جَاءَ بِكَ يَا عُمَيْرُ ؟ » قال جئتُ لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسبوا فيه يعني ولده قال فما بال سيف في عنقك قال قبحتها الله من سيوف وهل أغنت عنا شيئاً قال « أصدقني ما الذي جاء بك » قال ما جئتُ إلا لذلك .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بَلْ قَعَدْتَ أَنْتَ وَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ فِي الْحِجْرِ فَذَكَرْتُمَا أَصْحَابَ الْقَلَيْبِ مِنْ قُرَيْشٍ ثُمَّ قُلْتَ لَوْلَا دَيْنٌ عَلَيَّ وَعِيَالٌ عِنْدِي لَخَرَجْتُ حَتَّى أَقْتُلَ مُحَمَّدًا فَتَحْمِلَ لَكَ صَفْوَانُ بِدَيْنِكَ وَعِيَالِكَ عَلَى أَنْ تَقْتُلَنِي لَهُ ، وَاللَّهُ حَائِلٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ . »

فقال عُمَيْرُ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ كُنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكْذُبُكَ بِمَا كُنْتَ تَأْتِينَا بِهِ مِنْ خَبَرِ السَّمَاءِ وَمَا يَنْزِلُ عَلَيْكَ مِنَ الْوَحْيِ وَهَذَا أَمْرٌ لَمْ

يَحْضُرُهُ إِلَّا أَنَا وَصَفْوَانُ فَوَاللَّهِ إِنِّي لِأَعْلَمُ مَا أَتَاكَ بِهِ إِلَّا اللَّهُ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ وَسَاقِنِي هَذَا الْمَسَاقِ ثُمَّ شَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « فَفَقَّهُوا أَحَاكُم فِي دِينِهِ وَأَقْرَبُوا الْقُرْآنَ
وَأَطْلِقُوا لَهُ أَسِيرَهُ » فَفَعَلُوا الْخ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّد .

شِعْرًا :

فُوَادٌ مَا يَقْرُ لَه قَرَارُ
وَأَجْفَانٌ مَدَامِعُهَا غِرَارُ
وَلَيْلٌ طَالَ بِالْأَنْكَادِ حَتَّى
ظَنَنْتُ أَيْلَ لَيْسَ لَهُ نَهَارُ
وَلَيْمٌ لَا وَالتُّقَى حَلَّتْ عُرَاهُ
وَبَانَ عَلَى بَنِيهِ الْأَنْكِسَارُ
لِيَيْكَ مَعِي عَلَى الدِّينِ الْبَوَاكِي
فَقَدْ أَضَحَّتْ مَوَاطِنُهُ قِفَارُ
وَقَدْ هُدَّتْ قَوَاعِدُهُ اعْتِدَاءُ
وَزَالَ بِذَاكُمُوهَا عَنْهُ الْوَقَارُ
وَأَصْبَحَ لَا تُقَامُ لَهُ حُدُودُ
وَأَمْسَى لَا يُبْنَى لَهُ شِعَارُ
وَعَادَ كَمَا بَدَأَ فِينَا غَرِيبًا
هُنَالِكَ مَالَهُ فِي الْخَلْقِ جَارُ
فَقَدْ نَقَضُوا عُهْدَهُمْ جِهَارًا
وَأَسْرَفُوا فِي الْعَدَاوَةِ ثُمَّ سَارُوا

اللهم إِنَّكَ تَعْلَمُ سِرَّنَا وَعَلَانِيَتَنَا وَتَسْمَعُ كَلَامَنَا وَتَرَى مَكَانَنَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِنَا نَحْنُ الْبُؤْسَاءُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْكَ الْمُسْتَغِيثُونَ الْمُسْتَجِيرُونَ بِكَ نَسْأَلُكَ أَنْ تُقَيِّضَ لِدِينِكَ مَنْ يَنْصُرُهُ وَيُزِيلَ مَا حَدَثَ مِنَ الْبِدْعِ وَالْمُنْكَرَاتِ وَيَقِيمَ عِلْمَ الْجِهَادِ وَيَقْمَعَ أَهْلَ الرِّيْغِ وَالْكَفْرِ وَالْعِنَادِ وَنَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَضْلٌ »

٣٠ - وَقِصَّةُ حَنِينِ الْجِدْعِ مَا وَرَدَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَا أَجْعَلُ لَكَ شَيْئًا تَقْعُدُ عَلَيْهِ فَإِنِ لِي غُلَامًا نَجْرًا قَالَ إِنْ شِئْتَ قَالَ فَعَمِلْتُ لَهُ الْمِنْبَرَ فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ قَعَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ الَّذِي صُنِعَ فَصَاحَتْ النَّخْلَةُ الَّتِي كَانَ يَخْطُبُ عِنْدَهَا حَتَّى كَادَتْ أَنْ تَشَقَّ فَنَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَخَذَهَا فَضَمَّهَا إِلَيْهِ فَجَعَلَتْ تَنْ أَيْنَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسْكُتُ .

٣١ - وَقِصَّةُ عِكَّةِ أُمِّ سُلَيْمٍ لَمَّا وَرَدَ عَنْ أَنَسٍ عَنْ أُمِّهِ قَالَ كَانَتْ لَنَا شَاةٌ جَمَعْتُ مِنْ سَمْنِهَا فِي عِكَّةٍ فَمَلَأَتِ الْعِكَّةَ ثُمَّ بَعَثْتُ بِهَا مَعَ رَيْبِيَّةٍ فَقَالَتْ يَا رَيْبِيَّةُ فَبَلِّغِي هَذِهِ الْعِكَّةَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِدُمُ بِهَا فَاَنْطَلَقْتُ بِهَا الرَّيْبِيَّةُ حَتَّى أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ عِكَّةٌ سَمْنٍ بَعَثْتُ بِهَا إِلَيْكَ أُمُّ سُلَيْمٍ فَقَالَ أفرغوا لها عكتها ففرغت العكَّة فدفعت إليها فانطلقت بها .

وجاءت وأم سليم ليست في البيت فعلمت العكة على وتد
فجاءت أم سليم فرأت العكة ممتلئة تقطر فقالت أم سليم يا ربيبة أليس
أمرتك أن تنظلي بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قد
فعلت فإن لم تصدقيني فانظلي فسلني رسول الله صلى الله عليه
وسلم . فانطلقت ومعها الربيبة .

فقال يا رسول الله إني قد بعثت معها إليك بعكة فيها سمن قال
قد فعلت قد جاءت قالت والذي بعثك بالحق ودين الحق إنها لممتلئة
تقطر سمناً قال : فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أم
سليم أنتعجين إن كان الله أطعمك كما أطعم نبيه كليلي وأطعمي »
قالت فجيئت إلى البيت فقسمت في قعب لنا كذا وكذا وتركت فيها ما
اخذنا به شهرين .

٣٢ - وقصة طيب عتبة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالت أم عاصم امرأة عتبة بن فرقد كنا عند عتبة ثلاث نسوة ما منا
واحدة إلا وهي تجتهد في الطيب لتكون أطيب من صاحبيتها وما يمس
عتبة بن فرقد طيباً إلا أن يلتمس دهنًا وكان أطيب ربحاً منا فقلت له في
ذلك .

فقال أصابني الشرى « حكة في الجلد » على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأقعدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بين
يديه فتجردت وألقيت ثيابي على عورتني فنفت رسول الله صلى الله
عليه وسلم في كفه ثم ذلك بها الأخرى ثم أمرهما على ظهري فعبق
بها ما ترون .

٣٣ - وَقِصَّةُ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ فَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ ذَاتَ لَيْلَةٍ لِصَلَاةِ الْعِشَاءِ وَمَاجَتِ الظُّلُمَاءُ مِنَ السَّمَاءِ وَبَرَقَتْ بَرْقَةٌ فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَتَادَةَ بْنَ النُّعْمَانِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَتَادَةُ قَالَ نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِمْتُ إِنَّ شَاهِدَ الصَّلَاةِ اللَّيْلَةِ قَلِيلٌ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَشْهَدَهَا .

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا انْصَرَفْتَ فَأْتِنِي فَلَمَّا انْصَرَفَ أَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِرْجُونًا وَقَالَ « خُذْهُ فَيَسْبِيهِ أَمَامَكَ عَشْرًا وَخَلْفَكَ عَشْرًا » .

٣٤ - وَقِصَّةُ أَبِي جَابِرٍ وَهِيَ مَا وَرَدَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ تُوْفِيَ أَبِي شَهِيدًا فِي أَحَدٍ وَعَلَيْهِ ذَيْنُ فَاسْتَعْنَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى غُرْمَائِهِ فَلَمْ يَفْعَلُوا فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « اذْهَبْ فَصَنَّفْ تَمْرَكَ أَصْنَافًا الْعَجْوَةَ عَلَى حِدَّةٍ وَعِدْقُ زَيْدٍ عَلَى حِدَّةٍ » (أَنْوَاعِ التَّمْرِ) .

« ثُمَّ أَرْسِلْ إِلَيَّ » قَالَ جَابِرٌ : فَفَعَلْتُ ثُمَّ أَرْسَلْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَلَسَ عَلَيَّ أَعْلَاهُ أَوْ فِي وَسْطِهِ ثُمَّ قَالَ رِكْلٌ لِلْقَوْمِ قَالَ جَابِرٌ فَكَلَّمْتُهُمْ حَتَّى أَوْفَيْتُهُمُ الَّذِي لَهُمْ وَبَقِيَ تَمْرِي كَأَنَّ لَمْ يَنْقُصَ مِنْهُ شَيْءٌ

٣٥ - وَقِصَّةُ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَمَا أَعْلَمَ النَّاسَ أَنَّهُ سَائِرٌ إِلَى مَكَّةَ وَأَمَرَهُمْ بِالْحِجْدِ وَالتَّهَيُّؤِ وَقَالَ « اللَّهُمَّ خُذِ الْعِيُونَ وَالْأَخْبَارَ عَنْ قُرَيْشٍ ، حَتَّى نَبْتَغَهَا فِي بِلَادِهَا »

فَلَمَّا أَجْمَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمَسِيرِ ، كَتَبَ حَاطِبُ كِتَابًا إِلَى قُرَيْشٍ يُخْبِرُهُمْ بِالَّذِي أَجْمَعَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَمْرِ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ .

ثُمَّ أَعْطَاهُ امْرَأَةً وَجَعَلَ لَهَا عَطَاءً عَلَى أَنْ تُبَلِّغَهُ قُرَيْشًا فَجَعَلَتْهُ فِي رَأْسِهَا ثُمَّ فَتَلَّتْ عَلَيْهِ قُرُونَهَا « جَدَائِلُهَا » .

وَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَبْرُ مِنَ السَّمَاءِ بِمَا صَنَعَ حَاطِبٌ فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَالزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَقَالَ أَدْرَكَا امْرَأَةً قَدْ كَتَبَ مَعَهَا حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ بِكِتَابٍ إِلَى قُرَيْشٍ يُحَدِّرُهُمْ مَا أَجْمَعْنَا عَلَيْهِ فِي أَمْرِهِمْ .

فَخَرَجَا حَتَّى أَدْرَكَاهَا بِالْخَلِيقَةِ « اسْمُ مَوْضِعٍ » فَاسْتَزَلَّاهَا فَالْتَمَسَا فِي رَحْلِهَا فَلَمْ يَجِدَا شَيْئًا فَقَالَ لَهَا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِنِّي أَحْلِفُ بِاللَّهِ مَا كَذَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا كَذَبْنَا وَلْتُخْرِجَنَّ لَنَا هَذَا الْكِتَابَ أَوْ لَتَكْشِفَنَّكَ .

فَلَمَّا رَأَتْ الْجِدَّ مِنْهُمَا قَالَتْ أَعْرَضَ فَأَعْرَضَ فَحَلَّتْ قُرُونَ رَأْسِهَا فَاسْتَخْرَجَتْ الْكِتَابَ مِنْهَا فَدَفَعَتْهُ إِلَيْهِ فَأَتَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاطِبًا فَقَالَ يَا حَاطِبُ مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا .

فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَمُؤْمِنٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا غَيَّرْتُ

ولا بدُّكَ وَلَكِنِّي أَمْرُؤٌ لَيْسَ لِي فِي الْقَوْمِ مِنْ أَصْلِ وَلَا عَشِيرَةٍ وَكَانَ لِي بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ وَلَدٌ وَأَهْلٌ فَصَانَعْتُهُمْ عَلَيْهِمْ .

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي فَلَأَضْرِبُ عُنُقَهُ فَإِنَّ الرَّجُلَ قَدْ نَافَقَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « وَمَا يُدْرِيكَ يَا عُمَرُ لَعَلَّ اللَّهَ قَدْ أَطَّلَعَ إِلَى أَصْحَابِ بَدْرٍ فَقَالَ اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ قَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ » فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ الآية .

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا وَاشْرَحْ صُدُورَنَا وَيَسِّرْ أُمُورَنَا وَثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَارْفَعْ مَنَازِلَنَا فِي جَنَّةِ عَالِيَةِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٣٦ - وَقِصَّةُ لَبْنِ أَهْلِ الصُّفَّةِ وَذَلِكَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَعَدَ يَوْمًا عَلَى الطَّرِيقِ فَمَرَّ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَبَسَّمَ حِينَ رَأَاهُ وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِهِ وَمَا فِي وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ » قَالَ قُلْتُ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الْحَقُّ وَمَضَى فَتَبِعْتُهُ فَاسْتَأْذَنَ فَأَذِنَ لِي فَدَخَلَ فَوَجَدَ لَبْنًا فِي قَدَحٍ فَقَالَ مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبْنُ قَالُوا مِنْ فُلَانٍ أَوْ فُلَانَةٍ .

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ قُلْتُ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَسَاءَ بِي ذَلِكَ فَقُلْتُ وَمَا هَذَا اللَّبْنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ كُنْتُ أَحَقُّ أَنَا أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبْنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا فَإِذَا جَاؤُوا أَمَرَنِي فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هَذَا اللَّبْنِ .

قَالَ فَاتَّبَعْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ فَأَقْبَلُوا فَاسْتَأْذَنُوا فَأَذِنَ لَهُمْ وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ الْبَيْتِ فَقَالَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قُلْتُ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ خُذْ فَأَعْطِهِمْ

قَالَ فَأَخَذْتُ الْقَدَحَ فَجَعَلْتُ أُعْطِي الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرَوِيَ ثُمَّ يَرُدُّ
عَلَيَّ الْقَدَحَ . حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ رَوَى
الْقَوْمُ كُلَّهُمْ .

فَأَخَذَ الْقَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ فَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ فَقَالَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ
قُلْتُ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ بَقِيْتُ أَنَا وَأَنْتَ قُلْتُ صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ
قَالَ أَقْعُدْ فَأَشْرَبَ فَفَعَدْتُ فَشَرِبْتُ فَقَالَ اشْرَبْ فَشَرِبْتُ فَمَا زَالَ يَقُولُ
اشْرَبْ حَتَّى قُلْتُ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا .

قَالَ فَأَرِنِي فَأَعْطَيْتُهُ الْقَدَحَ فَحَمِدَ اللَّهُ وَسَمَى وَشَرِبَ الْفَضْلَةَ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٣٧ - وَقِصَّةُ طَعَامِ جَابِرٍ وَذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْهُ قَالَ لَمَّا حُفِرَ الْخَنْدَقُ
رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْصًا شَدِيدًا فَاثْبَتْتُ إِلَى امْرَأَتِي
فَقُلْتُ هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ فَإِنِّي رَأَيْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
خَمْصًا شَدِيدًا .

فَأَخْرَجَتِ إِلَيَّ جِرَابًا فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ وَلَنَا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ فَذَبَحْنَاهَا
وَطَحَنَتْ الشَّعِيرَ فَفَرَعَتْ إِلَى فَرَاعِيٍّ وَقَطَعْتَهَا فِي بُرْمَتِهَا ثُمَّ وَلَّيْتُ إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ لَا تَفْضَحْنِي بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجِئْتُهُ فَسَارَرْتُهُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا
وَطَحَنَّا صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ كَانَ عِنْدَنَا فَتَعَالَ أَنْتَ وَنَفَرْنَا مَعَكَ .

فَصَاحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أَهْلَ الْخَنْدَقِ إِنَّ جَابِرًا قَدْ
صَنَعَ سُورًا فَحَيِّ هَلَّا بِكُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا

تُنزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ وَلَا تَخْبِزُنَّ عَجِينَكُمْ حَتَّىٰ أَجِيءَ فَجِئْتُ وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْدُمُ النَّاسَ حَتَّىٰ جِئْتُ فَأَمْرَانِي فَقَالَ بِكَ وَبِكَ فَقُلْتُ قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي قُلْتَ فَأَخْرَجَتْ لَهُ عَجِينًا فَبَصَقَ فِيهِ وَبَارَكَ ثُمَّ عَمَدَ إِلَىٰ بُرْمَتِنَا فَبَصَقَ وَبَارَكَ .

ثم قال ادعي خابزة فلتخبز معك واقدحي من برمتك ولا تنزلوها وهم ألف فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتعط كما هي وإن عجيننا ليخبز كما هو .

٣٨- وعن علي رضي الله عنه قال كنت شاكياً فمر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول اللهم إن كان أجلي قد حضر فأرحني وإن كان متأخراً فارفعني وإن كان بلاءً فصبرني .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف قلت فأعاد عليه ما قال فصبرته برجليه وقال اللهم عافه أو أشفه شك شعبة قال فما اشتكيت وجعي بعد . قال الترمذي حديث حسن صحيح .

٣٩- ومن ذلك رد عيين قتادة بن النعمان فقد أصبت عينه في غزوة أحد حتى وقعت على وجنته فردها النبي صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن عينيه وأحدهما نظراً وفي ذلك يقول ابنه :
أنا ابن الذي سألت على الخد عينه

فردت بكف المصطفى أحسن الرد

اللهم اجعل قلوبنا مملوءة بحبك وألسنتنا رطبة بذكرك ونفوسنا مطيعة لأمرِكَ وأمنًا من سَطَوَتِكَ ومَكْرِكَ ، اللهم إنا نسألك العافية في ديننا ودُنْيَانَا وَأَخْرَانَا وَأَهْلِنَا وما لنا اللهم استر عوراتنا وأمن روعاتنا واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيمننا وعن شمائلنا ومن فوقنا ونعوذ بعظمتك

أَنْ نَغْتَالَ مِنْ تَحْتِنَا وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .
 وَمِنْ قَوْلِ أَبِي طَالِبٍ يَمْدَحُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
 وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ
 ثِمَالُ الْيَتَامَى عِضْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ
 وَهُوَ مِنْ قَصِيدَةِ أَبِي طَالِبٍ قَالَهَا لَمَّا تَمَلَّاتْ عَلَيْهِ قُرَيْشُ
 وَنَفَرُوا عَنْهُ وَأَوْلَهَا

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ لَا وَدَّ عِنْدَهُمْ
 وَقَدْ قَطَعُوا كُلَّ الْعُرَى وَالْوَسَائِلِ
 وَقَدْ جَاهَرُونَا بِالْعَدَاوَةِ وَالْأَذَى
 وَقَدْ طَاوَعُوا أَمْرَ الْعَدُوِّ الْمُزَائِلِ
 صَبَرْتُ لَهُمْ نَفْسِي بِسَمَرَاءَ سَمْحَةٍ
 وَأَبْيَضَ غَضَبٍ مِنْ تَرَاثِ الْمَقَاوِلِ
 وَأَحْضَرْتُ عِنْدَ الْبَيْتِ رَهْطِي وَإِخْوَتِي
 وَأَمْسَكْتُ مِنْ أَثْوَابِهِ بِالْوَصَائِلِ
 أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ كُلِّ طَاعِنٍ
 عَلَيْنَا بِسُوءٍ أَوْ مُلْحٍ بِبَاطِلِ
 لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ ابْنَنَا لَا مُكَذَّبُ
 لَدَيْنَا وَلَا يَعْنَى بِقَوْلِ الْأَبَاطِلِ
 كَذَّبْتُمْ وَرَبَّ الْعَرْشِ نَبِيَّ مُحَمَّدًا
 وَلَمَّا نَطَاعِنُ عِنْدَهُ وَنُنَاضِلِ
 وَنُسَلِّمُهُ حَتَّى نُصْرَعَ دُونَهُ
 وَنَذْهَلَ عَنْ أَبْنَانِنَا وَالْحَلَائِلِ

وَيَنْهَضُ قَوْمٌ بِالْحَدِيدِ إِلَيْكُمْ
نُهُوضَ الرُّوَايَا تَحْتَ ذَاتِ الصَّلَاصِلِ
وَيَنْهَضُ قَوْمٌ نَحْوَكُمْ غَيْرَ عَزَلٍ
بِيَبِضِ حَدِيثِ عَهْدِهَا بِالصِّيَاقِلِ
وَمَا تَرُكُ قَوْمٍ لَّا أَبَالَكَ سَيِّدًا
يَحُوطُ الدَّمَارَ غَيْرَ ذَرْبِ مُوَاقِلِ
وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ
ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ
يَلُودُ بِهِ الْهَلَاكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
فَهُمْ عِنْدَهُ فِي رَحْمَةٍ وَفَوَاصِلِ
لَعْمَرِي لَقَدْ كُفِّتُ وَجِدًا بِأَحْمَدِ
وَإِخْوَتِهِ دَابَّ الْمُحِبِّ الْمُوَاصِلِ
فَمَنْ مِثْلُهُ فِي النَّاسِ أَيُّ مُؤَمِّلِ
إِذَا قَاسَهُ الْحُكَّامُ عِنْدَ التَّفَاضِلِ
حَلِيمٌ رَشِيدٌ عَادِلٌ غَيْرُ طَائِشِ
يُوَالِي إِلَهًا لَيْسَ عَنْهُ بِغَافِلِ
وَمِيزَانٌ حَقِي مَا يَعُولُ شَعِيرَةً
وَوَزَانٌ حَقِي وَزْنُهُ غَيْرُ عَائِلِ
فَوَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ أَجِيءَ بِسُبَّةٍ
تَجُرُّ عَلَيَّ أَشْيَاخِنَا فِي الْمَحَافِلِ

لَكُنَّا اتَّبَعْنَاهُ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ
مِنَ الدَّهْرِ جِدًّا غَيْرَ قَوْلِ التَّهَازُلِ
فَأَصْبَحَ فِينَا أَحْمَدُ ذُو أَرْوَمَةٍ
تُقَصِّرُ عَنْهَا سَوْرَةَ الْمُتَطَوِّلِ
حَدَّثْتُ بِنَفْسِي دُونَهُ وَحَمِيَّتَهُ
وَدَافَعْتُ عَنْهُ بِالذَّرَى وَالكَلاَكِلِ
فَأَيْدَهُ رَبُّ الْعِبَادِ بِنَضْرِهِ
وَأَظْهَرَ دِينَنَا حَقَّهُ غَيْرُ بَاطِلِ

٤١ - وَمِنَ ذَلِكَ مَا فِي غَزْوَةِ خَيْبَرَ مِنْ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ أَرْسَلَ إِلَى عَلِيٍّ وَهُوَ أَرْمَدٌ فَبَصَّقَ فِي عَيْنَيْهِ فَبَرِيءٌ كَانَ لَمْ
يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ .

٤٢ - وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَنَسٍ قَالَ جَاءَ جَبْرِيلُ إِلَى
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ جَالِسٌ حَزِينٌ قَدْ
خُضِبَ بِالِدِمَاءِ ، ضَرَبَهُ بَعْضُ أَهْلِ مَكَّةَ فَقَالَ مَالِكٌ قَالَ : فَعَلَ
هَؤُلَاءِ وَفَعَلُوا ، قَالَ : فَقَالَ لَهُ جَبْرِيلُ أَتَحِبُّ أَنْ أُرِيكَ آيَةً ؟ قَالَ
نَعَمْ فَنَظَرَ إِلَى شَجَرَةٍ مِنْ وَرَاءِ الْوَادِي فَقَالَ ادْعُ تِلْكَ الشَّجَرَةَ
فَدَعَاهَا فَجَاءَتْ تَمْشِي حَتَّى قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ مُرْهَا فَلْتَرْجِعِ إِلَى
مَكَانِهَا فَقَالَ لَهَا ارْجِعِي فَرَجَعَتْ حَتَّى عَادَتْ إِلَى مَكَانِهَا فَقَالَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَسْبِي . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيْمَانِ وَثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِيهَا وَقَوِّهَا وَأَهْلِمْنَا ذِكْرَكَ
وَشُكْرَكَ وَأَرْزُقْنَا حُبَّ أَوْلِيائِكَ وَبُغْضَ أَعْدَائِكَ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي
الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ
اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ سِرَّنَا وَعَلَانِيَتَنَا وَتَسْمَعُ كَلَامَنَا وَتَرَى مَكَانَنَا لَا يَخْفَى

عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِنَا نَحْنُ الْبُؤْسَاءُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْكَ الْمُسْتَغِيثُونَ الْمُسْتَجِيرُونَ بِكَ نَسْأَلُكَ أَنْ تُقَيِّظَ لِدِينِكَ مَنْ يَنْصُرُهُ وَيُزِيلُ مَا حَدَثَ مِنَ الْبَدْعِ وَالْمُنْكَرَاتِ وَيُقِيمَ عِلْمَ الْجِهَادِ وَيَقْمَعَ أَهْلَ الزَّيْغِ وَالْكَفْرِ وَالْعِنَادِ وَنَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَصْلٌ » ٤٣ - ومنها اطعمامه صلى الله عليه وسلم الذين يحضرون الخندق من أصحابه بتمرات قليلة ، ففي كتب السير وغيرها ان ابنة لبشير بن سعد أخت النعمان بن بشير ، قالت ، دعيتني أمي عمرة بنت رواحة فاعطتني حفنة من تمر في ثوبي ، ثم قالت أي بنية اذهبي إلى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما .

قالت : فأخذتها ، فانطلقت بها ، فمررت برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا التمس أبي وخالتي ، فقال « تعالي يا بنية ، ما هذا معك ؟ » قالت : قلت يا رسول الله هذا تمر بعثتني به أمي إلى أبي بشير بن سعد وخالتي عبد الله بن رواحة يتغديانه ، قال « هايتيه » قالت فصبته في كفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما ملأتهما .

ثم أمر بثوب فبسط له ، ثم دحا بالتمر عليه فتبدد فوق الثوب ، ثم قال لإنسان عنده « أصرخ في أهل الخندق ، أن هلم إلى القذا » فاجتمع أهل الخندق عليه فجعلوا يأكلون منه ، وجعل يزيد ، حتى صدر أهل الخندق عنه ، وأنه ليسقط من أطراف الثوب .

٤٤ - ومنها إخباره صلى الله عليه وسلم أصحابه قبل مسيرهم إلى فتح مكة وهم يتجهزون للمسير أنه يصير بينهم وبين قریش دماء قليلة ، فكان الأمر كما أخبر به صلى الله عليه وسلم ، فإنه

وَقَعَ بَيْنَ بَعْضِ كَتَائِبِهِ حِينَ دُخُولِهِمْ مَكَّةَ وَبَيْنَ قَوْمٍ مِنْ قُرَيْشٍ
فَعَدُوا بِالْخَنْدَمَةِ ، لِيَرُدُّوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِزَعْمِهِمْ عَنْ
دُخُولِ مَكَّةَ مُنَاوَشَةً قَلِيلَةً . وَقُتِلَ بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ ، وَانْهَزَمَ الْبَاقُونَ ،
وَقَدْ مَلَكَهُمْ الرُّعْبُ وَالذُّعْرُ وَجَلَّلَهُمُ الْخَوْفُ ، وَحَدِيثُهُمْ فِي خَبَرِ
الْفَتْحِ مَشْرُوحٌ .

٤٥ - وَمِنْهَا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ لَمَّا رَجَعَ
الْأَحْزَابُ خَائِبِينَ « الْآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا » فَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ ،
فَإِنَّ قُرَيْشًا بَعْدَ ذَلِكَ لَمْ يَرْجِعُوا إِلَى عَزْوِ الْمَدِينَةِ ، وَإِنْ رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَجَّهَ إِلَى مَكَّةَ عَامَ الْحَدِيثِ ، فَصَالَحُوهُ
وَهَادَنُوهُ ، ثُمَّ دَخَلَ مَكَّةَ مِنْ قَابِلٍ مَعَ أَصْحَابِهِ آمِنِينَ ، ثُمَّ فَتَحَهَا
بَعْدَ ذَلِكَ .

٤٦ - وَمِنْهَا إِخْبَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ ابْنَتَهُ فَاطِمَةَ
أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِهِ لِحُوقًا بِهِ ، فَكَانَ كَذَلِكَ ، فَإِنَّهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
تُوفِّيَتْ بَعْدَهُ بِأَرْبَعِينَ يَوْمًا ، أَوْ خَمْسَ وَسَبْعِينَ يَوْمًا ، أَوْ سِتَّةَ
أَشْهُرٍ ، عَلَى اخْتِلَافِ الرُّوَايَاتِ ، وَلَمْ يُتَوَفَّ قَبْلَهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ
بَيْتِهِ .

٤٧ - وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ عَامِرَ بْنَ الطُّفَيْلِ ، وَأَرْبَدَ بْنَ قَيْسٍ ،
وَهُوَ أَخُو لَيْدِ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَفَدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، فِي قَوْمِهِمَا مِنْ بَنِي عَامِرٍ ، فَقَالَ عَامِرٌ لِأَرْبَدَ ، إِذَا قَدِمْنَا
عَلَى مُحَمَّدٍ ، فَإِنِّي شَاغِلٌ عَنْكَ وَجْهَهُ ، فَاعْلُهُ أَنْتَ بِالسَّيْفِ ، حَتَّى
تَقْتُلَهُ ، قَالَ أَرْبَدُ أَفْعَلُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَامِرٌ يَمْشِي ، وَكَانَ رَجُلًا
جَمِيلًا ، حَتَّى قَامَ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ ، مَا لِي إِنْ أَسَلَمْتُ ، فَقَالَ لَكَ مَا لِلإِسْلَامِ ،
وَعَلَيْكَ مَا عَلَى الإِسْلَامِ ، قَالَ أَلَا تَجْعَلُنِي الْوَالِيَّ مِنْ بَعْدِكَ .

قَالَ لَيْسَ ذَلِكَ ، لَكَ وَلَا لِقَوْمِكَ ، وَلَكِنْ لَكَ أَعِنَّةُ الْخَيْلِ ،
تَغْزُو بِهَا ، قَالَ أَوْ لَيْسَتْ لِي الْيَوْمَ ، وَلَكِنْ اجْعَلْ لِي وَلَكَ
الْمَدَدَ ، قَالَ لَيْسَ ذَلِكَ لَكَ ، فَقَالَ قُمْ يَا مُحَمَّدُ ، إِلَى هَهُنَا ،
فَقَامَ إِلَيْهِ ، فَوَضَعَ عَامِرٌ يَدَهُ بَيْنَ مَنْكَبَيْهِ ، ثُمَّ أَوْمَأَ إِلَى أُرْبَدَ ، أَنْ
أَضْرِبَ ، فَسَلَّ أُرْبَدُ سَيْفَهُ ، قَرِيبًا مِنْ ذِرَاعٍ ، ثُمَّ أَمْسَكَ اللَّهُ يَدَهُ ،
فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَسْلَهُ ، وَلَا يُغْمِدَهُ .

فَالْتَفَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أُرْبَدَ ، فَرَأَاهُ
عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمَا بِمَا شِئْتَ اللَّهُمَّ اهْدِ بَنِي
عَامِرٍ ، وَاعْنِ الدِّينَ عَنْ عَامِرٍ ، فَاَنْطَلَقَا وَعَامِرٌ يَقُولُ ، وَاللَّهِ لَأَمْلَأَنَّهَا
عَلَيْكَ خَيْلًا دُهِمًا ، وَوَرْدًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَأْبَى اللَّهُ ذَلِكَ ، وَأَبْنَاءُ قَيْلَةٍ ، يَعْنِي الْأَنْصَارَ ، ثُمَّ قَالَ عَامِرٌ لِأُرْبَدَ ،
وَيْلَكَ لِمَاذَا أَمْسَكَتَ عَنْهُ ؟ فَقَالَ وَاللَّهِ مَا هَمَمْتُ بِهِ مَرَّةً ، إِلَّا
رَأَيْتُكَ ، وَلَا أَرَى غَيْرَكَ ، أَفَأَضْرِبُكَ بِالسَّيْفِ .

وَسَارَ عَامِرٌ ، فَطَرَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الطَّاعُونَ فِي عُنُقِهِ ، فَقَتَلَهُ فِي
بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي سَلُولٍ ، وَجَعَلَ يَقُولُ يَا آلَ عَامِرٍ ، غُدَّةٌ كَغُدَّةِ
الْبَعِيرِ ، وَمَوْتُ فِي بَيْتِ سَلُولِيَّةٍ ، وَانْتَهَتْ حَيَاتُهُ لَعْنَةُ اللَّهِ وَأَمَّا
أُرْبَدُ ، فَقَدِمَ عَلَى قَوْمِهِ ، فَقَالُوا مَا وَرَاءَكَ ، يَا أُرْبَدُ ، فَقَالَ وَاللَّهِ
لَقَدْ دَعَانَا مُحَمَّدٌ ، إِلَى عِبَادَةِ شَيْءٍ ، لَوَدِدْتُ أَنَّهُ عِنْدِي الْآنَ ،
فَأَرْمِيهِ بِبَنِي هَذَا ، حَتَّى أَقْتَلَهُ .

ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَ مَقَالَتِهِ ، يَوْمَ أَوْ يَوْمَيْنِ ، وَمَعَهُ جِمَالٌ لَهُ تَتَّبَعَهُ
فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ صَاعِقَةً ، فَأَحْرَقَتْهُ ، وَقِيلَ نَزَلَ فِي صَاعِقَتِهِ « هُوَ
الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا - إِلَى قَوْلِهِ - وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ
فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ » .

٤٨ - وَمِنْهَا إِطْعَامُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَنِي الْمُطَّلِبِ
بِذِرَاعِ جَزُورٍ وَعُسٍّ مِنْ لَبَنٍ ، فَقَدْ ذَكَرَ أَهْلُ الثَّقَلِ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ
عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَأَنْذَرَ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) أَمَرَ
عَلِيًّا ، فَقَالَ لَهُ « يَا عَلِيُّ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَنْذِرَ عَشِيرَتِي
الْأَقْرَبِينَ ، فَصِغْتُ بِذَلِكَ ذُرْعًا ، وَعَرَفْتُ أَنِّي مَتَى أَبَادِيهِمْ بِهَذَا
الْأَمْرِ أَرَى مِنْهُمْ مَا أَكْرَهُ ، فَصَمْتُ عَلَيْهَا ، حَتَّى جَاءَنِي جِبْرِيلُ ،
فَقَالَ لِي يَا مُحَمَّدُ إِلَّا تَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ بِهِ يُعَذِّبُكَ رَبُّكَ . فَاصْنَعْ لَنَا
صَاعًا مِنْ طَعَامٍ ، وَاجْعَلْ عَلَيْهَا رِجْلُ شَاةٍ ، وَامْلَأْ لَنَا عُسًا مِنْ
لَبَنٍ .

ثُمَّ اجْتَمَعَ لِي بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ حَتَّى أَبْلُغُهُمْ مَا أَمَرْتُ بِهِ ،
فَفَعَلْتُ مَا أَمَرَنِي بِهِ ، ثُمَّ دَعَوْتُهُمْ لَهُ ، وَهُمْ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعُونَ رَجُلًا
يَزِيدُونَ رَجُلًا أَوْ يَنْقُصُونَ ، فِيهِمْ أَعْمَامُهُ أَبُو طَالِبٍ وَحَمْرَةُ وَالْعَبَّاسُ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَأَبُو لَهَبٍ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ ، دَعَانِي بِالطَّعَامِ
الَّذِي صَنَعْتُهُ ، فَجِئْتُ بِهِ .

فَلَمَّا وَضَعْتُهُ تَنَاوَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَذْبَةً
مِنَ اللَّحْمِ فَشَقَّهَا بِأَسْتَانِيهِ ، ثُمَّ أَلْقَاهَا فِي نَوَاحِي الصَّحْفَةِ ثُمَّ قَالَ
خُذْ بِاسْمِ اللَّهِ ، فَأَكَلَ الْقَوْمُ حَتَّى مَالَهُمْ بِشْيءٍ حَاجَةٌ ، وَائْتَمَّ اللَّهُ

إِنْ كَانَ الرَّجُلُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ لِيَأْكُلَ مِثْلَ مَا قَدَّمْتُ لِجَمِيعِهِمْ

ثُمَّ قَالَ اسْقِ الْقَوْمَ ، فَجِئْتُهُمْ بِذَلِكَ الْعُسِّ ، فَشَرِبُوا حَتَّى رَوَوْا جَمِيعاً ، وَإِنَّمَا اللَّهُ أَنْ كَانَ الرَّجُلُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ لِيَشْرَبَ مِثْلَهُ .

فَلَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ ، بَدَرَهُ أَبُو لَهَبٍ فَقَالَ سَحَرَكُمُ صَاحِبُكُمْ ، فَفَرَّقَ الْقَوْمَ ، وَلَمْ يُكَلِّمَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَقَالَ الْغَدِي « يَا عَلِيُّ إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ سَبَقَنِي إِلَى مَا سَمِعْتُ ، فَفَرَّقَ الْقَوْمَ قَبْلَ أَنْ أُكَلِّمَهُمْ ، فَعُدْنَا مِنَ الطَّعَامِ مِثْلَ مَا صَنَعْتَ ثُمَّ اجْمَعُهُمْ » فَفَعَلْتُ ، ثُمَّ جَمَعْتُهُمْ ، فَدَعَانِي بِالطَّعَامِ ، فَفَرَّقْتُهُ فَفَعَلَ كَمَا فَعَلَ بِالْأَمْسِ ، فَأَكَلُوا وَشَرِبُوا .

ثُمَّ تَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِخَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَقَدْ أَمَرَنِي اللَّهُ أَنْ أَدْعُوَكُمْ إِلَيْهِ ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ مُؤَازَرَتَهُ عَلَى ذَلِكَ ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَهَذَا مِنَ الْأُمُورِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ ، أَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَى يَدَيَّ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَصَدِيقاً لَهُ .

٤٩ - وَمِنْهَا مَا ذَكَرَهُ فِي أَعْلَامِ النَّبُوَّةِ ، أَنَّ مَعْمَرَ بْنَ يَزِيدٍ وَكَانَ أَشْجَعَ قَوْمِهِ ، اسْتَعَاثَتْ بِهِ قَرِيشٌ ، وَشَكَّوْا إِلَيْهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَتْ بَنُو كِنَانَةَ تَصُدُّرُ عَنْ رَأْيِهِ ، وَتَطْبِيعُ

أَمْرَهُ ، فَلَمَّا شَكَّوْا إِلَيْهِ ، قَالَ لَهُمْ إِنِّي قَادِمٌ إِلَى ثَلَاثٍ ، وَأُرِيحُكُمْ مِنْهُ ، وَعِنْدِي عِشْرُونَ أَلْفَ مُدَجِّجٍ ، فَلَا أَرَى هَذَا الْحَيِّ ، مِنْ بَنِي هَاشِمٍ يَقْدِرُ عَلَى حَرْبِي .

وَأَنْ سَأَلُونِي الدِّيَةَ ، أُعْطَيْتُهُمْ عَشْرَ دِيَّاتٍ ، فَفِي مَالِي سَعَةٌ وَهُوَ مَشْهُورٌ بِالشَّجَاعَةِ ، وَالبَّاسِ ، فَلَبَسَ يَوْمَ وَعَدِهِ قُرَيْشًا سِلَاحَهُ ، وَظَاهَرَ بَيْنَ دِرْعَيْنِ ، فَوَافَقَهُمْ بِالحَطِيمِ ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الحِجْرِ يُصَلِّي ، وَقَدْ عَرَفَ ذَلِكَ ، فَمَا التَفَّتْ ، وَلَا تَزَعَزَعَتْ ، وَلَا قَصَرَ فِي صَلَاةٍ .

فَقَبِلَ لَهُ هَذَا مُحَمَّدٌ سَاجِدٌ ، فَأَهْوَى إِلَيْهِ . وَقَدْ سَلَّ سَيْفَهُ ، وَأَقْبَلَ نَحْوَهُ فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ رَمَى بِسَيْفِهِ ، وَعَادَ ، فَلَمَّا صَارَ إِلَى بَابِ الصُّفَا ، عَثَرَ فِي دِرْعِهِ ، فَسَقَطَ ، فَقَامَ وَقَدْ أَدْمَى وَجْهَهُ بِالحِجَارَةِ ، يَعْدُو كَأَشَدِّ العَدُوِّ ، حَتَّى بَلَغَ البَطْحَاءَ ، مَا يَلْتَفِتُ إِلَى خَلْفِ ، فَاجْتَمَعُوا وَغَسَلُوا ، عَنْ وَجْهِهِ الدَّمَ ، وَقَالُوا : مَاذَا أَصَابَكَ ، قَالَ وَيْحَكُمْ ، المَغْرُورُ مَنْ غَرَّرْتُمُوهُ ، قَالُوا مَا شَأْنُكَ قَالَ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ ، دَعُونِي تَرْجِعْ إِلَيَّ نَفْسِي فَتَرْكُوهُ ، سَاعَةً ، وَقَالُوا مَا أَصَابَكَ يَا أَبَا اللَيْثِ ، قَالَ إِنِّي لَمَّا دَنَوْتُ مِنْ مُحَمَّدٍ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَهْوَى بِسَيْفِي إِلَيْهِ ، أَهْوَى إِلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَأْسِهِ شُجَاعَانِ ، أَفْرَعَانِ ، يَنْفَخَانِ بِالنِّيرَانِ ، تَلْمَعُ مِنْ أَبْصَارِهِمَا ، فَعَدَوْتُ فَمَا كُنْتُ لِأَعُودَ ، فِي شَيْءٍ مِنْ مَسَاءَةِ مُحَمَّدٍ .

٥٠ - قَالَ وَمِنْ أَعْلَامِهِ :

أَنْ كِلْدَةَ بْنِ أَسَدٍ أَبَا الْأَشَدِّ ، وَكَانَ مِنَ الْقُوَّةِ بِمَكَانٍ ، خَاطَرَ
قُرَيْشًا يَوْمًا فِي قَتْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَعْظَمُوا لَهُ
الْخَطَرَ ، إِنَّهُ هُوَ كَفَاهُمْ ، فَرَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فِي الطَّرِيقِ يُرِيدُ الْمَسْجِدَ ، مَا بَيْنَ دَارِ عَقِيلٍ وَعِقالٍ ، فَجَاءَ
كِلدَةَ ، وَمَعَهُ الْمِزْرَاقُ ، فَجَرَعَ الْمِزْرَاقُ فِي صَدْرِهِ ، فَجَرَعَ فَرْعًا ،
فَقَالَتْ لَهُ قُرَيْشٌ مَالِكَ يَا أَبَا الْأَشَدِّ ، فَقَالَ وَيْحَكُمْ ، مَا تَرَوْنَ
الْفَحْلَ خَلْفِي ، قَالُوا لَا مَا نَرَى شَيْئًا ، قَالَ وَيْحَكُمْ فَإِنِّي أَرَاهُ ، فَلَمْ
يَزَلْ يَعْدُو حَتَّى بَلَغَ الطَّائِفَ ، فَاسْتَهَزَّتْ بِهِ ثَقِيفٌ ، فَقَالَ أَنَا
أَعْدِرُكُمْ ، لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُمْ لَهَلَكْتُمْ .

القصيدة الوعظية

لَيْسَ الْمُقَامُ بَدَارِ الدُّلِّ مِنْ شِيَمِي
وَلَا مُخَالَطَةُ الْأَرْدَالِ تَصْلُحُ لِي
يَا سَائِلِي عَنْ عُلُومٍ لَيْسَ يَفْهَمُهَا
إِنَّ الْوَعِظِي لُهُ فِي الشَّعْرِ نَافِلَةٌ
خَيْرُ الصَّنَائِعِ تَقْوَى اللَّهِ فَاتَّقِهِ
وَالْوَالِدَيْنِ فَلَا تَنْهَرُهُمَا أَبَدًا
قَدْ طَالَ مَا سَهَرْتَ بِاللَّيْلِ أَعْيُنَهُمْ
ثُمَّ الصَّلَاةُ الَّتِي بَيْنَ الْفَتَى صَلَّةٌ
أَدِّ الزَّكَاةَ عَنِ الْأَمْوَالِ تَغْسِلُهَا
وَالصَّوْمُ فَرَضٌ مِنَ الرَّحْمَنِ أَوْجِبُهُ
وَالْحَجُّ فَرَضٌ عَلَى الْإِسْلَامِ كُلِّهِمْ
وَلَا مُعَاشِرَةُ الْأَوْبَاشِ مِنْ هِمِّي
كَذَلِكَ الْبَازُ لَا يَأْوِي إِلَى الرَّحِمِ
إِسْمَعْ كَلَامًا كَنْظِمُ الدُّرَّ مُحْتَكِمِ
يَحَارُ فِيهَا ذَوُو الْأَبَابِ وَالْفَهْمِ
يَكْفِيكَ فِي الْحَشْرِ مَا تَخْشَى مِنَ النَّدَمِ
قَدْ رَبَّيَاكَ صَغِيرًا غَيْرَ مُنْقَطِمِ
خَوْفًا عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللَّهِ لَمْ تَنِمِ
وَبَيْنَ خَالِقِهِ تَنْهَى عَنِ الْأَثْمِ
كَالثُّوبِ يُغْسَلُ أَوْ يُنْفَى مِنَ الدَّسَمِ
عَلَى الْعِبَادِ فَمَنْ أَدْرَكَهُ فَلْيَصُمْ
مَنْ لَمْ يَحْجْ كَمَنْ صَلَّى وَلَمْ يَصُمْ

مَنِ اسْتَطَاعَ عَلَى زَادٍ وَرَاحِلَةٍ
 فَإِنْ حَاجَبَتْ أَحْفَظْنَهَا كَيْ تَفُوزَ بِهَا
 وَلَا تُضَيِّعَهَا تَصَلَّى لَهَيْبَ لَطْفِي
 وَكَمْ أَصَابَكَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ عَطَشٍ
 وَفِي الْجِهَادِ ثَوَابٌ إِنْ صَاحَبَهَا
 وَإِنْ ظَلَمْتَ فَمَشْكُورٌ وَمُفْتَحِرٌ
 فَأَبْشِرْ بِجَنَاتٍ عَدْنٍ غَيْرِ فَانِيَةٍ
 وَالْعِلْمُ أَفْضَلُ مَطْلُوبٍ فَطَالِبُهُ
 قَدْ شَرَّفَ اللَّهُ أَهْلَ الْعِلْمِ وَافْتَحَرُوا
 وَالْكَيْلَ أَوْفَى وَلِلْمِيزَانِ أَرْجِحُهُ
 وَأُمِرَ بِأَهْلِكَ يَا هَذَا وَحَضَّتْهُمْ
 وَاجْهَرُ بِخَيْرٍ إِذَا مَا مَعَشَرَ حَضَرُوا
 مَنْ طَابَ مَوْلَدُهُ طَابَتْ مَحَاضِرُهُ
 وَلِلْبَنِينَ حُقُوقٌ لَا تُضَيِّعُهَا
 وَحُضَّتْهُمْ بِأَدِيبٍ فَاصِلٍ فَهَمُ
 وَأَقْرَأَهُمُ النَّحْوَ وَالشُّعْرَ الْفَصِيحَ فِيهِ
 وَالضَّيْفَ أَكْرَمُهُ إِنْ الضَّيْفَ مُرْتَجِلُ
 لَيْسَ الْكِرَامَةُ فِي طِيبِ الطَّعَامِ لَهُ
 بَلِ الْكِرَامَةُ أَنْ تَلْقَاهُ مُتَسِمًا
 أَوْ صَيْكَ بِالرُّمُحِ وَالسَّيْفِ الصَّقِيلِ فِيهِ
 وَسَابِقِ الْخَيْلِ أَكْرَمُهَا مُحَافِظَةٌ
 وَلَا تَوَا كُلَّ إِمَارَةٍ تَقُومُ بِهَا
 وَإِنْ مَلَكَتْ فَكُنْ بِالْعَدْلِ مُتَزِرًا

وَمَسْلَكَ آمِنٍ مِنْ سَائِرِ الْأَمَمِ
 وَادْكُرْ مَسِيرَكَ مِنْ طَامٍ إِلَى أَكْمِ
 وَتَحْرَمُ الشُّرْبَ مِنْ حَوْضِ لِكُلِّ ظَمٍ
 وَكَمْ تَعِبْتَ وَكَمْ جَاوَزْتَ مِنْ إِضْمٍ
 فِي الْخَيْرِ وَالْحَوْرِ مَقْصُورٍ مَعَ الْخَيْمِ
 وَإِنْ قَتَلْتَ جَزَاكَ اللَّهُ بِالنَّعَمِ
 إِنْ أَنْتَ مَتَّ شَهِيداً غَيْرَ مُنْهَزِمٍ
 يَتَأَلَّ ذُنُوباً وَدِيناً غَيْرَ مُتَهِمٍ
 بِأَنْتَهُمْ أَمْنَاءُ اللَّهِ فِي الْأَمَمِ
 كَمْ أَهْلَكَ اللَّهُ فِي هَذَيْنِ مِنْ أَمَمٍ
 عَلَى الصَّلَاةِ فَفِيهَا كُلُّ مُعْتَمَمٍ
 وَأَنْطِقْ بِخَيْرٍ تَنَالُ حُسْنَ خَيْرِهِمْ
 كَذَاكَ قَدْ قِيلَ فِي بَيْتٍ مِنَ الْقَدَمِ
 حَالَ كَرِيمٍ وَإِسْمٌ غَيْرُ مُنْعَجِمٍ
 فَأَفْضَلُ الْخَلْقِ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْكَرَمِ
 ذَاكَ فَضِيلَةٌ لَيْسَ الْفَضْلُ لِلْعَجَمِ
 يُشْنِي عَلَيْكَ بِمَا أُوتِيَتْ مِنْ كَرَمٍ
 وَلَا تَكُلَّفُ مِنْ لَحْمٍ وَمَنْ أَدَمُ
 لِأَخِيرٍ عِنْدَ مُضَيِّفٍ غَيْرِ مُتَسِمِ
 هَذَيْنِ عِزٌّ وَمَجْدٌ غَيْرُ مُنْهَمِ
 فَإِنَّهَا عُدَّةٌ لِلْمَاجِدِ الْفَهْمِ
 عِنْدَ الْعَلِيقِ وَلَا وَغْدًا مِنَ الْخَدَمِ
 وَاحْذَرِ سِيَهَامَ الدُّجَى فِي حِنْدَسِ الظُّلَمِ

إِجَابَةُ بَرِّوَالِ الْمُلْكِ وَالْوَعْدِ
 وَالْبَدَلِ جَارِيهِ بِالتَّأْدِيبِ وَالْكَرَمِ
 بِكَ الْمَرَاتِبِ لَا تَأْمَنُ مِنَ التَّقَمِ
 هُمْ يُتْبِعُونَكَ لَهُمْ فِي سَائِرِ الْأَخْدَمِ
 مَا كُنْتَ تَصْنَعُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ كَلِمِ
 عَوَاقِبِ الْبَغْيِ لَا تُبْقِي وَلَا تُدِمِ
 لَا خَيْرَ فِي الْمَنْزِلِ الْمُسْتَوْبِلِ الْوَجِيمِ
 وَالرِّزْقِ يَأْتِي لِمَنْ يَسْعَى وَمَنْ يَقِمِ
 طَوْلًا وَعَرْضًا وَمَا صَنَعَتْ لِمُقْتَحِمِ
 عَنْ وَدِّهِ وَبَدَأَ بِالصَّدِّ وَالصَّمِ
 لَيْسَتْ مُعَاشِرَةُ الْأَرْذَالِ بِاللَّزِمِ
 بَعْدَ الْجَمِيلِ بِوَجْهِ عَابِسٍ وَخِمِ
 وَالرَّبْحِ مِنْ وَجْهِ حِلِّ غَيْرِ مُنْتَهِمِ
 إِلَّا بِحِطِّ شُهُودٍ يُقْتَدَى بِهِمْ
 نِعَمَ الصِّدِّيقِ وَلَا يُخْشَى مِنَ الْعُلَمِ
 فَإِنَّ حُسْنَ الْوَفَا مَقْرُونٌ بِالْكَرَمِ
 وَعِنْدَ وَقْتِ الْقَضَائِ فِيهِ بِالْكَطَمِ
 وَلَا تَذُمَّهُ فِي الْعُسْرِ وَالْعُلَمِ
 وَصِلْ قَرَابَتَهُ فِي اللَّهِ وَالرَّحِمِ
 مُطَّلِعِ الرَّأْسِ عَارِ مُحْتَشِمِ
 تَعَزُّوبِهِ النَّفْسِ وَالْأَمْوَالِ وَالْهَمَمِ
 بِالسِّيفِ وَالرُّمْحِ وَالْأَمْوَالِ وَالْفُهَمِ
 فَكُنْ عَلَيْهِمْ كَمِثْلِ الْوَالِدِ الرَّحِمِ

فُرْبٌ دَعْوَةٌ مَظْلُومٍ تُصَادِفُهَا
 وَاحْفَظْ نَصِيحَةَ مَنْ تَنْفَعُ نَصِيحَتُهُ
 وَإِنْ دَنَوْتَ مِنَ السُّلْطَانِ وَارْتَفَعَتْ
 إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا حُبُّوكَ وَاجْتَهَلُوا
 وَإِنْ جَفَوْتَ سَقُوكَ السُّمَّ وَاحْتَقَرُوا
 وَاحْذَرْ مِنَ الْبَغْيِ إِنَّ الْبَغْيَ مَنْقَصَةٌ
 وَإِنْ نَبَا مَنْزِلٌ يَوْمًا فَفَارِقُهُ
 أَرْضٌ بِأَرْضٍ وَإِخْوَانٌ بِمِثْلِهِمْ
 وَانْهَضْ فَإِنَّ بِلَادَ اللَّهِ وَاسِعَةٌ
 وَإِنْ تَغَيَّرَ يَوْمًا مَنْ تُصَاحِبُهُ
 فَلَا تُعَاتِبُهُ يَوْمًا بَلْ فَفَارِقُهُ
 لَا خَيْرَ فِي صَاحِبِ تَبْدُو قَبَائِحُهُ
 وَاعْلَمْ بِأَنَّ الرَّبَّاءَ فِي الْمَالِ يَمْحَقُهُ
 وَلَا تُعَامِلْ لِمَخْلُوقٍ مُعَامِلَةً
 وَلِلدَّرَاهِيمِ فِي الْحَاجَاتِ مَنَفَعَةٌ
 وَإِنْ تَدَايَنْتَ دَيْنًا لَا تَكُنْ مَطْلًا
 أَتَأْخُذُ الدِّينَ حُلُومًا عِنْدَ حَاجَتِهِ
 لَا تَحْمَدَنَّ أَمْرًا حَتَّى تُجَرِّبَهُ
 وَإِبْنَ عَمِّكَ لَا تَقْطَعْ مَوَدَّتَهُ
 وَإِنْ أَتَاكَ إِذَا نَابَتْكَ نَائِبَةٌ
 فَذَلِكَ أَفْضَلُ مِنْ أَخٍ وَمِنْ وَلَدٍ
 وَالْمَجْدُ لَا يَنْبَغِي إِلَّا بِأَرْبَعَةٍ
 وَإِنْ تَقَدَّمْتَ يَاهَذَا عَلَى نَفَرٍ

وَإِنْ عَصَوْكَ فَفَارِقْهُمْ وَلَا تَقِم
 فَالْعُدْرُ يُقْبَلُ عِنْدَ السَّيِّدِ الْحَثِيمِ
 وَلَوْ أَفَادَكَ بِالذَّيَاتِ وَالْخِدْمِ
 وَمَنْ يُوَاسِيكَ عِنْدَ الْعُسْرِ وَالْعُدْمِ
 بِخَيْلِ قَوْمٍ وَضِيْعٍ غَيْرِ مُحْتَسِمِ
 كَانَ شِدْقِيهِ مَنفُودَيْنِ بِالْوَرَمِ
 يَلْقَاكَ وَالْوَجْهَ بِسَامٍ بِلَا قَتْمِ
 مَعَ الْبَشَاشَةِ وَالْأَرْزَاقِ بِالْقِسْمِ
 فَالْوَعْدُ ذَيْنَ عَلَى ذِي نَحْوَةٍ لَزِمِ
 فَالصِّدْقُ يُنَجِّيكَ عِنْدَ اللَّهِ وَالْأَمَمِ
 وَإِنْ تَحَدَّثَ صِدْقًا بِالثَّهَمِ
 وَعَلِمَ بِأَنْتُهُمَا فِي أَكْبَرِ الْأَمَمِ
 وَالسَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْحِكْمِ
 فَالْبُعْدُ أَسْلَمُ لِلْأَعْنَاقِ وَالْهَمَمِ
 وَإِنْ تَبَاعَدَ عَنْهَا فَازَ بِالسَّلَامِ
 وَكُنْ غَيْرًا وَلَا تَفْسَحْ لَهَا قَدَمِ
 وَلَا الْخُرُوجَ مَعَ الذَّيَاتِ وَالْخِدْمِ
 وَخُذْ سِوَاهَا وَلَا تَعْتَادُ بِالتَّدَمِ
 أَرْلَتْهُ زَالَ عَنكَ الْبَاسُ وَالْأَلَمِ
 فَالذُّبُ لَيْسَ بِمَأْمُونٍ عَلَى الْغَنَمِ
 يَوْمًا وَحَازِرُ ذَوَاتِ الْمَكْرِ وَالثَّهَمِ
 يَحْفَظُنْ عَهْدًا وَلَا يُوفِينِ بِالذَّمِ
 وَلَا أَمِينٌ فَلَا تَصْنَعُوا لِكَيْدِهِمْ

واطلب رضاهم إذا طاعوك واجتهدوا
 وأقبل معاذير من آثاك معتذراً
 ما كل من ولدته الأم قيل أخ
 أخوك في الناس من واثاك فاحفظه
 وإن مدحت فلا تهدد القريض إلى
 إن جئت تقصده أرخى مشافره
 إقصد بمدحك ذا فضل وذا كرم
 يكفيك منه قليل أنت قابله
 وإن وعدت فأوف ما وعدت به
 وصدق فإن حديث الصدق مكرمة
 وللكذوب عيوب إن صاحبها
 ولا تفرط في جارٍ ولا نسب
 والسيف والرُمح مَقْرُونَانِ فِي قَرْنِ
 وَإِنْ حَشِيتَ مِنَ السُّلْطَانِ نَائِبَةً
 فَالنَّارُ تُحْرِقُ مَنْ يَدْنُو بِجَانِبِهَا
 وَإِنْ تَزَوَّجْتَ يَاهَذَا فَكُنْ حَفِظًا
 وَلَا تُمَكِّنْهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا
 وَإِنْ ظَنَنْتَ بِهَا سُوءًا فَطَلِّقْهَا
 فَلْمَرَأَةُ السُّوءُ كَالضَّرْسِ الْعَلِيلِ فَإِنْ
 وَاحْتَزَرَ عَجُوزًا تُوَلِّيَهَا عَلَى حُرْمِ
 وَلَا تُحَادِثْكَ الْأَنْثَى فَتَأْمَنَهَا
 هُنَّ الْكَوَادِبُ لِأَقْوَلِ لَهْنٍ وَلَا
 مَا فِي الرِّجَالِ عَلَى النَّسْوَانِ مِنْ ثِقَةٍ

يَأْمَنُ يُخَالِطُ فِي أُتْنَىٰ وَفِي ذَكَرٍ
هَلْ تَأْمَنُ النَّارَ إِنْ أَوْدَعْتَهَا حَطْبًا
وَأَعْلَمُ بَأَنَّ النَّسَاءَ أَصْحَابُ مَيْسِرَةٍ
إِذَا دَعَتْهُنَّ أَغْرَاضٌ لَّهُنَّ فَلَا
وَأَعْلَمُ بَأَنَّ الزُّنَا عَارٌ وَمَنْقَصَةٌ
وَفِي الْحَلَالِ مِنَ الرَّحْمَنِ مَغْفِرَةٌ
لَا تَقْتُلِ النَّفْسَ وَالرَّحْمَنُ حَرَمُهَا
وَأَعْلَمُ بَأَنَّ إِلَهَ الْعَرْشِ مُطَّلَعٌ
لَا يَرْجِعُ السَّهْمُ يَوْمًا إِنْ رَمَيْتَ بِهِ
وَإِنْ بَدَأَتْ بِخَيْرٍ لَا تَمُنْ بِهِ
فَالْمَنُ يُفْسِدُ مَا تُبِيدُهُ مِنْ كَرَمٍ
وَمَنْ بَدَأَ لَكَ مَعْرُوفًا فَعَارِضُهُ
وَأَعْلَمُ بَأَنَّ جَمِيعَ الْمَالِ عَارِيَةٌ
وَاللَّوْدِيَّةُ حَقٌّ لَا تُضَيِّعُهَا
هِيَ الْأَمَانَةُ أُعْطِيَهَا لِصَاحِبِهَا
وَإِنْ شَهِدْتَ بِشَيْءٍ لَا تُضَيِّعُهُ
إِنَّ الشَّهَادَةَ فَرَضَ لَيْسَ يَكْتُمُهَا
وَلَا تُصَاهِرُ بِخِيَالًا فِي عَشِيرَتِهِ
وَإِنْ حَطَبْتَ فَلَا تَحْطُبْ وَإِنْ حَسَنْتَ
إِيَّاكَ تَشْتُمُ وَلَا تَبْدُو بِفَاحِشَةٍ
لَا تَرُ كَنْنٌ إِلَىٰ بَيْتِ الزُّنَاةِ وَلَوْ
وَلَا تُعْرَنُكَ سَوْدَاءُ فَتَوَدَّعُهَا
وَإِنْ جَمَعْتَ نِسَاءً لَا تُضَارِرُهُنَّ

إِذَا خَلَا بِهِمَا إِبْلِيسُ فِي الظُّلَمِ
كَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ فِي طَلْحٍ مِنَ الرَّثَمِ
لَا يَسْتَحِينُ وَلَا يَصْبِرُنَّ لِلْعُدْمِ
يَفْرِقُنَّ بَيْنَ كَرِيمِ الْجَدِّ وَاللَّمَمِ
فِي الدِّينِ وَالْمَالِ وَالْأَهْلِينَ وَالْحُرْمِ
يَصُونُ عِرْضَكَ مِنْ لَوْمٍ وَمِنْ إِثْمِ
كَمِثْلٍ تَحْرِيمِهِ لِلْبَيْتِ وَالْحَرَمِ
عَلَيْكَ وَاحْذَرْ مِنَ الْجَبَّارِ وَاحْتَشِمِ
كَالِدَّرِّ لَيْسَ بِمَرْدُودٍ إِلَى الْحُلْمِ
وَكَنْ بِخَيْرِكَ بَيْنَ النَّاسِ مُحْتَشِمِ
إِنَّ الْعَطَا وَالسَّخَامِينَ أَفْضَلُ الشِّيمِ
شُكْرًا كَشُكْرِ نَبَاتِ الْأَرْضِ لِلدَّيْمِ
وَقَتًّا يَكُونُ وَوَقْتًا عَنْكَ مُنْهَزِمِ
إِنَّ الْوَفَى حَسَنٌ فِي سَائِرِ الْأُمَمِ
تَنَالُ دِينًا وَتَنْجُو مِنْ أَدَى التُّهْمِ
وَاصْدُقْ بِقَوْلِكَ بَيْنَ الْخَصْمِ وَالْحَكَمِ
إِلَّا لَيْمٌ قَلِيلُ الدِّينِ ذُو تَهْمِ
وَلَوْ أَتَاكَ بِمَالِ الْفَارَسِ السَّلَمِ
إِلَّا كَبِيرَةٌ بَيْتِ غَيْرِ مُتَهْمِ
لِوَالِدَيْكَ وَابْتَدُلْ طَيْبَ الْكَلِمِ
جَاءَتْ بِمَالِ جَزِيلٍ وَاحْذَرِ قَطَعَتِ الرَّحِمِ
جَوَاهِرُ الصُّلْبِ لَيْسَ الثُّورُ كَالظُّلَمِ
فِيئَهُنَّ وَدِيْعَاتٌ لِيذَى كَرَمِ

فَمَنْ تُطِيعَكَ أَكْرَمَهَا وَإِحْفَظَهَا
 إِيَّاكَ إِيَّاكَ قَذَفَ الْمُحْصَنَاتِ بِلَا
 وَلَا تَجَرَّ عَلَى الْمَمْلُوكِ تَضْرِبُهُ
 وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ مِنْ ذَنْبِ خَلَوْتَ بِهِ
 وَاحْفَظْ وَصِيَّةَ مَنْ وَصَّاكَ مُجْتَهِدًا
 وَإِنْ هَمَمْتَ بِقَوْمٍ أَنْ تُجَاوِرَهُمْ
 مَعْرُوفٍ بِالْخَيْرِ مَأْمُونًا عَوَاقِبُهُ
 لَا خَيْرَ فِي الْجَارِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ تَقِي
 مَا أَقْبَحَ الْجَارِ إِذْ يَزْنِي بِجَارَتِهِ
 وَانْتَمَّ أَحَادِيثَ سِرٍّ أَنْ تُبَرِّزَهَا
 وَالصَّمْتُ أَجْمَلُ ثَوْبٍ أَنْتَ لَا بَسُّهُ
 وَالْحُرُّ أَوْلَى بِسِرِّ النَّاسِ يَكْتُمُهُ
 وَإِنْ كَسَاكَ كَرِيمٌ مِنْ صَنَائِعِهِ
 وَإِنْ حَظَيْتَ بِجَاهٍ لَا تَشُحُّ بِهِ
 وَافْعَلْ جَمِيلًا إِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا
 وَلَا تُشَاوِرْ وَإِنْ نَابَتْكَ نَائِبَةٌ
 لَا تَنْهَرَنَّ يَتِيمًا مَاتَ وَالِدُهُ
 وَإِنْ أَتَى سَائِلًا يَوْمًا فَاطْعِمُهُ
 وَلَا غَرِيبًا بَعِيدَ الدَّارِ مُنْفَرِدًا
 إِيَّاكَ لَا تَنْهَرُهُ إِنْ لَجَّ فِي طَلَبِ
 إِنْ الْغَرِيبَ ذَلِيلٌ أَيُّمَا سَلَكَتْ
 إِنْ مَاتَ يَوْمًا فَلَا تُبْكِيهِ بِأَكِيَّةِ
 وَإِنْ دُعِيَتْ إِلَى قَوْمٍ لِتُصَلِّحَهُمْ

وَمَنْ عَصَيْتَكَ فَفَارِقْهَا وَلَا تُقِمِ
 ذَنْبٍ فَتُصْبِحَ فِي بَحْرِ مِنَ الْأَثَمِ
 وَأَحْسِنِ إِذَا كُنْتَ ذَا حُسْنٍ وَذَا كَرَمِ
 فَاللَّهُ يَنْظُرُهُ فِي حِنْدَسِ الظُّلَمِ
 وَخُذْ قَصِيدًا كَنْظِمِ الدُّرَّ مُحْتَكِمِ
 قَسَلْ عَنِ الْفَاضِلِ الْمَعْرُوفِ بِالْكَرَمِ
 لَا يُنْكِرُ الْجَارِ إِلَّا مَعَشَرَ الْيَوْمِ
 عَنِ الْعَزِيزِينَ مِنْ مَالٍ وَمِنْ خَدَمِ
 فِي جُنْحِ لَيْلٍ وَلَوْ كَانَتْ مِنَ الْخَدَمِ
 فَكَاتِمِ السِّرِّ مَأْمُونٌ مِنَ النَّدَمِ
 كَمْ هَامَةٌ قُطِعَتْ مِنْ عَثْرَةٍ بِفَمِ
 بَعْدَ الثَّلَاثَةِ مَا سِرٌّ بِمُكْتَمِ
 ثَوْبًا فَأَنْشِرُهُ فِي سَائِرِ الْأَمَمِ
 يَوْمًا عَلَى عُرْبٍ لَا لَا وَلَا عَجَمِ
 فَالْمَالُ يَفْنَى وَلَا خَيْرٌ بِمُنْصَرِمِ
 إِلَّا نَصُوحًا شَفِيقًا غَيْرَ مُتَّهِمِ
 إِنْ الْيَتِيمَ ضَعِيفَ الْقَلْبِ ذُوَالْمِ
 مِمَّا رُزِقَتْ بِوَجْهِهِ غَيْرِ مُنْقَطِمِ
 عَنِ الْأَجْبَةِ وَالْأَهْلِينَ مُنْصَرِمِ
 ادْفَعْ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَيْلًا بِلَا نَدَمِ
 بِهِ الرُّكَّابُ غَزِيرُ الدَّمْعِ مُنْسَجِمِ
 وَلَا تُعَلِّلُهُ الْأَوْصَافُ مِنْ سَقَمِ
 فَانْهَضْ فَإِنَّكَ مَا جُورٌ بِصُلْحِهِمْ

بِقَوْلِكَ الْحَقِّ أَوْ بِالصَّارِمِ الْحَكَمِ
 فَالْخَوْفُ مُمْتَرِجٌ فِي لَحْمِهِ وَاللِّدْمُ
 كَانَتْ مَنِيئَتُهُ فِي أُصْغَرِ اللَّقْمِ
 حَتَّى يُصْبَحَ مَضْرُوراً مِنَ الْبَثْمِ
 وَالْعَسَلُ مِنْ بَعْدِهِ حِرْزٌ مِنَ اللَّمَمِ
 كَمْ مِنْ مُزَاجٍ دَعَا لِلشَّرِّ وَالشَّتْمِ
 وَلَا يَخَادِعُكَ بِالْإِيمَانِ وَالْقَسَمِ
 وَأَنْظُرْ بِقَلْبِكَ إِنْ الْقَلْبَ غَيْرِعِمِ
 فَبَاتَ مُرْتَهناً فِي لَحْفٍ مُنْتَقِمِ
 فَاحْذَرْ صَدِيقَكَ الْفَأْ لَا تَكُنْ دَهْمِ
 فَصَارَ يَخْبِرُ بِالْأَسْرَارِ لِلتَّقَمِ
 فِي النَّائِبَاتِ وَكُنْ بِاللَّهِ مُعْتَصِمِ
 وَلَا يُقَاسُ قَوِيُّ الْقَلْبِ بِالْهَرَمِ
 وَفِي الشَّدَائِدِ يَأْتِي غَيْرَ مُبْتَسِمِ
 يَغْرُكَ الدَّهْرُ فِي أَعْدَائِكَ الْقَدَمِ
 لَا بُدَّ مِنْ أَثَرِ السَّيْفِ كَالْقَلَمِ
 بِالْعَدْلِ وَقُطِعَ جَمَالَ الْحِلْفِ وَأَنْصَرِمِ
 وَلَا يَغْرُوكَ الشَّيْطَانُ فِي الْقَسَمِ
 بِلَافِعَاءِ مَسْكِنًا لِلْيَوْمِ وَالرَّحِمِ
 وَخُذْ قَصِيداً كَنْظِمَ الدُّرَّ مُحَبِّبِكِمْ
 أَشْعَارُهُ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ
 أَرَيْتَ شِعْرِي مُنِيفَ الْجَدِّ كَالْعَلَمِ
 وَلَا يُؤَلَّفُهَا أَوْ يَنْطِقُ الصَّمَمِ

وَإِنْ دَعَا بِكَ مَظْلُومٌ فَأَنْصِرْهُ
 وَإِنْ أَتَاكَ مَخِيفُ الْقَلْبِ أَمْنَهُ
 وَلَا تَكُنْ شَرِّهَا فِي الْأَكْلِ كَمْ شَرِّهِ
 وَكَثْرَةُ الْأَكْلِ تُؤْذِي جِسْمَ صَاحِبِهَا
 وَغَسَلُ قَبْلَ صَعَامِ الْأَكْلِ فِيهِ غِنَى
 وَكَثْرَةُ الْمَرْحِ مَذْمُومٌ عَوَاقِبُهَا
 وَاحْذَرْ عَدُوَّكَ لَا تَرْكُنْ لَهُ أَبَداً
 وَكُلَّمَا زَادَ إِحْسَاناً فَأَبْعَدَهُ
 كَمْ مِنْ عَدُوٍّ رَمَى بِالْإِلْفِ صَاحِبَهُ
 وَإِنْ حَذَرْتَ عَدُوًّا مِنْكَ وَاحِدَةً
 فَرُبَّمَا انْقَلَبَتْ يَوْماً صَدَاقَتُهُ
 وَلَا تُصَادِقْ صَدِيقاً لَمْ تُجَرِّبُهُ
 فَمَا صَدِيقُ الرَّخَا وَالنَّائِبَاتِ سِوَى
 كَمْ مِنْ صَدِيقٍ ضَحُوكِ السَّنِّ مُبْتَسِمِ
 وَلَا تُصَادِقْ مَنْ عَادَى أَبَاكَ وَلَا
 لَا يَنْجَلِي صَارِمٌ فِي جَنْبِهِ حُرْبٌ
 وَلَا تَخَالِفْ قَوْماً إِنَّهُمْ عُرْفُوا
 لَا تَجْرَأَنَّ أَنْ عَلَى الْإِيمَانِ كَاذِبَةٌ
 وَأَعْلَمُ بَانَ دِيَارَ الْحَالِفِينَ تَرَى
 وَحَفِظْ وَصِيَّةَ مَنْ أَوْصَاكَ مُجْتَهِداً
 قَوْلُ الْهُمَامِ الْوُعَيْطِيِّ الَّذِي شَهَرَتْ
 إِنَّ الْقَصَائِدَ جَلَّتْ فِي مَفَاخِرِهَا
 مَا قَالَ مِثْلَ قَصِيدِي شَاعِرٌ أَبَداً

أَلْفَتْ جَوَاهِرَهَا كَالدَّرِّ مُحْتَكِمًا
 مَاقَالَ شَاعِرٌ قَوْمٍ مِثْلَهَا أَبَدًا
 وَدِيَعَتِي لِلْمَنَايَا سَوْفَ يَطْرُقُهَا
 يَارَبِّ يَارَبِّ يَارْحَمُنْ فَارْحَمْنَا
 وَاعْفِرْ ذُنُوبَ الْوَعِيظِي إِنَّهُ رَجُلٌ
 قَصَدْتُ بِأَبْكَ يَارْحَمُنْ فَارْحَمْنَا
 رَبِّي قَدِيرٌ رَحِيمٌ وَاحِدٌ أَحَدٌ
 وَوَارِثُ الْأَرْضِ لَا يَدُّ يُعَانِدُهُ
 مُخِي الْقُلُوبَ وَمُنْشِئُهَا وَرَارِقَهُمْ
 وَبَاعِثُ الْخَلْقِ لِلْمِيقَاتِ أَجْمَعِهِمْ
 وَجِيءَ بِالْجِنَّةِ الْعُلْيَا مُزْحَرَفَةً
 وَلِلصِّرَاطِ وَالْمِيزَانِ إِذْ نُصِبَا
 وَلِلصَّحَائِفِ أَهْوَالٍ إِذَا نُشِرَتْ
 يَا لَيْتَ شِعْرِي وَلَيْسَ الدَّهْرُ يُخْبِرُنِي
 لَكِنْ ظَنِّي بِرَبِّي أَنَّهُ مَلِكٌ
 مَوْلَايَ مَوْلَايَ لَارَبِّ سِوَاكَ فَعَفُ
 ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الْمُخْتَارِ سَيِّدِنَا
 بَأَنْتَ مَحَاسِنُهَا بِالْوَعِظِ وَالْحِكْمِ
 أَوْ يَنْطِقُ الْحَجَرُ الْمَنْعُوتُ بِالصَّمَمِ
 وَالْمَوْتُ حَتْمٌ وَعِنْدَ اللَّهِ مُحْتَكِمِي
 بِصَبْوَةٍ شَابَ مِنْهَا الرَّأْسُ وَاللَّمَمِ
 عَاصِي وَمُعْتَرِفٌ بِالذَّنْبِ مُجْتَرِمِ
 وَاصْفَحْ بَعْفُوكَ عَن ذَنْبِي وَعَن جُرْمِي
 مُهَيِّمٌ قَاهِرٌ بِالْبَطْشِ وَالنَّعْمِ
 وَلَا شَرِيكَ لَهُ بَلْ جَلَّ فِي الْعِظَمِ
 حَتَّى الْمَمَاتِ وَمُخِي دَارِسِ الرَّمَمِ
 وَالْعَدْلُ يَنْشُرُهُ فِي سَائِرِ الْأَمَمِ
 قَدْ حَصَّهَا اللَّهُ بِالْأَمْلَاكِ وَالنَّعْمِ
 كَرَبٌ وَكُلُّ الْوَرَى لِلْكَرْبِ مُلْتَزِمِ
 وَالنَّاسُ قَدْ شَخَّصُوا مِنْ خَوْفِ رَبِّهِمْ
 أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ يَنْجُو يَوْمَ مُحْتَكِمِ
 يَعْفُو بِرَحْمَتِهِ عَن كُلِّ مُجْتَرِمِ
 ذَنْبِي فَإِنَّكَ ذُو عَفْوٍ وَذُو كَرَمِ
 مُحَمَّدِ الْمُصْطَفَى لِلْعَرَبِ وَالْعَجَمِ

« فَضْلٌ »

٥١ - ومنها أَرْسَلَ الرِّيحَ الشَّدِيدَةَ عَلَى الْأَحْزَابِ ، وَهُمْ
 قَرِيشٌ ، وَمَنْ مَعَهُمْ يَوْمَ الْخَنْدَقِ أَرْسَلَهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ لَيْلًا ، قَالَ
 عِكْرَمَةُ قَالَتْ الْجَنُوبُ لِلشَّمَالِ لَيْلَةٌ الْأَحْزَابِ ، انطَلِقِي نَنْصُرُ رَسُولَ

اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتْ الشَّمَالُ إِنَّ الْحَرَّةَ لَا تَسْرِي
بَلِيلٍ ، وَكَانَتْ الرِّيحُ الَّتِي أَرْسَلَهَا اللَّهُ عَلَيْهِمُ الصَّبَا ، فَفَرُّوا لِشِدَّتِهَا
عَنْ بَعْضِ أَثْقَالِهِمْ وَأَمْتِعَتِهِمْ ، وَلَوْ أَقَامُوا إِلَى الصَّبَاحِ لَهَلَكُوا
جَمِيعًا .

وَهُوَ الْمَذْلُوعُ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا
نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ
تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ .

فَفِي خَبَرِ الْقِصَّةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا
رَأَى مِنْ أَصْحَابِهِ الْجَزَعَ لِطُولِ الْحِصَارِ ، صَعَدَ إِلَى الْجَبَلِ فَدَعَا
اللَّهَ وَكَانَ فِيمَا دَعَاهُ أَنْ قَالَ « وَاصْرِفْ عَنَّا شَرَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ
بِقُوَّتِكَ وَحَوْلِكَ وَقُدْرَتِكَ » .

فَنَزَلَ جَبْرِيْلُ يُخْبِرُهُ عَنِ اللَّهِ بِأَنَّهُ اسْتَجَابَ لَهُ وَأَمَرَ اللَّهُ
الرِّيحَ وَالْمَلَائِكَةَ أَنْ يَهْزُمُوا قُرَيْشًا وَالْأَحْزَابَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، فَأَمَرَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ أَنْ يَدْخُلَ مَعْسَكَرَهُمْ أَيُّ
قُرَيْشٍ ، وَيَأْتِي بِأَخْبَارِهِمْ ، وَقَالَ لَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَخْبَرَنِي
أَنَّهُ أَرْسَلَ عَلَى قُرَيْشِ الرِّيحَ ، وَهَزَمَهُمْ .

قَالَ فَدَخَلْتُ فِي الْقَوْمِ وَالرِّيحُ وَجُنُودُ اللَّهِ تَفْعَلُ بِهِمْ مَا
تَفْعَلُ ، لَا تُقْرُ لَهُمْ قِدْرًا ، وَلَا نَارًا ، وَلَا بِنَاءً ، فَقَطَعَتْ أَطْنَابَ
الْفِسْطَاطِ ، وَقَلَعَتْ الْأَوْتَادَ ، وَأَكْفَتِ الْقُدُورَ ، وَجَالَتِ الْخَيْلُ بَعْضُهَا
فِي بَعْضٍ ، وَكَثُرَ تَكْبِيرُ الْمَلَائِكَةِ فِي جَوَانِبِ الْمُعْسَكَرِ .

قَالَ وَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنَّكُمْ وَاللَّهِ مَا
 أَصْبَحْتُمْ بِدَارِ مَقَامٍ ، لَقَدْ هَلَكَ الْكُرَاعُ وَالْخُفُّ ، وَلَقَيْنَا مِنْ شِدَّةِ
 الرِّيحِ مَا تَرَوْنَ ، مَا تَطْمِئِنُّ لَنَا قِدْرٌ وَلَا تَقُومُ لَنَا نَارٌ ، وَلَا
 يَسْتَمْسِكُ لَنَا بِنَاءٌ ، فَارْتَحِلُوا فَإِنِّي مُرْتَحِلٌ ، فَرُدُّوا بِغِيظِهِمْ ﴿ وَكَفَى
 اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾ .

فَالْبَارِي جَلَّ وَعَلَا أَرْسَلَ الرِّيحَ عَلَى أَوْلِيكَ المُشْرِكِينَ ، نَصْرًا
 لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَصَدِيقًا لِدَعْوَتِهِ ، وَاسْتِجَابَةً
 لِدُعَائِهِ ، لِيَعْلَمَهُ تَعَالَى أَنَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 ذَلِكَ الْيَوْمَ لَا يَقُومُونَ بِقِتَالِ أَوْلِيكَ فِيهِ هَذِهِ مُعْجَزَةٌ عَظِيمَةٌ فَتَأَمَّلْ .

٥٢ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ لَمَّا
 فَتِحَتْ خَيْبَرَ ، أُهْدِيَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاةٌ فِيهَا سُمٌّ
 فَقَالَ « اجْمَعُوا لِي مَنْ كَانَ هُنَا مِنَ الْيَهُودِ » فَجُمِعُوا ، فَقَالَ لَهُمْ
 « إِنِّي سَأَلْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ ، فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْهُ ؟ » قَالُوا نَعَمْ ، يَا
 أَبَا الْقَاسِمِ ، فَقَالَ لَهُمْ « مَنْ أَبُوكُمْ ؟ » قَالُوا : فُلَانٌ ، قَالَ :
 « كَذَبْتُمْ ، أَبُوكُمْ فُلَانٌ » قَالُوا صَدَقْتَ ، وَيَرَرْتَ ، قَالَ « فَهَلْ أَنْتُمْ
 صَادِقِي عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ ؟ » قَالُوا : نَعَمْ ، وَإِنْ كَذَبْنَاكَ
 عَرَفْتَ ، كَمَا عَرَفْتَهُ فِي آبِنَا ، قَالَ لَهُمْ « مَنْ أَهْلُ النَّارِ ؟ »
 قَالُوا : نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا ، ثُمَّ تَخَلَّفْنَا فِيهَا .

قَالَ « اخْسُوا فِيهَا ، وَاللَّهِ لَا نَخْلِفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا » قَالَ « هَلْ
 أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ ؟ » قَالُوا نَعَمْ ، قَالَ « هَلْ
 جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ ؟ سُمًّا ؟ » قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ « فَمَا حَمَلُكُمْ

عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالُوا : أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا نَسْتَرِيحُ مِنْكَ ، وَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا لَمْ يَضُرْك ، رواه البخاري .

٥٣ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَالٍ : قَالَ بَعْضُ الْيَهُودِ لِصَاحِبِهِ ، أَذْهَبَ بِنَا إِلَى هَذَا النَّبِيِّ ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ ، لَا تَقُلْ نَبِيًّا ، إِنَّهُ لَوْ سَمِعَكَ كَانَ لَهُ أَرْبَعَةُ أَعْيُنٍ ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَهُ عَنْ تِسْعِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ .

فَقَالَ لَهُمْ « لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا تَسْرِقُوا ، وَلَا تَزْنُوا ، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَلَا تَمْشُوا بِيْرِيءٍ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ لِيَقْتُلَهُ ، وَلَا تَسْحَرُوا ، وَلَا تَأْكُلُوا الرِّبَا ، وَلَا تَقْدِفُوا مُحْصَنَةً ، وَلَا تُولُوا الْأَذْبَارَ يَوْمَ الزُّحْفِ ، وَعَلَيْكُمْ خَاصَّةً الْيَهُودُ ، أَنْ تَعْدُوا يَوْمَ السَّبْتِ » فَقَبَّلَا يَدَهُ ، وَرَجَلَهُ ، وَقَالَا : نَشْهَدُ أَنَّكَ نَبِيٌّ .

فَقَالَ « مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تَتَّبِعَانِي ؟ قَالَ إِنْ دَاوُدَ دَعَا رَبَّهُ ، أَنْ لَا يَزَالَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ نَبِيٌّ ، وَإِنَّا نَخَافُ إِنْ أَتَبَعْنَاكَ ، تَقْتُلْنَا الْيَهُودُ ، لِلتَّرْمِذِيِّ وَالنَّسَائِيِّ .

٥٤ - وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزَاةً قَبْلَ نَجْدٍ ، فَأَدْرَكْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْقَائِلَةِ فِي وَادٍ كَثِيرٍ الْعِضَاهِ ، فَتَزَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ، فَعَلَّقَ سَيْفَهُ بِغُضُنٍ مِنْ أَعْصَانِهَا .

وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الْوَادِيِّ ، يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ

عليه وسلم : « إِنَّ رَجُلًا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ ، فَأَخَذَ السَّيْفَ ، فَاسْتَيْقَظْتُ ، وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي ، وَالسَّيْفُ صَلْتًا فِي يَدِهِ ، فَقَالَ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ، قُلْتُ اللَّهُ ، فَشَامَ السَّيْفُ فَهَذَا جَالِسٌ » ثُمَّ لَمْ يَعْزُضْ لَهُ وَكَانَ مَلِكُ قَوْمِهِ ، فَانْصَرَفَ حِينَ عَفَى عَنْهُ ، فَقَالَ لَا أَكُونُ فِي قَوْمٍ هُمْ حَرْبٌ لَكَ ، سَتَفَقَ عَلَيْهِ .

٥٥ - وَمِنْهَا إِخْبَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْأَرْضَ أَكَلَتْ مِنْ صَحِيفَةِ قَرِيشٍ مَا فِيهِ ظُلْمٌ ، وَقَطِيعَةُ رَجِمٍ .

وَأَبَقَتْ مَا فِيهَا مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى .

وَمِنْ حَدِيثِهَا أَنَّ قُرَيْشًا كَتَبُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ صَحِيفَةً بَأْنَ لَا يَبِيعُوا بَنِي هَاشِمٍ ، وَلَا يَتَّبِعُوا مِنْهُمْ ، وَلَا يُنَاكِحُوهُمْ ، وَلَا يُكَلِّمُوهُمْ ، أَوْ يَدْفَعُوا إِلَيْهِمْ مُحَمَّدًا لِيَقْتُلُوهُ ، وَدَفَنُوها فِي الْكَعْبَةِ ، فَقَامَ أَبُو طَالِبٍ وَمَنْ مَعَهُ بِحِمَايَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَبَقُوا مَحْضُورِينَ فِي الشُّعْبِ سَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَبِي طَالِبٍ : يَا عَمُّ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَلَطَ الْأَرْضَ عَلَى صَحِيفَةِ قُرَيْشٍ فَلَمْ تَدْعُ فِيهَا اسْمًا هُوَ لِلَّهِ إِلَّا أَثْبَتَهُ فِيهَا ، وَنَفَتْ مِنْهَا الظُّلْمَ ، وَالْقَطِيعَةَ ، وَالْبُهْتَانَ ، فَقَالَ أَرُبُّكَ أَخْبَرَكَ بِهَذَا ، قَالَ نَعَمْ ، قَالَ فَوَاللَّهِ مَا يَدْخُلُ عَلَيْكَ أَحَدٌ .

ثُمَّ خَرَجَ إِلَى قُرَيْشٍ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنَّ ابْنَ أَخِي أَخْبَرَنِي بِكَذَا وَكَذَا فَهَلُمَّ صَحِيفَتَكُمْ ، فَإِنْ كَانَتْ كَمَا قَالَ ابْنُ أَخِي فَانْتَهُوا عَنِ

قَطِيعَتِنَا ، وَاَنْزِلُوا عَمَّا فِيهَا ، وَاِنْ كَانَ كَاذِبًا ، دَفَعْتُ إِلَيْكُمْ ابْنَ أَخِي ،
فَقَالَ الْقَوْمُ رَضِينَا ، فَتَعَاقَدُوا عَلَيَّ ذَلِكَ .

ثُمَّ نَظَرُوا فَإِذَا هِيَ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَرَادَهُمْ ذَلِكَ
شَرًّا فَعِنْدَ ذَلِكَ صَنَعَ الرَّهْطُ مِنْ قُرَيْشٍ فِي نَقْضِ الصَّحِيفَةِ مَا صَنَعُوا .

٥٦ - وَمِنْهَا مَا رُوِيَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِعَلِيِّ يَوْمَ
أُحُدٍ بَعْدَ انْجِلَاءِ الْهَيْجَاءِ ، إِنَّ قُرَيْشًا لَنْ يُصِيبُوا مِنَّا مِثْلَهَا بَعْدَ هَذَا ، حَتَّى
يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْنَا مَكَّةَ ، فَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ ، فَإِنَّهُ لَمْ تُصَبِّ قُرَيْشٌ مِنْ
أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ أُحُدٍ مَا أَصَابَتْ مِنْهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ .

وَمَا زَالَ أَمْرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْلُو عَلَيْهِمْ حَتَّى غَزَاهُمْ
فِي عَقْرِ دَارِهِمْ ، وَمَحَلِّ قَرَارِهِمْ ، وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا دَفْعَهُ ، بَلِ اسْتَأْسَرُوا لَهُ
رَاعِمِينَ ، فَمَنْ عَلَيْهِمْ فَاطَلَقَهُمْ مِنْ جِبَالَةِ الْقَتْلِ ، وَاعْتَقَهُمْ مِنْ رِقِّ
الْأَسْرِ ، وَنَادَاهُمْ وَهُمْ مَرْعُوبُونَ «أَخْرُجُوا فَاَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ» وَذَلِكَ يَوْمَ فَتَحَ مَكَّةَ
بِالسَّنَةِ الثَّامِنَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ .

٥٧ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، أَنَّهَا قَالَتْ
لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ ،
قَالَ «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُهُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ ، إِذْ
عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَلِيلٍ ، بِنِ عَبْدِ كِلَالٍ ، فَلَمْ يُجِيبْنِي إِلَى مَا
أَرَدْتُ ، فَاَنْطَلَقْتُ ، وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي ، فَلَمْ اسْتَفِيقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ
الثَّعَالِبِ ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، وَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا
جَبْرِئِيلٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَنَادَانِي ، فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ
لَكَ ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ ، لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ

فِيهِمْ ، فَتَدَانِي مَلِكُ الْجِبَالِ ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّ اللَّهَ
 قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَأَنَا مَلِكُ الْجِبَالِ ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبِّي إِلَيْكَ
 لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ ، فَمَا شِئْتَ ، إِنَّ شِئْتَ أَطَبَقْتُ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ « فَقَالَ
 النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « بَلْ أَرْجُو ، أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ ،
 مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا « متفق عليه .

٥٨ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي
 هُرَيْرَةَ قَالَ : صَعِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِرَاءَ ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ ،
 وَعُمَرُ ، وَعُثْمَانُ ، وَعَلِيٌّ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، وَالزَّيْبُرُ ، وَطَلْحَةُ ،
 وَسَعِيدُ ، فَتَحَرَّكَ الْجَبَلُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْكُنْ
 جِرَاءَ ، فَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ ، أَوْ صَدِيقٌ ، أَوْ شَهِيدٌ ، فَسَكَنَ الْجَبَلُ .

٥٩ - وَمِنْ أَعْلَامِ نُبُوَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ بَعَثَ خَالِدَ بْنَ
 الْوَلِيدِ مِنْ تَبُوكَ ، فِي أَرْبَعِ مِائَةٍ وَعِشْرِينَ فَارِسًا ، إِلَى أَكْبِيدِ دَوْمَةَ
 الْجَنْدَلِ ، مِنْ كِنْدَةَ ، فَقَالَ خَالِدٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَيْفَ لِي بِهِ وَسَطُ بِلَادِ
 كَلْبٍ ، وَإِنَّمَا أَنَا فِي عَدَدِ يَسِيرٍ ، فَقَالَ سَتَجِدُهُ يَصِيدُ الْبَقْرَ ، فَتَأْخُذُهُ ،
 فَخَرَجَ خَالِدٌ حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ حِصْنِهِ بِمَنْظَرِ الْعَيْنِ ، فِي لَيْلَةٍ مُقَمَّرَةٍ
 صَافِيَةٍ ، وَهُوَ عَلَى سَطْحٍ لَهُ ، مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ ، مَعَ امْرَأَتِهِ ، فَأَقْبَلَتْ
 الْبَقْرُ ، تَحُكُّ بِقُرُونِهَا بَابَ الْحِصْنِ ، فَقَالَ أَكْبِيدُ دَوْمَةَ : وَاللَّهِ
 مَا رَأَيْتُ بَقْرًا جَاءَتْنا لَيْلًا غَيْرَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ ، لَقَدْ كُنْتُ أَضْمِرُ لَهَا الْخَيْلَ ، إِذَا
 أَرَدْتُهَا شَهْرًا أَوْ أَكْثَرَ ، ثُمَّ نَزَلَ فَرَكِبَ بِالرِّجَالِ ، وَالْأَلَةِ ، فَلَمَّا فَصَلُوا مِنْ
 الْحِصْنِ ، وَخَيْلُ خَالِدٍ تَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، لَا يَضْهَلُ مِنْهَا فَرَسٌ ، وَلَا يَتَحَرَّكُ ،
 فَسَاعَةَ فَصَلَّ ، أَخَذَتْهُ الْخَيْلُ ، فَاسْتَوْسِرَ أَكْبِيدُ دَوْمَةَ .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقُوَّهَا وَأَلْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأَرْزُقْنَا
 صِيَانَةَ أَوْقَاتِنَا وَحِفْظَهَا عَنِ الْمَعَاصِي وَوَفَّقْنَا لِشُغْلِهَا بِالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ

وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى .

يا قومُ فَرَضُ الْهِجْرَتَيْنِ بِحَالِهِ
وَاللَّهِ لَمْ يُنْسَخْ إِلَى ذَا الْآنِ
فَالهِجْرَةُ الْأُولَى إِلَى الرَّحْمَنِ بِأَدْ
إِخْلَاصٍ فِي سِرِّهِ وَفِي إِعْلَانِ
حَتَّى يَكُونَ الْقَضْدُ وَجْهَ اللَّهِ بِأَدْ
أَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ وَالْإِيمَانِ
وَيَكُونَ كُلُّ الدِّينِ لِلرَّحْمَنِ مَا
لِسِوَاهُ شَيْءٍ فِيهِ مِنْ إِنْسَانٍ
وَالْحَبُّ وَالْبُغْضُ اللَّذَيْنِ هُمَا لِكُلِّ وَلايَةٍ وَعَدَاوَةٌ أَضْلَانِ
لِلَّهِ أَيْضاً هَكَذَا الْإِعْطَاءُ وَالسَّمْعُ اللَّذَانِ عَلَيْهِمَا يَقْفَانِ
وَاللَّهُ هَذَا شَطْرُ دِينِ اللَّهِ وَالتَّحْكِيمِ لِلْمُخْتَارِ شَطْرُ ثَانِ
وَالهِجْرَةُ الْأُخْرَى إِلَى الْمَبْعُوثِ بِأَدْ
إِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ
أَتَرُونَ هَذِي هِجْرَةَ الْأَبْدَانِ لَا
وَاللَّهِ بَلْ هِيَ هِجْرَةُ الْإِيمَانِ
قَطْعُ الْمَسَافَةِ بِالْقُلُوبِ إِلَيْهِ فِي
دَرَكِ الْأُصُولِ مَعَ الْفُرُوعِ وَذَانِ
أَبْدَأُ إِلَيْهِ حُكْمُهَا لَا غَيْرُهُ
فَالْحُكْمُ مَا حَكَمْتَ بِهِ النَّصَانِ
يا هِجْرَةُ طَالَتْ مَسَافَتُهَا عَلَى
مَنْ خُصَّ بِالْجِرْمَانِ وَالْخُذْلَانِ

يا هَجْرَةَ طَالَتْ مَسَافَتُهَا عَلَيَّ
 كَسَلَانَ مَنْخُوبِ الْفُؤَادِ جَبَانَ
 يا هَجْرَةَ وَالْعَبْدُ فَوْقَ فِرَاشِهِ
 سَبَقَ السُّعَاةَ لِمَنْزِلِ الرُّضْوَانِ
 سَارُوا أَحْتُ السَّيْرِ وَهُوَ فَسَيْرُهُ
 سَيْرَ الدَّلِيلِ وَلَيْسَ بِالذَّمْلَانِ
 هَذَا وَتَنْظَرُهُ أَمَامَ الرُّكْبِ كَالْعَلَمِ الْعَظِيمِ يُشَافُ فِي الْقِيَعَانِ
 رُفِعَتْ لَهُ أَعْلَامُ هَاتِيكَ النُّصُورِ
 صِرَ رُؤُسُهَا شَابَتْ مِنَ النِّيْرَانِ
 نَارُ هِيَ النُّورُ الْمُسَيَّنُ وَلَمْ يَكُنْ
 لِيَرَاهُ إِلَّا مَنْ لَهُ عَيْنَانِ
 مَكْحُولَتَانِ بِمِرْوَدِ الْوَحْيَيْنِ لَا
 بِمَرَاوِدِ الْأَرَاءِ وَالْهَذْيَانِ
 فَلِذَاكَ شَمَّرَ نَحْوَهَا لَمْ يَلْتَفِتْ
 لَا عَنْ شَمَائِلِهِ وَلَا أَيْمَانِ
 يَا قَوْمُ لَوْ هَاجَرْتُمْوَا لَرَأَيْتُمْ
 أَعْلَامَ طَيْبَةَ رُؤْيَا بَعِيَانِ
 وَرَأَيْتُمْ ذَاكَ اللُّوَاءِ وَتَحْتَهُ الرُّ
 سُلُ الْكِرَامِ وَعَسْكَرُ الْإِيْمَانِ
 أَصْحَابَ بَدْرِ وَالْأَوْلَى قَدْ بَايَعُوا
 أَزْكَى الْبَرِيَّةِ بَيْعَةَ الرُّضْوَانِ

وَكَذَا الْمُهَاجِرَةُ الْأُولَى سَبَقُوا كَذَا آل
أَنْصَارُ أَهْلِ الدَّارِ وَالْإِيمَانِ
وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَسَا
لِكَ هَدِيهِمْ أَبَدًا بِكُلِّ زَمَانٍ
لَكِنْ رَضِيْتُمْ بِالْأَمَانِيِّ وَابْتَلِيْتُمْ
بِالْحِظْوِظِ وَنَضْرَةَ الْأَخْوَانِ
بَلْ عَرَّكُم ذَاكَ الْغُرُورُ وَسَوَّلَتْ
لَكُمْ النُّفُوسُ وَسَائِسَ الشَّيْطَانِ
وَنَبَذْتُمْ غِلَّ النُّصُوصِ وَرَاءَكُمْ
وَقَنِيْعْتُمْ بِقَطَارَةِ الْأَذَانِ
وَتَرَكْتُمْ الْوَحْيَيْنِ زُهْدًا فِيهِمَا
وَرَغْبَتُمْ فِي رَأْيِ كُلِّ فُلَانٍ
وَعَزَلْتُمْ النَّصِيْحِينَ عَمَّا وُلِيَا
لِلْحُكْمِ فِيهِ عَزَلَ ذِي عُدْوَانٍ
وَزَعَمْتُمْ أَنَّ لَيْسَ يَحْكُمُ بَيْنَنَا
إِلَّا الْعُقُولُ وَمَنْطِقُ الْيُونَانِ
حَتَّى إِذَا انْكَشَفَ الْغِيْطَاءُ وَحُصِّلَتْ
أَعْمَالُ هَذَا الْخَلْقِ بِالْمِيْزَانِ
وَإِذَا انْجَلَى هَذَا الْغُبَارُ وَصَارَ مَيْدَانُ السَّبَاقِ تَنَالَهُ الْعَيْنَانِ
وَبَدَتْ عَلَى تِلْكَ الْوُجُوهِ سِمَاتُهَا
وَسُمِّ الْمَلِيْكَ الْقَادِرِ الدِّيَانِ

مُبَيَّضَةٌ مِثْلَ الرِّيَاضِ بِجَنَّةٍ
وَالسُّودُ مِثْلَ الفَحْمِ لِلنَّيْرَانِ
فَهُنَاكَ يَعْلَمُ رَاكِبٌ مَا تَحْتَهُ
وَهُنَاكَ يُقْرَعُ نَاجِدُ النُّدْمَانِ
وَهُنَاكَ تَعْلَمُ كُلُّ نَفْسٍ مَا الَّذِي
مَعَهَا مِنَ الأَرْبَاحِ وَالخُسْرَانِ
وَهُنَاكَ يَعْلَمُ مُؤَثِّرُ الأَرَاءِ وَالشَّطْحَاتِ وَالهِدْيَانِ وَالْبُطْلَانِ
أَيُّ البَضَائِعِ قَدْ أَضَاعَ وَمَا الَّذِي
مِنْهَا تَعَوَّضَ فِي الزَّمَانِ الفَانِ
سُبْحَانَ رَبِّ الخَلْقِ قَاسِمِ فَضْلِهِ
وَالعَدْلِ بَيْنَ النَّاسِ بِالمِيزَانِ
لَوْ شَاءَ كَانَ النَّاسُ شَيْئاً وَاحِداً
مَا فِيهِمْ مِنْ تَائِبٍ خَيْرَانِ
لَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ يَخْتَصُّ بِالْفَضْلِ العَظِيمِ خُلَاصَةَ الإِنْسَانِ
وَسِوَاهُمْ لَا يَصْلِحُونَ لِصَالِحِ
كَالشُّوكِ فَهُوَ عِمَارَةُ النِّيْرَانِ
وَعِمَارَةُ الجَنَاتِ هُمْ أَهْلُ الهُدَى
اللَّهُ أَكْبَرُ لَيْسَ يَسْتَوِيَانِ
فَسَلِ الهِدَايَةَ مَنْ أَرَمَهُ أَمْرِنَا
بِيَدَيْهِ مَسْأَلَةَ الدَّلِيلِ العَانِ
وَسَلِ العِيَاذِ مِنَ اثْنَيْنِ هُمَا اللِّتَا
نِ بِهُلْكِ هَذَا الخَلْقِ كَافِلَتَانِ

شَرِ النَّفُوسِ وَسَيِّءِ الْأَعْمَالِ مَا
 وَاللَّهِ أَعْظَمُ مِنْهُمَا شَرَّانِ
 وَلَقَدْ أَتَى هَذَا التَّعَوُّدُ مِنْهُمَا
 فِي خُطْبَةِ الْمَبْعُوثِ بِالْقُرَّانِ
 لَوْ كَانَ يَدْرِي الْعَبْدُ أَنَّ مُصَابَهُ
 فِي هَذِهِ الدُّنْيَا هُوَ الشَّرَّانِ
 جَعَلَ التَّعَوُّدُ مِنْهُمَا ذَيْدَانَهُ
 حَتَّى نَرَاهُ دَاخِلَ الْأَكْفَانِ
 اللَّهُمَّ ثَبَّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَوَفِّقْنَا لِشُكْرِكَ
 وَذَكَرِكَ وَارزُقْنَا التَّاهِبَ وَالاسْتِعْدَادَ لِلِقَائِكَ وَاجْعَلْ خِتَامَ صَحَائِفِنَا
 كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَضْلٌ »

٦٠ - وَمِنْهَا أَخَذَ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ بِمَا شَغَلَهُمْ عَنْهُ وَأَزَالَ عَنْهُمْ إِيَّاهُ عَنْ تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ ، وَهُوَ الْمَشَارُ
 إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ اِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ .

وَهُمْ خَمْسَةٌ نَفَرٍ مِنْ رُؤَسَاءِ قُرَيْشٍ ، الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيُّ ،
 وَكَانَ رَأْسَهُمْ ، وَالْعَاصِمُ بْنُ وَاثِلِ السُّهْمِيِّ ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ
 الْحَارِثِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنِ زَمْعَةَ .

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ دَعَا عَلَيْهِ ، فَقَالَ « اللَّهُمَّ
 اعمِ بَصْرَهُ ، وَأَثْكِلْهُ بِوَالِدِهِ » وَالْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثِ ابْنِ وَهْبٍ ، وَالْحَارِثُ
 بْنُ قَيْسِ بْنِ الطَّلَاطِلَةَ .

فَاتَى جَبْرِيلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْتَهْزِؤُنَ يُطَوِّفُونَ
بِالْبَيْتِ .

فَقَامَ جَبْرِيلُ إِلَى جَنْبِهِ ، فَمَرَّ بِهِ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ ، فَقَالَ جَبْرِيلُ يَا
مُحَمَّدُ كَيْفَ تَجِدُ هَذَا ، فَقَالَ « بِسْمِ عَبْدِ اللَّهِ » ، فَقَالَ قَدْ كُفَيْتَهُ ، وَأَوْمَأَ
إِلَى سَاقِ الْوَلِيدِ ، فَمَرَّ بِرَجُلٍ مِنْ خُزَاعَةَ نَبَالٍ يَرِيشُ نِبَالَهُ ، وَعَلَيْهِ
بُرْدِيمَانِي ، وَهُوَ يَجْرُ أزارَهُ ، فَتَعَلَّقَتْ شَظِيَّةٌ مِنْ نَبْلِهِ بِأزارِهِ ، فَمَنَعَهُ الْكِبْرُ
أَنْ يُطَاطِئَ رَأْسَهُ فَيَنْزِعَهَا ، وَجَعَلَتْ تَضْرِبُ سَاقَهُ ، فَخَدَشَتْهُ ، فَمَرَضَ
مِنْهَا فَمَاتَ .

وَمَرَّ بِهِ الْعَاصُ بْنُ وَاثِلٍ ، فَقَالَ جَبْرِيلُ كَيْفَ تَجِدُ هَذَا يَا مُحَمَّدُ ،
قَالَ « بِسْمِ عَبْدِ اللَّهِ » ، فَأَشَارَ جَبْرِيلُ إِلَى أَحْمَصِ رِجْلَيْهِ ، وَقَالَ قَدْ
كُفَيْتَهُ ، فَخَرَجَ عَلَى رَاحِلَتِهِ ، وَمَعَهُ ابْنَانِ لَهُ يَتَنَزَّهُ ، فَتَزَلَّ شِعْبًا مِنْ تِلْكَ
الشُّعَابِ ، فَوَطِئَ عَلَى شُبْرُقَةٍ ، فَدَخَلَتْ مِنْهَا شَوْكَةٌ فِي أَحْمَصِ رِجْلَيْهِ ،
فَقَالَ لُدِغْتُ لُدِغْتُ ، فَطَلَبُوا فَلَمْ يَجِدُوا شَيْئًا ، وَانْتَفَخَتْ رِجْلُهُ ، حَتَّى
صَارَتْ مِثْلَ عُتْقِ الْبَعِيرِ ، فَمَاتَ مَكَانَهُ .

فَمَرَّ بِهِ الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَقَالَ جَبْرِيلُ كَيْفَ تَجِدُ هَذَا يَا
مُحَمَّدُ ، قَالَ « بِسْمِ عَبْدِ اللَّهِ » فَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَيْنَيْهِ ، وَقَالَ : قَدْ كُفَيْتَهُ ،
فَعَمِيَ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَمَاهُ جَبْرِيلُ بِوَرْقَةٍ خَضْرَاءَ ، فَعَمِيَ فَذَهَبَ
بَصْرُهُ ، وَوَجِعَتْ عَيْنَاهُ ، فَجَعَلَ يَضْرِبُ بِرَأْسِهِ الْجِدَارَ ، حَتَّى هَلَكَ .

وَمَرَّ بِهِ الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ ، فَقَالَ جَبْرِيلُ كَيْفَ تَجِدُ هَذَا يَا
مُحَمَّدُ ، قَالَ « بِسْمِ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى أَنَّهُ ابْنُ خَالِي » فَقَالَ : قَدْ كُفَيْتَهُ .
وَأَشَارَ إِلَى بَطْنِهِ ، فَاسْتَسْقَى بَطْنُهُ فَمَاتَ ، وَمَرَّ بِهِ الْحَارِثُ بْنُ قَيْسٍ ،

فقال جبرئيلُ كيف تجدُ هذا يا مُحَمَّدُ ، فقال « عَبْدٌ سُوءٌ » فَأَوْمَأَ إِلَى رَأْسِهِ ، وَقَالَ قَدْ كُفَيْتُهُ ، فَاْمْتَخَطَ قَيْحًا ، فَقَتَلْتُهُ ، وَقِيْلَ أَكَلَّ حُوْنًا مَالِحًا ، فَلَمْ يَزَلْ يَشْرَبُ حَتَّى انْقَدَّ بَطْنُهُ .

٦١ - وَمِنْ أَعْلَامِ نُبُوْتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَا رُوِيَ أَنَّ الْجَطَمَ -

وَأَسْمُهُ شُرَيْحُ بْنُ صَبِيْعَةَ ، الْبَكْرِيُّ - أَتَى الْمَدِيْنَةَ ، وَخَلَّفَ خَيْلَهُ خَارِجَ الْمَدِيْنَةِ ، وَدَخَلَ وَحْدَهُ ، عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ الْإِمَامُ تَدْعُو النَّاسَ ، فَقَالَ « إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُوْلُ اللهِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ » .

فَقَالَ حَسَنٌ ، وَلَكِنْ أَنْظِرْنِي ، فَلِي مَنْ أَشَاوَرُهُ ، فَلَا أَقْطَعُ أَمْرًا دُونَهُمْ ، وَلَعَلِّي أُسْلِمُ ، وَآتَى بِهِمْ ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَالَ لِصَحَابِهِ « يَدْخُلُ الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ مِنْ رِبِيْعَةَ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانِ شَيْطَانٍ » ثُمَّ خَرَجَ شُرَيْحٌ ، مِنْ عِنْدِهِ ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَقَدْ دَخَلَ بُوْجِهَ كَافِرٍ ، وَخَرَجَ بِقَفَا غَادِرٍ ، وَمَا الرَّجُلُ بِمُسْلِمٍ » فَمَرَّ بِسَرْحِ الْمَدِيْنَةِ ، فَاسْتَأْفَقَهُ ، وَأَنْطَلَقَ ، فَاتَّبَعُوهُ فَلَمْ يُدْرِكُوهُ .

فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الْقَابِلُ ، خَرَجَ حَاجًّا ، فِي حُجَّاجِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ، مِنْ الْيَمَامَةِ ، وَمَعَهُ تِجَارَةٌ عَظِيْمَةٌ وَقَدْ قَلَّدُوا الْهَدْيَ فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا الْحَطْمُ ، قَدْ خَرَجَ حَاجًّا ، فَخَلَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ .

فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنَّهُ قَلَّدَ الْهَدْيَ » فَقَالُوا يَا رَسُوْلَ اللهِ ، هَذَا شَيْءٌ كُنَّا نَفْعَلُهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَأَبَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللهِ ، وَلَا الشُّهُرَ الْحَرَامَ ، وَلَا الْهَدْيَ ﴾ الْآيَةَ .

٦٢ - ومن أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم ، قوله في ليلة الإسراء ، حين أصبح « إن من آية ما أقول لكم ، إنني مررت بعير لكم ، في مكان كذا وكذا وقد أضلوا بعيراً لهم ، فجمعه لهم فلان ، وإن مسيرهم ينزلون بكذا ، ثم كذا ، ويأتونكم يوم كذا وكذا ، يقدمهم جمل آدم ، عليه مسح أسود ، وعرارتان ، سوداوان » فلما كان ذلك اليوم ، أشرف الناس ينظرون ، حين كان قريباً من نصف النهار ، حتى أقبلت العير ، يقدمهم ذلك الجمل ، الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فكان كما أخبر .

٦٣ - ومن ذلك دعاؤه صلى الله عليه وسلم على أفراد من المشركين أصحاب القليب ، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند البيت ، وأبو جهل ، وأصحابه ، جلوس ، وقد نجرت جزور بالأمس ، فقال أبو جهل ، أيكم يقوم إلى سلاجزور بني فلان ، فيضعه بين كتفي محمد إذا سجد ، فانبعث أشقى القوم ، فأخذه .

فلما سجد النبي صلى الله عليه وسلم وضعه بين كتفيه ، فاستضحكوا ، وجعل بعضهم يميل على بعض ، وأنا قائم أنظر ، لو كانت لي منعة ، طرخته عن ظهره ، والنبي صلى الله عليه وسلم ، ما يرفع رأسه ، حتى انطلق إنسان إلى فاطمة رضي الله عنها .

فجاءت وهي جويرية ، فطرخته عنه ، ثم أقبلت عليهم تشتمهم ، فلما قضى صلاته صلى الله عليه وسلم ، رفع صوته ، ثم دعا عليهم ، وكان . إذا دعا ، دعا ثلاث مرات ، وإذا سأل سأل ثلاثاً فقال اللهم عليك بقريش فلما سمعوا صوته ، ذهب عنهم الضحك ، وخافوا دعوته .

ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ عَلَيْكَ يَا بِي جَهْلُ بْنُ هِشَامٍ ، وَعُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَالْوَالِيدُ بْنُ عَتْبَةَ ، وَأُمِيَّةُ بْنُ خَلْفٍ ، وَعُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ، وَذَكَرَ السَّابِقَ ، وَلَمْ أَحْفَظْهُ ، فَوَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ ، لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ سَمَى صَرَغَى يَوْمَ بَدْرٍ .

ثم سُجِبُوا إِلَى الْقَلِيبِ ، (قَلِيبُ بَدْرٍ) أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ وَالنَّسَائِيُّ (

تيسير الوصول ج ٤ ص ٢١٦ .

٦٤ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ ، قَالَ : رَأَيْتُ أُمَّرَ ضَرْبَةٍ فِي سَاقِ سَلَمَةَ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا مُسْلِمٍ مَا هَذِهِ الضَّرْبَةُ ، فَقَالَ هَذِهِ ضَرْبَةٌ أَصَابَتْنِي يَوْمَ خَيْبَرَ فَقَالَ النَّاسُ : أَصِيبَ سَلَمَةَ ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَفَتَّحَ فِيهِ ثَلَاثَ نَفَثَاتٍ ، فَمَا أَشْتَكِيهَا حَتَّى السَّاعَةَ .

٦٥ - وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَرَادَ الْهِجْرَةَ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ ، فَدَخَلَ غَارًا فِي جَبَلِ ثَوْرٍ ، لِيَسْتَخْفِيَ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَقَدْ طَلَبْتُهُ ، وَبَدَلْتُ لِمَنْ جَاءَ بِهِ مِائَةَ نَاقَةٍ ، فَأَعَانَهُ اللَّهُ بِإِخْفَاءِ أَثَرِهِ ، وَنَسَجَتِ الْعَنْكَبُوتُ عَلَى بَابِ الْغَارِ .

وَلَمَّا خَرَجَ ، لَحِقَهُ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشَمٍ ، وَهُوَ مِنْ جُمَلَةِ مَنْ تَوَجَّهَ لِطَلْبِهِ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ هَذَا سُرَاقَةُ قَدْ قُرِبَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « اللَّهُمَّ اكْفِنَا سُرَاقَةَ » فَأَخَذَتِ الْأَرْضُ قَوَائِمَ فَرَسِهِ إِلَى أَبْطَحَاهَا ، فَقَالَ سُرَاقَةُ ، يَا مُحَمَّدُ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُطَلِّقَنِي ، وَلَكَ عَلَيَّ أَنْ أَرُدَّ مَنْ جَاءَ يَطْلُبُكَ ، وَلَا أُعِينُ عَلَيْكَ أَبَدًا ، فَقَالَ « اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ صَادِقًا فَاطْلُقْ عَنْ فَرَسِهِ » فَاطْلُقَ اللَّهُ عَنْهُ ، ثُمَّ أَسْلَمَ سُرَاقَةُ ، وَحَسَنَ اسْلَامُهُ .
شعرا :

أَشْكُو إِلَيْكَ ذُنُوبًا لَسْتُ أَنْكِرُهَا وَقَدْ رَجَوْتُكَ يَا ذَا الْمَنِّ تَغْفِرُهَا
مِنْ قَبْلِ سُؤْلِكَ لِي فِي الْحَشْرِ يَا أَمَلِي يَوْمَ الْجَزَاءِ عَلَى الْأَهْوَالِ تَذَكُرُهَا
أَرْجُوكَ تَغْفِرُهَا فِي الْحَشْرِ يَا أَمَلِي أَذْ أَنْتَ سُؤْلِي كَمَا فِي الْأَرْضِ تُسْتَرُّهَا

آخر : مَوْلَايَ إِنِّي عَبْدٌ ضَعِيفٌ أَيَّتُكَ أَرْغَبُ فِيمَا لَدَيْكَ
أَيَّتُكَ أَشْكُو مَصَابَ الذُّنُوبِ وَهَلْ يُشْتَكَى الضَّرُّ إِلَّا إِلَيْكَ
فَمَنْ بَعْفُوكَ يَا سَيِّدِي فَلَيْسَ اعْتِمَادِي إِلَّا عَلَيْكَ

٦٦ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ الْمَاوَرِدِيُّ فِي أَعْلَامِ النَّبُوَّةِ ، مِنْ أَنَّ أَبَا
لَهَبٍ ، خَرَجَ يَوْمًا ، وَقَدْ اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ ، فَقَالُوا لَهُ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ ، إِنَّكَ
سَيِّدُنَا ، وَأَنْتَ أَوْلَى بِمُحَمَّدٍ مِنَّا ، وَإِنَّ أَبَا طَالِبٍ ، هُوَ الْحَائِلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ ،
وَلَوْ قَتَلْتَهُ لَمْ يُنْكِرْهُ أَبُو طَالِبٍ ، وَلَا حَمْرَةَ ، مِنْكَ شَيْئًا ، وَأَنْتَ بَرِيءٌ مِنْ
دَمِهِ ، نُؤَدِي نَحْنُ الدَّبِيَّةَ ، وَتَسْوَدُ قَوْمَكَ ، فَقَالَ فَإِنِّي أَكْفِيكُمْ ، فَفَرِحُوا
بِذَلِكَ ، وَمَدَحَتْهُ حُطَبَاؤُهُمْ .

فَلَمَّا كَانَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، وَكَانَ مُشْرِفًا عَلَيْهِ ، نَزَلَ أَبُو لَهَبٍ ،
وَهُوَ يُصَلِّي وَتَسَلَّطَتْ إِمْرَأَةٌ أَبِي لَهَبٍ ، أُمُّ جَمِيلِ الْحَائِطِ ، حَتَّى وَقَفَتْ عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ سَاجِدٌ فَصَاحَ بِهِ ، أَبُو لَهَبٍ ،
فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ ، وَهَمَّا كَانَا لَا يَنْقَلَبَانِ أَقْدَامَهُمَا ، وَلَا يَقْدِرَانِ عَلَى شَيْءٍ ،
حَتَّى تَفَجَّرَ الصُّبْحُ ، وَفَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو
لَهَبٍ يَا مُحَمَّدُ ، أَطْلِقْ عَنَّا ، فَقَالَ « مَا كُنْتُ لِأُطْلِقَ عَنْكُمَا ، أَوْ تَضْمَنَا لِي
انكُمَا لَا تُؤَذِيَانِي » . قَالَ : قَدْ فَعَلْنَا ، فَدَعَا رَبَّهُ فَرَجَعَا .

٦٧ - وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ لَمَّا انْهَزَمُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ ، وَهُوَ مُعْتَزِلٌ عَنْهُمْ ، رَأَى شَيْبَةَ بِنْتُ عُمَانَ ، بِنْتُ
أَبِي طَلْحَةَ ، فَقَالَ الْيَوْمَ أُدْرِكُ ثَارِي مِنْ مُحَمَّدٍ ، فَأَقْتَلُهُ ، لِأَنَّ أَبَا شَيْبَةَ قُتِلَ
يَوْمَ أَحَدٍ فِي جَمَاعَةِ إِخْوَتِهِ وَأَعْمَامِهِ ، قَالَ شَيْبَةُ فَلَمَّا أَرَدْتُ قَتْلَهُ ، أَقْبَلَ
شَيْءٌ حَتَّى تَغَشَى فُؤَادِي فَلَمْ أُطِقْ ذَلِكَ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ مَمْنُوعٌ .
شعرا :

يَا لَاهِيًا بِالْمَنَايَا غَرَّةَ الْأَمَلِ وَأَنْتَ عَمَّا قَلِيلٍ سَوْفَ تَرْتَجِلُ
تَبْغِي اللُّهُوقَ بِلَا زَادٍ تُقَدِّمُهُ إِنَّ الْخَفِينِ لَمَّا شَمَّرُوا وَصَلُّوا

لا تَرْكَنْ إِلَى الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا فَأَنْتَ مِنْ عَاجِلِ الدُّنْيَا سَتْتَقِلُ
أَصْبَحْتَ تَرْجُو غَدًا يَأْتِي وَبَعْدَ غَدٍ وَرُبَّ ذِي أَمَلٍ قَدْ خَانَهُ الْأَمَلُ
هَذَا شَبَابُكَ قَدْ وَلَّتْ بِشَاشَتُهُ مَا بَعْدَ شَيْبِكَ لَا لَهْوٌ وَلَا جَدَلُ
مَاذَا التَّعَلُّلُ بِالدُّنْيَا وَقَدْ نَشَرْتَ لِأَهْلِهَا صِحَّةً فِي طَيْبِهَا عِلَلُ

اللهم الهمنا ذكرك ووقفنا للقيام بحقك ، وخلصنا من حقوق
خلقك ، وبارك لنا في الحلال من رزقك ، ولا تفضحنا بين خلقك ،
اللهم وفقنا لإصالح الأعمال وأكفنا بحلالك عن حرامك وبفضلك عن
سيواك إنك على كل شيء قدير ولله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

« فَصْلٌ »

٦٨ - ومن ذلك قصة أبي جهل وحجره ، ففي السيرة النبوية أن أبا
جهل قال يوماً ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ أَبِي إِلَّا مَا تَرَوْنَ ، مِنْ
عَيْبِ دِينِنَا ، وَشْتَمِ آبَائِنَا ، وَتَسْفِيهِ أَحْلَامِنَا ، وَشْتَمِ آلِهَتِنَا ، وَإِنِّي أَعَاهِدُ
اللَّهَ لِأَجْلِسَنَّ لَهُ غَدًا ، بِحَجَرٍ مَا أُطِيقُ حَمَلَهُ ، فَإِذَا سَجَدَ فِي صَلَاتِهِ ،
فَضَّخْتُ بِهِ رَأْسَهُ ، فَأَسْلِمُونِي عِنْدَ ذَلِكَ ، أَوْ امْنَعُونِي ، فَلْيَصْنَعْ بَعْدَ
ذَلِكَ عَبْدٌ مَنَافٍ مَا بَدَأَ لَهُمْ ، قَالُوا : وَاللَّهِ لَا نُسَلِّمُكَ لِشَيْءٍ أَبَدًا ، فَاْمُضْ
لِمَا تُرِيدُ .

فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو جَهْلٍ أَخَذَ حَجَرًا كَمَا وَصَفَ ، ثُمَّ جَلَسَ لِرَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْتَظِرُهُ ، وَغَدَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
كَمَا كَانَ يَغْدُو ، فَقَامَ يُصَلِّي ، وَقَدْ غَدَتِ قُرَيْشٌ ، فَجَلَسُوا فِي أُنْدِيَتِهِمْ ،
يَنْتَظِرُونَ مَا أَبُو جَهْلٍ فَاعِلٌ ، فَلَمَّا سَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَسَلَّمَ ، اخْتَمَلَ أَبُو جَهْلٍ الْحَجَرَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ نَحْوَهُ ، حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْهُ ،
رَجَعَ مُنْهَازًا ، مُتَقِعًا لَوْنَهُ ، مَرْغُوبًا ، قَدْ بَيَسَتْ يَدَاهُ عَلَى حَجَرِهِ حَتَّى
قَذَفَ الْحَجَرَ مِنْ يَدِهِ .

وَقَامَ إِلَيْهِ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالُوا لَهُ مَا لَكَ يَا أَبَا الْحَكَمِ ، قَالَ قُمْتُ
إِلَيْهِ لِأَفْعَلَ بِهِ مَا قُلْتُ لَكُمْ الْبَارِحَةَ ، فَلَمَّا دَنَوْتُ مِنْهُ ، عَرَضَ لِي دُونَهُ ،
فَحَلَّ مِنَ الْإِبْلِ ، لَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَامِيهِ ، وَلَا قِصْرَتِهِ ، وَلَا أُنْيَابِهِ ،
لِفَحْلٍ قَطُ ، فَهَمَّ بِي أَنْ يَأْكُلَنِي ، وَرَوِي أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَالَ ذَلِكَ جِبْرِيلُ لَوْ دَنَا لِأَخَذَهُ .

٦٩ - ومنها قِصَّةُ أُخْرَى مَعَ أَبِي جَهْلٍ فَعَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ قَالَ أَبُو
جَهْلٍ ، هَلْ يُعْفَرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ، قَالُوا نَعَمْ ، قَالَ فَقَالَ
وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى ، لَئِنْ رَأَيْتُهُ يُصَلِّي كَذَلِكَ لِأَطَانٍ عَلَى رَقَبَتِهِ ، وَلَا عَفْرُونَ
وَجْهَهُ فِي التَّرَابِ ، فَاتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ يُصَلِّي
لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ ، قَالَ فَمَا فَجَأَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقْبَيْهِ ، وَيَنْقِي
بِيَدَيْهِ .

قَالَ فَقِيلَ لَهُ مَا لَكَ ، فَقَالَ إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ خَنْدَقًا مِنْ نَارٍ ، وَهَوْلًا ،
وَأَجْنِحَةً ، قَالَ فَقَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَوْ دَنَا مِنِّي
لَاخْتَطَفْتُهُ الْمَلَائِكَةُ عَضْوًا عَضْوًا » قَالَ فَانزَلَ اللَّهُ لَا أُدْرِي فِي حَدِيثِ أَبِي
هُرَيْرَةَ أَمْ لَا (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَ طَافٍ) إِلَى آخِرِ السُّورَةِ

٧٠ - وَمِنْ أَعْلَامِ نُبُوَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَا يَلِي : قَالَ مُحَمَّدٌ
بْنُ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ ، حَدَّثْتُ أَنَّ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ كَانَ سَيِّدًا حَلِيمًا ، قَالَ يَوْمًا
وَهُوَ جَالِسٌ ، فِي نَادِي قُرَيْشٍ ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
جَالِسٌ ، وَحَدُهُ فِي الْمَسْجِدِ ، قَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، أَلَا أَقُومُ إِلَى
مُحَمَّدٍ ، وَأَكَلَّمُهُ ، وَأَعْرُضُ عَلَيْهِ أُمُورًا ، لَعَلَّهُ يَقْبَلُ مِنِّي بَعْضَهَا فَنُعْطِيهِ ،
وَيَكْفُفَ عَنِّي ، وَذَلِكَ حِينَ أَسْلَمَ حَمْزَةُ ، وَرَأَوْا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَزِيدُونَ ، وَيَكْتُرُونَ .

فَقَالُوا بَلَى ، يَا أَبَا الْوَلِيدِ ، فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَكَلَّمَهُ ، فَقَامَ عُتْبَةُ ، حَتَّى جَلَسَ

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال يا ابن أخي أنك منا حيث علمت ، من البسطة ، في العشييرة ، والمكان في النسب وإنك قد أتيت قومك ، بأمر عظيم ، فرقت جماعتهم وسفقت أحلامهم ، وعبت آلهتهم ، وكفرت من مضي من آباؤهم ، فاستمع مني ، أعرض عليك أموراً تنظر فيها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، (قل يا أبا الوليد) .

فقال يا ابن أخي ، إن كنت تريد شرفاً ، سودناك علينا ، وإن كنت تريد مالا بما جئت به ، جمعنا لك من أموالنا ، حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كان الذي بك رثياً ، لا نستطيع رده ، طلبنا لك الطب ، ولعل هذا شعر جاش بصدرك ، فإنكم لعمرى ، بني المطلب ، تقدرون من ذلك ما لا يقدر عليه غيركم ، حتى إذا فرغ ما عنده ، من سائر الأمور التي يزعم أنها ترده عما يقول ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « أو قد فرغت يا أبا الوليد ؟ » قال نعم .

قال « فاستمع مني » قال فافعل فقال صلى الله عليه وسلم (بسم الله الرحمن الرحيم ، حم . تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآنا عربياً لقوم يعلمون) ثم مضى فيها يقرأ ، فلما سمعها عتبة ، أنصت له ، وألقى يديه خلف ظهره ، معتمداً عليها يستمع منه ، حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة فسجد ، ثم قال « قد سمعت يا أبا الوليد فأنت وذاك » فقام عتبة إلى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض نحلف بالله ، لقد جاءكم أبو الوليد ، بغير الوجه الذي ذهب به .

فلما جلس فيهم ، قالوا ما وراءك ، يا أبا الوليد ، فقال ورائي إني سمعت قولاً ، والله ما سمعت بمثله ، قط ، ما هو بالشعر ، ولا السحر ، ولا الكهانة ! يا معشر قريش أطيعوني ، خلوا بين هذا

الرَّجُلِ ، وَبَيْنَ مَا هُوَ فِيهِ ، وَاعْتَزَلُوهُ ، فَوَاللَّهِ لَيَكُونَنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي سَمِعْتُ
نَبَأًا ، فَإِنْ تَصَبَّهُ الْعَرَبُ فَقَدْ كُفِّتُمُوهُ بِغَيْرِكُمْ ، وَإِنْ يَظْهَرُ عَلَى الْعَرَبِ ،
فَمَلِكُهُ مُلْكُكُمْ ، وَعِزُّهُ عِزُّكُمْ ، فَأَنْتُمْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِهِ ، فَقَالُوا سَحَرَكَ
وَاللَّهِ يَا أَبَا الْوَلِيدِ بِلِسَانِهِ فَقَالَ هَذَا رَأْيِي لَكُمْ فاصْنَعُوا مَا بَدَأْتُكُمْ .

٧١ - ومنها ما رُوِيَ عنه صلى الله عليه وسلم من أن ابن بنته
فَاطِمَةَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ يُقْتَلُ بِالْعِرَاقِ فَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا أَخْبَرَ فَقُتِلَ الْحُسَيْنُ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي كَرْبَلَاءَ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَلَهُ أَرْبَعٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً وَسِتُّهُ
أَشْهُرٌ وَنِصْفُ الشَّهْرِ .

٧٢ - ومنها دَعَاؤُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ ،
وَاسْتِجَابَةَ اللَّهِ لِدَعَائِهِ ، فَعَنْ أَنْسِ بْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ جَاءَتْ بِي
أُمِّي أُمُّ أَنْسٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ أَرَزْتَنِي
بِنِصْفِ خِمَارِهَا ، وَرَدَّتْنِي بِنِصْفِهِ ، فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا أَنْسٌ ،
أَبْنِي أَتَيْتَكَ بِهِ يَخْدُمُكَ ، فَادْعُ اللَّهَ لَهُ ، فَقَالَ « اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ ،
وَوَلَدَهُ » .

قال أنس ، فَوَاللَّهِ أَنْ مَالِي كَثِيرٌ ، وَإِنْ وَلَدِي وَوَلَدُ وَلَدِي لَيَتَعَادُونَ
عَلَى نَحْوِ الْمِائَةِ الْيَوْمَ ، أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، وَعَنْ أَبِي خَلْدَةَ خَالِدِ بْنِ دِينَارٍ ،
قَالَ قُلْتُ لِأَبِي الْعَالِيَةِ ، سَمِعَ أَنْسٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، قَالَ خَدَمَهُ عَشْرَ سِنِينَ ، وَدَعَا لَهُ ، وَكَانَ لَهُ بُسْتَانٌ يَحْمِلُ فِي
السَّنَةِ الْفَاكِهَةَ مَرَّتَيْنِ ، وَكَانَ فِيهِ رِيحَانٌ ، يَجِيءُ مِنْهُ رِيحُ الْمِسْكِ ،
أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ .

٧٣ - وَمِنْ ذَلِكَ إِخْبَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ مَقْتَلِ الْقُرَاءِ ،
فَعَنْ أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ جَاءَ نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ

عليه وسلم ، فقالوا إِبْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا يُعَلِّمُنَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ ، يُقَالُ لَهُمْ الْقُرَاءُ فِيهِمْ خَالِي حَرَامٌ ، يُقْرَأُونَ الْقُرْآنَ ، وَيَتَدَارَسُونَ بِاللَّيْلِ ، يَتَعَلَّمُونَ .

وكانوا بالنهارِ يَجِئُونَ بِالْمَاءِ ، فَيَضَعُونَهُ فِي الْمَسْجِدِ ، وَيَحْتَطِبُونَ ، فَيَبِيعُونَهُ وَيَشْتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ لِأَهْلِ الصُّفَةِ ، وَلِلْفُقَرَاءِ ، فَبَعَثَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ ، فَعَرَضُوا لَهُمْ فَقَتَلُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا الْمَكَانَ ، فَقَالُوا اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا ، أَنَا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ ، وَرَضِينَا عَنْكَ .

قال : وَآتَى رَجُلٌ حَرَامَ ، خَالَ أَنَسٍ ، مِنْ خَلْفِهِ فَطَعَنَهُ بِرُمْحٍ حَتَّى أَنْفَذَهُ ، فَقَالَ حَرَامٌ ، فُزْتُ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ « إِنْ اخوانُكُمْ قَدْ قَتَلُوا وَإِنَّهُمْ قَالُوا اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا ، أَنَا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ ، وَرَضِينَا عَنْكَ » .

٧٤ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا تَلَا (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى) قَالَ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي لَهَبٍ ، كَفَرْتُ بِالذِّي دَنَا فَتَدَلَّى ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبًا مِنْ كِلَابِكَ » يَعْنِي الْأَسَدَ ، فَخَرَجَ عُتْبَةُ مَعَ أَصْحَابِهِ ، فِي عَيْرٍ إِلَى الشَّامِ ، حَتَّى إِذَا كَانُوا فِي طَرِيقِهِمْ ، زَارَ الْأَسَدُ ، فَجَعَلَتْ فَرَائِصُ عُتْبَةَ تَرْتَعِدُ ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَرْتَعِدُ ، فَوَاللَّهِ مَا نَحْنُ وَأَنْتَ إِلَّا سَوَاءٌ ، فَقَالَ إِنَّ مُحَمَّدًا دَعَا عَلِيَّ ، وَمَا تُرَدُّ لَهُ دَعْوَةٌ ، وَلَا أَصْدَقُ مِنْهُ لَهْجَةً .

فَوَضَعُوا الْعِشَاءَ ، فَلَمْ يَدْخُلْ يَدُهُ فِيهِ ، وَحَاطَ الْقَوْمُ أَنْفُسَهُمْ بِمَتَاعِهِمْ ، وَجَعَلُوا عُتْبَةَ وَسَطَهُمْ ، وَنَامُوا ، فَجَاءَ الْأَسَدُ يَشُمُّ رُؤُوسَهُمْ ، رَجُلًا رَجُلًا ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى عُتْبَةَ ، فَهَشَمَهُ هَشْمَةً أَوْصَلَتْهُ إِلَى آخِرِ رَمَقٍ ، فَقَالَ وَهُوَ بِآخِرِ رَمَقٍ ، أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنَّ مُحَمَّدًا أَصْدَقُ النَّاسِ لَهْجَةً .

٧٥ - وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابنِ عَبَّاسٍ ، وَهُوَ
يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ : « اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ، وَعَلِّمَهُ التَّوْبِيلَ » فَخَرَجَ أَفْقَهُ
النَّاسِ فِي الدِّينِ ، وَأَعْلَمَهُمُ بِالتَّوْبِيلِ ، حَتَّى سُمِّيَ البَحْرَ ، لِسَعَةِ
عِلْمِهِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

٧٦ - وَمِنْهَا مَا رَوَاهُ الامامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ مِنْ أَنَّ عَائِشَةَ لَمَّا أَقْبَلَتْ
وَبَلَغَتْ مِائَةَ بَنِي عَامِرٍ لَيْلًا ، نَبَحَتْ الكِلَابُ ، فَقَالَتْ أَيُّ مَاءٍ هَذَا ، قَالُوا
مَاءُ الحَوَابِ ، قَالَتْ مَا أَظُنُّنِي إِلَّا أَنِّي رَاجِعَةٌ ، قَالَ بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعَهَا
بَلُّ تَقْدِيمِينَ ، فِيرَاكِ المُسْلِمُونَ ، فَيُصَلِّحُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَاتَ بَيْنِهِمْ ،
قَالَتْ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهَا ذَاتَ يَوْمٍ « كَيْفَ
بِإِحْدَاكُنَّ ، تَتَّبِعُ عَلَيْهَا كِلَابُ الحَوَابِ » وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ :
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَيْتَ شِعْرِي ، أَتَيْتُكَ صَاحِبَةٌ
الجَمَلِ المُدَبِّبِ ، تَخْرُجُ فَيَنْبِحُهَا كِلَابُ الحَوَابِ ، يُقْتَلُ عَنْ يَمِينِهَا
وَعَنْ يَسَارِهَا قَتْلَى كَثِيرٌ ، ثُمَّ تَنْجُو بَعْدَمَا كَادَتْ » رَوَاهُ البِزَارُ وَرِجَالُهُ
يُثَقَاتُ كُلُّ ذَلِكَ يَقَعُ طَبَقٌ مَا أَخْبَرَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ
عَلَيْهِ اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا مَنْ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ يَا ذَا الجَلالِ
وَالِإِكْرَامِ يَا وَاحِدُ أَحَدٍ يَا فَرْدُ صَمَدِيَا بَدِيعِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ نَسْأَلُكَ أَنْ
تَنْصُرَ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَنْ تَعْلَى كَلِمَةَ الْحَقِّ وَالدِّينِ وَأَنْ تَشْمَلَ
بِعَنَائَتِكَ وَتَوْفِيقِكَ كُلَّ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وَأَنْ تَمَلَأَ قُلُوبَنَا بِمَحَبَّتِكَ وَمَحَبَّةِ
رُسُلِكَ وَأَوْلِيائِكَ وَأَنْ تُلْهِمَنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَحَمْدَكَ .

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَأَيَّنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ
حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا
أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَضْلٌ »

٧٧ - وَمِنْ ذَلِكَ إِخْبَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ حَرَامَ عَزْوِهَا فِي الْبَحْرِ وَعُلُوُّ مَكَانِهَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ اسْحَقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَهَبَ إِلَى قُبَاءَ يَدْخُلُ عَلَى أُمَّ حَرَامَ بِنْتِ مِلْحَانَ فَيُطْعِمُهُ ، وَكَانَتْ تَحْتَ عِبَادَةِ بْنِ الصَّامِتِ .

فَدَخَلَ يَوْمًا فَاطَعَمْتَهُ ، فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ يَضْحَكُ قَالَتْ فَقُلْتُ مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ « نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غَزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، يَرْكَبُونَ شِبْجَ هَذَا الْبَحْرِ ، مُلُوكًا عَلَى الْأَسْرِ - أَوْ قَالَ مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الْأَسْرِ » شَكَ اسْحَقُ ، قَالَتْ أَدْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ ، فَدَعَا لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ ! ثُمَّ اسْتَيْقَظَ ، وَهُوَ يَضْحَكُ ، قَالَتْ قُلْتُ مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ « نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غَزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ » كَمَا قَالَ فِي الْأَوَّلَى ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَدْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ ، قَالَ « أَنْتِ مِنَ الْأَوَّلِينَ » فَرَكِبَتِ الْبَحْرَ زَمَانَ مُعَاوِيَةَ ، فَصُرِعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنَ الْبَحْرِ فَهَلَكَتْ ، فَوَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٧٨ - وَمِنْهَا إِخْبَارُهُ عَنْ أَوَّلِ زَوْجَاتِهِ لِحُوقًا بِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، فَعَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ بَعْضَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْنَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْنَا أَسْرَعُ بِكَ لِحُوقًا ، قَالَ أَطْوَلُكُمْ يَدًا ، فَاخَذَنَ قَصَبَةً

يَذَرُ عَنْهَا فَكَانَتْ سَوْدَةً أَطْوَلَهُنَّ يَدًا ، فَعَلِمْنَا بَعْدُ إِنَّمَا كَانَ طَوْلُ يَدِهَا
الصَّدَقَةِ ، وَكَانَتْ تُحِبُّ الصَّدَقَةَ ، وَكَانَتْ أَسْرَعُنَا لُحُوقًا بِهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانُ .

٧٩ - وَمِنْ ذَلِكَ إِخْبَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامِلَ كِسْرَى مَلِكِ
الْفُرسِ عَلَى الْيَمَنِ أَنَّ اللَّهَ وَعَدَهُ أَنْ يَقْتَلَ كِسْرَى فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا مِنْ
شَهْرِ كَذَا وَكَذَا وَمِنْ حَدِيثِهِ أَنَّ كِسْرَى كَتَبَ إِلَى عَامِلِهِ عَلَى الْيَمَنِ بِأَذَانٍ أَنَّهُ
بَلَّغْنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ خَرَجَ بِمَكَّةَ يُزْعِمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ فَمَسَّرَ إِلَيْهِ فَاسْتَبَيْهُ فَإِنْ
تَابَ وَالْأُخْرَى فَبَعَثْتُ إِلَيْهِ بِرَأْسِهِ .

فَبَعَثَ بِأَذَانٍ بِكِتَابِ كِسْرَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «
إِنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَنِي أَنْ يَقْتَلَ كِسْرَى فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا ، مِنْ شَهْرِ كَذَا
وَكَذَا» فَلَمَّا أَتَى بِأَذَانِ كِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَقَّفَ ،
لِيَنْظُرَ ، وَقَالَ إِنْ كَانَ نَبِيًّا فَسَيَكُونُ مَا قَالَ ، فَقَتَلَ كِسْرَى ، فِي الْيَوْمِ الَّذِي
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قُتِلَ عَلَى يَدِ ابْنِهِ ، شَيْرَوَيْه .

فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ بِأَذَانِ بَعَثَ بِاسْلَامِهِ ، وَاسْلَامَ مَنْ مَعَهُ ، مِنَ الْفُرسِ
إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتِ الرَّسُلُ مِنَ الْفُرسِ ، إِلَى
مَنْ نَحْنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ « أَنْتُمْ مِنَّا وَإِلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ » .

٨٠ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ قَالَ
عَدَا الذُّبُّ عَلَى شَاةٍ فَأَخَذَهَا فَطَلَبَهُ الرَّاعِي فَانْتَزَعَهَا مِنْهُ ، فَأَقْعَى الذُّبُّ
عَلَى ذَنْبِهِ ، فَقَالَ أَلَا تَتَّقِي اللَّهَ تَنْزِعُ مِنِّي رِزْقًا سَأَفَهُ اللَّهُ إِلَيَّ ، فَقَالَ يَا

عَجِبِي ذَنْبٌ يُكَلِّمُنِي كَلَامَ الْأَنْسِ ، فَقَالَ الذِّئْبُ أَلَا أَخْبَرُكَ بِأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ ، مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْثِرَبَ ، يُخْبِرُ النَّاسَ بِأَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ، قَالَ فَأَقْبَلَ الرَّاعِي يَسُوقُ غَنَمَهُ ، حَتَّى دَخَلَ الْمَدِينَةَ ، فَزَوَّاهَا إِلَى زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهَا .

ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنودي الصلاة جامعة ، ثم خرج فقال للراعي أخبرهم ، فأخبرهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صدق ، والذي نفس محمد بيده ، لا تقوم الساعة ، حتى يكلم الرجل عدبة سوطه ، وشراك نعله ، ويخبره فخذة ، بما أحدث أهلُه بعده » .

قال ابن كثير وهذا اسناد على شرط مسلم ، وقد صححه البيهقي ، ولم يروه إلا الترمذي من قوله : والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الأنس إلى آخره .

٨١ - ومن ذلك توفيته صلى الله عليه وسلم موافقت الحج المكانية وذلك أنه عينها من قبل فتح بلدانها قال الناظم :
واحرام حج من موافقت خمسة
لطيبة وقت ذا الحليفة واقصد
وللشام والمضر والغرب جحفة
وليمن التالي يلمم فارصد
وخذ ذات عرق للعراق ووفده
وقرناً لوفد طائفي ومنجد

وَتَعْيِينَهَا مِنْ مُعْجَزَاتِ نَبِيِّنَا
لِتَعْيِينِهِ مِنْ قَبْلِ فَتْحِ الْمُعَدِّ

٨٢ - ومن ذلك إنذاره صلى الله عليه وسلم بريحٍ شديدةٍ في
تَبُوكَ ، وَطَلَبَ مِنْ أَصْحَابِهِ أَنْ يَأْخُذُوا جِذْرَهُمْ ، فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ
أَبِي حُمَيْدٍ ، قَالَ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي غَزْوَةِ
تَبُوكَ ، فَأَتَيْنَا وَادِي الْقَرَى ، عَلَى حَدِيثِهَا لِامْرَأَةٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اخْرُصُوهَا ، فَخَرَصْنَاهَا ، وَخَرَصَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَةَ أَوْسُقٍ ، وَقَالَ : أَحْصِيهَا ، حَتَّى نَرْجِعَ إِلَيْكَ أَنْ شَاءَ
اللَّهُ ، وَأَنْطَلَقْنَا ، حَتَّى قَدِمْنَا تَبُوكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ « سَتَهُبُ رِيحٌ شَدِيدَةٌ » فَقَامَ رَجُلٌ فَحَمَلَتْهُ الرِّيحُ إِلَى أَنْ أَلْقَتْهُ بِجَبَلِي
طِيءٍ ، وَجَاءَ رَسُولُ صَاحِبِ إِبِلَةٍ ، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِكِتَابٍ ، وَأَهْدَى لَهُ بَعْلَةً بَيْضَاءَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، وَأَهْدَى لَهُ بُرْدًا ، ثُمَّ أَقْبَلْنَا ، حَتَّى قَدِمْنَا ، وَادِي الْقَرَى ، فَسَأَلَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَرْأَةَ ، عَنْ حَدِيثِهَا كَمْ بَلَغَ ثَمَرُهَا ،
فَقَالَتْ عَشْرَةَ أَوْسُقٍ ، تَمَامًا كَمَا أَخْبَرَ : ٨٣ وَهَذِهِ أَيْضًا مُعْجَزَةٌ .

٨٤ - وَمِنْ ذَلِكَ إِخْبَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ سَيَأْتِي زَمَانٌ
تَرْتَجِلُ فِيهِ الطَّعِينَةُ مِنَ الْحَيْرَةِ إِلَى الْكَعْبَةِ ، لَا تَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَوَقَعَ طَبَقٌ
مَا أَخْبَرَ .

ففي صحيح البخاري عن عدي بن حاتم قال : بينا أنا عند النبي
صلى الله عليه وسلم إذ أتاه رجلٌ ، فشكا إليه الفاقة ، ثم أتاه آخرٌ فشكا
قطع السبيل ، فقال « يا عدي هل رأيت الحيرة ؟ » قلت : لم أرها ، وقد

أَبِيَتْ عَنْهَا . قَالَ « فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ ، لَتَرِينَ الطَّعِينَةَ تَرْتَجِلُ مِنَ الْحَيْرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ ، لَا تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ » قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي فَأَيْنَ دِعَارُ طِيءٍ - أَيِ قُطَاعِ الطَّرِيقِ - الَّذِينَ سَعَرُوا الْبِلَادَ - « وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ ، لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى » قُلْتُ كِسْرَى ابْنُ هُرْمُزٍ ، قَالَ « كِسْرَى ابْنُ هُرْمُزٍ ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ ، لَتَرِينَ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِלًّا كَفَّهُ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ .

وَلَيَلْقَيْنَ اللَّهَ أَحَدَكُمْ يَوْمَ يَلْقَاهُ ، وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ يُتْرَجَمُ لَهُ فَيَقُولَنَّ : أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُولًا فَيُبَلِّغَكَ ، فَيَقُولُ بَلَى : فَيَقُولُ أَلَمْ أُعْطِكَ مَالًا ، فَيَقُولُ بَلَى ، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ ، فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ ، وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِهِ ، فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ » قَالَ عَدِيٌّ ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شِقِّ تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ » .

وقال عديُّ فرأيت الطَّعِينَةَ تَرْتَجِلُ مِنَ الْحَيْرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ إِلَّا اللَّهَ ، وَكُنْتُ فِيمَنْ فَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى ابْنِ هُرْمُزٍ ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ ، لَتَرُونَ مَا قَالَ النَّبِيُّ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « يُخْرِجُ مِلًّا كَفَّهُ » .

٨٥ - وَمِنْ ذَلِكَ دُعَاؤُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلنَّبَاغَةِ الْجَعْدِيِّ ، بِقَوْلِهِ لَهُ « لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَاكَ » فَعُمِّرَ ، وَكَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ ثَغْرًا ، كُلَّمَا سَقَطَتْ لَهُ سِنَّةٌ ، نَبَتَتْ لَهُ أُخْرَى .

٨٦ - وَمِنْ ذَلِكَ سُقُوطُ الْأَصْنَامِ ، بِإِشَارَةِ مِنْ قَضِيبٍ ، كَانَ فِي

يَدِهِ ، فَإِنَّهُ كَانَ حَوْلَ الْكَعْبَةِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ صَنَمًا ، أَرْجُلُهَا مُثَبَّتَةٌ بِالرِّصَاصِ ، فِي الْحِجَارَةِ ، تَثْبِيتًا مُحْكَمًا ، فَلَمَّا دَخَلَ عَامَ الْفَتْحِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، جَعَلَ يُشِيرُ بِقَضِيْبٍ فِي يَدِهِ ، إِلَى تِلْكَ الْأَصْنَامِ فَوَقَعَتْ لُجُوهُهَا ، وَظَهُورُهَا ، حَسَبَ إِشَارَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٨٧- وَمِنْ ذَلِكَ مَا رُوِيَ أَنَّ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، بَعَثَ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ ، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَاجَةٍ ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ رَجُلًا ، فَرَجَعَ وَلَمْ يُكَلِّمَهُ ، مِنْ أَجْلِ مَكَانِ الرَّجُلِ ، فَلَقِيَ الْعَبَّاسُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ ، فَقَالَ « وَرَأَاهُ ؟ » قَالَ نَعَمْ « قَالَ أَتَدْرِي مَنْ ذَلِكَ الرَّجُلُ ؟ » ذَلِكَ جَبْرِيلُ .

وَلَنْ يَمُوتَ حَتَّى يَذْهَبَ بَصْرُهُ ، وَيُؤْتَى عِلْمًا « وَقَدْ مَاتَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ ، بَعْدَ مَا عَمِيَ بَصْرُهُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَصَارَ بَحْرًا زَاخِرًا فِي الْعِلْمِ .

٨٨- وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ حِمَارَةَ عَنْ أُنَيْسَةَ بِنْتِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ، عَنْ أَبِيهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى زَيْدٍ يَعُودُهُ فِي مَرَضٍ كَانَ بِهِ ، قَالَ « لَيْسَ عَلَيْكَ مِنْ مَرَضِكَ بَأْسٌ ، وَلَكِنْ كَيْفَ بِكَ إِذَا عُمِّرْتَ بَعْدِي ، فَعَمَيْتَ ؟ » قَالَ : إِذَا احْتَسِبْتُ وَأَصْبِرُ ، قَالَ : « إِذَا تَدَخَّلَ الْجَنَّةَ ، بِغَيْرِ حِسَابٍ » قَالَ فَعَمِيَ بَعْدَ مَا مَاتَ . رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بَصْرَهُ ، ثُمَّ مَاتَ .

٨٩- وَمِنْ ذَلِكَ إِخْبَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ مِخْنَةَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،

قال كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَفْتَحَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ » فَفَتَحْتُ ، فَإِذَا هُوَ أَبُو بَكْرٍ ، فَبَشَّرْتُهُ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَمِدَ اللَّهَ .

ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَفْتَحَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ » فَفَتَحْتُ ، فَإِذَا هُوَ عُمَرُ ، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ فَقَالَ لِي « افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ ، عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ » فَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَمِدَ اللَّهَ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

٩٠ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ ، قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثِينَ وَمِائَةً فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ مَعَ أَحَدٍ مِنْكُمْ طَعَامٌ ، فَإِذَا مَعَ رَجُلٍ صَاعٌ مِنْ طَعَامٍ ، أَوْ نَحْوِهِ ، فَعَجَنَ ، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ مُشْعَانٌ طَوِيلٌ بِغَنَمٍ يَسُوقُهَا ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « بَيْعًا ، أَمْ هِبَةً ؟ » قَالَ بَلْ بَيْعٌ ، فَاشْتَرَى مِنْهَا شَاةً ، فَضَبِنَتْ ، فَأَمَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَوَادِ الْبَطْنِ أَنْ يُشْوَى ، وَأَيْمُ اللَّهِ ، مَا فِي الثَّلَاثِينَ وَالْمِائَةِ ، رَجُلٌ إِلَّا قَدْ حَزَّ لَهُ حِزَّةٌ مِنْ سَوَادِ بَطْنِهَا إِنْ كَانَ شَاهِدًا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ ، وَإِنْ كَانَ غَائِبًا خَبَأَ لَهُ ، فَجَعَلَ مِنْهَا قِصْعَتَيْنِ ، فَأَكَلُوا أَجْمَعُونَ ، وَشَبِعْنَا فَفَضَلَتْ الْقِصْعَتَانِ فَحَمِلْنَا عَلَى الْبَعِيرِ رَوَاهُ الشَّيْخَانُ .

٩١ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْ سَمُرَةَ ، قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَتَدَاوُلُ مِنْ قِصْعَةٍ ، مِنْ غَدْوَةٍ حَتَّى اللَّيْلِ ، تَقُومُ عَشْرَةٌ ، وَتَقْعُدُ عَشْرَةٌ فَقُلْنَا فِيمَا كَانَتْ تُمَدُّ ، قَالَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَعْجَبُ ، مَا كَانَتْ تُمَدُّ إِلَّا مِنْ هَاهُنَا ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى السَّمَاءِ ، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

٩٢- وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ جَابِرٌ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَهُ رَجُلٌ يَسْتَطْعِمُهُ ، فَاطْعَمَهُ شَطْرَ وَسْقِي شَعِيرٍ ، فَمَا زَالَ الرَّجُلُ يَأْكُلُ مِنْهُ ، وَأَمْرَاتِهِ ، وَضَيْفَهُمَا ، حَتَّى كَالَهُ ، فَفَنِي ، فَاتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « لَوْلَمْ تَكِلْهُ لِأَكَلْتُمْ مِنْهُ ، وَلَقَامَ لَكُمْ » رواه مسلم .

٩٣- وَمِنْ ذَلِكَ دُعَاؤُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مُضَرَ ، وَإِمْسَاكَ الْقَطْرِ عَنْهُمْ ، فَإِنَّهُمْ لَمَّا كَذَّبُوهُ ، وَأَذَوْهُ ، فِي نَفْسِهِ ، وَأَصْحَابِهِ ، دَعَا عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ « اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطَأَتَكَ عَلَى مُضَرَ ، وَابْعَثْ عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » فَأَمْسِكَ عَنْهُمْ الْقَطْرَ ، حَتَّى جَفَّ النَّبَاتُ ، وَالشَّجَرُ ، وَمَاتَتِ الْمَائِيَّةُ ، وَحَتَّى اسْتَوُوا الْقِدْ ، وَأَكَلُوا الْعَلْهَرَ ، وَتَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ ، لَشِدَّةِ الْحَالِ .

فَوَفَدَ حَاجِبُ بْنُ زُرَّارَةَ ، إِلَى كِسْرَى فَشَكَاَ إِلَيْهِ مَا نَالَهُمْ ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فِي الرَّغِي ، بِالسَّوَادِ ، وَرَهْنَهُ قَوْسَهُ .

وَالْقِصَّةُ مَشْهُورَةٌ ، يَسُوقُهَا أَهْلُ التَّفْسِيرِ ، عِنْدَ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴾ .

اللهم انا نعوذ بك من جهد البلاء ودرَك الشقاء وشماتة الأعداء وسوء المنظر في الأهل والمال والولد اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا اللهم اهننا ذكرك وشكرك وأرزقنا الاستقامة طوع أمرك وتفضل علينا بعافيتك وجزيل عفوك واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

قال ابن القيم رحمه الله :

يَا قَاعِداً سَارَتْ بِهِ أَنْفَاسُهُ

سَيْرَ الْبَرِيدِ وَكَيْسَ بِالذَّمِّ لَانِ

حَتَّى مَتَى هَذَا الرُّقَادُ وَقَدْ سَرَى
 وَقَدْ المَحَبَّةِ مَعَ أُولِي الإِحْسَانِ
 وَحَدَّثَ بِهِم عَزَمَاتُهُمْ نَحْوَ العُلَى
 لَا حَادِي الرُّكْبَانِ والأَضْعَانِ
 رَكِبُوا العَزَائِمَ وَاغْتَلَوْا بِظُهُورِهَا
 وَسَرَوْا فَمَا حَنُّوا إِلَى نُعْمَانَ
 سَارُوا رُوَيْدًا ثُمَّ جَاؤُوا أَوْلًا
 سِيرَ الدَّلِيلِ يَوْمٌ بِالرُّكْبَانِ
 سَارُوا بِإِثْبَاتِ الصِّفَاتِ إِلَيْهِ لَا التَّ
 تَعْطِيلِ وَالتَّحْرِيفِ وَالنُّكْرَانِ
 عَرَفُوهُ بِالْأَوْصَافِ فَاِمْتَلَأَتْ قُلُوبُ
 بِهِمْ لَهُ بِالْحُبِّ وَالْإِيمَانِ
 فَتَطَايَرَتْ تِلْكَ القُلُوبُ إِلَيْهِ بِالِ
 شَوَاقٍ إِذْ مُلِئَتْ مِنَ العِرْفَانِ
 وَأَشَدَّهُمْ حُبًّا لَهُ أَذْرًا هُمُومًا
 بِصِفَاتِهِ وَحَقَائِقِ القُرْآنِ
 فَالْحُبُّ يَتَّبِعُ لِلشُّعُورِ بِحَسْبِهِ
 يَقْوَى وَيَضْعُفُ ذَلِكَ ذُو تَبْيَانِ
 وَلِذَلِكَ كَانَ العَارِفُونَ صِفَاتِهِ
 أَحْبَابَهُ هُمْ أَهْلُ هَذَا الشُّانِ
 وَلِذَلِكَ كَانَ العَالِمُونَ بِرَبِّهِمْ
 أَحْبَابَهُ وَبِشِرْعَةِ الإِيمَانِ

وَلِذَٰكَ كَانَ الْمُنْكَرُونَ لَهَا هُمُ الْ
أَعْدَاءُ حَقًّا هُمْ أَوْلُو الشَّنَآنِ

وَلِذَٰكَ كَانَ الْجَاهِلُونَ بِذَا وَذَا
نُغْضَاؤُهُ حَقًّا ذَوِي شَنَّانِ

وَحَيَاةُ قَلْبِ الْمَرَّةِ فِي شَيْئَيْنِ مَنْ
يُرْزَقُهُمَا يَحْيَى مَدَى الْأَزْمَانِ

فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَى يَكُونُ
نُ الْحَيِّ ذَا الرِّضْوَانِ وَالْإِحْسَانِ

ذَكَرَ الْإِلَهَ وَحُبَّهُ مِنْ غَيْرِ إِشْدَادٍ
رَأَى بِهِ وَهُمَا فَمُتَنِعَانِ

مِنْ صَاحِبِ التَّعْطِيلِ حَقًّا كَامِتِنَا
عِ الطَّائِرِ الْمَقْصُوصِ مِنْ طَيْرَانِ

أَجِبُهُ مَنْ كَانَ يُنْكَرُ وَصَفَهُ
وَعُلُوَّهُ وَكَلَامَهُ بِقُرْآنِ

لَا وَالَّذِي حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى
مُتَكَلِّمًا بِالْوَحْيِ وَالْفُرْقَانِ

اللَّهُ أَكْبَرُ ذَاكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْ
بِيهِ لِمَنْ يَرْضَى بِلا حُسْبَانِ

وَتَرَى الْمُخَلَّفَ فِي الدِّيَارِ تَقُولُ ذَا
إِحْدَى الْأُنَا فِي خُصِّ بِالْحِرْمَانِ

اللَّهُ أَكْبَرُ ذَاكَ عَدْلُ اللَّهِ يَفُ
 ضِيهِ عَلَى مَنْ شَاءَ مِنْ إِنْسَانٍ
 وَلَهُ عَلَى هَذَا وَهَذَا الْحَمْدُ فِي آلِ
 أُوْلَى وَفِي الْآخِرَى هُمَا حَمْدَانِ
 حَمْدٌ لِيَذَاتِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ
 وَكَذَاكَ حَمْدُ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ
 يَا مَنْ تَعَزُّ عَلَيْهِمْ أَرْوَاحُهُمْ
 وَيَرَوْنَ غَبْنًا بَيْعَهَا بِهَوَانٍ
 وَيَرَوْنَ خُسْرَانًا مُبِينًا بَيْعَهَا
 فِي إِثْرِ كُلِّ قَبِيحَةٍ وَمُهَانٍ
 وَيَرَوْنَ مَيْدَانَ التَّسَابُقِ بَارِزًا
 فَيُتَارِكُونَ تَقْحُمَ الْمَيْدَانِ
 وَيَرَوْنَ أَنْفَاسَ الْعِبَادِ عَلَيْهِمْ
 قَدْ أُحْصِيَتْ بِالْعَدِّ وَالْحُسْبَانِ
 وَيَرَوْنَ أَنَّ أَمَامَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 لِلَّهِ مَسْأَلَتَانِ شَامِلَتَانِ
 مَاذَا عَبَدْتُمْ ثُمَّ مَاذَا قَدْ أَجَبْتُمْ
 ثُمَّ مَنْ أَتَى بِالْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ
 هَاتُوا جَوَاباً لِلسُّؤَالِ وَهَيُّوْا
 أَيْضاً صَوَاباً لِلْجَوَابِ يُدَانِ

وَتَيَقَنُوا أَنَّ لَيْسَ يُنَجِّيكُمْ سِوَى
تَجْرِيدِكُمْ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ
تَجْرِيدِكُمْ تَوْجِيدهُ سُبْحَانَهُ
عَنْ شِرْكََةِ الشَّيْطَانِ وَالْأَوْثَانِ
وَكَذَلِكَ تَجْرِيدُ اتِّبَاعِ رَسُولِهِ
عَنْ هَذِهِ الْأَرَاءِ وَالْهَدْيَانِ
وَاللَّهُ مَا يُنَجِّي الْفَتَى مِنْ رَبِّهِ
شَيْءٌ سِوَى هَذَا بِلَا رَوْعَانِ
يَا رَبُّ جَرِّدْ عَبْدَكَ الْمُسْكِينِ رَا
جِي الْفَضْلَ مِنْكَ أضعف العبدانِ
لَمْ تَنْسَهُ وَذَكَرْتَهُ فَاجْعَلْهُ لَا
يَنْسَاكَ أَنْتَ بَدَأْتَ بِالْإِحْسَانِ
وَبِهِ خَتَمْتَ فَكُنْتَ أَوْلَى بِالْجَمِيعِ
لِ وَبِالْتَّنَاءِ مِنَ الْجَهْلُولِ الْجَانِبِي
فَالْعَبْدُ لَيْسَ يَضِيعُ بَيْنَ خَوَاتِمِ
وَفَوَاتِحِ مِنْ فَضْلِ ذِي الْعِرْفَانِ
أَنْتَ الْعَلِيمُ بِهِ وَقَدْ أَنْشَأْتَهُ
مِنْ تُرْبَةٍ هِيَ أضعف الأركانِ
وَالضعفُ مُسْتَوَلٍ عَلَيْنَا مِنْ جَمِيعِ
عِ جِهَاتِنَا سِيمَا مِنَ الْإِيمَانِ

يَا رَبُّ مَعْدِرَةٌ إِلَيْكَ فَلَمْ يَكُنْ
 قَصْدُ الْعِبَادِ رُكُوبَ ذَا الْعِضْيَانِ
 لَكِنْ نُفُوسٌ سَوَّلَتْهَا وَغَرَّهَا
 هَذَا الْعَدُوُّ لَهَا غُرُورَ أَمَانِ
 فَتَيَقَّنْتَ يَا رَبُّ أَنَّكَ وَاسِعُ الْـ
 غُفْرَانِ ذُو فَضْلٍ وَذُو إِحْسَانِ
 وَسَوَّيْتَ إِلَى الْأَبْوَانِ رَحْمَتَكَ الَّتِي
 وَسِعَتْهُمَا فَعَلَّا بِكَ الْأَبْوَانِ
 هَذَا وَنَحْنُ بَنُوهُمَا وَحَلُومُنَا
 فِي جَنْبِ جِلْمِهَا لَدَى الْمِيزَانِ
 جُزْءٌ يَسِيرٌ وَالْعَدُوُّ فَوَاحِدٌ
 لَهُمَا وَأَعْدَانَا بِلَا حُسْبَانِ
 وَمَقَالْنَا مَا قَالَهُ الْأَبْوَانِ قَبْـ
 لَ مَقَالَةِ الْعَبْدِ الظُّلْمِ الْجَانِ
 نَحْنُ الْأَوْلَى ظَلَمُوا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرِ الْـ
 ذَنْبَ الْعَظِيمِ فَنَحْنُ ذُو خُسْرَانِ
 يَا رَبُّ فَانصُرْنَا عَلَى الشَّيْطَانِ لِيـ
 سَ لَنَا بِهِ لَوْلَا جِمَاكَ يَدَانِ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ وَقُورِي إِيمَانَنَا بِكَ وَبِمَلَائِكَتِكَ وَبِكُتُبِكَ وَبِرُسُلِكَ وَبِالْيَوْمِ
 الْآخِرِ وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ اللَّهُمَّ عَامِلْنَا بِعَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ وَآمِنُنَا عَلَيْنَا بِفَضْلِكَ
 وَاحْسَانِكَ وَنَجِّنَا مِنَ النَّارِ وَعَافِنَا مِنْ دَارِ الْحِزْبِيِّ وَالْبَوَارِ وَادْخُلْنَا بِفَضْلِكَ

وكرمك وجودك الجنة دار القرار واجعلنا مع عبادك الذين أنعمت عليهم من
 النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين في دارِ رضوانك وصلى الله على
 البّلهمّ ثبّت محبّتك في قلوبنا وقوّها وألهمنا ذكرك وشكرك وأرزقنا
 صيانه أوقاتنا وحفظها عن المعاصي ووفّقنا لسغلبها بالباقيات الصّالِحَاتِ
 واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الرّاحمين وصلى
 الله على مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ) ٩٤ - ومن ذلك إخباره صلى الله عليه وسلم عن مِحْنَةِ الْمُسْلِمِينَ ،
 وتَدَاعِيِ الْأُمَمِ عَلَيْهِمْ ، ففي سنن أبي داود ، عن ثوبان قال : قال رسولُ الله
 صلى الله عليه وسلم ، « يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا الْأَكْلَةُ إِلَى
 قَصْعَتِهَا » فقال قائلٌ : « وَمِنْ قِلَّةِ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ قَالَ : « بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ ،
 وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ ،
 وَلَيَقْدِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ » فقال قائلٌ : يا رسولَ الله وما الوهنُ ؟ قال
 « حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهَةُ الْمَوْتِ » وأخرجه أيضاً أحمد في مسنده .

٩٥ - ومن ذلك إخباره صلى الله عليه وسلم باتّساعِ مُلْكِ الْمُسْلِمِينَ
 وَفَوْزِهِمْ بِكُنُوزِ كِسْرَى وَقَيْصَرَ واضطرابِ أمرِ الْمُسْلِمِينَ فِي النِّهَايَةِ

ففي صحيح مسلمٍ عن ثوبان قال قال لي رسولُ الله صلى الله عليه
 وسلم : « إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا ، وَأَنَّ أُمَّتِي سَيَلُغُ
 مُلْكُهَا مَا زَوَى لِي مِنْهَا ، وَأُعْطِيَتْ الْكَثْرَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ ، وَإِنِّي سَأَلْتُ
 رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةِ عَامَةٍ ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى
 أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ .

وَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِي : يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ وَإِنِّي

أَعْطَيْتِكَ لِأَمْتِكَ أَنْ لَا أَهْلِكُهُمْ بِسَنَةِ عَامَّةٍ ، وَأَنْ لَا أَسْلِطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى
أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْنَتَهُمْ ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بَاقَطَارِهَا ، أَوْ قَالَ مِنْ بَيْنِ
أَقْطَارِهَا ، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا ، وَيَسِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا .

٩٦ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ
كَانَ رَجُلٌ نَصْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ وَقَرَأَ الْبَقْرَةَ وَأَلَّ عِمْرَانَ فَكَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَادَ نَصْرَانِيًّا ، فَكَانَ يَقُولُ : مَا يَدْرِي مُحَمَّدٌ إِلَّا مَا كَتَبْتُ لَهُ ،
فَأَمَاتَهُ اللَّهُ فَدَفَنُوهُ فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ ، فَقَالُوا هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ
وَأَصْحَابِهِ ، لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ ، نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا ، فَأَلْقَوْهُ ، فَحَفَرُوا لَهُ ،
فَأَعْمَقُوا ، فَأَصْبَحَ قَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ ، فَعَلِمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ .

٩٧ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا رُوِيَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :
بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْيَمَنِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَبَعْنِي
وَأَنَا حَدَّثُ السِّنِّ لَا عِلْمَ لِي بِالْقَضَاءِ قَالَ « انْطَلِقْ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيَهْدِي قَلْبَكَ
وَيُثِبْتُ لِسَانَكَ » قَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَمَا شَكَكْتُ فِي قَضَاءِ بَيْنِ اثْنَيْنِ
وَلِذَلِكَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَقْضَاكُمْ عَلِيٌّ » .

٩٨ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِي شَهْمٍ وَكَانَ
رَجُلًا بَطْلًا فَمَرَّتْ بِهِ جَارِيَةٌ فَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى خَاصِرَتَيْهَا قَالَ فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْعَدِ وَهُوَ يُبَايِعُ النَّاسَ فَقَبَضَ يَدَهُ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : « أَصَاحِبُ الْجَبْدَةِ أَمْسَ ؟ » قَالَ فَقُلْتُ لَا أَعُوذُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « فَنَعَمْ إِذَا » الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ .

٩٩ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ كُنْتُ جَالِسًا مَعَ

النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد منى ، فاتاه رجل من الأنصار ، ورجل من ثقيف ، فسَلَمَا ، ثُمَّ قَالَا ، يَا رَسُولَ اللَّهِ جِئْنَا نَسْأَلُكَ ، فَقَالَ « إِنْ سِئِمَا أَخْبَرْتُكُمَا ، بِمَا جِئْتُمَا تَسْأَلَانِي عَنْهُ فَعَلْتُ ، وَإِنْ سِئِمَا أَنْ أُمْسِكَ وَتَسْأَلَانِي فَعَلْتُ » فَقَالَا أَخْبِرْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ الثَّقِيفِيُّ لِلْأَنْصَارِيِّ ، سَلْ ، فَقَالَ أَخْبِرْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ .

فَقَالَ « جِئْتَ تَسْأَلُنِي عَنْ مَخْرَجِكَ مِنْ بَيْتِكَ تَوْمُ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، وَمَا لَكَ فِيهِ ، وَعَنْ رُكْعَتَيْكَ بَعْدَ الطَّوَافِ ، وَمَا لَكَ فِيهَا ، وَعَنْ طَوَافِكَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ، وَمَا لَكَ فِيهِ ، وَعَنْ وَقُوفِكَ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ ، وَمَا لَكَ فِيهِ ، وَعَنْ رَمِيكَ الْجِمَارِ ، وَمَا لَكَ فِيهِ ، وَعَنْ نَحْرِكَ ، وَمَا لَكَ فِيهِ ، مَعَ الْإِفَاضَةِ » فَقَالَ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَعَنَ هَذَا جِئْتُ ، أَسْأَلُكَ .

قَالَ « فَإِنَّكَ إِذَا خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِكَ تَوْمُ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، لَا تَضَعُ نَاقَتَكَ خُفًا ، وَلَا تَرْفَعُهُ ، إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَكَ بِهِ حَسَنَةً ، وَمَحَا عَنْكَ خَطِيئَتَهُ ، وَأَمَّا رُكْعَتَاكَ بَعْدَ الطَّوَافِ ، كَعَتَقِ رَقَبَةٍ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَمَّا طَوَافُكَ بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ، كَعَتَقِ سَبْعِينَ رَقَبَةً ، وَأَمَّا وَقُوفُكَ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَهْبِطُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيُنَازِلُ بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ يَقُولُ عِبَادِي جَاؤُنِي شُعْنًا ، مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ، يَرْجُونَ جَنَّتِي ، فَلَوْ كَانَتْ ذُنُوبُكُمْ كَعَدِيدِ الرَّمْلِ ، أَوْ كَقَطْرِ الْمَطَرِ ، أَوْ كَزَبَدِ الْبَحْرِ ، لَعَفَرْتُهَا ، أَفِيضُوا عِبَادِي ، مَغْفُورًا لَكُمْ ، وَعَمَّنْ شَفَعْتُمْ لَهُ .

وَأَمَّا رَمِيكَ الْجِمَارِ ، فَلَكَ بِكُلِّ حَصَاةٍ رَمَيْتَهَا ، تَكْفِيرٌ كَبِيرَةٌ مِنْ الْمُؤَيَّقَاتِ ، وَأَمَّا نَحْرُكَ فَمَذْخُورٌ لَكَ عِنْدَ رَبِّكَ ، وَأَمَّا جِلْدُكَ رَأْسُكَ ، فَلَكَ

بكل شَعْرَةٍ حَلَقْتَهَا حَسَنَةً ، وَوَمَحَى عَنْكَ بِهَا خَطِيئَتَهُ ، وَأَمَّا طَوَافُكَ بِالْبَيْتِ ،
بَعْدَ ذَلِكَ ، فَإِنَّكَ تَطُوفُ وَلَا ذَنْبَ لَكَ ، يَا أَبِي مَلَكُ يَضَعُ يَدَهُ بَيْنَ كَيْفَيْكَ ،
فَيَقُولُ اْعْمَلْ فِيمَا تَسْتَقْبِلُ فَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا مَضَى « رواه الطبراني في الكبير
والبزار واللفظ له ورواه ابن حبان في صحيحه .

١٠٠ - وَمِنْهَا اخْبَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَقْتَلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي
طَالِبٍ ، وَإِنَّ قَاتِلَهُ يَخْضِبُ لِحْيَةَ عَلِيٍّ مِنْ دَمِ رَأْسِهِ ، فَعَنْ فَضَالَةَ بْنِ أَبِي
فَضَالَةَ الْأَنْصَارِيِّ - وَكَانَ ابْنُ فَضَالَةَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ - قَالَ : خَرَجْتُ مَعَ أَبِي
عَائِدًا لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، مِنْ مَرَضٍ أَصَابَهُ ثَقُلَ مِنْهُ ، قَالَ فَقَالَ لَهُ أَبِي مَا
يُقِيمُكَ بِمَنْزِلِكَ هَذَا لَوْ أَصَابَ أَجْلُكَ إِلَّا أَعْرَابُ جُهَيْنَةَ ، تُحْمَلُ إِلَى الْمَدِينَةِ ،
فَإِنْ أَصَابَكَ أَجْلُكَ وَلَيْكَ أَصْحَابُكَ ، وَصَلُّوا عَلَيْكَ .

فَقَالَ عَلِيٌّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَهَدَ إِلَيَّ أَنْ لَا أَمُوتَ
حَتَّى أُوْمَرَ ، ثُمَّ تُخْضَبُ هَذِهِ ، - يَعْنِي لِحْيَتَهُ مِنْ دَمِ هَذِهِ - يَعْنِي هَامَتَهُ ،
وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ صُهَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ قَالَ عَلِيٌّ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ أَشَقَى الْأَوْلِيَيْنِ ؟ » قُلْتُ : لَا عِلْمَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ
« الَّذِي يَضْرِبُكَ عَلَى هَذِهِ - وَأَشَارَ عَلِيٌّ إِلَى يَافُوحِهِ بِيَدِهِ - فَيَخْضِبُ هَذِهِ مِنْ
هَذِهِ » يَعْنِي لِحْيَتَهُ مِنْ دَمِ رَأْسِهِ ، قَالَ : فَكَانَ يَقُولُ وَيَدُدُّ أَنَّهُ قَدْ أَنْبَعَثَ
أَشْقَاكُمْ .

وَقَتْلَ رَضِيَّ اللَّهُ عَنْهُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ لِسَبْعِ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ رَمَضَانَ
سنة ٤٠هـ ، عِنْدَمَا خَرَجَ يُوقِظُ النَّاسَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ ، فَضَرَبَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ
بِالسَّيْفِ عَلَى قَرْنِهِ ، فَسَالَ دَمُهُ عَلَى لِحْيَتِهِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَرَضَاهُ ،
فَوَقَعَ طَبَقٌ مَا أَخْبَرَهُ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

١٠١ - وَمِنْهَا إِجَابَةُ دُعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ ، فِي تَحْيِيهِ إِلَى النَّاسِ وَأَمِيهِ ، فَقَدْ وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ ، وَاللَّهِ مَا خَلَقَ اللَّهُ مُؤْمِنًا يَسْمَعُ بِي أَوْ يَرَانِي إِلَّا أَحَبَّنِي ، قَالَ إِنَّ أُمَّي كَانَتْ امْرَأَةً مُشْرِكَةً ، وَإِنِّي كُنْتُ أَدْعُوهَا إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَكَانَتْ تَأْتِي عَلَيَّ فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا ، فَاسْمَعْتَنِي فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أكره .

فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَبْكِي ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمَّي إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَكَانَتْ تَأْتِي عَلَيَّ ، وَإِنِّي دَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَاسْمَعْتَنِي فِيكَ مَا أكره ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ ، فَقَالَ « اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ » فَخَرَجْتُ أَعْدُو أَبْشُرَهَا ، بِدُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَلَمَّا أُتِيَ الْبَابَ إِذَا هُوَ مُجَافٌ ، وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةً ، (خَشْخِشَةً) وَسَمِعْتُ خَشْفَ رَجُلٍ - يَعْنِي وَقَعَهَا ، فَقَالَتْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ كَمَا أَنْتَ ، ثُمَّ فَتَحَ الْبَابَ ، وَقَدْ لَبِسَتْ دِرْعَهَا ، وَعَجَلَتْ عَنْ خِمَارِهَا أَنْ تَلْبَسَهُ ، وَقَالَتْ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ ، كَمَا بَكَيتُ مِنَ الْحُزَنِ .

فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبْشِرْ ، فَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَكَ ، قَدْ هَدَى اللَّهُ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَدْعُ اللَّهَ أَنْ يُحَبِّبَنِي وَأُمَّي إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ .

فَقَالَ « اللَّهُمَّ حَبِّبْ عَبْدَكَ هَذَا وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ وَحَبِّبْهُمْ

إِلَيْهِمَا» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ، فَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ مُؤْمِنٍ يَسْمَعُ بِي وَلَا يَرَانِي أَوْ يَرَى أُمِّي إِلَّا وَهُوَ يُجِيبُنِي .

١٠٢ - وَمِنْهَا قِصَّةٌ أُخْرَى ، مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَهِيَ مَا وَرَدَ عَنْ سَعِيدِ الْمَقْبَرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي أَسْمَعُ مِنْكَ حَدِيثًا كَثِيرًا فَأَنْسَاهُ ، فَقَالَ « ابْسُطْ رِدَاءَكَ » ، فَبَسَطْتُهُ ، ثُمَّ قَالَ « ضُمَّهُ » ، فَضَمَمْتُهُ ، فَمَا نَسِيتُ حَدِيثًا بَعْدُ ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

وقال الامام أحمد حدثنا سفيان ، عن الزهري ، عن عبد الرحمن الأعرج ، قال سمعت أبا هريرة يقول إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله الموعود إنني كنت أمراً مسكيناً ، أصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني ، وكان المهاجرون يشغلهم الصفق في الأسواق ، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم ، فحضرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً مجلساً ، فقال « من بسط رداءه حتى أقضي مقالتي ثم يقبضه إليه فلن ينسى شيئاً سمعه مني » فبسطت بردة علي ، حتى قضى مقالته ، ثم قبضتها إلي ، فوالذي نفسي بيده ، ما نسيت شيئاً سمعته منه بعد ذلك .

اللهم ثبت محبتك في قلوبنا وقورها ونور قلوبنا بنور الايمان واجعلنا هداة مهتدين وتوفنا مسلمين والحقنا بالصالحين واغفر لنا ولوالدينا اللهم وفقنا لِمَا وَفَّقْتَ إِلَيْهِ الْقَوْمَ وَأَيِّقْظُنَا مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ وَالنَّوْمِ وَأَرْزُقْنَا الاستعدادَ لِذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي يَرْبُحُ فِيهِ الْمُتَّقُونَ اللَّهُمَّ وعاملنا بإحسانك وجد علينا بفضلِكَ وامتنانِكَ واجعلنا من عبادِكَ الذين لا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، اللَّهُمَّ ارحم ذُلْنَا بَيْنَ يَدَيْكَ واجعل رَغْبَتَنَا فِيمَا لَدَيْكَ ، وَلَا تَحْرِمْنَا بَدُنُونَا ، وَلَا تَطْرُدْنَا بَعِيُونَا ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء

مُنْهَمُ وَالْمَيْتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
وَصَحْبِهِ .

« فَضْلٌ »

١٠٣ - وَمِنْهَا إِخْبَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَهُوَ
ابْنُ فَاطِمَةَ يُضَلِّحُ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ ، فَتَمَّ ذَلِكَ بِمُصَالِحَةِ الْحَسَنِ
لِمُعَاوِنَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، وَذَلِكَ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِثَلَاثِينَ سَنَةً .

١٠٤ - وَمِنْهَا إِخْبَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ تَقَتَّلَهُ
الْفِئَةُ الْبَاغِيَّةُ ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَهُمْ يَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ ، وَيَكُونُ
آخِرَ زَادِهِ ضِيَاحًا مِنْ لَبَنٍ ، فَقَتَلَهُ أَصْحَابُ مُعَاوِنَةَ بِصِفْنِينَ ، وَهُوَ مَعَ عَلِيٍّ
بِنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَكَانَ آخِرَ زَادِهِ مِنَ الدُّنْيَا ضِيَاحًا مِنْ لَبَنٍ (وَالضِّيَاحُ)
اللَّبَنُ الْخَائِرُ يُصَبُّ فِيهِ الْمَاءُ ثُمَّ يُخْبَطُ .

١٠٥ - وَمِنْهَا إِخْبَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ ، وَهُمْ يَخْفِرُونَ
الْخَنْدَقَ بِأَنَّ اللَّهَ يَفْتَحُ عَلَيْهِ الْيَمْنَ وَالشَّامَ وَالْمَغْرِبَ وَالْمَشْرِقَ ، فَفِي السَّيْرِ
والتَّفَاسِيرِ عَنِ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ ، قَالَ : ضَرَبْتُ فِي نَاحِيَةِ مِنَ الْخَنْدَقِ ،
فَقَلْطُتُ عَلِيَّ صَخْرَةً ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرِيبٌ مِنِّي .

فَلَمَّا رَأَيْتُ أَضْرِبُ ، وَرَأَى شِدَّةَ الْمَكَانِ عَلَيَّ ، نَزَلَ فَأَخَذَ الْمِعْوَلَ
مِنْ يَدِي ، فَضَرَبَ ضَرْبَةً لَمَعَتْ تَحْتَ الْمِعْوَلِ بَرْقَةٌ ، قَالَ ثُمَّ ضَرَبَ بِهِ
ضَرْبَةً أُخْرَى ، فَلَمَعَتْ تَحْتَهُ بَرْقَةٌ أُخْرَى ، قَالَ ثُمَّ ضَرَبَ بِهِ الثَّلَاثَةَ ،
فَلَمَعَتْ تَحْتَهُ بَرْقَةٌ أُخْرَى ، قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا
هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ لَمَعَ تَحْتَ الْمِعْوَلِ وَأَنْتَ تَضْرِبُ قَالَ « أَوْ قَدْ رَأَيْتَ
ذَلِكَ يَا سَلْمَانُ ؟ » قَالَ قُلْتُ : نَعَمْ .

قَالَ أَمَّا الْأُولَى ، فَإِنَّ اللَّهَ فَتَحَ عَلَيَّ بِهَا الْيَمْنَ ، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَإِنَّ اللَّهَ فَتَحَ عَلَيَّ بِهَا الشَّامَ وَالْمَغْرِبَ ، وَأَمَّا الثَّلَاثَةُ فَإِنَّ اللَّهَ فَتَحَ عَلَيَّ بِهَا الْمَشْرِقَ ، فَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا أَخْبَرَ عَلَيَّ التَّفْصِيلَ ، فَإِنَّ أَوَّلَ مَا فُتِحَ مِنَ الْبُلْدَانِ الْمَذْكُورَةِ الْيَمْنَ ، فُتِحَتْ عَلَيَّ عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَفُتِحَتْ بَعْدَهَا الشَّامُ وَالْمَغْرِبُ ، وَفُتِحَ بَعْدَ الشَّامِ الْمَشْرِقُ ، فِي مُدَّةٍ قَلِيلَةٍ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

١٠٦ - وَمِنْهَا قِصَّةُ جَمَلِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَعَنهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ عَلَى جَمَلٍ لَهُ قَدْ أَغْيَا فَأَرَادَ أَنْ يُسَيِّبَهُ قَالَ : فَلَحِقَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَعَا لِي وَضْرَبَهُ ، فَسَارَ سَيْرًا لَمْ يَسِرْ مِثْلَهُ ، فَقَالَ « بَعْينِهِ بِأَوْقِيَّةٍ » قُلْتُ : لَا . ثُمَّ قَالَ « بَعْينِهِ » فَبِعْتُهُ بِأَوْقِيَّةٍ ، وَاشْتَرَطْتُ حُمْلَانَهُ إِلَى أَهْلِي ، فَلَمَّا بَلَغْتُ أَتَيْتُهُ بِالْجَمَلِ ، فَنَقَدَنِي ثَمَنَهُ ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَأَرْسَلَ فِي أَثْرِي ، فَقَالَ « أَتْرَانِي مَا كَسْتِكَ لِأَخْذِ جَمَلِكَ ، خُذْ جَمَلَكَ وَذَرَاهِمَكَ فَهُوَ لَكَ » مَتَّفِقٌ عَلَيْهِ .

١٠٧ - وَمِنْ ذَلِكَ أَخْبَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ عَمَّا وَقَعَ لِخُبَيْبِ بْنِ عَدِي ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَةَ عَيْنًا ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ ، جَدَّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْهَدَّةِ ، بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ ، ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِنْ هُدَيْلٍ ، يُقَالُ لَهُمْ بَنُو لِحْيَانَ .

فَنَفَرُوا لَهُمْ بِقَرِيبٍ مِنْ مِائَةِ رَجُلٍ رَامَ ، فَاقْتَصُوا آثَارَهُمْ حَتَّى وَجَدُوا مَا كُلُّهُمْ التَّمْرَ فِي مَنْزِلٍ نَزَلُوهُ ، فَقَالُوا تَمْرٌ يَثْرِبُ ، فَاتَّبَعُوا آثَارَهُمْ ، فَلَمَّا أَحْسَسَ بِهِمْ عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ ، لَجَّوْا إِلَى مَوْضِعٍ ، فَاحْطَأَ بِهِمْ

الْقَوْمُ ، فَقَالُوا لَهُمْ انزِلُوا فَأَعْطُوا بِأَيْدِيكُمْ وَلَكُمْ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ أَنْ لَا نَقْتُلَ مِنْكُمْ أَحَدًا ، فَقَالَ عَاصِمٌ بْنُ ثَابِتٍ : أَيُّهَا الْقَوْمُ أَمَا أَنَا فَلَا أَنْزَلُ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ .

ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَرَمَوْهُمْ بِالنَّبْلِ ، فَقَتَلُوا عَاصِمًا ، وَنَزَلَ إِلَيْهِمْ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ ، عَلَى الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ ، مِنْهُمْ حُبَيْبٌ ، وَزَيْدُ بْنُ الدُّثَيْنَةِ ، وَرَجُلٌ آخَرٌ ، فَلَمَّا اسْتَمَكَّنُوا مِنْهُمْ ، أَطْلَقُوا أوتَارَ قِسِيَّهِمْ ، فَرَبَطُوهُمْ بِهَا ، قَالَ الرَّجُلُ الثَّلَاثُ ، هَذَا أَوَّلُ الْغَدْرِ ، وَاللَّهِ لَا أَصْحَبُكُمْ ، إِنْ لِي بِهَؤُلَاءِ أَسْوَةٌ ، يُرِيدُ الْقَتْلَى ، فَجَرَّرُوهُ ، وَعَالَجُوهُ ، فَأَبَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ .

فَانْطَلَقُوا بِحُبَيْبِ وَزَيْدِ بْنِ الدُّثَيْنَةِ ، حَتَّى بَاعُوهُمَا بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ ، فابْتِاعَ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلِ حُبَيْبًا ، وَكَانَ حُبَيْبٌ هُوَ قَتَلَ الْحَارِثَ بْنَ عَامِرٍ يَوْمَ بَدْرٍ فَلَبِثَ حُبَيْبٌ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا ، حَتَّى أَجْمَعُوا عَلَى قَتْلِهِ ، فَاسْتَعَارَ مِنْ بَعْضِ بَنَاتِ الْحَارِثِ مُوسَى ، يَسْتَحْدُ بِهَا ، فَأَعَارَتْهُ ، فَدَرَجَ بَنِي لَهَا ، وَهِيَ غَافِلَةٌ حَتَّى آتَاهُ ، فَوَجَدَتْهُ مُجْلِسَهُ عَلَى فَيْحِهِ ، وَالْمُوسَى بِيَدِهِ .

قَالَتْ فَفَزَعْتُ فَرَعَةَ عَرَفَهَا حُبَيْبٌ فَقَالَ أَتَحْسِبِينَ أَنْ أَقْتُلَهُ ، مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَلِكَ ، قَالَتْ وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا قَطُّ ، خَيْرًا مِنْ حُبَيْبٍ ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَجَدْتُهُ يَوْمًا يَأْكُلُ قِطْفًا مِنْ عِنَبٍ فِي يَدِهِ ، وَإِنَّهُ لَمُوثِقٌ بِالْحَدِيدِ ، وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ ثَمَرَةٍ ، وَكَانَتْ تَقُولُ إِنَّهُ لِرِزْقٍ رَزَقَهُ اللَّهُ حُبَيْبًا .

فَلَمَّا خَرَجُوا مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ فِي الْحِلِّ ، قَالَ لَهُمْ حُبَيْبٌ دَعُونِي أَصْلِي رَكَعَتَيْنِ ، فَتَرَكَوهُ فَرَكَعَ رَكَعَتَيْنِ ، فَقَالَ لَوْلَا أَنْ تَحْسَبُوا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ لَزِدْتُ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا ، وَاقْتُلْهُمْ بَدَدًا ، وَلَا تُبْقِ

مِنْهُمْ أَحَدًا ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

فَلَسْتُ أَبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا
عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ لِلَّهِ مَضْرَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ
يُبَارِكْ عَلَيَّ أَوْصَالَ شِلْوٍ مُمَزَّعٍ

آخر:

«وَلَا غُرُوَ بِالْأَشْرَافِ إِنْ ظَفَرَتْ بِهِنَّ
كِلَابُ الْأَعَادِي مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمٍ»
«فَحَرْبُهُ وَخِشْيِ سَقَتْ حَمَزَةَ الرَّدَى
وَمَوْتُ عَلِيٍّ مِنْ حُسَامِ ابْنِ مُلْجِمٍ»

ثم قام إليه أبو سروعَةَ ، عَقَبَهُ بِنُ الْحَارِثِ فَقَتَلَهُ ، وَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ
سَنُ لِكُلِّ مُسْلِمٍ قُتِلَ صَبْرًا الصَّلَاةَ ، وَأَخْبَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَصْحَابَهُ يَوْمَ أُصِيبُوا خَبَرَهُمْ ، وَبَعَثَ نَاسًا مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى عَاصِمِ بْنِ
ثَابِتٍ ، حِينَ حَدَّثُوا أَنَّهُ قُتِلَ ، أَنْ يُوْتُوا بِشَيْءٍ مِنْهُ ، يُعْرِفُ ، وَكَانَ قَتَلَ
رَجُلًا عَظِيمًا مِنْ عَظَمَائِهِمْ ، فَبَعَثَ اللَّهُ لِعَاصِمِ مِثَالَ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ
فَحَمَّتُهُ مِنْ رُسُلِهِمْ فَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَقْطَعُوا مِنْهُ شَيْئًا ، وَالشَّاهِدُ فِي إِخْبَارِ
الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ يَوْمَ أُصِيبُوا .

١٠٨ - ومن ذلك إخبارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي
طَالِبٍ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ خَيْرًا .

ففي الصحيحين عن سهلِ بنِ سعدٍ رضيَ اللهُ عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ خَيْرٍ «لَأَعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ» فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ
لَيْلَتَهُمْ ، أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا فَقَالَ «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟» فَقِيلَ هُوَ يَشْتَكِي

عِينِهِ فَأَرْسَلُو إِلَيْهِ فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ كَأَن لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ ، فَأَعْطَاهُ الرَّأْيَةَ فَقَالَ « أَنْفِذْ عَلَيَّ رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزَلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ » فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ فَكَانَ كَمَا قَالَ .

١٠٩ - وَمِنْ ذَلِكَ نَعْيُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْدًا ، وَجَعْفَرًا وَابْنَ رَوَاحَةَ ، فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعَى زَيْدًا وَجَعْفَرًا وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ خَبْرَهُمْ ، فَقَالَ : « أَخَذَ الرَّأْيَةَ زَيْدٌ فَأَصِيبَ ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأَصِيبَ ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ رَوَاحَةَ فَأَصِيبَ ، وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ ، حَتَّى أَخَذَ الرَّأْيَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ » يَعْنِي خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ ، حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ .
شِعْرًا :

| | |
|--------------------------------------|--|
| تَشَاغَلَ قَوْمٌ بِدُنْيَا هُمُوا | وَقَوْمٌ تَعَلَّوْا لِمَوْلَاهُمُوا |
| فَالزَّمَهُمْ بَابَ مَرْضَاتِهِ | وَعَنْ سَائِرِ الْخَلْقِ أَغْنَاهُمُوا |
| إِذَا ذُكِرُوا بِالذِّمَى أَسْلَفُوا | أَذَابَ الْقُلُوبِ وَأَبْكَاهُمُوا |
| فَمَا يَعْرِفُونَ سِوَى حُبِّهِ | فَوَالُوا الْإِلَهَ وَوَالَاهُمُوا |
| يَصِفُّونَ بِاللَّيْلِ أَقْدَمَهُمْ | وَعَيْنُ الْمُهَيَّمِ تَرَعَا هُمُوا |
| فَطُوبَى لَهُمْ ثُمَّ طُوبَى لَهُمْ | إِذَا بِا لْتَحِيَّةِ حَيَاهُمُوا |

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِقَوْلِ الْحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ وَخَلِّصْنَا مِنْ وَسَاوِسِ قُلُوبِنَا الْحَامِلَةِ عَلَى التَّوَرُّطِ فِي هَوَاةِ الْبَاطِلِ وَابْتِدَاعِهِ وَاجْعَلْ إِيمَانَنَا إِيمَانًا خَالِصًا صَادِقًا قَوِيًّا وَكُنْ لَنَا مُؤَيِّدًا وَلَا تَجْعَلْ لِفَاجِرِ عَلَيْنَا يَدًا وَاجْعَلْ عَيْشَنَا عَيْشًا رَغَدًا . وَلَا تُشْمِتْ بِنَا عَدُوًّا وَلَا حَاسِدًا وَارزُقْنَا فِي مَحَبَّتِكَ عِلْمًا نَافِعًا وَرِزْقًا وَاسِعًا وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا وَحِفْظًا كَامِلًا وَفَهْمًا ذَكِيًّا

وطبعاً صَفِيّاً وَأَدَباً مُرْضِياً وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

« فَضْلٌ »

١١٠ - ومنها مَا وَرَدَ عَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ ، قَالَ رُمِيتُ بِسَهْمٍ يَوْمَ
بَدْرٍ فَفَقِيتُ عَيْنِي ، فَبَصَقْتُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَدَعَا
لِي ، فَمَا آذَانِي مِنْهَا شَيْءٌ بَعْدُ .

١١١ - وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَسْقَى مَرَّةً ، فَقَامَ أَبُو
لُبَابَةَ ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ التَّمْرَ فِي الْمَرَايِدِ .

فَقَالَ « اللَّهُمَّ اسْقِنَا حَتَّى يَقُومَ أَبُو لُبَابَةَ عُريَانَا فَيَشُدُّ مِرْبَدَهُ بِأَزَارِهِ »
فَامْطَرَتْ فَاجْتَمَعُوا إِلَى أَبِي لُبَابَةَ فَقَالُوا إِنَّهَا لَنْ تُقْلِعَ حَتَّى تَقُومَ عُريَانَا فَتَشُدُّ
تُعَلِّبَ مِرْبَدَكَ بِأَزَارِكَ فَفَعَلَ فَأَقْلَعَتِ السَّمَاءُ .

١١٢ - وَمِنْهَا قِتَالُ الْمَلَائِكَةِ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ فِيهِ
الصَّخِيجِينَ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ ، قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَمَعَهُ رَجُلَانِ يُقَاتِلَانِ عَنْهُ ، عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بَيْضُ ،
كَأَشَدُّ الْقِتَالِ ، مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلَ وَلَا بَعْدُ .

١١٣ - وَمِنْهَا مَا وَرَدَ عَنْ نَافِعِ بْنِ جَبْرِ ، قَالَ سَمِعْتُ رَجُلًا مِنَ
الْمُهَاجِرِينَ يَقُولُ شَهِدْتُ أُحُدًا ، فَنَظَرْتُ إِلَى النَّبْلِ يَأْتِي مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ،
وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَطُهَا ، كُلُّ ذَلِكَ يُصْرَفُ عَنْهُ .

١١٤ - وَمِنْهَا دُعَاؤُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي طَلْحَةَ وَأُمِّ سَلَمَةَ ،
وَاسْتِجَابَةُ اللَّهِ لِدُعْوَتِهِ ، فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ لِأَبِي طَلْحَةَ

ابن يَشْتَكِي فَخَرَجَ أَبُو طَلْحَةَ فَقُبِضَ الصَّبِيُّ ، فَلَمَّا رَجَعَ أَبُو طَلْحَةَ قَالَ مَا
فَعَلَ الصَّبِيُّ قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ وَهِيَ أُمُّ الصَّبِيِّ ، هُوَ أَسْكَنَ مَا كَانَ ، فَقَرَّبَتْ
لَهُ الْعِشَاءَ ، فَتَعَشَّى ، ثُمَّ أَصَابَ مِنْهَا ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَتْ : وَارُوا الصَّبِيَّ .

فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو طَلْحَةَ ، أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ أَعْرَسْتُمْ اللَّيْلَةَ ، قَالَ نَعَمْ ، قَالَ « اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمَا » فَوَلَدَتْ
غُلَامًا ، فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ ، أَحْمِلُهُ ، حَتَّى تَأْتِيَ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، وَبَعَثَ مَعَهُ بِتَمْرَاتٍ ، فَقَالَ « أَمَعَهُ شَيْءٌ ؟ » قَالَ : نَعَمْ ،
تَمْرَاتٌ ، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَمَضَغَهَا ، ثُمَّ أَخَذَهَا مِنْ
فِيهِ ، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ الصَّبِيِّ ، ثُمَّ حَنَكَهُ ، وَسَمَّاهُ ، عَبْدُ اللَّهِ . وَفِي
رَوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ - فَرَأَيْتُ تِسْعَةَ
أَوْلَادٍ ، كُلُّهُمْ قَدْ قَرَأُوا الْقُرْآنَ ، يَعْنِي مِنَ أَوْلَادِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُؤَلُّودِ

١١٥ - وَمِنْ ذَلِكَ الْكُذْبَةُ ، وَهِيَ الصَّخْرَةُ الصَّلْبَةُ ، الَّتِي لَا تَعْمَلُ
فِيهَا الْمَعَاوِلُ ، فَشَكَوْهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَدَعَا
بِإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ ، فَتَقَلَّ فِيهِ ثُمَّ دَعَا بِمَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُو بِهِ ، ثُمَّ نَضَحَ الْمَاءَ
عَلَى تِلْكَ الْكُذْبَةِ ، فَيَقُولُ مَنْ حَضَرَهَا ، فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ نَبِيًّا
لَأَنْهَأَلْتُ ، حَتَّى عَادَتْ كَالْكَيْبِ ، لَا تَرُدُّ فِاسًا ، وَلَا مِسْحَاءً .

١١٦ - وَمِنْهَا مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، أَنَّ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ ، فَلَمَّا كَانَ قُرْبَ الْمَدِينَةِ ، هَاجَتْ
رِيحٌ شَدِيدَةٌ ، تَكَادُ أَنْ تَدْفِنَ الرَّكَّابَ ، فَزَعَمَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ « بُعِثْتُ هَذِهِ الرِّيحُ لِمَوْتِ مُنَافِقٍ » فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ إِذَا عَظِيمٌ مِنَ
الْمُنَافِقِينَ قَدْ مَاتَ .

١١٧ - ومنها ما رواه عبدُ الله بنُ عمرو الخُزاعي عن أبيه قال دعاني النبي صلى الله عليه وسلم ، وأراد أن يبعثني بمالٍ ، إلى أبي سُفيان بمكة ، ليقسّمه في قُريش ، بعدَ الفتحِ ، فقال « التمسُ صاحباً » فجاءني عمرو بنُ أمية الضميرِي ، فقال : بلغني أنك تُريدُ الخروجَ إلى مكة ، فلتمسُ صاحباً ، قلتُ أجلُ ، قال فانا لك صاحبٌ .

فجئتُ النبي صلى الله عليه وسلم ، فقلتُ قد وجدتُ صاحباً ، قال منَ ، قلتُ عمرو بنُ أمية ، قال « إذا هبطتَ بلادَ قومِهِ ، فاحذرهُ ، فإنه قد قال القائلُ : أخوك البكري لا تأمنهُ » فخرجنا ، حتى إذا كنا بالأبواء ، قال إنِّي أريدُ حاجةً إلى قومي ، ووددتُ أن تلبثَ لي قليلاً ، فقلتُ انصرفْ راشداً ، فلما ولى ذكرتُ ، قولَ النبي صلى الله عليه وسلم ، فشددتُ على بعيري ، فخرجتُ أوضِعهُ ، حتى إذا كنتُ بالأصافيرِ ، إذا هو يُعارضني في رهطٍ ، فأوضعتُ ، فسبقتُهُ ، فلما رأيتهُ جأني ، فقال قد كانتَ لي إلى قومي حاجةٌ ، قلتُ أجلُ ، ومضينا ، حتى قدمنا مكة ، فدفعْتُ المالَ إلى أبي سُفيان .

١١٨ - ومن ذلك ما رواه البخاري ومسلم أن ابنَ مسعودٍ سئلَ منَ آذنَ النبي صلى الله عليه وسلم بالجنِّ ليلةَ استمعوا القرآنَ ، فقال آذنتُ بهم شجرةً .

١١٩ - ومنها ما ذكرهُ أبو رجاء ، قال دخلَ النبي صلى الله عليه وسلم حائطاً لبعضِ الأنصارِ ، فقال له « ما تجعلُ لي إن أرويتُ حائطك هذا؟ » قال له إنِّي أجهدُ أرويه فلا أُطيقُ ، قال صلى الله عليه وسلم « تجعلُ لي مائةَ تمرّةٍ ، اختارها منَ تمرِكَ؟ » قال : نعم . فأخذَ

الغَرْبِ ، فَمَا لَبِثَ أَنْ أَرَوَاهُ ، حَتَّى قَالَ الرَّجُلُ عَزَّوَجَلَّ عَلِيَّ حَائِطِي ،
فَاخْتَارَ مِائَةَ تَمْرَةٍ ، فَأَكَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، حَتَّى شَبِعُوا .

ثُمَّ رَدَّ عَلَيْهِ مِائَةَ تَمْرَةٍ كَمَا أَخَذَهَا ، رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ .

اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا
وَعَذَابِ الْآخِرَةِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل ١٢٠) - ومنها ما رَوَاهُ الْبَزَارُ مِنْ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ تَبَعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يَوْمًا ، فَجَلَسَ قَالَ : فَجَلَسْتُ عِنْدَهُ ، فَقَالَ : « يَا أَبَا ذَرٍّ : مَا جَاءَ
بِكَ ؟ » قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَسَلَّمَ وَجَلَسَ عَنِ يَمِينِهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ « مَا جَاءَ بِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ؟ » قَالَ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ ،
فَجَاءَ عُمَرُ ، فَجَلَسَ عَنِ يَمِينِ أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالَ « يَا عُمَرُ مَا جَاءَ بِكَ ؟ »
قَالَ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، ثُمَّ جَاءَ عَثْمَانُ ، فَجَلَسَ عَنِ يَمِينِ عُمَرَ ، فَقَالَ « يَا
عَثْمَانُ مَا جَاءَ بِكَ ؟ » قَالَ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، فَتَنَاولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
سَبْعَ حَصِيَّاتٍ ، أَوْ تِسْعَ حَصِيَّاتٍ ، فَسَبَّحَنَ فِي يَدِهِ ، حَتَّى سَمِعْتُ لَهُنَّ
حَيْنِيًا كَحَيْنِ النَّحْلِ .

ثُمَّ وَضَعَهُنَّ فَخَرَسَنَ ، ثُمَّ وَضَعَهُنَّ فِي يَدِ أَبِي بَكْرٍ فَسَبَّحَنَ فِي يَدِهِ
حَتَّى سَمِعْتُ لَهُنَّ حَيْنِيًا كَحَيْنِ النَّحْلِ ، ثُمَّ وَضَعَهُنَّ فَخَرَسَنَ ، ثُمَّ
تَنَاولَهُنَّ فَوَضَعَهُنَّ فِي يَدِ عُمَرَ فَسَبَّحَنَ فِي يَدِهِ ، حَتَّى سَمِعْتُ لَهُنَّ حَيْنِيًا
كَحَيْنِ النَّحْلِ ، ثُمَّ وَضَعَهُنَّ فَخَرَسَنَ ، ثُمَّ تَنَاولَهُنَّ فَوَضَعَهُنَّ فِي يَدِ
عَثْمَانَ ، فَسَبَّحَنَ فِي يَدِهِ ، حَتَّى سَمِعْتُ لَهُنَّ حَيْنِيًا كَحَيْنِ النَّحْلِ ، ثُمَّ
وَضَعَهُنَّ فَخَرَسَنَ ، وَقَالَ الزُّهْرِيُّ يَعْنِي الْخِلَافَةَ .

١٢١ - ومنها قِصَّةُ الْمَزَادَتَيْنِ أَوْ السَّطِيحَتَيْنِ فَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حَصِينٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَشَكَى إِلَيْهِ النَّاسُ مِنَ الْعَطَشِ فَدَعَا فُلَانًا وَدَعَا عَلِيًّا ، فَقَالَ « اذْهَبَا فَابْغِيَا الْمَاءَ » فَانْطَلَقَا ، فَلَقِيَا امْرَأَةً بَيْنَ مَزَادَتَيْنِ أَوْ سَطِيحَتَيْنِ مِنْ مَاءٍ عَلَى بَعِيرٍ لَهَا .

فَقَالَا لَهَا ، أَيْنَ الْمَاءِ ، فَقَالَتْ عَهْدِي بِالْمَاءِ أَمْسَ هَذِهِ السَّاعَةُ وَنَفَرْنَا خُلُوفٌ ، قَالَا أَنْطَلِقِي إِذَا قَالَتْ إِلَى أَيِّنَ ، قَالَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَتْ : الَّذِي يُقَالُ لَهُ الصَّابِيءُ قَالَا : هُوَ الَّذِي تَعْنِينَ ، فَانْطَلِقِي ، فَجَاءَا بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَدَّثَاهُ الْحَدِيثَ ، فَاسْتَنْزَلُوها عَنْ بَعِيرِهَا ، وَدَعَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَانَاءً فَأَفْرَغَ فِيهِ مِنْ أَفْوَاهِ الْمَزَادَتَيْنِ ، أَوْ السَّطِيحَتَيْنِ ، وَأَوْكَا أَفْوَاهَهُمَا ، وَأَطْلَقَ الْعُرَالِي ، فَتَوَدَّى فِي النَّاسِ إِسْقُوا ، وَاسْتَقُوا ، فَسَقِيَ مَنْ شَاءَ ، وَاسْتَقَى مَنْ شَاءَ وَكَانَ آخِرُ ذَلِكَ أَنْ أُعْطِيَ رَجُلًا أَصَابَتْهُ جَنَابَةٌ إِنْاءً مِنْ مَاءٍ ، فَقَالَ « إِذْهَبْ فَأَفْرِغْهُ عَلَيْكَ » وَهِيَ قَائِمَةٌ تَنْظُرُ مَا يُفْعَلُ بِمَائِهَا .

وَإِئْمُ اللَّهِ لَقَدْ أَقْلَعَ عَنْهَا وَإِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيْنَا أَنَّهَا أَشَدُّ مَلَأَةً مِنْهَا حِينَ ابْتَدَأَ فِيهَا ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « اجْمَعُوا لَهَا » فَجَمَعُوا لَهَا مِنْ بَيْنِ عَجْوَةٍ وَدَفِيقَةٍ وَسَوِيقَةٍ ، حَتَّى جَمَعُوا لَهَا طَعَامًا ، فَجَعَلُوهُ فِي ثَوْبٍ ، وَحَمَلُوهُ عَلَى بَعِيرِهَا وَوَضَعُوا الثَّوْبَ بَيْنَ يَدَيْهَا ، وَقَالَ لَهَا : تَعْلَمِينَ مَا رَزَانَا مِنْ مَائِكَ شَيْئًا .

وَلَكِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي أَسْقَانَا ، فَأَنْتَ أَهْلَهَا وَقَدْ اخْتِيسَتْ عَنْهُمْ ، وَقَالُوا مَا حَسَبِكَ يَا فُلَانَةَ ، قَالَتْ الْعَجَبُ ، لَقِينِي رَجُلَانِ فَذَهَبَا بِي إِلَى

هَذَا الصَّابِيءَ ، فَفَعَلَ كَذَا وَكَذَا ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَأَسْحَرُ النَّاسَ مِنْ بَيْنِ هَذِهِ
وَهَذِهِ ، تَعْنِي السَّمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ ، أَوْ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ حَقًّا ، فَكَانَ
الْمُسْلِمُونَ بَعْدُ يَغَيِّرُونَ عَلَى مَنْ حَوْلَهَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَلَا يُصِيبُونَ الْقَوْمَ
الَّذِي هِيَ مِنْهُ .

فَقَالَتْ يَوْمًا لِقَوْمِهَا ، مَا أَرَى إِلَّا أَنْ هُوَ لِأَيِّ الْقَوْمِ يَدْعُونَكُمْ عَمْدًا ،
فَهَلْ لَكُمْ فِي الْإِسْلَامِ ، فَأَطَاعُوهَا ، فَدَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ ، وَفِي رِوَايَةٍ
قَالَتْ لَهَا هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لَا مَاءَ لَكُمْ ، وَفِيهِ فَأَخْبَرْتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ أَنَّهَا مُؤْتَمَةٌ فَأَمَرَ بِرَاوِيَتِهَا ، فَأُنِيختُ ، فَمَجَّ فِي الْعِزْلَاوِينَ
الْعُلْيَاوِينَ .

ثُمَّ بَعَثَ بِرَاوِيَتِهَا فَشَرِبْنَا ، وَنَحْنُ أَرْبَعُونَ رَجُلًا ، عِطَاشًا ، حَتَّى
رَوَيْنَا ، وَمَلَأْنَا كُلَّ قَرِيبَةٍ مَعَنَا ، وَإِدَاوَةٍ وَغَسَلْنَا صَاحِبِنَا ، غَيْرَ أَنَا لَمْ نَسْقِ
بَعِيرًا ، وَهِيَ تَكَادُ تَتَضَرَّجُ بِالْمَاءِ ، يَعْنِي الْمُرَادَتَيْنِ ، رَوَاهُ الشَّيْخَانُ
مَطُولًا .

١٢٢ - وَمِنْ ذَلِكَ قِصَّةُ سَلَمَةَ بِنِ الْأَكْوَعِ ، قَالَ خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ ، فَأَصَابْنَا جَهْدٌ حَتَّى هَمَمْنَا أَنْ نُنْحَرَ بَعْضُ
ظَهْرِنَا ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَمَعْنَا أَرْوَادَنَا ، وَبَسَطَ لَنَا
نَطْعًا ، فَاجْتَمَعَ زَادُ الْقَوْمِ عَلَى النَّطْعِ ، فَتَطَاوَلْتُ لِأَحْزَرِهِ كَمْ هُوَ ، فَإِذَا
هُوَ كَرَبِضَةِ الْعَنْزِ ، وَنَحْنُ أَرْبَعٌ عَشْرَةَ مِائَةً (١٤٠٠) فَأَكَلْنَا حَتَّى شَبِعْنَا
جَمِيعًا ، ثُمَّ حَشُونَا جُرْبِنَا ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، « فَهَلْ مِنْ
وُضوءٍ ؟ » فَجَاءَ رَجُلٌ بِإِدَاوَةٍ فِيهَا نُظْفَةٌ مِنْ مَاءٍ ، فَأَفْرَعَهَا فِي قَدَحٍ ،
فَتَوَضَّأْنَا كُلُّنَا ، نُدْغِفُهُ دَغْفَقَةً . رَوَاهُ الشَّيْخَانُ .

١٢٣ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بِتَمْرَاتٍ ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَدْعُ فِيهِنَّ بِالْبَرَكَةِ ، فَضَمَّهِنَّ ، ثُمَّ دَعَا لِي فِيهِنَّ ، ثُمَّ قَالَ « خُذْهُنَّ ، فَاجْعَلْهُنَّ فِي مَزْوِدِكَ هَذَا أَوْ فِي الْمَزْوِدِ ، فَكُلَّمَا أَرَدْتَ أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُ شَيْئًا أَدْخِلْ يَدَكَ فِيهِ ، وَخُذْ وَلَا تَنْثُرْهُ نَثْرًا » فَفَعَلْتُ ، فَلَقَدْ حَمَلْتُ مِنْ ذَلِكَ التَّمْرِ كَذَا وَكَذَا مِنْ وَسْوٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَكُنَّا نَأْكُلُ مِنْهُ وَنُطْعِمُ ، وَكَانَ لَا يُفَارِقُ حَقْوِي ، حَتَّى كَانَ يَوْمَ قَتْلِ عُثْمَانَ انْقَطَعَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

اللهم انظمنّا في سبيلك عبادك المُفْلِجِينَ وَنَجِّنَا مِنْ لَفْحَاتِ الْجَحِيمِ
وَإغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا
أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَصَلُّ » ١٢٤ - وَمِنْهَا مَا رَوَاهُ الشَّيْخَانُ عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ ، قَالَ ذَهَبَتْ بِي خَالَتِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ ابْنَ أُخْتِي وَجِعٌ : فَمَسَحَ رَأْسِي ، وَدَعَا لِي بِالْبَرَكَةِ : فَتَوَضَّأَ ، فَشَرِبْتُ مِنْ وَضُوئِهِ ، ثُمَّ قُمْتُ خَلْفَ ظَهْرِهِ ، فَنَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِ النَّبِوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ، مِثْلَ زَرِّ الْحَجَلَةِ ، وَقَالَ الْجُعَيْدُ ، رَأَيْتُ السَّائِبَ بْنَ يَزِيدَ ، ابْنَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ ، جَلْدًا مُعْتَدِلًا : فَقَالَ قَدْ عَلِمْتُ مَا مُتِعْتَ بِهِ سَمْعِي وَبَصْرِي إِلَّا بِدُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

١٢٥ - وَمِنْهَا مَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، قَالَ أَبُو زَيْدِ بْنِ أَحْطَبٍ ، مَسَحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ عَلَيَّ وَجْهِي ، وَدَعَا لِي ، قَالَ غَزْرَةُ : فَلَقَدْ رَأَيْتَهُ بَعْدَ مَا عَاشَ عِشْرِينَ وَمِائَةَ سَنَةٍ ، وَلَيْسَ فِي لِحْيَتِهِ إِلَّا شُعَيْرَاتٍ تُعَدُّ بِيضٌ .

١٢٦ - وَمِنْهَا مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : بَلَغَ

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ ، مَقْدَمُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ فَأَتَاهُ ،
وَقَالَ : إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ ثَلَاثٍ ، لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ ، مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ
السَّاعَةِ ، وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ ، وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزَعُ الْوَلَدُ إِلَى
أَبِيهِ ، وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزَعُ إِلَى أَحْوَالِهِ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
« أَخْبَرَنِي بِهِنَّ آيَفَا جِبْرِيلُ » قَالَ : عَبْدُ اللَّهِ ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ
الْمَلَائِكَةِ .

« أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ، فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى
الْمَغْرِبِ ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ ، فَرِيَاذَةُ كَبِدِ الْحَوْتِ ، وَأَمَّا
الشُّبُهَةُ فِي الْوَلَدِ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشَى الْمَرْأَةَ فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ ، كَانَ الشُّبُهَةُ
لَهُ ، وَإِذَا سَبَقَتْ كَانَ الشُّبُهَةُ لَهَا » قَالَ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ، الْحَدِيثُ .

١٢٧ - وَمِنْ ذَلِكَ إِخْبَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أُمَّتَهُ تَحْدُو حَذْوَ
بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَحَذْوَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ ، حَذْوَ الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ ،
وَالنُّعْلِ بِالنُّعْلِ .

وَكَانَ الْأَمْرُ حَذَتْ حَذْوَهُمْ فِي الْاِخْتِلَافِ ، وَالتَّفْرِقِ ، وَارْتِكَابِ
الْمُحَرَّمَاتِ ، وَالْإِحْدَاثِ فِي الدِّينِ ، وَالْكَذِبِ ، عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَذْوَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى .

١٢٨ - وَمِنْ ذَلِكَ إِخْبَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ هَوَازِنَ بِقَتْلِ ذِي
الْحُوَيْصِرَةِ ، جِرْقُوصِ بْنِ زُهَيْرِ السَّعْدِيِّ ، وَأَصْحَابِهِ مَارِقِينَ مِنَ الدِّينِ ،
خَارِجِينَ عَلَى جِبْنِ فِرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ .

وَحَدِيثُهُمْ مَذْكُورٌ فِي بَعْضِ السِّيَرِ ، وَكُتِبَ الْحَدِيثُ ، وَمَضْمُونُهُ أَنَّ

ذَا الْخُوَيْصِرَةِ قَامَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ يَقْسِمُ غَنَائِمَ هَوَزَانَ ، فَقَالَ إِعْدِلْ يَا مُحَمَّدُ ، فَإِنَّكَ لَمْ تَعْدِلْ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « تَرَبَّتْ يَدَاكَ فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ أَنَا » فَقَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ نَافَقٌ فَمُرْنِي أُضْرِبُ عُنُقَهُ .

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « دَعُهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدَكُمْ صَلَاتَهُ عِنْدَ صَلَاتِهِمْ وَقِرَاءَتَهُ عِنْدَ قِرَاءَتِهِمْ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فِرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ ، يَقْتُلُهُمْ أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ ، آيَتُهُمُ الْمُخَدَّجُ ، يَعْنِي ذَا الثُّدِيَّةِ ، فَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا أَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ الْمَذْكُورَ وَأَصْحَابَهُ خَرَجُوا عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بَعْدَ حَرْبِ صِفِّينَ .

فَقَتَلَهُمُ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي النَّهْرَوَانَ ، وَاسْتَخْرَجَ الْمُخَدَّجَ ذَا الثُّدِيَّةِ ، مِنَ الْمَاءِ مَقْتُولًا ، حَتَّى نَظَرَ إِلَيْهِ النَّاسُ مِنْ عَسْكَرِهِ وَكَانُوا مَا يَقْرُبُ مِنْ سِتِّينَ أَلْفًا ، فَكَبَّرَ عَلِيُّ حِينَ وَجَدَهُ ، وَسَجَدَ سَجْدَةَ شُكْرِ ، وَكَبَّرَ الْعَسْكَرُ الَّذِي مَعَهُ فَرَحًا وَسُرُورًا بِمَا شَاهَدُوهُ مِنْ خَيْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي وَقَعَ طَبَقَ مَا قَالَ .

١٢٩ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا أَخْبَرَ بِهِ فِي حَيَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَلِكَ مَأْخُودٌ مِنَ الْقُرْآنِ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ، مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ، سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ، وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ، فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ﴾ .

فَأَخْبَرَ أَنَّ عَمَّهُ أَبَا لَهَبٍ سَيَدْخُلُ النَّارَ هُوَ وَامْرَأَتُهُ ، وَعَاشَا مُدَّةً ،

وَقَدَّرَ اللَّهُ أَنَّهُمَا مَاتَا عَلَى شُرْكَيْهِمَا ، وَلَمْ يُسَلِّمَا حَتَّى وَلَا ظَاهِرًا ، وَهَذَا مِنْ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ الْبَاهِرَةِ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا أَتَى بِهِ فِي الْقُرْآنِ قَالَ تَعَالَى ﴿ قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ وَتَحَدَّاهُمْ بِعَشْرِ سُورٍ ، وَبِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ لَنْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ أَبَدًا ، وَلَمْ يَقَعْ ، وَلَنْ يَقَعَ : صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ ، فَهَذَا مِنْ الْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَةِ .

١٣٠ - وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ وَهَكَذَا وَقَعَ سَوَاءٌ بِسَوَاءٍ ، مَكَّنَ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ وَأَظْهَرَهُ وَأَعْلَاهُ وَنَشَرَهُ فِي الْأَفَاقِ وَأَنْفَذَهُ وَأَمَضَاهُ .

١٣١ - وَقَالَ تَعَالَى ﴿ قُلْ لِلْمُخْلِفينَ مِنَ الْأَعْرَابِ ، سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ، تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ ﴾ ، قِيلَ إِنَّهُمْ فَارِسٌ ، وَقِيلَ الرُّومُ ، وَقِيلَ هَوَازِنٌ ، وَتَقِيْفٌ ، وَعَظْفَانٌ ، يَوْمَ حُنَيْنٍ ، وَقِيلَ بَنُو حَنِيْفَةَ ، قَوْمٌ مُسَيِّمَةَ الْكَذَابِ ، وَالْمُهْمُّ أَنَّهُ وَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ .

١٣٢ - وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ - إِلَى قَوْلِهِ - وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ وَسَوَاءٌ كَانَ هَذَا خَيْبَرَ ، أَوْ مَكَّةَ ، فَقَدْ فُتِحَتْ ، وَأُخِذَتْ كَمَا وَقَعَ بِهِ الْوَعْدُ سَوَاءً بِسَوَاءٍ .

١٣٣ - وقال تعالى ﴿ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ،
مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ ، وَمَقْصِرِينَ ، لَا تَخَافُونَ ، فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا ،
فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ فوقع إنجاز هذا الوعد في سنة سبع
عام عمرة القضاء .

١٣٤ - وقال تعالى ﴿ واذ يَعدُّكم اللهُ إِحدى الطائفتين أَنها لكم ،
وتودُّون أَن غير ذاتِ الشُّوكَةِ تكونَ لكم ﴾ فوقع طبق ما أخبر الله .

١٣٥ - وقال تعالى ﴿ يا أَيها النبي قُلْ لِمَن فِي أَيديكم مِنَ
الأسرى ، إِنْ يَعْلَمُ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ
وَيَغْفِرَ لَكُمْ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ وهكذا وقع ، فإنَّ الله عَوَّضَ مَنْ أَسْلَمَ
مِنْهُمْ بِخَيْرِي الدنيا والآخرة .

١٣٦ - وقال تعالى ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً ، فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِنْ
فَضله إِنْ شَاءَ إِنْ اللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ وهكذا وقع عَوَّضَهُمُ اللهُ عَمَّا كَانَ
يَعْدُو إِلَيْهِمْ مَعَ حُجَّاجِ الْمُشْرِكِينَ بِمَا شَرَعَهُ لَهُمْ مِنْ قِتَالِ أَهْلِ الْكِتَابِ ،
وَضَرْبِ الْجِزْيَةِ عَلَيْهِمْ ، وَسَلْبِ أَمْوَالِ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ عَلَى كُفْرِهِ ، كَمَا
وَقَعَ بِكُفَّارِ أَهْلِ الشَّامِ مِنَ الرُّومِ ، وَمَجُوسِ الْفُرسِ بِالْعِرَاقِ ، وَغَيْرِهَا
مِنَ الْبُلْدَانِ ، الَّتِي انْتَشَرَ الْإِسْلَامُ عَلَى أَرْجَائِهَا .

١٣٧ - وقال تعالى ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا
عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ ﴾ الآية وهكذا وقع لَمَّا رَجَعَ صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ كَانَ قَدْ تَخَلَّفَ عَنْهُ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ فَجَعَلُوا
يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ ، لَقَدْ كَانُوا مَعْدُورِينَ فِي تَخْلُفِهِمْ ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ كَاذِبُونَ ،

فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَجْرِيَ أَحْوَالُهُمْ عَلَى ضَوَاهِرِهَا ،
وَلَا يَفْضَحُهُمْ عِنْدَ النَّاسِ .

١٣٨ - وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ وهكذا وَقَعَ لَمَّا اشْتَرَوْا عَلَيْهِ لِيُسَبِّتُوهُ أَوْ يَقْتُلُوهُ أَوْ يُخْرِجُوهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمُ الْمُهْمُ أَنَّهُ وَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ سِوَاءَ بِسِوَاءِ اللَّهِمْ وَقَفْنَا لِمَحَبَّتِكَ وَمَحَبَّةِ رُسُلِكَ وَأَوْلِيائِكَ وَعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ: عِبَادَ اللَّهِ لَقَدْ تَغَيَّرَ النَّاسُ الْيَوْمَ فِي أَحْوَالِهِمُ الدِّينِيَّةِ تَغَيَّرًا يُدْهَسُ النَّاطِرِينَ هَذِهِ الصَّلَاةُ الَّتِي هِيَ ثَانِي أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ وَهِيَ عَمُودُهُ أَعْرَضَ النَّاسُ عَنْهَا غَيْرَ مُبَالِينَ وَلَا نَادِمِينَ جَهَلُوا مَا هِيَ الصَّلَاةُ وَأَيُّ قِيَمَةٍ قِيَمَتُهَا وَمَا مَنْزِلَتُهَا مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الطَّاعَاتِ وَمَا عَلِمُوا أَنَّهَا الصِّلَةُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ فَهِيَ خَيْرٌ مَوْضُوعٍ وَضِعَ لِلتَّقَرُّبِ إِلَى الرَّحْمَنِ وَلِذَلِكَ هِيَ تُطَهِّرُ الْمُصَلِّيَ الْمُقِيمَ لَهَا مِنْ ذُنُوبِهِ إِذَا اجْتَنَبَ الْكِبَائِرَ فَعَلَيْكَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ أَنْ تَحْرِصَ عَلَيْهَا كُلَّ الْحِرْصِ وَأَنْ تَعْتَنِيَ بِهَا كُلَّ الْإِعْتِنَاءِ وَلَا تُضَيِّعْ هَذَا الْوَاجِبَ الْعَظِيمَ الَّذِي بِأَدَائِهِ تَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمَوْعُودِينَ بِالْفَوْزِ بِالْمَطْلُوبِ وَالنَّجَاةِ مِنَ الْمَرْهُوبِ . وَبِتَرْكِ هَذَا الْوَاجِبِ تَكُونُ مِنَ الْكَافِرِينَ الْمَوْعُودِينَ فِي الْجَحِيمِ أَبَدَ الْأَبْدِينَ فَإِذَا حَانَ وَقْتُهَا فَاهْتَمُّوا بِهَا وَتَهَيَّؤُوا لِمُنَاجَاةِ خَالِقِكُمُ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ وَخُذُوا زِينَتَكُمْ مُمْتَلِينَ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ وَاعْتَنُوا أَوْلًا بِالطَّهَارَةِ الَّتِي هِيَ مِفْتَاحُهَا ثُمَّ أَدْوَاهَا بِخُضُوعٍ وَخُشُوعٍ وَاطْمِئْنَانٍ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ يُصَلُّونَ بِأَجْسَامِهِمْ وَيُحَرِّكُونَ أَلْسِنَتَهُمْ وَشِفَاهَهُمْ وَيَرْفَعُونَ أَيْدِيَهُمْ مُكْبِرِينَ وَيَحْنُونَ

ظُهُورَهُمْ رَاكِعِينَ وَسَاجِدِينَ وَلَكِنْ قُلُوبُهُمْ لَمْ تَتَحَرَّكَ إِلَى اسْتِحْضَارِ عَظَمَةِ
مَوْلَاهُمْ وَلَمْ تَتَدَبَّرْ مَعَانِي مَا تَلْفُظُ بِهِ أَلْسِنَتُهُمْ لِأَنَّهَا فِي أَوْدِيَةِ الدُّنْيَا سَارِحَةٌ
تُفَكِّرُ فِي الْعَقَارَاتِ وَالْمُدَايِنَاتِ وَالْفُلُلِ وَالْعَمَائِرِ الَّتِي عَنْ قَرِيبٍ
سَيُخَلِّفُونَهَا رَغَمَ أَنْوْفِهِمْ إِذَا نَظَرَتْ إِلَى أَحَدِهِمْ وَهُوَ يُصَلِّي لَاهِيًا فِي
تَفَكِيرِهِ يَعْثُ فِي ثُوبِهِ تَارَةً وَفِي سَاعَتِهِ تَارَةً وَفِي أَنْفِهِ تَارَةً وَيُنْفَسُ سِنَّهُ تَارَةً
وَبَعْضُهُمْ يَلْمَسُ مَكَانَ لِحْيَتِهِ أَوْ يُصَلِّحُ مِيَازِبَ غُرَّتِهِ أَوْ يُقَلِّمُ أَظْفَارَهُ
بِأَسْنَانِهِ . وَهَكَذَا حَتَّى يَخْرُجَ مِنْهَا صِفْرًا مَا مَعَهُ مِنْهَا اللَّهُ أَعْلَمُ إِلَّا الْعُشْرُ
وَلِهَذَا لَوْ تَأَمَّلْتَ الْمُؤَدِّي لَهَا هَكَذَا رَأَيْتَ أَنَّ الصَّلَاةَ هَذِهِ لَمْ تُؤَثِّرْ عَلَيْهِ لَا
فِي تَتَمِيمِ الْوَاجِبَاتِ وَلَا فِي تَرْكِ الْمُحْرَمَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ بَلْ وَلَا فِي
تَخْفِيفِهَا لِأَنَّ الصَّلَاةَ الصَّحِيحَةَ الَّتِي أَقَامَهَا صَاحِبُهَا مِنْ شَأْنِهَا أَنَّهَا
تُهَذِّبُ النَّفْسَ وَتُرَقِّقُ الْخُلُقَ وَتَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ .

فَإِذَا رَأَيْنَا إِنْسَانًا يُصَلِّي لَكِنَّهُ يَأْكُلُ الرِّبَا وَيَحْضُرُ الْمَلَاهِي وَالْمُنْكَرَاتِ
أَوْ يَبِيعُهَا أَوْ يَشْتَرِيهَا أَوْ رَأَيْنَاهُ مَعَ السُّفْلِ الَّذِينَ يُلَاحِقُونَ النِّسَاءَ فِي الْأَسْوَاقِ
أَوْ رَأَيْنَاهُ يُجَاهِرُ بِالْمَعَاصِي مِنْ شُرْبِ دِخَانٍ بَيْنَ النَّاسِ أَوْ يَخْلِقُ لِحْيَتَهُ أَوْ
يَخْلِقُ لِحَاءَ النَّاسِ أَوْ يَجْعَلُ خِنَافِسَ أَوْ يَرْتَشِي أَوْ يَحْمِلُ النِّسَاءَ بِدُونِ
مَحْرَمٍ أَوْ يَخْلُو بِهِنَّ بِدُونِ مَحْرَمٍ أَوْ يُصَوِّرُ لِدَوَاتِ الْأَرْوَاحِ أَوْ يَبِيعُ
الصُّورَ أَوْ يَسْخَرُ بِالْمُسْلِمِينَ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْمُنْكَرَاتِ عَلِمْنَا
أَنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ الَّتِي يُصَلِّي أَنَّهَا لَمْ تَنْهَهُ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ فَلَمْ
يَزِدْ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا وَرُبَّمَا كَانَ الْمُتَّصِفُ بِشَيْءٍ مِنَ الصِّفَاتِ السَّابِقَةِ مَعَ
صَلَاتِهِ أَنَّهُ يَكِيدُ بِهَا النَّاسَ وَيَتَّخِذُهَا أَحْبُولَةً يَتَّصِدُّ بِهَا ثَنَاءَ النَّاسِ عَلَيْهِ أَوْ
لِلْحُصُولِ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا قَالَ بَعْضُهُمْ فِي مُصَلٍّ يَتَّصِدُّ بِصَلَاتِهِ الدُّنْيَا.

ذئبٌ رأيتُ مُصلياً
فإذا مررتُ به ركعٌ
يدعُو وجُلُّ دُعائه
ما للفريسة لا تقعُ
عجلُ بها عجلُ بها
إنَّ الفؤادَ قد انصدعُ

ويقول الآخر :

إذا رامَ كيداً بالصلاة مُقيمها
فتاركها سهواً إلى الله أقربُ

آخر :

مَواعِظُ الواعِظِ لَنْ تُقبَلَا حَتَّى يَعيَهَا قلبُهُ أَوَّلاً
يَاقُومُ لَا أَظلمَ مِنْ وَاعِظُ خَالَفَ مَا قَد قالَهُ فِي المَلَا
أَظهِرَ لِلنَّاسِ إِحسانَهُ وَبارَزَ الرَّحمانَ لَمَّا خَلَا
آخر : أَظهِرُوا لِلنَّاسِ زُهَداً وَعَلَى الدِينارِ دارُوا
وَلَهُ صَلَوا وَصامُوا وَلَهُ حَجُوا وَزارُوا
لو يُرى فَوْقَ الثَريّا وَلَهُمُ ريشُ لَطارُوا

١٣٩ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ مِنْ أَنَّ سَبَبَ نُزُولِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ ، هُوَ أَنَّ رَهْطاً مِنْ قُرَيْشٍ مِنْهُمْ الحارِثُ بْنُ قَيْسِ السَّهْمِيِّ ، وَالعاصُ بْنُ وائِلٍ ، وَالوَلِيدُ بْنُ المُغيرةِ ، وَالأسودُ بْنُ عَبْدِ يَغوْثَ ، وَالأسودُ بْنُ المُطَلِّبِ بْنِ أسدٍ ، وَأُميَّةُ بْنُ خَلَفٍ ، قالوا : يَا مُحَمَّدُ هَلُمَّ فَاتَّبِعْ دِينَنَا وَتَتَّبِعْ دِينَكَ ، وَنُشْرِكُكَ فِي أَمْرِنَا كُلِّهِ تَعْبُدُ آلِهَتَنَا سَنَةً وَنَعْبُدُ إِلَهَكَ سَنَةً ، فَإِنْ كانَ الدِّي

جِئْتُ بِهِ خَيْرًا كُنَّا قَدْ شَرَكْنَاكَ فِيهِ ، وَأَخَذْنَا حَظَّنَا مِنْهُ ، وَإِنْ كَانَ الَّذِي
بِأَيْدِينَا خَيْرًا كُنْتُ قَدْ شَرَكْتَنَا فِيهِ ، وَأَخَذْتَ بِحَظِّكَ مِنْهُ .

فَقَالَ « مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أُشْرِكَ بِهِ غَيْرُهُ » قَالُوا : فَاسْتَلِمَ بَعْضَ آلِهَتِنَا ،
نُصَدِّقُكَ وَنَعْبُدُ إِلَهَكَ . فَقَالَ لَا حَتَّى أَنْظُرَ مَا يَأْتِينِي مِنْ عِنْدِ رَبِّي فَأَنْزَلَ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ ، فَكَانَ كَمَا قَالَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَتَّبِعْهُمْ وَلَمْ تَتَّبِعُوهُ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ
لَهُ .

١٤٠ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَعَدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِ أَصْحَابَهُ مِنْ
الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فِي حَالِ ضَعْفِهِمْ ، مِنْ أَنَّ اللَّهَ سَيَنْصُرُهُمْ
وَيُمَكِّنُهُمْ ، وَيُقَوِّيَهُمْ ، وَيُظَاهِرُهُمْ ، فَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ، وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ،
وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَتَكُونُ الْعُقْبَى لَهُمْ ، وَتَلَا
بِذَلِكَ الْقُرْآنَ .

فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى
نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ - إِلَى قَوْلِهِ - الَّذِينَ إِنْ مَكَنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا
الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ
الْأُمُورِ ﴿ فَمَتَّكِنَ أَصْحَابَهُ وَخُلَفَاؤُهُ ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ ، وَأَمَرُوا
بِالْمَعْرُوفِ ، وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَكَانَتِ الْعُقْبَى لَهُمْ ، كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ
الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ .

١٤١ - وَمِنْ ذَلِكَ الْقَاءُ النَّعَاسِ عَلَى الْمُجَاهِدِينَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَانًا أَمَّنَهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنْ خَوْفِهِمُ الَّذِي حَصَلَ لَهُمْ مِنْ

كَثْرَةَ عَدُوِّهِمْ ، وَقَلَّةَ عَدَدِهِمْ ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ بِهِمْ يَوْمَ أُحُدٍ : قَالَ تَعَالَى ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ ﴾ وَالآيَةَ الْآخَرَى .

وَمِنْ ذَلِكَ تَقْلِيلُ الْمُجَاهِدِينَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَعْيُنِ الْمُشْرِكِينَ وَتَقْلِيلُ الْمُشْرِكِينَ فِي أَعْيُنِ الْمُؤْمِنِينَ لِيقْدِمَ الْمُؤْمِنُونَ وَيَتَجَرَّؤُوا وَيَطْمَعُوا فِيهِمْ وَلَيْلًا يَهْرَبَ الْمُشْرِكُونَ : قَالَ تَعَالَى ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ ﴾ .

١٤٢ - وَمِنْ ذَلِكَ أَنْزَالَ الْمَطْرَ عَلَى الْمُجَاهِدِينَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَطْفَأَ الْغُبَارَ ، وَتَلَبَّدَتْ بِهِ الْأَرْضُ ، حَتَّى ثَبَتَتْ الْأَقْدَامُ ، وَتَوَضَّؤُوا مِنْهُ ، وَسَقَوْا الرِّكَابَ ، وَمَلَأُوا الْأَسْقِيَةَ وَزَالَتْ عَنْهُمْ وَسْوَسَةُ الشَّيْطَانِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ نَزَلُوا يَوْمَ بَدْرٍ عَلَى كَثِيبٍ أَعْفَرَ ، تَسِيخُ فِيهِ الْأَقْدَامُ ، وَحَوَافِرُ الدَّوَابِّ ، وَقَدْ سَبَقَهُمُ الْكُفَّارُ إِلَى مَاءِ بَدْرٍ ، وَأَصْبَحَ الْمُسْلِمُونَ بَعْضُهُمْ مُحَدِّثِينَ ، وَبَعْضُهُمْ مُجَنَّبِينَ ، وَأَصَابَهُمُ الظَّمَأُ ، وَوَسَّوَسَ إِلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ، وَقَالَ : تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ عَلَى الْحَقِّ ، وَفِيكُمْ نَبِيُّ اللَّهِ ، وَأَنْتُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ ، وَقَدْ غَلَبَكُمْ الْمُشْرِكُونَ عَلَى الْمَاءِ ، وَأَنْتُمْ تُصَلُّونَ مُجَنَّبِينَ ، وَمُحَدِّثِينَ ، فَكَيْفَ تَرْجُونَ أَنْ تَظْهَرُوا عَلَيْهِمْ ، وَأَصَابَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ ذَلِكَ الْمَطْرِ مَا لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى أَنْ يَرْحَلُوا مَعَهُ .

١٤٣ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا نَزَلَ فِي رِجَالِ بَأَعْيَانِهِمْ ، مِنْ أَنَّهُمْ يُصِرُّونَ عَلَى كُفْرِهِمْ إِلَى أَنْ يَمُوتُوا ، مِنْ ذَلِكَ مَا نَزَلَ فِي أَبِي جَهْلٍ ﴿ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ﴾ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : أَتُوَعِدُنِي يَا مُحَمَّدُ ، وَاللَّهِ مَا تَسْتَطِيعُ أَنْتَ وَلَا رَبُّكَ أَنْ تَفْعَلَ شَيْئًا وَإِنِّي لِأَعَزُّ مَنْ مَشَى بَيْنَ

جَبَلِيَّهَا فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرِ صَرَعهُ اللهُ شَرَّ مَصْرَعٍ ، وَقَتْلَهُ أَسْوَأَ قَتْلَةٍ ، وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنْ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِرْعَوْنًا وَإِنْ فِرْعَوْنُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو جَهْلٍ » وَنَزَلَ فِي أَبِي جَهْلٍ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ إِنْ شَجَرَةَ الزُّقُومِ طَعَامُ الْأَيْمِ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ، كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ ﴾ ذَكَرَ ذَلِكَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ .

١٤٤ - ومنها قِصَّةُ الْبَكَاءِ وَنَ الَّذِينَ اسْتَحْمَلُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانُوا أَهْلَ حَاجَةٍ فَقَالَ لَا أَحَدٌ مَا أَحْمَلُكُمْ عَلَيْهِ فَتَوَلَّوْا يَبْكُونَ وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ .

وَقَامَ عَلَيْهِ بَنُ يَزِيدٍ فَصَلَّى مِنَ اللَّيْلِ وَبَكَى وَقَالَ اللَّهُمَّ إِنَّكَ قَدْ أَمَرْتَ بِالْجِهَادِ وَرَغَبْتَ فِيهِ ثُمَّ لَمْ تَجْعَلْ عِنْدِي مَا أَنْقَوِي بِهِ مَعَ رَسُولِكَ وَلَمْ تَجْعَلْ فِي يَدِ رَسُولِكَ مَا يَحْمِلُنِي عَلَيْهِ وَإِنِّي أَنْصَدُقُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ بِكُلِّ مَظْلَمَةٍ أَصَابَنِي فِيهَا مِنْ مَالٍ أَوْ جَسَدٍ أَوْ عِرْضٍ .

ثُمَّ أَصْبَحَ مَعَ النَّاسِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيَنَّ الْمُتَصَدِّقِ هَذِهِ اللَّيْلَةَ فَلَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ أَحَدٌ ثُمَّ قَالَ أَيَنَّ الْمُتَصَدِّقِ فَلْيَقُمْ فَقَامَ إِلَيْهِ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَبَشِّرْ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ كُتِبَتْ فِي الزَّكَاةِ الْمُتَقَبَّلَةِ فِي هَذَا مُعْجِزَةٌ مِنْ مُعْجِزَاتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّ هَذَا غَيْبٌ أَعْلَمَ اللهُ بِهِ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

١٤٥ - ومنها ما رُوِيَ أَنَّهُ قِيلَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حَدِيثُنَا عَنْ شَأْنِ سَاعَةِ الْعُسْرَةِ فَقَالَ عُمَرُ خَرَجْنَا إِلَى تَبُوكَ فِي قَيْضٍ شَدِيدٍ فَنَزَلْنَا مَنَزَلًا وَأَصَابَنَا فِيهِ عَطَشٌ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّ رِقَابَنَا سَتَنْقَطِعُ وَحَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْحَرُ بَعِيرَهُ فَيَعَصِرُ فَرْتَهُ فَيَشْرَبُهُ ثُمَّ يَجْعَلُ مَا بَقِيَ عَلَى كَبِدِهِ .

فقال أبو بكر الصديقُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ عَوَدَكَ فِي الدُّعَاءِ خَيْرًا فَادْعُ اللَّهَ لَنَا فَقَالَ أَوْ تُحِبُّ ذَلِكَ قَالَ نَعَمْ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ فَلَمْ يُرْجِعْهُمَا حَتَّى قَالَتْ السَّمَاءُ - أَيِ آذَنْتِ بِمَطَرٍ فَاطْلَلْتُ ثُمَّ سَكَبَتْ فَمَلَأُوا مَا مَعَهُمْ ثُمَّ ذَهَبْنَا نَنْظُرُ فَلَمْ نَرَهَا جَاوَزَتْ العَسْكَرَ .

١٤٦ - ومنها جِيئَ مَا ظَلَّتْ نَاقَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ فَخَرَجَ أَصْحَابُهُ فِي طَلَبِهَا وَعِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ مِنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ يُقَالُ لَهُ عَمَارَةُ ابْنُ حَزْمِ الأَنْصَارِيِّ .
وكان في رَحْلِهِ زَيْدُ بْنُ لُصَيْبِ القَيْنِقَاعِيِّ وكان مُنَافِقًا فقال زَيْدُ بْنُ لُصَيْبِ وَهُوَ فِي رَحْلِ عَمَارَةَ وَعَمَارَةَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَلَيْسَ يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ أَنْ يُخْبِرَكُمْ مِنْ خَبَرِ السَّمَاءِ وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتِهِ .

فقال رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَمَارَةُ عِنْدَهُ إِنَّ رَجُلًا قَالَ إِنَّ مُحَمَّدًا يُخْبِرُكُمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَهُوَ يَزْعُمُ أَنْ يُخْبِرَكُمْ بِخَبَرِ السَّمَاءِ وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا أَعْلَمَنِي اللَّهُ وَقَدْ دَلَّنِي اللَّهُ عَلَيْهَا وَهِيَ فِي الوَادِي فِي شَعْبِ كَذَا وَكَذَا قَدْ حَبَسَتْهَا شَجَرَةٌ بِزِمَامِهَا فَانطَلَقُوا حَتَّى تَأْتُوا بِهَا .

فَذَهَبُوا فَجَاؤُوا بِهَا وَقَدْ وَجَدَهَا الحَارِثُ بْنُ خَزَمَةَ الأَشْهَلِيِّ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال زَيْدٌ لَكَأَنِّي لَمْ أُسَلِّمْ إِلَّا اليَوْمَ فَقَدْ كُنْتُ شَاكًا فِي مُحَمَّدٍ وَقَدْ أَصْبَحْتُ وَأَنَا فِيهِ ذُو بَصِيرَةٍ أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ . اللهم ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

« فَضْلٌ »

١٤٧ - ومنها أَنَّهُ لَمَّا مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَائِرًا فَجَعَلَ يَتَخَلَّفُ عَنْهُ الرَّجُلُ فَيَقُولُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَخَلَّفَ فَلَانَ فَيَقُولُ دَعُوهُ فَإِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَسَيُلْحِقُهُ اللَّهُ بِكُمْ وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاكُمْ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَخَلَّفَ أَبُو ذَرٍّ وَأَبْطَأَ بِهِ بَعِيرُهُ فَقَالَ دَعُوهُ فَإِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَسَيُلْحِقُهُ اللَّهُ بِكُمْ وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاكُمْ اللَّهُ مِنْهُ .

وَتَلَوَّمَ أَبُو ذَرٍّ عَلَى بَعِيرِهِ فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَيْهِ بَعِيرُهُ - أَي انْقَطَعَ - أَخَذَ الْمَتَاعَ مِنْ عَلَيْهِ فَحَمَلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ ثُمَّ خَرَجَ يَتَّبِعُ أَثَرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شِئًا وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنَازِلَهُ فَنَظَرَ نَاطِرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا رَجُلٌ يَمْشِي عَلَى الطَّرِيقِ وَحَدَهُ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُنْ أَبَا ذَرٍّ فَلَمَّا تَأَمَّلَهُ الْقَوْمُ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ - وَاللَّهِ أَبُو ذَرٍّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجِمَ اللَّهُ أَبَا ذَرٍّ يَمْشِي وَحَدَهُ وَيَمُوتُ وَحَدَهُ وَيَبْعَثُ وَحَدَهُ وَقَدْ تَحَقَّقَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا نَفَى أَبَا ذَرٍّ نَزَلَ أَبُو ذَرٍّ الرَّبِذَةَ فَأَصَابَهُ بِهَا قَدْرُهُ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتُهُ وَغُلَامُهُ فَأَوْصَاهُمَا أَنْ غَسَلَانِي وَكَفَنَانِي .

ثُمَّ ضَعَانِي عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ فَأَوْلُ رَكْبٍ يَمُرُّ بِكُمْ فَقُولُوا لَهُ هَذَا أَبُو ذَرٍّ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعِينُونَا عَلَى دَفْنِهِ فَلَمَّا مَاتَ فَعَلَا ذَلِكَ بِهِ ثُمَّ وَضَعَاهُ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ .

فَأَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَرَهْطُ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عُمَارًا فَلَمْ يَرُعْهُمْ إِلَّا جَنَازَةً عَلَى الطَّرِيقِ قَدْ كَادَتْ الْإِبِلُ تَطْوُرُهَا

وَقَامَ الْغُلَامُ فَقَالَ هَذَا أَبُو ذَرِّ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَأَعَيْنُونَا عَلَى دَفْنِهِ .

فَاسْتَهَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ يَبْكِي وَيَقُولُ صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « تَمْشِي وَحَدَّكَ وَتَمُوتُ وَحَدَّكَ وَتَبْعُثُ وَحَدَّكَ » .

ثُمَّ نَزَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ وَوَارَوْهُ ثُمَّ حَدَّثَهُمْ ابْنُ مَسْعُودٍ حَدِيثَهُ وَمَا قَالَهُ
لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَسِيرِهِ إِلَى تَبُوكَ وَاسْمُ أَبِي
ذَرِّ « جُنْدُبُ بْنُ جُنَادَةَ » وَمَاتَ فِي سَنَةِ ٥٣٢ هـ .

وَذَكَرَ أَبُو حَاتِمٍ بْنُ جَبَانَ فِي صَحِيحِهِ وَغَيْرُهُ فِي قِصَّةِ وَفَائِهِ عَنْ
مُجَاهِدٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَشْتَرِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أُمِّ ذَرِّ قَالَتْ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا ذَرِّ
الْوَفَاةَ بَكَتُ فَقَالَ مَا يُبْكِيكَ فَقُلْتُ مَا لِي لَا أَبْكِي وَأَنْتَ تَمُوتُ بِفَلَاةٍ مِنَ
الْأَرْضِ وَلَيْسَ عِنْدِي ثَوْبٌ يَسْعُكَ كَفْنَا وَلَا يَدَانِ لِي فِي تَغْيِيكِ .

قَالَ أَبُو بَشِيرٍ وَلَا تَبْكِي فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَقُولُ لِنَفَرٍ أَنَا فِيهِمْ لَيَمُوتَنَّ رَجُلٌ مِنْكُمْ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ يَشْهَدُهُ عِصَابَةٌ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَوْلِيكَ النَّفَرِ إِلَّا وَقَدْ مَاتَ فِي قَرْيَةٍ وَجَمَاعَةٍ فَأَنَا
ذَلِكَ الرَّجُلُ فَوَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ فَأَبْصِرِي الطَّرِيقَ فَقُلْتُ أَنِّي وَقَدْ
ذَهَبَ الْحَاجُّ وَتَقَطَّعَتِ الطَّرِيقُ .

فَقَالَ أَذْهَبِي فَتَبْصِرِي قَالَتْ فَكُنْتُ أَشْتَدُّ إِلَى الْكَيْثِيبِ أَتَبَصَّرُ ثُمَّ أَرْجِعُ
فَأَمْرُضُهُ فَبَيْنَا أَنَا وَهُوَ كَذَلِكَ إِذَا أَنَا بِرِجَالٍ عَلَى رِحَالِهِمْ كَأَنَّهُمْ الرَّحْمُ
تَخَبُّ بِهِمْ رَوَاجِلُهُمْ قَالَتْ فَأَشْرْتُ إِلَيْهِمْ فَأَسْرَعُوا إِلَيَّ حَتَّى وَقَفُوا عَلَيَّ .

فَقَالُوا يَا أُمَّةَ اللَّهِ مَا لَكَ قُلْتَ أَمْرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَمُوتُ قَالُوا وَمَنْ هُوَ قُلْتَ أَبُو ذَرٍّ قَالُوا صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتَ نَعَمْ فَفَدَّوهُ بِآبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ وَأَسْرَعُوا إِلَيْهِ حَتَّى دَخَلُوا عَلَيْهِ .

فَقَالَ لَهُمْ أَبَشِّرُوا فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِنَفَرٍ أَنَا فِيهِمْ لَيَمُوتَنَّ رَجُلٌ مِنْكُمْ بِفَلَاحٍ مِنَ الْأَرْضِ يَشْهَدُهُ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَيْسَ مِنْ أَوْلِكَ النَّفَرِ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ هَلَكَ فِي جَمَاعَةٍ .

وَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ وَإِنَّهُ لَوْ كَانَ عِنْدِي ثَوْبٌ يَسْعُنِي كَفْنَا لِي أَوْ لَأَمْرَاتِي لَمْ أُكْفَنَّ إِلَّا فِي ثَوْبٍ هُوَ لِي أَوْ لَهَا وَإِنِّي أُنشِدُكُمْ اللَّهَ أَنْ لَا يُكْفِنَنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ كَانَ أَمِيرًا أَوْ عَرِيفًا أَوْ بَرِيدًا أَوْ نَقِيًّا وَلَيْسَ مِنْ أَوْلِكَ النَّفَرِ أَحَدٌ إِلَّا وَقَدْ قَارَفَ بَعْضَ مَا قَالَ إِلَّا فَتَى مِنَ الْأَنْصَارِ .

قَالَ أَنَا أَكْفِنُكَ يَا عَمُّ أَكْفِنُكَ فِي رِدَائِي هَذَا وَفِي ثَوْبَيْنِ مِنْ عَيْبَتِي مِنْ غَزَلِ أُمِّي قَالَ فَأَنْتَ تُكْفِنَنِي فَكَفَّنَهُ الْأَنْصَارِيُّ وَقَامُوا عَلَيْهِ وَدَفَنُوهُ فِي نَفَرٍ كُلِّ يَمَانٍ فِيهِ هَذِهِ مُعْجِزَةٌ .

١٤٨ - وَمِنْهَا مَا ذَكَرَهُ ابْنُ اسْحَاقَ مِنْ أَنَّ أَبَا خَيْثَمَةَ رَجَعَ - بَعْدَ مَا سَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيَّامًا إِلَى أَهْلِهِ فِي يَوْمٍ حَارٍّ فَوَجَدَ امْرَأَتَيْنِ لَهُ فِي عَرِيشٍ لَهُمَا فِي حَائِطِهِ قَدْ رَشَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَرِيشَهَا وَبَرَّدَتْ لَهُ فِيهِ مَاءً وَهَيَّأَتْ لَهُ فِيهِ طَعَامًا .

فَلَمَّا دَخَلَ قَامَ عَلَى بَابِ الْعَرِيشِ فَنَظَرَ إِلَى امْرَأَتَيْهِ وَمَا صَنَعَتَا لَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الضَّحَى - لَهَبِ الشَّمْسِ وَحَرَارَتِهَا - وَالرِّيحِ وَالْحَرِّ وَأَبُو خَيْثَمَةَ فِي ظِلِّ بَارِدٍ وَطَعَامٍ مُهَيَّأً وَامْرَأَةً

حَسَنَاءَ فِي مَالِهِ مُقِيمٌ مَا هَذَا بِالنَّصْفِ وَالْعَدْلِ .

ثُمَّ قَالَ وَاللَّهِ لَا أَدْخُلُ عَرِيشَ وَاحِدَةٍ مِنْكُمْ حَتَّى أَلْحَقَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهَيَّأَ لِي زَادًا فَفَعَلْنَا ثُمَّ قَدِمَ نَاصِحَهُ فَارْتَحَلَهُ - أَيَّ أَحْضَرَ جَمَلَهُ فَوَضَعَ عَلَيْهِ الرَّحْلَ وَأَعَدَّهُ لِلسَّفَرِ -

ثُمَّ خَرَجَ فِي طَلَبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَدْرَكَهُ حِينَ نَزَلَ تَبُوكَ وَكَانَ عِنْدَمَا أُقْبِلَ قَالَ النَّاسُ هَذَا رَاكِبٌ عَلَى الطَّرِيقِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ .

فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ وَاللَّهِ أَبُو خَيْثَمَةَ فَلَمَّا أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ أُقْبِلَ فَسَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخْبَرَ خَبْرَهُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرًا وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ وَفِي هَذِهِ مُعْجَزَةٌ .

١٤٩ - وَمِنْهَا مَا ذَكَرَ مِنْ أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْمُنَافِقِينَ مِنْهُمْ وَدِيعَةُ بْنُ ثَابِتٍ وَمِنْهُمْ مَخْشِيُّ بْنُ حَمِيرٍ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَتَحْسَبُونَ جِلَادَ بَنِي الْأَصْفَرِ كَقِتَالِ الْعَرَبِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا وَاللَّهِ لَكَأَنَّكُمْ غَدًا مُقَرَّنِينَ فِي الْجِبَالِ إِرْجَافًا وَارْهَابًا لِلْمُؤْمِنِينَ .

فَقَالَ مَخْشِيُّ وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أَقَاضِي عَلَى أَنْ يُضْرَبَ كُلُّ مِنَّا مِائَةَ جِلْدَةٍ وَأَنَا نَتَّقِلُ قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ فِينَا قُرْآنٌ لِمَقَالَتِكُمْ هَذِهِ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَمَارِ بْنِ يَاسِرٍ « أَدْرِكِ الْقَوْمَ فَإِنَّهُمْ قَدْ احْتَرَقُوا فَسَلُّهُمْ عَمَّا قَالُوا فَإِنْ أَنْكَرُوا فَقُلْ بَلَى قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا فَانْطَلَقَ إِلَيْهِمْ عَمَارٌ فَقَالَ ذَلِكَ لَهُمْ .

فَاتُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ فَقَالَ وَدِيعَةَ بْنِ نَابِتٍ كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ « وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ » فَقَالَ مَخْشِيُّ بْنُ حَمِيرٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ قَعَدَ بِي اسْمِي وَاسْمُ أَبِي فَكَانَ الَّذِي عَفَا عَنْهُ فِي هَذِهِ الْأَيَةِ وَتَسَمَّى عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُقْتَلَ شَهِيداً لَا يُعْلَمُ بِمَكَانِهِ فَقُتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ أَثَرٌ ، ففِي هَذِهِ الْقِصَّةِ مُعْجِزَةٌ أَيْضاً .

١٥٠ - وَمِنْهَا مَا ذَكَرَهُ ابْنُ عَائِدٍ فِي مَغَازِيهِ مِنْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزَلَ تَبُوكَ فِي زَمَانٍ قَلَّ مَاؤُهَا فِيهِ فَاغْتَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُرْفَةً بِيَدِهِ مِنْ مَاءٍ فَمَضَمَصَ بِهَا فَاهُ ثُمَّ بَصَقَهُ فِيهَا فَفَارَتْ عَيْنُهَا حَتَّى امْتَلَأَتْ فَهِيَ كَذَلِكَ حَتَّى السَّاعَةِ .

قُلْتُ : فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ : أَنَّهُ قَبْلَ وُضُوعِهِ إِلَيْهَا قَالَ إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - عَيْنَ تَبُوكَ وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتَوْهَا حَتَّى يُضْجِيَ النَّهَارُ فَمَنْ جَاءَهَا فَلَا يَمَسُّ مِنْ مَائِهَا شَيْئًا حَتَّى آتِي .

قَالَ فَجِئْنَاهَا وَقَدْ سَبَقَ إِلَيْهَا رَجُلَانِ وَالْعَيْنُ مِثْلَ الشَّرَاكِ تَبْضُ بِشَيْءٍ مِنْ مَائِهَا فَسَأَلَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ مَسَسْتُمَا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا قَالَا نَعَمْ .

فَسَبَّهُمَا وَقَالَ لَهُمَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ ثُمَّ غَرَفُوا مِنَ الْعَيْنِ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى اجْتَمَعَ فِي شَيْءٍ ثُمَّ غَسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ ثُمَّ أَعَادَهُ فِيهَا فَجَرَتِ الْعَيْنُ بِمَاءٍ كَثِيرٍ فَاسْتَقَى النَّاسُ فِيهِ هَذِهِ مُعْجِزَةٌ وَاضِحَةٌ .

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ الْعَمَلِ الَّذِي يُقَرِّبُنَا إِلَى حُبِّكَ اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَوَقِّفْنَا لِشُكْرِكَ وَاحْفَظْنَا مِنَ الْأَغْتِرَارِ بِالْدُنْيَا وَالْهَوَى وَالنَّفْسِ وَعَدْوِكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ

الراحمين إنك ولي ذلك والقادر عليه صلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

« فَصَلِّ ١٥١ - وَمِنْهَا قِصَّةُ أَبِي رِغَالٍ لِمَا رَوَى أَبُو دَاوُدَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ هَذَا قَبْرُ أَبِي رِغَالٍ وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّ مَعَهُ غُصْنًا مِنْ ذَهَبٍ إِنْ رَأَيْتُمْ نَبَشْتُمْ عَنْهُ أَصْبَتُمُوهُ مَعَهُ فَابْتَدَرَهُ النَّاسُ فَاسْتَخْرَجُوا الْغُصْنَ وَهَذِهِ مُعْجِزَةٌ أَيْضًا

١٥٢ - وَمِنْ ذَلِكَ الْوَعْدُ بِارْتِجَاعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَكَّةَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى « إِنْ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدَكَ إِلَى مَعَادٍ » قَالَ الْمُفَسِّرُونَ إِلَى مَكَّةَ وَوَقَعَ طَبَقٌ مَا أَخْبَرَ فَيَكُونُ عَلَمًا عَلَى نُبُوْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

١٥٣ - وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى « لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ إِلَى قَوْلِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا » .

١٥٤ - فِي هَذِهِ الْآيَاتِ إِخْبَارٌ عَنْ غُيُوبٍ كَثِيرَةٍ مِنْهَا تَرْكِيَةُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُبَايِعِينَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ وَإِعْلَانُ الرِّضَا عَنْهُمْ وَهُمْ عَدَدٌ كَثِيرٌ .

وَلَا شَكَّ أَنَّ الْأَمْرَ كَمَا قَالَ إِذْ لَوْ كَانَ فِي إِيمَانٍ أَحَدُهُمْ دَخَلَ لَشَكَّ وَارْتَابَ وَأَعْلَنَ ارْتِدَادَهُ وَكُفْرَهُ وَلَوْ كَانَ الْقُرْآنُ مِنْ مُحَمَّدٍ لَمْ يُقَدِّمَ عَلَى هَذَا الْإِعْلَانِ الْخَطِيرِ إِذْ لَا يَعْلَمُ مَا فِي بَوَاطِنِهِمْ إِلَّا اللَّهُ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى صِحَّةِ هَذَا الْإِخْبَارِ وَأَنَّهَا أَعْلَامٌ عَلَى نُبُوْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

١٥٥ - وَمِنْ ذَلِكَ الْإِخْبَارُ بِحَوَادِثٍ خَاصَّةٍ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ فِي هَذَا عِلْمٌ عَلَى نُبُوْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّ هَذِهِ

أُمُورٌ غَيْبِيَّةٌ أَطَّلَعَ اللَّهُ نَبِيَّهُ عَلَيْهَا .

١٥٦ - وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنِّي مَجْهُودٌ فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ فَقَالَتْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ يُضَيِّفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَجِمَهُ اللَّهُ .

فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَانْطَلِقْ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ فَقَالَ لِمَرَّاتِهِ هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ قَالَتْ لَا إِلَّا قُوتٌ صِيبَانِي قَالَ فَعَلَّيْهِمْ بِشَيْءٍ فإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِي السِّرَاجَ وَأَرِيهِ أَنَا نَاكُلُ قَالَ فَفَعَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ .

فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : قَدْ عَجَبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمْ بِضَيْفِكُمْ اللَّيْلَةَ فَهَذَا غَيْبٌ مِنَ الْغُيُوبِ أَعْلَمَ اللَّهُ نَبِيَّهُ بِهِ فَهُوَ مُعْجِزَةٌ وَاضِحَةٌ .

١٥٧ - وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا وَاسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ .

أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ الْمُنْذِرِ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَأَبُو الشَّيْخِ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ عَنْ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ كَانَ أَهْلُ بَيْتِ مِنَّا يُقَالُ لَهُمْ بَنُو أَبِي رِقٍ بَشْرٌ وَيَشِيرٌ وَمُبَشِّرٌ ، وَكَانَ بَشْرٌ رَجُلًا مُنَافِقًا يَقُولُ الشُّعْرَ

يَهْجُو بِهِ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ يَنْحَلُهُ لِبَعْضِ
العَرَبِ ثُمَّ يَقُولُ قَالَ فُلَانٌ كَذَا وَكَذَا فَإِذَا أَسْمَعَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا وَاللَّهِ مَا يَقُولُ هَذَا الشُّعْرَ إِلَّا هَذَا الرَّجُلُ الْخَبِيثُ أَوْ
كَمَا قَالَ الرَّجُلُ وَقَالُوا ابْنُ الْأَبِيرِقِ قَالَهَا قَالَ وَكَانُوا أَهْلَ بَيْتٍ وَحَاجَةٍ وَفَاقَةٍ
فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ .

وَكَانَ النَّاسُ إِذَا طَعَمَهُمْ بِالْمَدِينَةِ التَّمْرُ وَالشَّعِيرُ وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا
كَانَ لَهُ يَسَارٌ فَقَدِمَتْ ضَافِظَةٌ مِنَ الشَّامِ مِنَ الدَّرْمَكِ ابْتِغَاءَ الرَّجُلِ مِنْهَا
فَخَصَّ بِهَا نَفْسَهُ وَأَمَّا الْعِيَالُ فَإِنَّمَا طَعَمَهُمُ التَّمْرُ وَالشَّعِيرُ .

فَقَدِمَتْ ضَافِظَةٌ مِنَ الشَّامِ فَاِبْتِغَاءَ عَمِي رِفَاعَةَ بْنَ زَيْدٍ حِمْلًا مِنْ
الدَّرْمَكِ فَجَعَلَهُ فِي مَشْرَبَةٍ لَهُ وَفِي الْمَشْرَبَةِ سِلَاحٌ وَدِرْعٌ وَسَيْفٌ فَعُدِيَ عَلَيْهِ
مِنْ تَحْتِ الْبَيْتِ فَنُقِبَتِ الْمَشْرَبَةُ وَأُخِذَ الطَّعَامُ وَالسِّلَاحُ .

فَلَمَّا أَصْبَحَ أَنَانِي عَمِي رِفَاعَةَ فَقَالَ يَا ابْنَ أَخِي قَدْ عُدِيَ عَلَيْنَا فِي
لَيْلَتِنَا هَذِهِ فَنُقِبَتِ مَشْرَبَتُنَا فَذَهَبَ بِطَعَامِنَا وَسِلَاحِنَا قَالَ فَتَحَسَّسْنَا فِي الدَّارِ
وَسَأَلْنَا فَقِيلَ لَنَا قَدْ رَأَيْنَا بَنِي أَبِيْرِقِ اسْتَوْقَدُوا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَلَا نَرَى فِيمَا
نَرَى إِلَّا عَلَى بَعْضِ طَعَامِكُمْ .

قَالَ وَكَانَ بَنُو أَبِيْرِقِ قَالُوا وَنَحْنُ نَسْأَلُ فِي الدَّارِ وَاللَّهِ مَا نَرَى
صَاحِبِكُمْ إِلَّا لَيْدٌ بَنُ سَهْلٍ رَجُلًا مِنَّا لَهُ صِلَاحٌ وَاسْلَامٌ . فَلَمَّا سَمِعَ لَيْدٌ
اخْتَرَطَ سَيْفَهُ .

وَقَالَ : أَنَا أَسْرِقُ وَاللَّهِ لِيُخَالِطَنَّكُمْ هَذَا السَّيْفُ أَوْ لَتُبَيِّنَنَّ هَذِهِ السَّرْقَةَ

قَالُوا إِلَيْكَ عَنَّا أَيُّهَا الرَّجُلُ فَمَا أَنْتَ بِصَاحِبِهَا فَسَأَلْنَا فِي الدَّارِ حَتَّى لَمْ نَشْكُ أَنَّهُمْ أَصْحَابُهَا فَقَالَ لِي عَمِّي يَا ابْنَ أَخِي لَوْ أَتَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْتَ ذَلِكَ لَهُ .

قَالَ قَتَادَةُ فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ إِنَّ أَهْلَ بَيْتِ أَهْلِ جَفَاءِ عَمَدُوا إِلَى عَمِّي رِفَاعَةَ بْنَ زَيْدٍ فَتَقَبُّوا مَشْرَبَةً لَهُ وَأَخَذُوا سِلَاحَهُ وَطَعَامَهُ ، فَلْيُرِدُوا عَلَيْنَا سِلَاحَنَا ، فَأَمَّا الطَّعَامُ فَلَا حَاجَةَ لَنَا فِيهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَمْرٌ فِي ذَلِكَ .

فَلَمَّا سَمِعَ بِذَلِكَ بَنُو الْأَبْيَرِ أَتَوْا رَجُلًا مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أَسِيدُ ابْنِ عُرْوَةَ فَكَلَّمُوهُ فِي ذَلِكَ فَاجْتَمَعَ فِي ذَلِكَ أَنَاسٌ مِنْ أَهْلِ الدَّارِ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ قَتَادَةَ بْنَ النُّعْمَانَ وَعَمَّهُ عَمَدًا إِلَى أَهْلِ بَيْتِ مِنَّا أَهْلِ إِسْلَامٍ وَصَلَاحٍ يَرْمُونَهُمْ بِالسَّرِقَةِ مِنْ غَيْرِ بَيِّنَةٍ وَلَا ثَبْتٍ .

فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمْتُهُ فَقَالَ عَمَدَتَ إِلَى أَهْلِ بَيْتِ ذِكْرٍ مِنْهُمْ إِسْلَامٌ وَصَلَاحٌ تَرْمِيهِمْ بِالسَّرِقَةِ عَلَى غَيْرِ ثَبْتٍ وَلَا بَيِّنَةٍ .

قَالَ فَرَجَعْتُ وَلَوَدِدْتُ أَنِّي خَرَجْتُ مِنْ بَعْضِ مَالِي وَلَمْ أَكَلِّمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ فَآتَانِي عَمِّي رِفَاعَةُ فَقَالَ يَا ابْنَ أَخِي مَا صَنَعْتَ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

فَلَمْ نَلْبَثْ أَنْ نَزَلَ الْقُرْآنُ ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴾ يَعْنِي بَنِي أَبِي بَيْرِقٍ وَاسْتَعْفِرِ اللَّهَ مِمَّا قُلْتَ لِقَتَادَةَ . . . فَلَمَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى

الله عليه وسلم بالسلاح فرده إلى رفاة .

١٥٨ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا جَاءَ فِي تَبَرُّتِ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ
عنها مِنَ الْإِفْكِ قَالَ تَعَالَى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا
تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ الآية .

عَشْرُ آيَاتٍ كُلُّهَا نَزَلَتْ فِي شَأْنِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حِينَ رَمَاهَا
أَهْلُ الْإِفْكِ وَالْبُهْتَانِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ بِمَا قَالُوا مِنَ الْكَذِبِ الْبَحْتِ وَالْفِرْيَةِ
الَّتِي غَارَ اللَّهُ لَهَا وَلِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى بَرَاءَتَهَا صِيَانَةً لِعِرْضِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ بَعْدَ مَا بَقِيَتْ الْأَلْسِنَةُ تَخَوُّضُ فِي حَادِثَةِ الْإِفْكِ قَرِيبًا مِنَ الشُّهُرِ
وَالرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُوحَى إِلَيْهِ كَمَا جَاءَ فِي صَحِيحِي
الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ - وَهُوَ حَائِرٌ مُتَرَدِّدٌ فِي أَمْرِ عَائِشَةَ يَسْأَلُ وَيَسْتَشِيرُ .

وَالْمُنَافِقُونَ يُشِيعُونَ الْفَاحِشَةَ حَتَّى وَقَعَ فِيهَا مَنْ وَقَعَ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ .

ثُمَّ جَاءَهَا الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ أَهْلِهَا ثُمَّ قَالَ يَا
عَائِشَةُ فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذَا وَكَذَا فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيِّرْ لِي اللَّهُ وَإِنْ كُنْتِ
أَلَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ
تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ .

فَوَاللَّهِ مَا رَأَمَ مَجْلِسَهُ وَلَا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ
فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرْحَاءِ حَتَّى أَنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ

العَرَقِ فِي يَوْمِ شَاتٍ .

فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَضْحَكُ فَكَانَ
أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ لِي يَا عَائِشَةُ أَحْمَدِي اللَّهُ فَقَدْ بَرَّكَ اللَّهُ فَقَالَتْ
لِي أُمِّي قَوْمِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ لَا وَاللَّهِ لَا
أَقُومُ إِلَيْهِ وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ﴾ الْآيَاتِ
فَفِي هَذِهِ الْقِصَّةِ عَلَّمَ مِنْ أَعْلَامِ نُبُوَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ لِمَنْ تَدَبَّرَهُ وَتَفَهَّمَهُ
فَقَدْ كَانَ مَوْفِقُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عَائِشَةَ بَعْدَ إِسَاعَةِ الْفِرْيَةِ وَالْبُهْتَانِ
مَوْفِقَ التَّرَدُّدِ وَالْحَيْرَةِ .

ثُمَّ تَحَوَّلَ بَعْدَ الْوَحْيِ فُجَاءَةً إِلَى مَوْفِقِ الثِّقَةِ وَالْإِطْمِئْنَانِ وَهَذَا
التَّحَوُّلُ لَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يَكُونَ لَوْ لَمْ يَكُنْ واثِقًا بِرَأْيِهَا بِإِخْبَارِ مِنَ الْعَلِيمِ
الْخَيْرِ جَلَّ وَعَلَا وَتَنَزَّهَ وَتَقَدَّسَ .

١٥٩ - وَمِنْ ذَلِكَ تَحَدِيِّي الْيَهُودَ فِي تَمَنِّي الْمَوْتِ مَرَّتَيْنِ فَقَالَ قُلْ يَا
أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا أَنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنُّوا الْمَوْتِ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ .

وَوَجْهُ الدَّلَالَةِ أَنَّهُ طَلَبَ مِنَ الْيَهُودِ أَنْ يَتَمَنَّوْا الْمَوْتِ ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُمْ لَنْ
يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا فَمَا تَمَنَّاؤُهُمْ مَعَ جِرْصِهِمْ عَلَى تَكْذِيبِ الرَّسُولِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُعَارَضَتِهِمْ لَهُ وَكَيْدِهِمْ لَهُ فَقَامَ ذَلِكَ دَلِيلًا صَادِقًا عَلَى
نُبُوَّتِهِ وَمُعْجَزَةٍ عَظِيمَةٍ .

اللَّهُمَّ أَعِصِمْنَا وَأَحْمِنَا عَنِ الرُّكُوبِ إِلَى عِدَاكَ وَارْزُقْنَا بُغْضَهُمْ
وَأَعْوَانِهِمْ وَوَقِّفْنَا لِمَحَبَّتِكَ وَمَحَبَّةِ رُسُلِكَ وَأَوْلِيَانِكَ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ

وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ) قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فَأَخْبَرَ عَنِ الْيَهُودِ أَنَّهُمْ لَنْ يَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ أَبَدًا
وَكَانَ كَمَا أَخْبَرَ فَلَا يَتَمَنَّى الْيَهُودُ الْمَوْتَ أَبَدًا وَهَذَا دَلِيلٌ مِنْ وَجْهَيْنِ مِنْ
جِهَةِ إِخْبَارِهِ بَأَنَّ لَا يَكُونُ أَبَدًا وَمِنْ جِهَةِ صَرْفِ اللَّهِ لِذَوَاعِي الْيَهُودِ عَنِ
تَمَنِّي الْمَوْتَ مَعَ أَنَّ ذَلِكَ مَقْدُورٌ لَهُمْ وَهَذَا مِنْ أَعْجَبِ الْأُمُورِ الْخَارِقَةِ
لِلْعَادَةِ وَهُمْ مَعَ حُرْصِهِمْ عَلَى تَكْذِيبِهِ لَمْ تَتَّبِعْ دَوَاعِيهِمْ لِإِظْهَارِ تَكْذِيبِهِ
بِإِظْهَارِ تَمَنِّي الْمَوْتَ أَه .

١٦٠ - وَمِنْ ذَلِكَ الْوَعْدُ بِحِفْظِ الْقُرْآنِ قَالَ تَعَالَى إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ
وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ وَهَذَا الْإِخْبَارُ إِنَّمَا هُوَ مِنَ الْعَيْبِ وَوَقَعَ كَمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ
فَحُفِظَ وَتَمَّ وَعَدُّ اللَّهِ بِذَلِكَ .

وَلَنْ يَأْتِيَهُ تَغْيِيرٌ يَعْمُ جَمِيعَ الْمَصَاحِفِ الْمَوْجُودَةِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ
قَالَ تَعَالَى ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ
حَمِيدٍ ﴾ .

١٦١ - وَمِنْ ذَلِكَ الْوَعْدُ بِعِصْمَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ
النَّاسِ قَالَ تَعَالَى ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ
فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ وَقَدْ حَقَّقَ اللَّهُ وَعْدَهُ فَحَفِظَ نَبِيَّهُ
وَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ عَلَى قَتْلِهِ مَعَ كَثْرَةِ الْمُحَاوَلَاتِ مِنْ أَعْدَائِهِ فَبَيَّنَّا فِي ذَلِكَ عَلَمٌ مِنْ
أَعْلَامِ نُبُوْتِهِ مُعْجَزَةٌ وَاضِحَةٌ .

١٦٢ - وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴾ قَالَ الْبَغَوِيُّ أَيُّ يَكْفِيكَ شَرُّ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَقَدْ كَفَى بِإِجْلَاءِ
بَنِي النَّظِيرِ وَقَتْلِ بَنِي قُرَيْظَةَ وَضَرْبِ الْجَزْيَةِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى أَه .

وهذا إخبار عن الغيب فيكون معجزاً دالاً على صدقه حيث وقع طبق ما أخبر .

١٦٣ - وَمِنْ ذَلِكَ الْمُبَاهَلَةُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُوا أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ .

قِيلَ إِنْ سَبَبَ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ هُوَ أَنَّ الْعَاقِبَ وَالسَّيِّدَ صَاحِبِي نَجْرَانَ جَاءَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَادَلَاهُ فِي أَمْرِ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى آيَةَ الْمُبَاهَلَةِ وَالْمُبَاهَلَةُ دُعَاءُ اللَّهِ وَالابْتِهَالُ إِلَيْهِ أَنْ يُنَزَلَ لَعْنَتُهُ عَلَى الْكَاذِبِينَ فَوَاعِدَاهُ عَلَى أَنْ يُلَاعِنَاهُ الْغَدَاةَ .

فَعَدَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمَا فَأَبَيَا أَنْ يُجِيبَاهُ وَأَقْرَأَ لَهُ بِالْخِرَاجِ قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ لَوْ قَالَا لِأَمْطَرَ عَلَيْهِمُ الْوَادِي نَاراً فَفِي هَذَا عَلَّمَ مِنْ أَعْلَامِ نُبُوَّتِهِ فَلَوْلَا أَنَّهُمْ عَرَفُوا مِنَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ مَا يَدُلُّ عَلَى نُبُوَّتِهِ لَمَا أَحْجَمُوا عَنِ الْمُبَاهَلَةِ ثَانِيًا وَتُوقُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ .

١٦٤ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا قِيلَ مِنْ أَنَّهُ نَزَلَ فِي الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيْقٍ ﴿ وَيَلُّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُْمَزَةٍ ، الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ ، يُحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ، كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴾ فَمَاتَ عَلَى كُفْرِهِ ، وَقَالَ مُقَاتِلُ : نَزَلَتْ فِي الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ كَانَ يَغْتَابُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَطْعُنُ عَلَيْهِ فِي وَجْهِهِ ، وَنَزَلَ فِيهِ .

آخر : يُزهدُ في الدُّنيا

قَطَعْتُ مِنْكَ حَبَائِلَ الْأَمَالِ ،
وَيَمَسْتُ أَنْ أَبْقَى لشيءٍ نِلْتُ مَمًا ،
فَوَجَدْتُ بَرْدَ الْيَأْسِ بَيْنَ جَوَانِحِي ،
وَلَقِينُ بَيْسَتْ ، لَرَبِّ بَرَقَةَ حُلْبِ
مَا كَانَ أَشَامَ ، إِذْ رَجَاؤُكَ قَاتِلِي ،
فَالآنَ ، يَا دُنْيَا ، عَرَفْتُكَ فَاذْهَبِي ،
وَالآنَ صَارَ لِي الزَّمَانُ مُؤَدِّبًا ،
وَالآنَ أَبْصَرْتُ السَّبِيلَ إِلَى الْهُدَى ،
وَلَقَدْ أَقَامَ لِي الْمَشِيبُ نِعَاتُهُ ،
وَلَقَدْ رَأَيْتُ الْمَوْتَ يُبْرِقُ سَيْفُهُ
وَلَقَدْ رَأَيْتُ عُرَى الْحَيَاةِ تُخْرَمْتُ ،
وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَلَى الْفَنَاءِ أدْلَةً ،
وَإِذَا اعْتَبَرْتُ رَأَيْتُ حُطْبَ حَوَادِثِ
وَإِذَا تَنَاسَبَتِ الرَّجَالُ ، فَمَا أَرَى
وَإِذَا بَحَثْتُ عَنِ التَّقِيِّ وَجَدْتُهُ
وَإِذَا اتَّقَى اللَّهَ امْرُؤٌ ، وَأَطَاعَهُ ،
وَعَلَى التَّقِيِّ ، إِذَا تَرَسَّخَ فِي التَّقِيِّ ،
وَاللَّيْلُ يَذْهَبُ وَالنَّهَارُ ، تَعَاوَرَا
وَبِحَسْبِ مَنْ تُنْعَى إِلَيْهِ نَفْسُهُ
إِضْرَبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ فَأَنْتَ فِي
يَبْكِي الْجَدِيدُ وَأَنْتَ فِي تَجْدِيدِهِ ،

وَحَطَّطْتُ عَنْ ظَهْرِ الْمَطِيِّ رِحَالِي
أَفِيكَ ، يَا دُنْيَا ، وَأَنْ يَبْقَى لِي
وَأَرَحْتُ مِنْ حَلِي وَمِنْ تَرْحَالِي
بَرَقْتُ لَدَى طَمَعٍ ، وَبَرَقَةَ آلِ
وَبَنَاتُ وَعَدِيدُ يَعْتَلِجْنَ بِيَالِي
يَا دَارَ كُلِّ تَشْتَبٍ وَزَوَالِ
فَعَدَا عَلَيَّ وَرَاحَ بِالْأَمْثَالِ
وَتَفَرَّغْتُ هَمِيمِي عَنِ الْأَشْغَالِ
يُفْضِي إِلَيَّ بِمَفْرِقٍ وَقَدَالِ
بِيَدِ الْمَنِيَّةِ : حَيْثُ كُنْتُ ، حِيَالِي
وَلَقَدْ تَصَدَّى الْوَارِثُونَ لِمَالِي
فِيمَا تَنَكَّرَ مِنْ تَصَرَّفِ حَالِي
يَجْرِينِ بِالْأَرْزَاقِ ، وَالْأَجَالِ
نَسْبًا يُقَاسُ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ
رَجُلًا ، يُصَدِّقُ قَوْلَهُ بِفَعَالِ
فِيَدَاهُ بَيْنَ مَكَارِمٍ وَمَعَالِ
تَاجَانِ ، تَاجُ سَكِينَةٍ ، وَجَلَالِ
بِالْمَخْلُوقِ فِي الْإِدْبَارِ ، وَالْإِقْبَالِ
مِنْهُ بِأَيَّامٍ خَلَّتْ ، وَلِيَالِ
عَبْرٍ لَهُنَّ تَدَارُكُ ، وَتَوَالِ
وَجَمِيعُ مَا جَدَّدْتَ مِنْهُ ، فَبَالِ

فِي قَبْرِهِ ، مُتَفَرِّقِ الْأَوْصَالِ
وَأَرَى مُنَاكَ طَوِيلَةَ الْأَذْيَالِ
مِنْ لَاعِبِ مَرَحٍ بِهَا ، مُخْتَالِ
حَتَّى مَتَى بِالْعَيِّ أَنْتَ تُغَالِي
نَحْسِرَتْ ، وَلَمْ يَرْبَحْ يَدُ الْبَطَّالِ
وَتَشِيْبُ مِنْهُ ذَوَائِبُ الْأَطْفَالِ

مِلِ فِيهِ ، إِذْ يَقْدِفَنَ بِالْأَحْمَالِ
زُلِي ، وَالْأُمُورِ عَظِيمَةَ الْأَهْوَالِ
بِمُقَطَّعَاتِ النَّارِ ، وَالْأَغْلَالِ
عَلَّتِ الْوُجُوهَ بِنَضْرَةٍ ، وَجَمَالِ
فَلَهَا بَرِيقٌ عِنْدَهَا وَتَلَالِي
حُمُصَ الْبُطُونِ ، خَفِيفَةَ الْأَنْقَالِ
خَلَقَ الرِّدَاءِ ، مُرَقَّعَ السُّرْبَالِ
وَالْمَوْتُ يَقَطُّعُ حَيْلَةَ الْمُحْتَالِ
فِي دَارِ مُلْكِ جَلَالَةٍ ، وَظِلَالِ
حَرَكَ الْخَطِي ، وَطُلُوعِ كُلِّ هِلَالِ
أَخْلَقْتِ ، يَا دُنْيَا ، وَجُوهَ رِجَالِ
مِنْ كُلِّ عَارِفَةٍ جَرَتْ بِسُؤَالِ
مِمَّنْ يَضِيحُ عَلَيْكَ بِالْأَمْوَالِ
فِي الْوَزْنِ تَرْجُحُ بِذَلِكَ كُلِّ نَوَالِ
نَسِي الْمُكْتَمِرِ زِينَةَ الْإِقْلَالِ
سَلَكِ الطَّرِيقَ عَلَى عُقُودِ ضَلَالِ

يَأْيَاهَا الْبَطْرُ الَّذِي هُوَ فِي غَدِ ،
حَذَفَ الْمُنَى عَنْهُ الْمُشْمَرُّ فِي الْهُدَى ،
وَلَقَلَّ مَا تَلَقَى أَعْرَّ لِنَفْسِهِ
يَا تَاجِرَ الْعَيِّ الْمُضِيرِ بِرُشْدِهِ ،
الْحَمْدُ لِلَّهِ الْحَمِيدِ بِمَنْهِ
لِلَّهِ يَوْمٌ تَفْشَعِرُ جُلُودَهُمْ ،

يَوْمُ النَّوَارِزِ وَالزَّلَازِلِ ، وَالْحَوَا
يَوْمُ التَّعَابِنِ ، وَالتَّبَايُنِ وَالتَّنَا
يَوْمٌ يَنَادِي فِيهِ كُلُّ مَضْلَلٍ
لِلْمُتَّقِينَ هُنَاكَ نَزْلُ كَرَامَةٍ ،
زُمَرُ أَضَاءَتِ لِلْحِسَابِ وَجُوهُهَا ،
وَسَوَائِقُ غُرِّ ، مُحَجَّلَةٌ ، جَرَتْ
مِنْ كُلِّ أَشْعَثَ كَانَ أُعْبِرَ نَاجِلًا ،
حَيْلُ ابْنِ آدَمَ فِي الْأُمُورِ كَثِيرَةٌ ،
نَزَلُوا بِأَكْرَمِ سَيِّدٍ ، فَأَظْلَهُمْ
وَمِنَ النَّعَاةِ إِلَى ابْنِ آدَمَ نَفْسُهُ ،
مَالِي أَرَاكَ لِحَرِّ وَجْهِكَ مُخْلِقًا ،
قَسَّتِ السُّؤَالَ ، فَكَانَ أَعْظَمَ قِيمَةً
كَنْ بِالسُّؤَالِ أَشَدَّ عَقْدِ ضَنْنَانَةٍ ،
وَصْنِ الْمَحَامِدِ مَا اسْتَطَعْتَ ، فَإِنَّهَا
وَلَقَدْ عَجِبْتُ مِنْ الْمُكْتَمِرِ مَالَهُ ،
وَإِذَا امْرُؤٌ لَيْسَ الشُّكُوكَ بِعَزْمِهِ ،

وَإِذَا دَعَتْ حُدُوعُ الْحَوَادِثِ قَسْوَةً ، شَهِدْتَ لَهُنَّ مَصَارِعُ الْأَبْطَالِ ،
وَإِذَا ابْتُلِيَتْ بِيَذَلٍ وَجَهْكَ سَائِلًا ، فَأَبْذَلُهُ لِلْمُتَكَّرِمِ ، الْبِفَضَالِ ،
وَإِذَا خَشِيَتْ تَعَدُّرًا فِي بَلَدَةٍ ، فَاشْدُدْ يَدَيْكَ بِعَاجِلِ التَّرْحَالِ ،
وَأَصْبِرْ عَلَى غَيْرِ الزَّمَانِ ، فَإِنَّمَا فَرَجُ الشَّدَائِدِ مِثْلُ حَلِّ عِقَالِ
إِنْتَهَى

١٦٥ - قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى

﴿ سَأُصَلِّيهِ سَقَرَهُ ﴾ فَلَمْ يَزِدْهُ اللَّهُ مَالًا وَلَا وَلَدًا بَعْدَ هَذَا كَمَا أَخْبَرَ ، وَصَارَ فِي نُقْصَانٍ مِنْ مَالِهِ وَوَلَدِهِ إِلَى أَنْ مَاتَ كَافِرًا ، وَقَدْ كَانَ عِنْدَ نُزُولِ ذَلِكَ حَيًّا سَلِيمًا .

١٦٦ - وَمِنْهُمْ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ كِلْدَةَ ، أَخُو بَنِي عَبْدِ الدَّارِ ، وَكَانَ شَدِيدَ الرَّدِّ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى رَسُولِهِ ، شَدِيدَ الْعَدَاوَةِ ، وَالْأَرْصَادِ ، وَقَدْ كَانَ رَحَلَ فِي عَدَاوَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلَى فَارِسَ ، وَطَلَبَ مَا يَكِيدُ بِهِ الْإِسْلَامَ ، فَاشْتَرَى أَخْبَارَ الْعَجَمِ ، وَقَدِمَ بِهَا مَكَّةَ يُحَدِّثُ بِهَا قُرَيْشًا وَيَقُولُ إِنَّ مُحَمَّدًا يُحَدِّثُكُمْ بِحَدِيثِ عَادٍ وَثَمُودَ وَأَنَا أَحَدِثُكُمْ بِحَدِيثِ رُسْتَمَ وَاسْفِنْدِيَارَ ، وَأَخْبَارِ الْأَكَاسِرَةِ ، فَيَسْتَمْلِحُونَ حَدِيثَهُ ، وَيَتْرَكُونَ اسْتِمَاعَ كَلَامِ اللَّهِ .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ ، ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ قَالَهُ مُقَاتِلُ وَالْكَلْبِيُّ .

وَقِيلَ : نَزَلَ فِيهِ أَيْضًا غَيْرُهَا وَقِيلَ : إِنَّهُ يَوْمَ بَدْرٍ أَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ ذَهَبَتْ بِقُحْفِ رَأْسِهِ وَحَلَّ فِي أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ مِنْ جُمْلَةِ الْمَأْسُورِينَ وَقَالَ لَا أَذُوقُ طَعَامًا وَلَا شَرَابًا مَا دُمْتُ فِي أَيْدِيهِمْ فَمَاتَ مِنَ الضَّرْبَةِ وَصَارَ إِلَى

النَّارِ بَعْدَ أَنْ أذَاقَهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْمُهِينَ فِي الدُّنْيَا كَمَا قَالَ وَكَمَا أَخْبَرَ عَزَّ
وَجَلَّ .

اللهم وَفِقْنَا لِلزُّومِ الطَّرِيقِ الَّذِي يُقَرِّبُنَا إِلَيْكَ وَهَبْ لَنَا نُورًا نَهْتَدِي
بِهِ إِلَيْكَ وَيَسِّرْ لَنَا مَا يَسَّرْتَهُ لِأَهْلِ مَحَبَّتِكَ وَأَيِّقِضْنَا مِنْ غَفْلَاتِنَا وَأَلْهَمْنَا
رُشْدَنَا وَاسْتُرْنَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَةِ عِبَادِكَ الْمُتَّقِينَ وَالْحَقْنَآ
بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَضْلٌ »

١٦٧ - وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ أَلَمْ غَلَبَتْ الرُّومَ فِي أَدْنَى
الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ، فِي بَضْعِ سِنِينَ ، لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ
قَبْلُ ، وَمِنْ بَعْدُ ، وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ ، يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ،
وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ، وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ ، وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴾ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ حِينَ غَلَبَ سَابُورُ مَلِكُ الْفُرسِ عَلَى بِلَادِ
الشَّامِ ، وَمَا وَالآهَا مِنْ بِلَادِ الْجَزِيرَةِ ، وَأَقَاصِي بِلَادِ الرُّومِ ، حَتَّى
الْجَاهُ إِلَى الْقِسْطِطِينِيَّةِ ، وَحَاصِرَهُ مُدَّةً طَوِيلَةً ، ثُمَّ عَادَتْ الدَّوْلَةُ إِلَى
هَرَقْلَ ، كَمَا بَشَّرَ الْقُرْآنُ قَبْلَ سَبْعِ سِنَوَاتٍ ، مِنْ انْتِصَارِهِ عَلَى الْفُرسِ ،
فَوَقَعَ طَبَقَ مَا أَخْبَرَ ، فَهَذِهِ مُعْجَزَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَى رِسَالَةِ الرَّسُولِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

١٦٨ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا أَخْبَرَ بِهِ ، وَهُوَ مَوْجُودٌ فِي الْقُرْآنِ ذِكْرُهُ مَا جَاءَ

عَنْ آدَمَ وَنَشَاتِهِ ، وَمَا وَسَّوَسَ بِهِ إِلَيْهِ ابْلِيسُ ، وَمَا وَقَعَ لَهُ مِنَ الْهُبُوطِ إِلَى الْأَرْضِ ، بَعْدَ أَنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ .

١٦٩ - وَحَدَّثَنَا عَنْ نُوحٍ أَوَّلِ الْمُرْسَلِينَ وَمَا لَقِيَهِ مِنْ قَوْمِهِ ، مِنْ أَدَى وَسُخْرِيَّةٍ ، وَمُدَّةٍ لُبِّيهِ فِيهِمْ ، وَمَا أَرْشَدَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ مِنْ صُنْعِ الْفُلْكِ ، وَرُكُوبِهِ ، وَأَنْجَاتِهِ ، وَمَنْ مَعَ نُوحٍ وَهُمْ أَصْحَابُ السَّفِينَةِ ، وَدَعْوَتِهِ لِإِبْنِهِ ، وَعِصْيَانِ ابْنِهِ لَهُ ، وَجَوَابِ اللَّهِ لَهُ حِينَ مَا قَالَ ﴿ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي ﴾ وَأَنْهَمَارِ السَّمَاءِ بِالْمَاءِ ، وَتَفْجُرِ الْأَرْضِ عُيُونًا ، وَأَغْرَاقِ الْكَافِرِينَ ، وَنَجَاةِ الْمُؤْمِنِينَ .

١٧٠ - وَأَخْبَرَ الْقُرْآنُ عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَا تَمَّ لَهُ عِنْدَ وِلَادَتِهِ ، وَمَا وَقَعَ لَهُ فِي مِصْرَ ، وَمَا حَدَّثَ لَهُ فِي مَدْيَنَ ، وَمَا رَأَاهُ فِي جَبَلِ الطُّورِ ، وَمَا كُفِّفَ بِهِ مِنْ أَعْبَاءِ الرِّسَالَةِ ، وَمَا دَارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ فِرْعَوْنَ مِنْ جَوَارٍ ، وَمَا جَرَى مِنَ السَّحْرَةِ ، وَمَا انْتَهَى إِلَيْهِ أَمْرُ فِرْعَوْنَ ، وَمَلَأْتِهِ ، وَمُوسَى وَقَوْمِهِ .

١٧١ - وَأَخْبَرَ الْقُرْآنُ عَنْ عِيسَى .

١٧٢ - وَأَمَّهُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، وَمَا وَقَعَ لَهُمَا مِنَ الْخَوَارِقِ ، وَمَا صَنَعَهُ لَهُمَا بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ مَكَائِدَ .

١٧٣ - وَأَخْبَرَ عَنْ دَاوُدَ .

١٧٤ - وَسُلَيْمَانَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَذَكَرَ الْإِحْسَانَ إِلَيْهِمَا وَمَا آتَاهُمَا مِنَ الْعِلْمِ وَالْفِهْمِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَكَلَّمْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ فَأَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى

دَاوُدَ بِتَسْخِيرِ الْجِبَالِ وَالطَّيْرِ لِلتَّسْبِيحِ مَعَهُ وَأَخْبَرَ أَنَّهُ جَلَّ وَعَلَا عِلْمَهُ صُنْعَةَ
الدُّرُوعِ وَأَخْبَرَ أَنَّهُ أَنْعَمَ عَلَى سُلَيْمَانَ بِتَسْخِيرِ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ الَّتِي تَجْرِي
بِأَمْرِهِ وَتَسْخِيرِ الشَّيَاطِينِ تَفَوُّصُ فِي الْبَحَارِ وَتَعْمَلُ لَهُ أَعْمَالًا أُخْرَى .

١٧٥ - وَأَخْبَرَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ ، وَمُحَاجَّتِهِ لِلْمَلِكِ
الْجَبَّارِ ، وَهُوَ نَمْرُودُ ، الْبَابِلِيُّ ، الْمُعْطَلُ ، الْمُنْكَرُ ، لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ،
إِلَى أَنْ وَقَفَ ، وَانْقَطَعَتْ حُجَّتُهُ ، وَاضْمَحَلَّتْ شُبُهَتُهُ ، وَأَخْبَرَ عَنْ طَلْبِهِ
لِرَبِّهِ ، أَنْ يُرِيَهُ كَيْفَ يُحْيِي الْمَوْتَى ، وَإِجَابَةَ اللَّهِ دَعْوَتَهُ ، وَتَلْبِيَةَ طَلْبَتِهِ ،
وَعَنْ مَا ابْتَلَاهُ بِهِ مِنْ ذَبْحِ ابْنِهِ اسْمَاعِيلَ وَأَخْبَرَ عَنْ مَا مَنَّ عَلَيْهِ بِهِ مِنْ
الْعِلْمِ ، وَالذَّعْوَةِ ، وَالصَّبْرِ ، وَمَا أَكْرَمَهُ بِهِ مِنَ الذَّرِّيَّةِ الصَّالِحَةِ ، وَالنَّسْلِ
الطَّيِّبِ ، وَأَنَّهُ جَعَلَ صَفْوَةَ الْخَلْقِ مِنْ نَسْلِهِ .

١٧٦ - وَأَخْبَرَ عَنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَمَا جَرَى لَهُ مَعَ إِخْوَتِهِ ،
وَمِقْدَارِ لُبِّيهِ فِي السِّجْنِ ، وَمُرَاوَدَةِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ لَهُ ، وَظُهُورِ بَرَاءَتِهِ ، وَبَيَانِ
صِدْقِهِ ، وَإِثَارِ اللَّهِ لَهُ عَلَى إِخْوَتِهِ ، وَمَا جَرَى لِأَبْنِهِ يَعْقُوبَ .

١٧٧ - وَأَخْبَرَ عَنْ لُوطٍ ، وَمَا قَالَهُ لِقَوْمِهِ ، تَوْبِيحًا لَهُمْ ، وَجَوَابَهُمْ
السَّخِيفِ لَهُ جَزَاءَ نُصْحِهِ ، وَأَنْجَاءِ اللَّهِ لَهُ ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ إِلَّا امْرَأَتَهُ ، وَأَخْبَرَ
عَنْ مَجِيءِ الرُّسُلِ إِلَيْهِ ، وَأَنَّهُ سَاءَ مَا مَجِئُهُمْ ، وَذَلِكَ لِمَا يَتَوَقَّعُهُ مِنْ اعْتِدَاءِ
قَوْمِهِ عَلَيْهِمْ وَفِعْلًا جَاؤُوا يُهْرَوُلُونَ إِلَيْهِ ، وَأَخْبَرَ عَنْ مَا أَوْقَعَهُ اللَّهُ بِهِمْ مِنْ
الْعُقُوبَةِ الْعَظِيمَةِ ، جَزَاءَ فِعْلَتِهِمْ ، الشَّنِيعَةِ ، الَّتِي لَمْ يَسْبِقْهُمْ بِهَا أَحَدٌ .

١٧٨ - وَأَخْبَرَ عَنْ زَكَرِيَّا ، وَنِدَائِهِ لِرَبِّهِ ، وَإِثَارِهِ الصَّالِحَةِ وَمَنَاقِبِهِ

الْجَمِيلَةَ ، وَتَبَشِيرِ اللَّهِ لَهُ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى ، وَطَلَبِهِ مِنْ رَبِّهِ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ آيَةً ، يَطْمَئِنُّ بِهَا قَلْبُهُ ، وَلَيْسَ شَكًّا فِي خَبَرِ اللَّهِ ، وَإِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ الْخَلِيلُ ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ : أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ ؟ قَالَ : بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ وَاجَابَةَ اللَّهِ إِلَى طَلَبْتِهِ ، وَمَنْعِهِ مِنَ الْكَلَامِ ، ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا .

١٧٩ - وأخبر عن يحيى عليه السلام وأن الله جعله برا بوالديه ، ولا يتعالى عن قبول الحق ، ووصفه بصفات كلها مناهج للخير ، وسائل للطاعة ، أولها قوله تعالى ﴿ وآتيناه الحكم صبياً ﴾ إلى أن ذكر سبحانه جزاءه ، على ما قدم من عمل صالح ، وأسلف من طاعة ربه .

١٨٠ - وأخبر عما أخبر الله به جلّ وعلا عن مريم ابنة عمران ، وأنه أنجب منها ولداً من غير أب ، وتقدم الكلام حولها وولدها عليهما السلام ، وما لقياً من الابتلاء والامتحان ، وما قابلاً به ذلك .

١٨١ - وأخبر عن يونس عليه السلام ، وإيقه إلى الفلك ، ومساهمته لأهل الفلك ، والتقام الحوت له ، وأنه كان من المسبحين ، الذين يذكرون الله كثيراً ، وعن نبذه في مكان خالٍ لا نبات فيه ، وأخبر عن لطفه به ورعايته له ، وعنايته به ، بانبات شجرة اليقطين ، وأنه أرسله ﴿ إلى مائة ألف ، أو يزيدون ﴾ وأنهم آمنوا ، وتمتعهم الله إلى حين .

اللهمّ عاملنا بلطفك وإحسانك ، ووقفنا لطاعتك ومرضاتك واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين ، برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

عباد الله للعلم الديني آثار جليلة كم جلّ بها رجل حفيّر وكلما كان الرجل أعلم بالعلم الديني كان عند الله وعند العقلاء جليل مضي

السَّلَفُ الصَّالِحُ الَّذِينَ يَطِيبُ الْمَجْلِسُ بِذِكْرِهِمْ لِقَدْرِهِمْ الْمُتَقَطِّعِ النَّظِيرِ
كَأَنْوَارِ رِجَالٍ مِثْلَنَا وَلَكِنْ بِبَرَكَاتِ مَا وَهَبَهُمْ مَوْلَاهُمْ مِنَ الْعِلْمِ الدِّينِيِّ وَأَثَارِهِ
الْجَلِيلَةِ كَانُوا خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّينَ كَانُوا أَغْنَى الْعَالَمِ لِأَنَّهُمْ رَضُوا
بِقِسْمَةِ مَوْلَانَا الْحَكِيمِ الْخَبِيرِ وَكَانُوا أَشْجَعَ النَّاسِ لِأَنَّهُمْ عَلِمُوا أَنَّ الْأَجَلَ
لَا يُطِيلُهُ الْجُبْنُ الدَّمِيمُ فَكَمْ مِنْ قَتَلَةٍ قُورِنَتْ بِالْجُبْنِ كَمَا قِيلَ :

كَمْ مَخْلَصٍ وَعُلا فِي خَوْضٍ مَهْلِكَةٍ
وَقَتَلَةٍ قُورِنَتْ بِالذَّمِّ فِي الْجُبْنِ

وَكَانُوا فِي الْجِلْمِ وَالْعَقْلِ كَالْجِبَالِ الرَّوَاسِي وَكَانُوا مَحَطَّ رِحَالِ
الْجُودِ وَالْكَرَمِ لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ الْبَخِيلَ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ وَأَنَّ
الَّذِي يَرْضَى بِالْبُخْلِ وَيَحْتُ عَلَيْهِ ابْنِيسُ لَعْنَهُ اللَّهُ وَكَانُوا يَسْتَقْبِلُونَ الْبَلَايَا
مَهْمَا قَسَتْ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ لِعِلْمِهِمْ أَنَّهَا تَصْرُفُ الْحَكِيمِ الْخَبِيرِ وَكَانُوا
يَسْتَقْبِلُونَ النِّعَمَ بِالْحَمْدِ وَالشُّكْرِ لِحُزْمِهِمْ أَنَّهَا لِلَّهِ وَمِنَ اللَّهِ وَأَنَّهُ يَزِيدُ
الشَّاكِرِينَ وَيَرْضَى عَنِ الْحَامِدِينَ وَكَانُوا أَبْعَدَ النَّاسِ عَنِ الشَّرِّ وَلَا يُجْبُونَ
أَهْلَهُ لِعِلْمِهِمْ أَنَّ ذَلِكَ يُغْضِبُ اللَّهَ وَكَانُوا يُجْبُونَ الْخَيْرَ لِإِخْوَانِهِمُ الْمُسْلِمِينَ
وَكَانُوا لَا يُضْمِرُونَ حَسَدًا وَلَا شَرًّا لِأَحَدٍ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ لِعِلْمِهِمْ أَنَّ
اللَّهَ يُحِيطُ عِلْمًا بِمَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ وَكَانُوا إِذَا قَالُوا أَوْ فَعَلُوا يَتَحَرَّوْنَ مَا
يُرْضِي اللَّهَ تَعَالَى فِيمَا يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ وَكَانُوا لَا يَشْهَدُونَ الْمُنْكَرَ وَالزُّورَ
بَلْ يُنْكِرُونَ عَلَى مَنْ يَحْضُرُونَ وَكَانُوا يَحْنُونَ إِلَى مَجَالِسِ الذِّكْرِ حَيْنَ
الْإِلْفِ فَارَقَهُ الْإِلْفُ وَهَكَذَا كَانُوا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَتَحَرَّكُوا أَوْ يَسْكُنُوا بِاسْتِثْمَارَةِ
الْعِلْمِ الدِّينِيِّ يَتَحَرَّكُونَ وَيَسْكُنُونَ لِهَذَا كَانُوا لِلْيَوْمِ مَوْضِعَ إِعْجَابِ الشَّرْقِ
وَالغَرْبِ وَنَالُوا فَوْقَ هَذَا رَضَى رَبُّ الْعَالَمِينَ هَكَذَا كَانُوا بِبَرَكَاتِ مَا وَهَبَهُمُ
اللَّهُ مِنَ الْعِلْمِ الدِّينِيِّ أَمَا نَحْنُ فَقَدْ كُنَّا مَوْضِعَ إِعْجَابٍ مِنْ نَاحِيَةِ أَنْ هَدَفْنَا

فِي التَّعْلِيمِ هُوَ الحَطَامُ الفَانِي لَا غَيْرُ لِهَذَا كَانَ الوَاحِدُ مِنَّا إِذَا رَسَبَ يَكَادُ
يَتَحَرَّو وَيَقُولُ فَاتَ عَلَيَّ سَنَةٌ مَحْصُولٌ رَوَاتِبِهَا لَا يَقِلُّ عَن خَمْسَةِ آلافٍ وَلَوْ
كَانَ قَصْدُهُ العِلْمَ بِمَا جِهَلَهُ وَتَوَجَّيَهُ عِبَادَ اللَّهِ عِنْدَمَا يَنْجَحُ كَانَ عِنْدَهُ
يَتَسَاوَى السَّرْعَةُ وَالبُطْءُ لِأَجْلِ أَنْ يَمَهَّرَ فِي المَعْلُومَاتِ لِهَذَا القَصْدِ مَاتَتِ
الْفَضَائِلُ وَانْتَزَعَتْ بَرَكَةُ العِلْمِ وَفَقَدَتِ هَيْبَةُ العَالِمِ عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ وَصَارَ
كُلُّ يُفْتِيٍّ وَكُلُّ يُرْشِحٍ نَفْسَهُ لِلْفُتْيَا فَوْرًا وَلَكِنَّ النَّاسَ الوَرِعِينَ لَا يَطْمَئِنُونَ
إِلَّا إِلَى النُّوَادِرِ مِمَّنْ يُوثِقُ بِدِينِهِمْ وَأَمَانَتِهِمْ وَيَتْرَكُونَ المُرَائِينَ وَالمُجِبِّينَ
لِلظُّهُورِ وَالشُّهُرَةِ الَّذِينَ ضَاعُوا وَضَيَّعُوا عِبَادَ اللَّهِ .

وَخِتَامًا فَلَوْ أَنَّا أَحْيَيْنَا طَرِيقَةَ سَلَفِنَا فِي العِلْمِ المُطَابِقِ لِلْعَمَلِ لِأَضْبَحْنَا
وَقَدْ أَحْيَيْنَا عِزَّهُمْ وَشَرَفَهُمُ الدِّينِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى تِلْكَ الأَرْوَاحِ العَامِلَةِ بِمَا
عَلِمَتْ .

شِعْرًا:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَبِكِ العُلُومَ وَأَهْلَهَا
وَقَدْ غَيَّبْتَهَا فِي التُّرَابِ لِحُودٍ
فَأَنْتَ بِهِيْمِي الطَّبَاعِ وَإِنَّمَا
قُصَارَاكَ ثَوْبٌ نَاعِمٌ وَثَرِيدُ
سَبَبِكِي العُلَا قَوْمًا تَسَامَوْا لِئِيلَهَا
كَأَنَّ لَهُمْ دَمْعَ العُيُونِ هُجُودُ
يُعِيدُونَ مِنْهَا مَا تَعَفَّتْ رُسُومُهُ
فَتُضْحِي عَلَيْهَا لِلفَخَارِ بُرُودُ
كَفَى غُرْبَةً لِلدِّينِ هَذَا الَّذِي نَرَى
فَلَيْسَ عَلَى ذَا الاغْتِرَابِ مَزِيدُ
أَلَمْ تَبِقْ فِي أَهْلِ الدِّيَانَةِ هِمَّةٌ أَلَمْ يَبِقْ شَخْصٌ لِلطَّعَاةِ يَدُودُ

اللَّهُمَّ رَضْنَا بِقَضَائِكَ وَأَعِينَا عَلَى الدُّنْيَا بِالْعِفَّةِ وَالزُّهْدِ وَالْقَنَاعَةِ وَعَلَى
الدِّينِ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَطَهِّرْ أَلْسِنَتَنَا مِنَ الكَذِبِ وَقُلُوبَنَا مِنَ النِّفَاقِ وَأَعْمَالَنَا مِنَ
الرِّيَاءِ وَاحْفَظْ أَبْصَارَنَا مِنَ الخِيَانَةِ فَإِنَّكَ تَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورَ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَوَفَّقْنَا لِمَا
وَفَّقْتَ لَهُ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ مِنْ امْتِحَالِ أُمُورِكَ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيكَ وَاغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَضْلٌ »

١٨٢ - وَأَخْبَرَ عَنْ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَإِرْسَالِهِ إِلَى ثَمُودَ القَبِيلَةِ
المَعْرُوفَةِ ، الَّذِينَ يَسْكُنُونَ الحِجْرَ ، وَمَا حَوْلَهُ ، وَأَنَّهُ دَعَاهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ ،
وَنَهَاهُمْ عَنِ الشِّرْكِ ، وَأَنَّهُ جَاءَهُمْ بِآيَةٍ ، خَارِقَةٍ مِنْ خَوَارِقِ العَادَاتِ ، وَهِيَ
نَاقَةٌ شَرِيفَةٌ ، فَاصِلَةٌ .

وَأَخْبَرَ أَنَّهُ بَوَّأَهُمْ فِي الأَرْضِ ، وَمَكَّنَ لَهُمْ فِيهَا ، وَسَهَّلَ لَهُمْ
الأَسْبَابَ ، المُوصِلَةَ إِلَى مَا يُرِيدُونَ ، وَأَمَدَّهُمْ بالقُوَّةِ ، وَأَنَّهُمْ قَابَلُوا
اخْتِلاصَ صَالِحٍ وَنُصْحَهُ ، بِعَقْرِ النَّاقَةِ ، وَالتَّحْدِيثِ بِالعَذَابِ ، وَآخِرُ الأَمْرِ
﴿ أَخَذْتُهُمُ الرُّجْفَةَ ، فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِمِينَ ، كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ﴾
﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ .

١٨٣ - وَأَخْبَرَ عَنْ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَارْسَالِهِ إِلَى عَادِ الأَوَّلَى ، فِي
أَرْضِ اليَمَنِ ، يَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ ، وَيُنْهَاهُمْ عَنِ الشِّرْكِ ، وَأَنَّهُمْ قَابَلُوا
دَعْوَتَهُ بِرَمِيهِ بِالسِّفَاهَةِ ، وَالكَذِبِ ، وَاسْتَنكَرُوا التَّوْحِيدَ ، وَاحْتَجَّجُوا عَلَيْهِ بِمَا لَا
يَصْلُحُ عَقْلاً وَلَا شَرْعاً أَنْ يَكُونَ حُجَّةً ، مِنْ تَقْلِيدِ الآبَاءِ ، وَالأَجْدَادِ ، وَتَحَدُّوهُ

بِأَيَّانِهِ بِالْوَعِيدِ ، وَأَجَابَهُمْ هُوْدٌ عَلَى مَقَالَتِهِمْ ، وَآخِرُ الْأَمْرِ أَنْجَى اللَّهُ هُوْدًا
وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ، وَقَطَعَ دَابِرَ الْمَكْذِبِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ .

١٨٤ - وَأَخْبَرَ عَنْ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَإِرْسَالِهِ إِلَى مَدْيَنَ ، وَأَنَّ لَا
يُنْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ، وَأَنَّ لَا يَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ، وَأَنَّ أَشْرَافُهُمْ
وَالكِبْرَاءُ مِنْهُمْ قَابَلُوا ذَلِكَ بِالتَّهْدِيدِ بِاسْتِعْمَالِ الْقُوَّةِ السُّبُعِيَّةِ ، وَلَمْ يُرَاعُوا
دِينًا ، وَلَا ذِمَّةً ، وَلَا حَقًّا ، بَلْ اتَّبَعُوا عُقُولَهُمُ السَّخِيفَةَ ، وَآخِرُ الْأَمْرِ أَخَذَتْهُمْ
الزَّلْزَلَةُ الشَّدِيدَةُ ، فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِمِينَ .

١٨٥ - وَأَخْبَرَ عَنْ أَصْحَابِ الْكَهْفِ ، وَأَنَّهُمْ فِتْنَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ ، وَأَنَّ اللَّهَ
لَطَفَ بِهِمْ حَيْثُ وَفَّقَهُمْ لِلْإِيمَانِ ، وَأَنَّهُمْ اعْتَزَلُوا قَوْمَهُمْ ، وَأَوَّأُوا إِلَى الْكَهْفِ ،
وَبَيَّنَ حَالَهُمْ بَعْدَ أَنْ أَوَّأُوا إِلَى الْكَهْفِ وَهُوَ أَنَّ الشَّمْسَ تَمِيلُ عَنْ كَهْفِهِمْ جِهَةَ
الْيَمِينِ ، وَعِنْدَ الْغُرُوبِ تَقْرُضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ ، فَلَا تُصِيبُهُمُ الشَّمْسُ فِي
طُلُوعِهَا ، وَلَا غُرُوبِهَا ، وَبَيَّنَ أَنَّ هِدَايَتَهُمْ ، كَانَتْ بِعِنَايَةِ اللَّهِ إِلَى آخِرِ
قِصَّتِهِمْ .

١٨٦ - وَأَخْبَرَ عَنْ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَمَا أَصَابَهُ الشَّيْطَانُ بِهِ ، وَنِدَاءَهُ
لِرَبِّهِ وَاسْتِجَابَةَ اللَّهِ لَهُ ، وَكَشْفَ مَا بِهِ مِنْ ضُرِّ ، وَإِعْطَائِهِ أَهْلَهُ ، وَمِثْلَهُمْ
مَعَهُمْ .

١٨٧ - وَأَخْبَرَ عَنْ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَأَنَّهُ
مِنْ وَفَائِهِ بِالْوَعْدِ لَمَّا وَعَدَ مِنْ نَفْسِهِ الصَّبْرَ عَلَى ذَبْحِ أَبِيهِ لَهُ ، قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ
شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَفِي بِذَلِكَ ، وَمَكَنَ أَبَاهُ مِنَ الذَّبْحِ ، الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ مُصِيبَةٍ
تُصِيبُ الْإِنْسَانَ ، وَأَنَّهُ كَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ الْخ .

١٨٨- وَأَخْبَرَ عَنْ إِدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَنَّ اللَّهَ وَصَفَهُ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ ،
حَيْثُ جَمَعَ لَهُ بَيْنَ الصِّدِّيقِيَّةِ وَبَيْنَ اصْطِفَائِهِ لِوَحْيِهِ وَأَنَّهُ رَفَعَهُ مَكَانًا عَالِيًا .

١٨٩- وَأَخْبَرَ عَنْ اسْحَاقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَنَّهُ مِمَّنْ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ
واصْطَفَاهُمْ ، وَشَرَّفَهُمْ بِطَاعَتِهِ ، وَقَوَّاهُمْ عَلَى الْعَمَلِ لِمَا يُرْضِيهِ ، وَأَتَاهُمْ
الْبَصِيرَةَ فِي الدِّينِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَادْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَاسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ، وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا
لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ ﴾ .

١٩٠- وَأَخْبَرَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ ، وَأَنَّهُ بَلَغَ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ ، وَأَنَّ
اللَّهَ أَعْطَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيًّا ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَيْنِ ، وَجَدَ مِنْ
دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْهَمُونَ كَلَامَ أَتْبَاعِهِ وَلَا كَلَامَ غَيْرِهِمْ ،
وَأَنَّهُمْ أَخْبَرُوهُ ، عَنْ إِفْسَادِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَأَنَّهُمْ أَرَادُوا أَنْ يَجْمَعُوا لَهُ
وَيَجْعَلُوا لَهُ خَرَجًا عَلَى أَنْ يَسُدَّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَأَنَّهُ قَالَ مَا أَنَا فِيهِ
خَيْرٌ مِمَّا تَبْدَلُونَهُ وَأَجَابَهُمْ إِلَى طَلِبِهِمْ وَهُوَ السُّدُّ عَلَى يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ بِأَنْ يَجْعَلَ
رَدْمًا . بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ .

١٩١- وَأَخْبَرَ عَنْ لُقْمَانَ وَأَنَّ اللَّهَ آتَاهُ الْحِكْمَةَ ، وَأَخْبَرَ عَنْ مَوْعِظَتِهِ
لَابْنِهِ ، الْمُتَضَمِّنَةَ لِلتَّحْذِيرِ مِنَ الشِّرْكِ ، وَالْأَمْرِ بِالْإِخْلَاصِ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَذَكَرَ
جَلَّ وَعَلَا أَمْرَهُ لَهُ بِالشُّكْرِ ، وَأَنَّ شُكْرَ الشَّاكِرِ يَعُودُ نَفْعُهُ عَلَيْهِ ، وَأَنَّ مَنْ كَفَرَ فَاللَّهُ
غَنِيٌّ حَمِيدٌ فَلَا يَضُرُّ الْكُفْرُ إِلَّا صَاحِبَهُ ، وَأَنَّ مِنْ وَصَايَا لُقْمَانَ الْقِيَمَةَ لِابْنِهِ الْأَمْرُ
بِاقَامَةِ الصَّلَاةِ ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالصَّبْرُ عَلَى مَا يُصِيبُهُ ، وَأَنَّ تِلْكَ

الْوَصَايَا مِنَ الْأُمُورِ الْمُهَمَّةِ الَّتِي يُعَزَّمُ عَلَيْهَا ، وَتَتَحْتَمُّ عَلَى الْعِبَادِ فِعْلُهَا ، وَلَا مَحِيصَ مِنْهَا ، ثُمَّ حَدَرَهُ مِنْ أَشْيَاءٍ آخَرَ أَوْلَهَا الْكِبَرُ الْخ .

١٩٢ - وَأَخْبَرَ عَنِ الْخَضِيرِ ، وَمَا اخْتَصَّ بِهِ مِنَ الْعِلْمِ ، وَمَا جَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُوسَى ، عِنْدَمَا اتَّصَلَ بِهِ ، وَمَا جَرَى لِمُوسَى وَقَتَاهُ ، فِي سَفَرِهِ إِلَى الْخَضِيرِ ، وَمَا تَزَوَّدَاهُ فِي السَّفَرِ ، إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ

اللهم يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ، ومُقِيلَ عَثَرَاتِ الْعَاثِرِينَ ، نَسْأَلُكَ أَنْ تُلْحِقَنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ أُتِّعْتْ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَضْلٌ »

١٩٣ - وَأَخْبَرَ عَنِ أَهْلِ الْقَرْيَةِ ، إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ، وَمَا جَرَى مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ ، مِنَ التَّكْذِيبِ لِلرُّسُلِ ، وَمَا قَالَهُ الرُّسُلُ ، وَأَنَّ أَهْلَ الْقَرْيَةِ حِينَمَا تَوَعَّدُوا الرُّسُلَ وَهَمُّوا بِقَتْلِهِمْ جَاءَ رَجُلٌ يَسْعَى مِنْ أَطْرَافِ الْمَدِينَةِ ، لِيَنْصَحَ قَوْمَهُ ، وَيَحْضَهُمْ عَلَى اتِّبَاعِ الرُّسُلِ ، وَيَذُبُّ عَنِ الرُّسُلِ ، وَأَنَّهُ أَبَانَ لَهُمْ أَنَّهُ مَا اخْتَارَ لَهُمْ إِلَّا مَا اخْتَارَ لِنَفْسِهِ ، وَهَذَا يُشْبِهُ مُؤْمِنَ آلِ فِرْعَوْنَ الَّذِي دَافَعَ عَنِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَخْبَرَ عَنِ مَا حَلَّ بِأَهْلِ الْقَرْيَةِ ، مِنَ النَّكَالِ وَالْعُقُوبَةِ .

١٩٤ - وَأَخْبَرَ عَنِ سَيِّئِ ، وَمَا أَمَدَّهُمْ بِهِ مِنَ الْبَسَاتِينِ ، وَالْمِيَاهِ الْعَظِيمَةِ ، وَاللِّثَامِ الَّتِي بِهَا يَتَنَعَّمُونَ ، وَيَحْصُلُ لَهُمْ بِهَا الْغِيظَةُ ، وَالسُّرُورُ ، وَأَنَّهُمْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَكَفَرُوا بِاللَّهِ ، وَبِنِعْمَتِهِ ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ، وَذَهَبَ بِالْبَسَاتِينِ ، وَأَهْلَكَ الْحَرِثَ وَالنُّسْلَ ، وَيَدُلُّوا بِتِلْكَ الْجِنَانِ ، وَالْبَسَاتِينِ الْحَسَنِ ، بُسَاتِينِ لَيْسَ فِيهِمَا إِلَّا أَشْجَارُ تَافِهَةٌ ، لَا يُؤْبَهُ لَهَا ، وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ .

١٩٥ - وَأَخْبَرَ عَنْ قَارُونَ وَمَا أُوتِيَهُ مِنْ كُنُوزٍ ، وَأَنَّ مَفَاتِيحَهُ تَنَوُّهُ بِالْعُصْبَةِ
أولى القُوَّةِ ، وَأَنَّهُ بَغَى عَلَى مُوسَى وَقَوْمِهِ ، وَأَنَّ قَوْمَهُ نَصَحُوهُ ، بَعْدَةَ
نَصَائِحِ ، وَأَنَّهُ قَابَلَهَا بِالْإِبَاءِ ، وَكُفْرَانِ النِّعْمَةِ ، وَأَنَّهُ خَرَجَ مَرَّةً عَلَى قَوْمِهِ فِي
زِينَتِهِ ، وَأَخْبَرَ عَنْ مَا قَالَ لَهُ مُرِيدُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، وَمَا قَالَ لَهُمْ أَوْلُو الْعِلْمِ ،
وَذَكَرَ مَالَ بَطْرِيهِ وَأَشْرِهِ ، وَمَا حَلَّ بِهِ مِنَ الْوَبَالِ ، وَالنُّكَالِ ، وَهُوَ الْخَسْفُ بِهِ
وَبِدَارِهِ

وقال الله تعالى لِنَبِيِّهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ وَمَا كُنْتُ
بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْتَنِي ﴾ وقال ﴿ وَمَا كُنْتُ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْتُنَا إِلَى مُوسَى
الْأَمْرَ ، وَمَا كُنْتُ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ وقال ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ
إِلَيْكَ وَمَا كُنْتُ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ وقال تعالى ﴿ تِلْكَ
مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ،
فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ .

وقال تعالى ﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ﴾ الآية .

وقال تعالى ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا
الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ وقال ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا
إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ .

فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يعلمها عن مُشَاهَدَةٍ وَلَكِنْ أَعْلَمَهُ إِيَّاهَا
الَّذِي أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا الَّذِي لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي
السَّمَاءِ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَنْهُمْ بَعْلَمَ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴾ وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأُمُورٍ غَيْبِيَّةٍ غَيْرَ مَا ذَكَرْنَا أَعْلَمَهُ اللَّهُ بِهَا وَفِي بَعْضِ مَا

ذَكَرْنَا كِفَايَةَ تَامَّةً لِمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَهَا وَيَتَأَمَّلَهَا لِيَقْوَى إِيمَانُهُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَبِمَا
أَخْبَرُوا بِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ .
اللهم بارك في أعمارنا وأصلح أعمالنا ونياتنا وذرياتنا واغفر لنا ولوالدينا
ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين .
(فَضْلٌ)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وسيرة النبي صلى الله عليه
وسلم من آياته وأخلاقه وأقواله وأفعاله وشريعته من آياته وأُمَّته من آياته
وكرامات صالحى أُمَّته من آياته .

وَذَلِكَ يَظْهَرُ بِتَدْبِيرِ سَيْرَتِهِ مِنْ وُلْدٍ إِلَى أَنْ بُعِثَ وَمِنْ حِينِ بُعِثَ إِلَى أَنْ
مَاتَ وَبِتَدْبِيرِ نَسَبِهِ وَبَلَدِهِ وَأَصْلِهِ وَفَضْلِهِ فَإِنَّهُ كَانَ مِنْ أَشْرَفِ أَهْلِ الْأَرْضِ نَسَبًا
مِنْ صَمِيمٍ سُلَالَةٍ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ .

فَلَمْ يَأْتِ نَبِيٌّ مِنْ بَعْدِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ وَجَعَلَ لَهُ ابْنَيْنِ اسْمَاعِيلَ
وَاسْحَاقَ وَذَكَرَ فِي التَّوْرَةِ هَذَا وَهَذَا وَبُشِّرَ فِي التَّوْرَةِ بِمَا يَكُونُ مِنْ وُلْدِ
اسْمَاعِيلِ .

وَلَمْ يَكُنْ فِي وُلْدِ اسْمَاعِيلَ مَنْ ظَهَرَ فِيمَا بَشَّرَتْ بِهِ النُّبُوَّةُ غَيْرَهُ وَدَعَا
إِبْرَاهِيمَ لِذُرِّيَّةِ اسْمَاعِيلَ بِأَنْ يَبْعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ثُمَّ هُوَ مِنْ قُرَيْشٍ صَفْوَةٌ
بَنِي إِبْرَاهِيمَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ صَفْوَةٌ قُرَيْشٍ .

وَمِنْ مَكَّةَ أُمَّ الْقُرَى وَبَلَدُهُ الْبَيْتُ الَّذِي بَنَاهُ إِبْرَاهِيمُ وَدَعَا النَّاسَ إِلَى
حَجِّهِ ، وَلَمْ يَزَلْ مَحْجُوجًا مِنْ عَهْدِ إِبْرَاهِيمَ مَذْكَورًا فِي كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ بِأَحْسَنِ
وَصْفٍ ، وَكَانَ مِنْ أَكْمَلِ النَّاسِ تَرْبِيَةً وَنَشْأَةً لَمْ يَزَلْ مَعْرُوفًا بِالصِّدْقِ وَالْبِرِّ
وَالْعَدْلِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَتَرْكِ الْفَوَاحِشِ وَالظُّلْمِ وَكُلِّ وَصْفٍ مَذْمُومٍ .

مَشْهُوداً لَهُ بِذَلِكَ عِنْدَ جَمِيعٍ مَنْ يَعْرِفُهُ قَبْلَ النُّبُوَّةِ وَمِمَّنْ آمَنَ بِهِ وَكَفَرَ بَعْدَ
النُّبُوَّةِ ، لَا يُعْرَفُ لَهُ شَيْءٌ يُعَابُ بِهِ لَا فِي أَقْوَالِهِ وَلَا فِي أَعْمَالِهِ وَلَا فِي أَخْلَاقِهِ
وَلَا جُرِبَتْ عَلَيْهِ كِذْبَةٌ قَطُّ وَلَا ظُلْمٌ وَلَا فَاحِشَةٌ .

وَكَانَ خُلُقُهُ وَصُورَتُهُ مِنْ أَكْمَلِ الصُّورِ وَأَتْمَمَهَا وَأَجْمَعَهَا لِلْمَحَاسِنِ الدَّالَّةِ
عَلَى كَمَالِهِ ، وَكَانَ أَمِيّاً مِنْ قَوْمٍ أَمِيِّينَ لَا يَعْرِفُ لَاهُوَ وَلَا هُمْ مَا يَعْرِفُهُ أَهْلُ
الْكِتَابِ « التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ » .

وَلَمْ يَقْرَأْ شَيْئاً مِنْ عُلُومِ النَّاسِ وَلَا جَالَسَ أَهْلَهَا وَلَمْ يَدَّعِ بِنُبُوَّةٍ إِلَى أَنْ
أَكْمَلَ اللَّهُ لَهُ أَرْبَعِينَ سَنَةً فَاتَى بِأَمْرٍ هُوَ أَعْجَبُ الْأُمُورِ وَأَعْظَمُهَا وَبِكَلَامٍ لَمْ
يَسْمَعْ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ بِنَظِيرِهِ .

وَأَخْبَرَ بِأَمْرٍ لَمْ يَكُنْ فِي بَلَدِهِ وَلَا فِي قَوْمِهِ مَنْ يَعْرِفُ مِثْلَهُ وَلَمْ يَعْرِفْ قَبْلَهُ
وَلَا بَعْدَهُ ، لَا فِي مِصْرٍ مِنَ الْأَمْصَارِ وَلَا فِي عَصْرِ مِنَ الْأَعْصَارِ مَنْ أَتَى بِمِثْلِ مَا
أَتَى بِهِ وَلَا مَنْ ظَهَرَ كَظُهُورِهِ .

وَلَا مَنْ أَتَى مِنَ الْعَجَائِبِ وَالْآيَاتِ بِمِثْلِ مَا أَتَى بِهِ وَلَا مَنْ دَعَا إِلَى
شَرِيْعَةٍ أَكْمَلَ مِنْ شَرِيْعَتِهِ ، وَلَا مَنْ ظَهَرَ دِينُهُ عَلَى الْأَدْيَانِ كُلِّهَا بِالْعِلْمِ وَالْحُجَّةِ
وَبِالْيَدِ وَالْقُوَّةِ كَظُهُورِهِ .

ثُمَّ إِنَّهُ اتَّبَعَهُ أَتْبَاعُ الْأَنْبِيَاءِ وَهُمْ الضُّعَفَاءُ مِنَ النَّاسِ وَكَذَّبَهُ أَهْلُ الرِّئَاسَةِ
وَعَادُوهُ وَسَعَوْا فِي هَلَاكِهِ وَهَلَاكِ مَنْ تَبِعَهُ بِكُلِّ طَرِيقٍ ، كَمَا كَانَ الْكُفَّارُ
يَفْعَلُونَ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ وَأَتْبَاعِهِمْ .

وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُ لَمْ يَتَّبِعُوهُ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَالٌ يُعْطِيهِمْ

ولا جهات يؤيئهم إياها ولا كان له سيف بل كان السيف والجاه والمال مع أعدائه ، وقد أدوا أتباعه بأنواع الأذى وهم صابرون محتسبون لا يرتدون عن دينهم كما خالط قلوبهم حلاوة الإيمان والمعرفة .

وكانت مكة يحجها العرب من عهد إبراهيم فتجتمع في الموسم قبائل العرب فيخرج إليهم يبلغهم الرسالة ويدعوهم إلى الله صابراً على ما يلقاه من تكذيب المكذب وجفاء الجافي وأعراض المعرض إلى أن اجتمع بأهل يثرب وكانوا جيران اليهود قد سمعوا أخباره منهم وعرفوه .

فلما دعاهم علموا أنه النبي المنتظر الذي تخبرهم به اليهود وكانوا قد سمعوا من أخباره ما عرفوا به مكانته ، فإن أمره كان قد انتشر وظهر في بضع عشرة سنة فآمنوا به وبأبعوه على هجرته وهجرة أصحابه إلى بلدهم وعلى الجهاد معه فهاجر هو ومن أتبعه إلى المدينة وبها المهاجرون والأنصار ليس فيهم من آمن برغبة دنيوية ولا برهبة إلا قليلاً من الأنصار أسلموا في الظاهر ثم حسن إسلام بعضهم ثم أذن له في الجهاد ثم أمر به .

ولم يزل قائماً بأمر الله على أكمل طريقة وأتمها من الصديق والعدل والوفاء لا يحفظ عليه كذبة واحدة ولا ظلم لأحد ولا غدر بأحد ، بل كان أصدق الناس وأعدلهم وأبرهم وأوفاهم بالعهد مع اختلاف الأحوال عليه من حرب وسلم وأمن وخوف وغنى وفقير وقلة وكثرة وظهوره على العدو تارة وظهور العدو عليه تارة .

وهو على ذلك كله ملازم لإكمل الطرق وأتمها حتى ظهرت الدعوة في جميع أرض العرب التي كانت مملوءة من عبادة الأوثان ومن أخبار الكهان

وَطَاعَةَ الْمَخْلُوقِ فِي الْكُفْرِ بِالْخَالِقِ وَسَفْكَ الدِّمَاءِ الْمُحَرَّمَةِ وَقَطِيعَةَ الْأَرْحَامِ لَا
يَعْرِفُونَ آخِرَةَ وَلَا مَعَادًا .

فَصَارُوا أَعْلَمَ أَهْلِ الْأَرْضِ وَأَدِينَهُمْ وَأَعْدَلَهُمْ وَأَفْضَلَهُمْ وَهَذِهِ آثَارُ
عِلْمِهِمْ وَعَمَلِهِمْ فِي الْأَرْضِ وَآثَارُ غَيْرِهِمْ يَعْرِفُ الْعُقَلَاءُ فَرَقَ مَا بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ
وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ ظُهُورِ أَمْرِهِ وَطَاعَةِ الْخَلْقِ لَهُ وَتَقْدِيمِهِمْ لَهُ عَلَى
الْأَنْفُسِ وَالْأَمْوَالِ مَاتَ وَلَمْ يُخَلِّفْ دِرْهَمًا وَلَا دِينَارًا وَلَا مَتَاعًا وَلَا دَابَّةً إِلَّا بَعَلْتَهُ
وَسِلَاحَهُ وَدِرْعَهُ مَرْهُونَةً عِنْدَ يَهُودِيٍّ عَلَى ثَلَاثِينَ وَسَقًا مِنْ شَعِيرٍ ابْتِاعَهَا
لِأَهْلِهِ .

وَكَانَ بِيَدِهِ عَقَارٌ يُنْفِقُ مِنْهُ عَلَى أَهْلِهِ وَالْبَاقِي يَصْرِفُهُ فِي مَصَالِحِ
الْمُسْلِمِينَ فَحَكَمَ بَأَنَّهُ لَا يُورَثُ وَلَا يَأْخُذُ وَرَثَتُهُ مِنْهُ شَيْئًا وَهُوَ فِي كُلِّ وَقْتٍ يَظْهَرُ
عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْآيَاتِ وَفُنُونِ الْكَرَامَاتِ مَا يَطُولُ وَصْفُهُ .

وَيُخْبِرُهُمْ بِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ وَيَأْمُرُهُمُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَيُجِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَسْرِعُ الشَّرِيعَةَ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ .

أَكْمَلَ اللَّهُ دِينَهُ الَّذِي بُعِثَ بِهِ وَجَاءَتْ شَرِيعَتُهُ أَكْمَلَ شَرِيعَةٍ لَمْ يَبْقَ
مَعْرُوفٌ تَعْرِفُ الْعُقُولُ أَنَّهُ مَعْرُوفٌ إِلَّا أَمْرٌ بِهِ وَلَا مُنْكَرٌ تَعْرِفُ الْعُقُولُ أَنَّهُ مُنْكَرٌ
إِلَّا نَهَى عَنْهُ .

لَمْ يَأْمُرْ بِشَيْءٍ فَعَقِيلَ لَيْتَهُ لَمْ يَأْمُرْ بِهِ وَلَا نَهَى عَنْ شَيْءٍ فَعَقِيلَ لَيْتَهُ لَمْ يَنْهَ عَنْهُ
وَأَحَلَّ الطَّيِّبَاتِ لَمْ يُحَرِّمْ شَيْئًا مِنْهَا كَمَا حُرِّمَ فِي شَرْعٍ غَيْرِهِ وَحَرَّمَ الْخَبَائِثَ لَمْ
يُجِلَّ مِنْهَا شَيْئًا كَمَا اسْتَحَلَّهُ غَيْرُهُ .

وَجَمَعَ مَحَاسِنَ مَا عَلَيْهِ الْأَمَمُ فَلَا يُذَكَّرُ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ

نوع من الخبر عن الله وعن ملائكتيه وعن اليوم الآخر إلا وقد جاء به على
أكمل وجه وأخبر بأشياء ليست في هذه الكتب .

وأمتة أكمل الأمم في كل فضيلة فإذا قيس علمهم بعلم سائر الأمم
ظهر فضل علمهم وإن قيس دينهم وعبادتهم وطاعتهم لله بغيرهم ظهر أنهم
أدين من غيرهم وإذا قيس شجاعتهم وجهادهم وصبرهم على المكاره في
ذات الله ظهر أنهم أعظم جهاداً وأشجع قلوباً وهذه الفضائل به نالوها ومنه
تعلموها وهو الذي أمرهم بها والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

« فصل » وقال آخر : غير شيخ الإسلام

اعلم أن من شاهد أحواله صلى الله عليه وسلم وأصغى إلى سماع
أخباره المشتتة على أخلاقه وأفعاله وأحواله وعاداته وسجايه وسياسته
لأصناف الخلق وهداياته إلى ضبطهم وتأليفه أصناف الخلق وفوده إياهم إلى
طاعته .

مع ما يحكي من عجائب أجوبته في مضائق الأسئلة وبدائع تدبيراته
في مصالح الخلق ومحاسن إشاراته في تفصيل ظاهر الشرع التي يعجز
الفقهاء والعقلاء عن إدراك أوائل دقائقها في طول أعمارهم لم يبق له ريب
ولا شك في أن ذلك لم يكن مكتسباً بحيلة تقوم بها القوة البشرية .

بل لا يتصور ذلك إلا بالاستمداد من تأييد سماوي وقوة إلهية وأن ذلك
كله لا يتصور لكذاب ولا ملبس بل كانت شمائله وأحواله شواهد قاطعة
بصدقه حتى إن العربي الفح كان يراه فيقول : والله ما هذا وجه كذاب .

فكان يشهد له بالصدق بمجرد رؤيته لشمائله فكيف من شاهد أخلاقه
ومارس أحواله في جميع مصادره وموارده أم .

لو لم يكن له آيات مبينة كانت يديهته تأتيك بالخبر

اللَّهُمَّ يَا مَنْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَبَنَاهُ وَاللِّسَانَ وَأَجْرَاهُ ، يَا مَنْ لَا يُخَيِّبُ مَنْ دَعَاهُ ، هَبْ لِكُلِّ مَنَّا مَا رَجَاهُ ، وَبَلِّغْهُ مِنَ الدَّارَيْنِ مَنَاهُ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا جَمِيعَ الزَّلَّاتِ ، وَاسْتِرْ عَلَيْنَا كُلَّ الْخَطِيئَاتِ وَسَامِحْنَا يَوْمَ السُّؤَالِ وَالْمُنَاقَشَاتِ ، وَانْفَعْنَا وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ بِمَا أَنْزَلْتَهُ مِنَ الْكَلِمَاتِ يَا أَرْحَمَ الرَّحِمِينَ اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأَرْزُقْنَا حُبَّكَ وَسَهْلَ عَلَيْنَا طَاعَتَكَ وَفَرِّغْنَا لِلتَّفَكُّرِ فِي مَخْلُوقَاتِكَ وَاجْعَلْ لَنَا رِضَاكَ مَوْثِقًا وَعَاقِبَةً وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

إِلَى اللَّهِ نَشْكُورًا قَسْوَةً وَتَوَّحُّدًا
وَنَرْجُوهُ غُفْرَانًا فَرُبُّكَ أَوْحَدٌ
وَدُوْنَكَ مِنِّي النَّضْحَ يَا ذَا الْمَوْجِدِ
قُمْ اللَّيْلَ يَا هَذَا لَعَلَّكَ تَرشُدُ

إِلَى كَمْ تَنَامُ اللَّيْلَ وَالْعُمْرُ يُنْفَدُ .
تَبْقِظُ وَتُبُّ فَاللَّهُ لِلْخَلْقِ رَاحِمٌ
وَإِنِّي لِنَفْسِي نَاضِحٌ وَمُلَازِمٌ
فَقُمْ لَا تَنَمْ فَالْشُّهُمُ بِاللَّيْلِ قَائِمٌ
أَرَاكَ بِطُولِ اللَّيْلِ وَبِحُكِّ نَائِمٌ
وَعَيْرُكَ فِي مِحْرَابِهِ يَتَهَجَّدُ
لَقَدْ فَازَ أَقْوَامٌ وَنَحْنُ نَشَاهِدُ
أَمَا تَسْتَحِي أَوْ تَرْعَوِي أَوْ تُجَاهِدُ
فَلَيْسَ سِوَاءِ قَائِمٌ ذَا وَرَاقِدٌ
وَلَوْ عَلِمَ الْبَطْلُ مَا نَالَ رَاهِدُ

مِنَ الْأَجْرِ وَالْإِحْسَانِ مَا كَانَ يَرْقُدُ

فَكَمْ قَدْ أَكَلْنَا وَالتَّقِيُونَ صَوْمٌ
وَنُتْمَا وَهُمْ بِاللَّيْلِ يَبْكُونَ قَوْمٌ
وَلَوْ مُفْلِسٌ يَدْرِي وَهَلْ أَيْنَ خِيَمُوا
لَصَامَ وَقَامَ اللَّيْلَ وَالنَّاسُ نَوْمٌ

إِذَا مَا دَنَى مِنْ عَبْدِهِ الْمُتَفَرِّدُ
وَأَسْبَلُ فِي الدَّاجِي دُمُوعاً بِعَبْرَةٍ
وَتَابَ وَأَبْدَى الْخَوْفَ مِنْ كُلِّ هَيْبَةٍ
وَقَامَ وَصَلَّى خَائِفاً فِي مَحَبَّةٍ
بِحَزْمٍ وَعَزْمٍ وَاجْتِهَادٍ وَرَغْبَةٍ
وَيَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ ذُو الْعَرْشِ يُعْبُدُ

فَحَاذِرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمِنْ لَدَغِ صِلْهَا
فَلَيْسَ لَهَا عَهْدٌ يَفِي لَوْ لِيخْلِيهَا
فَسَافِرٌ وَطَلَّقَهَا ثَلَاثاً وَخَلِيهَا
وَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَدُومُ لِأَهْلِهَا
لَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ فِيهَا مُخَلِّدٌ
أَلَمْ يَأْنِ أَنْ نَخْشَعَ وَأَيْنَ التَّهْجُدُ
أَفِي سِنَةٍ كُنَّا أَمِ الْقَلْبُ جَلَمَدُ
تَيَقِّظُ أَحْيِي وَاحْذَرُ وَإِيَّاكَ تَرْقُدُ
أَتَرْقُدُ يَا مَغْرُورُ وَالنَّارُ تُوقَدُ

فلا حرَّها يَظْفَى ولا الجَمْرُ يَحْمُدُ

أما لو عَلِمْنَاها نَهَضْنَا إِذَا شَظَى
نَعُجٌ وَبَعُضُ الْقَوْمِ لِلْبَعُضِ أَيَقْظَا
وَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْنًا بِتَذْكَارِنَا اللَّظَى
ألا إِنَّها نارٌ يُقالُ لَها لَظَى
فَتَحْمُدُ أَحْيَانًا وَأَحْيَانٌ تُوقَدُ

على الخَمْسِ تَوَدِّعًا بِحِدِّ فَصَلِّها
وَحَافِظًا على تِلْكَ النُّوافِلِ كُلِّها
وَتُبِّ عَن ذُنُوبٍ لا تَذِلُ بِذَلِّها
فيا رَاكِبَ العِضْيَانِ وَنَحْكَ خَلِّها
سَتَحْشَرُ عَطْشَانًا وَوَجْهَكَ أَسودُ

ألا إِنَّ أَهْلَ العِلْمِ في عِلْمِ غَيْبِهِ
لَهُمْ كُلُّ خَيْرٍ مِنَ إلهِي بِقُرْبِهِ
سَمَوْ بِالهُدَى والنَّاسُ مِنْ فَوْقِ تُرْبِهِ
فَكَمْ بَيْنَ مَسْرُورٍ بِطَاعَةِ رَبِّهِ
وَآخِرُ بالدُّنْبِ الثَّقِيلِ مُقَيَّدُ

إِذَا كَوَّرَتْ شَمْسُ العِبَادِ وَأَنْجَمُ
وَقُرِبَتِ النَّارُ العَظِيمَةُ تُضْرَمُ
وَكُجِّبَ هَذَا ثُمَّ هَذَا مُسَلَّمُ

فهذا سعيد في الجنان منعم
وهذا شقى في الجحيم مُخَلَّدُ

وقد كان هذا الحكم من ربنا مضي
ولا بد هذا الحكم في الحشر يمتضى
إلهي انلي العفو منك مع الرضى
إذا نصب الميزان للفصل والقضى
وقد قام خير العالمين محمد
نبي الهدى المعصوم عن كل زلة
شفيح الورى أكرم بها من فضيلة
وملته يا صاحبي خير ملة
عليه صلاة الله في كل ليلة
مع الال والأصحاب ما دار فرقد

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ قلوبَنَا عَلَى دِينِكَ وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَاخْتِمْ لَنَا
بِخَاتِمَةِ السَّعَادَةِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وقال الماوردي رحمه الله في ذكر خصائص الرسول صلى الله عليه
وسلم وفضائله وشرف أخلاقه وشمائله المؤيدة لنبوته والمبرهنة على عموم
رسالته :
فالكَمالُ المُعتَبَرُ في البَشَرِ يَكُونُ مِنْ أَرْبَعَةِ أَوْجِهٍ : كَمالِ الخَلْقِ
وَكَمالِ الخُلُقِ وَفضائِلِ الأَقوالِ وَفضائِلِ الأَعْمالِ .

فأما الوجه الأول في كمال خلقه بعد اعتدال صورته فيكون بأربعة
أوصاف أحدها : السكينة الباعثة على الهيبة والتعظيم الداعية إلى التقدير
والتسليم .

وكان أعظم مهيب في النفوس حتى ارتاعت رسل كسرى من هيئته حين أتوه مع ارتياعهم بصولة الأكاسرة ومكائرة الملوك الجابرة .

فكان صلى الله عليه وسلم في نفوسهم أهيب وفي أعينهم أعظم وإن لم يتعاطم بأهبة ولم يتناول بسطوة بل كان بالتواضع مؤصوفاً وبالوظاة - أي السهولة - معروفاً .

والثاني : في الطلاقة الموجبة للإخلاص والمحبة الباعثة على المصافاة والمودة .

وقد كان صلوات الله عليه محبوباً استحكمت محبة طلاقته في النفوس حتى لم يقله مصاحب ولم يتباعد منه مقارب وكان أحب إلى أصحابه من الآباء والأبناء وشرب الماء البارد على الظم .

والثالث : حسن القبول الجالب لممايلة القلوب حتى تسرع إلى طاعته وتذعن بموافقته وقد كان قبول منظره صلى الله عليه وسلم مستولياً على القلوب ولذلك استحكمت مصاحبته في النفوس حتى لم ينفر منه معاند ولا استوحش منه مباعد إلا من ساقه الحسد إلى شقوته وقاده الجرم إلى مخالفته .

والرابع : ميل النفوس إلى متابعتيه وانقيادها لموافقته وثباته على شدايده ومصابرتيه ، فما شد عنه معها من أخلص ولا ند عنه فيها من تخصص .

وهذه الأربعة من دواعي السعادة وقوانين الرسالة وقد تكاملت فيه فكمّل لما يوازئها واستحق ما يقتضيها .

وأما الوجه الثاني في كمال أخلاقه فيكون بسبب خصال :

(إحداهن) : رجاحة عقله وصحة وهمه وصدق فراسيته وقد دل على وفور ذلك فيه صحة رأيه وصواب تدبيره وحسن تأليفه .

وأنه ما استغفل في مكيدة ولا استعجز في شديدة بل كان يلحظ الأعجاز في المبادئ فيكشف عيوبها ويحل خطوبها وهذا لا ينتظم إلا بصدق وهم وأوضح جزم .

والخصلة الثانية : ثباته في الشدائد وهو مطلوب وصبره على البأساء والضراء وهو مكروب ومحرروب ونفسه في اختلاف الأحوال ساكنة لا يخور في شديدة ولا يستكين لعظيمة وقد لقي بمكة من قریش ما يشيب النواصي ونهد الصياصي وهو مع الضعف يصابر صبر المستعلي وثبت ثبات المستولي .

والخصلة الثالثة : زهده في الدنيا واعراضه عنها وقناعته بالبلاغ منها فلم يمل إلى غضارتها ولم يله لحلاوتها وقد ملك من أقصى الحجاز إلى عذار العراق ومن أقصى اليمن إلى شحر عمان .

وهو أزهده الناس فيما يقتنى ويدخر وأعرضهم عما يستفاد ويحتكر لم يخلف عيناً ولا ديناً ولا حفر نهرأ ولا شيد قصراً ولم يورث ولده وأهله متاعاً ولا مالا ليصرفهم عن الرغبة في الدنيا كما صرف نفسه عنها فيكونوا على مثل حاله في الزهد فيها .

وحقيق بمن كان في الدنيا بهذه الزهاده حتى اجتذب أصحابه إليها أن لا يتهم بطلبها ويكذب على الله تعالى في ادعاء الآخرة ويقنع في العاجل .

وَقَدْ سُلِبَ الْأَجَلَ بِالْمَيْسُورِ النَّزْرَ وَرَضِيَ بِالْعَيْشِ الْكَدِيرِ .

وَالْحَصْلَةُ الرَّابِعَةُ : تَوَاضَعُهُ لِلنَّاسِ وَهُمْ أَتْبَاعُ وَخَفِضُ جَنَاحِهِ لَهُمْ وَهُوَ مُطَاعٌ يَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ وَيَجْلِسُ عَلَى التَّرَابِ وَيَمْتَرِجُ بِأَصْحَابِهِ وَجَلَسَاتِهِ فَلَا يَتَمَيِّزُ عَنْهُمْ إِلَّا بِإِطْرَاقِهِ وَحَيَاتِهِ ، فَصَارَ بِالتَّوَضُّعِ مُتَمَيِّزًا ، وَبِالتَّدَلُّلِ مُتَعَزِّزًا .

وَلَقَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ بَعْضُ الْأَعْرَابِ فَارْتَاعَ مِنْ هَيْبَتِهِ فَقَالَ خَفِضْ عَلَيكَ فَإِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ كَأَنْتَ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ بِمَكَّةَ وَهَذَا مِنْ شَرَفِ أَخْلَاقِهِ وَكَرِيمِ شَيْمِهِ فِيهِ غَرِيزَةٌ فُطِرَ عَلَيْهَا وَجِبِلَّةٌ طُبِعَ بِهَا لَمْ تَنْدُرْ فَتَعَدَّ وَلَمْ تُحْصِرْ فَتُجَدَّ .

وَالْحَصْلَةُ الْخَامِسَةُ : حِلْمُهُ وَوَقَارُهُ عَنْ طَيْشِ يَهْزُهُ أَوْ خَرَقٍ يَسْتَفِزُهُ فَقَدْ كَانَ أَحْلَمَ فِي الْبِفَارِ مِنْ كُلِّ حَلِيمٍ وَأَسْلَمَ فِي الْخِصَامِ مِنْ كُلِّ سَلِيمٍ .

وَقَدْ مُنِيَ بِجَفْوَةِ الْأَعْرَابِ فَلَمْ يُوْجَدْ مِنْهُ نَادِرَةٌ وَلَمْ يُحْفَظْ عَلَيْهِ بَادِرَةٌ وَلَا حَلِيمٌ غَيْرُهُ إِلَّا دُوْ عَثْرَةٌ وَلَا وَقُورٌ سِوَاهُ إِلَّا دُوْ هَفْوَةٌ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَصَمَهُ مِنْ نَزْعِ الْهَوَى وَطَيْشِ الْقُدْرَةِ لِهَفْوَةٍ أَوْ عَثْرَةٍ لِيَكُونَ بِأَمْتِهِ رَوْوْفًا وَعَلَى الْخَلْقِ عَطُوفًا قَدْ تَنَاوَلَتْهُ قُرَيْشٌ بِكُلِّ كَبِيرَةٍ وَقَصَدَتْهُ بِكُلِّ جَرِيرَةٍ وَهُوَ صَبُورٌ عَلَيْهِمْ وَمُعْرِضٌ عَنْهُمْ .

وَمَا تَفَرَّدَ بِذَلِكَ سَفَهَاؤُهُمْ عَنْ حُلَمَائِهِمْ وَلَا أَرَادِلُهُمْ دُونَ عَظَمَائِهِمْ بَلْ تَمَالًا عَلَيْهِ الْجَلَّةُ وَالِدُونَ ، فَكَلَّمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْأَمْرِ - أَلَحَّ كَانَ عَنْهُمْ أَعْرَضَ وَأَصْفَحَ حَتَّى قَهَرَ فَعَفَا ، وَقَدِرَ فَعَفَرَ .

(وَقَالَ لَهُمْ) جِئِنَ ظَفِيرَ بِهِمْ عَامَ الْفَتْحِ وَقَدْ اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ مَا ظَنَنْتُمْ بِي قَالُوا بِنَ عَمِّ كَرِيمٍ فَإِن تَعَفَّ فَذَاكَ الظَّنُّ بِكَ وَإِن تَنْتَقِمَ فَقَدْ أَسَأْنَا فَقَالَ بَلْ أَقُولُ كَمَا قَالَ يُوسُفُ لِإِخْوَتِهِ « لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ .

وقال : اللَّهُمَّ قَدْ أَذَقْتُ أَوَّلَ قُرَيْشٍ نِكَالًا فَأَذِقْ آخِرَهُمْ نَوَالًا وَأَتْتَهُ هِنْدُ
بِنْتُ عُتْبَةَ وَقَدْ بَقِرَتْ بَطْنِ عَمِّهِ حَمْرَةَ وَلَا كَتْ كَبْدَهُ فَصَفَحَ عَنْهَا وَأَعْطَاهَا يَدَهُ
لِيَبْعَهَا .

فَإِنْ قِيلَ فَقَدْ ضَرَبَ رِقَابَ بَنِي قُرَيْظَةَ صَبْرًا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ وَهُمْ نَحْوُ
سَبْعِمِائَةٍ فَأَيْنَ مَوْضِعِ الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ قِيلَ إِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ فِي حُقُوقِ اللَّهِ
تَعَالَى .

وَقَدْ كَانَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ رَضُوا بِتَحْكِيمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ عَلَيْهِمْ فَحَكَمَ أَنْ مَنْ
جَرَتْ عَلَيْهِ الْمَوْسَى قُتِلَ وَمَنْ لَمْ تَجْرِ عَلَيْهِ اسْتُرِقَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَذَا حُكْمُ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقَعَةٍ ، فَلَمْ يَجُزْ أَنْ يَعْفُو عَنْ حَقِّ
وَجَبَ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ وَإِنَّمَا يَخْتَصُّ عَفْوُهُ بِحَقِّ نَفْسِهِ .

وَالْخِصْلَةُ السَّادِسَةُ : حِفْظُهُ لِلْعَهْدِ وَوَفَاؤُهُ بِالْوَعْدِ فَإِنَّهُ مَا نَقَضَ لِمُجَافِظِ
عَهْدًا وَلَا أَخْلَفَ لِمُرَاقِبٍ وَعَدَا يَرَى الْغَدْرَ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ وَالْإِخْلَافِ مِنْ
مَسَاوِيءِ الشِّيمِ فَيَلْتَزِمُ فِيهِمَا الْأَغْلَظَ وَيَرْتَكِبُ فِيهِمَا الْأَصْعَبَ حِفْظًا لِعَهْدِهِ
وَوَفَاءً بِوَعْدِهِ حَتَّى يَبْتَدِيءَ مُعَاهِدُوهُ بِنَقْضِهِ فَيَجْعَلُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ مَخْرَجًا كَفَعَلَ
الْيَهُودِ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ وَبَنِي النَّضِيرِ وَكَفَعَلَ قُرَيْشٍ بِصُلْحِ الْحُدَيْبِيَّةِ فَيَجْعَلُ
اللَّهُ تَعَالَى لَهُ فِي نَكْبَتِهِمْ الْخَيْرَةَ .

فَهَذِهِ سِتُّ خِصَالٍ تَكَامَلَتْ فِي خُلُقِهِ ، فَضَّلَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى جَمِيعِ
خَلْقِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ
(فَصَل) وَأَمَّا الْوَجْهُ الثَّالِثُ فِي فَضَائِلِ أَقْوَالِهِ فَمُعْتَبَرٌ بِشِمَانِ خِصَالِ :

(إِحْدَاهُنَّ) : مَا أَوْتِيَتْ مِنَ الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ ، وَأُعْطِيَ مِنَ الْعُلُومِ الْجَمَّةِ

الْبَاهِرَةَ ، وَهُوَ أَمِيٌّ مِنْ أُمَّةٍ أُمِّيَّةٍ لَمْ يَقْرَأْ كِتَابًا وَلَا دَرَسَ عِلْمًا وَلَا صَحِبَ عَالِمًا
وَلَا مُعَلِّمًا فَآتَى بِمَا بَهَرَ الْعُقُولَ وَأَذْهَلَ الْفِطْنَ مِنْ اتِّقَانِ مَا أَبَانَ وَإِحْكَامِ مَا أَظْهَرَ
فَلَمْ يَعْتُرْ فِيهِ بَزَلٌ فِي قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ .

وقد شرع من تقدم من حكماء الفلاسفة سنناً حملوا الناس على التدبُّر
بها حين علموا أنه « لا صلاح للعالم إلا بدين ينقادون له ويعملون به » فما
راق لها أثر ولا فاق لها خبر .

والخصلة الثانية : حفظه لما أطلعته الله تعالى عليه من قصص الأنبياء
مع الأمم وأخبار العالم في الزمن الأقدم حتى لم يعزب عنه منها صغير ولا
كبير ولا شدَّ عنه منها قليل ولا كثير .

وهو لا يضبطها بكتاب يدرسه ولا يحفظها بعين تحرسه وما ذاك إلا من
ذهن صحيح وصدور فسيح وقلب شريح وهذه الثلاثة آله ما أستودع من
الرسالة وحمل من أعباء النبوة فجدب أن يكون بها مبعوثاً وعلى القيام بها
محتوثاً .

والخصلة الثالثة : إحكامه لما شرع بأظهر دليل وبيانه بأوضح تعليل
حتى لم يخرج منه ما يوجب معقول ولا دخل فيه ما تدفعه العقول .

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أُوتِيَتْ جَوَامِعُ الْكَلِمِ وَاخْتَصِرَتْ
لِي الْحِكْمَةُ اخْتِصَارًا » لأنه نبه بالقليل على الكثير فكف عن الإطالة وكشف
عن الجهالة وما تيسر ذلك إلا وهو عليه معان وإليه مقاد .

والخصلة الرابعة : ما أمر به من محاسن الأخلاق ودعا إليه من
مستحسن الآداب وحث عليه من صلة الأرحام وندب إليه من التعطف على
الضعفاء والأيتام .

ثُمَّ مَا نَهَى عَنْهُ مِنَ التَّبَاغُضِ وَالتَّحَاسُدِ وَكَفَّ عَنْهُ مِنَ التَّقَاطُعِ وَالتَّبَاعِدِ
لِتَكُونَ الْفَضَائِلُ فِيهِمْ أَكْثَرَ وَمَحَاسِنُ الْأَخْلَاقِ بَيْنَهُمْ أَنْشَرَ ، وَمُسْتَحْسَنُ الْأَدَابِ
عَلَيْهِمْ أَظْهَرَ وَتَكُونَ إِلَى الْخَيْرِ أَسْرَعَ وَبَيْنَ الشَّرِّ أَمْنَعِ .

فَيَتَحَقَّقُ فِيهِمْ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ فَلَزِمُوا أَمْرَهُ وَاتَّقُوا زَوَاجِرَهُ فَتَكْمَلْ بِهِمْ صَلَاحُ
دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ حَتَّى عَزَّ بِهِمُ الْإِسْلَامُ بَعْدَ ضَعْفِهِ وَذَلَّ بِهِمُ الشِّرْكَ بَعْدَ عِزِّهِ
فَصَارُوا أُمَّةً أَبْرَاراً وَقَادَةَ أَخْيَاراً .

وَالْخَصْلَةُ الْخَامِسَةُ : وَضُوحُ جَوَابِهِ إِذَا سُئِلَ وَظُهُورُ حِجَابِهِ إِذَا جَادَلَ
لَا يَخْصُرُهُ عِيٌّ وَلَا يَقْطَعُهُ عَجْزٌ وَلَا يُعَارِضُهُ خِصْمٌ فِي جِدَالٍ إِلَّا كَانَ جَوَابُهُ
أَوْضَحَ وَحِجَابُهُ أَرْجَحَ .

وَالْخَصْلَةُ السَّادِسَةُ : أَنَّهُ مَحْفُوظُ اللِّسَانِ مِنْ تَحْرِيفٍ فِي قَوْلٍ
وَاسْتِرْسَالٍ فِي خَبَرٍ يَكُونُ إِلَى الْكَذِبِ مَنْسُوبًا وَلِلصِّدْقِ مُجَابِنًا فَإِنَّهُ لَمْ يَزَلْ
مَشْهُورًا بِالصِّدْقِ فِي خَبَرِهِ فَاشِيئًا وَكَثِيرًا حَتَّى صَارَ بِالصِّدْقِ مَرْقُومًا وَبِالْأَمَانَةِ
مَرْسُومًا .

وَكَانَتْ قُرَيْشٌ بِأَسْرِهِا تَتَيَقَّنُ صِدْقَهُ قَبْلَ الْإِسْلَامِ فَجَهَرُوا بِتَكْذِيبِهِ فِي
اسْتِدْعَائِهِمْ إِلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ كَذَّبَهُ حَسَدًا وَمِنْهُمْ مَنْ كَذَّبَهُ عِنَادًا وَمِنْهُمْ مَنْ كَذَّبَهُ
اسْتِبْعَادًا أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا أَوْ رَسُولًا .

وَلَوْ حَفِظُوا عَلَيْهِ كِذْبَهُ نَادِرَةً فِي غَيْرِ الرِّسَالَةِ لَجَعَلُوهَا دَلِيلًا عَلَى تَكْذِيبِهِ
فِي الرِّسَالَةِ ، وَمَنْ لَزِمَ الصِّدْقَ فِي صِغَرِهِ كَانَ لَهُ فِي الْكِبَرِ أَلْزَمٌ وَمَنْ عُصِمَ مِنْهُ
فِي حَقِّ نَفْسِهِ كَانَ فِي حُقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى أَعْصَمٌ وَحَسْبُكَ بِهَذَا دَفْعًا لِجَاحِدٍ وَرَدًّا
لِمُعَانِدِ اللَّهِ قَابِلٌ سَيِّئَاتِنَا بِأَحْسَانِكَ ، وَاسْتُرْ خَطِيئَتِنَا بِغُفْرَانِكَ وَأَذْهَبْ
ظُلْمَةَ ظَلَمْنَا بِنُورِ رِضْوَانِكَ ، وَاقْهَرِ عَدُوَّنَا بِعِزِّ سُلْطَانِكَ ، فَمَا تَعَوَّدْنَا مِنْكَ

إِلَّا الْجَمِيلُ ، وَأَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ ،
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ) وَالْخَصْلَةُ السَّابِعَةُ : تَحْرِيرُ كَلَامِهِ فِي التَّوْحِيحِ بِهِ إِبَانَةَ حَاجَتِهِ وَالِاقْتِصَارِ
مِنْهُ عَلَى قَدْرِ كِفَايَتِهِ فَلَا يَسْتَرْسِلُ فِيهِ هَذْرًا وَلَا يُحْجِمُ عَنْهُ حُضْرًا وَهُوَ فِيمَا عَدَا
حَالَتِي الْحَاجَةَ وَالْكَفَايَةَ أَجْمَلَ النَّاسِ صَمْتًا وَأَحْسَنَهُمْ سَمْتًا .

وَلِذَلِكَ حُفِظَ كَلَامُهُ حَتَّى لَمْ يَخْتَلْ وَظَهَرَ رَوْفُهُ حَتَّى لَمْ يَغْتَلْ وَاسْتَعْدَبَتْهُ
الْأَفْوَاهُ حَتَّى بَقِيَ مَحْفُوظًا فِي الْقُلُوبِ مُدَوَّنًا فِي الْكُتُبِ فَلَنْ يَسْلَمَ الْإِكْتَارُ مِنَ
الزَّلَلِ وَلَا الْهَذْرُ مِنَ الْمَلَلِ .

وَالْخَصْلَةُ الثَّامِنَةُ : أَنَّهُ أَفْصَحَ النَّاسِ لِسَانًا وَأَوْضَحَهُمْ بَيَانًا وَأَوْجَزَهُمْ
كَلَامًا وَأَجَزَلَهُمْ أَلْفَاظًا وَأَصَحَّهُمْ مَعَانِي لَا يَظْهَرُ فِيهِ هُجْنَةُ التَّكْلِيفِ وَلَا يَتَخَلَّلُهُ
فِيهِقَةُ التَّعْسُفِ .

وَقَدْ دُونَ كَثِيرٍ مِنْ جَوَامِعِ كَلِمِهِ وَمِنْ كَلَامِهِ الَّذِي لَا يُشَاكَلُ فِي فَصَاحَتِهِ
وَبَلَاغَتِهِ وَمَعَ ذَلِكَ فَلَا يَأْتِي عَلَيْهِ إِحْصَاءٌ وَلَا يَبْلُغُهُ اسْتِيفَاءٌ .

وَلَوْ مُزِجَ كَلَامُهُ بِغَيْرِهِ لَتَمَيَّزَ بِأَسْلُوبِهِ وَلَظْهَرَ فِيهِ آثَارُ التَّنَافُرِ فَلَمْ يَلْتَبَسْ حَقُّهُ
مِنْ بَاطِلِهِ وَلَبَّانَ صِدْقُهُ مِنْ كَذِبِهِ هَذَا وَلَمْ يَكُنْ مُتَعَاظِيًا لِلْبَلَاغَةِ وَلَا مُخَالِطًا
لِأَهْلِهَا مِنْ خُطْبَاءَ أَوْ شُعْرَاءَ أَوْ فَصَحَاءَ وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ غَرَائِزِ طَبِيعِهِ وَبِدَايَةِ
جِبِلَّتِهِ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِغَايَةِ تَرَادُ وَحَادِثَةِ تُشَادُ .

وَأَمَّا الْوَجْهُ الرَّابِعُ فِي فَضَائِلِ أَفْعَالِهِ فَمُخْتَبَرٌ بِشَمَانِ خِصَالِ :

(اخْدَاهُنَّ) حُسْنُ سِيرَاتِهِ وَصِحَّةُ سِيَاسَتِهِ فِي دِينِ نَقْلِ بِهِ الْأُمَّةَ عَنْ
مَأْلُوفٍ وَصَرَفَهُمْ بِهِ عَنْ مَعْرُوفٍ إِلَى غَيْرِ مَعْرُوفٍ فَأَدْعَنْتْ بِهِ النُّفُوسُ طَوْعًا
وَانْقَادَتْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَشَدِيدَ عَادَةِ مُتَرَعَّةٍ إِلَّا لِمَنْ كَانَ مَعَ التَّأْيِيدِ الْإِلَهِيِّ مُعَانًا
بِحَزْمِ صَائِبٍ وَعِزْمِ ثَاقِبٍ .

وَحَسْبُكَ بِمَا اسْتَقَرَّتْ قَوَاعِدُهُ عَلَى الْأَبَدِ حَتَّى انْتَقَلَ عَنْ سَلَفٍ إِلَى خَلْفٍ يَزْدَادُ فِيهِمْ حِلَاوَتُهُ وَيَسْتَدُ فِيهِمْ جِدَّتُهُ وَيَرَوْنَهُ نِظَامًا لِأَعْصَارٍ تَنْقَلِبُ صُرُوفُهَا وَيَخْتَلِفُ مَأْلُوفُهَا أَنْ يَكُونَ لِمَنْ قَامَ بِهِ بُرْهَانًا وَلِمَنْ ارْتَابَ بِهِ بَيَانًا .

وَالْخَصْلَةُ الثَّانِيَّةُ : أَنْ جَمَعَ بَيْنَ رَغْبَةٍ مِنْ اسْتِمَالٍ وَرَهْبَةٍ مِنْ اسْتِطَاعٍ حَتَّى اجْتَمَعَ الْفَرِيقَانِ عَلَى نُصْرَتِهِ وَقَامُوا بِحُقُوقِ دَعْوَتِهِ رَغْبًا فِي عَاجِلٍ وَآجِلٍ وَرَهْبًا مِنْ زَائِلٍ وَنَازِلٍ ، لِاخْتِلَافِ الشِّيمِ وَالطَّبَاعِ فِي الْإِقْيَادِ الَّذِي لَا يَنْتَظِمُ بِأَحَدِهِمَا وَلَا يَسْتَدِيمُ إِلَّا بِهِمَا فَلِذَلِكَ صَارَ الدِّينُ بِهِمَا مُسْتَقِرًّا وَالصَّلَاحُ بِهِمَا مُسْتَمِرًّا .

وَالْخَصْلَةُ الثَّالِثَةُ : أَنَّهُ عَدَلَ فِيمَا شَرَعَهُ مِنَ الدِّينِ عَنِ الْعُلُوبِ وَالتَّقْصِيرِ إِلَى التَّوَسُّطِ وَخَيْرِ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا وَلَيْسَ لِمَا جَاوَزَ الْعَدْلَ حَظٌّ مِنْ رُشْدٍ وَلَا نَصِيبٌ مِنْ سَدَادٍ .

وَالْخَصْلَةُ الرَّابِعَةُ : أَنَّهُ لَمْ يَمِلْ بِأَصْحَابِهِ إِلَى الدُّنْيَا وَلَا إِلَى رَفِضِهَا وَأَمَدَّهُمْ فِيهَا بِالْإِعْتِدَالِ ، وَقَالَ : « خَيْرُكُمْ مَنْ لَمْ يَتْرُكْ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ وَلَا آخِرَتَهُ لِدُنْيَاهُ وَلَكِنْ خَيْرُكُمْ مَنْ أَخَذَ مِنْ هَذِهِ وَهَذِهِ » وَهَذَا صَحِيحٌ لِأَنَّ الْإِنْقِطَاعَ إِلَى أَحَدِهِمَا إِخْتِلَالٌ وَالْجَمْعَ بَيْنَهُمَا اِعْتِدَالٌ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « نِعَمَ الْمَطِيَّةُ الدُّنْيَا فَارْتَحِلُوهَا تُبَلِّغُكُمْ الْآخِرَةَ » وَإِنَّمَا كَانَ كَذَلِكَ لِأَنَّ مِنْهَا يَتَزَوَّدُ لِآخِرَتِهِ . وَيَسْتَكْتَرُ فِيهَا مِنْ طَاعَتِهِ وَأَنَّهُ لَا يَخْلُو تَارِكُهَا مِنْ أَنْ يَكُونَ مَحْرُومًا مُضَاعًا أَوْ مَرْحُومًا مُرَاعَى وَهُوَ فِي الْأَوَّلِ كَلٌّ وَفِي الثَّانِي مُسْتَدَلٌّ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ أَعْمَالِنَا خَوَاتِمَهَا وَخَيْرَ أَيَّامِنَا يَوْمَ لِقَائِكَ ، اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ وَابْتَدْنَا بِنُصْرِكَ وَارزُقْنَا مِنْ فَضْلِكَ وَنَجِّنَا مِنْ عَذَابِكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فَصَلِّ وَالْخَصْلَةُ الْخَامِسَةُ : تَصَدِّقَهُ لِمَعَالِمِ الدِّينِ وَنَوَازِلِ الْأَحْكَامِ حَتَّى
أَوْضَحَ لِلْأُمَّةِ مَا كَلَّفُوهُ مِنَ الْعِبَادَاتِ وَبَيَّنَ لَهُمْ مَا يَجِلُّ وَمَا يَحْرُمُ مِنْ مُبَاحَاتٍ
وَمَحْظُورَاتٍ وَفَصَّلَ لَهُمْ مَا يَجُوزُ وَيَمْتَنِعُ مِنْ عُقُودٍ وَمَنَاقِحَ وَمُعَامَلَاتٍ .

حَتَّى اِحْتَاَجَ أَهْلَ الْكِتَابِ فِي كَثِيرٍ مِنْ مُعَامَلَاتِهِمْ وَمَوَارِيثِهِمْ لِشَرْعِهِ وَلَمْ
يَحْتَجْ شَرْعُهُ إِلَى شَرْعٍ غَيْرِهِ ثُمَّ مَهَّدَ لِشَرْعِهِ أَصُولًا تَدُلُّ عَلَى الْحَوَادِثِ الْمُغْفَلَةِ
وَيُسْتَنْبِطُ لَهَا الْأَحْكَامَ الْمُعَلَّلَةَ فَأَغْنَى عَنْ نَصِّ بَعْدِ ارْتِفَاعِهِ وَعَنِ التِّيَاسِ بَعْدَ
اغْفَالِهِ ثُمَّ أَمَرَ الشَّاهِدَ أَنْ يُبْلَغَ الْغَائِبَ لِيَعْلَمَ بِأَنْذَارِهِ وَيَحْتَجَّ بِإِظْهَارِهِ فَقَالَ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « بَلِّغُوا عَنِّي وَلَا تَكْذِبُوا عَلَيَّ فَرُبُّ مُبْلَغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ وَرُبُّ
حَامِلٍ فِقْهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ » .

فَأَحْكَمَ مَا شَرَعَ مِنْ نَصِّ أَوْ تَنْبِيهِ وَعَمَّ بِمَا أَمَرَ مِنْ حَاضِرٍ وَبَعِيدٍ حَتَّى
صَارَ لِمَا تَحَمَّلَهُ مِنَ الشَّرْعِ مُؤَدِّيًا وَلِمَا تَقَلَّدَهُ مِنْ حُقُوقِ الْأُمَّةِ مُوفِيًا لِئَلَّا يَكُونَ
فِي حُقُوقِ اللَّهِ زَلَلٌ وَذَلِكَ فِي بُرْهَةٍ مِنْ زَمَانِهِ لَمْ يَسْتَوْفِ تَطَاوُلَ الْاِسْتِيعَابِ
حَتَّى أَوْجَزَ وَأَنْجَزَ وَمَا ذَاكَ إِلَّا بَدِيعٌ مُعْجِزٌ .

وَالْخَصْلَةُ السَّادِسَةُ : انْتِصَابُهُ لِجِهَادِ الْأَعْدَاءِ وَقَدْ أَحَاطُوا بِجِهَاتِهِ
وَأَحْدَقُوا بِجَنَابَتِهِ وَهُوَ فِي قُطْبِ مَهْجُورٍ ، وَعَدَدِ مَحْقُورٍ فَرَادَ بِهِ مَنْ قَلَّ وَعَزَّ بِهِ
مَنْ ذَلَّ وَصَارَ بِإِثْنَانِهِ فِي الْأَعْدَاءِ مَحْذُورًا وَبِالرُّعْبِ مِنْهُ مَنْصُورًا فَجَمَعَ بَيْنَ
التَّصَدِّقِ لِشَرْعِ الدِّينِ حَتَّى ظَهَرَ وَانْتَشَرَ وَبَيْنَ الْاِنْتِصَابِ لِجِهَادِ الْعَدُوِّ حَتَّى قَهَرَ
وَانْتَصَرَ وَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا مَعْرُزٌ إِلَّا لِمَنْ أَمَدَّهُ اللَّهُ بِمَعُونَتِهِ وَأَيَّدَهُ بِلُطْفِهِ وَالْمَعْرُزُ
مُعْجِزٌ .

وَالْخَصْلَةُ السَّابِعَةُ : مَا خُصَّ بِهِ مِنَ الشُّجَاعَةِ فِي حُرُوبِهِ وَالنُّجْدَةِ فِي

مُصَابِرَةٌ عَدُوَّهُ فَإِنَّهُ لَمْ يَشْهَدْ حَرْبًا فِي فِرَازِ الْإِصَابِرِ حَتَّى أَنْجَلَتْ عَنْ ظَفْرِ أَوْ دِفَاعٍ وَهُوَ فِي مَوْفِقِهِ لَمْ يَزَلْ عَنْهُ هَرْبًا وَلَا حَازَ فِيهِ رَغْبًا .

بَلْ ثَبَّتْ بِقَلْبِ آمِنٍ وَجَاشِ سَاكِنٍ قَدْ وُلِيَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ يَوْمَ حُنَيْنٍ حَتَّى بَقِيَ بَازَاءِ جَمْعٍ كَثِيرٍ وَجَمِّ غَفِيرٍ فِي تِسْعَةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ عَلَى بَغْلَةٍ مَسْبُوقَةٍ إِنْ طَلِبَتْ غَيْرَ مُسْتَعِدَّةٍ لِهَرْبٍ وَلَا طَلَبٍ وَهُوَ يُنَادِي أَصْحَابَهُ وَيُظْهِرُ نَفْسَهُ وَيَقُولُ إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ « أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ » فَعَادُوا أَشَدَّادًا وَأَرْسَالًا وَهَوَازِنُ تَرَاهُ وَتُحْجِمُ عَنْهُ فَمَا هَابَ حَرْبٍ مِنْ كَاثِرَةٍ وَلَا انْكَفَأَ عَنْ مِصَاوِلَةِ مَنْ صَابِرَهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

(فَصْلٌ) وَقَدْ عَضَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْجَادٍ وَأَنْجَادٍ فَانْحَازُوا وَصَبَرَ حَتَّى أَمَدَّهُ اللَّهُ بِنِصْرِهِ وَمَا لِهَذِهِ الشَّجَاعَةِ مِنْ عَدِيلٍ وَلَقَدْ طَرَقَ الْمَدِينَةَ فَرَزَعُ فَانْطَلَقَ النَّاسُ فَتَلَقَوْهُ نَحْوَ الصُّوْتِ فَوَجَدُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ سَبَقَهُمْ إِلَيْهِ فَتَلَقَوْهُ عَائِدًا عَلَى فَرَسٍ عُرِّيَ لِأَبِي طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيِّ وَعَلَيْهِ السَّيْفُ فَجَعَلَ يَقُولُ أَيُّهَا النَّاسُ لَمْ تُرَاعُوا لَمْ تُرَاعُوا ثُمَّ قَالَ لِأَبِي طَلْحَةَ إِنَّا وَجَدْنَا بَحْرًا وَكَانَ الْفَرَسُ يُبْطِئُ فَمَا سَبَقَهُ فَرَسٌ بَعْدَ ذَلِكَ .

وما ذاك إلا عن ثقةٍ من أن الله تعالى سينصره وأن دينه سيظهره تحقيقاً لقوله تعالى ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ وَتَصْدِيقاً لِقَوْلِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « زُوِيَتْ لِي الْأَرْضُ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَسَيَبْلُغُ مُلْكُ أُمَّتِي مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا » وَكَفَى بِهَذَا قِيَاماً بِحِفْهِ وَشَاهِداً عَلَى صِدْقِهِ .

وَالْخَصْلَةُ الثَّامِنَةُ : مَا مُنِحَ مِنَ السَّخَاءِ وَالْجُودِ حَتَّى جَادَ بِكُلِّ مَوْجُودٍ

وَأَثَرَ بِكُلِّ مَطْلُوبٍ وَمَحْبُوبٍ وَمَاتَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ عَلَى آصَعٍ مِنْ
شَعِيرٍ لِبَطْعَامِ أَهْلِهِ .

وَقَدْ مَلَكَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ وَكَانَ فِيهَا مُلُوكٌ وَأَقْيَالٌ لَهُمْ خَزَائِنٌ وَأَمْوَالٌ
يَقْتَنُونَهَا ذُخْرًا وَيَتَبَاهَوْنَ بِهَا فَخْرًا وَيَسْتَمْتِعُونَ بِهَا أَشْرًا وَبَطْرًا وَقَدْ حَارَ مُلْكُ
جَمِيعِهِمْ فَمَا اقْتَنَى دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا لَا يَأْكُلُ إِلَّا الْخَيْشَنَ وَلَا يَلْبَسُ إِلَّا الْخَيْشَنَ .

وَيُعْطِي الْجَزَلَ الْخَطِيرَ وَيَصِلُ الْجَمَّ الْغَفِيرَ وَيَتَجَرَّعُ مَرَارَةَ الْاِقْتَالَ
وَيَضْرِبُ عَلَى سَعْبِ الْاِخْتِلَالِ وَكَانَ يَقُولُ « أَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ فَمَنْ
تَرَكَ دِينًا أَوْ ضِيَاعًا فَعَلِيٍّ وَمَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِوَرَثَتِهِ » فَهَلْ مِثْلَ هَذَا الْكَرَمِ وَالْجُودِ
كَرَمٌ وَجُودٌ أَمْ هَلْ لِمِثْلِ هَذَا الْإِعْرَاضِ وَالرَّهَادَةِ إِعْرَاضٌ وَرُؤْمٌ هَيْهَاتَ .

هَلْ يُدْرِكُ شَأَوْ مَنْ هَذِهِ سُذُورٌ مِنْ فِضَائِلِهِ وَيَسِيرٌ مِنْ مَحَاسِنِهِ الَّتِي لَا
يُحْصِي لَهَا عَدْدًا وَلَا يُدْرِكُ لَهَا أَمْدًا لَمْ تَكْمَلْ فِي غَيْرِهِ فَيْسَاوِيهِ وَلَا كَذَّبَ بِهَا
ضِدَّ يَنَاقِيهِ وَلَقَدْ جَهَدَ كُلُّ مُنَافِقٍ وَمُعَانِدٍ وَكُلُّ زِنْدِيقٍ وَمُلْجِدٍ أَنْ يُزْرِئِي عَلَيْهِ فِي
قَوْلٍ أَوْ فَعْلٍ .

أَوْ يَظْفَرُ بِهَفْوَةٍ فِي جِدِّ أَوْ هَزَلٍ فَلَمْ يَجِدْ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَقَدْ جَهَدَ جُهْدَهُ
وَجَمَعَ كَيْدَهُ .

فَأَيُّ فَضْلٍ أَعْظَمُ مِنْ فَضْلِ شَاهِدَةِ الْحَسَدَةِ وَالْأَعْدَاءِ فَلَمْ يَجِدُوا فِيهِ
مَعْمَزًا لِثَالِبٍ أَوْ قَاجِحٍ وَلَا مَطْعَنًا لِجَارِحٍ أَوْ فَاضِحٍ فَهُوَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

شَهِدَ الْأَنَامُ بِفَضْلِهِ حَتَّى الْعِدَا وَالْفَضْلُ مَا شَهِدَتْ الْأَعْدَاءُ

وقول لآخر :

مَحَاسِنُ أَصْنَافِ النَّبِيِّينَ جَمَّةٌ وَمَاقْصَبَاتُ السَّبْقِ إِلَّا لِأَحْمَدِ

وَبِالْجُمْلَةِ فَإِنَّهُ أَخْلَاقُهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ آيَةٌ كُبْرَى وَعَلِمَ مِنْ أَعْلَامِ نُبُوَّتِهِ
الْعُظْمَى وَقَدْ أَجْمَلَهَا بَعْضُهُمْ بِقَوْلِهِ وَآيَةٌ أُخْرَى لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا الْخَاصَّةُ وَمَتَى
ذُكِرَتِ الْخَاصَّةُ فَالْعَامَّةُ فِي ذَلِكَ مِثْلُ الْخَاصَّةِ .

وَهِيَ الْأَخْلَاقُ وَالْأَفْعَالُ الَّتِي لَمْ تَجْتَمِعْ لِشَرِّ قَطُّ قَبْلَهُ وَلَا تَجْتَمِعُ لِشَرِّ
بَعْدَهُ وَذَلِكَ أَنَا لَمْ نَرَ وَلَمْ نَسْمَعْ لِأَحَدٍ قَطُّ كَصَبْرِهِ وَلَا كَحِلْمِهِ وَلَا كَوَفَائِهِ وَلَا
كَزُهْدِهِ وَلَا كَجُودِهِ وَلَا كُنُجْدَتِهِ وَلَا كَصِدْقِ لَهْجَتِهِ وَلَا كَكْرَمِ عِشْرَتِهِ وَلَا
كَتَوَاضُعِهِ وَلَا كَحِفْظِهِ وَلَا كَصَمْتِهِ إِذَا صَمَتَ وَلَا كَقَوْلِهِ إِذَا قَالَ وَلَا كَعَجِيبِ
مَنْشِئِهِ وَلَا كَعَفْوِهِ وَلَا كَدَوَامِ طَرِيقَتِهِ وَقَلَّةِ امْتِنَانِهِ .

وَلَمْ تَجِدْ شُجَاعاً قَطُّ إِلَّا وَقَدْ جَالَ جَوْلُهُ وَفَرَّ فِرَّةً وَانْحَازَ مَرَّةً وَلَا يَسْتَطِيعُ
مُنَافِقٌ وَلَا زَنْدِيقٌ وَلَا ذَهْرِيٌّ أَنْ يُحَدِّثَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالَ جَوْلَهُ قَطُّ
وَلَا فَرَّ فِرَّةً قَطُّ وَلَا حَامَ عَنْ غَزْوَةٍ وَلَا هَابَ حَرْباً مِنْ مُكَاتَرَةٍ .

وَذَلِكَ مِنْ أَعْجَبَ مَا آتَاهُ اللَّهُ نَبِيًّا قَطُّ مَعَ سَائِرِ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْآيَاتِ وَمِنْ
ضُرُوبِ الْبُرْهَانَاتِ إِذْ أَعْدَاؤُهُ جَمٌّ غَفِيرٌ وَجَمْعُهُمْ كَثِيرٌ، فَخَصَّمَهُمْ حِينَ جَادَلُوهُ
وَصَابَرَهُمْ حِينَ عَانَدُوهُ وَكَابَدَ مِنَ الشَّدَائِدِ مَا لَمْ يَثْبُتْ عَلَيْهَا إِلَّا كُلُّ مَعْصُومٍ
وَلَمْ يَسْلَمْ مِنْهَا إِلَّا مَنْصُورٌ إِلَى أَنْ عَلَّتْ كَلِمَتُهُ وَظَهَرَتْ دَعْوَتُهُ .

وَكُلُّ هَذِهِ آيَاتٌ تُنذِرُ بِالْحَقِّ وَتَلَايِمُ الصِّدْقِ ، لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ
الْخَائِنِينَ وَلَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمَفْسِدِينَ ، انتهى كلامه

اللَّهُمَّ اسئلكَ بنا مَنَاهِجَ السَّلَامَةِ وَعَافِنَا مِنْ مُوجِبَاتِ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ
وَوَفِّقْنَا لِلْإِسْتِعْدَادِ لِمَا وَعَدْتَنَا وَأَدِّمْ لَنَا إِحْسَانَكَ وَلُطْفَكَ كَمَا وَعَدْتَنَا وَأَتِمِّمْ عَلَيْنَا
اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ

اللَّهُمَّ الْحَقْنَا بِعِبَادِكَ الْأَبْرَارِ وَآتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً
وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« قصيدة في غربة الاسلام واهمال نصره »

« مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَيْهِ »

هَفِي عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْ أَشْيَاعِهِ
هَفِي عَلَى الْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ
هَفِي عَلَيْهِ تَنَكَّرَتْ أَعْلَامُهُ
إِلَّا عَلَى الْخَيْرِ فِي ذَا الشَّانِ
هَفِي عَلَيْهِ أَضْبَحَتْ أَنْوَارُهُ
مَخْجُونَةٌ عَنْ سَالِكِ حَيْرَانِ
هَفِي عَلَيْهِ أَضْبَحَتْ أَنْصَارُهُ
فِي قِلَّةٍ فِي هَذِهِ الْأَزْمَانِ
هَفِي عَلَيْهِ أَهْلُهُ فِي غُرْبَةٍ
أَضْحَوْا وَهُمْ فِي الْأَهْلِ وَالْأَوْطَانِ
هَفِي عَلَيْهِمْ أَضْبَحُوا فِي ضَيْعَةٍ
أَنْوَارُهُمْ تُخْفَى عَلَى الْعُمَيَّانِ
هَفِي عَلَيْهِمْ كَمْ لَنَا قَدْ أَخْلَصُوا
فِي النَّضْحِ لَوْ كَانَتْ لَنَا أَدْنَانِ
هَفِي عَلَى مَنْ يَجْلِبُونَ عَلَيْهِمُوا
بِالنُّضْحِ كُلِّ أَدَى وَكُلِّ هَوَانِ

هَفِي عَلَى مَنْ هُمْ مَصَائِحُ الْهُدَى
 مَا بَيْنَنَا لَوْ تُبْصِرُ الْعَيْنَانِ
 لَهْفِي عَلَيْهِمْ أَوْجِدُوا فِي أُمَّةٍ
 قَنِعَتْ مِنَ الْإِسْلَامِ بِالْمُنَوَانِ
 لَا يُعْرِفُ الْمَعْرُوفُ فِيمَا بَيْنَنَا
 وَالنُّكْرُ مَأْلُوفٌ بِلَا نُكْرَانِ
 خَذَلَتْ ذَوِي النُّصْحِ الصَّحِيحِ وَأَصْبَحَتْ
 عَوْنًا لِكُلِّ مُضَلَّلٍ فَتَانِ
 يَا وَنَحَ قَوْمٍ لَا يُمَيِّزُ جُلُوهُمْ
 ذَا الْحَقِّ مِنْ ذِي دَعْوَةِ الْبُطْلَانِ
 فَتَصَدَّرَ الْجُهَالُ وَالضُّلَالُ فِي
 هِمٍّ بِإِدْعَاءِ الْعِلْمِ وَالْعِرْقَانِ
 مِنْ كُلِّ مَنْ يَخْتَالُ فِي فِضَائِهِ
 فَذَمُّ ثَقِيلٌ وَاسِعٌ الْأُرْدَانِ
 مُتَقَمِّشٌ مِنْ هَذِهِ الْأَوْضَاعِ وَالْ
 آرَاءِ إِمْعَةٍ بِلَا فُرْقَانِ
 يَيْدِي التَّمَشُّقِ فِي الْمَحَافِلِ كَيْ يُرَى
 لِلنَّاسِ ذَا عِلْمٍ وَذَا إِتْقَانٍ
 نَبَأَ لَهُ مِنْ جَاهِلٍ مُتَعَالِمٍ
 مُتَسَلِّطٍ بِوِلَايَةِ السُّلْطَانِ

رَفَعَتْ خَيْبَتَهُ الْمَنَاصِبُ فَاذْدَرَى
أَهْلَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ
لَيْسَ التَّرْفَعُ بِالْمَنَاصِبِ رِفْعَةً
بِالْعِلْمِ وَالتَّقْوَى عُلُوُّ الشَّانِ
تَرَكَ الْمَنَابِرَ مَنْ يَقُومُ بِحَقِّهَا
مِنْ كُلِّ ذِي لِسَانٍ وَذِي عِرْفَانٍ
وَنَزَا عَلَيْهَا سَفَلَةٌ يَا لَيْتَهُمْ
قَدْ أُدْرِجُوا مِنْ قَبْلِ فِي الْأَكْفَانِ
خَطَبُوا التَّفَرُّقَ فَوْقَهَا وَلَطَالَمَا
خُطِبَتْ عَلَيْهَا الْفِتْنَةُ الْإِخْوَانِ
كَمْ يَأْمُرُونَ بِمُحَدَّثَاتٍ فَوْقَهَا
تَقْضِي عَلَى سُنَنِ سُنَنِ جِسَانِ
تَبْكِي الْمَنَابِرَ مِنْهُمْ وَتَوَدُّ لَوْ
تَنُذِكُ تَحْتَهُمْ إِلَى الْأَرْكَانِ
مَا عِنْدَهُمْ بِالْأَمْرِ الْأَوَّلِ خِبْرَةٌ
بَلْ نَقُلْ آرَاءَ أَوْ اسْتِحْسَانِ
تَكَلَّمَتْهُمُ الْآبَاءُ إِنْ حَيَاتِهِمْ
مَوْتُ لِسُنَّةِ خَاتَمِ الْأَذْيَانِ
جَهَلُوا كِتَابَ اللَّهِ وَهُوَ نَجَاتُهُمْ
وَهُدَى النَّبِيِّ مُبَيِّنِ الْقُرْآنِ

وَجَفَوْا مَنَاهِجَ خَيْرِ أَسْلَافٍ لَهُمْ
فِي التَّعَلُّمِ وَالتَّقْوَى وَفِي الْإِتْقَانِ
لَا يَرْجِعُونَ لِآيَةٍ أَوْ سُنَّةٍ
أَوْ سِيرَةِ الْمَاضِينَ بِالْإِحْسَانِ
بَلْ يَرْجِعُونَ لِرَأْيِ مَنْ أَلْقَوْا لَهُمْ
بِأَزْمَةٍ التَّقْلِيدِ وَالْأَرْسَانِ
وَكَذَلِكَ يَرْجِعُ مَنْ تَصَوَّفَ فِيهِمْ
لِلذُّوقِ أَوْ لِتَخْيِيلِ شَيْطَانِي
فَالْأَوْلُونَ أَتَوْا بِأَحْكَامِ لَنَا
فِيهَا مُخَالَفُ سُنَّةٍ وَقُرْآنِ
وَالْآخِرُونَ أَتَوْا لَنَا بِطَرَائِقِ
غَيْرِ الطَّرِيقِ الْأَقْوَمِ الْقُرْآنِي
وَمُخَصَّلِ الطَّرِيقِ الَّتِي جَاءُوا بِهَا
أَوْضَاعُ سُوءٍ رَدَّهَا الْوَحْيَانِ
وَكَذَا رُؤُسُهُمُ الطُّفَاةُ فَإِنَّهُمْ
لَمْ يَرْفَعُوا رَأْسًا بِذَا الْفُرْقَانِ
مَا حَكَّمُوا فِيهِمْ شَرَائِعَ دِينِهِمْ
وَالْعَدْلُ فِيهَا قَائِمُ الْأَرْكَانِ
بَلْ حَكَّمُوا فِي النَّاسِ آرَاءَهُمْ
مِنْ وَحْيِ شَيْطَانٍ أُخِي طُغْيَانِ

وَبِحَ الشَّرِيعَةِ مِنْ مَشَايِخِ جُبَّةِ
وَاللَّابِسِينَ لَنَا مُسُوكَ الضَّانِ
غَزَوْا الْوَرَى بِالزِّيِّ وَالسَّمْتِ الَّذِي
يُخْفِي مَخَازِي الْجَهْلِ وَالْعِضْيَانِ
وَرُؤُسُ سُوءٍ لَا اهْتِمَامَ بِهِمْ بِدِي
نِ قَامَ أَوْ قَدْ خَرَّ لِالذَّقَانِ
وَلَرَبَّمَا أَبَدُوا عِنَايَتَهُمْ بِهِ
بِسِيَاسَةٍ يُخْفِي عَلَى الْإِنْسَانِ
تَعْسًا لِمَنْ أَضْحَى يُتَابِعُ قَوْلَ مَنْ
بَخَسَ الْهَدَى وَمَزِيَّةَ الْأَذْمَانِ
تَرَكَوْا هِدَايَةَ رَبِّهِمْ وَرَسُولَهُمْ
هَذَا وَرَبِّكَ غَايَةَ الْخُدَلَانِ
حَرِمُوا هِدَايَةَ دِينِهِمْ وَعَقُولَهُمْ
هَذَا وَرَبِّكَ غَايَةَ الْخُسْرَانِ
تَرَكَوْا هِدَايَةَ رَبِّهِمْ فَاذًا بِهِمْ
غَرَقَى مِنَ الْأَرَءِ فِي طُوفَانِ
وَتَفَرَّقُوا شَيْعًا بِهَا عَنْ نَهْجِهِ
مِنْ أَجْلِهَا صَارُوا إِلَى شَنَّانِ
كُلُّ يَرَى رَأْيًا وَيَنْصُرُ قَوْلَهُ
وَلَهُ يُعَادِي سَائِرَ الْإِخْوَانِ
وَلَوْ أَنَّهُمْ عِنْدَ التَّنَازَعِ وَفَقُّوا
لَتَحَاكَمُوا إِلَيْهِ دُونَ تَوَانِ

وَأَصْبَحُوا بَعْدَ الْخِصَامِ أَجِبَّةٌ
غَيْظَ الْعِدَا وَمَذَلَّةَ الشُّيْطَانِ
لَكِنَّهُمْ إِذْ آتَرُوا وَاوْدِي تَخِيَّةً
يَبَّ أَصْبَحُوا أَعْدَاءَ هَذَا الشُّنَانِ
فَالْفَتْدِي بِالْوَحْيِ فِي أَعْمَالِهِ
يَلْقَى الْأَذَى مِنْهُمْ وَكُلُّ هَوَانٍ
لِعُدُولِهِ عَنْ أَخْذِهِ بِمَذَاهِبِ
فِي الرَّأْيِ مَا قَامَتْ عَلَى بُرْهَانٍ
جَعَلُوا مَذَاهِبَهُمْ مُسَيِّطَرَةً عَلَى
فَهُمُ الْحَدِيثِ وَمَنْزِلِ الْقُرْآنِ
ذَاوُوا ذَوِي الْأَلْبَابِ عَنِ فِقْهِ الْكِتَابِ
بِ وَفِقِهِ سُنَّةِ صَاحِبِ التَّيْبَانِ
وَعَدَتْ شَرِيْعَتُنَا بِمُوجِبِ قَوْلِهِمْ
مَنْسُوحَةٌ فِي هَذِهِ الْأَزْمَانِ
حَجَبُوا مَحَاسِنَهَا بِتَأْوِيلَاتِهِمْ
فَعَدَتْ مِنَ الْأَرَءِ فِي خُلُقَانِ
وَلَوْ أَنَّهَا بَرَزَتْ مُجَرَّدَةً لَهَا
مَ الْأَذْكِيَاءُ بِحُسْنِهَا الْفَتَانِ
لَكِنَّهُمْ قَامُوا حَوَائِلَ دُونَهَا
كَالْأَوْصِيَاءِ لِقَاصِرِ الصَّبِيَانِ
مَا عِنْدَهُمْ عِنْدَ التَّنَاطُرِ حُجَّةٌ
أَنْ يَهَا يُقَلِّدَ خَيْرَانِ

لَا يَفْرَعُونَ إِلَى الدَّلِيلِ وَإِنَّمَا
 فِي العَجْزِ مَفْرَعُهُمْ إِلَى السُّلْطَانِ
 لَا عُجْبَ إِذْ ضَلُّوا هِدَايَةَ دِينِهِمْ
 أَنْ يَرْجِعُوا لِلْجَهْلِ وَالْعِضْيَانِ
 هَا قَدْ غَلَوْا فِي الْأَوْلِيَاءِ وَقُبُورِهِمْ
 أَضَحَّتْ يُحْجُّ لَهَا مِنَ الْبُلْدَانِ
 وَيَنُوتُوا عَلَى تِلْكَ الْقُبُورِ مَسَاجِدًا
 وَالنُّصُ جَاءَ لَهُمْ يَلْعَنُ الْبَائِي
 وَكَذَا عَلَيْهَا أَسْرَجُوا وَاللُّعْنُ جَا
 فِي الْفِعْلِ ذَا أَيْضًا مَعَ الْبُنْيَانِ
 وَكَذَلِكَ قَدْ صَنَعُوا لَهَا الْأَقْصَاصَ تُو
 ضَعُ فَوْقَهَا فِي غَايَةِ الْاِثْقَانِ
 يَكْسُوتَهَا بِمِطَارِفِ مَنْقُوشَةٍ
 قَدْ كَلَّفَتْهُمْ بِأَهْطِ الْأَثْمَانِ
 بَلْ عِنْدَ رَأْسِ الْقَبْرِ تَلْقَى نُصْبَهُ
 قَدْ عَمَّمُوهَا عِمَّةَ الشَّيْخَانِ
 وَلَسَوْفَ إِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِمْ تَرَى
 وَلَهَا يَدَانِ تَلِيهِمَا الرَّجْلَانِ
 وَدَعَوْهُمْ شَفَعَاءَهُمْ أَيْضًا كَمَا
 قَدْ كَانَ يَزْعُمُ عَابِدُو الْأَوْثَانِ
 وَتَقَرَّبُوا لَهُمْ بِتَسْيِيبِ السُّوَا
 بِبِ وَالنُّدُورِ وَسَائِرِ الْقُرْبَانِ

وَتَسْحُوا بِقُبُورِهِمْ وَسُورِهِمْ
وَكَذَلِكَ بِالْأَقْفَاصِ وَالْجُدْرَانِ
وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ أَوْ هُنَاكَ تَرَاهُمْ
مُتَخَشِعِينَ كَأَحْبَبِ الْعُبْدَانِ
مَا عِنْدَهُمْ هَذَا الْخُشُوعُ إِذَا هُمُ
صَلُّوا لِرَبِّهِمِ الْعَظِيمِ الشَّانِ
وَاسْتَنْجَدُوا بِهِمْ لِمَا قَدْ نَابَهُمْ
نَاسِيْنَ فَاطِرَ هَذِهِ الْأَكْوَانِ-
وَدَعَوْهُمْ بَرًّا وَبِحِرًّا لَا كَمَنْ
خَصُّوا الدُّعَاءَ بِرَبِّهِمْ فِي الثَّانِي
فَهُمْ بِهَذَا الْوَجْهِ قَدْ زَادُوا عَلَى
مَنْ أَشْرَكُوا فِي غَابِرِ الْأَزْمَانِ
تَرْكُوا دُعَاءَ الْحَيِّ جَلَّ جَلَالُهُ
لِدُعَاءِ أَمْوَاتٍ بِلَا حُسْبَانِ
وَالْيَهُمْ جَعَلُوا التَّصَرُّفَ فِي الْوَرَى
فَهُمْ مَغِيثُ السَّائِلِ الْخَيْرَانِ
فَكَأَنَّهُمْ أَرْجَى لَمْ مِنْ رَبِّهِمْ
وَعَلَيْهِمْ أَحْنَى مِنَ الرَّحْمَنِ
وَكَأَنَّهُمْ وَكَلَاؤُهُ فِي خَلْقِهِ
سُبْحَانَهُ عَنِ إِفْكِ ذِي بُهْتَانِ
وَكَأَنَّهُمْ حُجُبُ رَحْمَةِ رَبِّهِمْ
هُمْ قَاسِمُوهَا بَيْنَهُمْ بِوَرَانِ

يَا قَوْمٌ لَا غَوْثٌ يَكُونُ مُغِيثُكُمْ
 إِنَّ الْمَغِيثَ اللَّهُ لِلْإِنْسَانِ
 يَا قَوْمٌ فَادْعُوا اللَّهَ لَا تَدْعُوا الْوَرَى
 أَنْتُمْ وَهُمْ بِالْفَقْرِ مَوْسُومَانِ
 مَا بِالْكُمْ لَمْ تُخْلِصُوا تَوْحِيدَكُمْ
 تَوْحِيدَكُمْ وَالشِّرْكَ مُقْتَرِنَانِ
 هَا أَنْتُمْوَا أَشْبَهْتُمْوَا مَنْ قَبْلَكُمْ
 فِي شِرْكِهِمْ بِعِبَادَةِ الدِّيَانِ
 إِنْ كَانَ هَذَا الْفِعْلُ لَا يُسْمَوْنَهُ
 بِعِبَادَةِ فَهِيَ اسْمُهُ الْقُرْآنِي
 مَعْنَى الْعِبَادَةِ ثَابِتٌ مُتَحَقِّقٌ
 فِي فِعْلِكُمْ شَرْعاً وَعُرْفٍ لِسَانِ
 إِنَّ الدُّعَاءَ عِبَادَةٌ بَلْ نُحُّهَا
 قَدْ قَالَ ذَا مَنْ جَاءَ بِالْفُرْقَانِ
 فَإِذَا زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ شُفَعَاؤُكُمْ
 تَتَوَسَّلُونَ بِهِمْ إِلَى الرَّحْمَنِ
 فَالْجَاهِلِيَّةُ كَانَ هَذَا زَعْمُهُمْ
 أَيْضاً وَقَدْ نُسِبُوا إِلَى الْكُفْرَانِ
 مَا كَانَ أَهْلُ الشِّرْكِ يَعْتَقِدُونَهُمْ
 خَلَقُوا هُمُورًا يَا جَاهِلَ الْقُرْآنِ
 وَاللَّهُ مَا شَرَعَ التَّوَسَّلَ لِلْوَرَى
 إِلَّا بِطَاعَتِهِ مَعَ الْإِيمَانِ

وَالْفِعْلَ لَيْسَ بِطَاعَةٍ حَتَّىٰ يَجِي
 أَمْرٌ بِهِ شَرْعًا إِلَى الْإِنْسَانِ
 وَالْعَامِلُونَ عَلَىٰ وِفَاقِ الْأَمْرِ لَا
 يَغْدُونَهُ بِالزُّيْدِ وَالنُّقْصَانِ
 وَالْعَامِلُونَ بِمُقْتَضَىٰ أَمْوَائِهِمْ
 هُمْ مُؤَثِّرُونَ لِطَاعَةِ الشَّيْطَانِ
 هَلْ مَا فَعَلْتُمْ جَاءَكُمْ أَمْرٌ بِهِ
 مِنْ رَبِّكُمْ عَنْ صَاحِبِ التَّيْبَانِ
 أَوْ هَلْ آتَىٰ مِنْ قُدْوَةٍ فِي الدِّينِ مِنْ
 صَاحِبِ النَّبِيِّ وَتَابِعِ الْإِحْسَانِ
 وَهَذَا لَكُمْ عِنْدِي نَصِيحَةٌ مُخْلِصٌ
 لَا يَمْتَرِي فِيهَا يَقُولُ اثْنَانِ
 أَنْ تَأْخُذُوا بِالْإِحْتِيَاطِ لِأَمْرِكُمْ
 قَبْلَ الْخُلُودِ بِمَوْقِدِ النَّيِّرَانِ
 إِنْ كَانَ مَا تَأْتُونَ لَيْسَ بِوَاجِبِ
 وَالشِّرْكَ تَحْشِي لَدَى الْإِتْيَانِ
 فَالْإِبْتِعَادُ عَنِ الْمَخُوفِ مُقَدَّمٌ
 عَقْلًا عَلَى الْأَقْدَامِ لِلْإِنْسَانِ

خَاتَمَةٌ وَنِدَاءٌ لِلْعُلَمَاءِ

يَا مَعْشَرَ الْعُلَمَاءِ لَبُّوا دَعْوَةَ
 تُعَلِّي مَقَامَكُمْ عَلَى كَيْوَانِ

يَا مَعْشَرَ الْعُلَمَاءِ هُبُوا هَبَّةً
قَدْ طَالَ نَوْمُكُمْ إِلَى ذَا الْآنِ
يَا مَعْشَرَ الْعُلَمَاءِ قُومُوا قَوْمَةً
لِلَّهِ تُعَلِّي كَلِمَةَ الْإِيمَانِ
يَا مَعْشَرَ الْعُلَمَاءِ عَزِمَةَ صَادِقٍ
مُتَجَرِّدٍ لِلَّهِ غَيْرَ جَبَانٍ
يَا مَعْشَرَ الْعُلَمَاءِ أَنْتُمْ مُلْتَجَا
لِلدِّينِ عِنْدَ تَفَاقُمِ الْحَدَثَانِ
يَا مَعْشَرَ الْعُلَمَاءِ كُونُوا قُدْوَةً
لِلنَّاسِ فِي الْإِسْلَامِ وَالْإِحْسَانِ
يَا مَعْشَرَ الْعُلَمَاءِ أَنْتُمْ حُجَّةٌ
لِلنَّاسِ فَادْعُوهُمْ إِلَى الْقُرْآنِ
يَا مَعْشَرَ الْعُلَمَاءِ إِنَّ سُكُوتَكُمْ
مِنْ حُجَّةِ الْجُهَالِ كُلِّ زَمَانٍ
يَا مَعْشَرَ الْعُلَمَاءِ لَا تَتَخَاذَلُوا
وَتَعَاوَنُوا فِي الْحَقِّ لَا الْعُدْوَانَ
وَتَجَرَّدُوا لِلَّهِ مِنْ أَهْوَائِكُمْ
وَدَعُوا التَّنَافُسَ فِي الْحُطَامِ الْفَانِي
وَتَعَاقَدُوا وَتَعَاهَدُوا أَنْ تَنْصُرُوا
مُتَعَاضِدِينَ شَرِيعَةَ الرَّحْمَنِ

كُونُوا بِحَيْثُ يَكُونُ نَضَبَ عُيُونِكُمْ
 نَضْرُ الْكِتَابِ وَسُنَّةَ الْإِيمَانِ
 قَدْ فَرَّقْتَنَا كَثْرَةَ الْأَرَءِ إِذْ
 صِرْنَا نُشَايِعُهَا بِلَا بُرْهَانَ
 وَمِنْ أَجْلِهَا صِرْنَا يُعَادِي بَعْضَنَا
 بَعْضًا بِلَا حَقِّ وَلَا مِيزَانَ
 وَعَهَدْتَ أُخُوَّةَ دِينِنَا مَقْطُوعَةً
 وَالظُّلْمَ مَعْرُوفَ عَنِ الْإِنْسَانِ
 وَاللَّهُ أَلْفَ بَيْنِنَا فِي دِينِهِ
 وَعَلَى التَّفَرُّقِ عَابَ فِي الْقُرْآنِ
 عُدُّوْنَا بِنَا لِسَمَاحَةِ الدِّينِ الَّذِي
 كُنَّا بِهِ فِي عِزَّةٍ وَصِيَانِ
 عُدُّوْنَا لِمَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْهُدَى
 أَسْلَافَكُمْ فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ
 فإِلَيْكُمْوَا تَتَطَلَّعُ الْأَنْظَارُ فِي
 تَوْجِيهِدِ كَلِمَتِنَا عَلَى الْإِيمَانِ
 فَاللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَنْصُرُهُ
 وَاللَّهُ يَخْذُلُ نَاصِرَ الشَّيْطَانِ

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِسُلُوكِ مَنَاجِحِ الْمُتَّقِينَ ، وَخَصَّنَا بِالتَّوْفِيقِ الْمُبِينِ ،
 وَاجْعَلْنَا بِفَضْلِكَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ،
 وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ
 اللَّهُمَّ أَرْزُقْنَا حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يَحُبُّكَ وَحُبَّ الْعَمَلِ الَّذِي يُقَرِّبُنَا إِلَى
 حُبِّكَ وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لِلْقِيَامِ بِحَقِّكَ وَخَلِّصْنَا مِنْ حُقُوقِ
 خَلْقِكَ وَرَضْنَا بِالْيُسَيْرِ مِنْ رِزْقِكَ يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ دَاعٍ وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ

راج ، يا قاضي الحاجات ومُجيب الدعوات هَبْ لَنَا مَا سَأَلْنَاهُ وَحَقَّقْ رُجَاءَنَا
فِيمَا تَمَنِينَاهُ يَا مَنْ يَمْلِكُ حَوَائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ مَا فِي صُدُورِ الصَّامِتِينَ
أَذَقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَحَلَاوَةَ مَغْفِرَتِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ) وقال الامامُ ابنُ حزمٍ : وَبُرْهَانَ ضَرُورِيٍّ لِمَنْ تَدَبَّرَهُ حِسِّيٌّ لَا مَحِيدَ
عَنَّهُ وَهُوَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى إِلَى قَوْمٍ لِقَاحٍ لَا يُطِيعُونَ
لِأَحَدٍ وَلَا يَنْقَادُونَ لِرَيْسٍ نَشَأَ عَلَى هَذَا آبَاؤُهُمْ وَأَجْدَادُهُمْ وَأَسْلَافُهُمْ مِنْذُ
أُلُوفٍ مِنَ الْأَعْوَامِ قَدْ سَرَى الْفَخْرُ وَالْعِزُّ وَالنُّخُوَّةُ وَالْكِبْرُ وَالظُّلْمُ وَالْأَنْفَةُ فِي
طِبَاعِهِمْ وَهُمْ أَعْدَادٌ عَظِيمَةٌ مَلَأُوا جَزِيرَةَ الْعَرَبِ وَهِيَ نَحْوُ شَهْرَيْنِ فِي
شَهْرَيْنِ قَدْ صَارَتْ طِبَاعُهُمْ طِبَاعَ السَّبَاعِ وَهُمْ أُلُوفُ الْأُلُوفِ قَبَائِلُ وَعَشَائِرُ
يَتَعَصَّبُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَبَدًا فَدَعَاؤُهُمْ بِلَا مَالٍ وَلَا أَتْبَاعٍ - بَلْ خَذَلَهُ قَوْمُهُ -
إِلَى أَنْ يَنْحَطُّوا مِنْ ذَلِكَ الْعِزِّ إِلَى غُرْمِ الزَّكَاةِ .

وَمِنْ الْحُرِيَّةِ وَالظُّلْمِ إِلَى جَرِيِ الْأَحْكَامِ عَلَيْهِمْ وَمِنْ طُولِ الْأَيْدِيِ
بِقَتْلِ مَنْ أَحَبُّوا وَأَخَذِ مَالٍ مَنْ أَحَبُّوا إِلَى الْقِصَاصِ مِنَ النَّفْسِ وَمِنْ قَطْعِ
الْأَعْظَاءِ وَمِنْ اللَّطْمَةِ مِنْ أَجْلِ مَنْ فِيهِمْ لِأَقَلِّ عِلْجٍ غَرِيبٍ دَخَلَ فِيهِمْ وَإِلَى
إِسْقَاطِ الْأَنْفَةِ وَالْفَخْرِ إِلَى ضَرْبِ الظُّهُورِ بِالسِّيَاطِ وَبِالنَّعَالِ إِنْ شَرِبُوا خَمْرًا
أَوْ قَذَفُوا إِنْسَانًا .

وإلى الضَّرْبِ بِالسُّوْطِ وَالرَّجْمِ بِالْحِجَارَةِ إِلَى أَنْ يَمُوتُوا إِنْ زَنُوا
فَانْقَادَ أَكْثَرُهُمْ لِكُلِّ ذَلِكَ طَوْعًا بِلَا طَمَعٍ وَلَا غِلْبَةٍ وَلَا خَوْفٍ مَا مِنْهُمْ
أَحَدٌ أَخَذَ بِغِلْبَةٍ إِلَّا مَكَّةَ وَخَيْبَرَ فَقَطْ وَمَا غَزَا قَطْ غَزْوَةً يُقَاتِلُ فِيهَا إِلَّا تِسْعَ
غَزَوَاتٍ بَعْضُهَا عَلَيْهِ وَبَعْضُهَا لَهُ . فَصَحَّ ضَرُورَةُ أَنَّهُمْ إِنَّمَا آمَنُوا طَوْعًا لَا
كُرْهًا .

وَتَبَدَّلَتْ طَبَائِعُهُمْ بِقُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الظُّلْمِ إِلَى العَدْلِ وَمِنَ الجَهْلِ إِلَى العِلْمِ وَمِنَ الفِسْقِ وَالْقَسْوَةِ إِلَى العَدْلِ العَظِيمِ الَّذِي لَمْ يَبْلُغْهُ أَكْبَرُ الفَلَاسِفَةِ وَأَسْقَطُوا كُلَّهُمْ أَوْلَهُمْ عَن آخِرِهِمْ طَلَبَ الثَّأْرَ وَصَحِبَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ قَاتِلَ ابْنِهِ وَأَبِيهِ وَأَعَدَى النَّاسَ لَهُ صُحْبَةَ الأَخْوَةِ المُتَحَابِّينَ دُونَ خَوْفٍ يَجْمَعُهُمْ وَلَا رِيَّاسَةَ يَنْفَرُدُونَ بِهَا دُونَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ غَيْرِهِمْ وَلَا مَالٍ يَتَعَجَّلُونَهُ فَقَدْ عَلَّمَ النَّاسَ كَيْفَ كَانَتْ سِيْرَةُ أَبِي بَكْرٍ وَعَمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَكَيْفَ كَانَتْ طَاعَةُ العَرَبِ لَهُمَا بِلَا رِزْقٍ وَلَا عَطَاءٍ وَلَا غَلْبَةٍ .

فَهَلْ هَذَا إِلَّا بِغَلْبَةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى نَفْسِهِمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ لَوْ أَنفَقْتُ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَا آَلَفْتُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ آَلَفَ بَيْنَهُمْ ﴾ ثُمَّ بَقِيَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَذَلِكَ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ بِلَا حَارِسٍ وَلَا دِيْوَانٍ جُنْدٍ وَلَا بَيْتِ مَالٍ مَحْرُوساً مَعْصُوماً .

وقال ابنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللهُ أَيْضاً قَبْلَ ذَلِكَ : كَانَتْ العَرَبُ بِلَا خِلَافٍ قَوْمًا لِقَاحًا لَا يَمْلِكُهُمْ أَحَدٌ كَمْضَرَ وَرَبِيعَةَ وَإِيَادَ وَقُضَاعَةَ أَوْ مُلُوكًا فِي بِلَادِهِمْ يَتَوَارَثُونَ المُلْكَ كَابِرًا عَن كَابِرٍ كَمُلُوكِ اليَمَنِ وَعُمَانِ وَشَهْرِ بْنِ أَرَامِ مَلِكِ صَنْعَا وَالمُنْدَرِ بْنِ سَاوَى مَلِكِ البَحْرَيْنِ وَالثَّجَاشِيِّ مَلِكِ الحَبَشَةِ وَجَيْفَرِ وَعِيَاذِ ابْنِي الجَلْنُودِيِّ وَمَلِكِي عُمَانَ فَانْقَادُوا كُلُّهُمْ لِظُهُورِ الحَقِّ وَبُهْورِهِ وَآمَنُوا بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَوْعًا وَهُمْ آَلَفُ آَلَفٍ وَصَارُوا إِخْوَةً كَبْنِي أَبِي وَأُمِّ وَأَنْحَلَّ كُلُّ مَنْ أَمَكَّنَهُ الانْجِلَالُ عَن مُلْكِهِ مِنْهُمْ إِلَى رُسُلِهِ طَوْعًا بِلَا خَوْفٍ غَزْوٍ وَلَا إِعْطَاءِ مَالٍ وَلَا طَمَعٍ فِي عِزِّ بَلِّ كُلِّهِمْ أَقْوَى جَيْشًا مِن جَيْشِهِ وَأَكْثَرَ مَالًا وَسِلَاحًا مِنْهُ وَأَوْسَعَ بَلْدًا مِن بَلْدِهِ كَذِي الكَلَاعِ وَكَانَ مَلِكًا مُتَوَجِّحًا ابْنِ مُلُوكٍ مُتَوَجِّحِينَ تَسْجُدُ لَهُ جَمِيعُ رَعِيَّتِهِ يَرْكُبُ أَمَامَهُ

أَلْفُ عَبْدٍ مِنْ عَيْبِهِ سِوَى بَنِي عَمِّهِ مِنْ حَمِيرٍ وَذِي ظَلِيمٍ وَذِي زُودٍ وَذِي مُرَانَ وَذِي عَمْرٍ وَغَيْرِهِمْ كُلُّهُمْ مُلُوكٌ مُتَوَجُّونَ فِي بِلَادِهِمْ .

هَذَا كُلُّهُ أَمْرٌ لَا يَجْهَلُهُ أَحَدٌ مِنْ حَمَلَةِ الْأَخْبَارِ بَلْ هُوَ مُنْقُولٌ كُنْتَلُ كَوْنِ بِلَادِهِمْ فِي مَوَاضِعِهَا وَهَكَذَا كَانَ اسْلَامُ جَمِيعِ الْعَرَبِ أَوْلَاهُمْ كَالْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ ثُمَّ سَائِرِهِمْ قَبِيلَةٌ قَبِيلَةٌ لِمَا ثَبَتَ عِنْدَهُمْ مِنْ آيَاتِهِ وَبَهْرُهُمْ مِنْ مُعْجَزَاتِهِ وَمَا اتَّبَعَهُ الْأَوْسُ وَالخَزْرَجُ إِلَّا وَهُوَ فَرِيدٌ نَابِذُهُ قَوْمُهُ حَسَدًا لَهُ .

إِذْ كَانَ فَقِيرًا يَتِيمًا أُمِيًّا لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ نَشَأَ فِي بِلَادِ الْجَهْلِ وَالْجَاهِلِيَّةِ يَرْعَى غَنَمَ قَوْمِهِ يَتَّقُونَ بِهَا فَعَلِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى الْحِكْمَةَ دُونَ مُعَلِّمٍ وَعَصَمَهُ مِنْ كُلِّ مَنْ أَرَادَهُ بِلا حَرْسٍ وَبِلا حَاجِبٍ وَبِلا بَوَّابٍ وَلَا قَصْرِ يَمْتَنِعُ فِيهِ عَلَى كَثْرَةِ مَنْ أَرَادَ قَتْلَهُ مِنْ شُجْعَانِ الْعَرَبِ وَفُتَاكِهِمْ كَعَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ وَأَرْبَدِ بْنِ جُزْءٍ وَعُغُورِثِ بْنِ الْحَارِثِ وَغَيْرِهِمْ مَعَ اقْتِرَارِ أَعْدَائِهِ بِنُبُوَّتِهِ كَمَسِيلِمَةَ وَسَجَاحٍ وَطَلِيحَةَ وَالْأَسْوَدَ وَهُوَ مُكَذِّبٌ لَهُمْ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا بُرْهَانٌ أَوْ بَعْدَ هَذِهِ الْكِفَايَةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى كِفَايَةٌ وَهُوَ لَا يَبْغِي دُنْيَا وَلَا يَمْنِي بِهَا مَنْ اتَّبَعَهُ بَلْ أَنْذَرَ الْانصَارَ بِالْأَثَرَةِ عَلَيْهِمْ بَعْدَهُ وَتَابَعُوهُ عَلَى الصَّبْرِ عَلَى ذَلِكَ .

قَامَ لَهُ أَصْحَابُهُ عَلَى قَدَمٍ فَمَنَعُهُمْ وَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ الْفَيْيَامَ لِلَّهِ تَعَالَى لَا لِخَلْقِهِ وَرَضُوا بِالسُّجُودِ لَهُ فَاسْتَعْظَمَ ذَلِكَ وَأَنْكَرَهُ إِلَّا لِلَّهِ وَحْدَهُ .

وَلَا شَكُّ فِي أَنَّ هَذِهِ لَيْسَتْ صِفَةً طَالِبِ دُنْيَا قَطُّ أَصْلًا وَلَا صِفَةً رَاجِبٍ فِي غَلْبَةٍ وَلَا بَعْدَ صَوْتِ بَلْ هَذِهِ حَقِيقَةُ النَّبُوَّةِ الْخَالِصَةِ لِمَنْ كَانَ لَهُ أَدْنَى فَهْمٍ .

ثُمَّ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ حَزْمٍ وَأَيْضاً فَإِنَّ سِيرَةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَنْ تَدَبَّرَهَا تَقْتَضِي تَصَدِيقَهُ ضَرُورَةً وَتَشْهَدُ لَهُ بِأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقّاً فَلَوْ لَمْ تَكُنْ لَهُ مُعْجِزَةٌ غَيْرُ سِيرَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكَفَى وَذَلِكَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ نَشَأَ كَمَا قُلْنَا فِي بِلَادِ الْجَهْلِ لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ وَلَا خَرَجَ عَنْ تِلْكَ الْبِلَادِ قَطُّ إِلَّا خَرَجْتَيْنِ .

إِحْدَاهُمَا إِلَى الشَّامِ وَهُوَ صَبِيٌّ مَعَ عَمِّهِ إِلَى أَوَّلِ أَرْضِ الشَّامِ وَرَجَعَ وَالْأُخْرَى أَيْضاً إِلَى أَوَّلِ الشَّامِ وَلَمْ يَطَّلْ بِهَا الْبَقَاءَ وَلَا فَارَقَ قَوْمَهُ قَطُّ ثُمَّ أَوْطَأَهُ اللَّهُ تَعَالَى رِقَابَ الْعَرَبِ كُلَّهَا فَلَمْ تَتَّعَيَّرْ نَفْسُهُ وَلَا حَالَتْ سِيرَتُهُ إِلَى أَنْ مَاتَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ فِي شَعِيرِ لِقُوتِ أَهْلِهِ .

أَصْوَاعٌ لَيْسَتْ بِالكَثِيرَةِ وَلَمْ يَبْتَ قَطُّ فِي مَلِكِهِ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ وَكَانَ يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ مَا وَجَدَ وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ بِيَدِهِ وَيَرْقُعُ ثَوْبَهُ وَيُؤَثِّرُ عَلَى نَفْسِهِ وَقَتْلَ رَجُلٍ مِنْ أَفَاضِلِ أَصْحَابِهِ مِثْلُ فَقْدِهِ يَهْدُ عَسْكَراً قُتِلَ بَيْنَ أَظْهُرِ أَعْدَائِهِ مِنَ الْيَهُودِ فَلَمْ يَتَسَبَّبْ إِلَى أَدَى أَعْدَائِهِ بِذَلِكَ إِذْ لَمْ يُوجِبِ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ ذَلِكَ وَلَا تَوَصَّلَ بِذَلِكَ إِلَى دِمَائِهِمْ وَلَا إِلَى دَمٍ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَلَا إِلَى أَمْوَالِهِمْ بَلْ فَدَاهُ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ بِمَائَةِ نَاقَةٍ .

وَهُوَ فِي تِلْكَ الْحَالِ مُحْتَاجٌ إِلَى بَعِيرٍ وَاحِدٍ يَتَّقَوِي بِهِ وَهَذَا أَمْرٌ لَا تَسْمَحُ بِهِ نَفْسُ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الْأَرْضِ وَأَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَصْحَابِ بُيُوتِ الْأَمْوَالِ بَوَجْهِ مِنَ الْوُجُوهِ وَلَا يَقْتَضِي هَذَا أَيْضاً ظَاهِرُ السِّيَرَةِ وَالسِّيَاسَةِ فَصَحَّ يَقِيناً بِلَا شَكٍّ أَنَّهُ إِنَّمَا كَانَ مُتَّبِعاً مَا أَمَرَ بِهِ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ سِوَاءَ كَانَ ذَلِكَ مُضْراً بِهِ فِي دُنْيَاهُ غَايَةَ الْإِضْرَارِ أَوْ كَانَ غَيْرَ مُضْراً بِهِ وَهَذَا عَجِيبٌ لِمَنْ تَدَبَّرَهُ .

ثُمَّ حَضَرَتْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَنِيَّةُ وَأَيَقَنَ بِالْمَوْتِ وَلَهُ عَمٌّ أَخُو
 أَبِيهِ هُوَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْهِ وَابْنٌ عَمِّ هُوَ مِنْ أَحْصَى النَّاسِ بِهِ وَهُوَ أَيْضاً زَوْجُ
 ابْنَتِهِ وَكِلَاهُمَا عِنْدَهُ مِنَ الْفَضْلِ وَالذِّينِ وَالسِّيَاسَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْبَأْسِ وَالْحِلْمِ
 وَخِلَالِ الْخَيْرِ مَا كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَقِيقاً بِسِيَاسَةِ الْعَالَمِ كُلِّهِ فَلَمْ
 يُحَابِهَمَا وَهَمَّا مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ مَحَبَّةً فِيهِ وَهُوَ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ فِيهِمَا .

إِذْ كَانَ غَيْرُهُمَا مُتَقَدِّماً لَهُمَا فِي الْفَضْلِ قَاصِداً اتِّبَاعَ مَا أَمَرَ بِهِ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَلَمْ يُورِثْ وَرَثَتَهُ وَابْنَتَهُ وَنِسَاءَهُ وَعَمَّهُ فَلَسَأَ فَمَا فَوْقَهُ وَهُمْ كُلُّهُمْ أَحَبُّ
 النَّاسِ إِلَيْهِ وَأَطْوَعُهُمْ لَهُ ، وَهَذِهِ أُمُورٌ لِمَنْ تَأَمَّلَهَا كَافِيَةٌ مُغْنِيَةٌ فِي أَنَّهُ إِنَّمَا
 تَصَرَّفَ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ لَا بِسِيَاسَةٍ وَلَا بِهَوَى فَوْضَحَ بِمَا ذَكَرْنَا وَلِلَّهِ
 الْحَمْدُ كَثِيراً أَنْ نُبَوِّءَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقِّ وَأَنَّ شَرِيعَتَهُ الَّتِي
 أَتَى بِهَا هِيَ الَّتِي وَضَحَتْ بَرَاهِينُهَا وَاضْطَرَّتْ دَلَائِلُهَا إِلَى تَصْدِيقِهَا
 وَالْقَطْعِ عَلَى أَنَّهَا الْحَقُّ الَّذِي لَا حَقَّ سِوَاهُ وَأَنَّهَا دِينُ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي لَا
 دِينَ لَهُ فِي الْعَالَمِ غَيْرُهُ إِنَّتَهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

هذه قصيدة جميلة أزلنا ما فيها من الغلوِّ وَعَوَّضْنَا عَنْهُ مَا بَيْنَ الْأَقْوَاسِ:

كَأَنَّ نُجُوماً أَوْ مَضَتْ فِي الْغِيَابِ
 عِيُونُ الْأَفَاعِي أَوْ رُؤُوسُ الْعَقَارِبِ
 إِذَا كَانَ قَلْبُ الْمَرْءِ فِي الْأَمْرِ حَائِراً
 فَأَضْيَقُ مِنْ تَسْعِينِ رَحْبُ السَّبَاسِبِ
 وَتَشْغَلُنِي عَنِّي وَعَنْ كُلِّ رَاحَتِي
 مَصَائِبُ تَقْفُوا مِثْلَهَا فِي الْمَصَائِبِ

إِذَا مَا أَتَيْتَنِي أَزْمَةً مُدْلِهَمَّةً
 تُحِيطُ بِنَفْسِي مِنْ جَمِيعِ الْجَوَانِبِ
 تَطَلَّبْتُ هَلْ مِنْ نَاصِرٍ أَوْ مُسَاعِدٍ
 أَلُوذُ بِهِ مِنْ خَوْفِ سُوءِ الْعَوَاقِبِ
 « فَلَسْتُ أَرَى إِلَّا الَّذِي فَلَقَ النَّوَى
 هُوَ الْوَاحِدُ الْمُعْطِي كَثِيرُ الْمَوَاهِبِ »
 « وَمُعْتَصِمُ الْمَكْرُوبِ فِي كُلِّ غَمْرَةٍ
 وَمُنْتَجِعُ الْغُفْرَانِ مِنْ كُلِّ هَائِبِ »
 « مُجِيبُ دَعَا الْمُضْطَّرِّ عِنْدَ دُعَائِهِ
 وَمُنْقِذُهُ مِنْ مُغْضِلَاتِ النَّوَابِ »
 « مُعِيدُ الْوَرَى فِي زَجْرَةٍ بَعْدَ مَوْتِهِمْ
 لِفَصْلِ حُقُوقِ بَيْنَهُمْ وَمَطَالِبِ »
 فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَصِيبِ تَرَى الْوَرَى
 سُكَارَى وَلَا سُكَّرَ بِهِمْ مِنْ مَشَارِبِ
 حَفَاءَ عَرَاءَ خَاشِعِينَ لِرَبِّهِمْ
 فَيَا وَيْحَ ذِي ظُلْمٍ رَهِينِ الْمَطَالِبِ
 فَيَأْتُوا لِنُوحٍ وَالْحَلِيلِ وَأَدَمِ
 وَمُوسَى وَعِيسَى عِنْدَ تِلْكَ الْمَتَاعِبِ
 لَعَلَّهُمْ أَنْ يَشْفَعُوا عِنْدَ رَبِّهِمْ
 لِتَخْلِيصِهِمْ مِنْ مُغْضِلَاتِ الْمَصَاعِبِ
 فَمَا كَانَ يُعْنِي عَنْهُمْ عِنْدَ هَذِهِ
 نَبِيٍّ وَلَمْ يُظْفِرْهُمْ بِالْمَارِبِ
 هُنَاكَ رَسُولُ اللَّهِ يَأْتِي لِرَبِّهِ
 لِيَشْفَعَ لِتَخْلِيصِ الْوَرَى مِنْ مَتَاعِبِ

فَيرْجِعُ مَسْرُوراً يَنْبِلُ طَلابِهِ
أَصَابَ مِنَ الرَّحْمَنِ أَعْلَى الْمَرَاتِبِ
سَلَالَةَ إِسْمَاعِيلَ وَالْعِرْقُ نَارِعُ
وَأَشْرَفُ يَتِيٍّ رَمَنَ لُؤْيِ بْنِ غَالِبِ
بَشَارَةَ عَيْسَى وَالَّذِي عَنْهُ عَبَّرُوا
بِشِدَّةِ بَأْسِ بِالضُّحُوكِ الْمُحَارِبِ
وَمَنْ أُخْبِرُوا عَنْهُ بِأَنْ لَيْسَ خُلُقُهُ
بِقَظٍ وَفِي الْأَسْوَاقِ لَيْسَ بِصَاحِبِ
وَدَعْوَةٍ إِبْرَاهِيمَ عِنْدَ بَنَائِهِ
بِمَكَّةَ يَتِيّاً فِيهِ نَيْلُ الرَّغَائِبِ
جَمِيلُ الْمُحَيَّا أَيْضُ الْوَجْهِ رُبْعَةٌ
جَلِيلُ كَرَادِيسِ أَرْجُ الْحَوَاجِبِ
صَبِيحٌ مَلِيحٌ أَدْعَجُ الْعَيْنِ أَشْكَلُ
فَصَبِيحٌ لَهُ الْإِعْجَامُ لَيْسَ بِشَائِبِ
وَأَحْسَنُ خَلْقِ اللَّهِ خُلُقاً وَخِلَقَةً
وَأَنْفَعُهُمُ لِلنَّاسِ عِنْدَ النَّوَائِبِ
وَأَجْوَدُ خَلْقِ اللَّهِ صَدْرًا وَنَائِلًا
وَأَبْسَطُهُمْ كَفَاءً عَلَى كُلِّ طَالِبِ
وَأَعْظَمُ حُرًّا لِلْمَعَالِي نُهُوضُهُ
إِلَى الْمَجْدِ سَامٍ لِلْعِظَائِمِ خَاطِبِ
تَرَى أَشْجَعَ الْفُرْسَانَ لَأَذَ بِيظَهْرِهِ
إِذَا أَحْمَرَ بَأْسٌ فِي بَيْسِ الْمَوَاجِبِ
وَأَذَاهُ قَوْمٌ مِنْ سَفَاهَةِ عَقْلِهِمْ
وَلَمْ يَذْهَبُوا مِنْ دِينِهِ بِمَذَاهِبِ

فَمَا زَالَ يَدْعُو رَبَّهُ لِيَهْدَاهُمْ
وَأِنْ كَانَ قَدْ قَاسَى أَشَدَّ الْمَتَاعِ
وَمَا زَالَ يَغْفُو قَادِرًا مِنْ مُسِيئِهِمْ
كَمَا كَانَ مِنْهُ عِنْدَ جَبْدَةِ جَاذِبِ
وَمَا زَالَ طَوَّلَ الْعُمُرِ لِلَّهِ مُعْرِضًا
عَنِ الْبَسْطِ فِي الدُّنْيَا وَعَيْشِ الْمَزَارِبِ
بَدِيعُ كَمَالٍ فِي الْمَعَالِي فَلَا أَمْرٍ
يَكُونُ لَهُ مِثْلًا وَلَا بِمُقَارِبِ
أَتَانَا مُقِيمَ الدِّينِ مِنْ بَعْدِ فِتْرَةٍ
وَتَحْرِيفِ أَدْيَانِ وَطُولِ مَشَاغِبِ
فِيَا وَيْلَ قَوْمٍ يُشْرِكُونَ بِرَبِّهِمْ
وَفِيهِمْ صُنُوفٌ مِنْ وَخِيمِ الْمَثَلِ
وَدِينُهُمْ مَا يَفْتَرُونَ بِرَأْيِهِمْ
كَتَحْرِيمِ حَامٍ وَاخْتِرَاعِ السَّوَابِ
وَيَا وَيْلَ قَوْمٍ حَرَفُوا دِينَ رَبِّهِمْ
وَأَفْتَوْا بِمَصْنُوعٍ لِحِفْظِ الْمَنَاصِبِ
وَيَا وَيْلَ مَنْ أَطْرَى بِوَصْفِ نَبِيِّهِ
فَسَمَاهُ رَبَّ الْخَلْقِ إِطْرَاءَ خَائِبِ
وَيَا وَيْلَ قَوْمٍ قَدْ أَبَارَ نُفُوسَهُمْ
تَكْلُفُ تَزْوِيقِ وَحُبِّ الْمَلَاعِبِ
وَيَا وَيْلَ قَوْمٍ قَدْ أَحَفَّ عُقُولَهُمْ
تَجَبُّرُ كِسْرَى وَاصْطِلَامُ الضَّرَائِبِ
فَادْرَكَهُمْ فِي ذَلِكَ رَحْمَةٌ رَبَّنَا
وَقَدْ أُوجِبُوا مِنْهُ أَشَدَّ الْمَعَائِبِ

فَأَرْسَلَ مِنْ عَلِيًّا قُرَيْشَ نَبِيَّهُ
وَلَمْ يَكُ فِيهَا قَدْ بَلَّوهُ بِكَادِبِ
وَمِنْ قَبْلِ هَذَا لَمْ يُخَالِطْ مَدَاسَ آلِ
يَهُودٍ وَلَمْ يَقْرَأْ لَهُمْ حِطًّا كَاتِبِ
فَأَوْضَحَ مِنْهَا جَ الْهُدَى لِمَنْ اهْتَدَى
وَمَنْ بَتَعْلِيمِ عَلَى كُلِّ رَاغِبِ
وَأَخْبَرَ عَنِ بَدْءِ السَّمَاءِ لَهُمْ وَعَنْ
مَقَامِ مَخُوفِ بَيْنَ أَيْدِي الْمُحَاسِبِ
وَعَنْ حُكْمِ رَبِّ الْعَرْشِ فِيهَا يُعِينُهُمْ
وَعَنْ حِكْمِ تَرْوِي بِحُكْمِ التَّجَارِبِ
وَأَبْطَلَ أَصْنَافَ الْخَنَى وَأَبَادَهَا
وَأَصْنَافَ بَعِي لِلْعُقُوبَةِ جَالِبِ
وَبَشَّرَ مَنْ أُعْطِيَ الرَّسُولَ قِيَادَةَ
بِحَنَةِ تَنْعِيمِ وَحُورِ كَوَاعِبِ
وَأَوْعَدَ مَنْ يَأْبَى عِبَادَةَ رَبِّهِ
عُقُوبَةَ مِيزَانٍ وَعَيْشَةَ قَاطِبِ
فَأَنْجَى بِهِ مَنْ شَاءَ رَبِّي نَجَاتَهُ
وَمَنْ حَابَ فَلْتَنْدِبُهُ شَرُّ النُّوَادِبِ
فَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ عَبْدَهُ
بِحَقِّي وَلَا شَيْءَ هُنَاكَ بِرَائِبِ
وَقَدْ كَانَ نُورُ اللَّهِ فِيْنَا لِمُهْتَدِ
وَصِمَصَامُ تَدْمِيرِ عَلَى كُلِّ نَاكِبِ
وَأَقْوَى دَلِيلِ عِنْدَ مَنْ تَمَّ عَقْلُهُ
عَلَى أَنْ شَرِبَ الشَّرْعَ أَصْفَى الْمَشَارِبِ

تَوَاطَىءُ عُقُولٍ فِي سَلَامَةِ فِكْرِهِ
عَلَى كُلِّ مَا يَأْتِي بِهِ مِنْ مَطَالِبِ
سَمَاحَةٍ شَرَعٍ فِي رَزَائِنَةِ شِرْعَةٍ
وَتَحْقِيقِ حَقِّ فِي إِشَارَةِ حَاجِبِ
مَكَارِمِ أَخْلَاقٍ وَإِتْمَامِ نِعْمَةٍ
نُبُوَّةِ تَأْلِيفِ وَسُلْطَانِ غَالِبِ
نُصَدِّقُ دِينَ الْمُصْطَفَى بِقُلُوبِنَا
عَلَى بَيِّنَاتٍ فَهْمُهَا مِنْ غَرَائِبِ
بَرَاهِينِ حَقِّ أَوْضَحَتْ صِدْقَ قَوْلِهِ
رَوَاهَا وَيُرْوِي كُلَّ شَيْءٍ وَشَائِبِ
وَمِنْ ذَاكَ كَمْ أُعْطِيَ الطَّعَامَ لِجَائِعِ
وَكَمْ مَرَّةً أَسْقَى الشَّرَابَ لِشَارِبِ
وَكَمْ مِنْ مَرِيضٍ قَدْ شَفِي مِنْ دُعَائِهِ
وَإِنْ كَانَ قَدْ أَشْفَى لَوْجِبَةَ وَاجِبِ
وَدَرَّتْ لَهُ شَاةٌ لَدَى أُمَّ مَعْبِدِ
حَلِيئاً وَلَا تَسْطَاعُ حَلَبَةَ حَالِبِ
وَقَدْ سَاحَ فِي أَرْضِ حِصَانِ سُرَاقَةٍ
وَفِيهِ حَدِيثٌ عَنْ بَرَاءِ بْنِ عَازِبِ
وَقَدْ فَاحَ طَيْباً كَفُّ مَنْ مَسَّ كَفَّهُ
وَمَاحَلَ رَأْساً حَبْسُ شَيْبِ الدَّوَابِ
وَأَلْقَى شَقِيَّ القَوْمِ فَرْتٌ جَزُورِهِمْ
عَلَى ظَهْرِهِ وَاللَّهُ لَيْسَ بِعَازِبِ
فَأَلْقُوا بِبَدْرِ فِي قَلْبِ مُحَبَّبِ
وَعَمَّ جَمِيعَ القَوْمِ شَوْمُ المَدَاعِبِ

وَأَخْبَرَ أَنْ أُعْطَاهُ مَوْلَاهُ نُصْرَةً
 وَرُغْبًا إِلَى شَهْرِ مَسِيرَةٍ سَارِبٍ
 فَأَوْفَاهُ وَعَدَّ الرَّغْبَ وَالنُّصْرَ عَاجِلًا
 وَأَعْطَى لَهُ فَتَحَ التَّبُوكِ وَمَارِبِ
 وَأَخْبَرَ عَنْهُ أَنَّ سَيَّلُغُ مُلْكُهُ
 إِلَى مَا رَأَى مِنْ مَشْرِقِ وَمَغَارِبِ
 فَاسْتَبَلَ رَبُّ الْأَرْضِ بَعْدَ نَبِيِّهِ
 فَتُوحًا تُوَارَى مَالَهَا مِنْ مَنَاقِبِ
 وَكَلَّمَهُ الْأَحْجَارُ وَالْعُجْمُ وَالْحَصَى
 وَتَكَلَّمَ هَذَا النَّوْعَ لَيْسَ بِرَائِبِ
 وَحَنَّ لَهُ الْجِدْعُ الْقَدِيمُ تَحْزُنًا
 فَإِنَّ فِرَاقَ الْحُبِّ أَذْهَى الْمَصَائِبِ
 وَأَعْجَبُ تِلْكَ الْبَدْرِ يَنْشُقُّ عِنْدَهُ
 وَمَا هُوَ فِي إِعْجَازِهِ مِنْ عَجَائِبِ
 وَشَقَّ لَهُ جَبْرِيلُ بَاطِنَ صَدْرِهِ
 لِيَعْسَلَ سَوَادِ السُّوَيْدَاءِ لِأَرْبِ
 وَأَسْرَى عَلَى مَثَنِ الْبُرَاقِ إِلَى السَّمَاءِ
 فَيَا خَيْرَ مَرْكُوبٍ وَيَا خَيْرَ رَاكِبِ
 وَرَاعَتْ بَلِيغُ الْآيِ كُلِّ مُجَادِلِ
 خَصِيمِ تَمَادَى فِي مِرَاءِ الْمَطَالِبِ
 بَرَاعَةً أَسْلُوبٍ وَعَجْزُ مُعَارِضِ
 بَلَاغَةَ أَقْوَالِ وَأَخْبَارِ غَائِبِ
 وَسَمَّاهُ رَبُّ الْخَلْقِ أَسْمَاءَ مِدْحَةٍ
 تُبَيِّنُ مَا أُعْطِيَ لَهُ مِنْ مَنَاقِبِ

رُؤُوفٌ رَحِيمٌ أَحْمَدٌ وَمُحَمَّدٌ
مُقَفًى وَمِفْضَالٌ يُسَمَّى بِعَاقِبِ
إِذَا مَا أَتَارُوا فِتْنَةً جَاهِلِيَّةً
يُقُودُ بِيَحْرٍ زَاخِرٍ مِنْ كِتَابِ
يَقُومُ لِدَفْعِ الْبَأْسِ أَسْرَعُ قَوْمِهِ
بِجَيْشٍ مِنَ الْأَبْطَالِ غُرِّ السَّلَاحِ
أَشِدَاءُ يَوْمَ الْبَأْسِ مِنْ كُلِّ بَاسِلٍ
وَمِنْ كُلِّ قَوْمٍ بِالْأَسِنَّةِ لَاعِبِ
تَوَارَتْ إِقْدَامًا وَتُبَلًا وَجُرَاءً
نُفُوسُهُمْ مِنْ أُمَّهَاتٍ نَجَائِبِ
جَزَى اللَّهُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
جَمِيعًا كَمَا كَانُوا لَهُ خَيْرَ صَاحِبِ
وَأَلَّ رَسُولَ اللَّهِ لَا زَالَ أَمْرُهُمْ
قَوِيماً عَلَى إِرْغَامِ أَنْفِ النَّوَاصِبِ
ثَلَاثُ خِصَالٍ مِنْ تَعَاجِبِ رَبَّنَا
نَجَابَةُ أَعْقَابِ لِيُوَالِدِ طَالِبِ
خِلَافَةُ عَبَّاسٍ وَدِينِ نَبِيِّنَا
تَزَايِدُ فِي الْأَفْطَارِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
يُؤَيِّدُ دِينَ اللَّهِ فِي كُلِّ دَوْرَةٍ
عَصَائِبُ تَتَلَوُ مِثْلَهَا مِنْ عَصَائِبِ
فَمِنْهُمْ رِجَالٌ يَدْفَعُونَ عَدُوَّهُمْ
بِسُمْرِ الْقَنَا وَالْمُرْهَفَاتِ الْقَوَاصِبِ
وَمِنْهُمْ رِجَالٌ يَغْلِبُونَ عَدُوَّهُمْ
بِأَقْوَى دَلِيلٍ مُفْجِعٍ لِلْمُغَاضِبِ

وَمِنْهُمْ رِجَالٌ بَيَّنُّوا شَرَعَ رَبَّنَا
 وَمَا كَانَ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ وَوَجِبٍ
 وَمِنْهُمْ رِجَالٌ يَدْرُسُونَ كِتَابَهُ
 بِتَجْوِيدٍ تَرْتِيلٍ وَحِفْظٍ مَرَاتِبٍ
 وَمِنْهُمْ رِجَالٌ فَسَّرُوهُ بِعِلْمِهِمْ
 وَهُمْ عَلَّمُونَا مَا بِهِ مِنْ غَرَائِبٍ
 وَمِنْهُمْ رِجَالٌ بِالْحَدِيثِ تَوَلَّعُوا
 وَمَا كَانَ فِيهِ مِنْ صَحِيحٍ وَذَاهِبٍ
 وَمِنْهُمْ رِجَالٌ مُخْلِصُونَ لِرَبِّهِمْ
 بِأَنْفُسِهِمْ خُصْبُ الْبِلَادِ الْأَجَابِ
 وَمِنْهُمْ رِجَالٌ يُهْتَدَى بِعِظَاتِهِمْ
 قِيَامًا إِلَى دِينٍ مِنَ اللَّهِ وَاصِبًا
 عَلَى اللَّهِ رَبِّ النَّاسِ حُسْنُ جَزَائِهِمْ
 بِمَا لَا يُؤَافِي عَدَّةَ ذَهْنٍ حَاسِبٍ
 فَمَنْ شَاءَ فَلْيَذْكُرْ جَمَالَ بُشَيْنَةَ
 وَمَنْ شَاءَ فَلْيَعِزِّلْ بِحُبِّ الرَّبَائِبِ
 سَادُّكَرُ حُبِّي لِلْحَبِيبِ مُحَمَّدٍ
 إِذَا وَصَفَ الْعُشَّاقِ حُبَّ الْحَبَائِبِ
 وَيَبْدُو مُحْيَاهُ لِعَيْنِي فِي الْكُرَى
 بِنَفْسِي أَفْدِيهِ إِذَا وَالْأَقَارِبِ
 وَتُذْرِكُنِي فِي ذِكْرِهِ قَشْعِرِيْرَةٌ
 مِنَ الْوَجْدِ لَا يَحْوِيهِ عِلْمُ الْأَجَابِ
 وَالْفِي لِرُوحِي عِنْدَ ذَلِكَ هَزَّةٌ
 وَأُنْسًا وَرَوْحًا فِيهِ وَثْبَةٌ وَائِبِ

وَأَنْتَ أَعْلَى الْمُرْسَلِينَ مَكَائَةً
 وَأَنْتَ لَهُمْ شَمْسٌ وَهُمْ كَالْتَّوَابِ
 وَصَلَّ إِلَهِي كُلَّمَا ذَرَّ شَارِقُ
 عَلَيَّ خَاتِمَ الرُّسُلِ الْكِرَامِ الْأَطَايِبِ

اللَّهُمَّ يَا مَنْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ وَبِقُدْرَتِهِ الَّتِي لَا
 يُعْجِزُهَا شَيْءٌ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . نَسْأَلُكَ أَنْ تَهْدِينَا إِلَى صِرَاطِكَ
 الْمُسْتَقِيمِ صِرَاطِ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ
 وَالصَّالِحِينَ وَأَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
 وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
 وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَضْلٌ »

ومن الأدلة والبراهين والقرائن الدالة على صدق الرسل كلهم ما ذكره
 صاحب البرهان القاطع رحمه الله:

فأولها أنهم من أعدل الناس طريقةً وأصدقهم لهجةً وأكثرهم وقاراً
 وأقلهم طيشاً. وأزهدهم في المال والجاه، وأرفضهم لحب الدعة والراحة. قد
 خُبروا على طول الزمن، واشتدت عليهم المحن، وإعتورت أحوالهم طوارق
 الفتن، وتفاقم في النكاية لهم كيد ذوي الإحن. فما لبت الشدائد منهم صلباً،
 ولا فترت المكاييد لهم عزماً بل كانوا كسبيكة الذهب وقلدة الياقوت. كلما
 إزدادت النار لها أكلاً إزدادت على طول السبك حسناً، لا حافوا في حكم على
 عدو، ولا شهدوا بغير الحق لصديق.

قام نوح عليه السلام ألف سنة إلا خمسين عاماً بين ظهراني قومه

وعشيرته، وحُمَايِهِ مِنَ الْعَدُوِّ وَمَلَاذِيهِ: فَتَابَذَهُمْ وَجَانِبَهُمْ وَضَلَّلَهُمْ وَكَفَّرَهُمْ،
 حتى كانوا يَضْرِبُونَهُ وَيُهَيِّنُونَهُ وَيُؤَذِّنُهُ بِأَنْوَاعِ الْأَذَى وَمِيقَاتُونَهُ، وَلَا يَحْصِلُ لَهُ
 بِذَلِكَ غَرَضٌ دُنْيَوِيٌّ وَلَا مَقْصَدٌ عَاجِلٌ، وَلَا لَهُ فِي ذَلِكَ هَوَى وَلَا شَهْوَةٌ.
 وهذا محمد صلى الله عليه وآله وسلم عَرَضَتْ عَلَيْهِ قَرِيشُ الْمَالِ وَالزَّوْجَةِ
 وَالجَاهِ وَالرِّيَاسَةِ وَيَتْرَكَ مَا يَدَّعِيهِ مِنْ تَسْفِيهِ حُلُومِ آبَائِهِ، وَتَعْنِيفِ الْأَحْيَاءِ وَالْمَيْتِينَ
 مِنْ عَشِيرَتِهِ. فَلَمْ يَرْفَعْ إِلَى كِلَامِهِمْ رَأْسًا، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى مَقَالَتِهِمْ أَصْلًا.
 وَمَا أَحْسَنَ آيَاتِ الْمَشْهُورِ:

وَرَأَوَدَتْهُ الْجِبَالُ الشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ عَنْ نَفْسِهِ فَأَرَاهَا أَيَّمَا شَمَمٍ
 وَكَمْ عَسَى أَنْ نَذَكَرَ مِنْ فِضَائِلِ لَا تُحْصَى، وَمَحَاسِنَ لَا تُسْتَفْصَى.

وثانيتها: معاداتهم لِقَرَابَاتِهِمْ، وَأَرْحَامِهِمْ الَّذِينَ جَلَبَتِ الطَّبَاعُ عَلَى مَحَبَّتِهِمْ،
 وَعَلَى رَجَاءِ الْإِسْتِنصَارِ لَهُمْ بِحَيْثُ تَرَكُوا مَنَاهِجَ آبَائِهِمْ الَّتِي وَلَّعَ الطَّبِيعُ بِإِتْبَاعِهَا
 وَعَادُوا عَشِيرَتَهُمْ الَّتِي يُتَّقَى مِنْ كُلِّ عَدُوٍّ بِمَحَامَاتِهَا وَلَقُوا فِي الصَّبْرِ عَنْهُمْ
 الْحُتُوفَ وَوَقَعُوا فِي الدُّنْيَا لِذَلِكَ فِي أَعْظَمِ مَخُوفٍ.

هذا نوح عليه السلام تَرَكَ ابْنَهُ وَفَلَذَةَ كَبِيدِهِ وَمَاءَ سَوَادِ عَيْنَيْهِ وَرَيْحَانَةَ
 قُوَادِيهِ يَغْرِقُ مَعَ الْغُرَقَى وَاسْتَغْفَرَ مِنْ دُعَائِهِ أَنْ لَا يَهْلِكَ مَعَ الْهَلَكَى، وَهَذَا
 إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَبَرَّأَ مِنْ أَبِيهِ لَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ وَعِزَمَ عَلَى ذَنْبٍ وَوَلَدِهِ
 الَّذِي هُوَ قُرَّةُ عَيْنِهِ وَمُزْنَةُ غَيْبِهِ وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَأَعَزَّهُمْ عَلَيْهِ.

وهذا محمد ﷺ الَّذِي شَهِدَ الْعَدُوُّ وَالصَّدِيقُ بِأَنَّهُ أَبْرُ الْخَلْقِ بِعَامَةِ أُمَّتِهِ دَغِ
 عَنْكَ خَاصَّةً رَحَامَتِهِ، حَتَّى إِنَّ اللَّهَ عَاتَبَهُ عَلَى كَثْرَةِ رَحْمَتِهِ فَقَالَ «فَلَا تَذْهَبْ
 نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ» تَرَكَ الشَّنَاءَ عَلَى أُمِّهِ وَأَبِيهِ وَالذِّكْرَ لَهُمَا وَالتَّرْحُمَ عَلَيْهِمَا
 وَوَلَّعَ بِذِكْرِ النَّجَاشِيِّ وَصَلَّى عَلَيْهِ وَاتَّسَى عَلَى سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ وَأَهْدَى ثَمَرَاتِ
 الْجَمِيلِ إِلَيْهِ وَأَمَثَلِيهِمَا مِمَّنْ لَمْ يَلْتَصِقْ عِرْقُهُ بِعِرْقِهِ، وَلَمْ يَلْتَحِمْ نَجْرُهُ بِنَجْرِهِ.

وقد أجمع الأصدقاء والأعداء والكفرة والبررة على أن الأنبياء عليهم
 السلام كانوا أعقل الناس، وأوقر الخلق، أما المسلمون فعقائدهم فيها ظاهرة،

وأما الكفار فيقولون إنهم بحسن تدبيرهم ولطف دهائهم شرعوا شرايع،
وإستمالوا خلائق، ودان لهم من الناس عوالم.

فكيف ترى هؤلاء العقلاء الحذاق يعادون أرحامهم ويصادقون من لم
تصل وشيخة نسب بينه وبينهم، ويتركون ما في موالاة العشيبة من الأنتصار
عند الهضم، والسلامة من الظلم، ويتحملون مضاراً عداوتهم، عوضاً من منافع
ولايتهم، لغير غرض يعود عليهم، ولا فائدة ترجع إليهم.

وثالثها: إنهم فقراء مساكين تقتحمهم العيون وتزدرهم القلوب ولا يغلب
في ظن عاقل ولا فراسة حاذق، أن من الفقر صفتة والنزاع لجميع من في العالم
طلبته يساعده على إثارة الفتن وتهيج الحروب بين البشر، ولا يبلغ إلى أمل، ولا
يزكو له عمل.

كموسى وهرون حين أتيا فرعون لابسين لبعاء الصوف ومرقعات
المسوح منتقلين من مراعي الغنم إلى معارضات الملوك، مظهرين لمخاشنتهم،
مفصحين بالترفع عليهم بغير عذرة ولا مال، ولا قوة ولا رجال.

فاتياه على هذه الحالة التي لا يؤبه لصاحبها ولا تمتلئ عين من النظر إلى
من جاء عليها، وجواهر التيجان تلمع على جبينه وانطاع ضرب الأعناق معدة
لمن أغضبه عن شماله ويمينه، فاتياه بأعظم ما يوجب ضرب أعناقهما وأكبر
ما يجروه على قتلهما لا ترتعد لهما فريضة، ولا يخافان من الدنيا نقيصة.

وهذا محمد صلى الله عليه وآله وسلم جاء إلى قريش، وقام في جاهلية
العرب، وأتوهم تعطس بالكبر، وأستههم لا تنطق إلا بالفخر يرون أن يبئد
أولهم وأخبرهم ويقنى أصاغرهم وأكابرهم على أيسر عار يلئم بساحاتهم،
وأهون نقص يدنو من أنسابهم، فجاء وحيداً من الناصر فقيراً من المال يسب
ألتهتهم، ويلهب أفتدتههم، ويسفه أحلامهم.

يتيم قد مات أبواه وإسترضع في غير قومه وكفله من شدة فقر أبيه عمه،

فبينما هو يَتِيمٌ مَكْفُولٌ فِي حَجْرٍ مِّنْ هَبٍّ، فَخَرُّهُ مَهَبٌ الْجَنُوبِ وَالْقَبُولِ، إِذْ قَامَ يَغِيبُ عَلَى كَافِلِهِ دَيْنُهُ وَيُسْفَهُ رَأْيُهُ، وَلَا يَسْتَرِيْبُ مِنْ شُجْعَانِ الْعَرَبِ الْمَشَاهِيرِ أَنْ عَارَضَهُمْ جَمِيعاً، وَإِنْفَرَدَ بَعْدَاوَتِهِمْ وَجِيْداً.

ورابعها: حُصُولُ أَعْرَاضِهِمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: «وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» «وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ» وَكَأُثْبِتَ فِي الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ «الرَّسُلُ تُبْتَلَى ثُمَّ تَكُونُ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ» وَكَذَلِكَ وَقَعَ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

فَإِنْ أَحَدًا مِمَّنْ طَلَبَ الدُّنْيَا وَالرَّاحَةَ وَالْمَلِكَ وَالرِّيَاسَةَ مِنَ الْفَلَاسِفَةِ وَالْمُنْجَمِينَ وَالْمُشْعُوذِينَ وَالْمُرْجَمِينَ بَلْ مِنْ أَهْلِ الْأَمْوَالِ وَالْعَشَائِرِ، وَأَرْبَابِ الْخِدْمِ وَالْعَسَاكِرِ مِنْ مُلُوكِ حَمِيرٍ وَالتَّبَاعَةِ وَالْقِيَاصِرَةِ وَالْأَكَاسِرَةِ مَا بَلَغَ مَا بَلَغَ مِنْهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْمِعْشَارَ، وَلَا اسْتَدَامَ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ، مَا اسْتَدَامَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ.

وهذا نوحٌ عليه السلام الفقير الضعيف القليل الناصر، الذي كان ضرباً ويُسْتَمُّ وَيُهَانُ فَلَا يَجِدُ مَلْجَأً وَلَا مَعَاذًا وَلَا مُنْقِذًا وَلَا مُجِيرًا مِنَ الْخَلْقِ تَبَعَتْ لَهُ الْأَرْضُونَ عُيُونًا وَالسَّمَاوَاتُ عُيُونًا حَتَّى كَانَ مِنْ عَجِيبِ غَرَقِ قَوْمِهِ مَا كَانَ. وَلَمْ يَسْتَطِعْ دَفْعَ مَا جَاءَ بِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ.

وَمِنْ أَدَلِّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ الْحَسْفُ بِأَهْلِ السَّبْتِ مِنَ الْيَهُودِ قِرْدَةً. وَذَلِكَ مِمَّا يَحْصُلُ بِهِ الْعِلْمُ الضَّرُورِيُّ لِمَنْ شَاهَدَهُ أَوْ تَوَاتَرَ لَهُ، لِأَنَّ تَحَوُّلَ الصُّورَةِ إِلَى صُورَةٍ أُخْرَى لَا يَكُونُ بِالطَّبْعِ، وَلَا تَدْخُلُ فِيهِ شَبْهَةٌ لِأَهْلِ الْكُفْرِ.

وَخَامِسُهَا: زُهْدُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَإِطْرَاحُهُمْ لِلْأَهْوَى وَقَلْقَهُمْ مِنْ هَوْلِ الْمَعَادِ الْآخِرِيِّ. وَتَقَطُّعُ نِيَاطِ قُلُوبِهِمْ مِنَ الْخَوْفِ لِلْعَذَابِ السَّرْمِدِيِّ. وَهُوَ شَيْءٌ عُلِمَ مِنْهُمْ أَنَّهُ جِدٌّ لَا مِزَاحَ فِيهِ وَلَا هَزْلَ وَحَقٌّ لَا تَصْنُوعَ فِيهِ وَلَا تَكْلُفَ. وَكَيْفَ وَالتَّكْلُفُ لَا تَخْفِي آثَارَهُ.

وَلَا تَسْتَمِرُّ أَحْوَالُهُ. زَفَرَاتُهُمْ كَانَتْ مُتَّصِعَةً، وَنِيَارُ خَوْفِهِمْ لَمْ تَزَلْ

مُتَوَقِّدَةً، وَمَدَامِعُ عُيُونِهِمْ لَمْ تَبْرَحْ مُتَرَفِّقَةً، وَعَلَى وَجَنَاتِ خُدُودِهِمْ مُتَدَفِّقَةً،
وَعُيُونُهُمْ غَائِرَةٌ، وَعَزَمَاتُهُمْ بَاتِرَةٌ، وَأَجْسَادُهُمْ نَاجِلَةٌ، وَنُفُوسُهُمْ عَنِ الدُّنْيَا
مَائِلَةٌ، وَشِفَاهُهُمْ مِنْ ظَمَأِ الْهَوَاجِرِ ذَابِلَةٌ، وَالسَّنَةُ أَحْوَاهُمْ فِي خَطَابِ مَوْلَاهُمْ
قَائِلَةٌ:

وَقَدْ صُمْتُ عَنْ لَذَاتِ نَفْسِي كُلِّهَا وَيَوْمَ لِقَاكُمْ ذَاكَ فِطْرُ صِيَامِي
كَانَ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ دَابِتُهُ رِجْلَاهُ، وَسِرَاجُهُ الْقَمَرُ، وَفِرَاشُهُ الْمَدْرُ
وَمَتَاعُهُ الشَّجَرُ، وَدَارُهُ الْأَرْضُ، تُرَى خُضْرَةُ الشَّجَرِ مِنْ شَقِيفِ بَطْنِهِ. وَلَا
تُنْقُصُ الشَّدَائِدُ عُقْدَةَ عَزْمِهِ.

وَكَانَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ وَيُسْمَعُ
لِصَدْرِهِ أَرْزِيزٌ كَأَرْزِيزِ الْمَرْجَلِ، فَقِيلَ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ
وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا».

وَلَمَّا أَخْطَأَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَبْكِي وَيَبُوحُ حَتَّى نَبَتَ الْعُشْبُ مِنْ دَمْعِهِ
الْمُسْفُوحِ، وَنَقَشَ خَطِيئَتُهُ عَلَى كَفِّهِ وَحَزَنَ حَزَنَ الثُّكْلَى عَلَى ذَنْبِهِ. فَلَيَّتْ
شِعْرِي أَيَّ غَرَضٍ يُقَدَّرُ أَنَّهُ يَحْصُلُ لَهُمْ وَيُظَنُّ أَنَّهُ أَرْبُهُمْ حَتَّى قَطَعُوا أَعْمَارَهُمْ
عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ وَأَدَامُوا تَحْمُلُهُمْ لِهَذِهِ الْأَعْبَاءِ الثَّقِيلَةِ، أَطْلَبُ الْعَيْشَ فِي الدُّنْيَا
وَرَجَاءَ الظَّفَرِ بِالْأَهْوَا، فَقَدْ عَاشَ سَقَطُ النَّاسِ بِأَيْسَرَ مِنْ ذَلِكَ وَنَبِلَتْ بِأَهْوَنِ
سَعْيٍ مَلَاذُ الْمَعَايِشِ وَقَدْ مَلَكُوهَا عَلَى مَا يَأْتِي بَيَانُهُ فَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَيْهَا، وَرَغِبُوا عَنْهَا
وَلَمْ يَرْغَبُوا فِيهَا. وَتَنَزَّهَتْ عَنْهَا شَرَائِفُ أَحْوَالِهِمْ. وَأَنْشَدَ لِسَانَ حَالِهِمْ:

تَجَرَّدَ عَنِ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ إِنَّمَا خَرَجْتَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَنْتَ مُجَرَّدُ
وَسَادِسُهَا: أَنْ جَمَعًا مِنْهُمْ تَمَكَّنُوا مِنَ الدُّنْيَا وَإِسْتَوَلَوْا عَلَى مَا يُحِبُّ النَّاسُ
مِنْهَا فَلَمْ تَنْغَيِّرْ لَهُمْ طَرِيقَةً، وَلَمْ تَتَحَوَّلْ لَهُمْ سَجِيَّةً. مَلِكٌ سَلِيمَانٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ
مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ، فَخَدَمْتُهُ الطَّيْرُ وَخَشِرَتْ لَهُ، وَحَمَلْتُهُ الرِّيحُ عَلَى
مَتْنِ الْهَوَاِ وَسِحَّرَتْ لَهُ، وَدَانَتْ لَهُ مُلُوكُ الْإِنْسِ.

وَخَضَعَتْ لَهُ عَفَارِيثُ الْجِنِّ، وَكَانَ الْبِسَاطُ يَحْمِلُهُ فِي أَرْجَائِ الْأَجْوَاءِ

مُسْتَقِرًّا عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ الْخَفَافَةِ وَالْهَوَاءِ. وَكَانَتِ الطَّيْرُ تُظَلُّهُ، وَكَانَتِ الْأَرْضُ فِي يَدِهِ وَكَانَتِ أَوَامِرُهُ مُطَاعَةً، وَالْخَلَائِقُ لَهُ طَائِعَةً.

وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ كَدِّ يَدِهِ، وَيَتَوَاضَعُ عَلَى عَظِيمِ مُلْكِهِ حَتَّى إِخْتَارَ مِنَ الْجِرْفِ أَهْضَمَهَا لِلنَّفْسِ وَأَقَمَّهَا لِجَمِيعِ الْهَوَى وَهُوَ الْخَوْصُ أَيْ الْحُصْرُ الَّذِي يَرْتَفِعُ عَنْهُ أَكْثَرُ السَّوْقَةِ وَلَا يَرْضِيهِ مَنْ لَهُ أُذُنَى عِزَّةٍ. فَمَا تَرَاهُ يُرِيدُ بِهَذَا وَإِلَى أَيِّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا يَتَوَصَّلُ بِهِ.

وَسَابِعُهَا: قُوَّةٌ يَقِينُهُمْ بِمَوَاعِيدِ اللَّهِ وَتَسْلِيمُهُمْ نَفْسَهُمْ لِمَا أَمَرَ اللَّهُ وَإِنْ كَانَ فِي ظَاهِرِهِ كَالْجَنَابَةِ عَلَى النَّفْسِ، وَالِالْتِقَاءُ بِهَا إِلَى التَّهْلُكَةِ كَقَوْلِ نُوحٍ وَحَدُّهُ لِقَوْمِهِ مَعَ كَثْرَتِهِمْ وَقَوَاتِهِمْ «ثُمَّ إِقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُون» وَنَحْوُ ذَلِكَ قَالَ هُودٌ: وَمِنْ ذَلِكَ الْإِقَاءُ أُمَّ مُوسَى لَهُ فِي الْبَحْرِ وَهُوَ طِفْلٌ.

وَمِنْهُ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ عَنِ حِرَاسَتِهِ بَعْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ».

وِثَامِنَهَا: أَنَّهَا ظَهَرَتْ عَلَيْهِمْ خَوَارِقُ الْعَادَاتِ، وَبَوَاهِرُ الْمُعْجَزَاتِ مِنْ غَيْرِ مُمَارَسَةِ لِشَيْءٍ مِنَ عُلُومِ الطَّبَّائِعِيِّينَ وَالْمُرْتَضِيِّينَ، وَالْمُتَفَلْسِفِينَ وَالْمُنْجِمِينَ وَالْمُتَكَهِّينَ الْمَصَاحِبِينَ لِلْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ وَأُخْبِرُوا عَنِ الْغُيُوبِ وَوَصَلُوا فِي خَرَقِ الْعَادَاتِ إِلَى مَرْتَبَةٍ قَصَّرَ عَنْهَا أَهْلُ الدِّرَايَةِ فِي فُنُونِ هَذِهِ الْعُلُومِ.

هَذَا الْكَلِمَةُ فَعَلَ مَعَ السَّحَرَةِ مَا فَعَلَ حَتَّى كَانُوا هُمُ الْمُقَرِّينَ لَهُ، وَالشَّاهِدِينَ بِأَنَّ الْحَقَّ مَعَهُ، وَهُمْ أَلُوفٌ يَخْصُلُ بِخَبْرِهِمُ الْعِلْمُ، وَيَسْتَحِيلُ تَوَاطُؤُهُمْ عَلَى الْكُذْبِ وَكَيْفَ وَسَيْفُ فِرْعَوْنَ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ مَسْلُوكٌ، وَدَفْعُ كَيْدِهِ بِسُيُوسِ اللَّهِ غَيْرُ مَأْمُولٍ.

وَهَذَا عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَحْيَا الْمَوْتَى وَأَبْرَأَ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ، وَهَذَا مُحَمَّدٌ ﷺ جَاءَ بِنَوْعٍ مِنَ الْإِعْجَازِ لَا يُتَصَوَّرُ فِيهِ السِّحْرُ وَلَا تُعْقَلُ فِيهِ التَّعْمِيَةُ قُرْآنَ بَلَى قَشِيبُ الدَّهْرِ وَإِعْجَازُهُ جَدِيدٌ، وَهَرَمَ شَبَابُ الزَّمَانِ وَرَوْتَقُهُ إِلَى مَزِيدٍ، فَاسْكَتْ بِهِ مَصَاقِعَةُ الْعَرَبِ الْمُرْبَاءِ، وَالْمُفْلِقِينَ مِنَ الْبُلْغَاءِ وَالْفُصْحَاءِ وَالشُّعْرَاءِ وَالْخُطَبَاءِ.

قَدْ مَضَى الْآنَ إِحْدَى وَثَمَانِ مِائَةِ سَنَةٍ «قلت وهذا بالنظر إلى زمن صاحب الأدلة والبراهين وأما الآن فقد مضى أربعة عشر قرناً» ولم يأت له فيها مُعَارِضٌ. على أن هَذِهِ المدة الطويلة مُنْذُ هَاجَرَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَرَّتْ عَلَى سَحْرَةِ الكِتَابَةِ وَالحُطْبَاءِ وَتَقَضَّتْ عَنْ مَهْرَةِ البَّرْعَةِ أَسَاءَةَ أَسَالِيبِ الكَلَامِ إِذَا إِعْتَلَّ وَبَنَاءُ أُسَاسَاتِ البَيَانِ إِذَا إِخْتَلَّ:

يَرْمُونَ بِالحُطْبِ الطَّوَالِ وَتَارَةً وَحَيَّ المَلَا حِظَّ حَيْفَةَ الرُّقْبَاءِ فإِنظُرْ كَيْفَ تَقَضَّتِ السَّنِيُّ والأَعْوَامُ، وَتَصَرَّمَتِ اللَّيَالِي والأَيَّامُ. ولم يأت أَحَدٌ مِنْ هَؤُلَاءِ البُلْغَاءِ بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ، وَلَا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ. تَصْدِيقاً لِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ قَوْلِهِ عَزَّ سُلْطَانُهُ «قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ» أَهـ.

اللَّهُمَّ اسْلُكْ بِنَا سَبِيلَ النِّجَاةِ ، وَبَلِّغْ كَلَامِنَا مَا أَمَلَهُ وَرَجَاهُ وَاجْعَلْ لَنَا عِنْدَكَ أَعْظَمَ قَدْرٍ وَجَاهٍ ، وَلَا تَحْرِمْنَا مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ يَا أَكْرَمَ الأَكْرَمِينَ ،

« فَضْلٌ »

وقال في كتاب الأربعين في أصول الدين:

وإعلم أن الرسول ﷺ كانت له مُعْجِزَاتٌ كَثِيرَةٌ سِوَى القُرْآنِ، وَالعُلَمَاءُ أوردُوا فِي ذِكْرِهَا كُتُباً وَضَبَطُ القَوْلِ فِيهَا أَنْ نَقُولَ مُعْجِزَاتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قِسْمَانِ حِسِيَّةٌ وَعَقْلِيَّةٌ. أما الحِسِيَّةُ فَثَلَاثَةٌ أَقْسَامٌ: أَحَدُهَا أُمُورٌ خَارِجَةٌ عَنْ ذَاتِهِ، وَثَانِيهَا أُمُورٌ فِي ذَاتِهِ، وَثَالِثُهَا أُمُورٌ فِي صِفَاتِهِ:

أما القسم الأول: وهو الأشياءُ الخارِجَةُ عَنْ ذَاتِهِ فهو كإِنْشِقَاقِ القَمَرِ وإجْتِدَابِ الشَّجَرِ إِلَيْهِ، وَتَسْلِيمِ الحَجَرِ عَلَيْهِ، وَتُبُوعِ المَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، وإِشْبَاعِ الخَلْقِ الكَثِيرِ مِنَ الطَّعَامِ القَلِيلِ، وَحَنِينِ الحَشَبِ، وَشِكَايَةِ النَّاقَةِ وَشَهَادَةِ الشَّاةِ المَشْوِيَةِ، وإِظْلَالِ السَّحَابِ قَبْلَ بَعْثَتِهِ، وَمَا كَانَ مِنْ حَالِ أَبِي جَهْلٍ وَصَخْرَتِهِ حِينَ أَرَادَ أَنْ يَضْرِبَهَا عَلَى رَأْسِهِ، وَمَا كَانَ مِنْ شَاةٍ أُمِّ مَعْبُدٍ حِينَ مَسَحَ يَدَهُ عَلَى ضَرْعِهَا.

وأما القسم الثاني: وهو الأحوال العائدة إلى ذاته فهو مثل الثور الذي كان يَنْتَقِلُ من أبٍ فأبٍ إلى أن خرج إلى الدنيا، وما كان من الخاتم، وما شوهد من خَلْقِهِ وصُورَتِهِ التي يَحْكُمُ عِلْمُ الْفِرَاسَةِ بِأَنَّهَا دَالَّةٌ عَلَى نُبُوَّتِهِ.

وأما القسم الثالث: وهو ما يَتَعَلَّقُ بِصِفَاتِهِ فَهِيَ كَثِيرَةٌ. وَنَحْنُ نُشِيرُ إِلَى بَعْضِهَا.

فالأول: أن أحداً ما سَمِعَ مِنْهُ لَا فِي مُهِمَّاتِ الدِّينِ وَلَا فِي مُهِمَّاتِ الدُّنْيَا كَذِبًا بَيِّنَةً وَلَوْ صَدَرَ عَنْهُ الْكُذْبُ مَرَّةً وَاحِدَةً لِاجْتِهَادِ أَعْدَائِهِ فِي تَشْهِيرِهِ وَإِظْهَارِهِ.

الثاني: أنه ما أقدم على فعلٍ قبيحٍ لا قبل النبوة ولا بعدها وإن عظم الخوف مثل يوم أحد ويوم الأحزاب. وهذا يدل على أنه كان قوي القلب بمواعيد الله حيث قال تعالى: «والله يعصمك من الناس» وقال تعالى: «حسبك الله» وقال تعالى: «إلا تنصروه فقد نصره الله».

الرابع: أنه كان عظيم الشفقة والرحمة على أمته قال تعالى: «فلا تذهب نفسك عليهم حسرات» وقال تعالى: «فلعلك باخع نفسك» وقال تعالى: «ولا تحزن عليهم» وقال تعالى: «عزيز عليه ما غنم».

الخامس: أنه عليه السلام كان في أعظم الدرجات في السخاوة.

السادس: أنه ما كان للدنيا في قلبه وقع وأن قريشاً عرضوا عليه المال والزوجة والرياسة حتى يترك هذه الدعوى فلم يلتفت إليهم.

السابع: أنه كان في غاية الفصاحة، كما قال «أوتيت جوامع الكلم».

الثامن: أنه مضى على طريقته المرضية في أول عمره إلى آخره والكذاب المزور لا يُمكِنُ ذَلِكَ وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: «قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين».

التاسع: أنه كان صلى الله عليه وآله وسلم مع أهل الدنيا والثروة في غاية الترفع ومع الفقراء والمساكين وأهل الدين في غاية التواضع.

العاشر: أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان في كل واحدة من هذه الصفات والأخلاق في الغاية القصوى من الكمال كان مُستَجْمِعاً لها بأسرها ولم يتَّفَقْ ذَلِكَ لأحد من الخلق فكان إجتماعهما في ذاته من أعظم المعجزات. وأما المعجزات العقلية فهي ستة أنواع:

النوع الأول: أنه صلى الله عليه وآله وسلم إنما ظهر من قبيلة ما كانوا من أهل العلم، بل كان من بلدة ما كان فيها أحد من العلماء، بل كانت الجهالة غالبية عليهم، ولم يتَّفَقْ له سفر من تلك البلدة إلا مرتين إلى الشام وكانت مدة تلك المسافرة قليلة ولم يذهب أحد من العلماء والحكماء إلى تلك البلدة حتى يقال إنه ﷺ تعلم العلم من ذلك الحكيم.

وإذا خرج من مثل هذه البلدة ومثل هذه القبيلة إنسان من غير أن يمارس شيئاً من العلوم ولا تلمذ لأحد من العلماء البتة ثم بلغ في معرفة ذات الله وصفاته وأفعاله وأحكامه هذا المبلغ العظيم الذي عجز جميع الأذكىاء من العقلاء عن القرب منه بل أقر الكل بأنه لا يمكن أن يزداد في تقرير الدلائل على ما ورد في القرآن.

ثم ذكر قصص الأولين وتواريخ المتقدمين بحيث لم يتمكن أحد من الأعداء أن يقول إنه أخطأ في شيء منها، بل بلغ كلامه في البعد عن الريب والشك إلى أن قال عند مجادلهم إياه «قل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين» وقال تعالى: «ذلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك».

ولم يقدر أحد أن يقول إنه طالع كتاباً ولا تلمذ لأستاذ وكانت هذه الأحوال ظاهرة معلومة للأصدقاء والأعداء على ما قال: «أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون» وقال: «وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك إذا لا إرتاب المبطلون» وقال: «فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون»

وَكُلُّ مَنْ لَهُ عَقْلٌ سَلِيمٌ وَطَبَعٌ مُسْتَقِيمٌ عَلِمَ أَنَّ هَذِهِ الْأَحْوَالَ لَا تَتَيَسَّرُ إِلَّا بِالْتَعْلِيمِ
الْإِلَهِيِّ الرَّبَّانِيِّ.

النوع الثاني: أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان قبل إظهار دعواه الرسالة
والنبوة ما كان يشرع في هذه المسائل الآلهية وما كان يبحث عنها وما جرى على
لسانه قط حديث النبوة والرسالة.

والذي يدل على صحة قولنا أنه لو إتفق له شروع في هذه المطالب
والمباحث قبل إظهار إدعاء النبوة لقال الكفار له إنك أفنيت عمرك في التدبر
والتأمل وتحصيل الكلمات حتى قدرت الآن على إظهارها.

ولما لم يذكر هذا الكلام أحد من الأعداء مع شدة حرصهم على الطعن
فيه وفي نبوته علمنا أنه صلى الله عليه وآله وسلم ما كان شارحاً قبل إظهار
النبوة في شيء من هذه العلوم.

ومعلوم أن من إنقضى من عمره أربعون سنة ولم يخض في شيء من هذه
المطالب العلمية ثم إنه خاض فيها دفعة واحدة وأتى بكلام عجز الأولون
والآخرون عن معارضته بل إنقضى الآن قريب من ستمائة سنة قلت وهذا
بالنظر إلى زمن صاحب كتاب الأربعين في أصول الدين وأما الآن فقد مضى
أربعة عشر قرناً وما أحد يمكنه إقامة المعارضة، فصريح العقل يشهد بأن هذا لا
يكون إلا على سبيل الوحي والتنزيل أهـ.

شعراً:

| | |
|--|--|
| تُغَارِزُنِي الْمَنِيَّةُ مِنْ قَرِيبٍ | وَتَلْحَظُنِي مَلَا حَظَّةَ الرَّقِيبِ |
| وَتَنْشُرُ لِي كِتَاباً فِيهِ طَبِي | يَخْطُ الدَّهْرُ أَسْطَرَّهُ مَشِيبي |
| كِتَابٌ فِي مَعَانِيهِ غَمُوضٌ | يَلُوحُ لِكُلِّ أَوَابٍ مُنِيبِ |
| أَرَى الْأَعْصَارَ تَقْصِرُ مَاءَ عُودِي | وَقَدْ مَا كُنْتُ رِيَّانَ الْقَضِيبِ |
| أَدَالَ الشَّيْبُ يَا صَاحِبَ شَبَابِي | فَعَوَّضْتُ الْبَغِیضَ مِنَ الْحَبِيبِ |

وَبَدَلْتُ الشَّاقِلَ مِنْ نَشَاطِي وَمِنْ حُسْنِ النَّضَارَةِ بِالشُّحُوبِ
 كَذَلِكَ الشَّمْسُ يَغْلُوهَا اصْفِرَّارٌ إِذَا جَنَحَتْ وَمَالَتْ لِلْفُرُوبِ
 تُحَارِبُنَا جُنُودٌ لَا تُجَارِي وَلَا تُلْقَى بِأَسَادِ الْحُرُوبِ
 هِيَ الْأَقْدَارُ وَالْأَجَالُ تَأْتِي فَتَنْزِلُ بِالْمُطَبِّبِ وَالطَّبِيبِ
 تُفَوِّقُ أَسْهُمًا عَنْ قَوْسٍ غَيْبٍ وَمَا أَغْرَضُهَا غَيْرَ الْقُلُوبِ
 فَأَتَى بِاخْتِرَاسٍ مِنْ جُنُودٍ مُؤَيَّدَةٍ تَمُدُّ مِنَ الْغُيُوبِ
 وَمَا آسَى عَلَى الدُّنْيَا وَلَكِنْ عَلَى مَا قَدْ رَكِبْتُ مِنَ الذُّنُوبِ
 فَيَا لَهْفِي عَلَى طَوْلِ اغْتِرَارِي وَيَا وَيْحِي مِنَ الْيَوْمِ الْعَصِيبِ
 إِذَا أَنَا لَمْ أَنْجُ نَفْسِي وَأَبْكِي عَلَى حُوبِي بِتَهْتَانِ سَكُوبِ
 فَمَنْ هَذَا الَّذِي بَعْدِي سَيْبِكِي عَلَيْهَا مِنْ بَعِيدٍ أَوْ قَرِيبِ؟

اللَّهُمَّ طَهِّرْ قُلُوبَنَا بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ مِنَ الْفَسَادِ وَاجْمَعْ قُلُوبَنَا عَلَى مَحَبَّتِكَ
 وَخَشْيَتِكَ وَاهْدِنَا إِلَى أَقْرَبِ الطَّرِيقِ إِلَيْكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ .

« فَصْلٌ » (فَوَائِدُ مُتَّوَعَةٌ وَمَوَاعِظٌ نَافِعَةٌ)

قَالَ فِي الْفَنُونِ مِنْ عَجِيبٍ مَا تَقَدَّتْ مِنْ أَحْوَالِ النَّاسِ كَثْرَةٌ مَا نَاحُوا عَلَى
 خَرَابِ الدِّيَارِ وَمَوْتِ الْأَقْرَابِ وَالْأَسْلَافِ وَالتَّحَسُّرِ عَلَى الْأَرْزَاقِ بِذِمِّ الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ
 وَذَكَرَ نَكِيدَ الْعَيْشِ فِيهِ .

وَقَدْ رَأَوْا مِنْ انْهَادِ الْإِسْلَامِ وَشَعَثِ الْأُذْيَانِ وَمَوْتِ السُّنَنِ وَظُهُورِ الْبِدَعِ
 وَارْتِكَابِ الْمَعَاصِي وَتَقْضِي الْعُمَرِ فِي الْفَارِغِ الَّذِي لَا يُجْدِي وَالْقَبِيحِ الَّذِي يُوبِقُ
 وَيُؤْذِي فَلَا أَجْدَ مِنْهُمْ مَنْ نَاحَ عَلَى دِينِهِ وَلَا بَكَى عَلَى فَارِطِ عُمَرِهِ وَلَا آسَى عَلَى
 فَائِتِ دَهْرِهِ .

وَمَا أَرَى لِذَلِكَ سَبَبًا إِلَّا قَلَّةً مُبَالِغِينَ بِالْأُذْيَانِ وَعِظَمَ الدُّنْيَا فِي عُيُونِهِمْ ضِدًّا
 مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلْفُ الصَّالِحُ يَرْضَوْنَ بِالْبَلَغِ وَيَتَوَحَّوْنَ عَلَى الدِّينِ ، قُلْتُ فَكَيْفَ لَوْ

رأى أهل هذا الزمن الذي كثرت فيه المعاصي والملاهي وانفتحت فيه الدنيا على كثير من الناس فلا حول ولا قولا إلا بالله .

ومن عجيب ما رأيتُ أنا أن أجدنا إذا ناداه أمير أو وزير أو مساعد أو مدير يبادر ويقوم بسرعة لداعي الدنيا ولا يتأخر ويسمع داعي الله يدعوه إلى الصلاة التي هي الصلة بينه وبين ربه جل وعلا وتقدس فيتناقل ولا يهتم لها وإن قام بعد التريث فكأنه مُكره يُدفع إليها دفعا عكسا ما عليه السلف الصالح من المبادرة والمرابطة وترك الأعمال فوراً عند ما يسمعون « حي على الصلاة حي على الفلاح » وكثير من المساجد عندهم تجد الصف الأول يتم قبل الأذان وقد ازداد الطين بلة بما حدث عندنا من المنكرات قتالة الأوقات ، مُفرقة النفوس والأبدان ، ومُشيت القلوب ، وذلك كالتلفزيون والمذياع والفيديو والجراند والمجلات ومخالطة المنحرفين والفاسقين والمنافقين والكافرين والجرمين أبعدهم الله .

سِيرَ المنايا إلى أعمارنا خَبَبُ فما تَبِينُ ولا يَعْتاقُها نَصَبُ
كَيْفَ النَّجَاءِ وأيديها مُصَمِّمَتٌ بَدْبِحِنَا بِمِدَى لَيْسَتْ لَهَا نُصَبُ

وهل يُؤمِّلُ نَيْلَ الشَّمْلِ مُلْتَمِئاً سَفَرٌ لَهُمْ كُلُّ يَوْمٍ رِحْلَةٌ عَجَبُ
وما إقامتنا في مَنْزِلٍ هَتَفَتْ فيه بنا مُدٌّ سَكَنًا رِيعُهُ نُوبُ
وَأَذِنَتْنا وَقَدْ تَمَّتْ عِمَارَتُهُ بأنه عن قَرِيبٍ دَائِرُ خَرِبُ
أَزْرَتْ بنا هَذِهِ الدُّنْيَا فما أَمَلٌ إلا لِرَيْبِ المنايا عِنْدَهُ أَرْبُ
هذا وليست سِيْهَامُ المَوْتِ طائِشَةٌ وهل تَطِيشُ سِيْهَامُ كُلُّهُ نُصَبُ
ونحنُ أَغْرَاضُ أنواعِ البَلَاءِ بِهَا قَبْلَ المَمَاتِ فَمَرَمِيٌّ ومُرْتَقِبُ
أَيِّنَ الذين تَنَاهَوْا في إِنْتِائِهِمُوا صَاحَتْ بِهِمْ نَائِبَاتُ الدَّهْرِ فانْقَلَبُوا

قال ابن القيم رحمه الله كُلُّ آفَةٍ تَدْخُلُ على العبد فَسَبَبُها ضِياعُ القلب

وفسادُ القلبِ يَعُودُ بضِياعِ حَقِّهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ونَقْصانِ دَرَجَتِهِ وَمَنْزِلَتِهِ عِنْدَهُ .
ولهذا أَوْصَى بَعْضُ الشُّيُوخِ فَقَالَ احذَرُوا مُخَالَطَةَ مَنْ تُضَيِّعُ مُخَالَطَتَهُ
الْوَقْتَ وتُفْسِدُ القَلْبَ فَإِنَّ ضَيَاعَ الوَقْتِ وَفَسَادَ القَلْبِ انْفِرَطَتْ عَلَى العَبْدِ أُمُورُهُ
كُلُّهَا وَكَانَ مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ فِيهِ ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ
أَمْرُهُ قُرْطًا ﴾ .

وَمَنْ تَأَمَّلَ حَالَ هَذَا الخَلْقِ وَجَدَهُمْ كُلَّهُمْ إِلَّا أَقْلَ القَلِيلِ مِمَّنْ غَفَلَتْ
قُلُوبُهُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي بِهِ تَحْيَا القُلُوبُ وَتَطْمَئِنُّ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَصَارَتْ
أُمُورُهُمْ وَمَصَالِحُهُمْ قُرْطًا، أَي قَرَطُوا فِيمَا يَنْفَهُهُمْ وَيَعُودُ عَلَيْهِمْ بِمَصَالِحِهِمْ ، وَاشْتَقَلُوا
بِمَا لَا يَنْفَهُهُمْ بَلْ بِمَا يَعُودُ بِضَرَرِهِمْ عَاجِلًا وَآجِلًا .

وهؤلاءِ قَدْ أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ رَسُولَهُ أَلَّا يُطِيعَهُمْ فَطَاعَةَ الرَّسُولِ ﷺ لَا تَمُ
إِلَّا بِعَدَمِ طَاعَةِ هَؤُلَاءِ لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَدْعُونَ إِلَى مَا يُشَاكِلُهُمْ مِّنْ أَتْبَاعِ الهَوَى وَالغَفْلَةِ
عَن ذِكْرِ اللَّهِ .

والغفلةُ عَن ذِكْرِ اللَّهِ والدارِ الآخِرَةِ مَتَى تَزَوَّجْتَ بِاتِّبَاعِ الهَوَى تُولَدُ بَيْنَهُمَا
كُلُّ شَرٍّ وَكثِيرًا مَا يَقْتَرِنُ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ وَلَا يَفَارِقُهُ .

وَمَنْ تَأَمَّلَ فسادَ أحوالِ العالَمِ عُمُومًا وَخِصُوصًا وَجَدَهُ نَاشِئًا عَن هَذيْنِ
الأَصْلِيَيْنِ فَالغَفْلَةُ تَحْوِلُ بَيْنَ العَبْدِ وَبَيْنَ تَصَوُّرِ الحَقِّ وَمَعْرِفَتِهِ والعِلْمُ بِهِ فَيَكُونُ بِذَلِكَ
مِنَ الضَّالِّينَ ، وَاتِّبَاعِ الهَوَى يَصْدَهُ عَن قَصْدِ الحَقِّ وَإِرَادَتِهِ وَاتِّبَاعِهِ ، فَيَكُونُ مِّنَ
المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ .

وأما المنعم عليهم فهم الذين مَنَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ بِمَعْرِفَةِ الحَقِّ علما
وبالانقياد إليه وإيثاره عما سِوَاهُ عَمَلًا وهؤلاء هم الذين على سبيلِ النجاة وَمَنْ
سِوَاهُمْ عَلَى سَبِيلِ الهَلَاكِ .

ولهذا أَمَرْنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ نَقُولَ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ عِدَّةً مَرَاتٍ ﴿ اهدنا

الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴿١﴾ .

فإن العبد مضطر كل الاضطرار إلى أن يكون عارفا بما ينفعه في معاشه ومعاده وأن يكون مؤثراً مريداً لما ينفعه مُجتنباً لما يضره فبمجموع هذين قد هدى إلى الصراط المستقيم فإن فاتته معرفة ذلك سلك سبيل الضالين .

وإن فاتته قصده واتباعه سلك سبيل المغضوب عليهم وبهذا تعرف قدر هذا الدعاء العظيم وشدت الحاجة إليه وتوقف سعادة الدنيا والآخرة عليه .

وقال آخر حافظ على الأوقات فإن الوقت رأس المال ولا تضعها بالفراغ واملأها بالإفادة أو الاستفادة أو بهما جميعا واعرف ما يذهب به ليلك ونهارك وجدد توبتك في كل وقت .

وقسم وقتك ثلاثة أقسام قسم لطلب العلم وقسم للعمل الذي تستعين به على مصالح دنياك وآخرتك وقسم لحقوق نفسك وما يلزمك واعتبر بمن مضى وتفكر في منصرف الفريقين بين يدي الله جل وعلا وتقدس فريق في الجنة وفريق في السعير .

واستحضر قرب الله منك كما في الحديث فإن لم تكن تراه فإنه يراك وأكرم الكتبة الحافظين فقد أوصى رسول الله ﷺ بالجار من الناس الذي بينك وبينه جدار وأحجار فكيف بالجار الكريم الذين قال الله فيهم ﴿وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون﴾ وقال جل وعلا وتقدس ﴿عن اليمين وعن الشمال قعيد﴾ .

فرعاية جواره أحق وإكرام قربه أوجب لأنه أسبق و الصق وليس بينك وبينه جدار ولا أحجار ولا حائل ومع الأسف الشديد أن الأذية لهما لا تفتقر على مر الساعات ولكن مقل ومكثر .

شعرا : وَوَكَّلَ اللَّهُ مِنَ الْكِرَامِ إِثْنَيْنِ حَافِظَيْنِ لِلْأَنَامِ
فَيَكْتُبَانِ كُلُّهُمَا أَعْمَالَ الْوَرَى كَمَا أَنِّي بِالنَّصِّ مِنْ غَيْرِ أَمْتِرَا

قال بعضهم :

تَنَكَّرَ مَنْ كُنَّا نُسِرَ بِقُرْبِهِ وَصَارَ زُعَافًا بَعْدَ مَا كَانَ سَلْسَلًا
وَحَقُّ لِحَارِهِ لَمْ يُوَافِقْهُ جَارُهُ وَلَا لَا أُمَّتُهُ الدَّرُّ أَنْ يَتَحَوَّلَا
آخر :

كُنْ لَيْنًا لِلجَارِ وَاحْفَظْ حَقَّهُ كَرَمًا وَلَا تَكُ لِلْمُجَاوِرِ عَقْرِيًا
وَاحْفَظْ أَمَانَتَهُ وَكُنْ عِزًّا لَهُ أَبَدًا وَعَمَّا سَاءَهُ فَتَجَنَّبَا
علامة صِححة الإرادة أن يكون هم المرید رضاء ربّه واستعدادة للقاءه وحزنه
على وقت في غير مرضاة ربه وأسفه على قربه والأنس به وجماع ذلك أن يُصبح
وميسي وليس له هم غيره .

وقال : أعظم الإضاعات إضاعتان هما أصل كل إضاعة إضاعة القلب
وإضاعة الوقت ، وإضاعة القلب من إيثار الدنيا على الآخرة وإضاعة الوقت من
طول الأمل .

فاجتمع الفساد كله في اتباع الهوى وطول الأمل والصلاح كله في اتباع
الهدى والاستعداد للقاء الله والله المستعان .

الناس منذ خلقوا لم يزلوا مسافرين وليس لهم حظ عن رحالهم إلا في الجنة
أو النار والعاقل يعلم أن السفر مبني على المشقة وركوب الأخطار .

ومن المحال عادة أن يُطلب فيها نعيم ولذّة وراحة إنما ذلك بعد انتهاء السفر
ومن المعلوم أن كل وطأة قدم أو كل آن من آفات السفر غير واقفة ولا المكلف
واقف . وقد ثبت أنه مسافر على الحال التي يجب أن يكون المسافر عليها من تهيئة
الزاد الموصول وإذا نزل أو نام أو استراح فعلى قدم الاستعداد للسير .

حُكْمُ المنيّةِ فِي البريّةِ جَارٍ مَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِدَارٍ قَرَارٍ
جُبلتْ عَلَى كَدْرٍ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا صَفَوْا مِنَ الأَقْدَارِ والأَكْدَارِ
فأَقْضُوا مَا رَبَّكُمْ عَجَالًا إِنَّمَا أَعْمَارُكُمْ سَفَرٌ مِنَ الأَسْفَارِ

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ يَا إِخْوَانِي اجْتَهِدُوا فِي الْعَمَلِ فَإِنْ يَكُنْ الْأَمْرُ كَمَا نَرُجُوا
مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَعَفْوِهِ كَانَتْ لَنَا دَرَجَاتٌ فِي الْجَنَّةِ وَإِنْ يَكُنْ الْأَمْرُ شَدِيداً كَمَا نَخَافُ
وَنُحَاذِرُ لَمْ نَقُلْ ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ نَقُولُ قَدْ عَمَلْنَا
فَلَمْ يَنْفَعْنَا .

وَقَالَ رَجُلٌ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ الْجَدِّ الْجَدِّ وَالْحَدَرِ الْحَدَرِ فَإِنْ يَكُنْ الْأَمْرُ
عَلَى مَا تَرْجُونَ كَانَ مَا قَدَّمْتُمْ فَضْلاً وَإِنْ يَكُنْ الْأَمْرُ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ لَمْ تَلُومُوا
أَنْفُسَكُمْ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضِ الْفُقَرَاءِ مَرَّةً وَقَدْ رَأَى عَلَيْهِ أَثَرَ الْجُوعِ وَالضَّرِّ : لِمَ لَا
تَسْأَلُ النَّاسَ لِيُعْطُوكَ ، قَالَ أَخَافُ أَنْ أَسْأَلَهُمْ فَيَمْنَعُونِي فَلَا يُفْلِحُوا ، وَقَدْ بَلَغَنِي
عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ «لَوْ صَدَقَ السَّائِلُ مَا أَفْلَحَ مَنْ مَنَعَهُ» .

المراحل التي يَمُرُّ بها الخلق ستة :

السَّفَرُ الْأَوَّلُ سَفَرُ السُّلَالَةِ مِنَ الطَّيْنِ .

السَّفَرُ الثَّانِي سَفَرُ النُّطْفَةِ مِنَ الظَّهْرِ إِلَى الْبَطْنِ .

السَّفَرُ الثَّلَاثُ مِنَ الْبَطْنِ إِلَى الدُّنْيَا .

السَّفَرُ الرَّابِعُ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْقُبُورِ .

السَّفَرُ الْخَامِسُ مِنَ الْقُبُورِ إِلَى الْعَرَضِ لِلْحِسَابِ .

السَّفَرُ السَّادِسُ مِنَ الْعَرَضِ إِلَى مَنْزِلِ الْإِقَامَةِ .

وَقَدْ قَطَعْنَا نِصْفَ السَّفَرِ نَسْأَلُ اللَّهَ الْإِعَانَةَ وَالسَّدَادَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ

عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

شِعْرًا :

حَيَاتِكَ فِي الدُّنْيَا قَلِيلٌ بَقَاؤُهَا

وَدُنْيَاكَ يَا هَذَا شَدِيدٌ عَنَاؤُهَا

وَلَا خَيْرَ فِيهَا غَيْرَ زَادٍ مِنَ التَّقَى

يُنَالُ بِهِ جَنَّاتٌ عَدْنٍ وَمَاؤُهَا

بَلَىٰ إِنَّهَا لِلْمُؤْمِنِينَ مَطِيئَةٌ
عَلَيْهَا يُلَوَّغُ الْخَيْرِ وَالشَّرُّ فَاوْهُهَا
وَمَنْ يَزْرَعِ التَّقْوَىٰ بِهَا سَوْفَ يَجْتَنِي
ثَمَاراً مِنَ الْفِرْدَوْسِ طَابَ جَنَاؤُهَا
نُؤْمِلُ أَنْ نَبْقَىٰ بِهَا غَيْرَ أَنَّنَا
عَلَىٰ ثِقَةٍ أَنْ الْمَمَاتِ انْتِهَآؤُهَا
فَكُنْ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ فِي الْخَيْرِ رَاغِباً
يَلُوحُ مِنَ الطَّاعَاتِ فِيكَ بِهَاؤُهَا
وَجَانِبِ سَبِيلِ الْغِيِّ وَاتْرِكْ مَعَاصِيّاً
يُذِيبُكَ مِنْ نَارِ الْجَحِيمِ لَهَاؤُهَا
فَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تَمُوتَ بِمَشْهَدٍ
يُسَاعِدُ مَنْ نَاحَتْ عَلَيْكَ بُكَآؤُهَا
وَتَنْزِلُ قَبْرًا لَا أَبَالَكَ مُوحِشاً
تَكُونُ ثَرَىَّ أُمَّ عَلَيْكَ ثَرَاؤُهَا
وَتَبْقَىٰ بِهِ ثَاوٍ إِلَى الْحَشْرِ وَالْجَزَاءِ
وَنَفْسُكَ يَبْدُو فِي الْحِسَابِ جَزَاؤُهَا
فَإِمَّا تَكُونُ النَّفْسُ ثُمَّ سَعِيدَةً
فَطُوبَىٰ وَإِلَّا فَالضَّرِيعُ غَذَاؤُهَا
يُسَاقُ جَمِيعُ النَّاسِ فِي مَوْقِفِ الْقَضَا
وَتُنَشَّرُ أَعْمَالُ بَيْنُ وَبَاؤُهَا
هُنَالِكَ تَبْدُو لِلْعِبَادِ صَحَائِفُ
فَتَوْضَعُ فِي الْمِيزَانِ وَالذَّنْبُ دَاؤُهَا

وَكَمْ مِنْ ذَلِيلٍ آخِذٍ بِشِمَالِهِ
صَحِيفَتَهُ السُّودَا الشَّدِيدُ بِلَاؤُهَا
وَأَخْرُ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ آخِذُ

صَحِيفَتَهُ الْبَيْضَاءُ طَابَ لِقَاؤُهَا
اللهم يا حيُّ يا ذا الجلال والاکرام يا جامع الناس ليومٍ لا ريب
فيه ، إجمع بيننا وبين الصدق والنية الصالحة ، والاخلاص والخشوع
والمراقبة ، واغفر لنا ولوالدینا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم
الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
(فصل) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما خَمْسٌ مَنْ كُن فِيهِ سَعِدٌ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، أَوْهَا أَنْ يُذَكَّرَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ وَقَتًا بَعْدَ وَقْتٍ .
وإذا ابتلى ببليّة قال إنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي
العظيم ، وإذا أُعْطِيَ نِعْمَةً قال الحمد لله رب العالمين شُكْرًا لِلنَّعْمَةِ ،
وعن سفيان الثوري أنه قال اختار الفقراء خمساً واختار الأغنياء خمساً ،
اختار الفقراء راحة النفس ، وفراغ القلب ، وعبودية الرب ، وخفة الحساب ،
والدرجة العليا ،

وإذا ابتدأ في شيء قال بسم الله الرحمن الرحيم ،
وإذا أفرطَ منه ذنباً قال اسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ .
واختار الأغنياء تَعَبَ النَّفْسِ وَشُغْلَ الْقَلْبِ وَعُبُودِيَّةَ الدُّنْيَا وَشِدَّةَ الْحِسَابِ
والدرجة السفلى .

شعرا : يَا سَاكِنَ الدُّنْيَا تَاهَبْ
وَأَعِدَّ زَادًا لِلرَّحِيلِ
وَأَبْكَ الذُّنُوبَ بِأَذْمَعِ
يَا مَنْ أَضَاعَ زَمَانَهُ
أَخْرُ : أَلَيْسَ إِلَى الْآجَالِ نَهْوَى وَخَلَفْنَا
وَمَنْ نَظَرَ الدُّنْيَا بَعَيْنِ حَقِيقَةٍ
وَأَنْتَظِرُ يَوْمَ الْفِرَاقِ
فَسَوْفَ يُحْدَى بِالرِّفَاقِ
تَنْهَلُ مِنْ سُحْبِ الْمَاقِ
أَرْضِيَّتِ مَا يُفْنِي بِبَاقِ
مِنَ الْمَوْتِ حَادٍ لَا يُغْبُ عَجُولُ
تَيَقَّنْ أَنَّ الْعَسْشَ سَوْفَ يَزُولُ

وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا فَوَارِسُ تَطَارِدُنَا وَالنَّائِبَاتُ حُيُولُ
 وقال بعضهم العجالة تحسن في تجهيز الميت ، وتزويج البنت إذا بلغت ،
 وقطف الثمرة إذا استوت ، وقضاء الدين إذا وجب ، والتوبة من الذنب إذا
 فرط ، وإطعام الضيف إذا نزل .

وقال عثمان رضي الله عنه إن المؤمن في ستة أنواع من الخوف ، أحدها من
 قبل الله تعالى أن يأخذ منه الإيمان ، والثاني من قبل الحفظة أن يكتبوا عليه ما
 يفتضح به يوم القيامة .

والثالث من قبل الشيطان أن يبطل عمله ، والرابع من قبل ملك الموت أن
 يأخذه في غفلة بغته ، والخامس من قبل الدنيا أن يغتر بها وتُشغله عن الآخرة ،
 والسادس من قبل الأهل والعيال أن يشتغل بهم فيشغلونه عن ذكر الله تعالى .
 وقال أيضا أضيع الأشياء عشرة عالم لا يسأل عنه ، وعلم لا يعمل به ،
 ورأي صواب لا يقبل ، وسلاح لا يستعمل ومسجد لا يصلى فيه ، ومصحف
 لا يقرأ فيه ، ومال لا ينفق منه ، وخيل لا تركب ، وعلم الزهد في بطن من يريد
 الدنيا ، وعمر طويل لا يتزود صاحبه فيه لسفره .

وقال ابراهيم بن أدهم حين سألوه عن قول الله تعالى ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ
 لَكُمْ ﴾ وأنا ندعوه فلم يستجب لنا فقال ما تلت قلوبكم من عشرة أشياء ، أولها
 أنكم عرفتم الله ولم تؤدوه حقه ، وقرأتم كتاب الله ولم تعملوا به ، وادعيتم عداوة
 إبليس وواليتموه .

وادعيتم حب الرسول ﷺ وتركتم أثره وسنته ، وادعيتم حب الجنة ولم
 تعملوا لها ، وادعيتم خوف النار ولم تنتهوا عن الذنوب ، وادعيتم أن الموت حق ولم
 تستعدوا له ، واشتعلتم بغيوب غيركم وتركتم غيوب أنفسكم وتأكلون رزق الله ولا
 تشكرونه .

شعرا : قَدْ قَلْتُ لِلنَّفْسِ وَبَالِغَتْ
 وَزِدْتُ فِي الْعُتْبِ وَأَكْثَرْتُ
 يَانْفُسُ قَدْ قَصَرْتُ مَا قَدْ كَفَى
 تَيْقِظِي قَدْ قَرَّبَ الْوَقْتُ
 جُدِّي عَسَى أَنْ تُدْرِكِي مَامَضَى
 قَدْ سَبَقَ النَّاسُ وَخَلَفْتُ
 أَنَا الَّذِي قَدْ قَلْتُ دَهْرًا غَدًا
 أَتُوبُ مِنْ ذَنْبِي فَمَا تُبْتُ

لَوْ كُنْتُ ذَا عَقْلٍ لِمَا حَلَّ بِي نُحْتُ عَلَى نَفْسِي مَا عَشْتُ
وَاحْسَرْتِي يَوْمَ حِسَابِي إِذَا وَقَفْتُ لِلْعَرْضِ وَحُوسِبْتُ
وَاحْجَلْتِي إِنْ قِيلَ لِي قَدْ مَضَى وَقْتُكَ تَفْرِيطاً وَوَبُخْتُ

اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقَّنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(موعظة) قال بعضهم : يا أيها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا
تعتروا بالأمل ونسيان الأجل ولا تتركوا إلى الدنيا فإنها غدارة خداعة ، قد
تزخرقت لكم بغرورها ، وفتنتكم بأمانيتها ، وتزينت لخطاياها فأصبحت كالعروس
المجلية ، العيون إليها ناظرة ، والقلوب عليها كاكفة ، والنفوس لها عاشقة ، فكم
من عاشقٍ لها قتلت .

ولو كانت الدنيا عروساً وجدتها بما قتلت أولادها لا تزوج
وكم مطمئن إليها خذلت فانظر إليها بعين الحقيقة فإنها دارٌ كثيرٌ بوائقها
وذمها خالقها دارٌ تفاد لا دارٌ إخلاد ودارٌ عبورٍ لا دارٌ حُبور ودارٌ فناء لا بقاء
ودارٌ انصرام لا دارٌ دوام جديدها يبلى ومملكها يفنى وعزيرها يذل وكثيرها يقل
ودها يموت وخيرها يفوت .

وقد تطابق على ما ذكر دلالات قواطع النقول وصحاح العقول والطعام
وقضى به الحس والعيان حتى لم يقبل لوضوحه إلى زيادة في العرفان .
وليس يصح في الأدهاي شي إذا احتاج النهار إلى دليل
ولما كانت الدنيا بهاذه الحال التي ذكرت والعظة التي تقدمت جاء في
القرآن الكريم من التحذير عن الاغترار بها والركون إليها والاعتماد عليها ما هو
أعرف من أن يذكر وأشهر من أن يشهر .

شِعْرًا : يَا مُحِبَّ الدُّنْيَا العُرُورُ إِغْتَرَارَ رَاكِبًا فِي طَلَابِهَا الأَخْطَارَا
يَبْتَغِي وَصَلَهَا فَتَأَى عَلَيْهِ وَتَرَى أَنْسَهُ فَتَبْدِي نَفَارَا

حَابَ مَنْ يَبْتَغِي الْوِصَالَ لَدَيْهَا جَارَةٌ لَمْ تَزَلْ تُسِيءُ الْجَوَارَا
كَيْمٍ مُجِبٍ أَرْتَهُ أَنْسَاءً فَلَمَّا حَاوَلَ الزَّوْرَ صَيَّرْتَهُ زَوْرَارَا
وكذلك جاءت الأحاديث النبوية والآثار الحكيمة فلهذا كان الأيقاظ من
أهلها هم العلماء العقلاء الرهّاد .

العاملون بعلمهم الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم لم يركنوا إلى الدنيا بل
اتخذوها مطية إلى الآخرة .

شعرا : إِذَا بَكَيْتُ مَا مَضَى مِنْ زَمَنِ فَحُقَّ لِي أَبْكِي وَمَنْ لِي بِالْبَكََا
مَنْ أَبْصَرَ الدُّنْيَا بَعَيْنِ عَقْلِهِ أَدْرَكَ أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لِلْبَقَا
مَطِيَّةٌ وَارِدَةٌ إِلَى الرَّدَى وَإِنْ تَرَاحَى الْعُمُرُ وَامْتَدَّ الْمَدَى
إِنْ هِيَ أُعْطِيَتْ كَانَتْ هَمًّا حَاضِرًا أَوْ مُنِعَتْ كَانَ عَذَابًا وَأَذَى
والمراء رهن أمل ما ينتهي حتى يوافي أجلا قد انتهى

بخلاف علماء الألسن الذين يلبسون للناس جلود الظان من اللين وقلوبهم
قلوب الذئاب الذين يتخللون بالسنتهم كما تتخلل البقرة بلسانها . قال بعضهم
وأجاد في وصف الدنيا .

أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا كَجِيفَةِ مَيْتَةٍ وَطَلَابُهَا مِثْلُ الْكِلَابِ الْهَوَامِسِ
وَأَعْظَمُهُمْ ذَمًّا لَهَا وَأَشَدَّهُمْ بِهَا شَغْفًا قَوْمٌ طَوَالَ الْقَلَانِسِ
وختاماً فاستيقظوا رحمكم الله من غفلتكم وانتهبوا من رقديتكم قبل أن
يقال فلان مريض أو مدنف ثقيل فهل من دليل يدل على الدواء لهذا العليل أو
هل إلى الطبيب من سبيل .

فُتُنْقَلُ إِلَى الْمُسْتَشْفَى وَتُدْعَى لَكَ الْأَطْبَاءُ وَلَا يُرْجَى لَكَ الشِّفَاءُ ثُمَّ يُقَالُ
فَلَانَ أَوْصَى وَلِمَالِهِ أَحْصَى ثُمَّ يُقَالُ قَدْ ثَقُلَ لِسَانُهُ وَمَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُكَلِّمَ
إخوانه .

وهو في سكرات الموت لا يعرف من عنده من أولاده وإخوانه وجيرانه

وَعَرِقَ عِنْدَ ذَلِكَ جَيْبُنِكَ وَتَتَابَعَ أَنْيُنُكَ وَتَبَّتْ يَقِينُكَ وَارْتَفَعَتْ جُفُونُكَ وَصَدَقَتْ ظُنُونُكَ .

وَتَلَجَّجَ وَتَحَيَّرَ لِسَانُكَ وَبَكَى أَوْلَادُكَ وَإِخْوَانُكَ وَقِيلَ لَكَ هَذَا ابْنُكَ فَلَانَ وَهَذَا أَخُوكَ فَلَانَ وَهَذِهِ أُمُّكَ وَهَذَا أَبُوكَ وَبَصْرُكَ شَاخِصٌ وَعْيُونُكَ غَرِقِي مِنَ الدَّمْعِ وَلَا تَقْدِرُ عَلَى الكَلَامِ .

فَتَصَوَّرْ نَفْسَكَ يَا مَسْكِينِ وَأَنْتَ مُلْقَى عَلَى الأَرْضِ الَّتِي خُلِقْتَ مِنْهَا جُنَّةً تَتَصَاعَدُ رُوحُكَ وَالنَّاسُ مِنْ حَوْلِكَ يَبْكُونَ وَلَكِنْ دُونَ جَدْوَى لِأَنَّ قَضَاءَ اللَّهِ وَقَدْرَهُ لَا بُدَّ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ .

ثُمَّ نُحْتِمِ عَلَى لِسَانِكَ فَلَا يَنْطِقُ ثُمَّ حَلَّ بِكَ الْقَضَاءُ وَانْتَرَعْتَ نَفْسُكَ مِنَ الأَعْضَاءِ ثُمَّ عَرَجَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ فَاجْتَمَعَ عِنْدَ ذَلِكَ أَوْلَادُكَ وَإِخْوَانُكَ وَأَحْضِرْتُ أَكْفَانُكَ وَجِيءَ بِالتَّعَشُّيِّ وَالمُغْسَلِ .

فَجَرَّدَكَ مِنَ الثِّيَابِ وَغَسَّلَكَ وَجِيءَ بِالكَفْنِ فَكَفَّنُوكَ وَخَنَطُوكَ فَانْقَطَعَ عَوَاذُكَ وَاسْتَرَاحَ حُسَادُكَ وَانصَرَفَ أَهْلُكَ إِلَى مَالِكٍ وَبَقِيَتْ مُرْتَهَنًا بِأَعْمَالِكَ فِيهَا مِنْ رَحَلَةٍ وَيَالَهُ مِنْ قُدُومِ .

شعرا: فَمَا تَزَوَّدَ مِمَّا كَانَ يَجْمَعُهُ سِوَى حَنَوطِ غِدَاةِ البَيْنِ فِي خِرْقٍ وَغَيْرِ نَفْحَةِ أَعْوَادٍ تُشَبُّ لَهُ وَقَلَّ ذَلِكَ مِنْ زَادٍ لِمُنْطَلِقِ هَذِهِ قَصِيْدَةٌ فِي مَدْحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْزَلْنَا مَا فِيهَا مِنَ العُلُوِّ الَّذِي مَا تُثَبِّهُ لَهُ وَتَرَكْنَا أَيْضًا التَّثْيِيبَ الَّذِي فِي أَوْلَاهَا .

أَحْمَدُ الأَهَائِيَّ إِلَى سَبِيلِ الأَهْدَى كَمَ بَدَى مِنْهُ لِأَهْلِ أَرْضِ نُصْحِ
هَاشِمِيٍّ قُرَشِيٍّ طَاهِرٍ حَسَنَ الأَخْلَاقِ زَاكِي الأَصْلِ سَمَّخِ
جَاءَ بِالدِّينِ الحَنِيفِيِّ وَقَدْ طَبَّقَ الأَرْضَ مِنَ الإِشْرَاقِ جُنْحِ
فَآرَى النَّاسَ الأَهْدَى بَعْدَ الرَّدَى فَإِذَا الحَقُّ تَجَلَّى مِنْهُ صَبْحِ
فَأَيُّ مِنْهُمْ كِلَابٌ كَيْدُهُمْ حِينَ خَافُوا أَسَدَ الإِسْلَامِ نَبْحِ
ثُمَّ لَمَّا رَامَ تَمْزِيْقَ الدُّجَا جَاءَهُ مِنْ فَجْرِ نُورِ اللَّهِ رُمْحِ
فَانجَلَى الشُّرْكَ وَوَلَّى دُبْرَهُ وَعَلَتْ لِلدِّينِ آطَامُ وَصْرْحِ

صَارَ لِلْأَصْنَامِ تَكْسِيرٌ وَطَرَحَ
 مِنْ لَطْفِ نَارِ لِأَهْلِ الْكُفْرِ تَلْحُ
 لِلنَّبِيِّينَ جَرَى خْتَمٌ وَفَتَحَ
 فَهُوَ كَالْمِسْكِ لَهُ فِي الْخْتَمِ نَفْحُ
 زَانَهُ صِدْقٌ وَصَبْرٌ ثُمَّ صَفْحُ
 فَهُوَ كَالْبَحْرِ فَلَا يُزْرِيه نَزْحُ
 وَهُوَ فِي يَوْمِ النَّدَى عَيْثُ يَسْخُ
 جَادَ بِالْجُودِ فَلَا يَعْرَهُ شُخُ
 عَادِيَاتُ وَبَدَا مِنْهُنَّ ضَبْحُ
 فِي مَجَالٍ وَحَمَى لِلْبَلِّ نَضْحُ
 أَيُّهُلُ الضَّيْعَمِ الْمِقْدَامِ سَرْحُ
 مِنْ دِمَا أَعْدَائِهِ سَيْفٌ وَرُمْحُ
 بَعْدَ أَنْ يُشْخِنَهُ قَتْلٌ وَجَرْحُ
 فَتَجَا مَنْ هُوَ لِلْمُخْتَارِ صَلْحُ
 لِيُزِيلُوا شِرْعَةَ الْحَقِّ وَيَمْحُ
 مَا شَفُوا غَيْظاً وَمَا لِلزُّنْدِ قَدْحُ
 جَبَلُ الْإِسْلَامِ أَنْ يُوهِيهِ نَطْحُ
 لِدَمِ الْكُفَّارِ فِي الْهَيْجَاءِ سَفْحُ
 وَتَوَلَّى وَلَهُ فِي الْعَدُوِّ جَمْحُ
 وَهُمْ الرُّهْبَانُ مَهْمَا جَنَّ جُنْحُ
 وَأَكْفَهَرَتْ أَوْجُهُ لِلْحَرْبِ كَلْحُ
 جِزْعاً إِنْ نَالَهُمْ فِي الْحَرْبِ قَرْحُ
 وَهُوَ فِي الدَّوْقِ مِنَ الْعَلَقِمِ صَرْحُ
 أَبَدًا فِي نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ كَدْحُ

وَبَدَتْ أَعْلَامُ إِسْلَامٍ بِهَا
 وَبِهِ الرَّحْمَنُ قَدْ أَنْقَدْنَا
 هُوَ خَيْرُ الْخَلْقِ طُرّاً وَبِهِ
 فِيهِ قَدْ بُدُوا وَاخْتَمُوا
 فَاقَ فِي حِلْمٍ وَحُكْمٍ وَحِجَى
 عَزْمُهُ مَاضٍ وَأَمَّا عِلْمُهُ
 فَهُوَ فِي يَوْمِ الْوَعْيِ لَيْثُ عِدَى
 كَفَّهُ عَارِضُ جُودٍ هَاطِلُ
 وَإِذَا مَا نَارَ نَفْعٍ وَعَدَتْ
 وَلْتَقَى الْبَيْضُ وَأَطْرَافُ الْفَنَاءِ
 لَمْ يَكُنْ كَيْدُ الْعِدَى هَائِلُهُ
 كَمْ لَهُ مِنْ مَوْطِنٍ فِيهِ أَرْتَوَى
 كُلُّ مَنْ حَارَبَهُ دَانَ لَهُ
 حَرْبُهُ نَارٌ عَلَى أَعْدَائِهِ
 جَاءَهُ الْكُأْرُ فِي أَحْزَابِهِمْ
 فَتَوَلَّوْا هُرْباً بَلْ خُبَيْأُ
 غَنَمٌ بِالنَّطْحِ صَالَتْ وَأَى
 وَلَهُ صَحْبٌ لِيُوثَ هَمَّهُمْ
 لَمْ يُلَاقُوا أَحَدًا إِلَّا أَتْنَسَى
 فَهُمْ الشُّجْعَانُ إِنْ جَاءَ الضِّيَا
 وَهُمْ الْقَوْمُ إِذَا مَا عَبَسَتْ
 لَا تَرَى فَخْرًا إِذَا نَالُوا وَلَا هُمْ
 كَمْ سَقُوا جِزْبَ الْعِدَى كَأْسَ الرَّدَى
 فَهُمْ الْأَنْصَارُ لِلدِّينِ لَهُمْ

بَدُّوا الْأَنْفُسَ وَالْأَنْفُسُ مِنْ مَا لِهَمَّ لِلَّهِ مَا ضُنُّوا وَشَحُّوا
حَسْبِهِمْ مِنْ مَالِهِمْ سَابِغَةٌ وَجَوَادُ ثُمَّ صَمَّصَامٌ وَسَمَّخٌ
فَأَغْفِرِ اللَّهُمَّ ذَنْبِي كُلَّهُ وَأَسْتُرِ الْعَيْبَ فَلَا يُبْدِيهِ فَضْخٌ
وَأَجِبْ رَبِّي دُعَائِي إِنَّهُ لِقَضَاءِ الْحَاجِّ مِتَّاحٌ وَنَجْعٌ
وَأَتِمَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ عَلَى فَضْلِهِ وَالْفَضْلُ مِنْ ذِي الْعَرْشِ مَنْحٌ
وَصَلَوَةُ اللَّهِ مَعَ تَسْلِيمِهِ مَا جَرَى فَلَكَ لَهُ فِي الْبَحْرِ سَبَخٌ
أَبْدَأُ يَهْدِي إِلَى خَيْرِ الْوَرَى مَنْ لَهُ فِي كُتُبِ الرَّحْمَنِ مَذْخٌ
أَحْمَدُ وَالْأَلَّ وَالصَّحْبُ وَمَنْ لَهُمْ يَقْفُوا عَلَى الْأَثْرِ وَيَنْحُوا
مَا حَدَى بِالْعَيْسِ حَادِيهَا وَمَا أَطْرَبَ السَّمْعَ مِنَ السَّاجِعِ صَدْحٌ
اللهم وفقنا للاستعداد لما أماننا واهدنا سبيل الرشاد ووفقنا للعمل الصالح
ليوم المعاد واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم
الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(موعظة)

قال الله جل ذكره ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وقال جل وعلا ﴿ فَذَكَرْ إِنْ
نَفَعَتِ الذِّكْرَى ﴾ وقال عزَّ مِنْ قَائِلٍ ﴿ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مِنْ يَخَافُ وَعِيدٌ ﴾ وقال تبارك
وتعالى ﴿ فَذَكَرْ فَمَا أَنْتَ بِعَمَةٍ رِبْكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ .

وقال تعالى ﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ وقال جل
وعلا ﴿ وَذَكَرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ ﴾ وقال جل وعلا وتقدس ﴿ يَعِظْكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ
أَبْدًا ﴾ .

وكان النبي ﷺ يَتَخَوَّلُ أَصْحَابَهُ بِالْمَوْعِظَةِ فَالْوَعِظُ وَالتَّذْكِيرُ فَرِيضَتَانِ
وَاجِبَتَانِ مَاضِيَتَانِ عَلَى أَهْلِهِمَا بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ .
وقد أمر الله الموعظين بالاستماع والإصغاء للموعظة لِمَا فِيهَا مِنَ الْمَنَافِعِ
العظيمة .

فعلى كل إنسان مهما جل قدره وعظم خطره أن يحرص ويجتهد على استماع
الموعظة وقبول النصيحة لأنه إذا فعل ذلك فاز بقسطه الأوفر وحظه الأجزل

واستحق من الله البشرى في العاجل والثواب في الآجل ومن عُقلاء خَلَقَهُ الشاء الحسن والمدح والإكرام والدعاء .

فإنَّ الله جل ذكره يقول ﴿فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ ثم قال ﴿إولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾ .

وقد شبَّه الله الكفرةَ المعرضين عن القرآن الذي هو مشتمل على التذكرة الكبرى والموعظة العظمى بالحُمُر قال تعالى ﴿فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ فليحذر المسلم أن يتشبه بهم ويُعرض عن الموعظة .

وقد جعل الله جل ذكره الخَيْرَ في الاعتبار والاعتبار بالتفكير وَحَثَّ عليه في عِدَّة مواضع من كتابه قال تعالى ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾ وقال ﴿إن في ذلك لَعِبْرَةٌ لَأُولِي الأبصار﴾ .

وقال جلا وعلا ﴿أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى﴾ وقال جل وعلا وتقدس ﴿إن في ذلك لإيات لقوم يتفكرون﴾ .

وقال عز من قائل ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقنا عذاب النار﴾ وقال جل وعلا ﴿إن في ذلك آية لقوم يتفكرون﴾ .

فمن قريب ما يجب أن يُفكر فيه اللبيب ويتدبره أن يتذكر أحوال الأمم والقرون الماضية والملوك الأولين الذين كانوا من أشد خلق الله قوة وأكثر جمعا وأبين آثاراً وأطول أعماراً الذين بنوا المدائن وجمعوا الخزائن وحفروا الأنهار وعمَّروا الديار وشيَّدوا القصور .

ودبروا الأمور وجمعوا الجُموع وقادوا الجُيُوش وساقوا الخيول ودَوَّخُوا البلاد وأذلوا العبادَ ومشَوْا في الأرض مَرَحاً واختالَوْا بما أوتوا فرحاً فأخذهم الله بما كانوا يكسبون لله .

فأصبحوا بَعْدَ العزِّ والمَنَعَةِ والملِكِ والرفعة والصوت والسطوة والذِكْرِ والصلوة

عظاما رميما ورفاتا هشيميا وأصبحت منازلهم خاوية وقصورهم خالية وأجسادهم بالية وأصواتهم هادئة .

تُخبرك آثارهم مُعينة وتقرع سمعك أخبارهم مجاهرة فلم يصحبهم من الدنيا ما جَمَعوا ولم يَدْفَع عنهم الردى ما كسبوا ولَعَلَّهم نَدِموا حيث لم تنفعهم الندامة وتلهفوا حيث لا يغني عنهم التلهف شيئا .

وإنَّ الباقي عَمَّا قليل كالفاني والغابر عَمَّا قليل كالماضي وما بينهما إلا أنفاسٌ معلومة وأيامٌ معدودة سريعة الانقضاء قريبة الانتهاء .

فليحذر المُغتَرِّ بملكه والمُتمتِّع بعزه هذه الصرعة وليستعدَّ لهذه الوجبة واليئته هذه الموعظة فإنَّ الله جعلها في أوائل مواعظه .

وكرَّرها في مواضع من كتابه حيث جل وعلا وتقدس يقول ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشدَّ منهم قوةً وآثاروا الأرض وعمَّروها أكثر مما عمَّروها وجاءتهم رسالهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ .

وقال تعالى ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشدَّ قوةً وآثاراً في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ .

وقال جل وعلا وتقدس ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشدَّ منهم قوةً وآثاراً في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق﴾ .

وعد جل وعلا كثيراً منهم في كتابه ووصفهم وسماهم في خطابه حيث يقول ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الأوتاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوطاً عذاب إن ربك بالمرصاد﴾ .

وقال ﴿وعاداً وثمود وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً﴾ هذا خبر أصدق القائلين وهذا قول حق وقد جعل الله بكل ما شوهد في أيامه وعوين في زمانه ممن رُفِعوا ثم وُضِعوا وعلوا ثم صُرِعوا ودارت عليهم الدوائر ونابتهم النوائب ما في بعضه مَقْنَعٌ لمعتبر وبلاغٌ لمذكر .

قالوا وأشرف أبو الدرداء صاحب رسول الله ﷺ على أهل حمص فقال يا أهل حمص أتبنون ما لا تسكنون وتأملون ما لا تدركون وتجمعون ما لا تأكلون . إن من كان قبلكم بنواً شديداً وأملوا بعيداً وجمَعوا كثيراً فأصبحت اليوم مساكنهم قبوراً وأملهم غروراً وجمعهم بوراً .

وقد قال أحد فصحاء الملوك في خطبته : ألم تروا مصارع من كان قبلكم كيف استدرجهم الدنيا بزخارفها ونفتهم ثم تركتهم وقد تحلّت عنهم فهم في حيرة وظلمة مُدْهِمَةٌ تركوا الأهلين والأولاد والعيال والأموال .

مساكنهم القبور وقد خلّت منهم الدور وتقطّعت منهم الأوصال والصدور وصاروا تراباً بالياً وكان الله لهم ناهياً قال تعالى ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور إن الشيطان لكم عدوٌ فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ .

(مَوْعِظَةٌ)

عِبَادَ اللَّهِ سُرُورَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَعْبُرُونَ الْقَنَاطِرَ وَيَأْمَنُونَ الْعَوَائِرَ فَذَلِكَ يَوْمٌ عِيدِهِمْ وَمَادَامُوا فِي دَارِ الْغُرُورِ فَلَا غِبْطَةَ وَلَا سُرُورَ .
وَأَيُّ سُرُورٍ لِمَنِ الْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَاصِيَتِهِ وَالذُّنُوبُ رَاسِخَةٌ فِي آنِيَتِهِ وَالنَّفْسُ تَقُودُهُ إِلَى هَوَاهَا وَالدُّنْيَا تَتَزَيَّنُّ فِي عَيْنِهِ بِمُشْتَهَاهَا .
وَالشَّيْطَانُ مُسْتَبْطِنٌ فَقَارَ ظَهْرِهِ لَا يَفْتَرُ عَنِ الْوَسْوَسَةِ فِي صَدْرِهِ وَنَفْسِهِ وَمَالِهِ بَعْرُضِهِ لِلْحَوَادِثِ وَلَا يَدْرِي فِي كُلِّ نَفْسٍ مَا عَلَيْهِ حَادِثٌ .

شِعْرًا : فَعَالِي قَبِيحٌ وَظَنِّي حَسَنٌ وَرَبِّي غَفُورٌ كَثِيرُ الْمَنَنِ
تُبَارِزُ مَوْلَاكَ يَا مَنْ عَصَى وَتَحْشَى مِنَ الْجَارِ لَمَّا فَطِنَ

رَكِبْتُ الْمَعَاصِيَّ وَشَيَّبَنِي مَعِيَ فَوَاللَّهِ يَا نَفْسُ مَا ذَا حَسَنٍ
فَقَوْمِي الدِّيَاجِي لَهٗ وَارْغَبِي وَقَوْلِي لَهُ يَا عَظِيمَ الْمِنَّةِ
وَقَوْلِي لَهُ يَا عَظِيمَ الرَّجَا إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْفُ عَنِّي فَمَنْ
آخِر: إِنِّي بُلِيتُ بِأَرْعَ مَا سَلَطُوا إِلَّا لِأَجْلِ شَقَاوَتِي وَعَنَائِي
إِبْلِيسَ وَالدُّنْيَا وَنَفْسِي وَالهَوَى كَيْفَ الْخَلَاصُ وَكُلُّهُمْ أَعْدَائِي

ومن ورائه المغير ومسألة منكر ونكير ويتوسد التراب إلى يوم النشور
﴿يَوْمُ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يَوْمٌ لَا يُبْلَغُ وَصْفُ أَهْوَالِهِ وَلَا شَرْحُ أَحْوَالِهِ
مَا لَا يَسَعُ الْمُؤْمِنَ بِهِ أَنْ يَسْتَقِرَّ لَهُ قَرَارٌ وَلَا يَخْتَلِدُ إِلَى هَذِهِ الدَّارِ وَلَا يَكُونُ لَهُ هَمٌّ
فِي هَذِهِ الدُّنْيَا إِلَّا التَّقَرُّبُ بِأَنْوَاعِ الْقُرْبِ وَاجْتِنَابُ الْفَوَاحِشِ وَالرِّيْبِ وَإِقَامَةُ
الدِّينِ الَّذِي فِي إِقَامَتِهِ النَّجَاةُ وَفِي تَضْيِيعِهِ الْعَطْبُ الْعَظِيمُ .

يَوْمُ الْقِيَامَةِ لَوْ عَلِمْتَ بِهِوْلَهُ لَفَرَرْتَ مِنْ أَهْلِ وَمِنْ أَوْطَانِ
يَوْمُ تَشَقَّقَتِ السَّمَاءُ لَهُوْلَهُ وَتَشَيَّبُ مِنْهُ مَفَارِقُ الْوُلْدَانِ
يَوْمُ عَبُوسٌ قَمَطِرِيرٌ شَرُّهُ فِي الْخَلْقِ مُتَشَشِرٌ عَظِيمُ الشَّانِ
يَوْمُ يَجِيءُ الْمُتَّقُونَ لِرَبِّهِمْ وَفَدَا عَلَى نُجْبٍ مِنَ الْعَقِيَّاتِ
وَيَجِيءُ فِيهِ الْمَجْرُمُونَ إِلَى لَظِي يَتَلَمَّظُونَ تَلَمَّظَ الْعَطْشَانِ
وَالْجَنَّةُ الْعُلْيَا وَنَارُ جَهَنَّمَ دَارَانِ لِلْخَصْمَيْنِ دَائِمَتَانِ

اللَّهُمَّ أْتِمِّمْ عَلَيْنَا نِعْمَتَكَ الْوَافِيَةَ وَأَرْزُقْنَا الْإِخْلَاصَ فِي أَعْمَالِنَا
وَالصُّدْقَ فِي أَقْوَالِنَا وَعُدِّ عَلَيْنَا بِإِصْلَاحِ قُلُوبِنَا وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
المُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ (فَصَلِّ)

كتب بعضهم إلى أخ له فقال له : أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله
سبحانه والعمل بما علمك الله تعالى والمراقبة حيث لا يراك إلا الله عز وجل
والاستعداد لما ليس لأحد فيه حيلة ولا ينتفع بالندم عند نزوله .

شِعْرًا : تَفَوُّزُ بِنَا الْمَثُونِ وَتَسْتَبِيدُ وَيَأْخُذْنَا الزَّمَانُ وَلَا يَرُدُّ
وَانظُرْ مَاضِيًا فِي إِثْرِ مَاضٍ لَقَدْ أَيَقَنْتُ أَنَّ الْأَمْرَ جِدُّ
رُويْدًا بِالْفِرَارِ مِنَ الْمَنَائِيَا فَلَيْسَ يَفُوتُهَا السَّارِي الْمَجِدُّ

فَاحْسِرْ عَنِ رَأْسِكَ قِنَاعَ الْغَافِلِينَ وَانْتَبِهْ مِنْ رَقْدَةِ الْمَوْتَى وَشِمْرٍ لِلْسَّبَاقِ
غَدًا فَإِنَّ الدُّنْيَا مَيْدَانُ الْمُسَابِقِينَ وَلَا تَعْتَرَّ بِمَنْ أَظْهَرَ النُّسُكَ وَتَشَاغَلَ بِالْوَصْفِ
وَتَرَكَ الْعَمَلَ بِالْمَوْصُوفِ .

وَاعْلَمْ يَا أَخِي أَنَّهُ لَا بُدَّ لِي وَلكَ مِنَ الْمَقَامِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَسْأَلُنَا
عَنِ الدَّقِيقِ الْخَفِيِّ وَالْجَلِيلِ الْخَافِي وَكُنْتُ آمِنٌ أَنْ يَسْأَلَنِي وَإِيَّاكَ عَنِ وَسْوَسةِ
الصُّدُورِ وَلَحْظَاتِ الْعُيُونِ وَالْإِصْغَاءِ لِلْإِسْتِمَاعِ .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يُجْزِي مِنَ الْعَمَلِ الْقَوْلُ وَلَا مِنَ الْبَدْلِ الْعِدَّةُ وَلَا مِنَ التَّوَقُّفِ
التَّلَاوُمُ .

قَالَ نَافِعٌ خَرَجْتُ مَعَ ابْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي بَعْضِ نَوَاحِي الْمَدِينَةِ وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ
فَوَضَعُوا سَفْرَةَ لَهُمْ فَمَرَّ بِهِمُ الرَّاعِي فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الرَّاعِي هَلُمَّ فَأَصِيبْ
مِنْ هَذِهِ السَّفْرَةِ .

فَقَالَ لِي صَائِمٌ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ الشَّدِيدِ حَرُّهُ وَأَنْتَ بَيْنَ
هَذِهِ الشَّعَابِ فِي آثَارِ هَذِهِ الْغَنَمِ وَبَيْنَ هَذِهِ الْجِبَالِ تَرَعَى هَذِهِ الْغَنَمَ وَأَنْتَ صَائِمٌ .
فَقَالَ الرَّاعِي أُبَادِرُ أَيَّامِي الْخَالِيَةَ فَعَجَبَ ابْنُ عَمْرِو بْنِ الرَّاعِي وَقَالَ هَلْ لَكَ أَنْ تَبِيعَنَا
شَاةً مِنْ غَنَمِكَ نَعْتَزِرُهَا نَطْعُمَكَ مِنْ لَحْمِهَا مَا تُفْطِرُ عَلَيْهِ وَنُعْطِيكَ ثَمَنَهَا .
قَالَ إِنَّهَا لَيْسَتْ لِي إِنَّهَا لِمَوْلَايَ قَالَ فَمَا عَسَيْتَ أَنْ يَقُولَ مَوْلَاكَ إِنْ
قُلْتَ أَكَلَهَا الذُّبُّ .

فَمَضَى الرَّاعِي وَهُوَ رَافِعٌ إِصْبَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ يَقُولُ فَأَيْنَ اللَّهُ قَالَ فَلَمْ
يَزَلْ ابْنُ عَمْرِو بْنِ الرَّاعِي يَقُولُ قَالَ الرَّاعِي فَأَيْنَ اللَّهُ فَمَا عَدَا أَنْ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَبَعَثَ إِلَى سَيِّدِ
الرَّاعِي فَاشْتَرَى مِنْهُ الرَّاعِي وَالْغَنَمَ فَأَعْتَقَ الرَّاعِي وَوَهَبَ لَهُ الْغَنَمَ .

وَدَعَا قَوْمٌ رُجُلًا إِلَى طَعَامٍ فِي يَوْمٍ قَائِظٍ شَدِيدِ حَرِّهِ فَقَالَ لِي صَائِمٌ فَقَالُوا
أَفِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ قَالَ أَفَاعْبُنُ أَيَّامِي .

وَنَزَلَ رَوْحُ بَنِ زَيْنَبَ مَنزِلًا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فِي يَوْمِ صَائِفٍ وَقَرَّبَ
غَدَاءَهُ فَأَحَطَّ رَاعٍ مِنْ جَبَلٍ فَقَالَ يَا رَاعٍ هَلُمَّ إِلَى الْغَدَاءِ قَالَ إِنِّي صَائِمٌ .
قَالَ لَهُ رَوْحُ بَنِ زَيْنَبَ أَوْ تَصُومُ فِي هَذَا الْحَرِّ الشَّدِيدِ قَالَ الرَّاعِي أَفَادُعُ
أَيَّامِي تَذْهَبُ بَاطِلًا فَأَنْشَأَ رَوْحٌ يَقُولُ :

لَقَدْ ضَنَنْتَ بِأَيَّامِكَ يَا رَاعِي
إِذْ جَادَ بِهَا رَوْحُ بَنِ زَيْنَبَ
وَدَعَا قَوْمَ رَجُلًا إِلَى طَعَامٍ فَقَالَ إِنِّي صَائِمٌ فَقَالُوا أَفِطِرٌ وَصُمُّ غَدَاً قَالَ
وَمَنْ لِي بِأَنْ أُعِيشَ إِلَى غَدٍ .

رُوي أَنِ الْحَسَنَ رَأَى رَجُلًا مُتَعَبِّدًا فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا يَمْنَعُكَ مِنْ
مُجَالَسَةِ النَّاسِ قَالَ مَا شَغَلَنِي عَنِ النَّاسِ قَالَ فَمَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَ الْحَسَنَ فَقَالَ مَا
أَشْغَلَنِي عَنِ الْحَسَنِ قَالَ فَمَا الَّذِي أَشْغَلَكَ عَنِ الْحَسَنِ .
قَالَ إِنِّي أَمْسِي وَأَصْبِحُ بَيْنَ ذَنْبٍ وَنِعْمَةٍ فَرَأَيْتُ أَنْ أُشْغَلَ نَفْسِي
بِالاسْتِغْفَارِ لِلذَّنْبِ وَالشُّكْرِ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى النُّعْمَةِ فَقَالَ أَنْتَ عِنْدِي أَفْقَهُ مِنْ
الْحَسَنِ .

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ حَاتًّا عَلَى شُكْرِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا فَقَالَ إِخْوَانِي اشْكُرُوا اللَّهَ
عَلَى مَا أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِهِ مِنْ الْأَلْسُنِ بِكَثْرَةِ التَّلَاوَةِ لِكِتَابِ اللَّهِ وَذِكْرِهِ .
فَإِنْ قَرَّطُمُ فِي ذَلِكَ فَاسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ أَنْ تَخَوْضُوا بِاللُّسُنِ فِي فُنُونِ الْآثَامِ
فَقَدْ وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ « وَهَلْ يَكِبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى مَنَاحِرِهِمْ إِلَّا
حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ » .

فَالرَّجُلُ الْعَاقِلُ الْمُسْتَقِيمُ لَا يَسْتَعْمِدُ لِسَانَهُ إِلَّا فِي الْحَقِّ وَالْخَيْرِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ
وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَتِلَاوَةِ كِتَابِهِ الْكَرِيمِ وَالنَّصِيحِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْإِمَّةِ
الْمُسْلِمِينَ وَعَامَتِهِمْ وَيَجْتَنِبُ الْكُذْبَ وَالْإِفْتِرَاءَ وَالغِيْبَةَ وَالنَّمِيمَةَ وَيَجْتَنِبُ الْقَبِيحَ
وَتَقْبِيحَ الْحَسَنِ وَالتَّمَلُّقَ وَالنَّفَاقَ وَالرِّيَاءَ قَالَ ﷺ « الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ
مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ كُلِّ هَذِهِ مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ » .

أَلَا وَاشْكُرُوا اللَّهَ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنْ الْأَبْصَارِ بِالنَّظَرِ إِلَى الْحَقِّ
بِالاعتبارِ شُكْرًا لَهُ فَإِنْ رَغِبْتُمْ عَنْ ذَلِكَ فَرَأَوْا اللَّهَ أَنْ تَنْظُرُوا بِالْأَبْصَارِ إِلَى الْحَرَامِ

فَتَغْضِبُوا اللَّهَ بِنِعْمِهِ كَفَعَلَ الْكَثِيرِ مِنَ النَّاسِ فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ .

أَلَا فَرَأَيْتُمْ أَنَّى وَاشْكُرُوهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمْعِ بِالِاسْتِمَاعِ إِلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَكَلَامِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَالْمَوَاعِظِ الْحَسَنَةِ .

فَإِنْ ضَيَّعْتُمْ ذَلِكَ وَفَرَطْتُمْ فِيهِ فَاسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ أَنْ تُنْصِتُوا بِأَسْمَاعِكُمْ إِلَى الْهَوَى وَالْمَلَاهِي وَالْأَغَانِي وَجَمِيعِ الْمُنْكَرَاتِ فَإِنَّكُمْ عَنْ جَمِيعِ ذَلِكَ مَسْئُولُونَ .

وَاشْكُرُوا اللَّهَ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنَ الْأَيْدِي بِيَسْطِهَا إِلَى الْخَيْرَاتِ فَإِنْ قَصَّرْتُمْ عَنْ ذَلِكَ فَاسْتَحْيُوا أَنْ تَبْسُطُوهَا إِلَى الظُّلْمِ وَالْأَذَى كَفِعَلِ كَثِيرٍ مِنَ

النَّاسِ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلَمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمَ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ مَهْطَعِينَ

مَقْنَعِي رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدَّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْتَدَتْهُمْ هَوَاءٌ ﴿ أَلَا فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَاشْكُرُوا عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنَ الْأَرْجُلِ بِالسَّعْيِ بِهَا إِلَى الطَّاعَاتِ فَإِنْ

قَصَّرْتُمْ فِي ذَلِكَ فَارْقُبُوا اللَّهَ وَلَا تَسْعَوْا بِهَا إِلَى الْآثَامِ .

فَالرَّجُلُ الْمُسْتَقِيمُ لَا يَسْتَعْمِدُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَجَمِيعَ حَوَاسِهِ وَمَشَاعِرِهِ إِلَّا فِيمَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُ وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ كَثِيرًا مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَقِيمِينَ وَعَدَّهُمْ

مُفْلِحِينَ مُسْتَحِقِّينَ لِلْخُلُودِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿ يَوْمَ

تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ فَكَيْفَ بِكَ وَالْأَكْبَالِ فِي الْأَقْدَامِ وَالْأَغْلَالِ فِي الْأَعْنَاقِ ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا ﴿ إِذِ الْأَغْلَالِ فِي

أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ .

أَلَا فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَاشْكُرُوا عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنَ الْأَقْوَاتِ فَلَا تَتَّقَوْا بِهَا عَلَى مَعَاصِي اللَّهِ أَلَا يَا عِبَادَ اللَّهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنَ

اللباس وذلك بأن تُبْلُوهُ فِي رِضَى اللَّهِ فَإِنْ قَصَّرْتُمْ عَنْ ذَلِكَ فَاسْتَحْيُوا أَنْ تُبْلُوا لِبَاسَكُمْ فِي مَا يَكْرَهُ اللَّهُ .

شعرا :

عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ تَجِدُ نَفْعَهَا يَوْمَ الْحِسَابِ الْمُطَوَّلِ
أَلَا إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ خَيْرٌ بِضَاعَةٍ وَأَفْضَلُ زَادِ الضَّاعِنِ الْمُتَحَمِّلِ

وَلَا خَيْرَ فِي طُولِ الْحَيَاةِ وَعَيْشِهَا إِذَا أَنْتَ مِنْهَا بِالتَّقَى لَمْ تَزُودِ
أَلَا فَاتَقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَاشْكُرُوا عَلَى مَا وَهَبَكُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ وَذَلِكَ بِأَنْ
تُبْلُوهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ بَخَلْتُمْ عَنْ ذَلِكَ فَاسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ أَنْ تُنْفِقُوا مَا وَهَبَكُمْ
مِنَ الْمَالِ فِي مَعَاصِيهِ .

وَاشْكُرُوا اللَّهَ عَلَى نِعْمَتِهِ الْعَظْمَى وَهُوَ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ
وَبِكْتَبِهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرَسُولِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِهِ .

وَأَشْكُرُوا عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنَ الْعَقْلِ بِالتَّفَكِيرِ وَالتَّوَدُّبِ وَاعْتِقَادِ
حُسْنِ النِّيَّةِ وَالاعتبارِ وَشِدَّةِ الخوفِ وَالحُزْنِ وَسلامةِ الصَّدْرِ لِلْعَامَّةِ .

وَأَشْكُرُوا اللَّهَ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنَ الْعَقْلِ بِأَنْ تُعَظِّمُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ
وَتُجَلِّوهُ وَتُسْتَحْيُوا مِنْهُ وَتَهَابُوهُ وَتَتَّقُوهُ وَتُطِيعُوهُ عَلَى حَسَبِ مَا عَقَلْتُمْ مِنْ
عَظَمَتِهِ وَكِبَرِيَّاتِهِ وَعَظِيمِ قَدْرِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

فَإِنْ قَصَرْتُمْ فِي ذَلِكَ فَارْأَوْا اللَّهَ تَعَالَى وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ لَا يُعَظِّمُونَهُ
وَلَا يُجَلِّوْنَهُ وَلَا يَهَابُونَهُ وَلَا يَسْتَحْيُونَ مِنْهُ وَلَا يَتَّقُونَهُ وَلَا يُطِيعُونَهُ وَلَا يُقَدِّرُونَهُ
حَقَّ قَدْرِهِ بَلْ يَسْتَهَيِّنُونَ بِكَثِيرٍ مِنْ أَمْرِهِ .

فَاتَقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ أَنْ تَعُودُوا بَعْدَ الْعِلْمِ جُهَالًا وَبَعْدَ الْمَعْرِفَةِ وَالفهمِ
ظُلُمًا وَيَعُودُوا الْعَقْلَ وَالْعِلْمَ عَلَيْكُمْ وَبَالًا .

وَهَبَ اللَّهُ لَنَا وَلَكُمْ الْقِيَامَ بِطَاعَتِهِ وَوَقَفْنَا وَإِيَّاكُمْ شُكْرَ نِعْمِهِ وَحُسْنَ
عِبَادَتِهِ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ رُؤُوفٌ رَحِيمٌ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(موعظة)

إِنَّ الْعَجَبَ كُلَّ الْعَجَبِ مِنْ إِنْسَانٍ عَاقِلٍ أُخْبِرَ أَنَّهُ سَيَسْأَلُكَ طَرِيقًا شَائِكًا وَعَرًّا
مَلِيئًا بِالْمَخَافِ وَالْمُزَعَّجَاتِ وَالْمَهَالِكِ وَأَنْ عَلَيْهِ أَنْ يَتَّصِرَ هَذِهِ الْمَخَافِ
وَالْمَخَاطِرِ وَالْمَهَالِكِ وَيَتَّصِرَ آثَارَهَا عَلَى مُسْتَقْبَلِهِ الْأَيْدِي وَالَّذِي أُخْبِرَهُ أَصْدَقُ
الْقَائِلِينَ وَأَوْفَى الْوَاعِدِينَ الَّذِي أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا .

شِعْرًا : أَمَا وَاللَّهِ لَوْ عَرَفَ الْأَنْأَمُ لِمَا خُلِقُوا لِمَا غَفَلُوا وَنَامُوا

لَقَدْ خُلِقُوا لِمَا لَوْ أَبْصَرْتَهُ عِيُونَ قُلُوبِهِمْ سَاحُوا وَهَامُوا
 مَمَاتٌ ثُمَّ قَبْرٌ ثُمَّ حَشْرٌ وَتَوْبِيخٌ وَأَهْوَالٌ عِظَامٌ
 لِيَوْمِ الْحَشْرِ قَدْ خُلِقَتْ رِجَالٌ فَصَلُّوا مِنْ مَخَافَتِهِ وَصَامُوا
 وَنَحْنُ إِذَا أُمِرْنَا أَوْ نُهِنْنَا كَأَهْلِ الْكَهْفِ أَيْقَاطُ نِيَامٌ

وَمَعَ ذَلِكَ تَرَاهُ غَافِلًا لَا اهْتِمَامَ لَهُ بِذَلِكَ مُنْصَرِفًا عَنِ الْإِتِّعَادِ عَنِ هَذِهِ
 الْمَهَالِكِ وَالْمَزَلَاتِ الْفَظِيحَةِ وَمُشْتِغَلًا بِالدُّنْيَا وَالْأُمُورِ التَّافِهَةِ مِنْ شُؤُونِ الدُّنْيَا
 الْمَلْعُونَةِ الْمَلْعُونِ مَا فِيهَا إِلَّا ذَكَرَ اللَّهُ وَمَا وَلَاه .

وَمَا أُصِيبَ الْإِنْسَانُ بِمَرَضٍ أَشَدَّ مِنَ الْغَفْلَةِ الَّذِي رُبَّمَا تَحَوَّلَ إِلَى جُمُودٍ
 وَقَسْوَةٍ ثُمَّ إِلَى لَجَاجٍ وَعِنَادٍ ثُمَّ إِلَى كُفْرٍ وَجُحُودٍ نَسَأَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْعَافِيَةَ .
 وَمِنْ أَكْبَرِ الْأَدَلَةِ عَلَى حُمُقِ الْإِنْسَانِ وَغَبَاوَتِهِ وَجَهْلِهِ أَنَّهُ يَكْذُبُ وَيَشْتَقِي مِنْ
 أَجْلِ مُسْتَقْبَلٍ مَهْمًا طَالَ فَلَنْ يُجَاوِزَ الثَّمَانِينَ غَالِبًا وَإِنْ تَجَاوَزَهَا فَهُوَ كَالْمَعْدُومِ .
 وَمَعَ هَذَا فَيَهْمِلُ إِهْمَالًا كَلِيًّا أَوْ جُزْئِيًّا الْعَمَلَ مِنْ أَجْلِ مُسْتَقْبَلٍ لَا نِهَآيَةَ
 لَهُ مُسْتَقْبَلِ الْأَبَدِ مُسْتَقْبَلِ الْخُلُودِ فَيَالِهَا مِنْ خَسَارَةٍ لَا عِوَضَ لَهَا وَلَا جَبْرَ مِنْهَا
 وَلَا أَمَلَ فِي تَلَافِيهَا .

فِي الْغَافِلِ انْتِبَهْ وَاسْتَعِدَّ لِمَا أَمَامَكَ وَتَصَوَّرْهُ تَصَوُّرًا صَاحِحًا يَظْهَرُ أَثْرُهُ فِي
 جِدِّكَ وَاجْتِهَادِكَ فِيمَا يُقْرَبُكَ إِلَى اللَّهِ لَا يَفَاجِئُكَ الْأَمْرُ وَأَنْتَ غَافِلٌ فَيَقُوتُكَ زَمَنُ
 الْأَمْكَانِ وَتَنْدَمُ وَتَتَحَسَّرُ قَالَ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ ﴿ أَتَى أَمْرَ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ .
 وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ
 مُعْرِضُونَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي
 غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ ﴾
 وَقَالَ تَعَالَى ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ
 لِمَنِ السَّخِرِينَ ﴾ الْآيَاتِ .

إِنَّ الَّذِينَ غَمَرَ الْإِيمَانُ قُلُوبَهُمْ وَاسْتَحْوَذَتْ مَعْرِفَتُهُمْ عَلَى مَشَاعِرِهِمْ
 وَوَجَدَانِهِمْ هُمُ الَّذِينَ أَيْقَنُوا بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ وَسَمَّاعِ الْحُكْمِ مِنْهُ فِي مَصَائِرِهِمْ ، هُوَ لَا

هم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقهم الله يُنفقون .

الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ خَيْرًا عَنْهُمْ ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ وَإِذَا يَتلىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ أُولَٰئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ إِلَىٰ قَوْلِهِ ﴿ أُولَٰئِكَ يَسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿ .

الذين إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق الآية ﴿ الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون ﴿ الآيتين .

﴿ الَّذِينَ يَبْتَغُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿ الآيات . هؤلاء هم الذين رَعَوْا لِلذِّينِ حُرْمَتَهُ وَاحْتَرَمُوا أَدَمِيَّتَهُمْ وَكِرَامَتَهُمْ وَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا فَبَنَوْا لِأَنْفُسِهِمْ صُرُوحَ الْمَجْدِ الْخَالِدِ وَالْعِزِّ الْبَاقِي وَالسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ .

ولا يُبْعَدُ أَنْ يَكُونَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَذْكُورِينَ الْمُوصُوفِينَ بِالصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ الْقَائِلُ لَوْ عَلِمَ الْمَلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمَلُوكِ مَا نَحْنُ فِيهِ لَجَالِدُونَ عَلَيْهِ بِالسُّيُوفِ وَمِنْهُمْ الْبَاكِي حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ الْقَائِلُ إِنِّي لَمْ أُبْلِكْ جِزْعًا مِنَ الْمَوْتِ حِرْصًا عَلَى الدُّنْيَا وَلَكِنْ أَبْكِي عَلَى عَدَمِ قَضَاءِ وَطَرِيٍّ مِنْ طَاعَةِ رَبِّي وَقِيَامِ اللَّيْلِ أَيَّامَ الشِّتَاءِ . وَمِنْهُمْ الْبَاكِي عِنْدَ مَا تَفَوُّتَهُ تَكْبِيرَةُ الْإِحْرَامِ مَعَ الْجَمَاعَةِ وَمِنْهُمْ الَّذِي يُمْرَضُ إِذَا فَاتَتْهُ الصَّلَاةُ مَعَ الْجَمَاعَةِ .

وَمِنْهُمْ الْقَائِلُ لَمْ أَصَلِّ الْفَرِيضَةَ مُنْفَرِدًا إِلَّا مَرَّتَيْنِ وَكَأَنِّي لَمْ أَصِلْهُمَا مَعَ أَنَّهُ قَارِبَ التَّسْعِينَ سَنَةً .

وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ تُفْتَهُ صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً حِينَ مَاتَتْ وَالِدَتُهُ اسْتَعْلَلَتْ بِتَجْهِيزِهَا .

وَالْقَائِلُ حِينَ مَا قَالَ لَهُ رَجُلٌ أَرَاكَ تُكْثِرُ مِنْ حَمْدِ اللَّهِ وَشُكْرِهِ مَعَ أَنَّهُ ابْتَلَكَ بِبَلَاءٍ مَا ابْتَلَا أَحَدًا بِمِثْلِهِ الْجُدَامُ فِي أَطْرَافِكَ وَتَمَزَّقَتْ ائْتِيبُ عَلَى جَسَدِكَ وَلَا زَوْجَةَ لَكَ وَلَا وَلَدَ وَلَا دَارَ وَلَا أَهْلَ فَمَا شَأْنُكَ فَقَالَ الْمُبْتَلَىٰ :

شعراً :

حَمِدْتُ اللَّهَ رَبِّي إِذْ هَدَانِي إِلَى الْإِسْلَامِ وَالِدِينَ الْحَنِيفِي
فَيَذْكُرُهُ لِسَانِي كُلِّ وَقْتٍ وَيَعْرِفُهُ فَوَادِي بِاللُّطَيْفِ

بَيْنَمَا أَبُو شَرِيحٍ الْعَابِدُ يَمْشِي جَلَسَ فَتَنَعَ بِكِسَائِهِ وَجَعَلَ يَبْكِي ، فَقِيلَ مَا
يُبْكِيكَ قَالَ تَفَكَّرْتُ فِي ذَهَابِ عُمْرِي وَقَلَّةِ عَمَلِي وَاقْتِرَابِ أَجَلِي .

وكان بعضُ الموقفينِ المحاسنينِ لأنفسِهِم يَكْتُبُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِي
قُرْطَاسٍ وَيَدْعُ بَيْنَ كُلِّ صَلَاتَيْنِ بَيَاضاً .

وَكَلَّمَا أَرْتَكَبَ خَطِيئَةً مِنْ كَلِمَةٍ غَيْبَةٍ أَوْ اسْتَهْزَأَ أَوْ كَذَبَ كِذْبَةً أَوْ
تَكَلَّمَ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ أَوْ نَظَرَ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ نَظَرُهُ إِلَيْهِ أَوْ اسْتَمَعَ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ
الاسْتِمَاعُ إِلَيْهِ أَوْ أَكَلَ مُشْتَبِهاً أَوْ مَشَى إِلَى مَا لَا يَحِلُّ أَوْ مَدَّ يَدَهُ إِلَى مَا لَا يَجُوزُ
مُدُّهَا إِلَيْهِ .

ذَكَرَهُ فِي هَذَا الْبَيَاضِ لِيَعْتَبَرَ ذُنُوبَهُ وَيُحْصِيهَا حَسَبَ قُدْرَتِهِ لِتَضْيِيقِ
الْحَاسِبَةِ مَجَارِي الشَّيْطَانِ وَالنَّفْسِ الْأَمَارَةِ بِالسُّوءِ .

وَمَقَامُ مُحَاسِبَةِ النَّفْسِ يُقَلِّلُ الْكَلَامَ فِيمَا لَا يَعْنِي وَيَحْمِلُ الْإِنْسَانَ عَلَى
تَقْلِيلِ الذُّنُوبِ وَعَلَى الْإِكْتِمَارِ مِنَ الطَّاعَاتِ لِمُقَابَلَةِ مَا صَدَرَ مِنْهُ وَلَكِنَّ هَذَا
الطَّرَازُ يَعْزُ وَجُودُهُ فِي زَمَانِنَا هَذَا .

نُقِلَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ قَالَ : حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ
أَنْ تُحَاسَبُوا وَزِنُوهَا قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا وَتَزِينُوا لِلْعُرْضِ الْأَكْبَرِ عَلَى اللَّهِ ﴿ يَوْمَئِذٍ
تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ .

فَالْحَاسِبَةُ تَكُونُ بِضَبْطِ الْحَوَاسِ وَرِعَايَةِ الْأَوْقَاتِ وَإِيْتَارِ الْمُهَيَّمَاتِ وَحِفْظِ
الْأَنْفَاسِ وَالْحِرْصِ عَلَى أَدَاءِ الْعِبَادَاتِ كَامِلَةً وَبِالْأَخْصِ الصَّلَاةِ فِيكْمَلُهَا بِشُرُوطِهَا
الْمَذْكُورَةِ وَأَرْكَانِهَا وَوَاجِبَاتِهَا وَسُنَنِهَا بِخُشُوعٍ وَخُضُوعٍ وَطُمَأْنِينَةٍ وَسُكُونٍ .
وَالْعَبْدُ يَحْتَاجُ إِلَى السُّنَنِ الرَّوَاتِبِ لِتَكْمِيلِ الْفَرَائِضِ وَيَحْتَاجُ إِلَى النَّوَافِلِ

لتكميل السنن ويحتاج إلى الآداب لتكميل النوافل ومن الآداب ترك ما يُشغل عن الآخرة . ومن الآداب الإكثار من زاد الآخرة من ذكر الله وما والآه .
شعرا : عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ فَمَا خَابَ عَبْدٌ لِلْمُهْمَنِينَ يَذْكُرُ

قال بعضهم إن الرجل ليشيب عارضاه في الإسلام وما أكمل لله صلاة قيل وكيف ذلك ، قال لا يتم خشوعها وتواضعها وإقباله على الله فيها .
روي عن بعض أهل العلم في قول الله جل جلاله ﴿وقوموا لله قانتين﴾ قال القنوت الخشوع في الركوع والسجود وغض البصر وخفض الجناح من رهبة الله عز وجل .

وكان العلماء إذا قام أحدهم للصلاة هاب أن يلتفت أو يعبث أو يحدث نفسه بشيء من شئون الدنيا إلا ناسياً .

وبلغنا عن بعض أهل العلم أنه قال : ركعتان خفيفتان مُقتصدتان في تفكير وتدبر وتفهم لما يقوله ويفعله خير من قيام ليلة والقلب ساه في أودية الدنيا .

فالواجب على الإنسان إذا كان في الصلاة أن يجعلها همه ويقبل عليها مفرغاً قلبه وفكره من كل ما يشتهه ليؤديها كاملة مكتملة .

فإنه ليس له منها إلا ما عقل منها من معاني الفاتحة وما يقرأ من القرآن ومعاني الركوع والسجود والقيام بين يدي الله ومعاني العبودية والمناجاة ومعاني التحيات والتكبيرات .

فكم بين رجلين أحدهما قد أشعر قلبه عظمة خالقه الذي هو واقف بين يديه فامتلاً قلبه من هيئته وذلك له عنقه واستحى من ربه أن يقبل على غيره أو يلتفت عنه .

وأخر قد انصرف قلبه إلى الدنيا يفكر فيها ملتفتاً يميناً وشمالاً ولا يفهم ما يخاطب به لأن قلبه ليس حاضراً معه فبين صلاتيهما كما قال بعض أهل العلم .

إنَّ الرَّجُلَيْنِ لَيَكُونَانِ فِي الصَّلَاةِ الْوَاحِدَةِ وَإِنَّ مَا بَيْنَهُمَا فِي الْفَضْلِ كَمَا بَيَّنَّ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَذَلِكَ أَنَّ أَحَدَهُمَا مُقْبِلٌ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِقَلْبِهِ وَالْآخَرُ سَاهٍ
غَافِلٌ يَفْكَرُ فِي الْبُيُوعِ وَالْخِصُومَاتِ وَالْأَمَانِيِّ وَالْخَسَارَاتِ قَدْ ذَهَبَ قَلْبُهُ كُلِّ
مَذْهَبٍ فِي أَوْدِيَةِ الدُّنْيَا .

وروي أن بعض الصحابة رضي الله عنهم كان يصلي في نَحْلٍ له فَشُعِلَ
بالنظر إلى النَّحْلِ فسها في صلاته فاستعظم ذلك وقال أصابني في مالي فتنة
فجعل النخيل في الأرض صدقة في سبيل الله فبلغ ثمن النخيل خمسين ألفاً .
فلو أن الواحد منَّا إذا فاتته الصلاة مع الجماعة تصدق في عشرة فقط لما
فاتتنا الصلاة مع الجماعة إلا نادراً ورأيت ما يسرك من المحافظة على الصلاة
وكثرة الجماعة وهذا علاج من أحسن العلاجات .

وينبغي استعماله عند ما يصدر كذب أو غيبة أو نظر محرم أو سماع محرم
أو نحو ذلك مما يقوله الإنسان أو يفعله عمداً أو سهواً لِيَتَأَدَّبَ وَيَسْتَقِيمَ وَيُقْتَدَى
به والله الموفق .

وَحَصِّنْ عَنِ الْفَحْشَا الْجَوَارِحَ كُلَّهَا تَكُنْ لَكَ فِي يَوْمِ الْجَزَاخِيرِ شَهِيدٌ
وَخَالِطٌ إِذَا خَالَطْتَ كُلَّ مُوَفَّقٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَهْلِ التَّقَى وَالتَّعْبُدِ
يُفِيدُكَ مِنْ عِلْمٍ وَيُنْهَكَ عَنْ هَوَى فَصَاحِبُهُ تُهْدَى مِنْ هُدَاهُ وَتُرْشِدُ
نَصِيحَةً : يَسْمُو قَدْرُ الْإِنْسَانِ وَتَعْلُو دَرَجَتُهُ وَمَنْزَلَتُهُ عِنْدَ اللَّهِ جَلٌّ وَعَلَا وَعِنْدَ خَلْقِهِ
بَقْدَرٍ مَا يَكُونُ لَهُ مِنْ إِسْتِقَامَةٍ وَطَهَارَةِ قَلْبٍ وَسَلَامَةِ صَدْرٍ وَحُبِّ الْخَيْرِ لِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ وَبُعْدٍ عَنِ الشَّرِّ وَالْأَذَى وَتَضَحِّيَةٍ بِالنَفْسِ وَالْمَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا يُقَرِّبُ
إِلَى اللَّهِ، وَقَدْ أَمْتَدَّحَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِينَا أَفْضَلِ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى
مَا وَهَبَهُ لَهُ مِنْ سَلَامَةِ قَلْبٍ وَعِزَّةِ نَفْسٍ وَصِدْقِ عَزِيمَةٍ وَقُوَّةِ إِيْمَانٍ .
قال تعالى لما ذكر نوحاً عليه السلام وأثنى عليه أعقبه بذكر الخليل فقال
« وَإِنَّ مِنْ شَيْعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ » .
وَمِنْ دُعَاءِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ وَلَا تُحْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا
بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ .

اللَّهُمَّ مَكَّنْ مَحَبَّةَ الْقُرْآنِ فِي قُلُوبِنَا وَوَفِّقْنَا لِتِلَاوَتِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
اللَّهُمَّ وَارِزْنَا الْعَمَلَ بِهِ وَالدَّعْوَةَ إِلَيْهِ وَاجْعَلْهُ حُجَّةً لَنَا وَقَائِدًا لَنَا إِلَى جَنَّتِكَ
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فَصْلٌ : وَسَلَامَةُ الْقَلْبِ خُلُوصُهُ مِنَ الشَّرِكِ وَقِيلَ هُوَ الْقَلْبُ الصَّحِيحُ وَهُوَ قَلْبُ
الْمُؤْمِنِ لِأَنَّ قَلْبَ الْكَافِرِ وَالْمُنَافِقِ مَرِيضٌ وَقِيلَ هُوَ الْقَلْبُ السَّلَامُ مِنَ الْبِدْعَةِ
الْمُطْمَئِنُّ إِلَى السُّنَّةِ إِنْتَهَى .

قُلْتُ وَالَّذِي أَرَى أَنَّ السَّلَامَةَ الْكَامِلَةَ لِلْقَلْبِ هِيَ خُلُوصُهُ مِنَ الشَّرِكِ
وَالشُّكِّ وَالنِّفَاقِ وَالرِّيَاءِ وَخُلُوعِهِ مِنَ الْكِبْرِ وَالْحَقْدِ وَالْحَسَدِ وَالْعُجْبِ وَالْمَكْرِ
السَّبِيءِ وَالغُلِّ وَالْحِيَلَاءِ .

وَنَقَاؤُهُ مِنَ الْأَمْرَاضِ الَّتِي تُكَدِّرُ الصَّفْوَةَ وَتُسْتَتُّ الشَّمْلَ وَتُخِلُّ بِالْأَمْنِ
وَتَقْطَعُ الرُّوَابِطَ وَالصَّلَاتِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَتُورِثُ الضَّغَائِنَ وَالْأَحْقَادَ وَتُوَلِّدُ
الْعَدَاوَةَ وَالْبُعْضَاءَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ .

وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ فِي دَعَائِهِ « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا » فَالْقَلْبُ
السَّلِيمُ هُوَ السَّلَامُ مِنَ الْآفَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ كُلِّهَا وَهُوَ الْقَلْبُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ
سِوَى مَحَبَّةِ اللَّهِ وَخَشْيَتِهِ وَخَشْيَةِ مَا يُبَاعِدُ عَنْهُ .

وَقد اِكْتَفَى إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِذِكْرِ سَلَامَةِ الْقَلْبِ لِأَنَّ الْقَلْبُ
إِذَا صَلَحَ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ كَمَا فِي الْحَدِيثِ وَإِذَا فَسَدَ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ .

وَلِأَنَّ الْقُلُوبَ إِذَا سَلِمَتْ سَلِمَتِ الْجَوَارِحُ الْيَدُ وَاللِّسَانُ مِنَ الْأَذَى
وَالشَّرُورِ وَسَلِمَتِ أَمْوَالُ النَّاسِ وَأَرْوَاحُهُمْ وَأَعْرَاضُهُمْ وَقَلَّتِ الشَّرُورُ وَالْجَرَائِمُ
وَالْآثَامُ . وَقِيلَ إِنَّ لُقْمَانَ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا فَدَفَعَ إِلَيْهِ سَيِّدُهُ شَاةً وَقَالَ إِذْ بَحَهَا
وَإِئْتِنِي بِأَطْيَبِ مُضْغَتَيْنِ مِنْهَا فَاتَاهُ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ ثُمَّ بَعَدَ أَيَّامٍ أَتَاهُ بِشَاةٍ أُخْرَى .
وَقَالَ لَهُ إِذْ بَحَهَا وَإِئْتِنِي بِأَحَبِّ مُضْغَتَيْنِ مِنْهَا فَاتَاهُ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ فَسَأَلَهُ
سَيِّدُهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ هُمَا أَطْيَبُ شَيْءٍ إِذَا طَابَا وَأَحَبُّ شَيْءٍ إِذَا حُبَّتَا .

وَذَكَرَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ صَلَاحَ الْقَلْبِ :

- (١) في قراءة القرآن بالتدبر والتفكير فيه وفيما صح عن النبي ﷺ .
- (٢) في تقليل الأكل .
- (٣) قيام الليل وإحيائه بالعبادة .
- (٤) التضرع عند السحر .
- (٥) مجالسة الصالحين .
- (٦) الصمت عما لا يعني .
- (٧) العزلة عن أهل الجهل والسفه ومن فرطت أعمار .
- (٨) ترك الخوض مع الناس فيما لا يعني .
- (٩) أكل الحلال وهو رأسها فإنه ينور القلب ويصلحه فتزكوا بذلك الجوارح وتُدْرَأُ الْمَفَاسِدُ وَتَكْثُرُ الْمَصَالِحُ فَأَكْلُ الْحَرَامِ وَالْمَشْتَبِهِ يُصَدِّي الْقَلْبَ وَيُظْلِمُهُ وَيُقْسِيهِ وَهُوَ مِنْ مَوَانِعِ قَبُولِ الدَّعَاءِ .
- وقد قيل يخاف على أكل الحرام والشبهة أن لا يُقْبَلَ له عَمَلٌ ولا يُرْفَعُ دُعَاءٌ لقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ وَآكَلِ الْحَرَامَ وَالْمُسْتَرْسِلَ مَعَ الْمُشْتَبِهَاتِ لَيْسَ بِمُتَّقٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ ﴾ .
- روى عن بعض أهل العلم أن الشيطان يقول خصلة من ابن آدم أريدها ثم أَحْلَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يُرِيدُ مِنَ الْعِبَادَةِ أَجْعَلُ كَسْبَهُ مِنْ غَيْرِ حَلٍّ إِنْ تَزَوَّجَ تَزَوَّجَ مِنْ حَرَامٍ وَإِنْ أَفْطَرَ أَفْطَرَ عَلَى حَرَامٍ ، وَإِنْ حَجَّ حَجَّ مِنْ حَرَامٍ أ هـ .
- فالحذر الحذر من الحرام في طلب القوت ، فقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إِنْ اللَّهُ طِيبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا وَإِنَّ اللَّهَ أَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا ﴾ وَقَالَ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ .
- ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء ويقول : يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذائي بالحرام فأنتي يُسْتَجَابُ لذلك .

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال تليت هذه الآية عند رسول الله ﷺ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ .

فقام سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه فقال يارسول الله أدع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة فقال له النبي ﷺ « يَا سَعْدُ أَطْبَ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنْ الْعَبْدَ لَيَقْذِفُ اللَّقْمَةَ الْحَرَامَ فِي جَوْفِهِ مَا يَتَقَبَّلُ مِنْهُ عَمَلٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَأَيُّمَا عَبْدٍ نَبَتْ لَحْمُهُ مِنْ سُحْتِ فَالنَّارِ أَوْلَى بِهِ » رواه الطبراني في الصغير .

وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال من اشترى ثوباً بعشرة دراهم وفيه درهم من حرام لم يقبل الله عز وجل له صلاة ما دام عليه قال ثم أدخل أصبعيه في أذنيه ثم قال صُمْتَا إِنْ لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ سَمِعْتَهُ يَقُولُهُ رَوَاهُ أَحْمَدُ .
شعرا :

فَأَيُّكَ إِيَّاكَ الرَّبَّاءَ فَلَدِرْهُمْ أَشُدُّ عِقَابًا مِنْ زِنَاكَ بِنُهْدٍ
وَتُمَحَقُّ أَمْوَالُ الرَّبَائِ وَإِنْ نَمَتْ وَيُرْبُو قَلِيلُ الْجِلِّ فِي صِدْقِ مَوْعِدِ
وصلى الله على محمد وآله وسلم .

(فـصـل)

قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ .

وقال عز من قائل ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .

وقال جل وعلا ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خَلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ﴾ وقال تبارك وتعالى ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلَّ نَفْسٍ تِجَارَةٌ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ .

وقال جل وعلا ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يَقْبَلُ شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ .

عُـرَا : يَا نَفْسُ مَا الْوَقْتُ إِلَّا مَا عَلِمْتَ فَكَمْ أَلَسْتُ حَدَّثْتَنِي أَنِّي أَتُوبُ فَلَمْ

إِيَّاكَ إِيَّاكَ مِنْ سَوْفَ فَكَمَّ خَدَعَتْ وَأَهْلَكَتْ أُمَّأَ مِنْ قَبْلِهَا وَأَمَّمْ
تُوِي يَكُنْ لَكَ عِنْدَ اللَّهِ جَاهٌ تُقَى وَقَدِّمِي مِنْ فِعَالِ الصَّالِحِينَ قَدَمْ
يَا رَاقِدٌ لِلْبَلِي حَثَّ المَشْيِبُ بِهِ أَلَا فَكُنْ حَائِفًا لَا تَقْعُدَنَّ وَقَمْ

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه جل
وعلا أنه قال : « وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عِبْدِي خَوْفِينَ وَأَمْنِينَ إِذَا خَافَنِي
فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَإِذَا أَمَّنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ فِي الآخِرَةِ » رواه ابن حبان
في صحيحه .

وقال إذا قُشِعَ جِلْدُ العَبْدِ مِنَ حَشِيَّةِ اللَّهِ تَحَاتَّتْ عَنْهُ حَطَايَاهُ كَمَا
يَتَحَاتُّ عَنِ الشَّجَرَةِ البَالِيَةِ وَرَقَّهَا .

وقال الحَسَنُ رضي الله عنه إن الرجل لَيَذِئِبُ فَمَا يَنْسَاهُ وَلَا يَزَالُ
مُتَخَوِّفًا حَتَّى يَدْخُلَ الجَنَّةَ وَقَالَ ابْنُ جُبَيْرِ الحَشِيَّةُ هِيَ أَنْ تَخْشَى اللَّهَ حَتَّى تَحُولَ
حَشِيَّتُهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَعَاصِيهِ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ
مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ العُقُوبَةِ مَا طَمَعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ وَلَوْ يَعْلَمُ الكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ
مَا قَنَطَ مِنْ رَحْمَتِهِ » رواه مسلم .

وعنه قال قرأ رسول الله ﷺ ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ ثُمَّ
قَالَ « أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا » قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ « فَإِنْ أَخْبَارُهَا أَنْ
تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أُمَّةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا تَقُولُ : عَمِلَ كَذَا وَكَذَا فِي يَوْمِ
كَذَا وَكَذَا فَهَذِهِ أَخْبَارُهَا » رواه الترمذي وقال حديث حسن .

عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « يُوْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا
مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صِبْغَةً ثُمَّ يُقَالُ يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ
خَيْرًا قَطُّ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ فَيَقُولُ لَا وَاللَّهِ يَارَبِّ .

وَيُوْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيُصْبَغُ صِبْغَةً فِي الجَنَّةِ

فيقال يا ابن آدم هل رأيت بُوساً قَطُّ هل مرَّ بك شِدَّةٌ قَطُّ فيقول والله يا رب ما مرَّ بي بُوسٌ قَطُّ ولا رأيتُ شِدَّةً قَطُّ .

وعنه رضي الله عنه قال خطب رسول الله ﷺ حُطْبَةً ما سَمِعْتُ مِثْلَها قَطُّ فقال : « لو تَعَلَّمُونَ ما أَعْلَمَ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً » فَعَطَى أَصْحَابُ رَسولِ اللهِ ﷺ وُجُوهُهُم لَهْم خَنِينٍ ، رواه البخاري ومسلم .

وعن أنس قال « إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات ، رواه البخاري .
وعن أبي يعلى شَدَّاد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « أَلَكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعَدَ الْمَوْتَ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ الْأَمَانِي » رواه الترمذي .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « قَارِبُوا وَسَدُّوا وَاَعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُوا أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ » قالوا ولا أنت يارسول الله قال « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته وفضل » رواه مسلم .

فيا عباد الله من خاف الله جَلَّ وَعَلَا في دُنْيَاهُ أَمِنَهُ اللهُ في آخِرَاهُ ولو آمَنَ الْإِنْسَانُ حَقًّا بِاللَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ الْفَرْدِ الصَّمَدِ وَجَزَمَ يَقِينًا بِمَا بَعْدَ الْحَيَاةِ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَمَا أَعَدَّ اللهُ لِأَهْلِهِمَا إِجْمَالًا وَتَفْصِيلاً .

ولو خاف وعيد الله كما يخاف وعيد أحد الأشرار لما اجترأ يوماً أن يتخطى شريعة الله أو ينتهك محارم الله التي حذر من تخطيها بقوله عز وجل ﴿ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّى حُدُودَهُ يَدْخُلْهَا نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾

وقوله تعالى ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ .

فاتق الله أيها المسلم وعظ نفسك في كل وقت بما بعده من الشدائد

والكروب والعقبات وحاسب نفسك على كل ما تقترفه وتفعله من السيئات
وإخذ من تقوى الله سترًا يقيك من غضب الله وعذابه .
فما أسعد من جعل التقوى رأس ماله وما أرشد من راقب الله في جميع
أحواله فيا وَيَحَ مَنْ نسي الآخرة وأجهد نفسه في طلب الدنيا وكان بها جُلَّ
اشتغاله .

أما وعظه من رَحَلَ من أعمامه وأخواله فالعجبُ مِمَّنْ أَفْصَحَتْ له العِبرُ
وَلَيْسَ عنده سَمْعٌ ولا بَصَرٌ أَيُّكِي فاقْدُ الإلِفَ وَيُنْسَى نَفْسَهُ ، أَيْنَ مَضَى
رُفْقَاؤُنَا أَيْنَ ذَهَبَ مَعَارِفُنَا وَأَصْدِقَاؤُنَا ، هذه دُورُهُمْ فيها سِوَاهُمْ ، وهذا مُحِبُّهُمْ
قَدْ نَسِيَهُمْ وَجَفَاهُمْ .

فتفكرو إخواني في الراجلين واعتبروا بالسالفين وتأملوا في البصائر حال
الذفين وتأهبوا فأنتم في أثر الماضيين .
فيا مُطْلَقًا إِذْ كُرُّ قِيودَهُمْ ويا مُتَحَرِّكًا قَدْ عَرَفْتَ هُمُودَهُمْ فَخَلِصْ نَفْسَكَ
مِنَ أَسْرِ الذُّنُوبِ وَتَأَهَّبْ لِخِلاصِكَ فَإِنَّكَ مَطْلُوبٌ وَتَذَكَّرْ بِقَلْبِكَ يَوْمَ تَقْلَبَ
الْقُلُوبُ .

واحذر حسرات الموت عند انقضاء المدة واحذر تسويف الذين ذهبوا
وما تأهبوا .

فكأنني بك أيها الغافل في لهوه ولعبه الرافل في أثواب غيبه وطربه الساعي
في معصية ربه وغضبه فلم يشعر إلا وقد نزل به من الموت أسباب عطبه .
فدبت الأمراض في جسده وأبدل من لذيد العيش بمر السقم ونكده
وانتزعته المنون من ماله وأهله وولده .

فزود من ماله كفنا واعتاظ عن القصور محلة الأموات وطنا يتمنى
الرجعة إلى الدنيا ليجتهد في الأعمال الصالحات فيقال له هيئات هيئات حيل
بينك وبين الأعمال النافعات .

ألم يأتك خبر هذا المصير ألم تسمع قول أصدق القائلين ﴿ أو لم
نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ﴾ فاحذر أن تكون ممن
يتمنون الرجعة فلا يقدرُونَ ولا يجابون .

أنشد رجل من أهل الزهد هذه الأبيات :

وَيَوْمَ تَرَى الشَّمْسَ قَدْ كُورَتْ وَفِيهِ تَرَى الْأَرْضَ قَدْ زُلزَلَتْ
وَفِيهِ تَرَى كُلَّ نَفْسٍ غَدَاً إِذَا حُشِرَ النَّاسَ مَا قَدَمْتُ
أَتَرَقَدَ عَيْنَاكَ يَا مُذْنِبَا وَأَعْمَاكَ السُّوءَ قَدْ دُونَتْ
فَأَمَّا سَعِيدٌ إِلَى جَنَّةٍ وَكَفَّاهُ بِالنُّورِ قَدْ خُضِبَتْ
وَأَمَّا شَقِيٌّ كَسَى وَجْهَهُ سَوَاداً وَكَفَّاهُ قَدْ غُلِبَتْ
آخِرُ : صَرَفْتُ إِلَى رَبِّ الْأَنَامِ مَطَالِبِي وَوَجَّهْتُ وَجْهِي نَحْوَهُ وَمَارِي
إِلَى الْمَلِكِ الْأَعْلَى الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ مَلِيكَ يُرَجِّي سَيِّئَهُ فِي الْمَتَاعِبِ
إِلَى الصَّمَدِ الْبَرِّ الَّذِي فَاضَ جُودُهُ وَعَمَّ الْوَرَى طَرّاً بِجَزْلِ الْمَوَاهِبِ
مُقِيلِي إِذَا زَلَّتْ بِي النَّعْلُ عَائِراً وَأَسْمَحَ غَفَّارِ وَأَكْرَامِ وَاهِبِ
فَمَا زَالَ يُؤَلِّينِي الْجَمِيلَ تَلْطُفَاً وَيَدْفَعُ عَنِّي فِي صُدُورِ النَّوَائِبِ
وَيَرْزُقُنِي طِفْلاً وَكَهْلاً وَقَبْلَهَا جَنِيناً وَيَحْمِينِي وَبِي الْمَكَّاسِبِ
إِذَا أَغْلَقَ الْأَمْلَاكُ دُونِي قُصُورَهُمْ وَنَهَنَهُ عَنْ غَيْشَانِهِمْ زَجْرَ حَاجِبِ
فَرَعْتُ إِلَى بَابِ الْمُهَيَّمِينَ طَارِقَاً مُدِلاً أَنَادِي بِاسْمِهِ غَيْرَ هَائِبِ
فَلَمْ أَلْفِ حُجَّاباً وَلَمْ أَحْشَ مِنْعَةً وَلَوْ كَانَ سُؤْلِي فَوْقَ هَامِ الْكَوَاكِبِ
كَرِيمٍ يُلَبِّي عَبْدَهُ كُلَّمَا دَعَا نَهَاراً وَلَيْلاً فِي الدُّجَى وَالْعِيَاهِبِ
سَأَلْتُهُ مَا شِئْتُ إِنَّ يَمِينَهُ تَسِيحُ دَفَاقاً بِاللَّهِ وَالرَّغَائِبِ
فَحَسْبِي رَبِّي فِي الْهَرَاهِزِ مَلْجَاً وَحِرْزاً إِذَا خِيفَتْ سِهَامُ النَّوَائِبِ
اللَّهُمَّ هَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لِعِبَادِكَ الْأَخْيَارِ وَأَنْظِمْنَا فِي سِلْكِ الْمُقَرَّبِينَ

وَالْأَبْرَارِ وَأَتْنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَأَغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدِنَا اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا مَنْ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ مَكَّنْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا

وَقَوَاهِمَ وَاللَّهْمَنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأَعِنَّا عَلَى الْقِيَامِ بِطَاعَتِكَ وَالْإِنْتِهَاءِ عَنِ
مَعْصِيَتِكَ اللَّهُمَّ افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ فَإِنَّا نَدْعُوكَ دُعَاءَ مَنْ كَثُرَتْ
ذُنُوبُهُ وَتَصَرَّمَتْ أَمَالُهُ وَبَقِيَتْ أَنَامُهُ وَانْسَبَلَتْ دَمْعَتُهُ وَانْقَطَعَتْ مُدَّتُهُ دُعَاءَ مَنْ
مَا لِكِسْرِهِ جَابِرًا إِلَّا أَنْتَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل عن إبراهيم التيمي قال يَنْبَغِي لِمَنْ لَا يَحْزَنُ أَنْ يَخَافَ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ
النَّارِ لِأَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ قَالُوا « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ » وَيَنْبَغِي لِمَنْ لَمْ
يُشْفِقْ أَنْ يَخَافَ أَنْ لَا يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لِأَنَّهُمْ قَالُوا « إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا
مُشْفِقِينَ » .

وعن الفضيل بن عياض قال قيل لسليمان التيمي أنت وأنت أي يُشُونَ
عليه قال لا تقولوا هكذا فإني لا أدري ما يبدو لي من ربي عز وجل سَمِعْتُ
اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ ﴿ وَبَدَأْهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ
يَبْدُو لِي مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ أَكُنْ أَحْتَسِبُ .

وعن عكرمة عن محمد بن المنكدر أنه جَزَعُ عِنْدَ الْمَوْتِ فَقِيلَ لَهُ لِمَ
تَجْزَعُ فَقَالَ أَخْشَى آيَةَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَبَدَأْهُمْ مِنَ
اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَبْدُو لِي مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ أَكُنْ
أَحْتَسِبُ .

قلت وفيه آيات أخرى يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ نَصَبَ عَيْنِي الْعَاقِلُ اللَّيِّبُ
وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَأَنْذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قَضَى الْأَمْرَ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا
يُؤْمِنُونَ ﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ يَوْمَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ ﴾ وَقَوْلُهُ ﴿ أَنْ تَقُولَ
نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّاجِرِينَ ﴾ .
وقال عبد الأعلى التيمي شَيْئَانِ قَطَعَا عَنِّي لَذَّةَ الدُّنْيَا ذِكْرُ الْمَوْتِ
وَالْوَقُوفُ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وعن أبي إسحاق قال أوى أبو ميسرة عمرو بن شريحيل إلى فراشه فقال
يَا لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي فَقَالَتْ لَهُ إِمْرَأَتُهُ أبا ميسرة أليس الله قد أحسن إليك هَذَاكَ
لِلْإِسْلَامِ وَفَعَلَ بِكَ كَذَا قَالَ بَلَى وَلَكِنَّ اللَّهَ أَخْبَرَنَا أَنَا وَارِدُونَ عَلَى النَّارِ وَلَمْ يُبَيِّنْ
لَنَا أَنَّا صَادِرُونَ عَنْهَا .

شِعْرًا :

هَلِ الْوَقْتُ إِلَّا مَا عَرَفْنَا وَأَدْرَكْنَا فَجَائِعُهُ تَبْقَى وَلَذَائِهِ تَفْنَى
إِذَا أُمَكَّنْتَ فِيهِ مَسْرَّةَ سَاعَةٍ تَوَلَّتْ كَمَرَّ الطَّرْفِ وَاسْتَحْلَفَتْ حُزْنَاً
إِلَى تَبَعَاتِ فِي الْمَعَادِ وَمَوْقِفٍ نَوْدٌ لَدَيْهِ أَنَّنَا لَمْ نَكُنْ كُنَّا
حَصَلْنَا عَلَى هَمٍّ وَإِثْمٍ وَحَسْرَةٍ وَفَاتِ الَّذِي كُنَّا فَلَدُّ بِهِ عَنَّا
كَأَنَّ الَّذِي كُنَّا نُسْرُ بِكُونِهِ إِذَا حَقَّقْتَهُ النَّفْسُ لُفْظَ بِلَا مَعْنَى

وقال الحسن إن المؤمن يُصبحُ حزيناً ويُسمى حزيناً وينقلب باليقين في الحزن ويكفيه ما يكفي العنيزة الكف من التمر والشربة من الماء .
وقال حبيب ابن أبي ثابت ما استقرضتُ من أحد شيئاً أحبُّ إلى من نفسي أقول لها أمهلي حتى يجيء من حيث أحبُّ .

شِعْرًا :

إِذَا رُمْتَ أَنْ تَسْتَقْرِضَ الْمَالَ مُنْفِقاً عَلَى شَهَوَاتِ النَّفْسِ فِي زَمَنِ الْعُسْرِ
فَسَلَّ نَفْسَكَ الْإِنْفَاقَ مِنْ كَنْزِ صَبْرِهَا عَلَيْكَ وَإِنْضَاراً إِلَى زَمَنِ الْيُسْرِ
فَإِنْ فَعَلْتَ كُنْتَ الْغَنِيِّ وَإِنْ أَبْتَ فَكَلَّ مُنَوِّعَ بَعْدَهَا وَاسِعَ الْعُذْرِ

وقال الثوري ما ضرهم ما أصابهم في الدنيا جبر الله لهم كل مصيبة بالجنة . وسأل رجل سفيان الثوري فلم يكن معه ما يعطيه فبكى سفيان فقال له مسعر بن كدام ما يبكيك قال وأي مصيبة أعظم من أن يؤمل فيك رجل خيراً فلا يصيبه عندك .

وبكى ثابت حتى كادت عينه تذهب فجاءوا برجل يعالجها فقال الرجل أعالجها على أن تطيعني قال وأي شيء قال على أن لا تبكي قال فما خيرهما إن لم تبكيا وأبى أن يعالجها .

وكان شقيق بن سلمة إذا صلى في بيته ينشج نشيجاً - أي يخشع ويبكي - ولو جعلت له الدنيا على أن يفعل وأحد يسمعه أو يراه ما فعله - أي يخشى من الرياء . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

وقال بعضهم يخاطب نفسه ويوبخها على تفریطها واهمالها :

يَا نَفْسُ هَذَا الَّذِي تَأْتِيْتُهُ عَجَبٌ
 عِلْمٌ وَعَقْلٌ وَلَا نُسْكَ وَلَا أَدْبُ
 وَصَفُ التَّفَاقِ كَمَا فِي النَّصْرِ نَسْمَعُهُ
 عِلْمُ اللِّسَانِ وَجَهْلُ الْقَلْبِ وَالسَّبَبُ
 حُبُّ الْمَتَاعِ وَحُبُّ الْجَاهِ فَاتَّبِعِي
 مِنْ قَبْلِ تَطْوِي عَلَيْكَ الصُّحُفَ وَالْكُتُبُ
 وَتُصْبِحِينَ بِقَبْرِ لَا أُنَيْسَ بِهِ
 الْأَهْلُ وَالصُّحْبُ لَمَّا أَلْحَدُوا ذَهَبُوا
 وَخَلَّفُواكَ وَمَا أَسْلَفَتْ مِنْ عَمَلِ
 الْمَالِ مُسْتَأْخِرٌ وَالْكَسْبُ مُضْطَحَبٌ
 وَاسْتَيْقِنِي أَنْ بَعْدَ الْمَوْتِ مُجْتَمَعاً
 لِلْعَالَمِينَ فَتَأْتِي الْعُجْمُ وَالْعَرَبُ
 وَالخَلْقُ طَرّاً وَيَجْزِيهِمْ بِمَا عَمِلُوا
 فِي يَوْمٍ لَا يَنْفَعُ الْأَمْوَالُ وَالْحَسَبُ
 وَآخِشِي رُجُوعاً إِلَى عَذَلٍ تَوَعَدَ مَنْ
 لَا يَتَّقِيهِ بِنَارٍ حَشْوُهَا الْفَضْبُ
 وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْأَحْجَارُ حَامِيَةٌ
 لَا تَنْطَفِي أَبَدَ الْأَبَادِ تَلْتَهَبُ
 وَالْبُعْدِ عَنِ جَنَّةِ الْخُلْدِ الَّتِي حُشِيَتْ
 بِالطَّيِّبَاتِ وَلَا مَوْتُ وَلَا نَصَبُ
 فِيهَا الْفَوَاكِهُ وَالْأَنْهَارُ جَارِيَةٌ
 وَالنُّورُ وَالْحُورُ وَالْوَلْدَانُ وَالْقُبُبُ

وَهَذِهِ الدَّارُ دَارٌ لَا بَقَاءَ لَهَا
 لَا يَفْتِنَنَّكَ مِنْهَا الْوَرَقُ وَالذَّهَبُ
 وَالْأَهْلُ وَالْمَالُ وَالْمَرْكُوبُ تَرْكِبُهُ
 وَالتُّوبُ تَلْبَسُهُ فَالْكُلُّ يَنْقَلِبُ
 لَا بَارَاكَ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا سِوَى عَوْضٍ
 مِنْهَا يُعَدُّ إِذَا مَا عُدَّتِ الْقُرْبُ
 يُرِيدُ صَاحِبُهُ وَجْهَ الْإِلَهِ بِهِ
 دُونَ الرِّيَا إِنَّهُ التَّلْبِيسُ وَالْكَذِبُ
 لَا يَقْبَلُ اللَّهُ أَعْمَالًا يُرِيدُ بِهَا
 عُمَّالَهَا غَيْرَ وَجْهِ اللَّهِ فَاجْتَنِبُوا
 تَمَّتْ وَصَلُّوا عَلَى الْمُخْتَارِ سَيِّدِنَا
 وَالآلِ وَالصَّحْبِ قَوْمٌ حُبُّهُمْ يَجِبُ
 ومما أشير فيه الى بعض المعجزات التي وردت في القرآن ما يلي :

هو الله من أعطى هداه وصح من
 هو اه اراه الخارقات بحكمة
 بذاك على الطوفان نوح وقد نجا
 به من نجا في قومه في السفينة
 وغاص له ما فاض عنه استجابة
 وجد إلى الجودي بها واستقرت
 وسار ومن الرياح تحت بساطه
 سليمان بالجيشين فوق السطة
 وقبل ارتداد الطرف أحضر من سبا
 له عرش بلقيس بغير مشقة

وَأَحْمَدُ لِإِبْرَاهِيمَ نَارَ عَدُوهِ
وَفِي لُطْفِهِ عَادَتْ لَهُ رَوْضَ جَنَّةِ
وَلَمَّا دَعَا الْأَطْيَارَ فِي رَأْسِ شَاهِقِ
وَقَدْ قَطَعْتَ جَاءَتْهُ غَيْرَ عَصِيَّةِ
وَفِي يَدِهِ مُوسَى عَصَاهُ تَلْقَفَتْ
مِنَ السِّحْرِ أَهْوَالاً عَلَى النَّفْسِ شُقَّةِ
وَمِنْ حَجَرٍ أَجْرَى عُيُوناً بِضَرْبَةِ
بِهَا دَائِماً سَقَتْ وَلِلْبَحْرِ شَقَبِ
وَيُوسُفُ إِذْ أَلْقَى الْبَشِيرُ قَمِيصَهُ
عَلَى وَجْهِ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ بِأَوْبَةِ
رَأَهُ بِعَيْنِ قَبْلِ مَقْدَمِهِ بَكَى
عَلَيْهِ بِهَا شَوْقاً إِلَيْهِ فَكَفَّتْ
وَفِي آلِ إِسْرَائِيلَ مَائِدَةُ السَّمَاءِ
لِيعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ أَنْزَلْتَ ثُمَّ مُدَّتْ
وَمِنْ أَلَمِ أُبْرَى وَمِنْ وَضَحِ غَدَا
شَفَى وَأَعَادَ الطَّيْرَ طَيْراً بِتَفْخَةِ
وَضَحَّ بِأَخْبَارِ التَّوَاتُرِ أَنَّهُ
أَمَاتَ وَأَحْيَا بِالذُّعَا رَبِّ مَيِّتِ
وَأَبْعَدُ مِنْ هَذَا عَنِ السِّحْرِ أَنَّهُ
رَضِيْعٌ يُنَادِي بِاللِّسَانِ الْفَصِيحَةِ
يُنَزِّهُ عَنِ رِيْبِ الظُّنُونِ عَفِيفَةً
مُبْرَأَةً مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَرَيْبَةٍ

وقال لأهل السَّبْتِ كُونُوا إِلَهُنَا
قُرُودًا فَكَانُوا عِبْرَةً أَيَّ عِبْرَةٍ
وَصَرَخَ أَهْلُ الْفَيْلِ مِنْ دُونِ بَيْتِهِ
بَطِيرِ أَبَابِيلٍ صِغَارٍ ضَعِيفَةٍ
وَأَحْرَقَ رَوْضَ الْجَنَّتَيْنِ عُقُوبَةً
بِكَافٍ وَنُونٍ عِبْرَةً لِلْبَرِيَّةِ

وقال يُوسُفُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّرْصَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

مُحَمَّدُ الْمَبْعُوثُ لِلْخَلْقِ رَحْمَةً
يُشِيدُ مَا أَوْهَى الضَّلَالُ وَيُضْلِحُ
لَئِنْ سَبَّحْتَ صُمُّ الْجِبَالِ مُجِيئَةً
لِذَاوَدَ أَوْ لَأَنَّ الْحَدِيدُ الْمُصْفَحُ
فَإِنَّ الصُّخُورَ الصُّمَّ لَأَنْتَ بِكَفِّهِ
وَإِنَّ الْحَصَى فِي كَفِّهِ لَيُسَبِّحُ
وَإِنْ كَانَ مُوسَى أَنْبَعَ الْأَمِينِ الْحَصَى
فَمَنْ كَفِّهِ قَدْ أَصْبَحَ الْمَاءُ يَطْفَحُ
وَإِنْ كَانَتْ الرِّيحُ الرُّخَاءُ مُطِيعَةً
سُلَيْمَانَ لَا تَأَلَوْ تَرُوحُ وَتَسْرَحُ
فَإِنَّ الصُّبَا كَانَتْ لِنَضْرِ نَبِيِّنَا
بِرُغْبٍ عَلَى شَهْرِ بِهِ الْخَضْمُ يَكْلَحُ
وَإِنْ أُوتِيَ الْمَلِكُ الْعَظِيمُ وَسُخِّرَتْ
لَهُ الْجِنُّ تَشْفِي مَا رَضِيهِ وَتَلْدَحُ

فَإِنْ مَفَاتِيحَ الْكُنُوزِ بِأَسْرَهَا
أَتَتْهُ فَرَدَّ الزَّاهِدُ الْمُتَرَجِّحُ
وَإِنْ كَانَ إِبْرَاهِيمُ أُعْطِيَ خُلَّةً
وَمُوسَى بِتَكْلِيمٍ عَلَى الطُّورِ يُمْنَحُ
فَهَذَا حَبِيبٌ بَلْ خَلِيلٌ مُكَلَّمُ
وُخْصِصَ بِالرُّؤْيَا وَبِالْحَقِّ أُشْرَحُ
وُخْصِصَ بِالْحَوْضِ الْعَظِيمِ وَبِاللُّوَا
وَيَسْتَفْعُ لِلْعَاصِيْنَ وَالنَّارُ تَلْفَحُ
وَبِالْمَقْعَدِ الْأَعْلَى الْمُقْرَبِ عِنْدَهُ
عَطَاءٌ بِبُشْرَاهُ أَقْرُ وَأَفْرَحُ
وَبِالرُّتْبَةِ الْعُلْيَا الْوَسِيلَةِ دُونَهَا
مَرَاتِبُ أَرْبَابِ الْمَوَاهِبُ تَلْمَحُ
وَفِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ أَوْلَى دَاخِلُ
لَهُ سَائِرُ الْأَبْوَابِ بِالْخَيْرِ تُفْتَحُ

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِاتِّبَاعِ الْهُدَى وَجَنَّبْنَا أَسْبَابَ الْهَلَاكِ وَالشَّقَا وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(قِصَصُ رَائِعَةٍ)

عن بلال بن رباح قال : ما كان لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْءٌ إِلَّا أَنَا الَّذِي
كُنْتُ إِلَيْهِ ذَلِكَ مِنْهُ مُنْذُ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَنْ تُوفِّيَ ، فَكَانَ إِذَا أَتَاهُ الْإِنْسَانُ الْمُسْلِمَ
فَرَأَاهُ عَائِلًا ، يَأْمُرُنِي فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَقْرِضُ فَأَشْتَرِي الْبُرْدَةَ وَالشَّيْءَ فَأَكْسُوهُ
وَأَطْعَمُهُ ، حَتَّى إِعْتَرَضَنِي رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ : يَا بِلَالُ ، إِنَّ نَدِي عِنْدِي
سَعَةٌ فَلَا تَسْتَقْرِضُ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا مِنِّي فَفَعَلْتُ .
فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ ، تَوَضَّأْتُ ثُمَّ قُمْتُ لِأَوْذَانَ الصَّلَاةِ فَإِذَا الْمُشْرِكُ فِي

عِصَابَةٍ مِنَ التَّجَارِ ، فَلَمَّا رَأَى قَالَ : يَا حَبِشِي ، قُلْتُ : يَا لَيْتِي ؛ فَتَجَهَّمَنِي ،
وَقَالَ قَوْلًا عَظِيمًا - أَوْ غَلِيظًا - وَقَالَ : أَتَدْرِي كَمْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الشَّهْرِ ؟ قُلْتُ :
قَرِيب .

قَالَ : إِنَّمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ أَرْبَعُ لَيَالٍ ، فَأَخَذَكَ بِالذِّي لِي عَلَيْكَ ، فَإِنِّي لَمْ
أُعْطِكَ الَّذِي أُعْطَيْتُكَ مِنْ كَرَامَتِكَ وَلَا مِنْ كَرَامَةِ صَاحِبِكَ ، وَإِنَّمَا أُعْطَيْتُكَ
لِتَصِيرَ لِي عَبْدًا فَأَذْرُكَ تَرَعَى فِي الْغَنَمِ كَمَا كُنْتُ قَبْلَ ذَلِكَ .
فَأَخَذَنِي فِي نَفْسِي مَا يَأْخُذُ فِي أَنْفُسِ النَّاسِ ، فَاثْطَلَقْتُ فَنَادَيْتُ بِالصَّلَاةِ ،
حَتَّى إِذَا صَلَّى الْعَتَمَةَ ، وَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَهْلِهِ ، فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ
فَأَذِنَ لِي .

فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ بَأْسِي أَنْتَ وَأُمِّي إِنَّ الْمُشْرِكَ الَّذِي ذَكَرْتُ لَكَ أَنِّي
كُنْتُ أَتَدِينُ مِنْهُ قَدْ قَالَ كَذًا وَكَذًا ، وَلَيْسَ عِنْدَكَ مَا يَقْضِي عَنِّي وَلَا عِنْدِي ،
وَهُوَ فَاضِحِي ، فَأَذِنَ لِي أَنْ آتِيَ إِلَى بَعْضِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَدْ أَسْلَمُوا حَتَّى يَرِزُقَ
اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ مَا يَقْضِي عَنِّي .

فَخَرَجْتُ حَتَّى أَتَيْتُ مَنْزِلِي فَجَعَلْتُ سَيْفِي وَجِرَابِي وَرُمْحِي وَنَعْلِي عِنْدَ
رَأْسِي ، فَاسْتَقْبَلْتُ بِوَجْهِ الْأَفْقِ فَكَلَّمَا نِمْتُ انْتَبَهْتُ ، فَإِذَا رَأَيْتُ عَلَيَّ لَيْلًا
نِمْتُ حَتَّى انشَقَّ عَمُودُ الصُّبْحِ الْأَوَّلِ فَأَرَدْتُ أَنْ أُثَلِّقَ .

فَإِذَا إِنْسَانٌ يَدْعُو : يَا بِلَالُ أَجِبْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَانْطَلَقْتُ حَتَّى آتَيْتُهُ ،
فَإِذَا أَرْبَعُ رَكَائِبَ عَلَيْهِنَّ أَحْمَالُهُنَّ ، فَاتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَأْذَنْتُ فَقَالَ لِي
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَبْشِرْ ، فَقَدْ جَاءَكَ اللَّهُ بِقَضَاءِ دِينِكَ ، فَحَمَدْتُ اللَّهَ .

وَقَالَ : أَلَمْ تَمُرَّ عَلَى الرَّكَائِبِ الْمُنَاحَاتِ الْأَرْبَعِ ؟ قُلْتُ : بَلَى ، قَالَ : فَإِنَّ
لَكَ رِقَابَهُنَّ وَمَا عَلَيْهِنَّ - فَإِذَا عَلَيْهِنَّ كِسْوَةٌ وَطَعَامٌ أَهْدَاهُنَّ لَهُ عَظِيمٌ فَذَكَ -
فَأَقْبَضَهُنَّ إِلَيْكَ ، ثُمَّ أَقْضَى دِينَكَ .

فَفَعَلْتُ فَحَطَّطْتُ عَنْهُنَّ أَحْمَالَهُنَّ ثُمَّ عَلَفْتُهُنَّ ، ثُمَّ عَمَدْتُ إِلَى تَأْذِينِ
صَلَاةِ الصُّبْحِ ، حَتَّى إِذَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، خَرَجْتُ إِلَى الْبَيْعِ ، فَجَعَلْتُ

أصبعي في أذني فقلت : مَنْ كَانَ يَطْلُبُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ دِينًا فَلْيَحْضُرْ .
فَمَا زِلْتُ أُبِيعُ وَأَقْضِي وَأَعْرَضُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ دِينَ فِي
الْأَرْضِ ، حَتَّى فَضَّلَ عِنْدِي أَوْقِيَّتَانِ أَوْ أَوْقِيَّةً وَنِصْفَ ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ إِلَى
الْمَسْجِدِ ، وَقَدْ ذَهَبَ عَامَّةُ النَّهَارِ ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَاعِدٌ فِي الْمَسْجِدِ
وَخَدَهُ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ .

فَقَالَ لِي : مَا فَعَلَ مَا قَبْلَكَ ؟ قُلْتُ : قَدْ قَضَى اللَّهُ كُلَّ شَيْءٍ كَانَ عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ ، قَالَ : فَضَلَّ شَيْءٌ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ دِينَارَانِ ، قَالَ :
انظُرْ أَنْ تُرِيحَنِي مِنْهُمَا ، فَلَسْتُ بِدَاخِلٍ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِي حَتَّى تُرِيحَنِي مِنْهُمَا .
فَلَمْ يَأْتِنَا أَحَدٌ ، فَبَاتَ فِي الْمَسْجِدِ حَتَّى أَصْبَحَ ، وَظَلَّ فِي الْمَسْجِدِ الْيَوْمَ
الثَّانِي حَتَّى إِذَا كَانَ فِي آخِرِ النَّهَارِ جَاءَ رَاكِبَانِ ، فَانْطَلَقْتُ بِهِمَا فَكَسَوْتُهُمَا
وَأَطَعْتُهُمَا ، حَتَّى إِذَا صَلَّى الْعَتَمَةَ دَعَانِي ، فَقَالَ : مَا فَعَلَ الَّذِي قَبْلَكَ ؟
قُلْتُ : قَدْ أَرَاكَ اللَّهُ مِنْهُ ، فَكَبَّرَ وَحَمِدَ اللَّهَ شَفَقًا مِنْ أَنْ يُدْرِكَهُ
الْمَوْتُ وَعِنْدَهُ ذَلِكَ ، ثُمَّ اتَّبَعْتَهُ حَتَّى جَاءَ أَزْوَاجَهُ فَسَلَّمَ عَلَى إِمْرَأَةٍ إِمْرَأَةٍ حَتَّى أَتَى
مَبِيئَتَهُ .

اللَّهُمَّ طَهِّرْ قُلُوبَنَا مِنَ النِّفَاقِ وَعَمَلْنَا مِنَ الرِّيَاءِ وَالسُّنَّانِ مِنَ الْكُذْبِ وَأَعْيِنَّا
مِنَ الْخِيَانَةِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَبِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

عن عبد الله بن عمر قال : بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَيْشًا فِيهِمْ رَجُلٌ يُقَالُ
لَهُ « حُدَيْرٌ » ، وَكَانَتْ تِلْكَ السَّنَةُ قَدْ أَصَابَتْهُمْ سَنَةٌ مِنْ قِلَّةِ الطَّعَامِ ؛ فَزَوَّدَهُمْ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَسِيَ أَنْ يُزَوِّدَ حُدَيْرًا .

فَخَرَجَ حُدَيْرٌ صَابِرًا وَهُوَ فِي آخِرِ الرُّكْبِ يَقُولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ
أَكْبَرُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، وَيَقُولُ : نِعْمَ
الزَّادُ هُوَ يَا رَبُّ ؛ فَهُوَ يُرَدِّدُهَا ، وَهُوَ فِي آخِرِ الرُّكْبِ .

فجاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال له : إن ربي أرسلني إليك يخبرك أنك زودت أصحابك ونسييت أن تزود حديراً ، وهو في آخر الركب يقول : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .
ويقول : نعم الزاد هو يا رب ؛ فكلامه ذلك له نور يوم القيامة ما بين السماء والأرض ، فابعث إليه بزاد ، فدعا النبي ﷺ رجلاً ، فدفع إليه زاد ، وأمره إذا انتهى إليه حفظ عليه ما يقول ، وإذا دفع إليه الزاد حفظ عليه ما يقول .

ويقول له : إن رسول الله ﷺ يقرئك السلام ورحمة الله ، ويخبرك أنه كان نسي أن يزودك ، وإن ربي تبارك وتعالى أرسل إلي جبريل يذكرني بك ، فذكره جبريل وأعلمه مكانك .

فأنتهى إليه وهو يقول : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ويقول : نعم الزاد هذا يا رب ؛ فدنا منه ، ثم قال له : إن رسول الله ﷺ يقرئك السلام ورحمة الله .

وقد أرسلني إليك بزادٍ معي ، ويقول : إنني إنما نسييتك ، فأرسل إلي جبريل من السماء يذكرني بك ؛ فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على النبي ﷺ ثم قال : الحمد لله رب العالمين ، ذكرني ربي من فوق سبع سموات ، ومن فوق عرشه ، ورحم جوعي وضعفي .

يارب كما لم تنس حديراً فاجعل حديراً لا ينساك ؛ فحفظ ما قال ، ورجع إلى النبي ﷺ فأخبره بما سمع منه حين أتاه ، وبما قال حين أخبره ، فقال رسول الله ﷺ : أما إنك لو رفعت رأسك إلى السماء لرأيت لكلامه ذلك نوراً ساطعاً ما بين السماء والأرض . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

اللهم يا من لا تضره المعصية ولا تنفعه الطاعة أيقظنا من نوم الغفلة ونبهنا لاغتيام أوقات المهلة ووقفنا لمصالحنا واعصمنا من قبائحنا وذنوبنا ولا تؤاخذنا بما انطوت عليه ضمائرنا وأكنته سرائرننا من أنواع القبائح

والمعائب التي تعلمها منا واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين الأحياء منهم
 والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه
 أجمعين .
 « فَضْلٌ »

عن محمود بن لبيد قال : لما أصيب أكلحل سعد يوم الخندق فنقل ،
 حوله عند امرأة يقال لها ربيعة ، وكانت ثداوي الجرحى ، فكان النبي ﷺ
 إذا مر به يقول : كيف أمسيت ؟ وإذا أصبح قال : كيف أصبحت ؟ فيخبره .
 حتى كانت الليلة التي نقله قومه فيها فنقل ؛ فاحتملوه إلى بني الأشهل ،
 إلى منازلهم ، وجاء رسول الله ﷺ كما كان يسأل عنه ، وقالوا : قد
 انطلقوا به .

فخرج رسول الله ﷺ وخرجنا معه ، فأسرع المشي حتى تقطعت
 شسوع نعالنا ، وسقطت أزديتنا عن أعناقنا ، فشكا ذلك إليه أصحابه :
 يا رسول الله ، أنعبتنا في المشي .

فقال : إني أخاف أن تسبقنا الملائكة إليه فتغسله كما غسلت حنظلة ،
 فانتهي رسول الله ﷺ إلى البيت وهو يغسل وأمه تبكيه ، وهي تقول :

وَيْلٌ أُمَّ سَعْدٍ سَعْدًا حَزَامَةٌ وَجِدًّا

فقال رسول الله ﷺ : كل نائحة تكذب إلا أم سعد .

ثم خرج به ؛ فقال له القوم - أو من شاء الله منهم - : يا رسول الله ،
 ما حملنا ميتاً أخف علينا من سعد .

فقال : ما يمنعكم من أن يخف عليكم ، وقد هبط من الملائكة كذا
 وكذا ، قد سمى عدّة كثيرة لم أحفظها ، لم يهبطوا قط قبل يومهم ، قد حملوه
 معكم .

عن الحجاج بن علاط قال قلت لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ، إن
 لي بمكة مالا عند صاحبتني أم شيبه بنت أبي طلحة ... ومالا متفرقا في تجار
 أهل مكة ، فأذن لي يا رسول الله ؛ (فأذن لي) ، قلت : إنه لا بد لي يا رسول
 الله من أن أقول ، قال : قل .

فَخَرَجْتُ حَتَّى إِذَا قَدِمْتُ مَكَّةَ وَجَدْتُ بِشِيَّةِ الْبَيْضَاءِ رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ
يَتَسَمَّعُونَ الْأَخْبَارَ ، وَيَسْأَلُونَ عَنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ بَلَغَهُمْ أَنَّهُ قَدْ سَارَ
إِلَى حَيْبَرَ ، وَقَدْ عَرَفُوا أَنَّهَا قَرْيَةُ الْحِجَازِ ، رِيْفًا وَمَنْعَةً وَرِجَالًا ، فَهَمَّ يَتَحَسَّسُونَ
الْأَخْبَارَ ، وَيَسْأَلُونَ الرُّكْبَانَ .

فَلَمَّا رَأَوْنِي قَالُوا : الْحِجَاجُ بْنُ عَلَاطٍ - وَلَمْ يَكُونُوا عَلِمُوا بِإِسْلَامِي -
عِنْدَهُ وَاللَّهُ الْخَبِرُ ، أَخْبِرْنَا يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّ الْقَاطِعَ قَدْ سَارَ إِلَى
حَيْبَرَ ، وَهِيَ بَلَدٌ يَهُودٍ وَرِيفِ الْحِجَازِ .

قُلْتُ : قَدْ بَلَغَنِي ذَلِكَ ، وَعِنْدِي مِنَ الْخَبَرِ مَا يَسُرُّكُمْ ، فَالْتَبَطُوا بِجَنبِي
نَاقَتِي يَقُولُونَ : إِيهِ يَا حِجَاجُ ! قُلْتُ : هُرِمَ هَزِيمَةٌ لَمْ تَسْمَعُوا بِمِثْلِهَا قَطُّ ، وَقُتِلَ
أَصْحَابُهُ قِتْلًا لَمْ تَسْمَعُوا بِمِثْلِهِ قَطُّ ، وَأَسِيرَ مُحَمَّدٌ أَسْرًا .

وَقَالُوا : لَا نَقْتُلُهُ حَتَّى نَبْعَثَ بِهِ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ ، فَيَقْتُلُوهُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ بَمَنْ
كَانَ أَصَابَ مِنْ رِجَالِهِمْ ؛ فَقَامُوا وَصَاحُوا بِمَكَّةَ ، وَقَالُوا : قَدْ جَاءَ كُمْ الْخَبْرُ ،
وَهَذَا مُحَمَّدٌ ، إِنَّمَا تَنْتَظِرُونَ أَنْ يُقَدَّمَ بِهِ عَلَيْكُمْ ، فَيَقْتُلَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ .

قُلْتُ : أَعِينُونِي عَلَى جَمْعِ مَالِي بِمَكَّةَ وَعَلَى غُرْمَائِي ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَقْدِمَ
حَيْبَرَ ، فَأُصِيبَ مِنْ فِئَةِ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَنِي التُّجَّارُ إِلَى مَا هُنَالِكَ ؛
فَقَامُوا ، فَجَمَعُوا لِي مَالِي كَأَحْتِ جَمْعِ سَمِعْتُ بِهِ .

وَجِئْتُ صَاحِبَتِي فَقُلْتُ : مَا لِي ، وَقَدْ كَانَ لِي عِنْدَهَا مَالٌ مَوْضُوعٌ ،
لَعَلِّي الْحَقُّ بِحَيْبَرَ ، فَأُصِيبَ مِنْ فُرْصِ الْبَيْعِ قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَنِي التُّجَّارُ . فَلَمَّا سَمِعَ
الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْخَبَرَ ، وَجَاءَهُ عَنِّي ، أَقْبَلَ حَتَّى وَقَفَ إِلَى جَنبِي وَأَنَا فِي
خَيْمَةٍ مِنْ خِيَامِ التُّجَّارِ .

فَقَالَ : يَا حِجَاجُ ، مَا هَذَا الْخَبَرُ الَّذِي جِئْتَ بِهِ ؟ فَقُلْتُ : وَهَلْ عِنْدَكَ
حِفْظٌ لِمَا وَضَعْتَ عِنْدَكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قُلْتُ : فَاسْتَأْخِرْ عَنِّي حَتَّى أَلْقَاكَ عَلَى
خَلَاءٍ ، فَإِنِّي فِي جَمْعِ مَالِي كَمَا تَرَى ، فَانصِرْفْ عَنِّي حَتَّى أَفْرُغَ .

حَتَّى إِذَا فَرَعْتُ مِنْ جَمْعِ كُلِّ شَيْءٍ كَانَ لِي بِمَكَّةَ ، وَأَجْمَعْتُ الْخُرُوجَ ،
لَقِيتُ الْعَبَّاسَ ، فَقُلْتُ : احْفَظْ عَلَيَّ حَدِيثِي يَا أَبَا الْفَضْلِ - فَإِنِّي أَخْشَى
الطَّلَبَ - ثَلَاثًا ، ثُمَّ قُلْ مَا شِئْتَ ، قَالَ : أَفْعَلْ ، قُلْتُ : فَإِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ تَرَكْتُ
ابْنَ أُخِيكَ عَرُوسًا عَلَى بِنْتِ مَلِكِهِمْ .

وَلَقَدْ افْتَتَحَ خَيْبَرَ ، وَانْتَلَّ مَا فِيهَا ، وَصَارَتْ لَهُ وَالْأَصْحَابِ ، فَقَالَ : مَا
تَقُولُ يَا حَاجَّاجُ ؟ قُلْتُ : إِي وَاللَّهِ ، فَانْتَمَ عَنِّي ، وَلَقَدْ أُسْلِمْتُ وَمَا جِئْتُ إِلَّا
لَأُخَذَ مَالِي ، فَرَقًّا مِنْ أَنْ أُغْلَبَ عَلَيْهِ .
فَإِذَا مَضَتْ ثَلَاثٌ فَأَظْهَرَ أَمْرَكَ ، فَهُوَ وَاللَّهُ مَا تُحِبُّ . حَتَّى إِذَا كَانَ
الْيَوْمَ الثَّلَاثَ لَبَسَ الْعَبَّاسُ حُلَّةً لَهُ ، وَتَخَلَّقَ ، وَأَخَذَ عَصَاهُ ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى
الْكَعْبَةَ ، فَطَافَ بِهَا .

فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا : يَا أَبَا الْفَضْلِ ، هَذَا وَاللَّهُ التَّجَلُّدُ لِحُرِّ الْمُصِيبَةِ ، قَالَ :
كَلَّا ، وَاللَّهُ بِالَّذِي حَلَفْتُمْ بِهِ ، لَقَدْ افْتَتَحَ مُحَمَّدٌ خَيْبَرَ وَتَرَكَ عَرُوسًا عَلَى بِنْتِ
مَلِكِهِمْ ، وَاحْرَزَّ أَمْوَالَهُمْ وَمَا فِيهَا فَأَصْبَحَتْ لَهُ وَالْأَصْحَابِ .
قَالُوا : مَنْ جَاءَكَ بِهَذَا الْخَبَرِ ؟ قَالَ : الَّذِي جَاءَكُمْ بِهِ ، وَلَقَدْ دَخَلَ
عَلَيْكُمْ مُسْلِمًا ، فَأَخَذَ مَالَهُ ، فَانْطَلَقَ لِيَلْحَقَ بِمُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ ، فَيَكُونُ مَعَهُ ؛
قَالُوا : يَا لِعِبَادِ اللَّهِ ! انْفَلَتَ عَدُوُّ اللَّهِ ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ عَلِمْنَا لَكَانَ لَنَا وَلَهُ شَأْنٌ ؛ وَلَمْ
يَنْشَبُوا أَنْ جَاءَهُمُ الْخَبَرُ بِذَلِكَ .

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَضْلٌ »

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : أُعْرِسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، بِبَعْضِ نِسَائِهِ فَصَنَعَتْ
أُمُّ سُلَيْمٍ حَيْسًا ثُمَّ حَطَّتْهُ فِي تَوْرٍ ، فَقَالَتْ : اذْهَبْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأُخْبِرْهُ
أَنَّ هَذَا مِنَّا لَهُ قَلِيلٌ . وَالتَّاسُ يَوْمَئِذٍ فِي جَهْدٍ .
فَجِئْتُ بِهِ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ بَعَثْتَ بِهَذَا أُمَّ سُلَيْمٍ إِلَيْكَ وَهِيَ تُفَرِّئُكَ

السَّلَامِ وَتَقُولُ : إِنَّ هَذَا مِنَّا لَهُ قَلِيلٌ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : ضَعُهُ فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ ،
ثُمَّ قَالَ : اذْهَبْ فَادْعُ لِي فُلَانًا وَفُلَانًا ؛ فَسَمَى رِجَالًا كَثِيرًا .

قَالَ : وَمَنْ لَقِيتَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَدَعَوْتُ مَنْ قَالَ لِي ، وَمَنْ لَقِيتُ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ فَجِئْتُ وَالْبَيْتُ وَالصُّفَّةُ وَالْحُجْرَةُ مَلَاءَ مِنَ النَّاسِ ... فَقَالَ لِي رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ : جِئْ بِهِ ؛ فَجِئْتُ بِهِ إِلَيْهِ ، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَدَعَا وَقَالَ : مَا شَاءَ اللَّهُ .
ثُمَّ قَالَ : لِيَتَحَلَّقَ عَشْرَةَ وَيُسَمُّوا وَلِيَأْكُلْ كُلُّ إِنْسَانٍ مِمَّا يَلِيهِ ، فَجَعَلُوا
يُسَمُّونَ وَيَأْكُلُونَ حَتَّى أَكَلُوا كُلَّهُمْ ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ارْفَعْهُ ،
فَجِئْتُ فَأَخَذْتُ التَّوْرَ ، فَنَظَرْتُ فِيهِ فَلَا أُدْرِي أَهُوَ حِينَ وَضَعْتَهُ أَكْثَرُ أَمْ حِينَ
رَفَعْتُهُ !

وَتَخَلَّفَ رِجَالٌ يَتَحَدَّثُونَ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَزَوْجِ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ الَّتِي دَخَلَ بِهَا مَعَهُمْ مُوَلِيَّةٌ وَجَهَهَا إِلَى الْحَائِطِ ، فَأَطَالُوا الْحَدِيثَ فَشَقُّوا
عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ أَشَدَّ النَّاسِ حَيَاءً ، وَلَوْ عَلِمُوا كَانَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ
عَزِيزًا ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمَ عَلَى حُجْرِهِ وَعَلَى نِسَائِهِ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَدِ جَاءَ
ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ ثَقَلُوا عَلَيْهِ ابْتَدَرُوا الْبَابَ ، فَحَرَجُوا .

وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَرْخَى السِّتْرَ ، وَدَخَلَ الْبَيْتَ وَأَنَا فِي
الْحُجْرَةِ ، فَمَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِهِ يَسِيرًا ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَحَرَجَ
وَهُوَ يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ
لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَاطِرِينَ إِنَاءُ ، وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا ، فَإِذَا طَعِمْتُمْ
فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثِ إِنْ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَجِجِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ
لَا يَسْتَجِجِي مِنَ الْحَقِّ ، وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ،
ذَلِكَمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ، وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ
تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ، إِنْ تُبَدِّلُوا شَيْئًا أَوْ
تُخْفَوُهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿ ؛ فَقَرَأَهُنَّ عَلَيَّ قَبْلَ النَّاسِ ، وَأَنَا
أُحَدِّثُ النَّاسَ بِهِنَّ عَهْدًا .

اللَّهُمَّ مَكِّنْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَنَوِّرْ قُلُوبِنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبِّتْنَا

على قولك الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وزحزحنا عن النار وأدخلنا الجنة دار القرار وميتعنا بالنظر إلى وجهك يا أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

(فصل)

عن عبد الله بن عباس قال : خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ بِالْهَاجِرَةِ ، فَسَمِعَ بِذَلِكَ عُمَرَ فَخَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ ، فَقَالَ : يَا أَبَا بَكْرٍ ، مَا أَخْرَجَكَ هَذِهِ السَّاعَةَ ؟
فقال : أَخْرَجَنِي وَاللَّهِ مَا أُجِدُّ فِي بُطُونِنَا مِنْ حَاقِّ الْجُوعِ .

فقال : وَأَنَا وَاللَّهِ مَا أَخْرَجَنِي غَيْرُهُ ، فَبَيْنَمَا هُمَا كَذَلِكَ إِذْ خَرَجَ عَلَيْهِمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : مَا أَخْرَجَكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ ؟ فَقَالَا : أَخْرَجَنَا مَا نَجِدُ فِي بُطُونِنَا مِنْ حَاقِّ الْجُوعِ .

فقال النبي ﷺ : وَأَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَخْرَجَنِي غَيْرُهُ ؛ فَقَامُوا ؛ فَانْطَلَقُوا حَتَّى أَتَوْا بَابَ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ وَكَانَ أَبُو أَيُّوبَ ذَكَرَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ طَعَامًا أَوْ لَبَنًا ، فَأَبْطَأَ يَوْمَئِذٍ فَلَمْ يَأْتِ لِحِينِهِ ، فَأَطْعَمَهُ أَهْلُهُ ، وَانْطَلَقَ إِلَى نَحْلِهِ يَعْمَلُ فِيهِ .

فَلَمَّا أَتَوْا بَابَ أَبِي أَيُّوبَ خَرَجَتْ إِمْرَأَتُهُ فَقَالَتْ : مَرْحَبًا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبِمَنْ مَعَهُ ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فَأَيْنَ أَبُو أَيُّوبَ ؟ فَقَالَتْ : يَا تَيْكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ السَّاعَةَ .

فَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَبَصَّرَ بِهِ أَبُو أَيُّوبَ - وَهُوَ يَعْمَلُ فِي نَحْلٍ لَهُ - فَجَاءَ يَشْتَدُّ حَتَّى أُدْرِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : مَرْحَبًا بِنَبِيِّ اللَّهِ وَبِمَنْ مَعَهُ .

فقال : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَيْسَ بِالْحِينِ الَّذِي كُنْتُ تَجِيئُنِي فِيهِ ، فَرَدَّهُ ، فَجَاءَ إِلَى عَدْقِ النَّحْلِ ، فَقَطَعَهُ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَا أَرَدْتَ إِلَى هَذَا ؟
فقال : يَا رَسُولَ اللَّهِ أُحِبُّتُ أَنْ تَأْكُلَ مِنْ رُطْبِهِ وَبُسْرِهِ وَتَمْرِهِ وَتَذُنُوبِهِ ، وَلَأَذْبَحَنَّ لَكَ مَعَ هَذَا .

فقال : إِنْ ذَبَحْتَ ، فَلَا تَذْبَحَنَّ ذَاتَ دَرٍ ؛ فَأَخَذَ عَنَاقًا لَهُ ، أَوْ جَدِيًّا ؛

فَذَبَحَهُ ، وَقَالَ لَامْرَأَتِهِ : اخْتَبِرِي وَأَطْبِخِ أَنَا ، فَأَتَتْ أَعْلَمُ بِالْخَبْرِ ، فَعَمِدَتْ إِلَى نَصِيفِ الْجَدْيِ فَطَبَخَتْهُ ، وَشَوَى نِصْفَهُ .

فَلَمَّا أُذِرِكَ بِالطَّعَامِ ، وَضِعَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ ، فَاخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْجَدْيِ فَوَضَعَهُ عَلَى رَغِيفٍ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا أَيُّوبَ أبلغْ بِهَذَا فَاطِمَةَ ، فَإِنَّهَا لَمْ تُصِيبْ مِثْلَ هَذَا مُنْذُ أَيَّامٍ .

فَلَمَّا أَكَلُوا وَشَبِعُوا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : خُبِرَ وَلَحِمٌ وَبَسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطْبٌ ، وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ ، ثُمَّ قَالَ : هَذَا مِنَ النَّعِيمِ الَّذِي تُسْأَلُونَ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَكَبَّرَ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِذَا أَصَبْتُمْ مِثْلَ هَذَا ، وَضَرَبْتُمْ بِأَيْدِيكُمْ ، فَقُولُوا : بِسْمِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ ، فَإِذَا شَبِعْتُمْ ، فَقُولُوا : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَشْبَعَنَا وَأَرْوَانَا ، وَأَنْعَمَ وَأَفْضَلَ ؛ فَإِنَّ هَذَا كَفَافٌ بِهَذَا .

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَأْتِي إِلَيْهِ أَحَدٌ مَعْرُوفًا إِلَّا أَحَبَّ أَنْ يُجَازِيَهُ ؛ فَقَالَ لِأَبِي أَيُّوبَ : اثْنَتَا غَدَاً ، فَلَمْ يَسْمَعْ ، فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ ، فَلَمَّا أَتَاهُ أَعْطَاهُ وَوَلَدَةً ، فَقَالَ : يَا أَبَا أَيُّوبَ ، اسْتَوْصِ بِهَذِهِ خَيْرًا ، فَإِنَّا لَمْ نَرِ إِلَّا خَيْرًا مَا دَامَتْ عِنْدَنَا ؛ فَلَمَّا جَاءَ بِهَا أَبُو أَيُّوبَ قَالَ : مَا أَجْدُ لَوْصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا خَيْرًا مِنْ أَنْ أَعْتَقَهَا ؛ فَأَعْتَقَهَا .

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

فَهَا سُنَّةُ الْمَعْصُومِ خَيْرَةَ خَلْقِهِ شَكَتْ بِلِسَانِ الْحَالِ طُولَ جَفَاهَا
فَنَسَّأَلُ رَبُّ الْعَرْشِ تَيْسِيرَ مُخْلِصٍ يُزِيلُ ظَلَامًا قَدْ طَمَأَ وَعَلَاهَا
فَتَى قَدْ جَنَى مِنْ كُلِّ فَنٍ ثِمَارَهُ وَأَمَّ إِلَى هَامِ الْعُلَى فَعَلَاهَا
قَرِيبٌ إِلَى أَهْلِ الشَّرِيعَةِ وَالتَّقَى وَيَبْعُدُ عَمَّنْ يَرْتَضِي بِسِوَاهَا
عَفِيفٌ عَنِ الْأَمْوَالِ إِلَّا بِحَقِّهَا وَعَنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا يُطِيلُ جَفَاهَا
يُوَالِي وَيُذْنِي أَهْلَ سُنَّةِ أَحْمَدٍ بَعِيدٌ لِمَنْ يَهْدِي بِغَيْرِ هُدَاهَا
تَرَاهُ إِلَى دَارِ الْإِقَامَةِ ظَاعِنًا يَرَى زَهْرَةَ الدُّنْيَا يَطِيرُ هَبَاهَا
يُحْفُ بِهَ قَوْمٌ عَلَى كُلِّ سَابِحٍ مُنَاهُمْ مُنَاوَأَةُ الْعِدَى وَلِقَاهَا

تَعُدُّ الْمَنَايَا فِي الْحُرُوبِ مَنَاهَا
وَيُسْكِرُهُمْ دَمْعُ الْعِدَا وَدِمَاهَا
وَوَقَعَ الْعَوَالِي فِي صُدُورِ عِدَاهَا
مَسَاكِينَ لَا يَرْضَى إِلَاهَ بِنَاهَا
وَضَرَبَ طَلَاهَا بِالطَّلَا لِرَدِّهَا
وَيُغْلُونَ مِنْهَا مَا وَهَى لِعِلَاهَا
قُصُورًا وَلَا بَاهُوا بِرَفْعِ بِنَاهَا
وَتَطْوِيقَهُم بِالسَّيْفِ بِيضَ طَلَاهَا
وَيَنْفُونَ عَنْهَا بِاطِّلَا بَدَوَاهَا
فَيَسْرِقُ فِي الْآفَاقِ نُورَ سَنَاهَا
وَوَيْلٌ لِمَنْ يَهْدِي بِغَيْرِ هُدَاهَا
فَتَسْمُقُ أَنْوَارَ الْهُدَى فَنَرَاهَا
فَتَنْظُرُ أَحْكَامَ الْهُدَى بِهَدَاهَا
إِلَى كَمْ تُمْنُونَ النُّفُوسَ مَنَاهَا
وَلَا تَنْحَامِي عَارَهَا وَعَرَاهَا
فَحَيَّ هَلَا يَا مَنْ يُرِيدُ حِمَاهَا
وَتَرْفَعُ أَعْلَامَ الْهُدَى وَذَرَاهَا
لِتَنْظُرَ فِي عُقْبِي مَالِ عِلَاهَا
سَيَجْزِي الْعِدَى يَوْمَ الْجَزَا بِجَزَاهَا
إِذَا رَامَهَا مَنْ شَاءَهَا سِيرَاهَا
عَنْ السَّنَةِ الْعَرَا أَمَاطَ قَدَاهَا
إِذَا بُحْتُ بِالشُّكُويِ يُبَلِّ صَدَاهَا
وَالْأُفَالِكُفُوِ الْكَرِيمِ عِدَاهَا

يَقُودُ أُسُودًا فِي الْحُرُوبِ ضِيَاعِمًا
وَيَعْرُوهُمُوا عِنْدَ الْمَلَاقَاتِ هَزَّةً
وَيَطْرِبُهُمْ هَزُّ الْقَنَا بِأَكْفِهِمْ
وَلَا جَمَعُوا مَالًا وَلَا كَسَبُوا لَهُمْ
وَمَا قَصَدُوا مِنْ سَفْكِهِمْ لِدَمِ الْعِدَى
سِوَى أَنَّهُمْ يُحْيُونَ شِرْعَةَ أَحْمَدِ
وَلَا هَمَّهُمْ جَمْعُ الْحُطَامِ فَنَزَخَرَفُوا
وَلَا قَصَدَهُمْ مِمَّنْ أَبَادُوهُ بِالْقَنَا
سِوَى رَفْعِ أَعْلَامِ الشَّرِيعَةِ فِي الْوَرَى
سَيَنْجَابُ عَنْهَا بِالصُّوَارِمِ مَا دَجَا
وَتَنْفُذُ أَحْكَامَ الشَّرِيعَةِ فِيهِمْ
وَيَعْسَلُ عَنْهَا السَّيْفُ أَوْسَاخَ بَدْعَةٍ
وَتَنْفُذُ فِي الطَّاعِنِي سِهَامَ قَسِيهِمْ
فَيَا مَنْ لَهُمْ فِي الدِّينِ أَقْصَرُ هِمَّةٍ
نَرَى كُلَّ يَوْمٍ مُنْكَرَاتٍ فَطِيعَةٍ
وَمَا حَصَلَ الْإِنْصَافُ مِنْ كُلِّ ظَالِمٍ
تَعَالَوْا بِنَا نُحْيِي رِيَاضًا مِنَ الْعُلَى
وَفَكُّوا عَنِ الْأَفْكَارِ أَقْيَادَ شُغْلِهَا
فَمَا اللَّهُ عَمَّا تَعْمَلُونَ بِعَافِلٍ
فَفِي الذِّكْرِ أَحْبَابٌ بِسُوءِ مَا لَهُمْ
بِرَبِّكُمْ رُدُّوا سَلَامِي عَلَيَّ أَمْرِي
حَلِيلِي هَلْ مِنْ سَامِعٍ لِشَكِّي
فَإِنْ تَجَدَّاهُ فَاكْشِفَا عَنْ نِقَابِهَا

وَسَوِّمِ الْأَعَادِي فِي مَرْوَجِ حِمَاهَا
 يَقُولُونَ قَالَ الْأَكْثَرُونَ سِوَاهَا
 فَتَحْنُ كَمَنْ قَدْ سَاسَهَا وَجَبَاهَا
 بَلِ الظُّلْمُ قَالُوا كَيْ نُخِيفَ عِدَاهَا
 وَأَبْصَارُهُمْ قَدْ طَالَ عَنْهُ عَمَاهَا
 قَوَاعِدَ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ بِنَاهَا
 جَمِيعِ الضَّلَالَاتِ اشْتَرَتْ بِهَدَاهَا
 يُحَاوِلُ مِنْهَا فِي الْجَهَالَةِ جَاهَا
 يُزِيلُ قَذَاهَا سَيْفُهُ وَشَجَاهَا
 عَلَى ظُلْمَةِ لِلظَّالِمِينَ جَلَاهَا
 وَيَا مَنْ مُنَحْتَمٌ أَنْفَسًا وَهَدَاهَا
 فَتَعْرِضُ لَا تَنْهَى وَلَا تَنْتَاهَا
 أَدَارَ مِنَ الْحَرْبِ الضَّرُوسِ رَحَاهَا
 وَقَدْ سَنَحَتْ عَيْنٌ تُطِيلُ كَرَاهَا
 لِنَسْبِخٍ فِي غَمْرَاتِهَا وَحُلَاهَا
 وَلَكِنْ قَضَى أَنْ لِلْأُمُورِ مَدَاهَا
 وَكَمْ ضُمَّنْتَ «طَس» مِنْهُ وَ«طَاهَا»
 عَلَى شِرْعَةِ الْمُخْتَارِ رَدُّ رُوَاهَا
 إِذَا بُنِيَ الشُّكُوى إِلَيْهِ وَعَاهَا
 وَإِلَّا فَصُونَا وَجْهَهَا وَقَفَاهَا
 بِغَيْرِ تَحَاشٍ وَاتِّهَافٍ حِمَاهَا
 يَقُولُونَ عَادَاتٌ وَتَحْنُ تَرَاهَا
 كَمَا سَاسَهَا مَنْ قَبْلَنَا وَجَبَاهَا
 يَقُولُونَ إِزْهَابُ فَقُلْتُ بِلَاهَا

أَلَمْ تَسْمَعُوا تَجْرِيْفَ سَنَةِ أَحْمَدِ
 إِذَا قِيلَ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ
 بِلَادَ جَبِينَاهَا وَسُسْنَا أُمُورَهَا
 وَإِنْ قِيلَ مَا شَأْنُ الْمَزَامِيرِ وَالغِنَا
 وَأَذَانُهُمْ صُمٌّ عَنِ الْحَقِّ وَالهُدَى
 فَصَدُّوا وَمَارَدُوا شَرِيدًا وَهَدَمُوا
 فَبَأَ لَهَا تَبًّا وَسُخْقًا لِفِرْقَةٍ
 وَبُعْدًا لَهَا بُعْدًا وَتَبًّا لَهَا وَمَنْ
 فَعَوْنَاهُ وَاعْوَانُهُ هَلْ مِنْ مُثَابِرِ
 إِذَا سُلِّ مِنْ نُورِ الشَّرِيعَةِ صَارِمًا
 فَيَا لِلْعُقُولِ السَّامِيَاتِ إِلَى الْعَلَا
 أَلَسْنَا نَرَى فِي كُلِّ يَوْمٍ مَنَافِرًا
 وَمَا كَانَ مِنَّا صَادِمٌ لِمَشَاغِبِ
 فَحَيِّ هَلَا نُخَيِّ مِنَ الْوَحْيِ سَنَةً
 وَهُبُّوا فَقَدْ طَالَ الْمَنَامُ وَشَمُّرُوا
 فَقَدْ وَعَدَ الرَّحْمَنُ نُصْرَةَ دِينِهِ
 وَأَنْزَلَ فِي التَّنْزِيلِ أَخْبَارَ مَنْ طَعَى
 فَيَالِ عِبَادِ اللَّهِ هَلْ مِنْ مُحَقِّقِ
 خَلِيلِي هَلَا قَدْ وَجَدْتُمْ مُهْدَبًا
 فَإِنْ تَجِدَاهُ فَالْمَرَامَ وَجَدْتُمَا
 فَوَاحِزِنَا مِنْ هَجْرِ سَنَةِ أَحْمَدِ
 إِذَا قِيلَ مَا هَذِي الْمَقَاسِ وَالْهَوَى
 وَمُلْكٌ وَأَرَاضٍ قَدْ جَبِينَا خَرَاجَهَا
 وَإِنْ قِيلَ مَا شَأْنُ الْمَطَالِمِ جَهْرَةً

قُلُوبَ لَهُمْ لَا تَعْقِلُ الْحَقُّ بَلْ وَلَا تَلِينُ لِذِكْرِ اللَّهِ عِنْدَ قَسَاهَا
 ((اللهم ابرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك ويذل فيه أهل
 معصيتك ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر إنك سميع الدعاء))
 اللَّهُمَّ مَكَّنْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَنَوِّرْ قُلُوبِنَا بنور الإيمان وألهمنا ذكرك
 وشكرك بحضور قلب واجعلنا هداة مهتدين وآتانا في الدنيا حسنة وفي
 الآخرة حسنة وقنا عذاب النار واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك
 يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

عن عبدالله بن وابصة العبسي عن أبيه عن جده قال : جاءنا رسول الله
 ﷺ في منازلنا بمى ، ونحن نازلون بإزاء الجمرة الأولى التي تلي مسجد
 الخيف ، وهو على راحلته مُردفاً خلفه زيد بن حارثة .
 فدعانا ؛ فوالله ما استجبنا له ولا خير لنا ، وقد كنا سَمِعنا به وبدعائه
 في المَوَاسِمِ ، فَوَقَفَ عَلَيْنَا يَدْعُونَا فلم نَسْتَجِبْ له ، وكان معنا ميسرة بن
 مسروق العبسي .

فقال لنا : أُحْلِفُ بِاللَّهِ لو قَدْ صَدَّقْنَا هذا الرَّجُلَ وَحَمَلْنَاهُ حَتَّى نَحُلَّ بِهِ
 وَسَطَ بِلَادِنَا لَكَانَ الرَّأْيُ ، فَأُحْلِفُ بِاللَّهِ لِيُظْهَرَ أمره حَتَّى يَبْلُغَ كل مَبْلَغٍ .
 فقال القومُ : دَعْنَا مِنْكَ لا تُعْرِضْنَا لما لا قَبْلَ لنا به . وطَمَعَ رسول الله
 ﷺ في ميسرة ، فكلمه ؛ فقال ميسرة : ما أحسن كلامك وأثوره ولكن
 قومي يُخَالِفُونِي وَإِنَّمَا الرَّجُلُ بِقَوْمِهِ ، فإذا لم يعضدوه ، فالعدى أبعد .
 فأنصرف رسول الله ﷺ وخرج القومُ صَادِرِينَ إل أهليهم ؛ فقال لهم
 ميسرة : ميلوا نأتي فذلك ؛ فإن بها يهوداً نَسَأْتُهُمْ عَنْ هذا الرَّجُلِ ؛ فَمَأَلُوا إلى
 يهود ، فأخرجوا سفراً لهم فَوَضَعُوهُ .

ثم دَرَسُوا ذَكَرَ رسول الله ﷺ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الْعَرَبِيَّ ، يَرَكِبُ الْحِمَارَ ،
 وَيَجْتَرِي بِالْكَسْرَةِ ، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلَا بِالْقَصِيرِ ، وَلَا بِالْجَعْدِ ، وَلَا بِالسَّبْطِ ، فِي
 عَيْنِيهِ حُمْرَةٌ ، مُشْرِقُ اللَّوْنِ ، فَإِنْ كَانَ هُوَ الَّذِي دَعَاكُمْ ، فَأَجِيبُوهُ ، وادخلوا

في دينه فإننا نحسدُه ولا نتبعُه وإنَّا منه في مواطنِ بلاءٍ عظيمٍ ، ولا يبقَى أحدٌ من العربِ إلا اتبعُه ، وإلا قاتلُه فكونوا ممن يتبعُه .

فقال ميسرةُ : يا قوم ألا إن هذا الأمرَ بينَ ، فقال القومُ : نرجعُ إلى الموسمِ ونلقاهُ ، فرجعوا إلى بلادِهِم ، وأبى ذلكَ عليهم رجالُهُم ، فلم يتبعه أحدٌ منهم ، فلما قدم رسولُ الله ﷺ المدينةَ مهاجراً وحجَّ حجةَ الوداعِ لقيه ميسرةُ فعرفه .

فقال : يا رسولَ الله ، والله ما زلتُ حريصاً على اتباعِكَ من يوم أنحتُ بنا ، حتَّى كان ما كان ، وأبى الله إلا ما ترى من تأخرِ إسلامي ، وقد مات عامةُ النفرِ الذين كانوا معي ، فأين مدخلُهُم يا رسولَ الله ؟ فقال رسولُ الله ﷺ كلُّ من مات على غيرِ دينِ الإسلامِ فهو في النارِ .

فقال : الحمد لله الذي أُنقذني ؛ فأسلم ، وحسن إسلامه ، وكان له عند أبي بكرٍ مكانٌ .

اللهم وفّقنا لسُلوِكِ مناهجِ المتقينِ وخصّنا بالتوفيقِ الميّنِ واجعلنا بفضلِكَ من عبادِكَ المُخلصينِ الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنونَ واغفرْ لنا ولوالدينا ولجميعِ المُسلمينَ برحمتِكَ يا أرحمَ الرَّاحمينَ وصلى اللهُ على محمّدٍ وآله وصحبه أجمعينَ .

عن أبي موسى الأشعري قال : أرسلني أصحابي إلى رسولِ الله ﷺ أسأله لهم الحُمْلانَ إذ هم معه في جيشِ العسرةِ ، فقلتُ : يا نبيَّ الله إن أصحابي أرسلوني إليك لتحمِلُهُم فقال : والله لا أحملُكم على شيءٍ ، ووافقتُه وهو غضبانٌ ولا أشعرُ .

فرجعتُ حزيناً من منع رسولِ الله ﷺ ومن مخافة أن يكون رسولُ الله ﷺ قد وجد في نفسه عليّ ، فرجعتُ إلى أصحابي فأخبرتُهُم الذي قال رسولُ الله ﷺ فلم ألبثُ إلا سويعةً إذ سمعتُ بلالاً يُنادي أي عبدَ الله بن قيس ؛ فأجبتُه .

فقال : أُجِبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَدْعُوكَ ، فَلَمَّا أُتِيَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : حُذِّ هَدَيْنَ الْقَرِينَيْنِ ، وَهَدَيْنَ الْقَرِينَيْنِ - لِسْتَةِ أُبْعِرَةَ ابْتَاعَهُنَّ حَيْثُ مِنْ سَعْدٍ - فَانْطَلِقُ بِهِنَّ إِلَى أَصْحَابِكَ .

فَقُلْ : إِنَّ اللَّهَ يَحْمِلُكُمْ عَلَى هُوَلَاءِ ، فَارْكَبُوهُنَّ ؛ فَانْطَلَقْتُ إِلَى أَصْحَابِي بِهِنَّ ، فَقُلْتُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَحْمِلُكُمْ عَلَى هُوَلَاءِ .
وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَا أَدْعُكُمْ حَتَّى يَنْطَلِقَ مَعِيَ بَعْضُكُمْ إِلَى مَنْ سَمِعَ مَقَالََةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ سَأَلْتُهُ لَكُمْ ، وَمَنْعَهُ فِي أَوَّلِ مَرَّةٍ ، ثُمَّ إِعْطَاءَهُ إِيَّايَ بَعْدَ ذَلِكَ ، لَا تَنْظُنُّوا أَنِّي حَدَّثْتُكُمْ شَيْئًا لَمْ يَقُلْهُ .

فَقَالُوا لِي : وَاللَّهِ إِنَّكَ عِنْدَنَا لَمُصَدِّقٌ ، وَلْتَفْعَلَنَّ مَا أُحْبِبْتَ ؛ (فَانْطَلَقَ أَبُو مُوسَى بِنْفَرٍ مِنْهُمْ حَتَّى أَتَى الَّذِينَ سَمِعُوا قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَنْعَهُ إِيَّاهُمْ ثُمَّ إِعْطَاءَهُمْ بَعْدَ ، فَحَدَّثُوهُمْ بِمَا حَدَّثْتُهُمْ بِهِ أَبُو مُوسَى سَوَاءً .

عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : خَرَجْنَا فِي حُجَّاجٍ قَوْمًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَقَدْ صَلَّيْنَا وَفَقَّهْنَا ، وَمَعَنَا الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ ، سَيِّدُنَا وَكَبِيرُنَا ، فَلَمَّا وَجَّهْنَا لِسَفَرِنَا ، وَخَرَجْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ .

قَالَ الْبَرَاءُ لَنَا : يَا هُوَلَاءِ ، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَأْيًا ، فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي أَنُؤَافِقُونَنِي عَلَيْهِ ، أَمْ لَا ؟ قُلْنَا : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : قَدْ رَأَيْتُ أَنْ لَا أَدْعَ هَذِهِ الْبَيْتَةَ مِنِّي بظَهْرِ - يَعْنِي الْكَعْبَةَ - وَأَنْ أَصَلِّيَ إِلَيْهَا .

فَقُلْنَا : وَاللَّهِ مَا بَلَّغْنَا أَنْ نَبِيَّنَا ﷺ يَصَلِّيُ إِلَّا إِلَى الشَّامِ ، وَمَا تُرِيدُ أَنْ تُخَالَفَهُ ، فَقَالَ : إِنِّي لِمَصَلِّ إِلَيْهَا ، فَقُلْنَا لَهُ : لَكِنَّا لَا نَفْعَلُ ، فَكُنَّا إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ صَلَّيْنَا إِلَى الشَّامِ ، وَصَلَّيْنَا إِلَى الْكَعْبَةِ ، حَتَّى قَدِمْنَا مَكَّةَ .

وَقَدْ كُنَّا عِبْنَا عَلَيْهِ مَا صَنَعَ ، وَأَبَى إِلَّا الْإِقَامَةَ عَلَى ذَلِكَ ؛ فَلَمَّا قَدِمْنَا مَكَّةَ قَالَ لِي : يَا ابْنَ أَخِي ، انْطَلِقْ بِنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى نَسْأَلَهُ عَمَّا صَنَعْتُ فِي سَفَرِي هَذَا ؛ فَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَقَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْهُ شَيْءٌ ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ خِلَافِكُمْ إِيَّايَ فِيهِ .

فَخَرَجْنَا نَسْأَلُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكُنَّا لَا نَعْرِفُهُ ، وَلَمْ تَرَهُ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَلَقِينَا رَجُلًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، فَسَأَلْنَاهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : هَلْ تَعْرِفَانِهِ ؟ فَقُلْنَا : لَا .

قَالَ : فَهَلْ تَعْرِفَانِ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عُمَهُ ؟ قُلْنَا : نَعَمْ - وَقَدْ كُنَّا نَعْرِفُ الْعَبَّاسَ ، كَانَ لَا يَزَالُ يَقْدُمُ عَلَيْنَا تَاجِرًا - قَالَ : فَإِذَا دَخَلْتُمَا الْمَسْجِدَ ؛ فَوَيَّ الرَّجُلُ الْجَالِسُ مَعَ الْعَبَّاسِ ؛ فَدَخَلْنَا الْمَسْجِدَ ، فَإِذَا الْعَبَّاسُ جَالِسٌ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ مَعَهُ ، فَسَلَّمْنَا ، ثُمَّ جَلَسْنَا إِلَيْهِ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْعَبَّاسِ هَلْ تَعْرِفُ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ يَا أَبَا الْفَضْلِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، هَذَا الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ ، سَيِّدُ قَوْمِهِ ، وَهَذَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ؛ فَوَاللَّهِ مَا أُنْسَى قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : الشَّاعِرُ ؟ قَالَ : نَعَمْ .

فَقَالَ لَهُ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، إِنِّي خَرَجْتُ فِي سَفَرِي هَذَا ، وَقَدْ هَدَانِي اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ ، فَرَأَيْتُ أَنْ لَا أُجْعَلَ هَذِهِ الْبَيْتَةَ مِنِّي بِظَهْرٍ ، فَصَلَّيْتُ إِلَيْهَا ، وَقَدْ خَالَفَنِي أَصْحَابِي فِي ذَلِكَ ، حَتَّى وَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ ؛ فَمَاذَا تَرَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟

قَالَ : قَدْ كُنْتُ عَلَى قِبْلَةٍ لَوْ صَبَرْتَ عَلَيْهَا ؛ فَرَجَعَ الْبَرَاءُ إِلَى قِبْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَلَّى مَعَنَا إِلَى الشَّامِ . وَأَهْلُهُ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ صَلَّى إِلَى الْكَعْبَةِ حَتَّى مَاتَ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ كَمَا قَالُوا ، نَحْنُ أَعْلَمُ بِهِ مِنْهُمْ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ اللَّهُمَّ اسْلُكْ بِنَا سَبِيلَ الْأَبْرَارِ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ، وَآمِنُنْ عَلَيْنَا بِالْعَفْوِ وَالْعِتْقِ مِنَ النَّارِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فَصَلُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فِي سَاعَةٍ لَا يَخْرُجُ فِيهَا ، وَلَا يَلْقَاهُ فِيهَا أَحَدٌ ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ ، فَقَالَ : مَا جَاءَ بِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ، فَقَالَ : خَرَجْتُ أَلْقَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَنْظُرُ فِي وَجْهِهِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ .

فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَ عُمَرُ ؛ فَقَالَ : مَا جَاءَ بِكَ يَا عُمَرُ ؟ قَالَ : الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : وَأَنَا قَدْ وَجَدْتُ بَعْضَ ذَلِكَ ، فَاذْطَلُّقُوا إِلَى مَنْزِلِ أَبِي الْهَيْثَمِ ابْنِ التَّيْهَانَ الْأَنْصَارِيِّ - وَكَانَ رَجُلًا كَثِيرَ النَّخْلِ وَالشَّجَرِ وَالشَّاءِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ خَدَمٌ - فَلَمْ يَجِدُوهُ .

فَقَالُوا لِامْرَأَتِهِ : أَيْنَ صَاحِبِكَ ؟ فَقَالَتْ : انْطَلَقَ يَسْتَعِذُّ لَنَا الْمَاءَ ، فَلَمْ يَلْبَثُوا أَنْ جَاءَ أَبُو الْهَيْثَمِ بِقَرِيْبَةٍ يَزْعِمُهَا ، فَوَضَعَهَا ثُمَّ جَاءَ يَلْتَزِمُ النَّبِيَّ ﷺ وَيُقَدِّمُهُ بِأَبِيهِ وَأُمِّهِ .

ثُمَّ انْطَلَقَ بِهِمْ إِلَى حَدِيقَتِهِ ، فَبَسَطَ لَهُمْ بَسَاطًا ، ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى نَخْلَةٍ ، فَجَاءَ بِقَنُو ، فَوَضَعَهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : أَفَلَا تَنْقِيتَ لَنَا مِنْ رَطْبِهِ ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَرَدْتُ أَنْ تَخْتَارُوا - أَوْ تَخَيَّرُوا - مِنْ رَطْبِهِ وَبَسْرِهِ .

فَأَكَلُوا وَشَرَبُوا مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ هَذَا مِنَ النَّعِيمِ الَّذِي تُسْأَلُونَ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : ظِلٌّ بَارِدٌ طَيِّبٌ ، وَمَاءٌ بَارِدٌ ، فَاذْطَلَقَ أَبُو الْهَيْثَمِ يَصْنَعُ لَهُمْ طَعَامًا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : لَا تَذْبَحَنَّ لَنَا ذَاتَ دَرٍّ ، فَذَبَحَ لَهُمْ عَنَاقًا - أَوْ جَدِيًّا - فَأَتَاهُمْ بِهَا فَأَكَلُوا .

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : هَلْ لَكَ خَادِمٌ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : فَإِذَا أَتَانَا سَبِيٌّ فَاتِنًا ، فَاتِي النَّبِيَّ ﷺ بِرَأْسَيْنِ لَيْسَ مَعَهُمَا ثَالِثٌ ؛ فَأَتَاهُ أَبُو الْهَيْثَمِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : احْتَرِّ مِنْهُمَا ، فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ احْتَرِّ لِي ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : إِنْ الْمُسْتَشَارَ مُؤْتَمَنٌ ، خُذْ هَذَا ، فَإِنِّي رَأَيْتُهُ يُصَلِّي ، وَاسْتَوْصِ بِهِ مَعْرُوفًا ، فَاذْطَلَقَ أَبُو الْهَيْثَمِ إِلَى امْرَأَتِهِ ، فَأَخْبَرَهَا بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

فَقَالَتْ امْرَأَتُهُ : مَا أَنْتَ بِيَالِغٍ مَا قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ إِلَّا أَنْ تَعْتَقَهُ ، قَالَ : فَهُوَ عَتِيقٌ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا وَلَا خَلِيفَةً إِلَّا وَلَهُ بَطَانَتَانِ : بَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَتَنْهَاهُ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَبَطَانَةٌ لَا تَأْلُوهُ حَبَالًا ، وَمَنْ يُوقِ بَطَانَةَ السُّوءِ فَقَدْ وُقِيَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِهَا قُلُوبَنَا ، وَتَجْمَعُ بِهَا شَمْلَنَا ،

وتَلَّمُ بِهَا شَعْنَنَا ، وترفع بها شاهدنا ، وَتَحْفَظُ بِهَا غَائِبَنَا ، وتركى بها أعمالنا ،
وتلهمنا بها رشدنا ، وتعصمنا بها من كل سوء يا أرحم الراحمين .

اللهم ارزُقْنَا مِنْ فَضْلِكَ ، وَاكْفِنَا شَرَّ خَلْقِكَ ، وَأَحْفَظْ عَلَيْنَا دِينَنَا
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ

(فِصْل)

عن أنس بن مالك قال : لَمَّا افْتَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَيْبَرَ قَالَ الْحَجَّاجُ
بنِ عِلَاطٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي بِمَكَّةَ مَالًا وَإِنَّ لِي بِهَا أَهْلًا وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ آتِيَهُمْ ،
أَفَأَنَا فِي حِلٍّ إِنْ أَنَا نِلْتُ مِنْكَ أَوْ قُلْتُ شَيْئًا .

فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَقُولَ مَا شَاءَ ، فَأَتَى امْرَأَتَهُ حِينَ قَدِمَ فَقَالَ :
اجْمَعِي لِي مَا كَانَ عِنْدَكَ ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُشْتَرِيَ مِنْ غَنَائِمِ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ ،
فَإِنَّهُمْ قَدْ اسْتَبِيحُوا وَأَصِيبَتْ أَمْوَالُهُمْ .

وَفَشَى ذَلِكَ بِمَكَّةَ فَانْقَمَعَ الْمُسْلِمُونَ وَأَظْهَرَ الْمُشْرِكُونَ فَرَحًا وَسُرُورًا .
وَبَلَغَ الْحَبْرُ الْعَبَّاسَ ، فَعَقَرَ وَجَعَلَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُومَ ... فَأَخَذَ ابْنًا يَقَالُ لَهُ
قُتْمٌ ، وَاسْتَلْقَى ، وَوَضَعَهُ عَلَى صَدْرِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ :

حَبِي قُتْمٌ شَبِيهَ ذِي الْأَنْفِ الْأَشْمِ
نَبِيِّ ذِي النِّعَمِ يَزْعَمُ مِنْ زَعَمِ
ثُمَّ أُرْسِلَ غُلَامًا لَهُ إِلَى الْحَجَّاجِ بْنِ عِلَاطٍ ، فَقَالَ : وَيْلَكَ مَا جِئْتَ بِهِ !
وَمَاذَا تَقُولُ ؟ فَمَا وَعَدَ اللَّهُ خَيْرَ مِمَّا جِئْتَ بِهِ ، فَقَالَ الْحَجَّاجُ بْنُ عِلَاطٍ : أَقْرَأُ
عَلَى أَبِي الْفَضْلِ السَّلَامَ ، وَقُلْ لَهُ فليُخَلِّ لِي فِي بَعْضِ نُيُوتِهِ لِأَنِّيهِ فَإِنَّ الْحَبْرَ عَلَى
مَا يَسْرُهُ .

فَجَاءَ غُلَامُهُ ، فَلَمَّا بَلَغَ الدَّارَ قَالَ : ابشِرْ يَا أَبَا الْفَضْلِ ، فَوَثَبَ الْعَبَّاسُ
فَرِحًا حَتَّى قَبَلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، فَأَخْبَرَهُ مَا قَالَ الْحَجَّاجُ فَأَعْتَقَهُ .

ثُمَّ جَاءَهُ الْحَجَّاجُ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ افْتَتَحَ حَيْبَرَ وَغَنِمَ
أَمْوَالَهُمْ ، وَجَرَتْ سِهَامُ اللَّهِ فِي أَمْوَالِهِمْ ، وَاصْطَفَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَفِيَّةَ بِنْتَ

حَيِّي وَاتَّخَذَهَا لِنَفْسِهِ ، وَخَيْرَهَا أَنْ يَعْتَقَهَا وَتَكُونَ زَوْجَةً ، أَوْ تَلْحَقُ بِأَهْلِهَا ،
فَاخْتَارَتْ أَنْ يَعْتَقَهَا وَتَكُونَ زَوْجَتُهُ .

وَلَكِنِّي جِئْتُ لِمَالٍ كَانَ هَا هُنَا أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَهُ فَأَذْهَبَ بِهِ ، فَاسْتَأْذَنْتُ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَذِنَ لِي أَنْ أَقُولَ مَا شِئْتُ ، فَاخْفِ عَلَيَّ ثَلَاثًا ، ثُمَّ اذْكُرْ مَا
بَدَأَ لَكَ ، فَجَمَعْتُ امْرَأَتَهُ مَا كَانَ عِنْدَهَا مِنْ حَلِيِّ أَوْ مَتَاعٍ فَجَمَعْتُهُ وَدَفَعْتُهُ إِلَيْهِ ،
ثُمَّ انشَمَرَ بِهِ .

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ثَلَاثِ أَيَّامٍ الْعَبَّاسُ امْرَأَةَ الْحَجَّاجِ ، فَقَالَ : مَا فَعَلَ
زَوْجُكَ؟ فَأَخْبَرَتْهُ أَنَّهُ ذَهَبَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ، وَقَالَتْ : لَا يَحْزِنُكَ اللَّهُ يَا أَبَا
الْفَضْلِ ، لَقَدْ شَقَّ عَلَيْنَا الَّذِي بَلَغَكَ ، قَالَ : أَجَلٌ ، لَا يَحْزِنُنِي اللَّهُ ، وَلَمْ يَكُنْ
بِحَمْدِ اللَّهِ إِلَّا مَا أَحْبَبْنَا ؛ فَتَحَّ اللَّهُ خَيْرٌ عَلَى رَسُولِهِ ، وَجَرَتْ فِيهَا سِيَّاهُ اللَّهِ ،
وَاصْطَفَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَفِيَّةَ لِنَفْسِهِ .

فَإِنْ كَانَتْ لِكَ حَاجَةٌ فِي زَوْجِكَ فَالْحَقِي بِهِ ، قَالَتْ : أَظُنُّكَ وَاللَّهِ
صَادِقًا؟ قَالَ : فَإِنِّي لَصَادِقٌ ، وَالْأَمْرُ عَلَى مَا أَخْبَرْتُكَ ، ثُمَّ ذَهَبَ حَتَّى أَتَى
مَجَالِسَ قُرَيْشٍ ، وَهُمْ يَقُولُونَ إِذَا مَرَّ بِهِمْ : لَا يُصِيبُكَ إِلَّا خَيْرٌ يَا أَبَا الْفَضْلِ .

قَالَ لَمْ يُصِيبْنِي إِلَّا خَيْرٌ بِحَمْدِ اللَّهِ ، أَخْبَرَنِي الْحَجَّاجُ بْنُ عَلَاطٍ أَنَّ خَيْرَ
فَتَحَّهَا اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ، وَجَرَتْ فِيهَا سِيَّاهُ اللَّهِ ، وَاصْطَفَى صَفِيَّةَ لِنَفْسِهِ ، وَقَدْ
سَأَلَنِي أَنْ أُخْفِيَ عَنْهُ ثَلَاثًا ، وَإِنَّمَا جَاءَ لِيَأْخُذَ مَالَهُ ، وَمَا كَانَ لَهُ مِنْ شَيْءٍ
هَاهُنَا ، ثُمَّ يَذْهَبُ .

فَرَدَّ اللَّهُ الْكِتَابَةَ الَّتِي كَانَتْ بِالْمُسْلِمِينَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ، وَخَرَجَ
الْمُسْلِمُونَ مِنْ كَانَ دَخَلَ بَيْتَهُ مُكْتَسِبًا حَتَّى أَتَى الْعَبَّاسُ فَأَخْبَرَهُمُ الْخَبَرَ ، فَسُرَّ
الْمُسْلِمُونَ ، وَرَدَّ مَا كَانَ مِنْ كِتَابَةٍ أَوْ غَنِيظٍ أَوْ حُزْنٍ عَلَى الْمُشْرِكِينَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ

اللَّهُمَّ اسْلُكْ بِنَا سَبِيلَ عِبَادِكَ الْأَبْرَارِ وَوَقِّفْنَا لِلتَّوْبَةِ وَالْأَسْتِغْفَارِ
وَاحْطُطْ عَنَّا ثِقَلَ الْأَوْزَارِ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا
عَذَابَ النَّارِ يَا عَزِيزُ يَا غَفَّارُ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ

يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فـ صـ ل)

عن جرير بن عبدالله البجلي قال : كَانَ رَجُلٌ مَعَ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ، وَكَانَ ذَا صَوْتٍ وَنِكَايَةٍ فِي الْعَدُوِّ ، فَغَنِمُوا مَغْنَمًا فَأَعْطَاهُ أَبُو مُوسَى بَعْضَ سَهْمِهِ ، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهُ إِلَّا جَمِيعًا ، فَجَلَدَهُ أَبُو مُوسَى عِشْرِينَ سَوْطًا ، وَحَلَقَهُ ، فَجَمَعَ الرَّجُلُ شَعْرَهُ ، ثُمَّ تَرَحَّلَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِ . فَدَخَلَ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَكُنْتُ أَقْرَبَ النَّاسِ مِنْ عُمَرَ ، فَادْخَلَ عَلَى عُمَرَ شَعْرَهُ ، ثُمَّ ضَرَبَ بِهِ صَدْرَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا النَّارُ ؛ فَقَالَ عُمَرَ : صَدَقَ وَاللَّهِ لَوْلَا النَّارُ .

فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنِّي كُنْتُ ذَا صَوْتٍ وَنِكَايَةٍ ، فَأُخْبِرُهُ بِأَمْرِهِ ، وَقَالَ : ضَرَبَنِي أَبُو مُوسَى عِشْرِينَ سَوْطًا ، وَحَلَقَ رَأْسِي ، وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ لَا يُقْتَصُّ مِنْهُ .

فَقَالَ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : لِأَنْ يَكُونَ النَّاسُ كُلَّهُمْ عَلَى صِرَامَةٍ

هَذَا أَحَبُّ لِي مِنْ جَمِيعِ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْنَا .

فَكَتَبَ عُمَرَ إِلَى أَبِي مُوسَى : سَلَامٌ عَلَيْكَ ، أَمَا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ فُلَانًا أَخْبَرَنِي بِكَذَا وَكَذَا ، فَإِنْ كُنْتَ فَعَلْتَ ذَلِكَ فِي مَلَأٍ مِنَ النَّاسِ ، فَعَزَمْتُ عَلَيْكَ لِمَا قَعَدْتُ لَهُ فِي مَلَأٍ مِنَ النَّاسِ حَتَّى يَقْتَصَّ مِنْكَ .

فَقَدِمَ الرَّجُلُ ، فَقَالَ لَهُ النَّاسُ : اعْفُ عَنْهُ ، فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ لَا أَدْعُهُ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ ، فَلَمَّا قَعَدَ أَبُو مُوسَى لِيَقْتَصَّ مِنْهُ رَفَعَ الرَّجُلُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ عَفَوْتُ عَنْهُ . وَاللَّهِ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

(فـ صـ ل)

عن ابن عباس قال : خَرَجَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ إِلَى الشَّامِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرِغَ لَيْقِيهِ أَهْلُ الْأَجْنَادِ : أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ ؛ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّامِ .

فَقَالَ عُمَرُ : اذْعُ لِي الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ ، فَدَعَوْتُهُمْ ، فَاسْتَشَارَهُمْ
وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّامِ ، فَاخْتَلَفُوا ؛ فَقَالَ : بَعْضُهُمْ : قَدْ خَرَجْتَ
لَأُمْرِ وَلَا تَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ ، وَأَصْحَابُ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا تَرَى أَنْ تُقَدِّمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ .

فَقَالَ : ارْتَفِعُوا عَنِّي ، ثُمَّ قَالَ : اذْعُ لِي الْأَنْصَارَ ؛ فَدَعَوْتُهُمْ لَهُ
فَاسْتَشَارَهُمْ ، فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ ، وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلَافِهِمْ ، فَقَالَ :
ارْتَفِعُوا عَنِّي .

ثُمَّ قَالَ : اذْعُ لِي مَنْ كَانَ هَهُنَا مِنْ مَشِيخَةِ قَرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ ،
فَدَعَوْتُهُمْ ، فَلَمْ يَخْتَلَفْ عَلَيْهِ رَجُلَانِ ؛ فَقَالُوا : نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلَا
تُقَدِّمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ .

فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ : إِنِّي مُصْبِحٌ عَلَى ظَهْرٍ ، فَاصْبِحُوا عَلَيَّ ، فَقَالَ أَبُو
عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ : أفراراً من قَدْرِ اللَّهِ ؟ فَقَالَ عُمَرُ : لَوْ غَيْرَكَ قَالَهَا يَا أبا عُبَيْدَةَ
- وَكَانَ عُمَرُ يَكْرَهُ خِلَافَهُ - ، نَعَمْ نَفَرٌ مِنْ قَدْرِ اللَّهِ إِلَى قَدْرِ اللَّهِ .
أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَتْ لَكَ إِبِلٌ ، فَهَبَطْتَ وَادِيًا لَهُ عُذْوَانٍ ؛ إِحْدَاهُمَا خَصْبِيَّةٌ ،
وَالْأُخْرَى جَدْبَةٌ ، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبِيَّةَ رَعَيْتَهَا بِقَدْرِ اللَّهِ ، وَإِنْ رَعَيْتَ
الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدْرِ اللَّهِ .

فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، وَكَانَ مُتَعَبِيًّا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ ، فَقَالَ : إِنْ
عِنْدِي مِنْ هَذَا عِلْمًا ؛ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ
فَلَا تَقْدُمُوا عَلَيْهِ ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا ، فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ ؛ فَحَمَدَ
اللَّهُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وآلِهِ وَسَلَّمَ .

اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا وَكَبِّرْهُ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ
وَالْعِصْيَانَ وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
اللَّهُمَّ انْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا ، وَعَلَّمْنَا مَا مَا يَنْفَعُنَا ، وَوَفَّقْنَا لِلْعَمَلِ بِمَا
فَهَّمْتَنَا ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنَّا مُقْصِرِينَ فِي حِفْظِ حَقِّكَ ، وَالْوَفَاءِ بِعَهْدِكَ ، فَأَنْتَ

تَعَلَّمَ صِدْقَنَا فِي رَجَاءِ رَفْدِكَ ، وَخَالِصِ وُدِّكَ ، اللَّهُمَّ أَنْتَ أَعْلَمُ بِنَا مِنَّا ،
فَبِكَمَالِ جُودِكَ تَجَاوَزْنَا عَنَّا ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، الْأَخْيَاءِ
مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

عن أنس بن مالك قال : كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رِضْوَانُ اللَّهِ
عَلَيْهِ - إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَذَا مَقَامُ
الْعَائِدِ بِكَ ، قَالَ : وَمَا لَكَ ؟ قَالَ : أُجْرِي عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بِمِصْرَ الْخَيْلِ
فَأَقْبَلْتُ فَرَسِي ، فَلَمَّا رَأَاهَا النَّاسُ قَامَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرُو فَقَالَ : فَرَسِي وَرَبِّ
الْكَعْبَةِ ؛ فَلَمَّا دَنَا مِنِّي عَرَفْتُهُ ، فَقُلْتُ : فَرَسِي وَرَبِّ الْكَعْبَةِ ، فَقَامَ إِلَيَّ فَضْرَبَنِي
بِالسُّوْطِ ، وَيَقُولُ : نَحْذَاهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكْرَمِينَ .

فَوَاللَّهِ مَا زَادَهُ عُمَرُ عَلَى أَنْ قَالَ لَهُ : اجْلِسْ ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى عَمْرُو إِذَا
جَاءَكَ كِتَابِي هَذَا فَاقْبِلْ ، وَأَقْبِلْ مَعَكَ بَابِيكَ مُحَمَّدٌ ؛ فَدَعَا عَمْرُو ابْنَهُ فَقَالَ :
أَأُحَدِّثُ حَدَثًا ؟ أَجَنَيْتَ جِنَايَةً ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : فَمَا بَالُ عَمْرُو يَكْتُبُ فِيكَ .

فَقَدِمَ عَلَى عُمَرَ ؛ فَوَاللَّهِ إِنَّا عِنْدَ عُمَرَ حَتَّى إِذَا نَحْنُ بَعَمْرُو وَقَدْ أَقْبَلُ فِي
إِزَارٍ وَرِدَاءٍ ، فَجَعَلَ عُمَرُ يَلْتَفِتُ هَلْ يَرَى ابْنَهُ ، فَإِذَا هُوَ خَلْفَ أَبِيهِ ، فَقَالَ : أَيْنَ
الْمِصْرِيِّ ؟ فَقَالَ : هَا أَنَاذًا ، قَالَ : دُونَكَ الدَّرَّةَ فَاضْرِبْ ابْنَ الْأَكْرَمِينَ ،
اضْرِبْ ابْنَ الْأَكْرَمِينَ ، فَضْرَبَهُ حَتَّى أَثْحَنَهُ .

ثُمَّ قَالَ : أَحْلَاهَا عَلَى صَلْعَةِ عَمْرُو ! فَوَاللَّهِ مَا ضَرَبَكَ إِلَّا بِفَضْلِ سُلْطَانِهِ ،
فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ ضَرَبْتُ مِنْ ضَرْبِنِي ، قَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْ ضَرَبْتَهُ مَا
جَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ حَتَّى تَكُونَ أَنْتَ الَّذِي تَدْعُهُ ، أَيَا عَمْرُو مَتَى اسْتَعْبَدْتُمُ النَّاسَ ،
وَقَدْ وَلَدْتَهُمْ أُمَّهَمُ أَحْرَارًا ثُمَّ التَفَتَ إِلَى الْمِصْرِيِّ ، فَقَالَ : انْصَرَفْ رَاشِدًا ،
فَإِنَّ رَبَّكَ رَيْبٌ فَاكْتُبْ إِلَيَّ .

كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ - عَامَ الرَّمَادَةِ - : « بِسْمِ
اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عُمَرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، إِلَى الْعَاصِيِّ ابْنِ الْعَاصِيِّ ،

سَلَامٌ عَلَيْكَ ، أَمَا بَعْدُ : أَفْتَرَانِي هَالِكًا وَمَنْ قَبْلِي وَتَعِيشُ أَنْتَ وَمَنْ قَبْلِكَ ؟ يَا
عَوْنَاهُ - ثَلَاثًا - .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، لَعَبِدِ اللَّهِ عُمَرَ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، مِنْ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ ، سَلَامٌ عَلَيْكَ ؛ فَإِنِّي أُحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَمَا بَعْدُ : (فَقَدْ) أَتَاكَ الْعَوْتُ فَلَبِثَ لَبِثٌ ، لَأُبَعِثَنَّ إِلَيْكَ بِعِيرٍ
أُولَاهَا عِنْدَكَ وَأَخْرُهَا عِنْدِي » .

فَلَمَّا قَدِمَ أَوَّلَ الطَّعَامِ كَلَّمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ فَقَالَ لَهُ :
تَعْتَرِضُ لِلعِيرِ فَتَمِيلُهَا إِلَى أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَتَقْسِمُهَا بَيْنَهُمْ ؛ فَوَاللَّهِ لَعَلَّكَ أَلَّا تَكُونَ
أَصَبْتَ بَعْدَ صُحْبَتِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنْهُ ؛ فَأَبَى الزُّبَيْرُ وَاعْتَمَلَ .
وَأَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ عُمَرُ : لَكِنَّ هَذَا لَا يَأْبَى ؛
فَكَلَّمَهُ عُمَرُ فَفَعَلَ وَخَرَجَ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : أَمَا لَقِيتَ مِنَ الطَّعَامِ فَعَمِلَ بِهِ إِلَى أَهْلِ
الْبَادِيَةِ .

فَأَمَّا الظُّرُوفُ فَاجْعَلْهَا لِحُفَا يَلْبَسُونَهَا ، وَأَمَّا الْأَبِلُ فَانْحَرِهَا لَهُمْ يَأْكُلُونَ
مِنْ لُحُومِهَا ، وَيَحْمِلُونَ مِنْ وَدَكِهَا ، وَلَا تَنْتَظِرْ أَنْ يَقُولُوا نَنْتَظِرُ بِهَا الْحَيَا ،
وَأَمَّا الدَّقِيقُ فَيَصْطَنِعُونَ وَيُخْرِزُونَ حَتَّى أَمُرَ اللَّهُ لَهُمْ بِالْفَرَجِ .

وَكَانَ عُمَرُ يَصْنَعُ الطَّعَامَ وَيَنَادِي مُنَادِيَهُ : مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَحْضُرَ طَعَامًا
فَيَأْكُلْ فَلْيَفْعَلْ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَأْخُذَ مَا يَكْفِيهِ وَأَهْلَهُ فَلْيَأْتِ ، فَلْيَأْخُذْهُ .

اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : قَدِمْتُ رَفَقَةً مِنَ الثُّجَارِ ، فَتَزَلُّوا الْمُصَلِّيَ ،
فَقَالَ عُمَرُ لَعَبِدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ : هَلْ لَكَ أَنْ نَحْرِسَهُمَ اللَّيْلَةَ مِنَ السَّرْقِ ؟
(قَالَ : نَعَمْ) ، فَبَاتَا يَحْرِسَانِهِمْ وَيُصَلِّيَانِ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُمَا ، فَسَمِعَ عُمَرُ بُكَاءَ

صَبِيٌّ فَتَوَجَّهَ نَحْوَهُ فَقَالَ لِأُمِّهِ : اتَّقِي اللَّهَ وَأَحْسِنِي إِلَى صَبِيِّكَ .
 ثُمَّ عَادَ مَكَانِهِ ، فَسَمِعَ بَكَاءَهُ فَأَتَتْهُ أُمُّهُ فَقَالَتْ (لَهَا مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ عَادَ
 إِلَى مَكَانِهِ ، فَلَمَّا كَانَ آخِرَ اللَّيْلِ سَمِعَ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَتْهُ إِلَى أُمِّهِ فَقَالَتْ لَهَا :)
 وَيَحِكُ ، إِنِّي لِأَرَاكَ أُمَّ سَوْءٍ ، مَا لِي أَرَى ابْنَكَ لَا يَقِرُّ مِنْذُ اللَّيْلَةِ (مِنْ الْبُكَاءِ) ؟
 قَالَتْ : يَا عَبْدَ اللَّهِ قَدْ أُبْرِمْتَنِي مِنْذُ اللَّيْلَةِ ، إِنِّي أُرِيغُهُ عَنِ الْفِطَامِ فَيَأْتِي ،
 قَالَ : وَلِمَ ؟ قَالَتْ : لِأَنَّ عُمَرَ لَا يَقْرِضُ إِلَّا لِلْفِطْمِ ، قَالَ : وَكَمْ لَهُ ؟ قَالَتْ :
 كَذَا وَكَذَا شَهْرًا ، قَالَ : وَيَحِكُ لَا تُعْجِلِيهِ (عَنِ الْفِطَامِ) .

فَصَلَّى الْفَجْرَ وَمَا يَسْتَبِينُ النَّاسَ قِرَاءَتَهُ مِنْ غَلْبَةِ الْبُكَاءِ ، فَلَمَّا سَلَّمَ قَالَ :
 يَا بُوسًا لِعُمَرَ ، كَمْ قَتَلَ مِنْ أَوْلَادِ الْمُسْلِمِينَ ! ثُمَّ أَمَرَ مُنَادِيًا ؛ فَنَادَى : أَلَا ، لَا
 تُعْجِلُوا صَبِيَّائِكُمْ عَنِ الْفِطَامِ ، فَإِنَّا نَفْرِضُ لِكُلِّ مَوْلُودٍ فِي الْإِسْلَامِ ، وَكَتَبَ
 بِذَلِكَ إِلَى الْأَفَاقِ ، إِنَّا نَفْرِضُ لِكُلِّ مَوْلُودٍ فِي الْإِسْلَامِ .

وَعَنْ أَسْلَمِ الْعَدَوِيِّ مَوْلَى عُمَرَ قَالَ : بَيْنَمَا أَنَا مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَهُوَ
 يَعْسُ بِالْمَدِينَةِ إِذَا أُعْيَا فَانْكَأَ عَلَى جَانِبِ جِدَارٍ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ، وَإِذَا امْرَأَةٌ تَقُولُ
 لَابْتَهَا : يَا بِنْتَاهُ قَوْمِي إِلَى ذَلِكَ اللَّبَنِ فَاْمَذُقِيهِ بِالْمَاءِ .

قَالَتْ لَهَا : يَا أُمَّتَاهُ أَوْ مَا عَلِمْتَ بِمَا كَانَ مِنْ عَزْمَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟
 قَالَتْ : وَمَا كَانَ مِنْ عَزْمَتِهِ يَا بِنْتِي ؟ قَالَتْ : إِنَّهُ أَمَرَ مُنَادِيَهُ ، فَنَادَى لَا يُشَابُّ
 اللَّبْنَ بِالْمَاءِ .

فَقَالَتْ لَهَا : يَا بِنْتِي قَوْمِي إِلَى اللَّبَنِ فَاْمَذُقِيهِ بِالْمَاءِ فَإِنَّهُ بِمَوْضِعِ لَا يَرَاكَ
 عُمَرَ ، وَلَا مُنَادِي عُمَرَ ، فَقَالَتْ الصَّبِيَّةُ لِأُمَّهَا : يَا أُمَّتَاهُ ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ لِأَطِيعَةَ
 فِي الْمَلَأِ ، وَأَعْصِيهِ فِي الْخَلَاءِ ، وَعُمَرَ يَسْمَعُ ذَلِكَ كُلَّهُ ، فَقَالَ : يَا أَسْلَمَ عَلَّمَ
 الْبَابَ ، وَاعْرِفِ الْمَوْضِعَ ، ثُمَّ مَضَى فِي عَسِيهِ .

فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ : يَا أَسْلَمَ امْضِ إِلَى الْمَوْضِعِ فَانظُرْ مِنَ الْقَائِلَةِ وَمَنْ
 الْمَقُولُ لَهَا ، وَهَلْ لَهُمْ مِنْ بَعْلِ ، فَاتَيْتُ الْمَوْضِعَ فَانظَرْتُ فَإِذَا الْجَارِيَةُ أَيُّمٌ لَا

بَعْلَ لَهَا ، وَإِذَا تَيْكَ أُمُّهَا لَيْسَ لَهَا بَعْلٌ .
 فَأَتَيْتُ عُمَرَ وَأَخْبَرْتُهُ ، فَدَعَى عُمَرُ وَلَدَهُ فَجَمَعَهُمْ ، فَقَالَ : هَلْ فِيكُمْ
 مَنْ يَحْتَاجُ إِلَى امْرَأَةٍ فَأَزْوَجَهُ ، لَوْ كَانَ بِأَيْكُمْ حَرَكَةٌ إِلَى النِّسَاءِ مَا سَبَقَهُ مِنْكُمْ
 أَحَدٌ إِلَى هَذِهِ الْجَارِيَةِ .

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : لِي زَوْجَةٌ ، وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : لِي زَوْجَةٌ ، وَقَالَ عَاصِمٌ :
 يَا أَبَتَاهُ ، لَا زَوْجَةَ لِي ، فَزَوَّجَنِي ، فَبَعَثَ إِلَى الْجَارِيَةِ ، فَزَوَّجَهَا مِنْ عَاصِمٍ ؛
 فَوَلَدَتْ لَهُ بِنْتًا ، وَوَلَدَتْ الْبِنْتُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - . وَاللَّهُ أَعْلَمُ
 اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِمَحَبَّتِكَ وَمَحَبَّةِ رُسُلِكَ وَأَوْلِيَانِكَ وَعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ
 لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ
 عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ
 مَالِكٍ يُحَدِّثُ حَدِيثَهُ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ .

قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ : لَمَّا أَتَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ غَزَاهَا
 قَطًّا إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ ، غَيْرَ أَنِّي قَدْ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ ، وَلَمْ يُعَاتَبْ أَحَدًا
 تَخَلَّفَ عَنْهُ إِذْ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَالْمُسْلِمُونَ يُرِيدُونَ عِيرَ قُرَيْشٍ حَتَّى
 جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ ، وَبَيَّنَ عَدُوَّهُمْ عَلَيَّ غَيْرَ مِيعَادٍ .

وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ حِينَ تَوَاقَفْنَا عَلَى الْأَسْلَامِ ،
 وَمَا أَحْبَبُّ أَنْ لِي بِهَا مَشْهَدٌ بَدْرٍ ، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرًا أَذْكَرُ فِي النَّاسِ مِنْهَا .
 وَكَانَ مِنْ حَبْرَى حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ أَنِّي
 لَمْ أَكُنْ قَطًّا أَقْوَى ، وَلَا أَيْسَرُ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ ، وَاللَّهُ مَا
 جَمَعْتُ قَبْلَهَا رَاحِلَتَيْنِ قَطًّا حَتَّى جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ .

وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ غَزْوَةَ إِلَّا وَرَى بِغَيْرِهَا حَتَّى كَانَتْ تِلْكَ

الْعَزْوَةُ فَعَزَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَرِّ شَدِيدٍ ، وَاسْتَقْبَلَ سَفْرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا ،
وَاسْتَقْبَلَ عَدُوًّا كَثِيرًا ، فَجَلَّ لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرُهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أَهْبَةَ غَزْوِهِمْ ، وَأَخْبِرَهُمْ
بِوَجْهِهِمُ الَّذِي يُرِيدُ .

وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَكَثِيرٌ لَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ ،
يُرِيدُ بِذَلِكَ الدَّبْيَانَ ، قَالَ كَعْبٌ : فَقَلَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلَّا ظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ
سَيَحْفَى مَا لَمْ يَنْزِلَ فِيهِ وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَغَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تِلْكَ الْعَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثَّمَارُ وَالظَّلَالُ فَأَنَا إِلَيْهَا
أَصْعُرُ ، فَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ ، وَطَفِقْتُ أُغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ
مَعَهُمْ ، فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا ، وَأَقُولُ فِي نَفْسِي : أَنَا قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ إِذَا
أَرَدْتُ ، وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتِمَّادِي بِي حَتَّى اسْتَمَرَّ بِالنَّاسِ الْجُدُّ .

فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَادِيًا وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ ، وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جِهَازِي
شَيْئًا ، ثُمَّ غَدَوْتُ فَرَجَعْتُ ، وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتِمَّادِي بِي حَتَّى
أَسْرَعُوا ، وَتَفَارَطَ الْعَزْوُ ، فَهَمَمْتُ أَنْ أُرْتَجَلَ فَأَدْرَكَهُمْ .

فَيَالَيْتَنِي فَعَلْتُ ، ثُمَّ لَمْ يُقَدِّرْ لِي ذَلِكَ وَطَفِقْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ
خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَحْزُنُنِي أَنِّي لَا أَرَى لِي أُسْوَةً إِلَّا رَجُلًا مَعْمُوضًا عَلَيْهِ
فِي النَّفَاقِ أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَدَرَ اللَّهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ .

وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ ، فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي
الْقَوْمِ بَتُبُوكَ : مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ : يَا رَسُولَ
اللَّهِ حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَالتَّظْرُ فِي عِطْفِيهِ ، فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ : بِسْمَا قُلْتَ ، وَاللَّهِ
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا ، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ ، فَرَأَى رَجُلًا مُبَيِّضًا يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ ، فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : كُنْ أَبَا حَيْثَمَةَ ، فَإِذَا هُوَ أَبُو حَيْثَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ ، وَهُوَ الَّذِي
تَصَدَّقَ بِصَاعِ التَّمْرِ حِينَ لَمَزَهُ الْمُنافِقُونَ .

قَالَ كَعْبٌ : فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ تَوَجَّهَ قَافِلًا مِنْ ثَبُوكَ حَضَرَنِي بَنِي فَطَفِقْتُ أَتَذَكُرُ الْكَذِبَ وَأَقُولُ بِمَا أُخْرَجُ مِنْ سَخِطِهِ غَدًا وَأُسْتَعِينُ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي .

فَلَمَّا قِيلَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ ظَلَّ قَادِمًا رَاحَ عَنِّي الْبَاطِلُ حَتَّى عَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَنْجُو مِنْهُ بِشَيْءٍ أَبَدًا فَأَجْمَعْتُ صَدَقَةً ، وَصَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَادِمًا ، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ ، فَرَكَعَ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ . فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخْلِفُونَ ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ ، وَيَحْلِفُونَ لَهُ ، وَكَانُوا بِضَعَّةٍ وَتَمَائِينَ رَجُلًا ، فَقَبِلَ مِنْهُمْ عَلَانِيَتَهُمْ وَبَايَعَهُمْ ، وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمْ ، وَوَكَّلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى جِئْتُ .

فَلَمَّا سَلَّمْتُ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ ، ثُمَّ قَالَ : تَعَالَ فَجِئْتُ أُمَشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ لِي : مَا خَلَّفَكَ ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدِ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ ؟ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنِّي سَأَخْرُجُ مِنْ سَخِطِهِ بِعُذْرٍ ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا .

وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسَخِطَكَ عَلَيَّ ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عُقْبَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَفِي رِوَايَةٍ : عَفْوَ اللَّهِ .

وَاللَّهُ مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أُيسَّرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ . قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَمَا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ ، فَقُمْتُ وَثَارَ رِجَالُ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ ، فَأَتَّبَعُونِي .

فَقَالُوا : وَاللَّهُ مَا عَلِمْنَاكَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا ، لَقَدْ عَجَزْتَ فِي أَنْ لَا تَكُونَ أَعْتَدَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَا أَعْتَدَرَ إِلَيْهِ الْمُخْلِفُونَ ، فَقَدْ كَانَ كَافِيكَ ذَنْبَكَ أَسْتَغْفَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَكَ ، قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا يُؤْتِبُونَنِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَكْذِبَ نَفْسِي .

قال : ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ : هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِيَ أَحَدٌ ؟ قَالُوا : نَعَمْ لَقِيَهِ مَعَكَ رَجُلَانِ قَالَا مِثْلَ مَا قُلْتَ ، وَقِيلَ لَهُمَا مَا قِيلَ لَكَ . قَالَ قُلْتُ : مَنْ هُمَا ؟ قَالُوا : مُرَارَةُ بْنُ رَبِيعَةَ الْعَامِرِيُّ ، وَهَلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ .

قال : فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْرًا فِيهِمَا أُسُوءَةٌ ، قَالَ فَمَضَيْتُ حَتَّى ذَكَرُوهُمَا لِي قَالَ : وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ .

قال : فَأَجْتَنَّبْنَا النَّاسَ ، أَوْ قَالَ : تَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرْتُ لِي فِي نَفْسِي الْأَرْضُ ، فَمَا هِيَ بِالْأَرْضِ الَّتِي أُعْرِفُ فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ حَمْسِينَ لَيْلَةً ، فَأَمَّا صَاحِبَايَ ، فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ .

وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ ، فَكُنْتُ أُخْرَجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ ، وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ فَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ ، وَآتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ، فَاسْأَلْتُ فَأَقُولُ فِي نَفْسِي : هَلْ حَرَكَ شَفَتَيْهِ بَرْدُ السَّلَامِ أَمْ لَا ؟ .

ثُمَّ أَصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ وَأَسَارِقُهُ النَّظَرَ ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي نَظَرَ إِلَيَّ ، فَإِذَا التَّقْتُ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ الْمُسْلِمِينَ مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي ، وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ .

فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا قَتَادَةَ أُنْشِدْكَ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمَنَّ أَنِّي أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ؟ قَالَ : فَسَكَتَ ، فَسَكَتَ ، فَعُدْتُ فَنَاشِدْتُهُ ، فَسَكَتَ ، فَعُدْتُ فَنَاشِدْتُهُ ، فَقَالَ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، فَفَاضَتْ عَيْنَايَ ، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ .

فَبَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي فِي سُوقِ الْمَدِينَةِ إِذَا تَبَطَّيْتُ مِنْ أُنْبَاطِ أَهْلِ الشَّامِ مِمَّنْ قَدِمَ بَطْعَامَ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ : مِنْ يَدُلُّ عَلَيَّ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ؟ قَالَ : فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ إِلَيَّ حَتَّى جَاءَنِي ، فَدَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ ، وَكُنْتُ

كَاتِبًا فَقَرَأْتُهُ ، فَإِذَا فِيهِ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَّغَنَا أَنَّ صَاحِبِكَ قَدْ جَفَاكَ ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلَا مَضِيعَةٍ ، فَالْحِقْ بِنَا نُوَاسِكَ .
 قَالَ : فَقُلْتُ حِينَ قَرَأْتُهَا : وَهَذِهِ أَيْضًا مِنَ الْبَلَاءِ فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّوَرَّعَ فَسَجَرْتُهَا حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ مِنَ الْخَمْسِينَ ، وَأَسْتَلَبْتُ الْوَحْيَ ، وَإِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَا تَيْبِي ، فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزَلَ أَمْرَاتِكَ .

قَالَ : فَقُلْتُ : أَطَلَّقَهَا أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ ؟ قَالَ : لَا . بَلْ أَعْتَزِلْهَا فَلَا تَقْرُبْهَا ، وَأَرْسَلْ إِلَى صَاحِبِي بِمِثْلِ ذَلِكَ . قَالَ : فَقُلْتُ لِأَمْرَاتِي : أَلْحِقِي بِأَهْلِكَ ، فَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ .

قَالَ : فَجَاءَتْ إِمْرَأَةٌ هِلَالَ بِنِ أُمِّهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : إِنَّ هِلَالَ بِنِ أُمِّهِ شَيْخٌ ضَائِعٌ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ ، فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أُخْدَمَهُ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ لَا يَقْرَبَنَّكَ . قَالَتْ : إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ ، وَوَاللَّهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا .

قَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي : لَوْ أَسْتَأْذَنْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَدْ أُذِنَ لِإِمْرَأَةٍ هِلَالَ بِنِ أُمِّهِ أَنْ تَخْدَمَهُ . قَالَ : فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَا أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَمَا يَدْرِينِي مَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا ؟ وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ .
 قَالَ : فَلَبِثْتُ بِذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ ، فَكَمَلْتُ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَى عَن كَلَامِنَا .

قَالَ : ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلَاةَ الصُّبْحِ صَبَاحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا .

فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَّا قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي ، وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِيخٍ أَوْفَى عَلَيَّ سَلَجٌ يَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ! أَبْشِرْ .

قَالَ فَخَرَرْتُ سَاجِدًا ، وَعَلِمْتُ أَنَّ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ ، قَالَ : وَأَذِنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا ، فَذَهَبَ قَبْلَ صَاحِبِي مُبَشِّرُونَ ، وَرَكَضَ رَجُلٌ إِلَيَّ فَرَسًا ، وَسَعَى سَاعَ مَنْ أُسْلِمَ مِنْ قِبَلِي ، وَأَوْفَى عَلَى الْجَبَلِ فَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ . فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ تَوْبِي فَكَسَوْنُهُمَا إِيَّاهُ بِبِشَارَتِهِ وَاللَّهُ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ ، وَأَسْتَعْرْتُ تَوْبِيَيْنِ فَلَيْسَتْهُمَا ، وَأَنْطَلَقْتُ أَيَّمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

فَتَلَقَانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا يُهَنِّئُونِي بِالتَّوْبَةِ ، وَيَقُولُونَ : وَلِيَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ حَتَّى دَخَلْنَا الْمَسْجِدَ ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَوْلَهُ النَّاسُ ، فَقَامَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ يُهْرُولُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَائِي ، وَاللَّهُ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ .

فَكَانَ كَعْبٌ لَا يَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ . قَالَ كَعْبٌ : فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ ، قَالَ : أَبَشِّرُ بِخَيْرٍ يَوْمَ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدْتِكَ أُمَّكَ . قَالَ فَقُلْتُ : أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ؟ قَالَ : بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سَرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ وَجْهُهُ قِطْعَةَ قَمَرٍ .

قَالَ : وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ . قَالَ : فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَتَخَلَّعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أُمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ .

قَالَ : فَقُلْتُ فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْبَرَ . قَالَ : وَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا أَنْجَانِي اللَّهُ بِالصَّدَقِ ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيَتْ ، قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ أَحَدًا أُبْلَاهُ اللَّهُ فِي صَدَقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَقِيَ .

قَالَ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿ إِنَّهُ بِهِمْ رَعُوفٌ رَحِيمٌ .
وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ حَتَّى
بَلَغَ ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

قَالَ كَعْبٌ : وَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ إِذْ هَدَانِي اللَّهُ
لِلْإِسْلَامِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ لَا أَكُونَ كَذَبْتُهُ ،
فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ نَزَلَ
الْوَحْيُ شَرًّا مَا قَالَ لِأَحَدٍ فَقَالَ :

﴿ سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ
إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضُوا
عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ .

قَالَ كَعْبٌ : كُنَّا خُلِّفْنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ عَنْ أَمْرِ أَوْلِيكَ الَّذِينَ قَبْلَ مِنْهُمْ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ خَلَفُوا لَهُ فَبَايَعَهُمْ ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ ، وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ بِذَلِكَ .

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ﴾ وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَهُ
مَا خُلِّفْنَا عَنِ الْعَزْوِ ، وَإِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا ، وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ ،
وَاعْتَدَرَ إِلَيْهِ ، فَقَبِلَ مِنْهُ . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ ، وَاللَّفْظُ لَهُ ، وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ
وَالنَّسَائِيُّ بِنَحْوِهِ مَفْرَقًا مُخْتَصِرًا ، وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ قِطْعَةً مِنْ أَوَّلِهِ ، ثُمَّ قَالَ وَذَكَرَ
الْحَدِيثَ .

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ إِلَيْهِ الْقَوْمَ وَأَيِّقْظَنَا مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ وَالنُّوْمِ وَأَرْزُقْنَا
الِاسْتِعْدَادَ لِذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي يَرْتَجِعُ فِيهِ الْمُتَّقُونَ اللَّهُمَّ وَعَامِلْنَا بِإِحْسَانِكَ وَجُدْ
عَلَيْنَا بِفَضْلِكَ وَامْتِنَانِكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ اللَّهُمَّ ارْحَمْ دُنَا بَيْنَ يَدَيْكَ وَاجْعَلْ رَغْبَتَنَا فِيهَا لَدَيْكَ ، وَلَا تُحْرِمْنَا
بِدُنُونِنَا ، وَلَا تَطْرُدْنَا بِعُيُوبِنَا ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

قال بعضهم :

تَهَيَّبُوهَا مِنْ قَدِيمِ الزَّمَنِ
أَوْفَى لَهُمْ فِيهَا مِنْ أَوْفَى الْجَنَنِ
وَأَفْتَرَقُوا فِي كُلِّ سَعْيٍ حَسَنُ
يَسْأَلُكَ بِالنَّاسِ سِوَاءَ السُّنَنِ
مَنْ عِلْمِهِ لَيْسَ لَهُ مِنْ ثَمَنِ
قِسْمَةٌ تَعْدِيلٍ بِقَدْرِ الْفِطَنِ
يُعْمِدُهُ فِي هَامِ أَهْلِ الْوَتَنِ
فَضْفَاضَةً يَغْنَى بِهَا عَنْ مَجْنُ
مُعْتَرِلٍ مُسْتَمْسِكٍ بِالسُّنَنِ
مُقْتَبِعًا مِثْلَ عِذَارِ الرَّسَنِ
وَبُرْدَهُ فِيهِ لَهُ كَالْمَفَنِ
أَثْقَلُ فِي مِيزَانِهِ مِنْ حَضَنِ
إِلَى الْبَرَارِيِّ وَرُؤْسِ الْقُنَنِ
أَكْثَرَ مِنْ تَأْنِيْسِهِ بِالسُّكَنِ
سَيِّدُهُ فِي عَهْدِهِ لَمْ يُحْنِ
يَبْكِي بُكَاءَ الْوَائِكِفَاتِ الْهَتَنِ
فِي ظَلَمِ اللَّيْلِ كَمِثْلِ الْعُصْنِ
شَمَّرَ فِي تَمْهِيدِهِ لِلْجَنَنِ
وَهُوَ بِهَا قُمْرِيَّةٌ فِي فَنَنِ
بِالذِّكْرِ لِلَّهِ طَوِيلَ لَسَنِ
وَهُوَ مِنْ أَدْكِي النَّاسِ فِيمَا يَظُنُ
بِالذِّكْرِ فِي السَّرِّ لَهُ وَالْعَلَنِ

إِنْ أُولَى الْعِلْمِ بِمَا فِي الْفِتَنِ
فَاسْتَعَصَمُوا اللَّهَ وَكَانَ التَّقَى
وَاجْتَمَعُوا فِي حُسْنِ تَوْفِيْقِهِ
فَعَالِمٌ مُسْتَجِدٌّ عَامِلٌ
يَنْثُرُ مِنْ فِيهِ لَهُمْ جَوْهَرًا
يَقْسِمُهُ طُلَابُئِهِ بَيْنَهُمْ
وَبُهْمَةً مُحْتَطِرٌ سَيْفُهُ
يَلْبَسُ مِنْ إِيْمَانِهِ لِأُمَّةٍ
وَحَابِسٌ فِي يَتِيْتِهِ نَفْسَهُ
يَأْخُذُ مِنْ دُنْيَاهُ قُوْتًا لَهُ
قَدْ جَعَلَ الْبَيْتَ كَقَبْرِ لَهُ
فَهُوَ خَفِيفُ الظَّهْرِ لَكُنْهُ
وَهَارِبٌ شُحًّا عَلَى دِينِهِ
يَأْنَسُ بِالْوَحْدَةِ فِي يَدِيهَا
لَا يَرْهَبُ الْأَسَدَ وَمَنْ لَمْ يَحْنِ
وَتَائِبٌ مِنْ ذَنْبِهِ مُشْفِقٌ
تَخَالَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ
إِنْ مَهَّدَ النَّاسُ لِذُنُوبِهِمْ
كَأَنَّهَا الْأَرْضُ لَهُ أَيْكَةٌ
وَصَامِتٌ فِي قَلْبِهِ مَقْوَلٌ
تَرَاهُ كَالْأَبْلَهِ فِي ظَاهِرِ
قَدْ نَوَّرَ اللَّهُ لَهُ قَلْبَهُ

فَإِنْ يَبِينُ بِالْفِكْرِ عَنْ صَاحِبِهِ
إِنْ لَعَوْا جَلِيسٌ لَهُمْ
فِي مَلَكُوتِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ
فَهُمْ خُصُوصُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ
سَمَوْا بِفَضْلِ اللَّهِ نَحْوَ الَّتِي
وَنَزَّهُوا الْأَنْفُسَ عَنْ مَنَزِلِ
وَسَمَّروا الْحَيْلَ لِيَوْمٍ بِهِ
فَلَيْتَنِي كُنْتُ لَهُمْ خَادِمًا
وَمَنْ سِوَاهُمْ فَرَجَالٌ رَجَوَا
وَإِنَّمَا قَصَّرَ لِي عَنْهُمْ
لَا غَارَتِ الدُّنْيَا وَلَا أُتْجِدَتْ
تَمِيلُ لِلْأَحْمَقِ مِنْ أَهْلِهَا
يَا عَجَبًا مِنْ غَفَلَتِي بَعْدَ أَنْ
وَأَدْرِكِ الْفَائِتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ
أَقْبَحُ مَنْ تَرْمُقُهُ مُقْلَةٌ
تَقْتَاذُهُ الدَّهْرَ دَوَاعِي الْهَوَى
يَأْمُلُ آمَالَ فَتَى يَافِعِ
لَيْسَ جَمَالَ الشَّيْخِ إِلَّا التُّقَى
شُغِلْتُ بِالْوَصْفِ وَلَوْ أَنِّي
وَلَمْ أَبْعَ رُشْدًا بَغْيِي وَلَمْ
إِنَّا إِلَى اللَّهِ لَقَدْ حَاقَ بِي
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ فَفِي كَفِّهِ
وَهُوَ الَّذِي أَرْجُو فَإِنْ لَمْ يَكُنْ

فَجِسْمُهُ بَيْنَهُمْ لَمْ يَبِينِ
لَمْ يَلِجِ اللَّغْوُ لَهُ فِي أُذُنِ
تَجُولُ الْبَابُ لُبَابِ الْفِطْنِ
حَقًّا ، بِهِمْ تُدْرَأُ عَنَّا الْمِحْنُ
مَنْ حَلَّ فِي جَيْرَتِهَا قَدْ أَمِنَ
نَازِلُهُ مُسْتَوْفَزٌ لِلظُّلْمِ
يُنَكَّبُ مَنْ يَرَكِبُ فَوْقَ الْهُجْنِ
وَلَيْتَنِي إِذْ لَمْ أَكُنْ لَمْ أَكُنْ
أَنْ يَعْبُرُوا الْبَحْرَ بِغَيْرِ السُّفْنِ
حُبِّي لِدارِ مُلْكَتِ بِالْفِتْنِ
فَالعَاقِلُ الحَرُّ بِهَا مُتَّحِنُ
وَهِيَ عَلَى عَاقِلِهِمْ تَضْطَغِنُ
نَادَانِي الشَّيْبُ أَلَا فَارْحَلْنَ !
يَفْجَأُكَ المَوْتُ فَلَا تُنْظَرَنَّ
مُبْصِرَةً ، شَيْخَ خَلِيعِ الرَّسَنِ
إِلَى الصَّبَا مِثْلَ اقْتِيَادِ البُؤْدُنِ
كَأَنَّهُ لَيْسَ بِشَيْخٍ يَفْنُ
وَالْحَوْ لِلْسُّوءِ بِفِعْلِ حَسَنِ
أَشْعَلُ بِالْمَوْصُوفِ كُنْتُ الْفِطْنُ
أَرْضَ بَعْقَلِي مِثْلَ هَذَا الْعَبْنِ
مَا يُورِثُ الخِزْيَ عَدَاً وَالْحَزْنَ
مَنْحٌ لِمَنْ شَاءَ وَفِيهَا المِنَنْ
عِنْدَ رَجَائِي فِيهِ طَوْلًا فَمَنْ ؟

اللهم احفظنا بالاسلام قائمين ، واحفظنا بالاسلام قاعدين ،
واحفظنا بالاسلام راقدين ، ولا تشمت بنا الأعداء ولا الحاسدين ،
اللهم قَوِّ إيماننا بفهم آياتك ، وارزقنا العمل بها ، وزدنا علماً ينفعنا ،
وأصلح نياتنا ، ووقفنا لذكرك وشكرك ، وارزقنا حبك ، وحب من
يحبك ، وحب العمل الذي يقربنا إلى حبك ، واغفر لنا ولوالدينا
ولجميع المسلمين ، الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين
وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد فقد رأيت أنه من المناسب أن أختتم هذا الكتاب المحتوي
على كثير من الأحكام والآداب بمنظومة الآداب لابن عبد القوي
لاشتمالها على كثير من الآداب الشرعية وأسأل الله الحي القيوم العلي
العظيم القوي العزيز الحكيم ذا الجلال والاکرام الواحد الأحد الفرد
الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد أن ينفع بها نفعاً
عاماً من قرأها ومن سمعها ومن حضرها وأن يفتح لنا ولاخواننا المسلمين
باب القبول والإجابة اللهم صلى على محمد وآله وسلم آمين يارب
العالمين .

من منظومة الآداب لابن عبد القوي رحمه الله

بحمدك ذي الأكرام ما رمت أبتدي
كثيراً كما ترضى بغير تحدد
وصل على خير الأنام وآله
وأصحابه من كل هاد ومهتدي

وَبَعْدُ فَإِنِّي سَوْفَ أَنْظِمُ جُمْلَةً
 مِنَ الْأَدَبِ الْمَأْثُورِ عَنْ خَيْرِ مُرْشِدِ
 مِنَ السُّنَّةِ الْغَرَاءِ أَوْ مِنْ كِتَابِ مَنْ
 تَقَدَّسَ عَنْ قَوْلِ الْفُؤَادِ وَجُحْدِ
 وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ عَلَمَائِنَا
 أَيْمَةِ أَهْلِ السَّلَامِ مِنْ كُلِّ أَمَجِدِ
 لَعَلَّ إِلَهَ الْعَرْشِ يَنْفَعُنَا بِهِ
 وَيُنزِلُنَا فِي الْحَشْرِ فِي خَيْرِ مَقْعِدِ
 الْأَمْنِ لَهُ فِي الْعِلْمِ وَالذِّينِ رَغْبَةٌ
 لِيُضْغِ بِقَلْبِ حَاضِرٍ مُتَرَصِّدِ
 وَيَقْبَلَ نُضْحًا مِنْ شَفِيقِي عَلَى الْوَرَى
 حَرِيصِ عَلَى زَجْرِ الْأَنَامِ عَنِ الرَّدِيِّ
 فَعِنْدِي مِنْ عِلْمِ الْحَدِيثِ أَمَانَةٌ
 سَابِذُهَا جُهْدِي فَاهِدِي وَاهْتِدِي
 أَلَا كُلُّ مَنْ رَامَ السَّلَامَةَ فَلْيُضُنْ
 جَوَارِحَهُ عَنِ مَا نَهَى اللَّهُ يَهْتِدِي
 يَكُفُّ الْفَتَى فِي النَّارِ حَصْدُ لِسَانِهِ
 وَارْسَالُ طَرْفِ الْمَرْءِ أَنْكِي فَقِيدِ
 وَطَرْفُ الْفَتَى يَا صَاحِبَ رَائِدُ فَرَجِهِ
 وَمُتَّبِعُهُ فَاغْضُضْهُ مَا اسْطَطَعْتَ تَهْتِدِي
 وَيَحْرُمُ بَهْتُكَ وَاغْتِيَابُ نَمِيمَةٍ
 وَإِفْشَاءُ سِرِّ نَمٍّ لَعْنُ مُقْبِيدِ

وَفُحْشٌ وَمَكْرٌ وَالْبِدَا وَحَدِيثَةٌ
 وَسُخْرِيَةٌ وَالهُزُؤُ وَالْكَذِبُ قَيْدٌ
 بِغَيْرِ خِدَاعِ الْكَافِرِينَ بِحَرْبِهِمْ
 وَلِلْعَرَسِ أَوْ إِصْلَاحِ أَهْلِ التَّنْكِدِ
 وَيَحْرُمُ مِزْمَارٌ وَشُبَابَةٌ وَمَا
 يُضَاهِيهِمَا مِنْ آلَةِ اللَّهْوِ وَالرَّدِيِّ
 وَلَوْ لَمْ يُقَارِنْهَا غِنَاءٌ جَمِيعُهَا
 فَمِنْهَا دَوُوُّ الْأُوتَارِ دُونَ تَقْيِيدِ
 وَلَا بَأْسَ بِالشَّعْرِ الْمُبَاحِ وَحِفْظِهِ
 وَصَنَعْتِهِ مَنْ رَدَّ ذَلِكَ يَعْتَدِي
 فَقَدْ سَمِعَ الْمُخْتَارُ شِعْرَ صَحَابَةٍ
 وَتَشْبِيهِهُمْ مِنْ غَيْرِ تَعْيِينِ خُرْدِ
 وَحَظَرَ الْهَجَا وَالْمَدْحَ بِالزُّورِ وَالْخَنَا
 وَتَشْبِيهِهِ بِالْأَجْنَبِيَّاتِ أَكْبَدِ
 وَوَصَفِ الزِّنَا وَالْخَمْرِ وَالْمُرْدِ وَالنِّسَاءِ
 فَتِيَّاتِ أَوْ نَوْحِ التَّسْخُطِ مُورِدِ
 وَأَوْجِبَ عَنِ الْمَحْضُورِ كَفَّ جَوَارِحِ
 وَنَذَبَ عَنِ الْمَكْرُوهِ غَيْرَ مُشَدِّدِ
 وَأَمَرَكَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ يَا فَتَى
 عَنِ الْمُنْكَرِ اجْعَلْ فَرَضَ عَيْنِ تَسَدِّدِ
 عَلَى عَالِمٍ بِالْحَظْرِ وَالْفِعْلِ لَمْ يَقُمْ
 سِوَاهُ بِهِ مَعَ أَمْنِ عُدْوَانِ مُعْتَدِي

وَلَوْ كَانَ ذَا فِئْتِي وَجْهَلٍ وَفِي سِوَى الْ
 لَذِي قِيلَ فَرَضَ بِالْكَفَايَةِ فَاخْذُ
 وَبِالْعُلْمَا يَخْتَصُّ مَا اخْتَصَّ عِلْمُهُ
 بِهِمْ وَيَمْنُ يَسْتَنْصِرُونَ بِهِ قَدِ
 وَأَضَعْفُهُ بِالْقَلْبِ ثُمَّ لِسَانِهِ
 وَأَقْوَاهُ انْكَارُ الْفَتَى الْجَلْدِ بِالْيَدِ
 وَأَنْكَرُ عَلَى الصَّبِيَانِ كُلِّ مُحَرَّمٍ
 لِتَأْدِيبِهِمِ وَالْعِلْمِ فِي الشَّرْعِ بِالرَّدِيِّ
 وَبِالْأَسْهَلِ ابْتَدَأُ ثُمَّ زِدْ قَدْرَ حَاجَةٍ
 فَإِنْ لَمْ يَزَلْ بِالنَّافِدِ الْأَمْرَ فَاضْدُدْ
 إِذَا لَمْ يَخَفْ فِي ذَلِكَ الْأَمْرَ حَيْفُهُ
 إِذَا كَانَ ذَا الْانْكَارِ حَتْمَ التَّأَكُّدِ
 وَلَا غَرَمَ فِي دَفِّ الصُّنُوجِ كَسَرْتَهُ
 وَلَا صُورَ أَيْضاً وَلَا آلَةَ الدُّدِ
 وَآلَةَ تَنْجِيمٍ وَسِحْرِ وَنَحْوِهِ
 وَكُتِبَ حَوَتْ هَذَا وَأَشْبَاهَهُ أَقْدُدِ
 « وَقُلْتُ كَذَاكَ السِّينِمَاءُ وَمِثْلُهُ
 بِلَا رَيْبٍ مَذِياعٌ وَتِلْفَازٌ مُعْتَدِي »
 « وَأُورَاقٌ أَلْعَابٍ بِهَا ضَاعَ عُمرُهُمْ
 وَكُورَاتِهِمْ مَزَّقَ هُدَيْتَ وَقَدِّدِ »
 « كَذَا بَكَمَاتٍ وَالصَّلِيبُ وَمِزْمَرُ
 وَآلَةُ تَصْوِيرٍ بِهَا الشَّرُّ مُرْتَدِي »

«كَذَلِكَ دُخَانٌ وَشَيْشَةٌ شُرِبِهِ
وَالَّةُ تَطْفَاةٌ لَهُ اِكْسِرَ وَبَيِّدِ»
«وَمِنْ بَعْدِ ذَا فَاسْمَعُ كَلَاماً لِنَاظِمٍ
يَسُوقُ لَكَ الْآدَابَ عَنْ خَيْرِ مُرْشِدِ»
وَبَيْضِ وَجُوزِ لِقَمَارٍ بِقَدْرِ مَا
يُزِيلُ عَنِ الْمَكُورِ مَقْصَدَ مُفْسِدِ
وَلَا شَقِي زِقِّ الْخَمْرِ أَوْ كَسْرِ دَنِيهِ
إِذَا عَجَزَ الْأَنْكَارُ دُونَ التَّقْدُدِ
وَإِنْ يَتَأْتَى دُونَهُ دَفْعُ مُنْكَرٍ
ضَمِنْتَ الَّذِي يَنْقَى بِتَغْسِيلِهِ قَدِ
وَهَجْرَانُ مَنْ أَبْدَى الْمَعَاصِي سُنَّةً
وَقَدْ قِيلَ إِنْ يَرُدُّعُهُ أَوْجِبْ وَأَكْبِدِ
وَقِيلَ عَلَى الْإِطْلَاقِ مَا دَامَ مُعْلِناً
وَلَأَقِيهِ بِوَجْهِهِ مُكْفَهَرٍ مُعْرَبِدِ
وَيَحْرُمُ تَجَسُّسُ عَلَى مُتَسَتِّرٍ
بِفَسْقِي وَمِاضِي الْفِسْقِ إِنْ لَمْ يُجَدِّدِ
وَهَجْرَانُ مَنْ يَدْعُو لِأَمْرِ مُضِلِّ أَوْ
مُفْسِقِي أَحْتِمُهُ بِغَيْرِ تَرَدُّدِ
عَلَى غَيْرِ مَنْ يَقْوَى عَلَى دَحْضِ قَوْلِهِ
وَيَدْفَعُ إِضْرَارَ الْمُضِلِّ بِمَذُودِ
وَيَقْضِي أُمُورَ النَّاسِ فِي أَتْيَانِهِ
وَلَا هَجَرَ مَعِ تَسْلِيمِهِ الْمُتَعَوِّدِ

وَحَظَرُ انْتِفَا التُّسْلِيمِ فَوْقَ ثَلَاثَةِ
عَلَى غَيْرِ مَنْ قُلْنَا بِهِجْرٍ فَأَكِيدُ
وَكُنْ عَالِمًا إِنَّ السَّلَامَ لَسُنَّةٌ
وَرَدُّكَ فَرَضٌ لَيْسَ نَذْبٌ بِأَوْطِدِ
وَيُجْزِيءُ تَسْلِيمُ امْرِئٍ مِنْ جَمَاعَةٍ
وَرَدُّ فَتَى مِنْهُمْ عَلَى الْكُلِّ يَا عَدِي
وَتَسْلِيمُ نَزْرٍ وَالصَّغِيرِ وَعَابِرِ
سُبَيْلٍ وَرُكْبَانِ عَلَى الضِّدِّ آيِدِ
وَإِنْ سَلَّمَ الْمَأْمُورُ بِالرَّدِّ مِنْهُمْ
فَقَدْ حَصَلَ الْمَسْنُونُ إِذْ هُوَ مُبْتَدِي
وَسَلَّمَ إِذَا مَا قُمْتَ عَنْ حَضْرَةِ امْرِئٍ
وَسَلَّمَ إِذَا مَا جِئْتَ بِبَيْتِكَ تَهْتَدِي
وَأَفْشَاؤُكَ التُّسْلِيمَ يُوجِبُ مَحَبَّةً
مِنَ النَّاسِ مَجْهُولًا وَمَعْرُوفًا أَقْصِدِ
وَتَعْرِيفُهُ لَفْظُ السَّلَامِ مُجَوِّزٌ
وَتَنْكِيرُهُ أَيْضًا عَلَى نَصِّ أَحْمَدِ
وَقَدْ قِيلَ نَكْرَهُ وَقِيلَ تَحِيَّةٌ
كَلِمَتِ التَّوَدِيعِ عَرَفَ كَرَدِدِ
وَسُنَّةٌ اسْتِثْنَانُهُ لِدُخُولِهِ
عَلَى غَيْرِهِ مِنْ أَقْرَبِينَ وَبُعْدِ
ثَلَاثًا وَمَكْرُوهٌ دُخُولُ لِهَاجِمِ
وَلَا سِيْمَا مِنْ سَفَرَةٍ وَتَبْعِدِ

وَوَقَفْتُهُ تَلْقَاءَ بَابٍ وَكُوفَةٍ
فَإِنْ لَمْ يُجِبْ يَمْضِي وَإِنْ يَخْفَ يَزْدَدِ
وَتَحْرِيبِكَ نَعْلِيهِ وَاظْهَارِ حِسِّهِ
لِدَخْلَتِهِ حَتَّى لِمَنْزِلِهِ أَشْهَدِ
وَكُلُّ قِيَامٍ لَا لِوَالٍ وَعَالِمٍ
وَوَالِدِهِ أَوْ سَيِّدٍ كُرْهَهُ أَمْهَدِ
وَصَافِحٍ لِمَنْ تَلْقَاهُ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ
تَنَائِرُ خَطَايَاكُمْ كَمَا فِي الْمُسْنَدِ
وَلَيْسَ لِغَيْرِ اللَّهِ حَلٌّ سَجُودُنَا
وَيُكْرَهُ تَقْبِيلُ الثَّرَى بِتَشْدُدِ
وَيُكْرَهُ مِنْكَ الْإِنْجِنَاءُ مُسَلِّمًا
وَتَقْبِيلُ رَأْسِ الْمَرْءِ حَلٌّ فِي الْيَدِ
وَحَلٌّ عِنَاقٍ لِلْمُلَاقِي تَدِينًا
وَيُكْرَهُ تَقْبِيلُ الْفَمِ أَنْفَهُمْ وَقَيْدِ
وَنَزْعُ يَدٍ مِمَّنْ يُصَافِحُ عَاجِلًا
وَأَنْ يَتَنَاجَى الْجَمْعُ مِنْ دُونِ مُفْرَدِ
وَأَنْ يَجْلِسَ الْإِنْسَانُ عِنْدَ مُحَدِّثٍ
بِسِرٍّ وَقِيلَ أَحْضِرْ وَإِنْ يَأْذَنُ أَقْعَدِ
وَمَرَأَى عَجُوزٍ لَمْ تُرَدِّ وَصِفَاحُهَا
وَخُلُوتُهَا أَكْرَهُ لَا تَحِيثُهَا أَشْهَدِ
وَتَسْمِيَتُهَا وَآكْرَهُ كِلَا الْخِصْلَتَيْنِ
لِلشَّبَابِ مِنَ الصَّنْفَيْنِ بُعْدَى وَأَبْعَدِي

وَيَحْرُمُ رَأْيَ الْمُرْدِ مَعَ شَهْوَةِ فَقَطْ
وَقِيلَ وَمَعَ خَوْفٍ وَلِلْكَرِهِ جَوْدٌ
وَكُنْ وَاصِلَ الْأَرْحَامِ حَتَّى لَكَاشِحٍ
تُوفَّرَ فِي عُمُرٍ وَرِزْقٍ وَتَسْعَدِ
وَيَحْسُنُ تَحْسِينُ لِخُلُقٍ وَصُحْبَةِ
وَلَا سِيَّمَا لِلْوَالِدِ الْمُتَأَكِّدِ
وَلَوْ كَانَ ذَا كُفْرٍ وَأَوْجَبَ طَوْعَهُ
سِوَى فِي حَرَامٍ أَوْ لِأَمْرٍ مُؤَكَّدِ
كَتَطْلَابِ عِلْمٍ لَا يَضُرُّهُمَا بِهِ
وَتَطْلِيْقِ زَوْجَاتٍ بِرَأْيٍ مُجَرَّدِ
وَأَحْسِنُ إِلَى أَصْحَابِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ
فَهَذَا بَقَايَا بِرِهِ الْمُتَعَوِّدِ
وَيُكْرَهُ فِي الْحَمَامِ كُلِّ قِرَاءَةٍ
وَذِكْرِ لِسَانٍ وَالسَّلَامِ لِمُبْتَدِي
وغيرِ بغيرِ الْأَسْوَدِ الشَّيْبِ وَأَبْقِهِ
وَلِلْقَزَعِ أَكْرَهُ ثُمَّ تَدْ لَيْسَ نُهْدِ
وَيُسْرَعُ إِيْكَاءُ السِّقَا وَغِطَا الْإِنَا
وَأَيْجَافُ أَبْوَابٍ وَطَفَاءُ لِمُوقِدِ
وَتَقْلِيمُ أَظْفَارٍ وَنَتْفُ لِابْطِهِ
وَحَلْقُ اللَّشْوِيرِ لِلْعَانَةِ أَقْصِدِ
وَيَحْسُنُ خَفْضُ الصَّوْتِ مِنْ عَاطِسٍ وَأَنْ
يُغَطِّيَ وَجْهًا لِاسْتِتَارٍ مِنَ الرَّدْيِ

وَيَحْمَدُ جَهْرًا وَلِيُشَمِّتَهُ سَامِعٌ
لِتَحْمِيدِهِ وَالْيُبْدِ رَدَّ الْمُعْوَدِ
وَقُلْ لِلْفَتَى عُوْفِيَتْ بَعْدَ ثَلَاثَةِ
وَلِلطُّفْلِ بُورِكَ فِيكَ وَأَمْرُهُ يَحْمَدِ
وَعَطَّ فَمَاءً وَاكْظُمُ تُصِبُ فِي تَشَاؤُبِ
فَذَلِكَ مَسْنُونٌ لِأَمْرِ الْمُرْشِدِ
وَلَا بَأْسَ شَرْعًا أَنْ يَطْبِكَ مُسْلِمٌ
وَشَكْوَى الَّذِي تَلْقَى وَبِالْحَمْدِ فَايْتَدِي
وَتَرْكُ الدَّوَا أَوْلَى وَفِعْلُكَ جَائِزٌ
وَلَمْ تَتَيَقَّنْ فِيهِ حُرْمَةَ مُفْرَدِ
وَرَجَّحْ عَلَى الْخَوْفِ الرَّجَا عِنْدَ يَأْسِهِ
وَلَاقِ بِحُسْنِ الظَّنِّ رَبَّكَ تَسْعَدِ
وَيُشْرَعُ لِلْمَرْضَى الْعِيَادَةُ فَآتِهِمْ
تَخَضُّ رَحْمَةً تَغْمُرُ مَجَالِسَ عُودِ
فَسَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ مَلَائِكَةِ الرِّضَا
تُصَلِّيَ عَلَى مَنْ عَادَ مُمَسًّى إِلَى الْغَدِ
وَأَنْ عَادَهُ فِي أَوَّلِ الْيَوْمِ وَأَصَلَتْ
عَلَيْهِ إِلَى اللَّيْلِ الصَّلَاةِ فَاسْنَدِ
فَمِنْهُمْ مُغْبَأٌ عُدَّهُ خَفِيفٌ وَمِنْهُمْ أَلِ
لَّذِي يُورِثُ التَّطَوُّيْلَ مِنْ مُتَوَرِّدِ
وَفِكْرُ وَرَاعٍ فِي الْعِيَادَةِ حَالٌ مَنْ
تَعُوذُ وَلَا تُكْثِرُ سُؤَالَ تَنْكَدِ

وَمَكْرُوهٌ اسْتِأْمَانُنَا أَهْلَ ذِمَّةٍ
 لِأَحْرَازِ مَالٍ أَوْ لِقِسْمَتِهِ أَشْهَدِ
 وَمَكْرُوهٌ اسْتِطْبَابُهُمْ لَا ضَرُورَةَ
 وَمَا رَكَّبُوهُ مِنْ دَوَائِ مُوَصَّدِ
 وَإِنْ مَرِضْتَ أَنْتَى وَلَمْ يَجِدُوا لَهَا
 طَيْباً سِوَى فَحْلِ أَجْزُهُ وَمَهْدِ
 وَيَكْرَهُ حَفْنُ الْمَرْءِ إِلَّا ضَرُورَةَ
 وَيَنْظُرُ مَا يَحْتَاجُهُ حَاقِنٌ قَدِ
 كَقَابِلَةٍ حِلٌّ لَهَا نَظَرٌ إِلَى
 مَكَانِ وَلَادَاتِ النِّسَاءِ فِي التَّوَلُّدِ
 وَيُكْرَهُ إِنْ لَمْ يَسِرْ قَطْعُ بَوَاسِرِ
 وَبَطْنِ الْأَذَى حِلٌّ كَقَطْعِ مُجَوِّدِ
 لِأَكْلَةِ تَسْرِي بَعْضُو أَبِيهِ إِنْ
 تَخَافَنَّ عُقْبَاهُ وَلَا تَتَرَدَّدِ
 وَقَبْلَ الْأَذَى لَا بَعْدَهُ الْكَيْ فَاكْرَهَنْ
 وَعَنْهُ عَلَى الْأُطْلَاقِ غَيْرَ مُقَيَّدِ
 وَفِيهَا عَدَا الْأَغْنَامِ قَدْ كَرِهُوا الْخِصَا
 لِتَعْدِيْبِهِ الْمَنْهِي عَنْهُ بِمُسْنَدِ
 وَقَطْعِ قُرُونِ وَالْأَذَنِ وَشَقِّهَا
 بِلَا ضَرَرٍ تَغْيِيرُ خَلْقِ مُعَوِّدِ
 وَيَنْحَسُنُ فِي الْإِحْرَامِ وَالْحِلِّ قَتْلُ مَا
 يَضُرُّ بِلَا نَفْعٍ كَنَيْمِرٍ وَمَرْثِدِ

وَعَرَبَانِ غَيْرِ الزُّرْعِ أَيْضاً وَشَبَّهَهَا
كَذَا حَشْرَاتُ الْأَرْضِ دُونَ تَقْيِيدِ
كَبَيْتِي وَبُرْغُوثٍ وَفَارٍ وَعَقْرَبٍ
وَدَبَّرُوا حَيَاتٍ وَشَبَّهَ الْمُعَدِّدِ
وَيُكْرَهُ قَتْلُ الثَّمَلِ إِلَّا مَعَ الْأَذَى
بِهِ وَأَكْرَهَنْ بِالنَّارِ إِحْرَاقَ مُفْسِدِ
وَلَوْ قِيلَ بِالتَّحْرِيمِ ثُمَّ أُجِيزَ مَعَ
أَذَى لَمْ يَزُلْ إِلَّا بِهِ لَمْ أَبْعِدِ
وَقَدْ جَوَّزَ الْأَصْحَابُ تَشْمِيسَ قَزْهِمِ
وَتَدْخِيعَ زَنْبُورٍ وَشَيْئاً بِمَوْقِدِ
وَيُكْرَهُ لِتَنْهِي الشَّرْعِ عَنِ قَتْلِ ضِفْدَعٍ
وَصِرْدَانِ طَيْرٍ قَتْلُ ذَيْنِ وَهَذَا هِدِ
وَيُكْرَهُ قَتْلُ الْهَرِّ إِلَّا مَعَ الْأَذَى
وَإِنْ مَلَكَتْ فَاحْظِرْ إِذَا غَيْرَ مُفْسِدِ
وَقَتْلِكَ حَيَاتِ الْبُيُوتِ وَلَمْ تَقُلْ
ثَلَاثَالَهُ أَذْهَبَ سَالِمًا غَيْرَ مُعْتَدِ
وَذَا الطُّفَيْتَيْنِ أَقْتُلْ وَابْتَرِ حَيَّةِ
وَمَا بَعْدَ إِيْذَانِ تُرَى أَوْ بِفَدْفِدِ
وَمَا فِيهِ إِضْرَارٌ وَنَفْعٌ كَبَاشِقِ
وَكَلْبٍ وَفَهْدٍ لِاِقْتِصَادِ التَّصِيدِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ مُلْكًا فَأَنْتَ مُخَيَّرُ
وَإِنْ مَلَكَتْ فَاحْظِرْ وَإِنْ تُؤْذِ فَاقْدُدِ

وَيُكْرَهُ نَفْخُ فِي الْغَدَا وَتَنْفُسُ
 وَجَوْلَانُ أَيِّدٍ فِي طَعَامِ مُوَحَّدٍ
 فَإِنْ كَانَ أَنْوَعًا فَلَا بَأْسَ فَالَّذِي
 نُهِيَ فِي اتِّحَادٍ قَدْ عَفِيَ فِي التَّعَدُّدِ
 وَأَخَذَ وَاعْطَاءَ وَأَكْلَ وَسُرْبَهُ
 يُسْرَاهُ فَاكْرَهُهُ وَمُتَّكِنًا ذُدْ
 وَأَكْلِكَ بِالتَّشْتِينِ وَالْأَضْبَعِ اكْرَهَنْ
 وَمَعَ أَكْلِ شَيْنِ الْعُرْفِ إْتْيَانِ مَسْجِدِ
 وَيُكْرَهُ بِالْيُمْنَى مُبَاشَرَةَ الْأَذَى
 وَأَوْسَاجِهِ مَعَ نَثْرِ مَا أَنْفِهِ الرَّدِي
 كَذَا خَلَعُ نَعْلَيْهِ بِهَا وَاتِّكَأُوهُ
 عَلَى يَدِهِ الْيُسْرَى وَرَا ظَهْرِهِ أَشْهَدِ
 وَيُكْرَهُ فِي التَّمْرِ الْقِرَانُ وَنَحْوُهُ
 وَقِيلَ مَعَ التَّشْرِيكِ لَا فِي التَّقْرِدِ
 وَكُنْ جَالِسًا فَوْقَ الْيَسَارِ وَنَا صِبَّ الدِّ
 يَمِينٍ وَبَسْمَلُ ثُمَّ فِي الْإِنْتِهَاءِ أَحْمَدِ
 وَيُكْرَهُ سَبْقُ الْقَوْمِ لِلْأَكْلِ نَهْمَةً
 وَلَكِنَّ رَبَّ الْبَيْتِ إِنْ شَاءَ يَتَّعِدِي
 وَلَا بَأْسَ عِنْدَ الْأَكْلِ مِنْ شِعْرِ الْفَتَى
 وَمَكْرُوهُ الْإِسْرَافُ وَالْئُلْكُ أَكِيدِ
 وَيَحْسُنُ تَصْغِيرُ الْفَتَى لُقْمَةَ الْغَدَا
 وَبَعْدَ ابْتِلَاعِ ثَنِّ وَالْمَضْغِ جَوْدِ

وَيَحْسُنُ قَبْلَ الْمَسْحِ لَعْقُ أَصَابِعِ
وَأَكْلُ فُتَاتِ سَاقِطِ بِتَّوَرِدِ
وَتَخْيِيلُ مَا بَيْنَ الْمَوَاضِعِ بَعْدَهُ
وَأَلْقَى وَجَانِبَ مَا نَهَى اللَّهُ تَهْتِيدِي
وَعَسَلَ يَدِ قَبْلَ الطَّعَامِ وَبَعْدَهُ
وَيُكْرَهُ بِالْمَطْعُومِ غَيْرَ مُقْبِدِ
وَكُلُّ طَيِّباً أَوْ ضِدَّهُ وَأَلْبَسَ الَّذِي
تُلَاقِيهِ مِنْ حِلٍّ وَلَا تَتَقَبَّدِ
وَمَا عِفْتَهُ فَاتْرُكْهُ غَيْرَ مُعَنِفِ
وَلَا عَائِبِ رِزْقاً وَبِالشَّارِعِ اقْتَدِي
وَلَا تَشْرَبَنَّ مِنْ فِي السِّقَاءِ وَتُلْمَةِ الْإِ
إِنَّا وَانظُرُنَّ فِيهِ وَمَصّاً تَزْرُدِ
وَنَحَّ الْإِنَا عَنْ فَيْكٍ وَأَشْرَبَ ثَلَاثَةً
هُوَ أَهْنَا وَأَمْرًا ثُمَّ أَرَوَى لِمَنْ صُدِي
وَلَا تَكْرَهَنَّ الشُّرْبَ مِنْ قَائِمٍ وَلَا أَنْ
تَعَالَ الْفَتَى فِي الْأَظْهَرِ الْمُتَأَكِّدِ
وَيُكْرَهُ لُبْسُ فِيهِ شَهْرَةٌ لِأَبْسِ
وَوَاصِفُ جِلْدٍ لَا لِزَوْجٍ وَسَيْدِ
وَأَنْ كَانَ يُبْدِي عَوْرَةً لِسَوَاهِمَا
فَذَلِكَ مَحْظُورٌ بِغَيْرِ تَرَدُّدِ
وَخَيْرُ خِلَالِ الْمَرْءِ جَمْعاً تَوْسُطُ الْإِ
أُمُورٍ وَحَالَ بَيْنَ أَرْدَى وَأَجُودِ

وَلَيْسَ مِثَالِ الْحَيِّ فَاخْضِرْ بِأَجُودِ
وَمَا لَمْ يُدَسْ مِنْهَا لِوَهْنٍ فَشَدِّدِ
وَأَحْسِنُ مَلْبُوسٍ بَيَاضٍ لِمَيِّتٍ
وَحَيِّ فَبَيِّضٌ مُطْلَقًا لَا تُسَوِّدِ
وَلَا بَأْسَ بِالْمَضْبُوغِ مِنْ قَبْلِ غَسْلِهِ
مَعَ الْجَهْلِ فِي أَصْبَاغِ أَهْلِ التَّهَوُّدِ
وَقِيلَ أَكْرَهْنَهُ مِثْلَ مُسْتَعْمَلِ الْإِنَا
وَإِنْ تَعْلَمِ التَّنْجِيسَ فَاغْسِلْهُ تَهْتِدِي
وَأَحْمَرَ قَانٍ وَالْمُعْضَفَرَ فَاكْرَهْنِ
لِلْبَيْسِ رِجَالِ حَسْبُ فِي نَصْرِ أَحْمَدِ
وَلَا تَكْرَهْنِ فِي نَصْرِ مَا قَدْ صَبَّغَتْهُ
مِنَ الزُّعْفَرَانِ الْبَحْتِ لَوْنِ الْمُورِدِ
وَلَيْسَ بِلْبَاسِ الصُّوفِ بَأْسٌ وَلَا الْقَبَا
وَلَا لِلنِّسَاءِ وَالْبُرُنْسِ أَفْهَمُهُ وَأَقْتَدِي
وَلَيْسَ الْحَرِيرُ أَحْظَرُ عَلَى كُلِّ بَالِغٍ
سِوَى لِضْنِي أَوْ قَتْلِ أَوْ حَرْبِ جُحْدِ
وَيَحْرُمُ بَيْعُ لِلرِّجَالِ لِلْبَيْسِهِمْ
وَتَخْيِطُهُ وَالنَّسْجُ فِي نَصْرِ أَحْمَدِ
وَيَحْرُمُ لُبْسُ مَنْ لَجِينٍ وَعَسْجَدِ
سِوَى مَا قَدْ اسْتَنْبَيْتُهُ فِي الَّذِي ابْتَدِي
وَيَحْرُمُ سِتْرٌ أَوْ لِبَاسُ الْفَتَى الَّذِي
حَوَى صُورَةَ لِلْحَيِّ فِي نَصْرِ أَحْمَدِ

فِي السِّتْرِ أَوْ مَا هُوَ مَطْنَةٌ بِذِلَّةٍ
 لِيُكْرَهُ كَكْتَبٍ لِلْقُرْآنِ الْمُمَجَّدِ
 وَلَيْسَ بِمَكْرُوهٍ كِتَابَةٌ غَيْرُهُ
 مِنَ الذِّكْرِ فِيمَا لَمْ يُدَسَّ وَيُمَهَّدِ
 وَحَلٌّ لِمَنْ يَسْتَأْجِرُ الْبَيْتَ حَكْمُهُ التَّ
 تَصَاوِيرَ كَالْحَمَامِ لِلدَّخْلِ اشْهَدِ
 فِي نَصَبِهِ أَكْرَهُ لِلرِّجَالِ وَلِلنِّسَاءِ الرَّ
 دَقِيقَ سِوَى لِلزَّوْجِ يَخْلُو وَسَيِّدِ
 وَيُكْرَهُ تَقْصِيرُ اللَّبَاسِ وَطَوْلُهُ
 بِلا حَاجَةٍ كِبْرًا وَتَرْكُ الْمُعْوَدِ
 وَأَطْوَلُ ذَيْلِ الْمَرْءِ لِلْكَعْبِ وَالنِّسَاءِ
 بِلا الْأُزْرِ شِبْرًا أَوْ ذِرَاعًا لِيَتَزَدَّدِ
 وَأَشْرَفُ مَلْبُوسٍ إِلَى نِصْفِ سَاقِهِ
 وَمَا تَحْتَ كَعْبٍ فَانْكُرْهُنَّ وَصَعِدِ
 وَلِلرُّضْعِ كُمْ الْمُصْطَفَى فَإِنْ ارْتَخَى
 تَنَاهَى إِلَى أَقْصَى أَصَابِعِهِ قَدِ
 وَلَا بَأْسَ فِي لُبْسِ السَّرَاوِيلِ سِتْرَةً
 أَتَمَّ مِنَ التَّأْزِيرِ فَالْبَسْنَهُ وَاقْتَدِ
 بِسُنَّةِ إِبْرَاهِيمَ فِيهِ وَأَحْمَدِ
 وَأَصْحَابِهِ وَالْأُزْرُ أَشْهَرُ أَكْبَدِ
 وَيَحْسَنُ تَنْظِيفُ الثِّيَابِ وَطِيئَهَا
 وَيُكْرَهُ مَعَ طَوْلِ الْغِنَا لُبْسُكَ الرُّدِيِّ

وَلَا بَأْسَ فِي لُبْسِ الْفِرَاءِ وَاشْتِرَائِهَا
 جُلُودَ حَلَالٍ مَوْتُهُ لَمْ يُوْطَدِ
 وَكَاللَّحْمِ الْأَوْلَى أَحْظَرْنَ جِلْدَ ثَعْلَبٍ
 وَعَنْهُ لِيُلْبَسَ وَالصَّلَاةَ بِهِ أَصْدَدِ
 وَمَنْ يَرْتَضِي أَدْنَى اللَّبَاسِ تَوَاضِعاً
 سَيُكْسَى الثِّيَابَ الْعَبْقَرِيَّاتِ فِي غَدِ
 وَيَحْسُنُ حَمْدُ اللَّهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ
 وَلَا سِيِّمًا فِي لُبْسِ ثَوْبٍ مُجَدِّدِ
 وَكُنْ شَاكِرًا لِلَّهِ وَارْضَ بِقَسَمِهِ
 تُنَبِّ وَتُزِدُ رِزْقاً وَارْزَغَامَ حُسَدِ
 وَقُلْ لِأَخِ ابْلِ وَأَخْلِقِ وَيُخْلِفُ الْ
 إِلَهُ كَذَا قُلْ عِشْ حَمِيداً تُسَدِّدِ
 وَلَا بَأْسَ فِي الْخَاتَامِ مِنْ فِضَّةٍ وَمِنْ
 عَقِيْقٍ وَبَلُورٍ وَشَبِّهِ الْمُعَدِّدِ
 وَيُكْرَهُ مِنْ صُفْرِ رِصَاصِ حَدِيدِهِمْ
 وَيَحْرُمُ لِلذُّكْرَانِ خَاتَمُ عَسْجَدِ
 وَيَحْسُنُ فِي الْيُسْرَى كَأَحْمَدٍ وَصَحْبِهِ
 وَيُكْرَهُ فِي الْوُسْطَى وَسَبَابَةِ الْيَدِ
 وَمَنْ لَمْ يَضَعْهُ فِي الدُّخُولِ إِلَى الْخَلَا
 فَعَنْ كُتُبِ الْقُرْآنِ وَذِكْرِ بِهِ أَصْدَدِ
 وَيَحْسُنُ فِي الْيُمْنَى ابْتِدَاءً ابْتِعَالَهُ
 وَفِي الْخَلْعِ عَكْسٌ وَآكْرَهُ الْعَكْسُ تَرْشُدِ

وَيُكْرَهُ مَشْيُ الْمَرْءِ فِي فَرْدِ نَعْلِهِ
 اخْتِياراً أَصِخَ حَتَّى لِإِصْلَاحِ مُفْسِدِ
 وَلَا بَأْسَ فِي نَعْلِ يُصَلِّي بِهِ بِلاَ
 أَدَى وَافْتَقَدَهَا عِنْدَ أَبْوَابِ مَسْجِدِ
 وَيَحْسُنُ الاسْتِرْجَاعُ فِي قَطْعِ نَعْلِهِ
 وَتَخْصِيصُ حَافٍ بِالطَّرِيقِ الْمُمَهَّدِ
 وَقَدْ لَبَسَ السَّبِيئِيَّ وَهُوَ الَّذِي خَلَا
 مِنَ الشُّعْرِ مَعَ أَصْحَابِهِ بِهِمْ أَقْدِي
 وَيُكْرَهُ سِنْدِي النِّعَالِ لِعُجْبِهِ
 بِصَرَّارِهَا زِيَّ الْيَهُودِ فَابْعِدِ
 وَسِرَّ حَافِياً أَوْ حَازِياً وَأَمْسِ وَارْكَبْ
 تَمَعْدَدَ وَاحْشَوْشُنْ وَلَا تَتَعَوَّدِ
 وَيُكْرَهُ فِي الْمَشْيِ الْمُطَيِّطَا وَنَحْوَهَا
 مَظِنَّةَ كِبَرٍ غَيْرَ فِي حَرْبِ جُحْدِ
 وَيُكْرَهُ لُبْسُ الْحُفِّ وَالْأَزْرِ قَائِماً
 كَذَاكَ التِّصَاقُ اثْنَيْنِ عُرْباً بِمَرْقَدِ
 وَثْنَيْنِ وَافْرُقْ فِي الْمَضَاجِعِ بَيْنَهُمْ
 وَلَوْ إِخْوَةً مِنْ بَعْدِ عَشْرِ تُسُدِّ
 وَيُكْرَهُ نَوْمُ الْمَرْءِ مِنْ قَبْلِ غَسْلِهِ
 بَيْنَ الدُّهْنِ وَالْأَلْبَانِ لِلْفَمِ وَالْيَدِ
 وَنَوْمِكَ بَعْدَ الْفَجْرِ وَالْعَصْرِ أَوْ عَلَى
 قَفَاكَ وَرَفَعَ الرَّجُلِ فَوْقَ اخْتِهَا أَمْدِ

وَيُكْرَهُ نَوْمٌ فَوْقَ سَطْحٍ وَلَمْ يُحِطْ
 عَلَيْهِ بِتَحْجِيرِ لِحُوفِ مِنَ الرُّدِيِّ
 وَيُكْرَهُ بَيْنَ الظِّلِّ وَالشَّمْسِ جِلْسَةٌ
 وَنَوْمٌ عَلَى وَجْهِ الفَتَى الْمُتَمَدِّدِ
 وَقُلْ فِي انْتِبَاهِهِ وَالصُّبْحِ وَفِي الْمَسَاءِ
 وَنَوْمٌ مِنَ الْمَرْوِيِّ مَا شِئْتَ تَرُشِدِ
 وَيَحْسُنُ عِنْدَ النَّوْمِ نَفْضُ فِرَاشِهِ
 وَنَوْمٌ عَلَى الْيُمْنَى وَكُحْلٌ بِأَثْمَدِ
 وَخُذْ لَكَ مِنْ نُصْحِي أُخِي نَصِيحَةً
 وَكُنْ حَازِمًا وَاحْضِرْ بِقَلْبٍ مُؤَيَّدِ
 وَلَا تُنْكِحَنَّ إِنْ كُنْتَ شَيْخًا فُتِيَّةً
 تَعِشُ فِي ضِرَارِ الْعَيْشِ أَوْ تَرْضَ بِالرُّدِيِّ
 وَلَا تُنْكِحَنَّ مَنْ تَسُمُّ فَوْقَكَ رُتْبَةً
 تَكُنْ أَبَدًا فِي حُكْمِهَا فِي تَنَكُّدِ
 وَلَا تَرْغَبَنَّ فِي مَالِهَا وَأَثَائِهَا
 إِذَا كُنْتَ ذَا فَقْرٍ تُذَلُّ وَتُضْهِدِ
 وَلَا تَسْكُنَنَّ فِي دَارِهَا عِنْدَ أَهْلِهَا
 تَسْمَعُ إِذْنَ أَنْوَاعٍ مِنْ مُتَعَدِّدِ
 فَلَا خَيْرَ فِيمَنْ كَانَ فِي فَضْلِ عَرْسِهِ
 يَرُوحُ عَلَى هُونٍ إِلَيْهَا وَيَغْتَدِي
 وَلَا تُنْكِرَنَّ بَدَلَ الْيَسِيرِ تَنَكُّدًا
 وَسَامِحٌ تَنَلُّ أَجْرًا وَحُسْنُ التَّوَدُّدِ

وَلَا تَسْأَلُنَّ عَن مَّا عَهِدْتَ وَغَضُّ عَن
 عَوَارِ إِذَا لَمْ يَذُمَّ الشَّرْعَ تَرْشُدِ
 وَكُنْ حَافِظًا إِنِّ النِّسَاءَ وَذَائِعُ
 عَوَانِ لَدَيْتَا احْفَظْ وَصِيَّةَ مُرْشِدِ
 وَلَا تُكْثِرِ الْإِنْكَارَ تُرْمَى بِتُّهْمَةٍ
 وَلَا تَرْفَعَنَّ السُّوْطَ عَن كُلِّ مُعْتَدِ
 وَلَا تَطْمَعَنَّ فِي أَنْ تُقِيمَ اعْوَجَاجِهَا
 فَمَا هِيَ إِلَّا مِثْلُ ضِلْعِ مُرَدِّدِ
 وَسُكْنَى الْفَتَى فِي غُرْفَةٍ فَوْقَ سِكَّةِ
 تَوَلُّ إِلَى تُهُمَى الْبَرِيءِ الْمُشَدِّدِ
 وَإِيَّاكَ يَا هَذَا وَرَوْضَةَ دِمْنَةٍ
 سَتَرْجِعُ عَن قُرْبِ إِلَى أَصْلِهَا الرُّدِيِّ
 وَلَا تُنْكَحَنَّ فِي الْفَقْرِ إِلَّا ضَرُورَةً
 وَلِذْ بِوَجَاءِ الصُّومِ تُهْدَى وَتُهْتَدِي
 وَكُنْ عَالِمًا إِنِّ النِّسَاءَ لَعَبٌ لَنَا
 فَحَسِّنْ إِذْنُ مَهْمَا اسْتَطَعْتَ وَجَوْدِ
 وَخَيْرُ النِّسَاءِ مَنْ سَرَّتِ الزَّوْجَ مَنْظَرًا
 وَمَنْ حَفِظَتْهُ فِي مَغِيْبٍ وَمَشْهَدِ
 قَصِيْرَةُ الْفَاطِ قَصِيْرَةُ بَيْتِهَا
 قَصِيْرَةُ طَرْفِ الْعَيْنِ عَن كُلِّ أَبْعَدِ
 عَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّيْنِ تَظْفَرُ بِالْمَنَى أَلِ
 وَدُوْدِ الْوَلُوْدِ الْأَصْلِ ذَاتِ التَّعْبُدِ

حَسِيَّةٌ أَصْلٍ مِنْ كِرَامٍ تَفْرُ إِذْنَ
 بِوَلَدِ كِرَامٍ وَالْبَكَارَةَ فَاقْصِدِ
 وَوَاحِدَةً أَدْنَى إِلَى الْعَدْلِ فَاقْتِنِعْ
 وَإِنْ شِئْتَ فَابْلُغِ أَرْبَعًا لَا تَزِيدِ
 وَمَنْ عَفَّ تَقَوَّى عَنْ مَحَارِمٍ غَيْرِهِ
 يُعَفِّ أَهْلَهُ حَقًّا وَإِنْ يَزِنِ يَفْسُدِ
 فَكَابِدْ إِلَى أَنْ تَبْلُغَ النَّفْسُ عُذْرَهَا
 وَكُنْ فِي اقْتِبَاسِ الْعِلْمِ طَلَّاعٌ انْجُدِ
 وَلَا يَذْهَبَنَّ الْعُمُرُ مِنْكَ سَبْهَلًا
 وَلَا تُغْبِنَنَّ بِالنُّعْمَتَيْنِ بَلْ اجْهَدِ
 فَمَنْ هَجَرَ اللَّذَاتِ نَالَ الْمُنَى وَمَنْ
 أَكَبَّ عَلَى اللَّذَاتِ عَضَّ عَلَى الْيَدِ
 وَفِي قَمْعِ أَهْوَاءِ النُّفُوسِ اعْتِرَازُهَا
 وَفِي نَيْلِهَا مَا تَشْتَهِي ذَلُّ سَرْمَدِ
 فَلَا تَشْتَغِلْ إِلَّا بِمَا يُكْسِبُ الْعُلَا
 وَلَا تَرْضَ لِلنَّفْسِ النَّفِيسَةَ بِالرِّدِي
 وَفِي خَلْوَةِ الْإِنْسَانِ بِالْعِلْمِ أَنْسُهُ
 وَيَسْلَمُ دِينَ الْمَرْءِ عِنْدَ التَّوْحِيدِ
 وَيَسْلَمُ مِنْ قَيْلٍ وَقَالَ وَمِنْ أَدَى
 جَلِيسٍ وَمِنْ وَاشٍ بَغِيضٍ وَحُسْدِ
 وَكُنْ جِلْسَ بَيْتٍ فَهُوَ سِتْرٌ لِعَوْرَةٍ
 وَحِرْزُ الْفَتَى عَنْ كُلِّ غَاوٍ وَمُفْسِدِ

وَخَيْرُ جَلِيسِ الْمَرْءِ كَتَبُ تَفِيئِهِ
 عُلُومًا وَأَدَابًا كَعَقْلِ مُؤَيِّدِ
 وَخَالِطٍ إِذَا خَالَطْتَ كُلَّ مُوَفَّقِي
 مِنَ الْعُلَمَاءِ أَهْلِ التُّقَى وَالتَّعَبُدِ
 يُفِيدُكَ مِنَ عِلْمٍ وَيُنْهَكَ عَنْ هَوَى
 فَصَاحِبِهِ تُهْدِي مِنَ هُدَاهُ وَتُرْشِدِ
 وَإِيَّاكَ وَالْهَمَّازَ إِنْ قُمْتَ عَنْهُ وَالْ
 بَدِيَّ فَإِنَّ الْمَرْءَ بِالْمَرْءِ يَقْتَدِي
 وَلَا تَصْحَبِ الْحَمَقَى فَذُو الْجَهْلِ أَنْ يَرُمَ
 صَلاَحًا لِأَمْرٍ يَا أَخَا الْحَزْمِ يُفْسِدِ
 وَخَيْرُ مَقَامٍ قُمْتَ فِيهِ وَخَصْلَةٌ
 تَحَلَّتْهَا ذَكَرُ الْإِلَهِ بِمَسْجِدِ
 وَكُفَّ عَنِ الْعَوْرَةِ لِسَانَكَ وَالْيَكُنْ
 دَوَامًا بِذِكْرِ اللَّهِ يَا صَاحِبِي نَدِي
 وَحَصِّنْ عَنِ الْفَحْشَا الْجَوَارِحَ كُلَّهَا
 تَكُنْ لَكَ فِي يَوْمِ الْجَزَا خَيْرَ شُهَدِ
 وَحَافِظَ عَلَى فِعْلِ الْفُرُوضِ بِوَقْتِهَا
 وَخُذْ بِنَصِيْبِ فِي الدُّجَا مِنْ تَهْجُدِ
 وَنَادِ إِذَا مَا قُمْتَ بِاللَّيْلِ سَامِعًا
 قَرِيْبًا مُجِيْبًا بِالْفَوَاضِلِ يَتَدِي
 وَمُدَّ إِلَيْهِ كَفَّ فَقْرَكَ ضَارِعًا
 بِقَلْبٍ مُنِيْبٍ وَادْعُ تُعْطُ وَتَسْعَدِ

وَلَا تَسْأَلْ مَنْ الْعِلْمَ وَاشْهَرِ لِنَيْلِهِ
 بَلَا ضَجْرٍ تَحْمَدُ سُرَى اللَّيْلِ فِي غَدِ
 وَلَا تَطْلُبَنَّ الْعِلْمَ لِلْمَالِ وَالرَّيَا
 فَإِنَّ مَلَكَ الْأَمْرِ فِي حُسْنِ مَقْصِدِ
 وَكُنْ عَامِلًا بِالْعِلْمِ فِيمَا اسْتَطَعْتَهُ
 لِيُهْدِيَ بِكَ الْمَرْءُ الَّذِي بِكَ يَقْتَدِي
 حَرِيصًا عَلَى نَفْعِ الْوَرَى وَهُدَاهُمْ
 تَنْلُ كُلَّ خَيْرٍ فِي نَعِيمٍ مُؤَبَّدِ
 وَكُنْ صَابِرًا بِالْفَقْرِ وَأَدْرِعِ الرِّضَا
 بِمَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ وَاشْكُرْهُ تُحْمَدِ
 فَمَا الْعِزَّ إِلَّا فِي الْقَنَاعَةِ وَالرِّضَا
 بِأَدْنَى كَفَافٍ حَاصِلٍ وَالتَّزْهَدِ
 فَمَنْ لَمْ يُقْنِعْهُ الْكَفَافُ فَمَا إِلَى
 رِضَاهُ سَبِيلٌ فَاقْتَنِعْ وَتَقْصِدِ
 فَمَنْ يَتَغَنَّى يُغْنِيهِ اللَّهُ وَالغِنَى
 غِنَى النَّفْسِ لَا عَن كَثْرَةِ الْمُتَعَدِّدِ
 وَإِيَّاكَ وَالْإِعْجَابَ وَالْكِبْرَ تُحْظُ بِالسُّ
 سَعَادَةِ فِي الدَّارَيْنِ فَارْشُدْ وَأَرْشِدِ
 وَمَا قَدْ بَدَلْتُ النَّصْحَ جُهْدِي وَإِنِّي
 مُقِرٌّ بِتَقْصِيرِي وَبِاللَّهِ أَهْتَدِي
 نَفَضْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ دَمِيمَةً
 وَلَكِنَّهَا كَالدَّرِ فِي عِقْدِ خُرْدِ

يَحَارُ لَهَا قَلْبُ اللَّيْبِ وَعَارِفِ
كَرِيمَانَ إِنْ جَالًا بِفِكْرِ مُنْضِدِ
فَمَا رَوْضَةٌ حُفَّتْ بِنُورِ رَبِيعِهَا
بَسَلَسَالِهَا الْعَذْبُ الزُّلَالِ الْمُبْرَدِ
بِأَحْسَنَ مِنْ أَبِيَاتِهَا وَمَسَائِلِ
أَحَاطَتْ بِهَا يَوْمًا بِغَيْرِ تَرَدُّدِ
فَخُذْهَا بِدَرْسٍ لَيْسَ بِالتَّوْمِ تُذْرِكُنْ
لِأَهْلِ النُّهْيِ وَالْفَضْلِ فِي كُلِّ مَشْهَدِ
وَقَدْ كَمَلْتَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ
عَلَى كُلِّ حَالٍ دَائِمًا لَمْ يُصَدِّدِ

اللهم يا حي يا قيوم ياذا الجلال والاکرام ثبت محبتك في قلوبنا
وقوها والهمنا يا مولانا ذكرك وشكرك وأمانا من عذابك يوم تبعث عبادك
واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين .

اللهم اليك بدعائنا توجهنا. وبفنائك أنخنا واياك أملنا ولما عندك من
الكرم والجود والاحسان طلبنا ومن عذابك أشفقنا ولغفرانك تعرضنا فاغفر
لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله

اللَّهُمَّ انْهَجْ بِنَا مَنَاجِحَ الْمُفْلِحِينَ وَالْبِسْنَا خِلْعَ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ
وَخُصَّنَا بِنِكَ بِالتَّوْفِيقِ الْمُبِينِ وَوَفَّقْنَا لِقَوْلِ الْحَقِّ وَاتَّبَاعِهِ وَخَلَصْنَا مِنَ
الْبَاطِلِ وَابْتِدَاعِهِ وَكُنْ لَنَا مُؤَيِّدًا وَلَا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عَلَيْنَا يَدًا وَاجْعَلْ لَنَا عَيْشًا
رَغَدًا وَلَا تُشِمْتْ بِنَا عُدْوًا وَلَا حَاسِدًا وَارزُقْنَا عِلْمًا نَافِعًا وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا
وَفَهْمًا ذَكِيًّا وَطَبْعًا صَفِيًّا وَشِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

[قصص ومواعظ رائعة ومطالب عالية]

عن عمارة بن خزيمة الأنصاري أن عمه حدثه وهو من أصحاب النبي ﷺ أن النبي ﷺ أتباع فرساً من أعرابي فاستتبعه النبي ﷺ ليقيضه ثمن فرسه . فأسرع النبي ﷺ المشي وأبطأ الأعرابي . فطفق رجال يعترضون الأعرابي فيساومون بالفرس ولا يشعرون أن النبي ﷺ أتباعه .

حتى زاد بعضهم الأعرابي في السوم على ثمن الفرس الذي أتباعه به النبي ﷺ .

فنادى الأعرابي النبي ﷺ فقال : إن كنت مبتاعاً هذا الفرس فابتعه وإلا بعته .

فقام النبي ﷺ حين سمع نداء الأعرابي فقال : أوليس قد ابتعته منك ؟ قال الأعرابي : لا والله ما بعتك .

فقال النبي ﷺ : بلى قد ابتعته منك . فطفق الناس يلوذون بالنبي ﷺ والأعرابي وهما يتراجعان فطفق الأعرابي يقول : هلم شهيداً يشهد أني بايعتك .

فمن جاء من المسلمين قال للأعرابي : ويحك إن النبي ﷺ لم يكن ليقول إلا حقاً .

حتى جاء خزيمة فاستمع لمراجعة النبي ﷺ ومراجعة الأعرابي وطفق الأعرابي يقول : هلم شهيداً أني بايعتك .

فقال خزيمة أنا أشهد أنك قد بايعته . فأقبل النبي ﷺ على خزيمة فقال : بم تشهد ؟ قال : بتصديقك يا رسول الله . فجعل النبي ﷺ شهادة خزيمة شهادة رجلين .

وقد روي في بعض طرق هذا الحديث أن النبي ﷺ قال
لِحَزِيمَةَ : بِمَ تَشْهَدُ وَلَمْ تَكُنْ مَعَنَا ؟ قال : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَصَدِّقُكَ
بِخَيْرِ السَّمَاءِ أَفَلَا أَصَدِّقُكَ بِمَا تَقُولُ ؟

قال الخطابي : ووجه هذا الحديث أن النبي ﷺ حكم على
الأعرابي بعلمه إذ كان النبي ﷺ صادقاً باراً وجرّت شهادة حزيمة
في ذلك مجرى التوكيد لقوله له ﷺ والاستظهار بها على خصمه .
فصارت في التقدير مع قول رسول الله ﷺ كشهادة رجلين
في سائر القضايا . رحمه الله والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .
(فصل) قال الواقدي عن أشياخ له : إن شيبَةَ بنَ عَثْمَانَ كان يُحَدِّثُ
عن إسلامه فيقول : ما رأيتُ أعجبَ مما كُنّا فيه من لزومِ ما مضى
عليه أبائنا من الضلالات .

فلما كان عام الفتح ودخل النبي ﷺ عُنُوةً قُلْتُ : أَسِيرٌ مَعَ
قُرَيْشٍ إِلَى هَوَازِنَ بِحُنَيْنٍ فَعَسَى إِنْ اِخْتَلَطُوا أَنْ أَصِيبَ مِنْ مُحَمَّدٍ
غِرَّةً فَأَتَأَرُّ مِنْهُ فَأَكُونُ أَنَا الَّذِي قُمْتُ بِنَارِ قُرَيْشٍ كُلِّهَا ، وَأَقُولُ : وَلَوْ
لَمْ يَبْقَ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ أَحَدٌ إِلَّا اتَّبَعَ مُحَمَّدًا مَا اتَّبَعْتُهُ أَبَدًا .
فلما اختلط الناس اقتحم رسول الله ﷺ عن بغلته وأصلت
السيف فدنوت أريد ما أريد منه ورفعت سيفي ، فرُفِعَ لي شِوَاظُ
من نارٍ كالبرقِ حتّى كادَ يَمَحُشُنِي فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَى بَصْرِي خَوْفًا
عليه ، فَالْتَفَتْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنَادَانِي : يَا شَيْبَ بْنَ مَنِ .
فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَمَسَحَ صَدْرِي وَقَالَ : « اللّهُمَّ أَعِذْهُ مِنْ
الشيطان » .

فوالله هو كان ساعته إذ أحب إلي من سمعي وبصري ونفسي
وأذهب الله عز وجل ما كان بي .

ثم قال : اذُنُ فَقَاتِلْ . فَتَقَدَّمْتُ أَمَامَهُ أَضْرِبُ بِسَيْفِي ، اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِي أَحِبُّ أَنْ أَقِيَهُ بِنَفْسِي كُلِّ شَيْءٍ ، وَلَوْ لَقِيتُ تِلْكَ السَّاعَةَ أَبِي لَوْ كَانَ حَيًّا لَأَوْقَعْتُ بِهِ السَّيْفَ .

فلما تراجع المسلمون وكروا كَرَّةً رَجُلٌ وَاحِدٌ قَرَّنتُ بَغْلَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَوَى عَلَيْهَا فَخَرَجَ فِي أَثَرِهِمْ حَتَّى تَفَرَّقُوا فِي كُلِّ وَجْهِ ، وَرَجَعَ إِلَى مُعَسَّكَرِهِ فَدَخَلَ خِجَابَهُ ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ : يَا شَيْبُ ، الَّذِي أَرَادَ اللَّهُ بِكَ خَيْرًا مِمَّا أَرَدْتَ بِنَفْسِكَ .

ثم حدثني بكل ما أضمرت في نفسي مما لم أكن أذكره لأحدٍ قط . فَقُلْتُ : فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ . ثُمَّ قُلْتُ : اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَقَالَ : غَفَرَ اللَّهُ لَكَ .

(فصل) وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « كَمِ مِنْ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ ذِي طِمْرَيْنِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرِهِ مِنْهُمْ الْبِرَاءُ بِنُ مَالِكٍ » .

وإن البراء لقي زحفاً من المشركين وقد أوجع المشركون في المسلمين .

فقالوا له : يَا بَرَاءُ إِنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ إِنَّكَ لَوْ أَقْسَمْتَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرِكَ فَأَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ فَقَالَ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ يَا رَبِّ لَمَا مَنَحْتَنَا أَكْتَاْفَهُمْ فَمُنِحُوا أَكْتَاْفَهُمْ .

ثم التقوا على قنطرة السوس فأوجعوا في المسلمين فقالوا : أَقْسِمُ عَلَى رَبِّكَ ، فَقَالَ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ يَا رَبِّ لَمَا مَنَحْتَنَا أَكْتَاْفَهُمْ وَالْحَقَّتْ بِنَبِيِّكَ ﷺ فَمُنِحُوا أَكْتَاْفَهُمْ وَقُتِلَ الْبَرَاءُ شَهِيدًا .
(فصل) أرسل عمر إلى الكوفة من يسأل عن سعد فكان الناس يثنون عليه خيراً حتى سئل عنه رجل من بني عبس .

فقال : أما إذا أنشدتمونا عن سعد فإنه كان لا يخرج في السرية ولا يعدل بالرعية ولا يقسم بالسوية .

فقال سعد : اللهم إن كان كاذباً قام رياءً وسمعة فأطل عمره وعظم فقره وعرضه للفتن .

فكان يرى وهو شيخ كبير قد تدلَّى حاجباه من الكبر يتعرض للجواري يغمزهنَّ في الطرقات ، ويقول : شيخ كبير مفتون أصابني دعوة سعد .

وكذا سعيد بن زيد كان مجاب الدعوة فقد روى أن أروى بنت أوس استعدت مروان على سعيد وقالت : سرق من أرضي وأدخله في أرضه .

فقال سعيد : اللهم إن كانت كاذبة فأذهب بصرها وأقتلها في أرضها فذهب بصرها وماتت في أرضها .
(فصل) قال إبراهيم بن أدهم : مرض بعض العباد فدخَلنا عليه نعوذ ، فجعل يتنفس ويتأسف ، فقلت له : على ماذا تتأسف ؟ قال : على ليلة نمتها ، ويوم أفطرته ، وساعة غفلت فيها عن ذكر الله عز وجل .

وبكى بعض العباد عند موته ، فقيل له ما يبكيك ؟ فقال : أن يصوم الصائمون ولست فيهم ، ويذكر الذاكرون ولست فيهم ، ويصلي المصلون ولست فيهم . تأمل يا أخي هذه الأمانى لله دَرُه .
عن ابن أبي مليكة قال : لما كان يوم الفتح ركب عكرمة بن أبي جهل البحر هارباً فخبَّ بهم البحر ، فجعلت الصراري (أي الملاحون) يدعون الله ويوحِّدونه .

فقال : ما هذا ؟ قالوا : هذا مكان لا ينفع فيه إلا الله .

قال : هذا إله محمد الذي يدعوننا إليه ، فأرجعوا بنا .
فرجع فأسلم .

وعن مصعب بن سعد ، عن عكرمة بن أبي جهل قال :
قال النبي ﷺ يوم جئته : مرحباً بالراكب المهاجر ، مرحباً بالراكب
المهاجر ، قلت : والله يارسول الله لا أدع نفقة أنفقها عليك إلا
أنفقت مثلها في سبيل الله .

وعن عبدالله بن أبي مليكة أن عكرمة بن أبي جهل كان إذا
اجتهد في اليمين قال : لا والذي نجاني يوم بدر وكان يضع
المصحف على وجهه ويقول : كتاب ربي ، كتاب ربي .
استشهد عكرمة يوم اليرموك في خلافة أبي بكر ، فوجدوا فيه
بضعاً وسبعين من بين ضربته وطعنه ورميته .

(فصل) قال الزبير : وحدثني عمي مصعب بن عبدالله قال : جاء
الاسلام ودار الندوة بيد حكيم بن حزام فباعها بعد من معاوية بن
أبي سفيان بمائة ألف درهم .

فقال له عبدالله بن الزبير : بعته مكرمة قريش ؟ فقال
حكيم : ذهبت المكارم إلا التقوى ، يا ابن أخي إني اشتريت بها
داراً في الجنة أشهدك أني قد جعلتها في سبيل الله .

وعن أبي بكر بن سليمان قال : حج حكيم بن حزام معه
مائة بدنة قد أهداها وجللها الحبرة وكفها عن أعجازها ووقف مائة
وصيف يوم عرفة في أعناقهم أطوقه . الفضة قد نقش في رؤوسها :
« عتقاء الله [عز وجل] عن حكيم بن حزام » . وأعتقهم وأهدى
ألف شاة .

وعن محمد بن سعد يرفعه : أن حكيم بن حزام بكى يوماً ،

فقال له ابنه : مَا يُبْكِيكَ ؟ قال : خِصَالُ كُلِّهَا أَبْكَانِي : أما أولها فَبَطْءُ إِسْلَامِي حَتَّى سُبِقْتُ فِي مَوَاطِنَ كُلِّهَا صَالِحَةً ، وَنَجَوْتُ يَوْمَ بَدْرٍ وَاحِدٍ فَقُلْتُ : لَا أَخْرُجُ أَبَدًا مِنْ مَكَّةَ وَلَا أَوْضِعُ مَعَ قُرَيْشٍ مَا بَقِيَتْ .

فَأَقَمْتُ بِمَكَّةَ وَيَأْبَى اللَّهُ [عَزَّ وَجَلَّ] أَنْ يَشْرَحَ صَدْرِي لِلْإِسْلَامِ وَذَلِكَ أَنِّي أَنْظَرُ إِلَى بَقَايَا مَنْ قُرَيْشٍ لَهُمْ أَسْنَانٌ مَتَمَسِكِينَ بِهَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَقْتَدِي بِهِمْ ، وَيَالَيْتَ أَنِّي لَمْ أَقْتَدِ بِهِمْ فَمَا أَهْلَكْنَا إِلَّا الْإِقْتِدَاءَ بِآبَائِنَا وَكُبْرَانِنَا .

فَلَمَّا غَزَا النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ جَعَلْتُ أَفْكَرُ ، فَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو سَفْيَانَ نَسْتَرْوِحُ الْخَبَرَ فَلَقِي الْعَبَّاسُ أَبَا سَفْيَانَ فَذَهَبَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَرَجَعْتُ فَدَخَلْتُ بَيْتِي ، فَأَغْلَقْتُهُ عَلَيَّ وَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ فَأَمَّنَ النَّاسَ ، فَجِئْتُهُ فَأَسْلَمْتُ وَخَرَجْتُ مَعَهُ إِلَى حُنَيْنٍ .
وَعَنْ عُرْوَةَ أَنَّ حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ أَعْتَقَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِائَةَ رَقَبَةٍ ، وَفِي الْإِسْلَامِ مِائَةَ رَقَبَةٍ وَحَمَلَ عَلَى مِائَةِ بَعِيرٍ .

قال ابن سعد : قال محمد بن عمر : قدم حكيم بن حزام المدينة ونزلها وبنى بها داراً ، ومات بها سنة أربع وخمسين وهو ابن مائة وعشرين سنة رحمه الله والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .
(فصل) عن أبي بَرزَةَ الأَسْلَمِيِّ أَنَّ جُلَيْبِيًّا كَانَ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ ،

وَكَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا كَانَ لِأَحَدِهِمْ أَيْمٌ (أَي لَا زَوْجَ لَهَا) لَمْ يَزُوجْهَا حَتَّى يُعْلِمَ النَّبِيَّ ﷺ : هَلْ لَهُ فِيهَا حَاجَةٌ أَمْ لَا ؟
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ : يَا فُلَانُ زُوجْنِي ابْنَتَكَ . قَالَ : نَعَمْ وَنِعْمَةٌ عَيْنٌ . قَالَ : إِنِّي لَسْتُ لِنَفْسِي

أَرِيدُهَا قَالَ : لِمَنْ ؟ قَالَ : جَلِيْبِيْب . قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ حَتَّى
أَسْتَأْمِرَ (أَي أَشَاوِرُهَا) وَأَمَّهَا .

فَأَتَاهَا فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ ابْنَتَكَ . قَالَتْ :
نَعَمْ وَنِعْمَةٌ عَيْنٌ ، زَوْجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

قَالَ : إِنَّهُ لَيْسَ لِنَفْسِهِ يُرِيدُهَا . قَالَتْ : فَلِمَنْ ؟ قَالَ :
جَلِيْبِيْب . قَالَتْ : حَلَقَى الْجَلِيْبِيْب ؟ لَا لَعَمْرُ اللَّهِ لَا . أَزْوَجُ
جَلِيْبِيْبًا .

فَلَمَّا قَامَ أَبُوهَا لِيَأْتِيَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَتِ الْفَتَاةُ مِنْ خَدْرِهَا
لأَبَوِهَا : مَنْ خَطَبَنِي إِلَيْكُمْ ؟ قَالَا : رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . قَالَتْ :
أَفْتَرُدُونَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَمْرَهُ ؟ اذْفَعُونِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَإِنَّهُ لَنْ
يُضَيِّعَنِي .

فَذَهَبَ أَبُوهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : شَأْنُكَ بِهَا . فزَوَّجَهَا
جَلِيْبِيْبًا .

قَالَ اسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ لِثَابِتٍ : أَتَدْرِي مَا
دَعَا لَهَا بِهِ النَّبِيُّ ﷺ ؟ قَالَ : وَمَا دَعَا لَهَا بِهِ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؟
قَالَ : اللَّهُمَّ صَبِّ عَلَيْهَا الْخَيْرَ صَبًّا وَلَا تَجْعَلْ عَيْشَهَا كَدًّا
كَدًّا .

قَالَ ثَابِتٌ : فزَوَّجَهَا إِيَّاهُ ، فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَغْزَى لَهُ
قَالَ : هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ ؟ قَالُوا : نَفَقْدُ فُلَانًا وَنَفَقْدُ فُلَانًا وَنَفَقْدُ
فُلَانًا ، ثُمَّ قَالَ هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ قَالُوا نَفَقْدُ فُلَانًا وَنَفَقْدُ فُلَانًا ثُمَّ قَالَ هَلْ
تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ قَالُوا لَا ، قَالَ لَكِنِّي أَفْقِدُ جَلِيْبِيْبًا فَطَلَبُوهُ فِي الْقِتْلَى فَنَظَرُوا
فَوَجَدُوهُ إِلَى جَنْبِ سَبْعَةٍ قَدْ قَتَلَهُمْ ثُمَّ قَتَلُوهُ ، فَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ تَفْقِدُ أَصْحَابَهُ قَالَ
بَعْضُهُمْ :

ما كان عيياً لو تَفَقَّدْتَنِي وَقُلْتَ هَلْ أَنْتُمْ أَوْ أُنْجَدَا
فَعَادَةَ السَّادَةِ مِنْ قَبْلُنَا تَفَقَّدُ الْأَتْبَاعَ وَالْأَعْبَادَا
هَذَا سُلَيْمَانُ عَلَى مُلْكِهِ وَهُوَ بِأَخْبَارٍ لَهُ يُقْتَدِي
تَفَقَّدَ الطَّيْرَ وَأَجْنَسَهَا فَقَالَ مَالِي لَا أَرَى الْهُدَّهَا
وَالْمُصْطَفَى أَيْضًا كَمَا سَمِعْتُمْ بِهِ فِي قِصَّةِ الْقَتْلِ كَمَا قَدْ أَتَى

فقال رسول الله ﷺ : هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ ، أَقْتَلُ سَبْعَةَ ثُمَّ قَتَلُوهُ هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ أَقْتَلُ سَبْعَةَ ثُمَّ قَتَلُوهُ هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ .
فَوَضَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى سَاعِدَيْهِ ثُمَّ حَفَرُوا لَهُ مَا لَهُ سَرِيرٌ إِلَّا سَاعِدَي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى وَضَعَهُ فِي قَبْرِهِ .
لِلَّهِ دَرَّةٌ هَذِهِ الْأَنْفُسِ فَمَا أَعَزَّهَا وَهَذِهِ الْهَمَمِ فَمَا أَرْفَعَهَا !

وَلَمَّا رَأَوْا بَعْضَ الْحَيَاةِ مِثْلَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَعِزُّ الْمَوْتِ غَيْرُ مُحَرَّمٍ
أَبَوْا أَنْ يَذُوقُوا الْعَيْشَ وَالذَّمَّ وَقَعَ عَلَيْهِ وَمَاتُوا مَيِّتَةً لَمْ تُذَمَّمِ
وَلَا عَجَبٌ لِلْأَسَدِ إِنْ ظَفَرَتْ بِهَا كِلَابُ الْأَعَادِي مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمِ
فَحَرْبُهُ وَخَشْيُ سَقْتِ حَمْزَةِ الرَّدَى وَحَتْفُ عَلِيٍّ فِي حُسَامِ ابْنِ مُلْجَمِ

فصل : زوى مسلم في أفراده من حديث أنس بن مالك قال :
انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه إلى بدر حتى سبقوا المشركين ،
وجاء المشركون ، فقال رسول الله ﷺ : « قوموا إلى جنة عرضها
السموات والأرض .

قال : عُمَيْرُ بْنُ الْحَمَامِ الْأَنْصَارِيُّ : يَارَسُولَ اللَّهِ جَنَّةٌ عَرْضُهَا
السموات والأرض ؟! قال : نعم . قال : بَخٍ بَخٍ يَارَسُولَ اللَّهِ .
فقال : ما يملك على قولك بَخٍ بَخٍ ؟ قال [لا] والله يارَسُولَ
اللَّهِ إِلَّا رَجَاءُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا ، قال : فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا .
قال : فَأَخْرَجَ تَمْرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُهُنَّ ثُمَّ قَالَ : إِنَّ

أنا حييتُ حتى آكلُ تمراتي هذه إنها حياةٌ طويلة . فرمى بها كان معه من التمر ثم قاتل حتى قُتل .

اللَّهُمَّ افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ وَارْزُقْنَا الْإِقْبَالَ عَلَى طَاعَتِكَ وَالْإِنَابَةَ وَبَارِكْ فِي أَعْمَالِنَا وَأَعْمَارِنَا وَأَجْزِلْ لَنَا الْأَجْرَ وَالْإِنَابَةَ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ .
(فَضْلٌ)

قال الواقدي : لما أراد عمرو بن الجموح الخروجَ إلى أحد ، منعه بنوه ، وقالوا : قد عذرك الله . فجاء إلى النبي ﷺ فقال : إن بني يريدون حبسي عن الخروج معك وإني لأرجو أن أطا بعرجتي [هذه] في الجنة ، فقال : « أما أنت فقد عذرك الله » ثم قال لبنيه : لا عليكم أن لا تمنعوه لعل الله عز وجل يرزقه الشهادة . فخلوا سبيله .

قالت امرأته هند بنت عمرو بن خزام : كأني أنظرُ إليه مؤلياً ، قد أخذ درقته وهو يقول : اللهم لا تردني إلى حربى وهى منازلُ بني سلمة .

قال أبو طلحة : فنظرتُ إليه حين انكشف المسلمون ثم تابوا ، وهو في الرعيل الأول ، لكأني أنظرُ إلى ظلع في رجله وهو يقول : أنا والله مشتاق إلى الجنة !

ثم أنظرُ إلى ابنه خلاد [وهو] يعدو [معه] في إثره حتى قتلا جميعاً .

وفي الحديث أنه دُفن عمرو بن الجموح وعبدالله بن عمر وأبو جابر في قبر واحد ، فخرَّب السيل قبورهم ، فحفر عنهم بعد ست وأربعين سنة فوجدوا لم يتغيروا كأنهم ماتوا بالأمس .

(فصل) عن أنس بن مالك قال : كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ فقال : يَطْلُعُ الْآنَ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ تَنْظِفُ لِحْيَتَهُ مِنْ وَضُوئِهِ قَدْ عَلِقَ نَعْلَيْهِ بِيَدِهِ الشِّمَالِ .
فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : مِثْلُ ذَلِكَ ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى .

فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّلَاثُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ تَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو ، فَقَالَ : إِنِّي لَأَحَيْتُ أَبِي ، فَأَقْسَمْتُ أَنِّي لَا أَدْخُلُ عَلَيْهِ ثَلَاثًا ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتَ . قَالَ : نَعَمْ .
قَالَ أَنْسٌ : فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ الثَّلَاثَ اللَّيَالِي فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ تَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، وَكَبَّرَ حَتَّى لَصَلَاةِ الْفَجْرِ .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعُهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا ، فَلَمَّا مَضَتْ الثَّلَاثُ اللَّيَالِي ، وَكِدْتُ أَنْ أَحْتَقِرَ عَمَلَهُ .

قُلْتُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هُجْرَةٌ ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ : يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ الْمَرَّاتِ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أُوِيَّ إِلَيْكَ .

فَأَنْظِرْ مَا عَمَلُكَ ، فَأَقْتَدِي بِكَ ، فَلَمْ أَرَكَ عَمِلْتَ كَبِيرَ عَمَلٍ ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟

قَالَ : مَا هُوَ إِلَّا مَارَأَيْتَ ، فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي فَقَالَ : مَا هُوَ إِلَّا مَارَأَيْتَ غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا وَلَا أَحْسَدُ أَجْدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ .

فقال عبد الله : هذه التي بَلَغَتْ بِكَ ، رواه أحمد بإسناد على شرط البخاري ومسلم والنسائي والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم (فَضْلٌ) عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ بعث جيشاً فيهم رجل يقال له : حُدَيْر . وكانت تلك السنة قد أصابتهم سَنَةٌ مِنْ قِلَّةِ الطَّعَامِ ، فزَوَّدَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَسِيَ أَنْ يُزَوِّدَ حُدَيْرًا .

فخرج حُدَيْرٌ صَابِرًا مُحْتَسِبًا وهو في آخر الركب يقول : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، والحمد لله ، وسبحان الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . ويقول : نِعْمَ الزَّادُ هُوَ يَا رَبِّ . فهو يرددها وهو في آخر الركب .

قال : فجاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال له : إن ربي أرسلني إليك يُخْبِرُكَ أَنَّكَ زَوَّدْتَ أَصْحَابَكَ وَنَسَيْتَ أَنْ تُزَوِّدَ حُدَيْرًا ، وهو في آخر الركب يقول : لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله فدعا النبي ﷺ رجلاً فدفع إليه زاد حُدَيْرٍ وأمره إذا إنتهى إليه حفظ عليه ما يقول ، وإذا دفع إليه الزاد حفظ عليه ما يقول ، ويقول له : إن رسول الله ﷺ يُقرئك السلام ورحمة الله ، ويُخْبِرُكَ أَنَّهُ كَانَ نَسِيَ أَنْ يُزَوِّدَكَ ، وإن ربي تبارك وتعالى أرسل إليّ جبريل يذكرني بك ، فذكره جبريل وأعلمه مكانك .

فأنتهى إليه وهو يقول : لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ويقول : نِعْمَ الزَّادُ هَذَا يَا رَبِّ . قال : فدنا منه ثم قال له : إن رسول الله ﷺ يُقرئك السلام ورحمة الله وقد أرسلني إليك بِزَادٍ مَعِي ، ويقول : إني إنما نَسَيْتُكَ فَأرسل إليّ جبريل من السماء يُذَكِّرُنِي بِكَ . قال : فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي ﷺ .

ثم قال : الحمد لله رب العالمين ، ذَكَرَنِي رَبِّي مِنْ فَوْقِ سَبْعِ
سَمَوَاتٍ ، وَمِنْ فَوْقِ عَرْشِهِ ، وَرَحِمَ جُوعِي وَضَعْفِي ، يَارَبَّ كَمَا
لَمْ تَنْسَ حُدَيْرًا فَاجْعَلْ حُدَيْرًا لَا يَنْسَاكَ .

قال : فحفظ ما قال ورجع إلى النبي ﷺ فأخبره بها سمع منه
حين أتاه ، وبها قال حين أخبره ، فقال رسول الله ﷺ : أما إنك
لو رفعت رأسك إلى السماء لرأيت لكلامه ذلك نوراً ساطعاً ما بين
السماء والأرض .

عن محمد بن سعد قال : كان ذو البجادين يتيماً لا مال له .
فمات أبوه ولم يورثه شيئاً ، وكفله عمه حتى أيسر .

فلما قدم النبي المدينة جعلت نفسه تتوق إلى الإسلام ولا
يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ عَمِهِ حَتَّى مَضَتِ السُّنُونُ وَالْمَشَاهِدُ .

فقال لعمه : ياعمُ إني قد انتظرتُ إسلامك فلا أراك تريد
محمدًا ، فأذن لي في الإسلام .

فقال : والله لئن اتبعتَ محمدًا لا أتركُ بيدك شيئاً كنتُ
أعطيتهُ إلا نزعتهُ منك ، حتى ثوبيك .

قال : فأنا والله مُتَّبِعٌ مُحَمَّدًا وَتَارِكُ عِبَادَةَ الْحَجَرِ ، وَهَذَا مَا
بِيَدِي فَخُذْهُ ، فَأَخَذَ مَا أَعْطَاهُ حَتَّى جَرَّدَهُ مِنْ إِزَارِهِ .

فأتى أمه ففقطعتُ بجاداً لها بائنين فأتزرَ بواحدٍ وارْتَدَى
بالآخر ثم أقبل إلى المدينة وكان بورقانٍ فاضطجعَ في المسجد في
السَّحَرِ .

وكان رسولُ الله ﷺ يَتَصَفَّحُ النَّاسَ إِذَا أَنْصَرَفَ مِنَ الصُّبْحِ
فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَانْتَسَبَ لَهُ ، وَكَانَ اسْمُهُ عَبْدُ الْعَزْزِيِّ .
فقال : أَنْتَ عَبْدُ اللَّهِ ذُو الْبِجَادِينَ .

ثم قال : انزل مني قريباً . فكان يكون في أضْيَافِهِ حتى قرأ قرآناً كثيراً .

فلما خرج النبي ﷺ إلى تبوك قال : ادع لي بالشهادة . فربط النبي ﷺ على عضده لحي سمره وقال : اللهم إني أحرم دمه على الكفار .

فقال : ليس هذا أردت .

قال النبي ﷺ : إنك إذا خرجت غازياً فأخذتكم الحمى فقتلتكم فأنت شهيد ، أو وقصتكم دأبتك فأنت شهيد . فأقاموا بتبوك أياماً ثم توفي .

قال بلال بن الحارث : حضرت رسول الله ﷺ ومع بلال المؤذن شعلة من نار عند القبر واقفاً بها .

وإذا رسول الله ﷺ وهو يقول : « أدنيا إلي أحاكمها . فلما هيأه لشيئه في اللحد قال : اللهم إني قد أمسيت عنه راضياً فارض عنه » .

فقال ابن مسعود : ليتني كنت صاحب اللحد .

وعن أبي وائل ، عن عبد الله قال : والله لكأني أرى رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبر عبد الله ذي البجادين ، وأبو بكر وعمر يقول : أدنيا إلي أحاكمها .

وأخذه من القبلة حتى أسكنه في لحده ثم خرج النبي ﷺ ووكيأهما العمل .

فلما فرغ من دفنه استقبل القبلة رافعاً يديه يقول : « اللهم إني أمسيت عنه راضياً فارض عنه » .

وكان ذلك ليلاً فوالله لوددت أني مكانه ، ولقد أسلمت قبله بخمس عشر سنة والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

(فصل) عن محمد بن سعد قال : أتى وائِلةُ رسولِ الله ﷺ فصلى معه الصبح . وكان رسولُ الله ﷺ إذا صلى وانصرف تصفَّح أصحابه . فلما دنا من وائِلة قال : من أنت ؟ فأخبره . فقال : ما جاء بك ؟ قال : جئتُ أبايعُ . فقال رسولُ الله ﷺ : فيها أحببتُ وكرهتُ ؟ قال : نعم . قال : فيما أطقت ؟ قال : نعم . فأسلم وبأيعه .

وكان رسولُ الله ﷺ يتجهزُ يومئذٍ إلى تبوك فخرج وائِلة إلى أهله فلقي أباهُ الأسقع فلما رأى حاله قال : قد فعلتها؟ قال : نعم . قال أبوه : والله لا أكلمك أبداً . فأتى عمه فسلم عليه فقال : قد فعلتها ؟ قال : نعم . قال : فلامه أيسر من ملامه أبيه وقال : لم يكن ينبغي لك أن تسبقنا بأمر .

فسمعتُ أختُ وائِلة كلامه فخرجتُ إليه وسلمتُ عليه بتحية الإسلام . فقال وائِلة : أنى لك هذا يا أختي ؟ قالت : سمعتُ كلامك وكلام عمك فأسلمتُ .

فقال : جهزي أخاك جهاز غاز فإن رسولَ الله ﷺ على جناح سفر . فجهزته فلدح برسولِ الله ﷺ قد حمّل إلى تبوك وبقي غبرات من الناس وهم على الشخوص .

فجعل ينادي بسوق بني قينقاع : من يحملني وله سهمي ؟ قال : وكنت رجلاً لا رحلة بي .

قال : فدعاني كعب بن عجرة فقال : أنا أحملك عقبه بالليل وعقبه بالنهار ويدك أسوة يدي وسهمك لي . قال وائِلة : نعم .

قال واثلة : جَزَاهُ اللهُ خَيْرًا لَقَدْ كَانَ يَحْمِلُنِي وَيَزِيدُنِي وَأَكُلُ مَعَهُ وَيَرْفَعُ لِي حَتَّى إِذَا بَعَثَ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى أَكِيدِرِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بِدَوْمَةَ الْجَنْدَلِ .

(فصل) خَرَجَ كَعْبٌ فِي جَيْشِ خَالِدٍ وَخَرَجَتْ مَعَهُ فَأَصَبْنَا فَيْئًا كَثِيرًا فَقَسَمَهُ خَالِدٌ بَيْنَنَا فَأَصَابَنِي سِتُّ قَلَائِصٍ فَأَقْبَلْتُ أَسْوَقَهَا حَتَّى جِئْتُ بِهَا خَيْمَةَ كَعْبِ بْنِ عَجْرَةَ فَقُلْتُ : أَخْرَجَ رَحِمَكَ اللهُ فَانْظُرْ إِلَى قَلَائِصِكَ فَأَقْبِضْهَا .

فَخَرَجَ وَهُوَ يَبْتَسِمُ وَيَقُولُ : بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا مَا حَمَلْتِكَ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَخَذَ مِنْكَ شَيْئًا .

عن بشر بن عبد الله عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال : كُنَّا أَصْحَابَ الصَّفَةِ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَا فِيْنَا رَجُلٌ لَهُ ثَوْبٌ .

وَلَقَدْ اتَّخَذَ الْعَرَقُ فِي جُلُودِنَا طُرُقًا مِنَ الْغُبَارِ ، إِذْ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ : « لِيَبْشِرْ فَقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ » ثَلَاثًا .

(فصل) عن نعيم بن ربيعة بن كعب قال : كُنْتُ أُحْدِثُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَقُومُ لَهُ فِي حَوَائِجِهِ نَهَارِي أَجْمَعُ ، حَتَّى يُصَلِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ .

فَأَجْلَسُ عَلَى بَابِهِ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ ، أَقُولُ : لَعَلَّهَا أَنْ تَحْدُثَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ حَاجَةً . فَمَا أَزَالَ أَسْمَعُهُ سُبْحَانَ اللهِ ، سُبْحَانَ اللهِ ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ حَتَّى أَمَلُّ فَأَرْجِعُ أَوْ تَغْلِبُنِي عَيْنِي فَأَرْقُدُ .

فَقَالَ لِي يَوْمًا لَمَّا رَأَى مِنْ حَفَّتِي (أَيِ الْعِنَايَةِ وَالْخِدْمَةِ) لَهُ وَخِدْمَتِي إِيَّاهُ ، يَا رَبِيعَةَ سَلْنِي أُعْطِكَ . قَالَ : فَقُلْتُ : أَنْظُرْ فِي أَمْرِي يَا رَسُولَ اللهِ ثُمَّ أَعْلِمْكَ ذَلِكَ .

فَقَالَ : فَفَكَّرْتُ فِي نَفْسِي فَعَلِمْتُ أَنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ وَزَائِلَةٌ

وَأَنَّ لِي فِيهَا رِزْقًا سَيِّئًا ، قَالَ : فَقُلْتُ أَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِأَخْرَجِي فَإِنَّهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْمَنْزِلِ الَّذِي هُوَ بِهِ .

فَجِئْتُهُ فَقَالَ : مَا فَعَلْتَ يَارَبِيعَةَ ؟ فَقُلْتُ : أَسْأَلُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ تَشْفَعَ لِي إِلَى رَبِّكَ فَيُعْتِقَنِي مِنَ النَّارِ .

فَقَالَ : مَنْ أَمَرَكَ بِهَذَا يَارَبِيعَةَ ؟ فَقُلْتُ : لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَمَرَنِي بِهِ أَحَدٌ وَلَكِنَّكَ لَمَّا قُلْتَ سَلْنِي أَعْطَكَ وَكُنْتَ مِنَ اللَّهِ بِالْمَنْزِلِ الَّذِي أَنْتَ بِهِ نَظَرْتُمْ فِي أَمْرِي فَعَرَفْتُمْ أَنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ وَزَائِلَةٌ وَأَنَّ لِي فِيهَا رِزْقًا سَيِّئًا .

فَقُلْتُ أَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِأَخْرَجِي . قَالَ : فَصَمَّتْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَوِيلًا ثُمَّ قَالَ لِي : إِنِّي فَاعِلٌ فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ .
(فَضْلٌ) وَأَخْرَجَا فِي الصَّحِيحِينَ ، مِنْ حَدِيثِ قَيْسِ بْنِ عِبَادَةَ قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ فِي نَاسٍ فِيهِمْ بَعْضُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ .

فَجَاءَ رَجُلٌ فِي وَجْهِهِ أَثَرُ خُشُوعٍ ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ : هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ . فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ تَجَوَّزَ فِيهِمَا . ثُمَّ خَرَجَ فَاتَّبَعْتُهُ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَدَخَلْتُ فَأَخْبَرْتُهُ .

فَقَالَ : لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ مَا لَا يَعْلَمُ ، وَسَأَحْدِثُكَ لِمَ ذَاكَ ؟ رَأَيْتُ رُؤْيَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَصَصْتُهَا عَلَيْهِ .

رَأَيْتُنِي فِي رَوْضَةٍ ، وَسَطَ الرَّوْضَةِ عَمُودٌ مِنْ حَدِيدٍ ، أَسْفَلُهُ فِي الْأَرْضِ وَأَعْلَاهُ فِي السَّمَاءِ ، فِي أَعْلَاهُ عُرْوَةٌ .

فَقِيلَ لِي إِرْقَهُ . فَقُلْتُ : لَا أَسْتَطِيعُ . فَجَاءَنِي مِنْصَفٌ ، يَعْنِي خَادِمًا ، فَقَالَ بَشَابِي مِنْ خَلْفِي ، فَأَخَذْتُ بِالْعُرْوَةِ .

فَقَصَصْتُهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : تِلْكَ الرَّوْضَةُ الْإِسْلَامُ ، وَذَاكَ الْعَمُودُ عَمُودُ الْإِسْلَامِ ، وَتِلْكَ الْعُرْوَةُ ، الْعُرْوَةُ

الوثقى ، وأنت على الإسلام حتى تموت ، والرجل عبد الله ابن سلام .

وعن أبي بردة بن أبي موسى قال : قدمت المدينة فأيتت عبد الله بن سلام ، فإذا رجل متخشع ، فجلست إليه فقال : يا ابن أخي إنك جلست إلينا وقد حان قيامنا ، أفتأذن ؟
والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فصل]

بعث عمر بن الخطاب عمير بن سعد عاملاً على حمص فمكث حولا لا يأتيه خبره فقال عمر لكاتبه : أكتب إلى عمير فوالله ما أراه إلا قد خاننا : إذا جاءك كتابي هذا فأقبل وأقبل بما جئيت من فيء المسلمين حين تنظر في كتابي هذا .

قال : فأخذ عمير جرابه فوضع فيه زاده وقصعته وعلق أدواته وأخذ عنزته ثم أقبل يمشي من حمص حتى قدم المدينة .
قال : فقدم وقد شحبت لونه واغبر وجهه وطالت شعرته فدخل على عمر فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله .

قال عمر : ما شأنك ؟ قال : ما ترى من شأني ألسنت تراني صحيح البدن ظاهر الدم ، معي الدنيا أجرها بقرونها ؟

قال عمر : وما معك ؟ وظن عمر أنه جاءه بهال . قال : معي جراي أجعل فيه زادي ، وقصعتي آكل فيها ، وإدواتي أحمل فيها وضوئي وشرابي ، وعنزتي أتوكأ عليها وأجاهد بها عدواً إن عرض لي ، فوالله ما الدنيا إلا تبع لمتاعي .

قال عمر : فجئت تمشي ؟ قال : نعم . قال : أما كان لك أحد يتبرع لك بدابة تركبها ؟ قال : ما فعلوا وما سألتهم ذلك . فقال عمر : بس المسلمون خرجت من عندهم .

فقال عُمَيْرُ : اتَّقِ اللَّهَ يَا عُمَرُ قَدْ نَهَاكَ اللَّهُ عَنِ الْغَيْبَةِ وَقَدْ رَأَيْتَهُمْ يُصَلُّونَ صَلَاةَ الْغَدَاةِ . قال عمر : فَأَيْنَ بَعْثُكَ وَأَيُّ شَيْءٍ صَنَعْتَ ؟ قال : وما سؤالك يا أمير المؤمنين ؟

قال عمر : سبحان الله . فقال عمير : أما إني لولا أخشى أن أغممك ما أخبرتك : بَعْثَنِي حَتَّى أَتَيْتُ الْبَلَدَ فَجَمَعْتُ صُلَحَاءَ أَهْلِهَا فَوَلَّيْتَهُمْ جَبَايَةَ فَيَنْهَمُ حَتَّى إِذَا جَمَعُوهُ وَضَعْتُهُ مَوَاضِعَهُ وَلَوْ نَالَكَ مِنْهُ شَيْءٌ لَأَتَيْتُكَ بِهِ .

قال : فما جئتنا بشيء ؟ قال لا . قال : جَدُّدُوا لِعُمَيْرِ عَهْدًا . قال : إن ذلك شيءٌ لا أعمله لك ولا لأحدٍ بعدك ، والله ما سلمت بل لم أسلم ، لَقَدْ قُلْتُ لِنَصْرَانِي أَخْزَاكَ اللَّهُ ، فهذا ما عَرَّضْتَنِي لَهُ يَا عُمَرُ ، وَإِنْ أَشَقَى أَيَّامِي يَوْمٌ خَلَفْتُ مَعَكَ . ثم استأذنه فأذن له فرجع إلى منزله وبينه وبين المدينة أميال . فقال عمر حين إنصرف عمير : ما أراه إلا قد خاننا .

فَبَعَثَ رَجُلًا يَقَالُ لَهُ الْحَارِثُ وَأَعْطَاهُ مِائَةَ دِينَارٍ وَقَالَ : انْطَلِقْ إِلَى عُمَيْرٍ حَتَّى تَنْزِلَ بِهِ كَأَنَّكَ ضَيْفٌ فَإِنْ رَأَيْتَ أَثَرَ شَيْءٍ فَأَقْبَلْ . وَإِنْ رَأَيْتَ حَالًا شَدِيدًا فَادْفَعْ إِلَيْهِ هَذِهِ الْمِائَةَ الدِّينَارَ . فانطلق الحارثُ فإذا هو بعُمَيْرٍ جالسٍ يَقْبَلِي قَمِيصَهُ إِلَى جَنْبِ الْحَائِطِ فَقَالَ لَهُ عُمَيْرُ : انزِلْ رَحِمَكَ اللَّهُ . فَنَزَلَ ثُمَّ سَأَلَهُ فَقَالَ : مِنْ أَيْنَ جِئْتَ ؟ فَقَالَ : مِنَ الْمَدِينَةِ .

فقال : كيف تركت أمير المؤمنين ؟ فقال صالحاً . قال : فكيف تركت المسلمين ؟ قال : صالحين . قال : أليس يُقيم الحدود ؟

قال : بلى ضرب ابناً له على فاحشة فمات من ضربه . فقال عمير : اللهم أعن عمر فإني لا أعلمه إلا شديداً حبه لك .

قال : فنزل به ثلاثة أيام وليس لهم إلا قرصة من شعير كانوا
يُحْصُونَهُ بِهَا وَيَطْوُونَ حَتَّى آتَاهُمُ الْجَهْدُ . فقال له عميرُ : إنك قد
أَجَعْتَنَا فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَتَّحَوْلَ عَنَّا فَافْعَلْ .

قال : فأخرج الدنانير فدفعها إليه فقال : بعث بها أميرُ
المؤمنين فاستعين بها . قال : فصاح وقال : لا حاجة لي فيها
فردّها .

فَقَالَتْ لَهُ إِمْرَاتُهُ : إِنْ اِخْتَجَّتْ إِلَيْهَا وَإِلَّا فَضَعُهَا فِي
مَوَاضِعِهَا .

فقال عميرُ : والله مالي شيءٌ أجعلها فيه . فشقت المرأةُ
أسفل درعها فأعطته خرقَةً فجعلها فيها ثم خرج فقسمها بين أبناءِ
الشهداءِ والفقراءِ .

ثم رجَعَ والرسولُ يظنُّ أنه يُعْطِيهِ مِنْهَا شَيْئاً فَقَالَ لَهُ عُمَيْرُ :
أَقْرَى مِنِّي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ السَّلَامَ .

فَرَجَعَ الْحَارِثُ إِلَى عُمَرَ فَقَالَ : مَا رَأَيْتَ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ حَالاً شَدِيداً . قَالَ : فَمَا صَنَعَ بِالْدَنَانِيرِ ؟ قَالَ : لَا أَدْرِي .
قَالَ : فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ : إِذَا جَاءَكَ كِتَابِي هَذَا فَلَا تَضَعْهُ مِنْ
يَدِكَ حَتَّى تُقْبَلَ .

فَأَقْبَلَ إِلَى عُمَرَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : مَا صَنَعْتَ
بِالْدَنَانِيرِ ؟ قَالَ : صَنَعْتُ مَا صَنَعْتَ وَمَا سُؤْلُكَ عَنْهَا ؟ قَالَ : أَنْشُدُ
عَلَيْكَ لِتُخْبِرَنِي مَا صَنَعْتَ بِهَا .

قَالَ : قَدَّمْتُهَا لِنَفْسِي . قَالَ : رَحِمَكَ اللَّهُ . فَأَمَرَ لَهُ بِوَسْقٍ
مِنْ طَعَامٍ وَثَوْبَيْنِ . فَقَالَ : أَمَّا الطَّعَامُ فَلَا حَاجَةَ لِي فِيهِ قَدْ تَرَكْتُ
فِي الْمَنْزِلِ صَاعَيْنِ مِنْ شَعِيرٍ .

إِلَى أَنْ أَكَلَ ذَلِكَ قَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالرِّزْقِ وَلَمْ يَأْخُذْ الطَّعَامَ . وَأَمَّا

الثوبان فإنَّ أمَّ فلان عارية . فأخذَهُمَا وَرَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ .
 فلم يلبث أن هلك رحمه الله فبلغ ذلك عمر فشق عليه
 وترحم عليه وخرج يمشي ومعه المشاؤون إلى بَقِيعِ الْغَرْقَدِ .
 فقال لأصحابه : لِيَتَمَنَّ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ أَمْنِيَةَ . فقال رجل :
 يا أمير المؤمنين وددت أن عندي مالا فأعتق لوجه الله كذا وكذا .
 وقال آخر : وددت أن عندي مالا فأنفق في سبيل الله .
 وقال آخر : وددت أن لي قوة فأميح بدلوزمزم لحجاج بيت
 الله .

فقال عمر بن الخطاب : وددت أن لي رجلاً مثلاً عمير بن
 سعدٍ أَسْتَعِينُ بِهِ فِي أَعْمَالِ الْمُسْلِمِينَ . رحمه الله ورضي الله عنه .
 والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فصل يُحْتَوِي عَلَى قِصَصٍ مُفِيدَةٍ]

عن ابن قهاده قال : لم يكن أحد من كبراء قريش ، الذين
 تأخر إسلامهم فأسلموا يوم فتح مكة ، أكثر صلاة ولا صوماً ولا
 صدقة .

ولا أقبل على ما يعنيه من أمر الآخرة ، من سهيل بن
 عمرو ، حتى إن كان لقد شحِبَ لَوْنُهُ . وكان كثير البكاء رقيقاً عند
 قراءة القرآن .

لقد رُئِيَ يُخْتَلِفُ إِلَى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حَتَّى يُقْرَأَ الْقُرْآنَ وَهُوَ
 بمكة ، حتى خرج مُعَاذٌ مِنْ مَكَّةِ .

فقال له ضيرار بن الخطاب : يا أبا يزيد ، تُخْتَلِفُ إِلَى هَذَا
 الْخَزْرَجِيِّ يُقْرَأُ الْقُرْآنَ ؟ أَلَا يَكُونُ اخْتِلَافُكَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ قَوْمِكَ
 من قريش ؟

فقال : يا ضِرَارُ هَذَا الَّذِي صَنَعَ بِنَا مَا صَنَعَ (يشير إلى الكبر والعجب) حتى سبقنا كلَّ السَّبِقِ .

أَيُّ لَعْمَرِي أَخْتَلَفُ [إِلَيْهِ] لَقَدْ وَضَعَ الْإِسْلَامُ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ وَرَفَعَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ قَوْمًا كَانُوا لَا يُذَكِّرُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَيْتَنَا كُنَّا مَعَ أَوْلَيْكَ فَتَقَدَّمْنَا .

وعن الحسن قال : حَضَرَ بَابَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو ، وَالْحَارِثُ وَبِلَالٌ ، وَتِلْكَ الْمَوَالِي الَّذِينَ شَهِدُوا بَدْرًا . فَخَرَجَ آذُنُ عَمْرٍو فَآذَنَ لَهُمْ ، وَتَرَكَ هَؤُلَاءِ .

فقال أَبُو سُفْيَانَ : لِمَ أَرَّ كَالْيَوْمِ قَطُّ ، يَا آذُنُ لِهَؤُلَاءِ الْعَبِيدِ وَنَحْنُ عَلَى بَابِهِ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْنَا ؟

فقال سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو : وَكَانَ رَجُلًا عَاقِلًا : أَيُّهَا الْقَوْمُ إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ أَرَى الَّذِي فِي وُجُوهِكُمْ ، إِنْ كُنْتُمْ غَضَابًا فَاغْضَبُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ .

دُعِيَ الْقَوْمُ وَدُعِيْتُمْ فَاسْرِعُوا وَأَبْطَأْتُمْ ، فَكَيْفَ بِكُمْ إِذَا دُعُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَتُرِكْتُمْ ؟

أما وَاللَّهِ لَمَّا سَبَقُوكُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْفَضْلِ مِمَّا لَا تَرَوْنَ أَشَدُّ عَلَيْكُمْ فَوْتًا مِنْ بَابِكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ تَنَافِسُونَهُمْ عَلَيْهِ . قال : وَنَفَضَ ثَوْبَهُ وَانْطَلَقَ .

قال الحسن : وَصَدَقَ وَاللَّهُ سَهِيلٌ ، لَا يَجْعَلُ اللَّهُ عَبْدًا أَسْرَعَ إِلَيْهِ كَعَبْدٍ أَبْطَأَ عَنْهُ .

وعن أَبِي قُدَامَةَ السَّرْحِيِّ قال : قام العُمَرِيُّ لِلْخَلِيفَةِ عَلَى الطَّرِيقِ فَقَالَ لَهُ : فَعَلْتَ وَفَعَلْتَ . فَقَالَ لَهُ : مَاذَا تَرِيدُ ؟ قَالَ : تَعْمَلُ بِكَذَا وَتَعْمَلُ بِكَذَا . فَقَالَ لَهُ هَارُونَ : نَعَمْ يَا عَمَّ ، نَعَمْ يَا عَمَّ .

وعن سعيد بن سليمان قال : كنت بمكة في زقاق الشطوى
وإلى جنبي عبدالله بن عبدالعزيز العمري وقد حج هارون
الرشيد .

فقال له إنسان : يا أبا عبدالرحمن هوذا أمير المؤمنين يسعى
قد أدخل له المسعى . قال العمري للرجل : لا جزاك الله عني
خيراً ، كلفتني أمراً كنتُ عنه غنياً . ثم تَعَلَّقَ نعليه (أي لبسهما) .
وقام فتبعته وأقبل هارون الرشيد من المروة يريد الصفا
فصاح به : يا هارون ! فلما نظر إليه قال : لَبَيْكَ يَا عَمَّ . قال :
ارْقُ الصِّفا . فلما رَقِيَهِ .

قال : أَرُمُ بِطَرْفِكَ إِلَى الْبَيْتِ . قال : قد فَعَلْتُ . قال :
كم هُم ؟ قال : وَمَنْ يُحْصِيهِمْ ؟ قال : فكَم فِي النَّاسِ مِثْلُهُمْ ؟
قال : خَلَقْتُ لَا يُحْصِيهِمْ إِلَّا اللَّهُ .

قال : اعْلَمَ أَيُّهَا الرَّجُلُ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُسْأَلُ عَنْ خَاصَّةِ
نَفْسِهِ وَأَنْتَ وَحَدِّكَ تُسْأَلُ عَنْهُمْ كُلِّهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ تَكُونُ ؟ قال :
فبكى هارون وجلس وجعلوا يُعْطُونَهُ مَنَدِيلاً مَنَدِيلاً لِلدَّمْعِ .
قال العمري : وأخرى أقولها . قال : قُلْ يَا عَمَّ . قال :
والله إن الرجل لَيُسْرِفُ فِي مَالِهِ فَيَسْتَحِقُّ الْحَجَرَ عَلَيْهِ ، فكيف بمن
يُسْرِفُ فِي مَالِ الْمُسْلِمِينَ ؟ ثم مَضَى وهارون يبكي .

قال محمد بن خلف : سمعت محمد بن عبدالرحمن يقول :
بلغني أن هارون الرشيد قال : إني لأحبُّ أن أحجَّ كل سنة ما
يمنعني إلا رجل من ولدِ عمر ثم يُسمعني ما أكره .

وقد روى لنا من طريق آخر أنه لَقِيَهِ فِي الْمَسْعَى فَأَخَذَ بِلِجَامِ
دَابَّتِهِ فَأَهْوَتْ إِلَيْهِ الْأَجْنَادُ فَكَفَّهِمْ عَنْهُ الرَّشِيدُ فَكَلِمَهُ فَإِذَا دَمْعُ
الرَّشِيدِ تَسِيلٌ عَلَى مَعْرِفَةِ دَابَّتِهِ .

ثم انصرف . وأنه لقيه مرةً فقال : يا هارون فَعَلْتَ
وفَعَلْتَ . فَجَعَلَ يَسْمَعُ منه ويقول : مَقْبُولٌ مِنْكَ يَا عَمَّ ، على
الرأس والعين . فقال : يا أمير المؤمنين مِنْ حَالِ النَّاسِ كَيْتٌ وَكَيْتٌ فَقَالَ :
عن غير علمي وأمرني وخرج العمري إلى الرشيد مرةً ليعظه فلما
نزل الكوفة زحف العسكر حتى لو كان نزل بهم مائة ألف من
العدو ما زادوا على هيئته . ثم رجع ولم يصل إليه .

وعن أبي يحيى الزهري قال : قال عبدالله بن عبدالعزيز العمري
عند موته : بِنِعْمَةِ رَبِّي أَحَدَّثَ أَنِي لَمْ أَصْبِحْ أَمْلِكُ إِلَّا سَبْعَةَ دِرَاهِمٍ مِنْ
الْحَاءِ شَجَرٍ فَتَلَّتُهُ بِيَدِي ، وَبِنِعْمَةِ رَبِّي أَحَدَّثَ : لَوْ أَنَّ الدُّنْيَا أَصْبَحَتْ
تَحْتَ قَدَمِي مَا يَمْنَعُنِي أَخْذَهَا إِلَّا أَنْ أُزِيلَ قَدَمِي عَنْهَا ؛ مَا أَزَلَّتْهَا .

اسْتَسْقَى مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ فِي النَّاسِ فِي سَنَةِ ٩٣ حِينَ أَقْحَطُوا
بِإفريقية فأمرهم بصيام ثلاثة أيام ثم خرج بهم وميَّز أهل الذمة عن
المسلمين وفرَّق بين البهائم وأولادها ثم أمر بالبكاء وارتفاح
الضُّجُجِج وهو يدعُو الله تعالى حتى انتصف النهار ثم نزل فقيل له
ألا دَعَوْتَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فقال : هَذَا مَوْطِنٌ لَا يُذْكَرُ فِيهِ إِلَّا اللهُ
عَزَّ وَجَلَّ فَسَقَاهُمْ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَا قَالَ ذَلِكَ .

كتب زر بن حبيش إلى عبدالملك بن مروان كتاباً يعظه فيه
فكان في آخر : وَلَا يُطْمَعُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي طُولِ الْحَيَاةِ مَا يَظْهَرُ
مِنْ صِحَّةِ بَدَنِكَ فَأَنْتَ أَعْلَمُ بِنَفْسِكَ وَادْكُرْ مَا تَكَلَّمُ بِهِ الْأَوْلُونَ .
إِذَا الرِّجَالُ وُلِدَتْ أَوْلَادُهَا وَبَلِيَتْ مِنْ كِبَرِ أَجْسَادِهَا
وَجَعَلَتْ أَسْقَامُهَا تَعْتَادُهَا فَذِي زَوْعٍ قَدْ دَنَا حَصَادُهَا
فلما قرأ عبدالملك الكتب بكى حتى بل طرف ثوبه بدموعه
ثم قال : صَدَقَ زَرُّ وَلَوْ كَتَبَ إِلَيْنَا بِغَيْرِ هَذَا كَانَ أَرْفَقُ بِنَا

آخر :

إِذَا رَأَيْتَ بُرُوقَ الشَّيْبِ قَدْ بَسَمَتْ بِمَفْرُقٍ فَمُحَيَّا الْعَيْشِ قَدْ كَلَحَا
يَلْقَى الْمَشِيبَ بِأَجْلَالٍ وَتَكْرِمَةٍ مَنْ قَدْ أَعَدَّ مِنَ الْأَعْمَالِ مَا صَلَحَا
اللَّهُمَّ يَا مَنْ عَمَّ الْعِبَادَ فَضْلُهُ وَنِعْمَاؤُهُ ، وَوَسِعَ الْبَرِيَّةَ جُودُهُ وَعَطَاؤُهُ ،
نَسْأَلُ مِنْكَ الْجُودَ وَالْإِحْسَانَ ، وَالْعَفْوَ وَالْغُفْرَانَ ، وَالصَّفْحَ وَالْأَمَانَ ، وَالْعِتْقَ
مِنَ النَّيْرَانِ ، وَتَوْبَةَ تَجَلُّوْا نُورَهَا ظَلَمَاتُ الْإِسَاءَةِ وَالْعِضْيَانِ ، يَا كَرِيمُ يَا
مَنَّانُ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، بَرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ [فِصْل]

وعن الفضل بن الربيع قال : حج أمير المؤمنين الرشيد
فأتاني فخرجت مسرعاً فقلت : يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليّ
أتيتك . فقال : ويحك قد حاك في نفسي شيء فانظر لي رجلاً
أسأله . فقلت : ها هنا سفيان بن عيينة .

فقال : امض بنا إليه . فأتيناه فقرعت الباب فقال من ذا ؟
فقلت : أجب أمير المؤمنين . فخرج مسرعاً فقال : يا أمير المؤمنين
لو أرسلت إليّ أتيتك . فقال له : خذ لما جئناك له رحمك الله .
فحدثه ساعة ثم قال له : عليك دين ؟ قال : نعم . فقال :
أبا عباس اقض دينه فلما خرجنا قال : ما أغنى عني صاحبك
شيئاً ، انظر لي رجلاً أسأله .

فقلت له : ها هنا عبد الرزاق بن همام . قال : امض بنا إليه
فأتيناه فقرعت الباب فقال : من هذا ؟ قلت : أجب أمير
المؤمنين .

فخرج مسرعاً فقال : يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليّ أتيتك .
قال : خذ لما جئناك له .

فحدثه ساعة ثم قال له : عليك دين ؟ قال : نعم . قال :

أبا عباس اقض دينه . فلما خرجنا قال : ما أغنى صاحبك شيئاً
انظر لي رجلاً أسأله » .

قلت : ها هنا الفضيلُ بن عياض . قال : امض بنا إليه .
فأتيناه فإذا هو قائم يصلي يتلو آية من القرآن يرددها . فقال : اقرع
الباب . فقرعت الباب فقال : من هذا ؟ فقلت : أجب أمير
المؤمنين . فقال : مالي ولأمير المؤمنين ؟ فقلت : سبحان الله أما
عليك طاعة ؟

أليس قد روى النبي ﷺ أنه قال « ليس للمؤمن أن يُذل
نفسه » فنزل ففتح الباب ثم ارتقى إلى الغرفة فأطفا المصباح ثم
التجأ إلى زاوية من زوايا البيت .

فدخلنا فجعلنا نجول عليه بأيدينا فسبقت كفَّ هارون قبلي
إليه . فقال : يالها من كف ما ألينها إن نجت غداً من عذاب الله
عز وجل .

فقلت في نفسي : ليكلمنه الليلة بكلام نقي من قلب تقي .
فقال له : خذ لما جئناك له رحمك الله .

فقال : إن عمر بن عبدالعزيز لما ولى الخلافة دعا سالم بن
عبدالله ، ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة فقال لهم : إني
قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا عليّ . فعُدَّ الخلافة بلاء وعدادتها
أنت وأصحابك نعمة .

فقال له سالم بن عبدالله : إن أردت النجاة غداً من عذاب
الله فَصِّم عن الدنيا وليكن إفطارك من الموت .

وقال له محمد بن كعب القرظي : إن أردت النجاة من
عذاب الله ، فليكن كبير المسلمين عندك أباً وأوسطهم أخاً
وأصغرهم عندك ولداً فوقر أباك وأكرم أخاك وتحنن على ولدك .

وقال له رجاء بن حيوة : إن أردت النجاة غدأ من عذاب الله عز وجل فأحب للمسلمين ما تُحِبُّ لنفسك وأكره لهم ما تكرهُ لنفسك ثم مُت إذا شئت .

وإني أقول لك إني أخاف عليك أشدَّ الخوف يوم نزل فيه الأقدام فهل معك رحمك الله مَنْ يشير عليك بمثل هذا ؟
فبكى هارون بكاءً شديداً حتى غشى عليه فقلت له : ارفق بأمر المؤمنين . فقال : يابن أم الربيع تقتله أنت وأصحابك وأرفق به أنا ثم أفاق فقال له : زدني رحمك الله .

فقال : يا أمير المؤمنين بلغني أن عاملاً لعمر بن عبدالعزيز شكاً إليه . فكتب إليه عمر : يا أخي أذكرك طول سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد وإياك أن يُنصَرف بك من عند الله فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء .

قال : فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبدالعزيز فقال له : ما أقدمك ؟ قال : خلعت قلبي بكتابك لا أعود إلى ولاية أبداً حتى ألقى الله عز وجل .

قال : فبكى هارون بكاءً شديداً ثم قال له : زدني رحمك الله . فقال : يا أمير المؤمنين إن العباس عم المصطفى ﷺ جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله أمرني على إمارة فقال له النبي ﷺ «إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة فإن استطعت أن لا تكون أميراً فافعل» .

فبكى هارون بكاءً شديداً وقال له : زدني رحمك الله فقال : يا حسن الوجه أنت الذي يسألك الله عز وجل عن هذا الخلق يوم القيامة ، فإن استطعت أن تقى هذا الوجه من النار فافعل ، وإياك

أن تصبح وتُمسى وفي قلبك غشٌ لأحد من رعيتك فإن النبي ﷺ قال : « من أصبح لهم غاشاً لم يرح رائحة الجنة » .

فبكى هارون وقال له : عليك دينٌ ؟ قال : نعم دينٌ لربي يحاسبني عليه ، فالويل لي إن سألني ، والويل لي إن ناقشني ، والويل لي إن لم ألهم حجتي قال : إنما أعني دين العباد .

قال : إن ربي لم يأمرني بهذا ، أمر ربي أن أوحده وأطيع أمره ، فقال عز وجل ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزقٍ وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ .

فقال له : هذه ألف دينار خذها فأنفقها على عيالك وتقو بها على عبادتك . فقال : سبحان الله أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافئني بمثل هذا ؟ سلمك الله ووفقك .

ثم صمت فلم يكلمنا فخرجنا من عنده فلما صرنا على الباب قال هارون : أبا عباس إذا دَلَلْتَنِي على رجل فدُلَّنِي على مثل هذا ، هذا سيد المسلمين .

فدخلت عليه امرأة من نسائه فقال : يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال فلو قبلت هذا المال ففخرجنا به . فقال لها : مثلي ومثلكم كمثلي قومٍ كان لهم بغير يأكلون من كسبه فلما كبر نَحَرُوهُ فَأَكَلُوا لَحْمَهُ .

فلما سمع هارون هذا الكلام قال : ندخل فعسى أن يقبل المال فلما علم الفضيل خرج فجلس في السطح على باب الغرفة ، فجاء هارون فجلس إلى جنبه فجعل يكلمه فلا يجيبه فبينما نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء فقالت يا هذا قد أتعبت الشيخ منذ الليلة فانصرف رحمك الله فانصرف . تأمل يا أخي هل يُوجَدُ في

زَمَنِنَا مَنْ يَرُدُّ حُطَامَ الدُّنْيَا إِذَا عُرِضَ عَلَيْهِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ
العلي العظيم . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

اللَّهُمَّ اخْتِمِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ أَعْمَارَنَا وَحَقِّقْ بِفَضْلِكَ آمَالَتَنَا وَسَهِّلْ
لِيُبُلُوغِ رِضَاكَ سُبُلَنَا وَحَسِّنْ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ أَعْمَالَتَنَا يَا مُنْقِذَ الْعَرْقَمِيِّ وَيَا
مُنْجِيَ الْهَلَكِيِّ وَيَا دَائِمَ الْإِحْسَانِ أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَأَنْلْنَا مِنْ كَرَمِكَ وَجُودِكَ مَا
تَقَرُّ بِهِ عُيُونُنَا مِنْ رُؤْيَيْكَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْتِنَا وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

[فصل]

دخل سليمان بن عبد الملك المدينة فأقام بها ثلاثا فقال : أما
هاهنا رجل ممن أدرك أصحاب رسول الله ﷺ يحدثنا ؟ فقيل له
هاهنا رجل يقال له أبو حازم .

فبعث إليه فجاء فقال سليمان : يا أبا حازم ما هذا الجفاء ؟
فقال له أبو حازم : وأي جفاء رأيت مني ؟ فقال له : أتاني وجوه
المدينة كلهم ولم تأتني .

فقال : ما جرى بيني وبينك معرفة اتيك عليها ، قال :
صدق الشيخ يا أبا حازم ما لنا نكره الموت ؟ قال : لأنكم عمرتم
دنياكم وخربتم آخرتكم فأنتم تكرهون أن تنقلوا من العمران إلى
الخراب ، قال : صدقت .

يا أبا حازم فكيف القدوم على الله تعالى ؟ قال : أما المحسن
فكالغائب يقدم على أهله فرحا مسرورا ، وأما المسيء فكالأبق
يقدم على مولاه خائفا محزوناً .

فبكى سليمان وقال : ليت شعري ما لنا عند الله يا أبا حازم
فقال أبو حازم : إعرض نفسك على كتاب الله فإنك تعلم ما لك
عند الله .

قال : يا أبا حازم وأنى أصيب تلك المعرفة من كتاب الله قال
عند قوله تعالى ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ .
قال : يا أبا حازم فأين رحمة الله ، قال : قريب من
المحسنين .

قال : يا أبا حازم مَنْ أعقل الناس ؟ قال : مَنْ تعلم
الحكمة وعلمها الناس .

قال : فمن أحمق الناس ؟ قال : من حط نفسه في هوى
رجل وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره .

قال : فما أسمع الدعاء ؟ قال : دعاء المخبتين . قال : فما
أزكا الصدقة ؟ قال : جهد المقل .

قال : يا أبا حازم ما تقول فيما نحن فيه . قال : اعفني من
هذا . قال سليمان : نصيحة تلقيها .

قال أبو حازم : إن ناساً أخذوا هذا الأمر عنوة من غير
مشاورة المسلمين ولا إجماع من رأيهم فسفكوا فيها الدماء على طلب
الدنيا ثم ارتحلوا عنها فليت شعري ما قالوا وما قيل لهم .

فقال بعض جلسائهم : بئس ما قلت يا شيخ .

فقال أبو حازم : كَذَبْتَ إِنَّ اللَّهَ أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى الْعُلَمَاءِ
لِيُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ .

قال سليمان : يا أبا حازم إصحبنا تُصِيبُ منا ونُصِيبُ مِنْكَ
قال : أعود بالله من ذلك . قال : ولم . قال : أخاف أن أركن
إليكم شيئاً قليلاً فيُذيقني ضِعْفَ الحياة وضِعْفَ الممات .

قال : فأشْرَ عَلِيٌّ . قال : اتق الله أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك .

قال : يا أبا حازم ادع لنا بخير فقال : اللهم إن كان سليمان وليك فيسره للخير وإن كان غير ذلك فخذ إلى الخير بناصيته .

فقال : يا غلام هات مائة دينار ثم قال : خذ هذا يا أبا حازم ، قال : لا حاجة لي بها لي ولغيري في هذا المال أسوة فإن واسيت بيننا وإلا فلا حاجة لي فيها إني أخاف أن يكون لما سمعت من كلامي أيّ ثمناً له .

فكان سليمان أعجبَ بأبي حازم فقال الزُّهري : إنه لجاري منذ ثلاثين سنة ما كلمته قط .

فقال أبو حازم : إنك نسيتَ الله فنسيتني ، قال الزهري : اتشتمني ؟

قال سليمان : بل أنت شتمت نفسك أما علمت أن للجار على الجار حقاً .

قال أبو حازم : إن بني إسرائيل لما كانوا على الصواب كانت الأمراء تحتاج إلى العلماء و كانت العلماء تفر بدينها من الأمراء .

فلما رأى قوم من أراذل الناس تعلموا العلم وأتوا به الأمراء استغنت الأمراء عن العلماء واجتمع القوم على المعصية فسقطوا وهلكوا .

ولو كان علماءنا هؤلاء يصونون علمهم لكانت الأمراء تهابهم وتعظمهم . فقال الزهري : كأنك إياي تريد وبني تعرض ، قال : هو ما تسمع « أه .

أحضر الرشيد رجلا ليوليه القضاء فقال له : إني لا أحسن
القضاء ولست بفقير .

قال الرشيد : فيك ثلاث خلال : لك شرف والشرف يمنع
صاحبه من الدناءة .

وفيك حلم يمنعك من العجلة ومن لم يعجل قل خطؤه .
وأنت تشاور في أمرك ومن شاور كثير صوابه ، وأما الفقه
فَنَظْمٌ إِلَيْكَ مَنْ تَتَفَقَّهُ عَلَيْهِ فَوَلَاهُ فَمَا وَجَدَ فِيهِ مَطْعَنَا .
دخل يزيد الرقاشي على عمر بن عبدالعزيز فقال له : عِظْنِي
يا يزيد .

قال : اعلم يا أمير المؤمنين أنك أول خليفة تموت فبكي . عمر
ثم قال : زدني يا يزيد .

قال : يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين آدم إلا أبٌ مَيِّتٌ
فبكي عمر وقال : زدني يا يزيد قال : يا أمير المؤمنين ليس بين الجنة
والنار منزلة فسقط عمر مغشياً عليه رحمه الله .

وقال الرشيد لابن السَّمَاك : عِظْنِي وَكَانَ فِي يَدِ الرَّشِيدِ شَرْبَةُ
مِنْ مَاءٍ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَرَأَيْتَ لَوْ حُبِسَتْ عَنْكَ هَذِهِ الشَّرْبَةُ
أَكُنْتَ تَفْدِيهَا بِمُلْكِكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَلَوْ حُبِسَ عَنْكَ
خُرُوجُهَا أَكُنْتَ تَفْدِيهَا بِمُلْكِكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ .

قال : لا خير في ملك لا يُسَاوِي شَرْبَةَ مَاءٍ وَلَا بَوْلَةَ فَبَكَى
الرشيد .

وقال علي رضي الله عنه لأَسْقُفٍ قَدْ أَسْلَمَ : عِظْنِي فَقَالَ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

قال : إن كان الله معك فمن تخاف . قال : أحسنت زدني .

قال : هب إن الله غفر ذنوب المسيئين أليس قد فاتهم ثواب المحسنين . قال : حسبي حسبي .

وقال سليمان بن عبد الملك لحميد الطويل : عظمي . قال : يا أمير المؤمنين إن كنت إذا عَصَيْتَ الله تعالى ظَنَنْتَ أنه يَرَاكَ فقد إَجْتَرَأْتَ على رب عظيم وإن كنت تظن أنه لا يراك فقد كَفَرْتَ برب كريم . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فصل]

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال « كل عين باكية يوم القيامة إلا عين غضت عن محارم الله وعين سهرت في سبيل الله وعين يخرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله » يعني دمعة مثل رأس الذباب .

قال ابن مسعود رضى الله عنه : أفرس الناس ثلاثة : عزيز مصر حين قال لامراته (أكرمي مثواه) ، والمرأة التي قالت لأبيها عن موسى (يا أبتى استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين) ، وأبو بكر الصديق حين استخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنهما . قال شقيق البلاء لحاتم الأصم : قد صحبتني مدة فماذا تَعَلَّمْتَ مني ؟ قال : ثمان مسائل .

الأولى : نظرت إلى الخلق فإذا كان لشخص محبوب ، عندما يصل إلى القبر يفارقه ، فجعلت محبوبي حسناي لتكون معي في القبر .

والثانية : نظرت إلى قول الله تعالى ﴿ ونهى النفس عن الهوى ﴾ فاجتهدت في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى .

وأما الثالثة : فإنني رأيت كل من معه شيء له قيمة عنده يحفظه ، فنظرت في قوله تعالى ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٌ ﴾ فكلما وقع معي شيء له قيمة وجَّهتهُ إليه ليبقى عنده .

وأما الرابعة : فإنني رأيت الناس يرجعون إلى المال والحسب والشرف ، فنظرتُ إلى قول الله تعالى ﴿ إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَاقَكُمْ ﴾ فعملت بالتقوى لأكون عنده كريماً .

وأما الخامسة : فإنني رأيتُ الناس يتحاسدون فنظرتُ في قول الله تعالى ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ ﴾ فتركتُ الحسد .

وأما السادسة : فإنني رأيتهم يتعادون فنظرتُ في قول الله تعالى ﴿ إِنْ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ فتركتُ عداوتهم واتَّخَذْتُ الشَّيْطَانَ عَدُوًّا .

والسابعة : رأيتهم يذلون أنفسهم في طلب الرزق فنظرتُ في قول الله تعالى ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ فاشتغلتُ بما له علي وتركت ما لي عنده .

وأما الثامنة : فإنني رأيتهم متوكلين على تجارتهم وصنائعهم وصحة أبدانهم فتوكلتُ على الله تعالى .

[فائدة]

إعلم أن ذكر الله تارة يكون لعظمته فيتولد منه الهيبة فالإجلال ، وتارة يكون لقدرته فيتولد منه الخوف والحزن ، وتارة لنعمته فيتولد منه الحمد والشكر ولذلك قيل ذكر النعمة شكرها ، وتارة لأفعاله الباهرة فيتولد منه العبر ، فحق على المؤمن أن لا يَنْفَكُ أبداً من ذكره على أحد هذه الأوجه .

سأل بعضهم وكيعاً عن مقدمه هو وابن إدريس وحفص على

هارون الرشيد فقال : كان أول مَنْ دَعَا به أنا .

فقال لي هارون : يا وكيع إن أهل بلدك طلبوا مني قاضياً
وسمؤك لي فيمن سموا وقد رأيت أن أشركك في أمانتي .
فقلت : يا أمير المؤمنين أنا شيخ كبير وإحدى عيني ذاهبة
والأخرى ضعيفة . فقال هارون : اللهم غفراً خذ عهدك أيها
الرجل وامض .

فقلت : يا أمير المؤمنين والله لئن كنت صادقاً إنه لينبغي أن لا
يقبل مني ولئن كنت كاذباً فما ينبغي أن تولي القضاء كذاباً فقال :
أخرج فخرجت .

ودخل ابن إدريس فسمعنا وقع ركبته على الأرض حين برأه
وما سمعناه يسلم إلا سلاماً خفياً .

فقال له هارون : أتدري لما دعوتك ؟ قال : لا . قال : إن
أهل بلدك طلبوا مني قاضياً وإنهم سمؤك لي فيمن سموا .
وقد رأيت أن أشركك في أمانتي وأدخلك في صالح ما أدخل
فيه من أمر هذه الأمة فخذ عهدك وامض .

فقال له ابن إدريس : وأنا وددت أني لم أكن رأيتك فخرج .
ثم دخل حفص فقبل عهده فأتى خادم معه ثلاثة أكياس
في كل كيس خمسة آلاف .

فقال إن أمير المؤمنين يقرؤك السلام ويقول لكم قد لزمتمكم
في شخوصكم مؤنة فاستعينوا بهذه في سفركم .

قال وكيع فقلت : أقرىء أمير المؤمنين السلام وقل له قد
وقعت مني بحيث يجب أمير المؤمنين وأنا مستغن عنها .
وأما ابن إدريس فصاح به مر من هاهنا أي ردها وقبلها
حفص .

وخرجت الرقعة إلى ابن إدريس من بيننا عافانا الله وإياك

سَأَلْنَاكَ لِأَنَّكَ تَدْخُلُ فِي أَعْمَالِنَا فَلَمْ تَفْعَلْ وَوَصَلْنَاكَ مِنْ أَمْوَالِنَا فَلَمْ تَقْبَلْ .

فإذا جاءك ابني المأمون فحدثه إن شاء الله .

فقال للرسول : إذا جاءنا مع الجماعة حدثناه إن شاء الله .

قام صالح بن عبد الجليل بين يدي المهدي ، فقال : إنه لما سَهَّلَ عَلَيْنَا مَا تَوَعَّرَ عَلَيَّ غَيْرِنَا مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْكَ ، قُمْنَا مَقَامَ الْأَدَاءِ عَنْهُمْ ، وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

بإظهار ما في أعناقنا من فريضة الأمر والنهي ، عند انقطاع عُذْرِ الْكُتْمَانِ ، وَلَا سِيَّامًا حِينَ اتَّسَمَتْ بِمِيسَمِ التَّوَاضُعِ وَوَعَدَتَ اللَّهُ وَحَمَلَةَ كِتَابِهِ بِإِيثَارِ الْحَقِّ عَلَى مَا سِوَاهُ .

فجمعنا وإياك مشهد من مشاهد التمحيص ، ليطمئئنا مؤدينا على موعود الأداء وقابلنا على موعود القبول ، أو يزيدنا تمحيص الله إيانا في اختلاف السر والعلانية ومجئنا حلية الكذابين .

وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون من حجب الله عنه العلم عذبه الله على الجهل وأشد منه من أقبل عليه العلم وأدبر عنه ، ومن أهدى الله إليه علماً فلم يعمل به ، فقد رغب عن هدية الله وقصر بها .

فأقبل ما أهدى الله إليك من ألسنتنا قبول تحقيق وعمل ، لا قبول سمعة ورياء ، فإنه لا يعدمك منا إعلام لما تجهل أو مواطنة على ما تعمل أو تذكير من غفلة .

فقد وطن الله عز وجل نبيه ﷺ على نزولها تعزية عما فات وتمحيصاً من التهادي ودلالة من المخرج فقال جل وعلا ﴿ وَإِنَّمَا يَنْزِعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا بِتَذْكَيرِكَ مُتَفَعِّينَ وَلِكِتَابِكَ وَرَسُولِكَ مُتَّبِعِينَ وَعَلَى طَاعَتِكَ

مُجْتَمِعِينَ وَتَوَفَّنَا رَبَّنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ . « نظم الكبائر لابن عبد القوي »

وَكُنْ عَالِمًا إِنَّ الدُّنُوبَ جَمِيعَهَا بِكُبْرَى وَصُغْرَى قَسَمْتَ فِي المَجُودِ
فَمَا فِيهِ حَدٌّ فِي الدُّنَا أَوْ تَوَعَّدُ

بِأُخْرَى فَسِمَ كُبْرَى عَلَى نَصْرِ أَحْمَدِ
وَزَادَ حَفِيدُ المَجْدِ أَوْ جَا وَعَيْدُهُ

بِنَفْيِ لإِيمَانٍ وَلَعْنِ لِمُبْعَدِ
كَشْرِكٍ وَقَتْلِ النُّفْسِ إِلاَّ بِحَقِّهَا

وَأَكَلِ الرِّبَا والسِّحْرِ مَعَ قَذْفِ نُهْدِ
وَأَكْلِكَ أَمْوَالِ اليَتَامَى بِبَاطِلِ

تَوَلَيْكَ يَوْمَ الرُّحْفِ فِي حَرْبِ جُحْدِ
كَذَلِكَ الرِّزَا نُمُ اللُّوَاطِ وَشُرْبُهُمُ

خُمُورًا وَقَطْعِ لِلطَّرِيقِ المُمَهَّدِ
وَسَرَقَةِ مَالِ الغَيْرِ أَوْ أَكْلِ مَالِهِ

بِبَاطِلِ صُنْعِ القَوْلِ وَالفِعْلِ وَاليَدِ
شَهَادَةِ زُورٍ نُمُ عَقُّ لِوَالِدِ

وَغِيَّةِ مُغْتَابِ نَمِيمَةٍ مُفْسِدِ
يَمِينِ غَمُوسِ تَارِكِ لِصَلَاتِهِ

مُضَلِّ بِلا طَهْرٍ لَهُ بِتَعَمُّدِ
مُضَلِّ بِغَيْرِ الوَقْتِ أَوْ غَيْرِ قِبَلَةٍ

مُضَلِّ بِلا قُرْآنِهِ المُمْتَاكِدِ
قُطُوطِ الفَتَى مِنَ رَحْمَةِ اللهِ نُمُ قُلِّ

إِسَاءَةِ ظَنِّ بِالآلِهِ المُوَحَّدِ

وَأَمَّنْ لِمَكْرِ اللَّهِ ثُمَّ قَطِيعَةً
لِذِي رَحِمٍ وَالْكِبَرِ وَالْخَيْلِ أَعْدَدُ
كَذَا كَذِبٌ إِنْ كَانَ يَرْمِي بِفِتْنَةٍ
أَوْ الْمُفْتَرِي يَوْمًا عَلَى الْمُصْطَفَى أَحْمَدِ
قِيَادَةَ دُيُوثٍ نِكَاحٍ مُحَلَّلٍ
وَهَجْرَةَ عَدْلِ مُسْلِمٍ وَمَوْجِدِ
وَتَرَكَ لِحَجِّ مُسْتَطِيعًا وَمَنْعُهُ
رُكْنًا وَحُكْمَ الْحَاكِمِ الْمُتَقَلِّدِ
بِحَقِّ لِحَلْقِ وَارْتِشَاءِ وَفِطْرُهُ
بِلَا عُذْرِهِ فِي صَوْمِ شَهْرِ التَّعْبِيدِ
وَقَوْلُ بِلَا عِلْمٍ عَلَى اللَّهِ رَبَّنَا
وَسَبُّ الْأَصْحَابِ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ
مُصِرُّ عَلَى الْعِضْيَانِ تَرَكَ تَنْزُهُ
مِنْ الْبَوْلِ فِي نَصِّ الْحَدِيثِ الْمُسَدِّدِ
وَأَتْيَانُ مَنْ حَاضَتْ بِفَرْجٍ وَنَشْرُهَا
عَلَى زَوْجِهَا مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ مُمَهَّدِ
وَالْحَاقِقُ بِالزَّوْجِ مَنْ حَمَلْتَهُ مِنْ
سِوَاهُ وَكَيْتْمَانُ الْعُلُومِ لِمَجْتَدِ
وَتَضْوِيرُ ذِي رُوحٍ وَأَتْيَانُ كَاهِنِ
وَأَتْيَانُ عَرَافٍ وَتَضْدِيقُهُمْ زِدِ
سُجُودٌ لِغَيْرِ اللَّهِ دَعْوَةٌ مَنْ دَعَا
إِلَى بِدْعَةٍ أَوْ لِلضَّلَالَةِ مَا هَدِي
غُلُوقٌ وَنَوْحٌ وَالتَّطْيِيرُ بَعْدَهُ
وَأَكْلٌ وَشُرْبٌ فِي لُجَيْنٍ وَعَسْجِدِ

وَجُورٌ لِمُوصٍ فِي الْوَصَايَا وَمَنْعُهُ
 لِمِيرَاتٍ وَرَأْبٍ إِبَاقٍ لِأَعْبُدِ
 وَإِتْيَانُهَا فِي الدُّبْرِ يَبْعُ لِحُرَّةِ
 وَمَنْ يَسْتَحِلُّ النِّيتَ قِبْلَةَ مَسْجِدِ
 وَمِنْهَا اِكْتِسَابٌ لِلرَّبَا وَشَهَادَةٌ
 عَلَيْهِ وَذُو الْوَجْهَيْنِ قُلٌ لِلتَّوَعُّدِ
 وَمَنْ يَدْعِي أَضْلًا وَلَيْسَ بِأَصْلِهِ
 يَقُولُ أَنَا ابْنُ الْفَاضِلِ الْمُتَمَجِّدِ
 فَيَرْغَبُ عَنِ آبَائِهِ وَجُدُودِهِ
 وَلَا سِيَّمَا أَنْ يَنْتَسِبَ لِمُحَمَّدِ
 وَغُثِّ إِمَامٍ لِلرَّعِيَّةِ بَعْدَهُ
 وَقُتُوعٌ عَلَى الْعَجْمَا الْبَهِيمَةِ يُفْسِدِ
 وَتَرْكٌ لِتَجْمِيعِ إِسَاءَةِ مَالِكِ
 إِلَى الْقَيْنِ ذَا طَبَعٍ لَهُ فِي الْمُعْبَدِ

« موعظة »

اخواني انكم في دار هي محل العبر والآفات ، وانتم على سفر والطريق
 كثيرة المخافات ، فتزودوا من دنياكم قبل الممات ، وتداركوا هفواتكم قبل
 الفوات ، وحاسبوا أنفسكم وراقبوا الله في الخلوات ، وتفكروا فيما أراكم من
 الآيات ، وبادروا بالأعمال الصالحات ، واستكثروا في أعماركم القصيرة من
 الحسنات ، قبل أن ينادي بكم مناد الشتات ، قبل أن يفاجئكم هادم اللذات ،
 قبل أن يتصاعد منكم الأنين والزفرات قبل أن تنقطع قلوبكم عند فراقكم حسرات ،
 قبل أن يعشاكم من غم الموت العمرات ، قبل أن تزعجوا من هذه الحياة قبل
 أن تتمنوا رجوعكم إلى الدنيا وهيئات .

شعرا :

مَا دَارَ دُنْيَا لِلْمُقِيمِ بِدَارِ
مَا بَيْنَ لَيْلٍ عَاكِفٍ وَنَهَارِهِ
طُولُ الْحَيَاةِ إِذَا مَضَى كَقَصِيرِهَا
وَالْعَيْشُ يَعْقِبُ بِالْمَرَارَةِ حُلْوَهُ
وَكَأَنَّمَا تَقْضِي بَيْنَاثِ الرَّدَى
وَالْمَرْءُ كَالطِّيفِ الْمُطِيفِ وَعُمْرُهُ
تَخَطَّبَتْ تَضَاءَلَتْ الْخُطُوبُ لَهُوَلِهِ
نُقِمَى الصُّوَارِمَ وَالرِّمَاحَ لَهُوَلِهِ
إِنَّ الدِّينَ بَنُوا مَشِيدًا وَانْشُوا
سُلْبُوا التُّضَارَةَ وَالنَّعِيمَ فَاصْبَحُوا
تُرَكُّوا دِيَارَهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ
خَلَطَ الْجِمَامُ قَوِيَّهُمْ بِضَعِيفِهِمْ
وَالْخَوْفُ يُعْجِلُنَا عَلَى آثَارِهِمْ
وَتَعَاقَبُ الْمَلُوفِينَ فِينَا نَائِرٌ

وبها النفوسُ فَرِيَسَةُ الأَقْدَارِ
نَفْسَانِ مُرْتَشِفَانِ لِلْأَعْمَارِ
وَالْيَسْرُ لِلْأُنْسَانِ كَالْإِعْسَارِ
وَالصَّفْوُ فِيهِ مُخْلَفُ الأَكْثَارِ
لِفَنَائِنَا وَطَرًّا مِنَ الأَوْطَارِ
كَالنُّومِ بَيْنَ الفَجْرِ وَالْأَسْحَارِ
أَخْطَارُهُ تَعْلُو عَلَى الأَخْطَارِ
وَنَلُودُ مِنْ حَرْبٍ إِلَى اسْتِشْعَارِ
يَسْعُونَ سَعَى الفَاتِكِ الجِبَارِ
مُتَوَسِّدِينَ وَسَائِدِ الأَحْجَارِ
وَتَوَسَّدُوا مَدْرًا بِغَيْرِ دِثَارِ
وَعَنِيهِمْ سَاوَى بِيْذِي الأِقْتَارِ
لَا بُدَّ مِنْ صَبْحِ المُجِدِّ السَّارِي
بِأَكْرَ مَا نَظَّمَا مِنَ الأَعْمَارِ

ثم إعلم يا أجي أن الدنيا لا تدوم لذاتها وكيف يدوم ما من الله به على عباده
وما هو ضرورة في بقاء الآدمي وسبب في إعانته على تحصيل العلم والعبادة
من مطعم ومشرب وملبس ومسجد يصلح فيه وإنما المدموم أخذ الشيء من
غير حله أو تناوله على وجه السرف لا على مقدار الحاجة ويصرف النفس
فيه بمقتضى رعوناتها لا بإذن الشرع فالعاقل يجعلها مطية للأخرة فينفقها في
سبيل الله في المشاريع الدينية من طباعة مصاحف وكتب دينية وعمارة مساجد
وبذل للفقراء الذين لا موارد لهم ونفقات على طلبة العلم الشرعي .

وعن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أنه سمع رجلاً يسب الدنيا فقال
له : إنها لدار صدق لمن صدقها ، ودار عافية لمن فهم عنها ، ودار غنى لمن

نزود منها .

مَسْجِدُ أَحْبَابِ اللَّهِ ، وَمَهْبِطُ وَحْيِهِ وَمُصَلَّى مَلَائِكَتِهِ وَمَتَجَرُّ أَوْلِيَآئِهِ .
اِكْتَسَبُوا فِيهَا الرَّحْمَةَ وَرَبِحُوا فِيهَا الْجَنَّةَ ، فَمَنْ ذَا يَدُمُ الدُّنْيَا وَقَدْ آذَنْتْ
بِفِرَاقِهَا ، وَنَادَتْ بِعَيْبِهَا ، وَنَعَتْ نَفْسَهَا وَأَهْلَهَا ، فَمَثَلَتْ بِبِلَائِهَا وَشَوْقَتْ
بِسُرُورِهَا إِلَى أَهْلِ السُّرُورِ .

فَدَمَّمَهَا قَوْمٌ عِنْدَ التَّدَامَةِ وَمَدَحَهَا آخَرُونَ ، حَدَّثْتَهُمْ فَصَدَقُوا وَذَكَرْتَهُمْ
فَذَكَرُوا .

فِيهَا أَيُّهَا الْمُعْتَرُّ بِالدُّنْيَا الْمُعْتَرُّ بِغُرُورِهَا ، مَتَى اسْتَلَامَتْ إِلَيْكَ الدُّنْيَا ، بَلِ
مَتَى غَرَّتْكَ أِبْمَاضِجِ آبَائِكَ تَحْتَ الثَّرَى ، أَمْ بِمَصَارِعِ أُمَّهَاتِكَ مِنَ الْبَلَى .
كَمْ قَلْبَتْ بِكَفَيْكَ وَمَرَّضَتْ بِيَدِكَ تَطْلُبُ لَهُ الشِّفَاءَ وَتَسْأَلُ لَهُ الْأَطِبَاءَ فَلَمْ
تُظْفِرْ بِحَاجَتِكَ وَلَمْ تُسْعَفْ بِطَلْبَتِكَ قَدْ مَثَلَتْ لَكَ الدُّنْيَا بِمَصْرَعِهِ مَصْرَعَكَ
غَدَاً وَلَا يُغْنِي عَنْكَ بُكَاءُكَ وَلَا يَنْفَعُكَ أَحْبَابُكَ .

وَقَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى كَلَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
فَيَنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ الدُّنْيَا لَا تُدَمُّ مُطْلَقًا وَأَنَّهَا تُحَمَدُ بِالنِّسْبَةِ
إِلَى مَنْ تَزُودَ مِنْهَا الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ وَأَنَّ فِيهَا مَسَاجِدَ الْأَنْبِيَاءِ وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ .
وَهِيَ دَارُ التِّجَارَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ إِكْتَسَبُوا فِيهَا الرَّحْمَةَ وَرَبِحُوا بِهَا الْجَنَّةَ فَهِيَ نِعَمٌ
الدَّارُ لِمَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ .

وَأَمَّا مَا ذَكَرَ مِنْ أَنَّهَا تَغْرُ وَتَخْدَعُ فَإِنَّهَا تُنَادِي بِمَوَاعِظِهَا وَتَنْصَحُ بِعِبَرِهَا
وَتُبْدِي عُيُوبَهَا بِمَا تُرَى مِنْ أَهْلِهَا مِنْ مَصَارِعِ الْهَلَكَى .

وَتَقْلِبُ الْأَحْوَالَ مِنَ الصُّحَّةِ إِلَى السُّقْمِ وَمِنَ الشَّيْبَةِ إِلَى الْهَرَمِ وَمِنَ الْغِنَى
إِلَى الْفَقْرِ وَمِنَ الْعِزِّ إِلَى الذُّلِّ وَلَكِنْ مُحِبِّهَا قَدْ أَعْمَاهُ وَأَصَمَّهُ حُبُّهَا . انتهى اهـ .

موعظه

عِبَادَ اللَّهِ لَا شَيْءَ أَعْلَىٰ عَلَيْكُمْ مِنْ أَعْمَارِكُمْ وَأَنْتُمْ تُضَيِّعُونَهَا فِيمَا لَا فَايِدَةَ فِيهِ . وَلَا عَدُوًّا أَعَدَىٰ لَكُمْ مِنْ إِبْلِيسَ وَأَنْتُمْ تُطِيعُونَهُ ، وَلَا أَضْرًا عَلَيْكُمْ مِنْ مُوَافَقَةِ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ وَأَنْتُمْ تُصَادِقُونَهَا ، لَقَدْ مَضَىٰ مِنْ أَعْمَارِكُمُ الْإِطَائِبُ ، فَمَا بَقِيَ بَعْدَ شَيْبِ الذَّوَائِبِ .

يا حَاضِرَ الْجِسْمِ وَالْقَلْبِ غَائِبُ ، اجْتِمَاعُ الْعَيْبِ مَعَ الشَّيْبِ مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ ، يَمْضِي زَمَنُ الصَّبَا فِي لَعِبٍ وَسَهْوٍ وَغَفْلَةٍ ، يَا لَهَا مِنْ مَصَائِبِ ، كَفَىٰ زَاجِرًا وَعَظْمًا تَشْيِبُ مِنْهُ الذَّوَائِبُ ، يَا غَافِلًا فَاتَهُ الْأَرْبَاحُ وَأَفْضَلُ الْمَنَاقِبِ ، أَيْنَ الْبُكَاءُ وَالْحَزَنُ وَالْقَلْقُ لِخَوْفِ الْعَظِيمِ الطَّالِبِ أَيْنَ الزَّمَانُ الَّذِي فَرَطَتْ فِيهِ وَلَمْ تَخْشَ الْعَوَاقِبَ ، أَيْنَ الْبُكَاءُ دَمًا عَلَىٰ أَوْقَاتِ قَتَلَتْ عِنْدَ التَّلْفِيزِيُونِ وَالْمِذْيَاعِ وَالْكُرَّةِ وَالسِّينَمَاءِ وَالْفِيدِيُو وَالخَمْرِ وَالذُّخَانِ وَالْمَلَاعِبِ .

كَمْ فِي يَوْمِ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ مِنْ دَمْعٍ سَاكِبٍ عَلَىٰ ذُنُوبٍ قَدْ حَوَّاهَا كِتَابُ الْكَاثِبِ ، مَنْ لَكَ يَوْمَ يَنْكَشِفُ عَنْكَ غِطَاؤُكَ فِي مَوْقِفِ الْمُحَاسِبِ ، إِذَا قِيلَ لَكَ مَا صَنَعْتَ فِي كُلِّ وَاجِبٍ ، كَيْفَ تَرَجُّو النِّجَاةَ وَأَنْتَ تَلْهُو بِأَسْرِ الْمَلَاعِبِ ، لَقَدْ ضَيَّعْتَكَ الْأَمَانِي بِالظَّنِّ الْكَاذِبِ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْمَوْتَ صَعْبُ شَدِيدُ الْمَشَارِبِ ، يُلْقِي شَرَّةً بِكَاسِ صُدُورِ الْكَاثِبِ ، وَأَنَّهُ لَا مَفْرَءَ مِنْهُ لِهَارِبٍ فَانظُرْ لِنَفْسِكَ وَاتَّقِ اللَّهَ أَنْ تَبْقَىٰ سَلِيمًا مِنَ النَّوَائِبِ فَقَدْ بَنَيْتَ كَنْسَجَ الْعَنْكَبُوتِ بَيْنَ أَيْنَ الَّذِينَ عَلَوْا فَوْقَ السُّفَنِ وَالْمَرَائِبِ أَيْنَ الَّذِينَ عَلَوْ عَلَىٰ مُتُونِ النَّجَائِبِ ، هَجَمَتْ عَلَيْهِمُ الْمَنَابِيا فَاصْبَحُوا تَحْتَ النَّصَائِبِ وَأَنْتَ فِي آثَرِهِمْ عَنْ قَرِيبٍ عَاطِبٍ ، فَانظُرْ وَتَفَكَّرْ وَاعْتَبِرْ وَتَدَبَّرْ قَبْلَ هُجُومِ مَنْ لَا يَمْنَعُ عَنْهُ حَرَسٌ وَلَا بَابٌ وَلَا يَفُوتُهُ هَرَبٌ هَارِبٌ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« موعظة »

إِخْوَانِي إِنَّ فِي مَوَاعِظِ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي لَعِبْرَةٌ لِدَوِي الْبَصَائِرِ رَكَائِبُ
 أَمْوَاتٍ تُزْعَجُ عَنْ مَقْصُورَاتِ الْقُصُورِ ثُمَّ تُحْمَلُ إِلَى مَضَائِقِ الْقُبُورِ ، فَكَمْ قَدْ
 شَاهَدْتُمْ مِنْ شَخِصِيَّاتٍ فِي الْأَرْضِ ، قَدْ وُضِعَتْ ، وَكَمْ قَدْ عَايَنْتُمْ مِنْ أَبْدَانٍ
 نَاعِمَةٍ فِي الْأَكْفَانِ قَدْ لُفَّتْ وَإِلَى مَضِيقِ الْأَلْحَادِ قَدْ زُفَّتْ فَيَا لَهَا مِنْ غَايَةِ يَسْتَبِقُ
 إِلَيْهَا الْعِبَادُ وَيَا لَهُ مِنْ مِضْمَارٍ يَتَنَاوَبُهُ جَوَادُ بَعْدَ جَوَادٍ وَيَا لَهُ مِنْ هَوْلٍ شَدِيدٍ يَعْقِبُهُ
 أَهْوَالٌ شِدَادٌ فِتْنَةُ قُبُورٍ وَحَشْرٌ فِي مَوْقِفٍ مَهِيلٍ مَوْقِفٌ فِيهِ تَنْقَطِعُ الْأَنْسَابُ
 وَتَخْضَعُ فِيهِ الرِّقَابُ وَتَنْسَكِبُ فِيهِ الْعِبْرَاتُ وَتَتَصَاعَدُ فِيهِ الزَّفَرَاتُ ذَلِكَ مَوْقِفٌ
 تَشْرُ فِيهِ الدَّوَابُّ ، وَتُنْصَبُ فِيهِ الْمَوَازِينُ ، وَيُمَدُّ فِيهِ الصِّرَاطُ ، وَحِينَئِذٍ يَقَعُ
 الْأَمْتِيَّازُ فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَمُكَرَّدَسٌ فِي النَّارِ .
 شِعْرًا :

مَالِي أَرَاكَ عَلَى الذُّنُوبِ مُوَظِبًا أَخَذْتَ مِنْ سُوءِ الْحِسَابِ أَمَانًا
 لَا تَعْقِلَنَّ كَأَنَّ يَوْمَكَ قَدْ أَتَى وَلَعَلَّ عُمْرَكَ قَدْ دَنَا أَوْ حَانَ
 وَمَضَى الْحَبِيبُ لِحْفَرِ قَبْرِكَ مُسْرِعًا وَأَتَى الصَّدِيقُ فَاثْرَ الْجِيرَانَا
 وَأَتُوا بَغْسَالٍ وَجَاءُوا نَحْوَهُ وَبَدَأَ بَغْسَلِكَ مَيْتًا عُرْيَانَا
 فَغَسَلَتْ ثُمَّ كُسِيتَ ثُوبًا لِلْبَلَى وَدَعَا لِحْمَلِ سَرِيرِكَ الْإِخْوَانَا
 وَأَتَاكَ أَهْلُكَ لِلْوَدَاعِ فَوَدَّعُوا وَجَرَتْ عَلَيْكَ دُمُوعُهُمْ غُدْرَانَا
 فَخَفَ الْإِلَهَ فَإِنَّهُ مَنْ خَافَهُ سَكَنَ الْجَنَانَ مُجَاوِرًا رِضْوَانَا
 جَنَّاتِ عَدْنٍ لَا يَبْدُ نَعِيمُهَا أَبَدًا يُخَالِطُ رُوحَهُ رَيْحَانَا
 وَلَمَنْ عَصَى نَارًا يُقَالُ لَهَا لَطَى تَشْوِي الْوُجُوهَ وَتُحْرِقُ الْأَبْدَانَا
 نَبْكَي وَحُقَ لَنَا الْبُكْيُ يَا قَوْمَنَا كَيْ لَا يُؤَاخِذَنَا بِمَا قَدْ كَانَا

مَوْعِظَةٌ :

عِبَادَ اللَّهِ مَضَى رِجَالٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَانُوا يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ خَشْيَةَ الْعَارِفِينَ

الموقنينَ لِذَلِكَ كَانَتْ أَقْوَالُهُمْ وَأَفْعَالُهُمْ مَوْزُونَةٌ بِمَا لِلشَّرْعِ مِنْ مَوَازِينٍ كَانُوا
يَزِنُونَ كَلَامَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَلْفُظُوا بِهِ لِأَنَّهُمْ يُوقِنُونَ أَنَّ خَالِقَهُمْ سَمِعَهَا وَشَهِدَ عَلَيْهَا
وَهُوَ تَعَالَى خَيْرُ شَاهِدٍ .

كَانُوا إِذَا أَظْلَمَ اللَّيْلُ يَقِفُونَ فِي مَحَارِبِهِمْ بَاكِينَ مُتَضَرِّعِينَ لَهُمْ أَيْنُ
كَأَيْنِ الْمَرَضَى وَلَهُمْ حَيْنِينَ كَحَيْنِ الثُّكْلَى وَكَانُوا رَبُّمَا مَرُّوا بِالْآيَةِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ
فَجَعَلُوا يُرَدِّدُونَهَا بِقَلْبٍ حَزِينٍ فَأَثَرَتْ عَلَيْهِمْ وَمَرِضُوا بَعْدَهَا مَاتَ أَوْلِيكَ السَّلْفِ
الصَّالِحِ الَّذِينَ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمُنَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا .

وَمَاتَتْ تِلْكَ الْخَشِيَّةُ وَأَعْقَبَهَا قَسْوَةٌ أَذْهَلَتْ الْعِبَادَ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ فَصَارُوا
يَأْتُونَ وَيَذَرُونَ مَا يَذَرُونَ دُونَ سُؤَالٍ عَنِ سَخِطِ اللَّهِ وَرِضَاهِ .

وَعَدَّتْ جَوَارِحُهُمْ مُطْلَقَةً فِي كُلِّ مَا يُغَضِبُ اللَّهَ وَصَارَتْ أَفْعَالُهُمْ فَوْضَى
لَيْسَ لَهَا ظَوَابِطُ وَلَا قِيُودُ الْعَيْنِ تَجُولُ فِي الْمَنَاطِرِ الْمُحَرَّمَةِ مِنْ نِسَاءِ سَافِرَاتٍ
إِلَى سَيْنَمَاءٍ إِلَى تَلْفِزِيُونٍ إِلَى الْفَيْدِيُو مُعَلِّمِ الْفَسَادِ إِلَى كُورَةِ إِلَى مَجَلَاةٍ فِي
طَيْهَا الشُّرُورُ إِلَى صُورَةِ مُجَسَّدَةٍ وَغَيْرِ مُجَسَّدَةٍ إِلَى كُتُبِ هِدَامَةِ لِلْأَخْلَاقِ إِلَى
غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ الَّتِي تَجْرَحُ الْقُلُوبَ .

وَالْفَرْجُ يَسْرَحُ كَمَا شَاءَ إِلَى الْفَوَاحِشِ الدِّينِ ضَعِيفِ وَالْخُلُقِ فَاسِدِ
وَالْأُذُنُ لَا تَسْبَعُ مِنْ سَمَاعٍ مَا يُسَخِطُ رَبُّهَا وَالْبَطْنُ يَسْتَزِيدُ مِنْ سُحْبِ
الْأَقْوَاتِ .

وَأَمَّا الْيَدُ فَحَدَّثَتْ وَلَا حَرَجَ فِي تَعَدِّي الْحُدُودِ وَأَمَّا اللِّسَانُ فَلَيْلَهُ وَنَهَارُهُ
يَتَحَرَّكُ وَيَتَقَلَّبُ فِي مُنْكَرِ الْقَوْلِ وَزُورِهِ وَلَا كَانَ رَبُّهُ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ الْعَلِيمُ
مَوْجُودٌ وَتَرَاهُ يَطْعَنُ فِي أَعْرَاضِ الْغَوَافِلِ وَيُمزِقُ جُلُودَهُمْ فِي السُّبِّ وَالغِيْبَةِ
وَالْبَهْتِ وَالْكَذِبِ وَلَا يَعِيفُ عَنِ عَرَضِ أَيِّ بَشَرٍ .

وَيَحْلِفُ بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ كُلِّ يَوْمٍ مَرَاتٍ وَلَا يَهْمُهُ أَبْرٌ فِي يَمِينِهِ أَمْ فَجَرَ
وَأَمَّا وَعُودُهُ وَعَهْودُهُ وَعَقُودُهُ فَتُهْمَلُ وَلَا كَأَنَّهُ مُكَلَّفٌ بِاحْتِرَامِهَا فَهَذَا وَأَمْثَالُهُ قَدْ

انْهَمَكُوا فِي الْمَعَاصِي وَتَوَعَّلُوا فِيهَا وَصَارَتْ عِنْدَهُمْ عَادَاتٌ وَشَيْءٌ طَبِيعِيٌّ
مَأْلُوفٌ لَهُمْ .

وَلِذَلِكَ إِذَا مَرَرْتَ بِهِمْ أَوْ مَرَرْتَ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ اسْتَوْحَشْتَ مِنْ سَمَاعِ
الْأَغَانِي وَالرَّقْصِ وَالْمُطَرِّبِينَ وَالسَّبَبِ وَاللَّعْنِ وَالْقَذْفِ وَالِاسْتِهْزَاءِ بِالذِّينِ
وَأَخَذْتَ فِي الْعَجَبِ بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَأَوْلَيْكَ الَّذِينَ فِي أَوْقَاتِ التَّجَلِّيَاتِ فِي
حَنَادِسِ الظُّلَمِ يُنَاجُونَ رَبَّهُمْ رَاغِبِينَ فِي رِضْوَانِ الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ خَائِفِينَ مِنْ
سَخَطِ الْمُتَنَبِّهِمِ الْقَهَّارِ مُتَّفَكِّرِينَ فِي سُرْعَةِ حُلُولِ الْمَنَآيَا الَّتِي تُسَارِعُ الْأَيَّامَ
وَالْيَالِيَّ فِي اقْتِرَابِهَا وَمُوقِنِينَ بِأَنَّهُمْ مُحَاسِبُونَ عَلَى الْفَيْتِيلِ وَالنَّقِيرِ وَالْقِطْمِيرِ
عَالِمِينَ بِأَنَّهُمْ مَكْلُفُونَ بِوَاجِبَاتِ عِبُودِيَّةٍ مَا قَامُوا بِالْقَلِيلِ مِنْهَا وَهُمْ عَنْهَا
مَسْئُولُونَ وَعَلَى مَا قَدَّمُوهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ قَادِمُونَ .

وَهَلْ حَالٌ هَؤُلَاءِ السُّعْدَاءِ فِي جَانِبِ أَوْلَيْكَ التُّعَسَاءِ الْأَشْقِيَاءِ إِلَّا كَحَالِ
الْمُصَابِ بِالْجُنُونِ فِي جَانِبِ أَوْفَرِ النَّاسِ عَقْلاً وَأَكْمَلِهِمْ وَقَاراً فَأَكْثَرُ يَا أُخِي مِنْ
قَوْلِكَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانَا مِمَّا ابْتَلَانَا اللَّهُ يُعَافِيهِمْ وَلَا يَبْلَانَا قَالَ تَعَالَى « قُلْ
إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ
الْمُبِينُ »

وَكُلْ كَسْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَجْبُرُهُ

وَمَا لِكَسْرِ قَنَاةِ الدِّينِ جُبْرَانُ

فَتَنَّبَهُ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ وَاَعْلَمْ أَنَّكَ مَسْئُولٌ عَنْ كُلِّ مَا تَعْمَلُ لَا مُهْمَلٌ
كَالْأَنْعَامِ فَانْهَجْ نَهَجَ الْإِسْتِقَامَةِ وَرَاقِبْ رَبَّكَ فِي مَصَادِرِكَ وَمَوَارِدِكَ لِتَقِفَ عِنْدَ
الْحُدُودِ قَالَ بَعْضُ الْمُرْشِدِينَ إِلَى مَعَالِمِ الرُّشْدِ ضَارِباً لِذَلِكَ مَثَلاً .

وَاَعْلَمْ أَنَّ الْإِنْسَانَ فِي تَقَلُّبِهِ فِي أَطْوَارِ حَيَاتِهِ كَمَثَلِ غَرِيبٍ أَلْقَتْ بِهِ
الْمَقَادِيرُ إِلَى قَوْمٍ اسْتَقْبَلُوهُ بِتَرْحَابٍ وَتَكْرِيمٍ وَكَانَ ذَلِكَ النَّازِلُ قَائِدَ الْقَوْمِ غَيْرِ
عَالِمٍ بِمَا عَلَيْهِ الْقَوْمُ مِنَ الشُّؤْنِ وَلَا يَدْرِي مِنْ أَيْنَ أَتَى وَلَا إِلَى أَيْنَ يَذْهَبُ .

فَقَامَ الْقَوْمُ بِوَأَجْبَاتِ خِدْمَتِهِ وَإِكْرَامِهِ حَتَّى قَوِيَتْ حَوَاسُهُ وَجَوَارِحُهُ
وَمَدَارِكُهُ وَأَخَذَ يَعْمَلُ كَمَا يَعْمَلُ الْقَوْمُ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ عُقَلَانِهِمْ قَائِلًا يَا هَذَا إِنَّ
هَذِهِ الدَّارَ الَّتِي تَوَطَّنَهَا مُكْرِمُوكَ مَا هِيَ دَارُ إِقَامَةٍ وَلَا هِيَ مَمْلُوكَةٌ لِأَحَدٍ مِنَ
الْخَلْقِ وَلَكِنَّهُمْ أَمْثَالُكَ نُزَلَاءً مَنْ كَانُوا يَعْمُرُونَ هَذِهِ الدَّارَ قَبْلَهُمْ ثُمَّ رَحَلُوا
وَتَرَكُوهَا وَمَا كَانَ رَحِيلُهُمْ إِلَى مَكَانٍ بَعِيدٍ وَلَكِنَّهُ كَانَ إِلَى سِجْنِ ضَيْقٍ وَمَكَانٍ
مُظْلِمٍ لَوْ أُرْسِلْتَ بِبَصْرِكَ لَرَأَيْتَهُ وَقَدْ فَقَدُوا تِلْكَ الْقُوَى وَتَنَاسَوْا ذَلِكَ النَّعِيمَ .

ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ إِلَى مَكَانٍ قَفْرٍ وَأَعْنِي بِهِ الْمَقْبَرَةَ وَقَالَ لَهُ هَذَا مَرَاغُ الْقَوْمِ
وَمَسْقَطُ رُؤْسِهِمْ وَإِنَّ الطَّرِيقَ الَّتِي تُوصِلُكَ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ هِيَ الطَّرِيقُ الَّتِي
سَلَكَهَا مُكْرِمُوكَ وَإِنَّهَا لَطَّرِيقُ ذَاتِ عَقَبَاتٍ مُهْلِكَةٍ وَأَلْهَا أَوْحَالَ مَنْ تَوَرَّطَهَا هَلَكٌ
وَلَا مَبْخَلَصٌ مِنْ تِلْكَ الْأَوْحَالِ إِلَّا بَتَجَنُّبِ تِلْكَ الْعَقَبَاتِ أَوْ تَجَاوُزِهَا عَدْوًا .

فَإِنْ رُمْتَ السَّلَامَةَ فَسِرْ فَرِيدًا مُتَحَفِّظًا مِنْ تَخَاصُمِ الْقَوْمِ وَتَنَازُعِهِمْ وَمِنْ
مَلَاهِيهِمْ وَالْعَابِيهِمْ وَلَا تُصْغِرْ لِمَنْ يُنَادِيكَ مِنْ خَلْفِكَ فَإِنَّ الَّذِي يُنَادِيكَ مِنْ
خَلْفِكَ فِي طَرِيقِ النُّجَاةِ هُوَ أَجْهَلُ مِنْكَ بِهَا وَلَا تُخَالِفْ مَنْ نَادَاكَ مِنَ الْأَمَامِ
فَإِنَّهُمْ أَدْرَى مِنْكَ بِمَفَاوِزِ الطَّرِيقِ .

وَأَيَّاكَ أَنْ تَشْتَبِهَ عَلَيْكَ الطَّرِيقُ وَأَصْوَاتُ الْمُنَادِينَ فَإِنَّ طَرِيقَ السَّلَامَةِ لَهَا
أَعْلَامٌ وَمَصَابِيحٌ نَبِيْرَةٌ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مَرَحَلَةٍ مِنْ مَرَاجِلِهَا وَأَمَّا بَاقِي الطَّرِيقِ فَإِنَّهَا
مُظْلِمَةٌ مُوْجِسَةٌ مُهْلِكَةٌ وَمَا هِيَ إِلَّا طَرِيقٌ وَاحِدَةٌ وَلَكِنَّهَا ذَاتُ شُعْبٍ وَمَسَارِبٍ
كَثِيرَةٍ .

فَاحْذَرُ أَنْ تَتَهَاوَنَ بِنَفْسِكَ كَمَا تَهَاوَنَ الْقَوْمُ بِنَفْسِهِمْ فَهَلَكُوا وَهُمْ لَا
يَشْعُرُونَ فَإِنَّ كَانَ النَّازِلُ الْغَرِيبُ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِيَتَعَقَلَ النَّصَائِحَ وَذَا قَابِلِيَّةٍ تَقْبَلُ

الارشاد وَقَفَ عَلَى افْوَاهِ الطَّرِيقِ وَفَتَحَ عَيْنَيْهِ وَاسْتَعْمَلَ فِكْرَهُ وَتَبَصَّرَ فِي أَمْرِهِ
وَتَدَبَّرَ عَوَاقِبَ مَا عَلَيْهِ الْقَوْمُ وَأَخَذَ لِنَفْسِهِ بِأَحْوَابِ الْأَحْوَالِ وَأَقْرَبَهَا إِلَى السَّلَامَةِ
وَجَعَلَ عَيْنَهُ مُتَّجِهَةً لِلنَّظَرِ إِلَى مَنَازِلِ الرَّاحِلِينَ الَّتِي لَا أُنَيْسَ بِهَا وَلَا جَلِيسَ .

وَتَأَمَّلَ سُرْعَةَ الرَّحِيلِ وَقَصَرَ أَوْقَاتِ الْأَقَامَةِ وَتَجَنَّبَ الْأَلْعَابَ وَالْمَلَاهِي
وَسَلَكَ سَبِيلَ الْمُهْتَدِينَ وَإِنْ كَانَ ضَيِّقَ الْحَضِيرَةِ قَاصِرَ النَّظَرِ ضَعِيفَ الْهِمَّةِ
ضَائِعَ الْعَقْلِ سَيِّءَ التَّصَوُّرِ فَاقْدِ الْفِكْرَ حَيْثُ الِاسْتِعْدَادِ لِيَتِمَّ الطَّبَعُ لَا يَجِدُ
بُدْأً مِنْ مُنَازَعَةِ اللَّاعِبِينَ وَمُسَابَقَةِ الْأَهْلِينَ وَتَغَافَلَ عَنْ عَاقِبَةِ أَمْرِهِ وَسُوءِ مَصِيرِهِ
وَتَبَاعَدَ عَنْ صِيَاحِ النَّاصِحِينَ وَأَضْغَى إِلَى مُدَاهَنَةِ الْغَاوِينَ أَصْبَحَ مِنَ
النَّادِمِينَ .

وَمَا ضَرَبْنَا لَكَ هَذَا الْمَثَلَ إِلَّا لِتَعْلَمَ أَنَّكَ أَنْتَ الْغَرِيبُ الَّذِي نَزَلْتَ يَوْمَ
وَلَدْتِكَ أُمَّكَ بِقَوْمِكَ وَأَنْتَ ضَعِيفُ الْقُوَى لَا تَعْلَمُ شَيْئًا كَمَا قَالَ تَعَالَى « وَاللَّهُ
أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ
وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » فَفَرِحَ بِكَ قَوْمُكَ وَأَكْرَمُوكَ إِلَى أَنْ قَوِيَتْ الْآتُ
أَعْمَالِكَ وَصِرَتْ تُحْسِنُ الرَّحِيلَ وَحَذَكَ .

وَنُرِيدُ بِالرَّحِيلِ هُنَا سُلُوكَ إِحْدَى الطَّرِيقَيْنِ إِمَّا طَرِيقَ الْكَمَالَاتِ وَإِمَّا
طَرِيقَ النَّقَائِصِ لِأَنَّهُمَا مَسَارِبَ الْمَكْلُفِينَ الَّذِينَ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنَ السَّيْرِ فِيهَا
لِلْوُصُولِ إِلَى أَحَدِ الْغَايَتَيْنِ فَإِنَّهُ مَا مِنْ طَرِيقٍ إِلَّا وَلَهَا غَايَةٌ يَنْتَهِي إِلَيْهَا مَسِيرُ
سَالِكِهَا .

وَمَا نُرِيدُ بِالرَّجُلِ الْعَاقِلِ الْمُرْشِدِ إِلَّا صَاحِبَ الرِّسَالَةِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ أَوْ النَّائِبَ عَنْهُ فِي تَبْلِيغِهَا وَمَا نُرِيدُ بِمَنْ يُنَادِيكَ مِنَ الْأَمَامِ إِلَّا السَّلْفُ

الصَّالِحُ الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَبَيَّنُّوا لَنَا طَرِيقَ النِّجَاةِ أَوْ الْأَتْقِيَاءِ الْمُقْتَنُونَ
لآثَارِهِمُ الَّذِينَ ثَبَّتَ اسْتِقَامَتَهُمْ .

وَمَا نُرِيدُ بِالَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ خَلْفِكَ إِلَّا الَّذِينَ لَا قَدَمَ لَهُمْ فِي طَرِيقِ
النُّبُوَّةِ فَلَمْ يَسْلُكُوا سَبِيلَ الْمُهْتَدِينَ بَلْ اعْتَمَدُوا فِي آرْشَادِهِمْ عَلَى مَقَالٍ لَا حَالَ
مَعَهُ وَلَا عَمَلَ وَهَذَا لَا تَصْلُحُ مُتَابَعَتُهُ لِأَنَّهُمْ أَجْهَلُ النَّاسِ بِطَرِيقِ الْاسْتِقَامَةِ .

وَمَا أَهْلُ الْاسْتِقَامَةِ إِلَّا الَّذِينَ رَاقَبُوا قُلُوبَهُمْ وَأَمْسَكُوا السِّتْمَةَ وَطَهَّرُوا
أَقْلَامَهُمْ فَلَا عَزَمَ لَهُمْ إِلَّا عَلَى أَعْمَالِ الْبِرِّ وَالْمُوَاسَاةِ وَلَا يَقُولُونَ إِلَّا الْحَقَّ
الْمُنْجِيَّ وَلَا يَكْتُبُونَ إِلَّا مَا لَوْ سُئِلُوا عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَحْسَنُوا الْإِجَابَةَ وَالَّذِينَ
يَذْكُرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالْبَكَوُونَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ
الْمُقْتَنُونَ لآثَارِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُخْلِصُونَ لِلَّهِ فِي جَمِيعِ أَعْمَالِهِمْ .

شِعْرًا :

لَعَمْرِي إِنَّ الْمَجْدَ وَالْفَخْرَ وَالْعُلَا
لِمَنْ يُخْلِصُ الْأَعْمَالَ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَيَدْعُو إِلَيْهِ بِالضُّحَى وَالْأَصَائِلِ

اللهم اجعلنا من عِبَادِكَ الْمُحِبِّينَ ، الغرِّ الْمُحَجَّلِينَ الوَفِدِ الْمُتَقَبِّلِينَ .
اللهم إنا نَسْأَلُكَ حَيَاةً طَيِّبَةً ، وَنَفْسًا تَقِيَّةً ، وَعَيْشَةً نَقِيَّةً ، وَمِيتَةً سَوِيَّةً ،
وَمَرَدًا غَيْرَ مُخْزِيٍّ وَلَا فَاضِحٍ .

اللهم اجعلنا من أَهْلِ الصَّلَاحِ وَالنَّجَاحِ وَالْفَلَاحِ ، وَمِنَ الْمُؤَيَّدِينَ بِنَصْرِكَ
وَتَأْيِيدِكَ وَرِضَاكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .

اللهم افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

موعظة

عِبَادَ اللَّهِ يَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَا دُمْتُمْ فِي هَذِهِ الدَّارِ فَانْتُمْ فِي دَارِ

المُعَامَلَاتِ ، وَأَنَّ لَكُمْ دَارًا أُخْرَى أُبْدِيَّةً ، فِيهَا تَسْتَوْفُونَ مَا لَكُمْ عَلَى هَذِهِ
المُعَامَلَاتِ مِنْ جَزَاءَتِ ، فَإِنْ أَحْسَبْتُمْ هُنَا أَوْسَاتِمَ ، كَانَ جَزَاؤُكُمْ هُنَاكَ إِحْسَانًا أَوْ
إِسَاءَاتِ ، هَكَذَا وَعَدَّكُمْ رَبُّكُمْ ، وَهُوَ عَلِيمٌ بِكُلِّ الْأَعْمَالِ ، وَعَلَى جَزَائِكُمْ عَلَيْهَا
قَدِيرٌ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ، فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ، أَحْصَاهُ اللَّهُ
وَنَسُوهُ) وَقَالَ (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ
شَيْئًا ، وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ، وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ) وَقَالَ
(يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا ، وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهِيَ لَا
يُظْلَمُونَ) مِنْ هَذَا قَطْعًا تَعَلَّمَ أَنَّ شَأْنَ هَذِهِ الْمُعَامَلَاتِ عَظِيمٌ ، عَظِيمًا لَا يَعْرِفُ قَدْرَهُ
إِلَّا الرَّجُلُ الْعَاقِلُ ، الْبَعِيدُ النَّظْرُ الْحَكِيمُ ، فَإِنَّ عَلَيْهَا يَتَرْتَّبُ غَضَبُ اللَّهِ ، وَعِقَابُهُ
أَوْرِضَاهُ ، وَالنَّعِيمُ الْمُقِيمُ ، وَشَيْءٌ هَذَا قَدْرُهُ لَا يَتَوَقَّفُ وَلَا يَتَرَدَّدُ فِي بَدَنِ الْعِنَايَةِ بِهِ
رَجُلٌ بَصِيرٌ ، وَهَذِهِ الْمُعَامَلَاتُ تَارَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ ، وَتَارَةٌ تَكُونُ مَعَ عِبَادِ
اللَّهِ ، فَأَمَّا الْمُعَامَلَةُ مَعَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا فَبِأَنَّ تَسْمَعَ وَتُطِيعَ فِيمَا أَمَرَ وَنَهَى ، وَأَمَّا
مُعَامَلَتُكَ مَعَ عِبَادِ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَبِأَنَّ تُحِبُّ لَهُمْ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ ، وَذَلِكَ بِأَنَّ
تَجْعَلُ نَفْسِكَ مِيزَانًا فِي مُعَامَلَةٍ كَبِيرِهِمْ وَصَغِيرِهِمْ ، أَنْتَ تَكْرَهُ إِسَاءَتَهُمْ لَكَ ،
وَتُحِبُّ إِحْسَانَهُمْ ، فَاحْذَرِ إِسَاءَتَهُمْ ، وَعَامِلِهِمْ بِالْإِحْسَانِ ، وَكَمَا تَكْرَهُ أَنْ يَمْسُوا
مَالَكَ بِسُوءٍ ، فَلْتَكُنْ أَمْوَالُهُمْ مِنْكَ فِي أَمَانٍ ، وَكَمَا تَكْرَهُ أَنْ يَتَعَرَّضُوا لِأَوْلَادِكَ
وَأَهْلِكَ وَشَخْصِكَ بِشَرٍّ ، فَكُنْ لَهُمْ خَيْرَ حَفِيطٍ وَنَصِيرٍ وَكَمَا تُحِبُّ أَنْ يُرِيحُوكَ
إِذَا جَاوَزُوكَ ، فَأَرِحْهُمْ عِنْدَ مُجَاوَزَتِكَ لَهُمْ ، وَكَمَا تُحِبُّ أَنْ يَنْصَحُوكَ
وَيَصْدُقُوكَ فِي وُعودِهِمْ وَعُقُودِهِمْ وَأَخْبَارِهِمْ ، فَاسْبِقْهُمْ أَنْتَ إِلَى ذَلِكَ ، وَكَمَا
تُحِبُّ أَنْ يَفْرَحُوا لِفَرَحِكَ ، وَيَحْزَنُوا لِحُزْنِكَ ، فَكُنْ أَنْتَ كَذَلِكَ مَعَهُمْ ، وَكَمَا
تُحِبُّ أَنْ لَا يَتَكَلَّمُوا فِيكَ إِلَّا بِخَيْرٍ ، فَلَا تَكُنْ أَنْتَ مَعَهُمْ بِضِدِّ ذَلِكَ ، وَقَسْ عَلَى
ذَلِكَ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَوْضُوعِ ، وَأَمَّا مُعَامَلَتُكَ مَعَ نَفْسِكَ ، فَهِيَ أَنْ تُعَوِّدَهَا دَائِمًا عَلَى
الْخَيْرِ بِلا ضَجْرِ .

شِعْرًا :

يَأْتِيهَا الَّذِي قَدْ غَرَّهُ الْأَمَلُ
أَلَا تَرَى إِنَّمَا الدُّنْيَا وَزَيْتَهَا
حُتُوفُهَا رَصْدٌ وَعَيْشُهَا نَكَدٌ
تَظَلُّ تُفْرِغُ بِالرُّوعَاتِ سَاكِنَهَا
كَأَنَّهُ لِلْمَنَائِبِ وَالرَّدَى غَرَضٌ
وَالنَّفْسُ هَارِبَةٌ وَالْمَوْتُ يَتَّبِعُهَا
وَالْمَرْءُ يَسْعَى بِمَا يَسْعَى لِوَارِثِهِ
وَدُونَ مَا يَا مَلِ التَّنْعِيسُ وَالْأَجَلُ
كَمَنْزِلِ الرَّكْبِ حَلَّوْا ثَمَّتْ ارْتَحَلُوا
وَصَفْوُهَا كَدْرٌ وَمُلْكُهَا دُؤْلٌ
فَمَا يَلْدُ لَهُ عَيْشٌ وَلَا جَدَلٌ
تَظَلُّ فِيهِ سِيَهَامُ الْوَقْتِ تَنْتَظِلُّ
وَكُلَّ عَشْرَةِ رَجُلٍ عِنْدَهَا جَلُّ
وَالْقَبْرُ وَارِثٌ مَا يَسْعَى لَهُ الرَّجُلُ

اللهم إِنَّكَ تَعْلَمُ سِرَّنَا وَعَلَانِيَتَنَا وَتَسْمَعُ كَلَامَنَا وَتَرَى مَكَانَنَا لَا يَخْفَى
عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِنَا نَحْنُ الْبُؤْسَاءُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْكَ الْمُسْتَغِيثُونَ الْمُسْتَجِيرُونَ
بِكَ نَسْأَلُكَ أَنْ تُقَيِّضَ لِدِينِكَ مَنْ يَنْصُرُهُ وَيُزِيلُ مَا حَدَثَ مِنَ الْبِدْعِ
وَالْمُنْكَرَاتِ وَيُقِيمُ عِلْمَ الْجِهَادِ وَيَقْمَعُ أَهْلَ الزَّيْغِ وَالْكَفْرِ وَالْعِنَادِ وَنَسْأَلُكَ
أَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

[نَخْتَمُ هَذَا الْكِتَابَ بِنَبْذَةٍ مِنْ زَهْدِهِ ﷺ]

كان رسول الله ﷺ أزهد الناس ، وكيفيك في تعريف ذلك أن فقره
ﷺ كان فقر اختياري لا فقر اضطراري .

لأنه ﷺ فَتَحَتْ عَلَيْهِ الْفَتْوحُ وَجُلِبَتْ إِلَيْهِ الْأَمْوَالُ ، وَمَاتَ وَدِرْعُهُ
مَرَهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ فِي نَفَقَةِ عِيَالِهِ ، وَهُوَ يَدْعُو : اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ
قَوْتًا .

وقالت عائشة رضی الله عنها : ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام
تباعاً من خبز حتى مضى لسبيله ، ولو شاء لأعطاه الله ما لا يخطر ببال .

وعنها قالت : ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا شاة ولا درهماً ولا بعيراً
ولقد مات وما في بيتي شيء يأكله ذو كبدٍ إلا شطر شعير في رَفٍّ لي .

وقال لي : إني عَرَضَ عَلَيَّ ربي أن يجعل لي بطحاء مكة ذهباً ، فقلتُ
لا يارب أَجُوعُ يوماً وأشبعُ يوماً ، فأما اليومُ الذي أَجُوعُ فيه فأتضرع إليك
وأدعوك ، وأما اليوم الذي أشبعُ فيه فأحمدُكَ وأُثني عليك .

وعنها قالت : إن كُنَّا آلُ محمدٍ لنمكُثُ شهراً ما نستوقدُ ناراً ، إن هو
إلا التمرُ والماء .

وعنها قالت : لم يمتل جوفُ النبي ﷺ شبعاً قط ، ولم يَبُثْ إلى أحدٍ
شكوى .

وكانت الفاقة أحبَّ إليه من الغنى ، وإن كان لَيَظَلُّ جائعاً يَلْتَوِي
طُولَ لَيْلته مِنَ الجوع ، فلا يَمْنَعُه مِنَ صِيامِ يومٍ ولو شاء لَسَأَلَ ربه جميع
كُنُوزِ الأرض وثمارها ورغد عيشها .

ولقد كنتُ أبكي له رحمةً مما أرى به وأمسحُ بيدي على بطنه مما به من
الجوع ، وأقول نفسي لك الفداء ، لو تَبَلَّغْتَ مِنَ الدنيا بما يَقُوتُكَ .

فيقول يا عائشة ما لي وللدُنْيَا إخواني أولو العزمِ من الرسل صَبَرُوا
على ما هو أشدُّ من هذا فَمَضَوْا على حالهم فَقَدِمُوا على ربهم وأكرمَ ما بهم
وأجزَلَ ثوابهم .

وأجدني استحي إن تَرَفَّهْتُ في مَعِيشَتِي أن يُقَصِّرَني غداً دُونهم .

وما من شيءٍ أحب إلي من اللُحُوقِ بإخواني وأحلامي ، قالت : فما
أقام بعد إلا شهراً ثم توفي ﷺ .

وعن عائشة رضی الله عنها قالت : ما رفع رسول الله ﷺ قطُّ غَدَاءٍ
لِعِشاءٍ ولا عِشاءً قطُّ لِعَدَاءٍ .

ولا اتخذ من شيء زوجين لا قميصين ولا ردائين ولا إزارين ، ومن النعال ولا رثي قط فارغا في بيته إما يخصف نعلا لرجل مسكين أو يخيظ ثوبا لأرملة .

وعن أنس بن مالك أن فاطمة عليها السلام جاءت بكسرة خبز إلى النبي ﷺ ، فقال : ما هذه الكسرة يا فاطمة ؟

قالت : قرص خبزته فلم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة ، فقال : أما إنه أول طعامٍ دَخَلَ فَمَ أَيْبِكِ مُنْذُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ .

وروى مسلم عن النعمان قال : ذكر عمر ما أصاب الناس من الدنيا ، فقال : لقد رأيتُ رسولَ يظل يلتوي ما يجد من الدقل ما يَمَلَأُ بطنه .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : إن كان ليمر بآل رسول الله ﷺ الأهلَّة ما يُسْرَجُ في بيت أحد منهم سراج ولا يوقد فيه نار إن وجدوا زيتا إدهنوا به وإن وجدوا ودكاً أكلوه رواه أبو يعلى ورواه ثقة .

عن عبد الله بن مسعود قال : نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر في جنبه ، قلنا يارسول الله لو اتخذنا لك وطاء .

فقال : ما لي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب أستظل تحت شجرة ثم راح وتركها ، رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه .

قال عمر بن الخطاب : دخلت على رسول الله ﷺ وهو على حصير فجلست فإذا عليه إزاره وليس عليه غيره وإذا الحصير قد أثر في جنبه .

وإذا أنا بقبضةٍ من شعير نحو الصاع وقرظ في ناحية الغرفة ، وإذا إهاب معلق (الإهاب : الجلد) فابتدرت عيناى .

فقال : ما يُبْكِيكَ يا ابن الخطاب ؟ فقلتُ : يانبي الله وما لي لا أبكي وهذا الحصير قد أثر في جنبك ، وهذه خزانتك لا أرى إلا ما أرى .

وذاك كسرى وقيصر في الثمار والأنهار وأنتَ نبي الله وصفوته وهذه خزانتك .

قال : يابن الخطاب أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا ، رواه ابن ماجه بإسناد صحيح والحاكم وقال على شرط مسلم .

روى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت توفي رسول الله ﷺ وما في رَفِيٍّ مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ إِلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ فِي رَفِيٍّ لِي فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلِيٌّ فَكَلَّمْتُهُ فَفَنِي .

عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يبيت الليالي المتتابعة طاوياً ، وأهله لا يجدون عشاءً ، وكان عامّة خبزهم الشعير .

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يشدُّ صُلْبَهُ بِالْحَجَرِ مِنَ الْغَرْتِ أَي الْجُوعِ .

بينما عائشة ، رضي الله عنها تُحَدِّثُ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ بَكَتْ . قِيلَ لَهَا : مَا يَبْكِيكَ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَتْ : مَا مَلَأَتْ بَطْنِي مِنْ طَعَامٍ ، فَشِئْتُ أَنْ أَبْكِيَ إِلَّا بِكَيْتِ أَذْكَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْجَهْدِ .

وعنها أيضاً أن رسول الله ﷺ كانت تأتي عليه أربعة أشهر ما يشبع من خبز بُرٍّ .

وعنها أيضاً : قالت : ما شبع آل محمد ثلاثاً من خُبْزِ بُرٍّ حَتَّى قَبِضَ ، وَمَا رُفِعَ عَنْ مَائِدَتِهِ كَسْرَةٌ فَضْلاً ، حَتَّى قَبِضَ .

عن الحسن (البصري) قال : خطب رسول الله ﷺ فقال : « وَاللَّهِ مَا أُمْسَى فِي آلِ مُحَمَّدٍ صَاعٌ مِنْ طَعَامٍ » ، وَإِنَّمَا لِتِسْعَةِ آيَاتٍ (بِيُوتِ زَوْجَاتِهِ) . وَاللَّهُ مَا قَالَهَا اسْتِقْلَالاً لِرِزْقِ اللَّهِ ، وَلَكِنْ أَرَادَ أَنْ تَتَأَسَّى بِهِ أُمَّتِهِ .

عن ابن عباس قال : والله لقد كان يأتي على آل محمد ﷺ الليالي ما يجدون فيها عشاءً .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما شبع رسول الله ﷺ في يوم مرتين حتى لحق بالله ، ولا رفعنا له فضلَ طعامٍ عن شبعٍ حتى لحق بالله ، إلا أن نُرَفَعَه لغائبٍ . فقليل لها : ما كانت معيشتكم ؟ قالت : الأسودان : الماء والتمر . وقالت : وكان لنا جيرانٌ من الأنصار ، لهم ربائب يسقوننا من لبنها ، جزاهم الله خيراً .

عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ لم يجمع له غداءً ولا عشاءً من خبز ولحم إلا على ضَفَفٍ .

عن أنس بن مالك قال : شهدت للنبي ﷺ وليمةً ما فيها خبزٌ ولا لحم .

عن أنس بن مالك قال : ما أعلم رسول الله ﷺ رأى رغيفاً مرققاً بعينه حتى لحق بربه ، ولا شاةً سميطاً قط .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما اجتمع في بطن النبي ﷺ طعامان في يومٍ قط ، إن أكل لحماً لم يزد عليه ، وإن كان تمرًا لم يزد عليه ، وإن أكل خبزاً لم يزد عليه . وكان رجلاً مسقاماً ، وكانت العرب تنعت له فيتداوى بها تنعت له العرب ، وكانت العجم تنعت له فيتداوى .

عن أبي نضر قال : سمعتُ عائشة رضي الله عنها تقول : إني لجالسةٌ مع رسول الله ﷺ في البيت . فأهدى لنا أبو بكر رجلَ شاةٍ فإني لأقطعها مع رسول الله ﷺ في ظلمة البيت . فقال لها قائل : أما كان لكم سراج ؟ فقالت : لو كان لنا ما يُسْرَجُ به اكلناه .

عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : لقد مات رسول الله ﷺ وما شبع من خُبْزٍ وزيتٍ في يومٍ مرتين .

عن عائشة قالت : بلغني أن الرجل منكم يأكل من ألوان الطعام حتى يلتمس لذلك دواءً يمرئه . فذكرتُ نبيكم ﷺ فذاك الذي أبكاني : خرج من الدنيا ولم يملأ بطنه في يومٍ من طعامين : كان إذا شبع من التمر لم يشبع من الخبز . وإذا شبع من الخبز لم يشبع من التمر .

عن أنس بن مالك قال : ما يُرفع بين يدي رسول الله ﷺ شيء قط ، ولا أُحِلَّت معه طُنْفَسَةٌ يجلس عليها .

أخبرني الأعرج عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان يجوع . قلت لأبي هريري : وكيف ذلك الجوع ؟ قال : لكثرة مَنْ يغشاه وأضيافه ، وقومٍ يلزمونه لذلك ، فلا يأكل طعاماً أبداً إلاّ ومعه أصحابه ، وأهل الحاجة يتبعونه من المسجد . فلما فتح الله خير ، اتسع الناسُ بعض الاتساع ، وفي الأمرِ بعدُ ضيقٌ والمعاش شديد . هي بلادٌ ظَلَفَتْ لا زرع فيها . إنما طعام أهلها التمر ، وعلى ذلك أقاموا .

وروي عن جابر رضى الله عنه قال : حضرنا عرسَ علي وفاطمة فما كان عرساً كان أحسنَ منه حَشُونَا الفِرَاشِ يعني من الليف .

وأوتينا بتمر وزيت فأكلنا وكان فراشها ليلة عرسها إهاب كبش ، رواه البزار . الإهاب : الجلد .

عن عامر الشعبي قال : قال علي رضى الله عنه : لقد تزوجتُ فاطمة ، وما لها ولي فراش غير جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه الناضح بالنهار ، وما لي ولها خادم غيرها .

وعن علي رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ لما زَوَّجَهُ فاطمة بَعَثَ معها بخميلة ووسادة آدم حشوها ليف ورحيين وسِقَاءٍ وجرتين .

فقال علي لفاطمة ذات يومٍ : والله سنوتُ حتى اشتكيتُ صدري

(المعنى تعبتُ من إخراج الماء من البشر) وقد جاء الله بسبي فاذهبِي فاستخدميه (أي اطلبِي منه خادِمًا) .

فقلت : وأنا والله لقد طَحَنْتُ حتى مَجَلَّتْ يَدَيَّ من العمل فأتتِ النبي ﷺ فقال : ما جاء بك وما حاجتكِ أي بُنْيَة ، قالت : جئتُ لأَسَلِمَ عَلَيْكَ واستحييتُ أن تَسألَهُ فَرَجَعَتْ .

فقال علي : ما فَعَلْتِ ؟ قالت : اسْتَحَيْتُ أن أسأله ، فأتياه جَمِيعًا فقال علي : يا رسول الله والله لقد سَنَوْتُ حتى اشتكيتُ صَدْرِي .

وقالت فاطمة : لقد طَحَنْتُ حتى مَجَلَّتْ يَدَايَ ، وقد جاءك الله عز وجل بسبي وسعة فأخِذْ مِنَّا .

فقال : والله لا أُعْطِيكُما وَأَدْعُ أهل الصُّفَّةِ تطوِى بُطونَهُم لا أجدُ ما أنفق عليهم ، ولكني أبيعهم وأنفق عليهم .

فرجعَا وأتاها النبي ﷺ ، وقد دخلا في قطيفتهما إذا غَطِيَا رُؤُسَهُمَا تَكَشَّفَتْ أقدامُهُمَا ، وإذا غَطِيَا أقدامَهُمَا تَكَشَّفَتْ رُؤُسُهُمَا فثارا فقال : مَكَانِكُما .

ثم قال : ألا أخبرُكُما بخير مما سألتُماني ، قالا : بلى . قال : كلمات عَلَمِنِيهِنَّ جبريلُ تُسَبِّحانِ في دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا ، وَتُحَمَدانِ عَشْرًا ، وَتُكَبَّرانِ عَشْرًا .

وإذا أوتيتُما إلى فراشِكُما ، فسبِحا ثلاثًا وثلاثين وأحدا ثلاثًا وثلاثين ، وكبرا أربعًا وثلاثين ، قال : فوالله ما تَرَكتُهُنَّ منذ عَلَمِنِيهِنَّ رسول الله ﷺ .

عن بريدة قال : سمع النبي ﷺ رجُلًا يقول : اللهم أني أسألك بأنني أشهد أنك أنتَ الله لا إله إلا أنتَ الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

فقال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده لقد سألت الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى أخرجه أبو داود والترمذي .

وعن أنس رضي الله عنه قال : دعا رجل فقال : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والاکرام يا حي يا قيوم .

فقال النبي ﷺ : أتدرون بما دعا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال : والذي نفسي بيده لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سئل به أعطى ، أخرجه أصحاب السنن .

عن سعد بن أبي وقاص قال قال : قال رسول الله ﷺ : « دعوة ذي النون إذ دَعَى وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سُبْحَانَكَ إني كنت من الظالمين » .

فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب له ، رواه الترمذي والنسائي والحاكم وقال صحيح الإسناد .

وعن معاوية بن أبي سفيان قال : سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول مَنْ دَعَا بهؤلاء الكلمات الخمس لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه (لا إله إلا الله والله أكبر لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله) رواه الطبراني بإسناد حسن .

وعن معاذ بن جبل قال : سمع رسول الله ﷺ رجلاً وهو يقول (يا ذا الجلال والاکرام) فقال « قد استُجِيبَ لَكَ فَسَلْ » رواه الترمذي .

اللهم اجعلنا مُكثِرِينَ لِذِكْرِكَ مُؤَدِّينَ لِحَقِّكَ حَافِظِينَ لِأَمْرِكَ رَاجِينَ
لِوَعْدِكَ رَاضِينَ فِي جَمِيعِ حَالَاتِنَا عَنكَ

رَاجِينَ فِي كُلِّ أَمْرِنَا إِلَيْكَ مُؤَمِّلِينَ لِفَضْلِكَ شَاكِرِينَ لِنِعْمِكَ .
يَا مَنْ يَجِبُ الْعَفْوَ وَالْإِحْسَانَ ، وَيَأْمُرُ بِهَا أَعْفُ عَنَّا ، وَأَحْسِنْ إِلَيْنَا .
فَإِنَّكَ بِالَّذِي أَنْتَ لَهُ أَهْلٌ مِنْ عَفْوِكَ أَحَقُّ مِنَّا بِالَّذِي نَحْنُ لَهُ أَهْلٌ
مِنْ عُقُوبَتِكَ .

اللهم ثَبِّتْ رَجَاءَكَ فِي قُلُوبِنَا ، واقطعه عَمَّنْ سِوَاكَ ، حتَّى لَا نَرْجُوا
غَيْرَكَ وَلَا نَسْتَعِينَ إِلَّا بِإِيَاكَ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَيَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ .
اللهم هب لنا اليقين والعافية ، وإخلاص التوكل عليك ،
والاستغناء عن خلقك .

واجعل خير أعمالنا ما قارب آجالنا .
اللهم أغننا بما وفقتنا له من العلم ، وزينا بالحلم وأكرمنا بالتقوى
وجمّلنا بالعافية .

اللهم افتح مَسَامِعَ قُلُوبِنَا لِذِكْرِكَ وَاِرْزُقْنَا طَاعَتَكَ وَطَاعَةَ رَسُولِكَ
ووفقنا للعمل بكتابك وسنة رسولك .

اللهم إنا نسألك الهدى ، والتقى والعافية والغنى ، ونعوذ بك من
دَرَكِ الشَّقَاءِ ، ومن جَهْدِ الْبَلَاءِ ومن سُوءِ الْقَضَاءِ ومن شَهَاتَةِ الْأَعْدَاءِ .

اللهم لك الْحَمْدُ كُلُّهُ ، ولك الْمَلِكُ كُلُّهُ ، وَبِيَدِكَ الْخَيْرُ كُلُّهُ ، وَإِلَيْكَ
يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ عِلَانِيَةً وَسِرُّهُ ، أَهْلُ الْحَمْدِ وَالشَّانِ أَنْتَ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ
سُبْحَانَكَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

اللهم اغفر لنا جميع ما سَلَفَ منا مِنَ الذنوب ، وَاَعْصَمْنَا فِيمَا بَقِيَ
مِنَ أَعْمَارِنَا ، وَوَفَّقْنَا لِعَمَلٍ صَالِحٍ تَرْضَى بِهِ عَنَا .

اللهم يا سامع كل صوت ، ويا بارئ النفوس بعد الموت ، يا مَنْ
لا تُشْتَبَهُ عَلَيْهِ الأصوات ، يا عظيم الشأن ، يا واضح البرهان ، يا مَنْ هو
كل يوم في شأن ، اغفر لنا ذنوبنا إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ .

اللهم يا عظيم العفو ، يا واسع المغفرة ، يا قريب الرحمة ، يا ذا الجلال
والاكرام ، هب لنا العافية في الدنيا والآخرة .

اللهم يا حيُّ ويا قيومُ فَرِّغْنَا لما خَلَقْتَنَا له ، وَلا تُشْغِلْنَا بِها تَكْفُلْتَ لنا
به ، واجعلنا مِمَّنْ يُؤْمِنُ بِلِقَائِكَ ، وَيَرْضَى بِقَضَائِكَ ، وَيَقْنَعُ بِعَطَائِكَ ،
وَيُخْشَاكَ حَقَّ خَشْيَتِكَ .

اللهم اجْعَلْ رِزْقَنَا رَغَدًا ، وَلا تُشِمِتْ بِنَا أَحَدًا .
اللهم رَغِّبْنَا فِيمَا يَبْقَى ، وَزَهِّدْنَا فِيمَا يَفْنَى ، وَهَبْ لنا اليقين الذي
لا تسكن النفوس إلا إليه ، وَلا يُعَوَّلُ في الدين إلا عليه .

اللهم إنا نسألك بعزك الذي لا يرام وملكك الذي لا يضام وبنورك
الذي ملأ أركان عرشك أن تكفيننا شر ما أهدانا وما لا نهتم به وأن تعيذنا من
شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .

اللهم يا عليم يا حليم يا قوي يا عزيز يا ذا المن والعطا والعز والكبرياء
يا مَنْ تَعَنُّوا له الوجوه وتخشع له الأصوات .

وفقنا لصالح الأعمال وأكفنا بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن
سواك إِنَّكَ على كل شيء قدير .

اللهم إنا نسألك رحمةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِها قُلُوبَنَا ، وَتَجْمَعُ بِها

شَمَلْنَا ، وتَلَمُّ بها شَعَثْنَا ، وترفع بها شاهدنا ، وتَحْفَظُ بها غَائِبَنَا ، وتزكى
بها أعمالنا ، وتلهمنا بها رشدنا ، وتعصمنا بها من كل سوء يا أرحم
الراحمين .

اللهم ارزقنا من فضلك ، وأكفنا شر خلقك ، وأحفظ علينا ديننا
وصحة أبداننا .

اللهم ياهادي المضلين وياراحم المذنبين ، ومُقِيلَ عَثَرَاتِ
العائرين ، نسألك أن تُلْحِقْنَا بعبادك الصالحين الذين أنعمت عليهم من
النبين والصدّيقين والشهداء والصالحين آمين يارب العالمين .

اللهم يا عالم الخفيات ، ويارفيع الدرجات ، يا غافر الذنب وقابل
التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا أنت إليك المصير .

نسألك أن تذيقنا برد عفوك ، وحلاوة رحمتك ، يا أرحم الراحمين
وأرأف الرائفين وأكرم الأكرمين .

اللهم اعتقنا من رِقِّ الذُّنُوبِ ، واخلصنا من أَسْرِ النُّفُوسِ ، وأذهب
عَنَّا وَحْشَةَ الإِسَاءَةِ ، وطَهَّرْنَا مِنْ دَنَسِ الذُّنُوبِ ، وباعد بيننا وبين الخطايا
وأجرنا من الشيطان الرجيم .

اللهم طيِّبنا لِلقَائِكَ ، وأهلنا لِوَلَائِكَ وأدخِلْنَا مَعَ المَرْحُومِينَ مِنْ
أَوْلِيَائِكَ ، وتوفنا مُسْلِمِينَ والْحِقْنَا بالصالحين .

اللهم أعنا على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عِبَادَتِكَ ، وتِلَاوَةِ كِتَابِكَ ،
واجعلنا من حِزْبِكَ المُفْلِحِينَ ، وأيدنا بِجُنْدِكَ المَنْصُورِينَ ، وارزُقْنَا مُرَافِقَةَ
الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النّبِيِّينَ وَالصّٰدِقِينَ وَالشّٰهَدَاءِ وَالصّٰلِحِينَ .

اللهم يا فالقَ الحب والنوى ، يا مُنْشِئَ الأَجْسَادِ بَعْدَ البَلَى يا مُؤَيِّ
الْمُنْقَطِعِينَ إِلَيْهِ ، يا كَافِيَ المْتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ ، انقَطِعِ الرُّجَاءُ إِلا مِنْكَ ، وَخَابَتْ

الظنون إلا فيك ، وضعف الاعتقاد إلا عليك نسألك أن تُمطر محل قلوبنا
من سحائب برِّك واحسانك وأن توفقنا لموجبات رحمتك وعزائم مغفرتك
إنك جواد كريم رؤوف غفور رحيم .

اللهم نسألك قلباً سليماً ، ولساناً صادقاً ، وعملاً متقبلاً ، ونسألك
بركة الحياة وخير الحياة ، ونعوذ بك من شر الحياة ، وشر الوفاة .

اللهم إنا نسألك نفساً مطمئنةً ، تؤمن بِلِقَائِكَ وترضى بِقَضَائِكَ ،
وتقنع بِعَطَائِكَ ، يا أَرْأَفَ الرَّائِفِينَ ، وأرحم الراحمين .

اللهم إنا نسألك التوفيق لما نُحِبُّه من الأعمال ، ونسألك صِدْقَ
التوكلِ عليك ، وحُسنَ الظنِّ بِكَ يَا رَبُّ الْعَالَمِينَ .

اللهم اجعلنا من عِبَادِكَ الْمُخْبِتِينَ ، الْغُرِّ الْمُحْجَلِينَ الْوَفْدِ الْمُتَقَبَّلِينَ .

اللهم إنا نسألك حياةً طيبةً ، ونفساً تقيّةً ، وعيشةً نقيّةً ، وميتةً
سويّةً ، ومرداً غيرَ مُخْزِي ولا فاضح .

اللهم اجعلنا من أهل الصلاح والنجاح والفلاح ، ومن المؤيدين
بنصرِكَ وتأييدِكَ ورضاك .

موعظة

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ : الْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنَ الْمَعَاصِي فَإِنَّهَا
سَيِّئَةُ الْعَوَاقِبِ ، وَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنَ الذُّنُوبِ خُصُوصاً ذُنُوبَ الْخَلَوَاتِ ،
فَإِنَّ الْمُبَارَاةَ لِلَّهِ تَعَالَى تُسْقِطُ الْعَبْدَ مِنْ عَيْنِهِ سُبْحَانَهُ وَلَا يَنَالُ لَذَّةَ الْمَعَاصِي
إِلَّا دَائِمُ الْعَفْلَةِ ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ الْيَقْظَانُ فَإِنَّهُ لَا يَلْتَذُّ بِهَا ، لِأَنَّهُ عِنْدَ التِّدَاذِهِ
يَقِفُ بِأَزَائِهِ عِلْمُهُ بِتَحْرِيمِهَا وَحَذَرُهُ مِنْ عُقُوبَتِهَا ، فَإِنْ قَوِيَتْ مَعْرِفَتُهُ رَأَى
بِعَيْنِ عِلْمِهِ قُرْبَ النَّاهِي وَهُوَ اللَّهُ فَيَتَنَفَّصُ عَيْشُهُ فِي حَالِ التِّدَاذِهِ فَإِنْ غَلَبَهُ

سُكِرَ الْهَوَى كَانَ الْقَلْبُ مُتَنَغِّصًا بِهَذِهِ الْمُرَاقِبَاتِ وَإِنْ كَانَ الطَّبَعُ فِي شَهْوَتِهِ
فَمَا هِيَ إِلَّا لَحْظَةٌ ثُمَّ حِزْبِي دَائِمٌ وَنَدَمٌ مُلَازِمٌ وَبُكَاءٌ مُتَوَاصِلٌ وَأَسْفٌ عَلَى
مَا كَانَ مَعَ طُولِ الزَّمَانِ حَتَّى إِنَّهُ لَوْ تَيَقَّنَ الْعَفْوَ وَقَفَّ بِإِزَائِهِ حِذَارَ الْعِتَابِ
فَأُفِّتَ لِلذُّنُوبِ مَا أَقْبَحَ آثَارَهَا وَأَسْوَأَ أَخْبَارَهَا انْتَهَى .

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ وَحَافِظُوا عَلَى صَلَاتِكُمْ وَقُومُوا
لِلَّهِ خَاضِعِينَ خَاشِعِينَ لِيَتَفُورُوا بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَتَكُونُوا مِنَ الْمُفْلِحِينَ .

اللَّهُمَّ قَوِّ إِيْمَانَنَا بِكَ وَبِمَلَائِكَتِكَ وَبِكُتُبِكَ وَبِرُسُلِكَ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأَرْزُقْنَا
صِيَانَةَ أَوْقَاتِنَا وَحِفْظَهَا عَنِ الْمَعَاصِي وَوَفَّقْنَا لِشُغْلِهَا بِالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

إِعْلَمْ وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهُ لَمْ يُؤْتِرْ عَنْ أَحَدٍ مِنَ السَّلَفِ
الصَّالِحِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَتَابِعِيهِمْ بِإِحْسَانٍ تَعْظِيمٍ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ الْمُوَالِينَ
لَأَهْلِ الْبِدْعِ الْمُنَادِينَ بِمُؤَالَاتِهِمْ ، لِأَنَّ أَهْلَ الْبِدْعِ مَرْضَى قُلُوبٍ ، وَيُحْسَى
عَلَى مَنْ خَالَطَهُمْ أَوْ اتَّصَلَ بِهِمْ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ مِنْ مَا بِهِمْ مِنْ هَذَا الدَّاءِ
الْعُضَالِ ، لِأَنَّ الْمَرِيضَ يُعِدِّي الصَّحِيحَ وَلَا عَكْسَ ، فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ جَمِيعِ
أَهْلِ الْبِدْعِ وَمِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ الَّذِينَ يَجِبُ الْبُعْدُ عَنْهُمْ وَهَجْرَانُهُمْ ، الْجَهْمِيَّةُ ،
وَالرَّافِضَةُ وَالْمُعْتَزِلَةُ وَالْمَآثِرِيَّةُ ، وَالخَوَارِجُ وَالصُّوفِيَّةُ وَالْأَشَاعِرَةُ ، وَمَنْ عَلَى
طَرِيقَتِهِمْ مِنَ الطَّوَائِفِ الْمُنْحَرِفَةِ عَنْ طَرِيقَةِ السَّلَفِ ، فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ
يَحْذَرَهُمْ وَيُحَذِرَ عَنْهُمْ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

عبد العزيز بن محمد بن سلمان

فَائِدَةٌ عَظِيمَةٌ النَّفْعِ

قَالَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْكَ يَا أَخِي بِمُحَارَبَةِ الشَّيْطَانِ وَقَهْرِهِ ، وَذَلِكَ لِخَصْلَتَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ عَدُوٌّ مَظْلٌ مُبِينٌ ، لَا مَطْمَعٌ فِيهِ بِمُصَالِحَةٍ وَاتِّقَاءِ شَرِّهِ أَبَدًا ، لِأَنَّهُ لَا يُرْضِيهِ وَيُقْنِعُهُ إِلَّا هَلَاكَ أَصْلًا فَلَا وَجْهَ إِذَا لِلْأَمْنِ مِنْ هَذَا الْعَدُوِّ وَالْعَفْلَةِ عَنْهُ ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ وَالْخَصْلَةُ الثَّانِيَةُ أَنَّهُ مَجْبُولٌ عَلَى عَدَاوَتِكَ ، وَمُنْتَصِبٌ لِمُحَارَبَتِكَ ، فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ يَرْمِيكَ بِسِهَامِهِ ، وَأَنْتَ غَافِلٌ عَنْهُ ، ثُمَّ هَوْلُهُ مَعَ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ عَدَاوَةٌ عَامَّةٌ ، وَمَعَ الْمُجْتَهِدِ فِي الْعِبَادَةِ وَالْعِلْمِ عَدَاوَةٌ خَاصَّةٌ ، وَمَعَهُ عَلَيْكَ أَعْوَانٌ نَفْسُكَ الْأَمَارَةُ بِالسُّوءِ ، وَالْهَوَى ، وَالدُّنْيَا ، وَهُوَ فَارِغٌ وَأَنْتَ مَشْغُولٌ ، وَهُوَ يِرَاكُ وَأَنْتَ لَا تَرَاهُ ، وَأَنْتَ تَنْسَاهُ وَهُوَ لَا يَنْسَاكَ ، فَإِذَا لَابُدُّ مِنْ مُحَارَبَتِهِ ، وَقَهْرِهِ ، وَإِلَّا فَلَا تَأْمِنُ الْفَسَادَ وَالْهَلَاكَ وَالذَّمَّارَ ، وَمُحَارَبَتُهُ بِالْإِسْتِعَاذَةِ بِاللَّهِ وَالْإِكْتِسَابِ مِنْ ذِكْرِهِ .

شِعْرًا :

| | |
|--|--|
| مَالِي أَرَاكَ عَلَى الذُّنُوبِ مُوَاطِبًا | أَأَخَذْتَ مِنْ سُوءِ الْحِسَابِ أَمَانًا |
| لَا تَغْفُلَنَّ كَأَنَّ يَوْمَكَ قَدْ أَتَى | وَلَعَلَّ عُمْرَكَ قَدْ دَنَا أَوْ حَانَ |
| وَمَضَى الْحَبِيبُ لِحَفْرِ قَبْرِكَ مُسْرِعًا | وَأَتَى الصَّدِيقُ فَأَنْذَرَ الْجِيرَانَ |
| وَأَتُوا بَعْسَالٍ وَجَاءُوا نَحْوَهُ | وَبَدَأَ بَعْسَلِكَ مَيْتًا عُرْيَانًا |
| فَغَسِلَتْ ثُمَّ كُسِيَتْ ثُوبًا لِلْبَلَى | وَدَعَا لِحَمَلِ سَرِيرِكَ الْإِخْوَانَ |
| وَأَتَاكَ أَهْلُكَ لِلْوَدَاعِ فَوَدَّعُوا | وَجَرَتْ عَلَيْكَ دُمُوعُهُمْ غُدْرَانًا |
| فَحَفِيَ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ مَنْ خَافَهُ | سَكَنَ الْجِنَانَ مُجَاوِرًا رِضْوَانًا |
| جَنَاتِ عَدْنٍ لَا يَبْدُ نَعِيمُهَا | أَبَدًا يُخَالِطُ رُوحَهُ رِيحَانًا |
| وَلِمَنْ عَصَى نَارًا يُقَالُ لَهَا لَطْفَى | تَشْوِي الْوُجُوهَ وَتُحْرِقُ الْأَبْدَانَ |
| نَبْكَي وَحُقَ لَنَا الْبُكْيُ يَا قَوْمَنَا | كَيْ لَا يُؤَاخِذَنَا بِمَا قَدْ كَانَا |

مَوْعِظَةٌ :

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ طَاعَةَ اللَّهِ صَلَاحٌ فِي الْأَرْضِ لِهَذَا أَمْرٌ عَزُوجٌ بِالطَّاعَاتِ ،
وَهَذِهِ الطَّاعَاتُ تُرْضِي اللَّهَ سُبْحَانَهُ لِأَنَّهَا شُكْرٌ لَهُ عَلَى نِعَمِهِ الْمُتَوَالِيَاتِ ،
فَيُنَبِّغِي لَنَا أَنْ نَحُثَّ عَلَيْهَا وَأَنْ نَأْمُرَ مَنْ تَرَكَ الطَّاعَةَ أَنْ يَعُودَ إِلَيْهَا إِذَا كَانَتْ مِنْ
فَرَائِضِ الدِّينِ كَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ ، وَأَنْ نُتَكَبَّرَ عَلَى مَنْ رَأَيْنَاهُ
يَقْتَرِفُ مَعْصِيَةً مِنَ الْمَعَاصِي ، لِأَنَّ الْمَعَاصِي بِكُلِّ أَنْوَاعِهَا شُرُورٌ وَأَضْرَارٌ
وَفَسَادٌ وَلَهَا سُؤْمٌ قَدْ يُمْسُ الدُّنْيَا وَيَفْعَلُ الْأَفَاعِيلُ الْعِظَامَ فِي بَنِي الْإِنْسَانِ وَمِنْ
آثَارِهَا الْمَضْرَّةُ بِالْقَلْبِ وَالْبَدَنِ : أَنَّهَا إِفْسَادٌ لِلْعَقْلِ فَإِنَّ الْعَقْلَ نُورٌ وَالْمَعْصِيَةَ
تُطْفِئُ نُورَ الْعَقْلِ وَمِنْهَا أَنَّ الْمَعَاصِي مَدَدٌ مِنَ الْإِنْسَانِ يَمُدُّ بِهَا عَدُوَّهُ عَلَيْهِ
وَجَيْشٌ يَقُوتُهُ بِهِ عَلَى حَرْبِهِ وَمِنْهَا أَنَّهَا تُوهِنُ الْقَلْبَ وَالْبَدْنَ وَمِنْهَا أَنَّهَا تَزْرَعُ
أَمْثَالَهَا مِنَ الْمَعَاصِي وَمِنْهَا أَنَّهَا تَمَحِّقُ بَرَكَةَ الْعُمْرِ وَمِنْهَا أَنَّهَا تُسَبِّبُ شِمَانَةَ
الْأَعْدَاءِ وَمِنْهَا أَنَّهَا تَعْبِسُ عَلَى الْإِنْسَانِ أُمُورَهُ ، وَمِنْهَا أَنَّهَا تُسَبِّبُ الْوَحْشَةَ بَيْنَ
الْعَاصِي وَبَيْنَ أَهْلِ الْخَيْرِ وَمِنْهَا أَنَّهَا تَذْهَبُ الْحَيَاءَ وَمِنْهَا أَنْ تَسْتَدْعِي نِسْيَانَ اللَّهِ
لِعَبْدِهِ وَتُرْكِيهِ ، وَمِنْهَا أَنَّهَا تُطْفِئُ مِنَ الْقَلْبِ نَارَ الْغَيْرَةِ وَمِنْهَا أَنَّهَا تُضْعِفُ فِي
الْقَلْبِ تَعْظِيمَ الرَّبِّ وَمِنْهَا أَنَّهَا تُعْمِي بِصِيرَةَ الْقَلْبِ وَتَطْمِسُ نُورَهُ وَمِنْهَا أَنَّهَا
تُسْقِطُ الْجَاهَ وَالْمُنَزَّلَةَ عِنْدَ اللَّهِ إِلَى مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ مِنَ الْأَضْرَارِ لِهَذَا يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ
نَنْهَى عَنِ الْمَعَاصِي لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَتْ مِنْ كِبَارِ الْمَعَاصِي ، وَلَا تَنْسَ أَنْ بَنِي
إِسْرَائِيلَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ لَمَّا فَقَدُوا الْغَيْرَةَ عَلَى انْتِهَاكِ الْحُرْمَاتِ وَلَا تَنَاهَوْا عَنْ
الْمُنْكَرِ ، وَتَأْمَلْ أَحْوَالَ الْأُمَّمِ وَمَا حَلَّ بِهَا مِنَ الْعُقُوبَاتِ بِأَسْبَابِ الذُّنُوبِ قَالَ
تَعَالَى ﴿ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ
الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ
وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ .

موعظة

عِبَادَ اللَّهِ سُرُورَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَعْبرُونَ القَنَاطِرَ وَيَأْمَنُونَ العَوَائِرَ فَذَلِكَ يَوْمٌ
عِيدِهِمْ وَمَادَامُوا فِي دَارِ الغُرُورِ فَلَا غِبْطَةَ وَلَا سُرُورَ .

وَأَيُّ سُرُورٍ لِمَنِ المَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَاصِيَتِهِ وَالدُّنُوبُ رَاسِخَةٌ فِي آئِنَتِهِ وَالنَّفْسُ
تَقُودُهُ إِلَى هَوَاهَا وَالدُّنْيَا تَتَزَيَّنُ فِي عَيْنِهِ بِمُشْتَهَاهَا .

وَالشَّيْطَانُ مُسْتَبْطِنٌ فَقَارَ ظَهْرِهِ لَا يَفْتَرُ عَنِ الوَسْوَاسَةِ فِي صَدْرِهِ وَنَفْسِهِ
وَمَالِهِ بَعْرَضِهِ لِلْحَوَادِثِ وَلَا يَدْرِي فِي كُلِّ نَفْسٍ مَا عَلَيْهِ حَادِثٌ .

قال بعضهم :

إِنِّي بُلِيْتُ بِأَرْعَ مَا سُلِّطُوا إِلَّا لِأَجْلِ شِقَاوَتِي وَعَنَائِي
إِبْلِيسَ وَالدُّنْيَا وَنَفْسِي وَالهوى كَيْفَ الخِلاصُ وَكُلُّهُمْ أَعْدَائِي

وَمِنْ وَرَائِهِ المُغِيرَ وَمَسْأَلَهُ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ وَيَتَوَسَّدُ التُّرابَ إِلَى يَوْمِ النُّشُورِ
﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العالَمِينَ ﴾ يَوْمٌ لَا يُبْلَغُ وَصْفُ أهْوالِهِ وَلَا شَرْحُ أحوالِهِ
مَا لَا يَسَعُ الْمُؤْمِنُ بِهِ أَنْ يَسْتَقِرَّ لَهُ قَرَارٌ وَلَا يَخْلُدُ إِلَى هَذِهِ الدَّارِ وَلَا يَكُونُ لَهُ هَمٌّ
فِي هَذِهِ الدُّنْيَا إِلَّا التَّقَرُّبُ بِأَنْوَاعِ القُرْبِ وَاجْتِنَابُ الفَوَاحِشِ وَالرَّيْبِ وَإِقامَةُ
الدِّينِ الَّذِي فِي إِقامَتِهِ النَّجاةُ وَفِي تَضْيِيعِهِ العَطْبُ العَظِيمُ .

يَوْمُ القِيامَةِ لَوْ عَلِمْتَ بِهِوْلَهُ لَفَرَرْتَ مِنْ أَهْلِ وَمِنْ أوطانِ
يَوْمُ تَشَقَّقَتِ السَّماءُ لَهُوْلَهُ وَتَشَيَّبَ مِنْهُ مَفارِقُ الوِلدانِ
يَوْمُ عَبُوسٌ قَمَطَرِيرٌ شَرُّهُ فِي الخَلْقِ مُتَشِيرٌ عَظِيمُ الشَّانِ
يَوْمُ يَجِيءُ المُتَّقُونَ لِربِّهِمْ وَفَدَا عَلَى نُجْبٍ مِنَ العِقيَمَاتِ
وَيَجِيءُ فِيهِ المَجرُمُونَ إِلَى لَظِي يَتَلَمَّظُونَ تَلَمَّظَ العَطشانِ
وَالجَنَّةُ العُلْيَا وَنارُ جَهَنَّمَ دَارَانِ لِلخَصَمَيْنِ دائِمَتَانِ

اللَّهُمَّ احْتِمِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ أَعْمَارَنَا وَحَقِّقْ بِفَضْلِكَ آمالَنَا وَسَهِّلْ
لِبُلُوغِ رِضَاكَ سُبُلَنَا وَحَسِّنْ فِي جَمِيعِ الأَحْوالِ أَعْمالَنَا يَا مُنْقِذَ العَرَقِيِّ وَيَا مُنْجِي

الهِلْكَى وَيَا ذَائِمِ الْإِحْسَانِ أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَأُنَلِّمْنَا مِنْ كَرَمِكَ وَجُودِكَ مَا تَقَرُّ بِهِ
 عُيُونُنَا مِنْ رُؤْيَيْكَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
 بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
 أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ طَلَبَ الرِّزْقِ الْحَلَالَ فَرِيضَةً عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ فَالْتَمَسَ
 الرِّزْقَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ مِنْ جِلِّهِ وَإِبَاكَ وَمَا نَهَاكَ اللَّهُ عَنْهُ وَحَرَّمَهُ فَمَتَاعُ الدُّنْيَا
 قَلِيلٌ ؛ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ إِنَّ جَمْعَكَ لِلْمَالِ مِنْ جِلِّهِ عِبَادَةٌ إِذَا كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ
 إِعْفَافَ نَفْسِكَ ، وَالْقِيَامَ بِمَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ مِنَ الْحُقُوقِ ، وَاحْتِذْ مِنْ
 تَرْكِ الْعَمَلِ ، وَافْعَلِ الْأَسْبَابَ الَّتِي بِهَا يَحْصُلُ الرِّزْقُ بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَاعْلَمْ
 أَنَّ مَنْ تَرَكَ الْعَمَلَ وَعَلَبَ عَلَيْهِ الْكَسْلُ حَتَّى صَارَ كَلًّا عَلَى الْخَلْقِ يَعُدُّهُ
 أَهْلُهُ نُقْلًا وَيَرَاهُ صَاحِبُهُ بَغِيضًا ، وَلَا يَلْقَاهُ أَحَدٌ إِلَّا وَكَرَهُ لِقْيَاهُ قَالَ تَعَالَى
 حَاتًّا عَلَى طَلَبِ الرِّزْقِ ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا
 مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ
 اللَّهِ ﴾ وَالْمُؤْمِنُ الْمُحْتَرِفُ الْكَسُوبُ الَّذِي يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ مُكْرَمٌ
 مَحْبُوبٌ مُحْتَرَمٌ ، عِنْدَ أَهْلِهِ ، وَالْأَوْلَادُ ، وَكَانَ نُوحٌ وَدَاوُدُ يَحْتَرِفَانِ التِّجَارَةَ
 وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَعَى الْغَنَمَ ، وَمُوسَى كَانَ أَجِيرًا عِنْدَ
 صَاحِبِ مَدْيَنَ وَكَانَ ادْرِيسُ خَيْطًا ، وَمَا أَبْعَدَ هَذِهِ الْأَعْمَالِ الشَّرِيفَةِ عَنْ
 الْكَسْلِ وَالْبَطَالَةِ وَكَانَ السَّلْفُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عُمَّالًا مُكْتَسِبِينَ ، فَكُلُّهُمْ
 مَا بَيْنَ غَنِيِّ شَرِيفٍ وَفَقِيرٍ شَرِيفٍ عَفِيفٍ ، لَا تَشْغَلُهُمُ الدُّنْيَا عَنِ الْآخِرَةِ
 وَلَا يَمْنَعُهُمُ الدِّينُ عَنْ طَلَبِ الْكَسْبِ ، وَالْقِيَامِ بِالْوَاجِبَاتِ ، وَهُمْ مَعَ هَذَا
 مِنْ أَقْوَى النَّاسِ تَوَكَّلًا عَلَى اللَّهِ وَرِضَى بِمَا قَدَرَ اللَّهُ وَقَضَاهُ وَلِلَّهِ دَرُّ
 الْقَائِلِ :

وَكَنْ بِالذِّي قَدْ حُطَّ بِاللُّوْحِ رَاضِيًا فَلَا مَهْرَبَ مِمَّا قَضَاهُ وَحَطَّهُ
 وَأَنَّ مَعَ الرِّزْقِ اشْتِرَاطُ التَّمَاسِيهِ وَقَدْ يَتَعَدَى إِنْ تَعَدَّيْتَ شَرْطَهُ
 فَلَوْ شَاءَ أَلْقَى فِي فَمِ الطَّيْرِ قُوَّتَهُ وَلَكِنَّهُ أَوْحَى إِلَى الطَّيْرِ لَقَطَّهُ

مَوْعِظَةٌ : إِخْوَانِي ، تَفَكَّرُوا فِي مَصَارِعِ الَّذِينَ سَبَقُوا ، وَتَدَبَّرُوا مَصِيرَهُمْ
 أَيْنَ انْطَلَقُوا ؟ وَاعْلَمُوا أَنَّ الْقَوْمَ انْقَسَمُوا وَافْتَرَقُوا ، قَوْمٌ مِنْهُمْ سَعِدُوا وَمِنْهُمْ
 قَوْمٌ شَقُوا .

إِخْوَانِي : إِلَى كَمْ هَذِهِ الْعَقْلَةَ وَأَنْتُمْ مُطَالِبُونَ بِغَيْرِ مُهْلَةٍ ، فَبِاللَّهِ عَلَيْكُمْ
 تَعَاهَدُوا أَيَّامَكُمْ بِتَحْصِيلِ الْعُدَدِ ، وَأَصْلِحُوا مِنْ أَعْمَالِكُمْ مَا فَسَدَ ، وَكُونُوا مِنْ
 آجَالِكُمْ عَلَى رَصَدٍ ، فَقَدْ آذَنْتُمْ الدُّنْيَا بِالذَّهَابِ ، وَأَنْتُمْ تَلْعَبُونَ بِالْآجِلِ وَبَيْنَ
 أَيْدِيكُمْ يَوْمَ الْحِسَابِ .
 شِعْرًا :

وَالْمَرْءُ مِثْلُ هِلَالٍ عِنْدَ طَلْعَتِهِ يَبْدُو ضَيْلًا لَطِيفًا ثُمَّ يَتَّسِقُ
 يَزْدَادُ حَتَّى إِذَا مَا تَمَّ أَعْقَبَهُ كَرُّ الْجَدِيدِينَ نَقْصًا ثُمَّ يَنْمَحِقُ
 كَانَ الشَّبَابُ رِدَاءً قَدْ بُهَجَتْ بِهِ فَقَدْ تَطَايَرَ مِنْهُ لِلْبَلِي خِرْقُ
 وَبَاتَ مُنْشِيرًا يَحْدُو الْمَشِيبُ بِهِ كَاللَّيْلِ يَنْهَضُ فِي أَعْجَازِهِ الْفَلْقُ
 عَجِبْتُ وَالذَّهْرُ لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ لِلرَّاكِبِينَ إِلَى الدُّنْيَا وَقَدْ صَدَقُوا
 وَطَالَ مَا نُعْصُوا بِالْفَجْعِ ضَاحِيَةٍ وَطَالَ بِالْفَجْعِ وَالتَّنْغِيصِ مَا طَرِقُوا
 دَارٌ تَعْرُبُ بِهَا الْأَمَالُ مُهْلِكَةٌ وَذُو التَّجَارِبِ فِيهَا خَائِفٌ فَرِقُ
 يَا لِرِّجَالٍ لِمَحْدُوعٍ بِزُخْرُفِهَا بَعْدَ الْبَيَانِ وَمَغْرُرٍ بِهَا يَثِقُ
 أَقُولُ وَالنَّفْسُ تَدْعُونِي لِبَاطِلِهَا أَيْنَ الْمُلُوكُ مُلُوكُ النَّاسِ وَالسَّوْقُ
 أَيْنَ الَّذِينَ إِلَى لَذَائِهَا رَكَّبُوا قَدْ كَانَ فِيهَا لَهُمْ عَيْشٌ وَمُرْتَفِقُ
 أُمْسَتْ مَسَاكِينُهُمْ قَفْرًا مُعْطَلَةٌ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا قَبْلَهَا خُلِقُوا

يَا أَهْلَ لَذَاتِ دَارٍ لَا بَقَاءَ لَهَا إِنْ اغْتَرَارًا بِظِلِّ زَائِلٍ حُمِقُ

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلَا تُعَذِّبْنَا وَوَفِّقْنَا وَلَا تَخْذُلْنَا وَلَا تَسْلِبِ الْإِيمَانَ مِنَّا لَا
مَلْجَأَ لَنَا إِلَّا إِلَيْكَ وَلَا مَعْوَلَ لَنَا إِلَّا عَلَيْكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ

اللَّهُمَّ يَا مَنْ فَتَحَ بَابَهُ لِلطَّالِبِينَ ، وَأَظْهَرَ غِنَاهُ لِلرَّاعِغِينَ نَسْأَلُكَ أَنْ
تَسَلِّكَ بِنَا سَبِيلَ عِبَادِكَ الصَّادِقِينَ ، وَأَنْ تَلْحِقَنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ، اللَّهُمَّ
أَجِبْ قُلُوبَنَا بِأَمَاتِهَا الْبُعْدُ عَنْ بَابِكَ ، وَلَا تُعَذِّبْنَا بِأَلِيمِ عِقَابِكَ ، يَا كَرِيمُ يَا
مَنَّانُ ، يَا مَنْ جَادَ عَلَى عِبَادِهِ بِالْأَنْعَامِ وَالْأَفْضَالِ ، اللَّهُمَّ أَيْقِظْنَا مِنْ غَفْلَتِنَا
بُلْطَفِكَ وَإِحْسَانِكَ وَتَجَاوَزْ عَنْ جَرَائِمِنَا بِعَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ ، وَارْزُقْنَا مَا رَزَقْتَ
أَوْلِيَاءَكَ ، مِنْ نَعِيمِ قُرْبِكَ ، وَلَذَّةِ مُنَاجَاتِكَ ، وَصِدْقِ حُبِّكَ ، وَاغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
حَمْدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

حَائِمَةٌ ، وَصِيَّةٌ ، نَصِيحَةٌ

إِغْلَمَ وَفَّقْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ أَنْ مِمَّا يَجِبُ
الاعْتِنَاءُ بِهِ حِفْظًا وَعَمَلًا كَلَامَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا وَكَلَامَ رَسُولِهِ ﷺ .
وَأَنَّهُ يَنْبَغِي لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَحُثُّ أَوْلَادَهُ عَلَى حِفْظِ الْقُرْآنِ وَمَا
تَيَسَّرَ مِنْ أَحَادِيثِ النَّبِيِّ ﷺ الْمُتَّفَقِ عَلَى صَحِّحَتِهَا عَنْهُ كَالْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ .
وَمِنَ الْفَقْهِ الْمُخْتَصَرِ الْمُفْتَعِلِ لِيَتَيَسَّرَ لَهُ اسْتِخْرَاجُ الْمَسَائِلِ وَيَجْعَلَ لِأَوْلَادِهِ مَا
يَحْتُجُّهُمْ عَلَى ذَلِكَ .

فَمَثَلًا يَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ الْقُرْآنَ عَلَى صَدْرِهِ حِفْظًا صَحِيحًا عَشْرَةَ آلَافٍ
أَوْ أَزِيدَ أَوْ أَقَلَّ حَسَبَ حَالِهِ فِي الْغِنَى .

وَمِنَ الْأَحَادِيثِ عُقُودَ اللَّوْلُؤِ وَالْمَرْجَانِ فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الْإِمَامَانِ الْبُخَارِيُّ
وَمُسْلِمٌ ، يَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ ذَلِكَ سِتَّةَ آلَافٍ (٦٠٠٠) .

فإن عجزوا عن حفظها فالعمدة في الحديث يجعل لمن حفظها ثلاثة آلاف (٣٠٠٠) أو الأربعين التوازية ويجعل لمن يحفظها ألفاً (١٠٠٠) .
ويجعل لمن يحفظ مختصر المقنع في الفقه ألفين (٢٠٠٠) من الريلات فالغيب سبب لحفظ المسائل وسبب لسرعة استخراج ما أريد من ذلك وما أشكل معناه أو يدخلهم في مدارس تحفيظ القرآن في بيوت الله أو البيوت المعدة لذلك فمدارس تعليم القرآن والسنة هي مدارس التعليم العالمي الممتاز الباقي النافع في الدنيا والآخرة أو يدخلهم في حلقات تحفيظ القرآن الموجودة في المساجد .

فمن وفقه الله لذلك وعمل أولاده بذلك كان سبباً لحصول الأجر من الله وسبباً لبرهم به ودعائهم له إذا ذكروا ذلك منه ولعله أن يكون سبباً مباركاً يعمل به أولاده مع أولادهم فيزيد الأجر له ولهم نسال الله أن يوفق الجميع لحسن التنية إنه القادر على ذلك وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .
ولم أرى للخلائق من مرب بيت الله مدرسة الأولي
للمن يهوى العلوم الراقيات
آخر :

أَنْظُرْ بِعَقْلِكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ عِبَرٍ
غَضُّ الشَّيْبِ قَلِيلُ الْهَمِّ وَالْفِكْرِ
أَرَاكَ تَنْظُرُ يَا مَعْرُورُ فِي الْكَبِيرِ
تُمْسِي وَتُصْبِحُ مَسْرُوراً عَلَى النُّكْرِ
إِلَى الْقُبُورِ مِنَ الْأَشْيَاحِ وَالصُّغْرِ
وَالدَّهْرِ يَهْدُمُ مِنْكَ الْعُمَرَ فَابْتَدِرِ
وَفِي الْمُحَالِ وَفِي اللَّذَاتِ وَالْبَطْرِ
مَضَى سَرِيحاً كِمَثَلِ اللَّمْحِ فِي الْبَصْرِ
إِلَّا بِمَوْتِكَ يَا مَعْرُورُ فَانْتَظِرِ
أَنْظُرْ جُفُونَكَ يَا مَسْكِينُ مِنْ سِنَةٍ
بِالْأَمْسِ كُنْتَ مَعَ الصَّبِيَّانِ فِي لَعِبِ
وَقَدْ كَبُرْتَ وَحَانَ الشَّيْبُ مِنْكَ وَلَا
تَبِعْتَ وَيَحَكَ دُنْيَا لَا بَقَاءَ لَهَا
أَمَا اعْتَبَرْتَ بِمَا شِئْتَ مِنْ سَلَفِ
وَأَنْتَ فِي كُلِّ يَوْمٍ زَائِداً أَمْلاً
يَا مَنْ مَضَى عُمُرُهُ الْمَكُونِ فِي سَفَهٍ
أَيْنَ الشَّبَابُ الَّذِي قَدْ كُنْتَ تَحْمِدُهُ
وَقَدْ أَتَى لَكَ شَيْبٌ لَا زَوَالَ لَهُ

وَقَدْ أَتَاكَ نَذِيرُ الشَّيْبِ فَازْدَجِرِ
 قَبْلَ الْمُنُونِ وَبَادِرِ فُسْحَةَ الْعُمُرِ
 فَضْلاً وَقُلْ يَا إِلَهِي نَجِّ مِنْ سَقَرِ
 خَافِ الذُّنُوبَ وَبَاعِ النَّوْمَ بِالسَّهْرِ
 يَتْلُو الْكِتَابَ وَدَمْعَ الْعَيْنِ كَالْمَطَرِ
 مَعَ الْجِسَانِ ذَوَاتِ الْفُجْرِ وَالنَّحُورِ
 مِنْ كَفِّ غَايَةِ أَضْوَى مِنَ الْقَمَرِ
 قَدْ حَصَّهَا بِاخْتِلَالِ النَّخْلِ وَالنَّهْرِ
 أَصْوَاتُهَا كَحَيْنِ الْعُودِ وَالْوَسْرِ
 كَمَا أَتَى فِي بَيَانِ الذِّكْرِ وَالسُّورِ
 وَاتَّبِعْ طَرِيقَتَهُمْ تَقَفُوا عَلَى الْأَثْرِ
 عَمَّا قَلِيلٍ لَبِيتَ الدُّودِ وَالْمَسَدِرِ
 لِأَنَّهَا كَسِرَاجٍ لِأَخِ اللَّبْصَرِ
 صَارُوا لَنَا خَبِراً مِنْ أَعْظَمِ الْخَبِيرِ
 صَارُوا جَمِيعاً إِلَى الْأَجْدَاثِ وَالْحُفْرِ
 حُصُونُهَا مُلِثَتْ بِالْبُسْطِ وَالسَّرْرِ
 أَيْنَ الْخُلُودِ الَّتِي تُسَمَّى أُولَى النَّظْرِ
 صَارَتْ مَحَاسِنُهُمْ مِنْ أَقْبَحِ الصُّورِ
 فَانظُرْ لِنَفْسِكَ وَاحْذَرْ غَايَةَ الْحَذْرِ

رَاكِباً فِي طَلَابِهَا الْأَخْطَارَا
 وَتَرَى أَنْسَهُ فِتْبَدِي نَفَارَا
 جَارَةً لَمْ تَزَلْ تُسَمَّى الْجَوَارَا

إِنَّ الرَّحِيلَ حَقِيقٌ فَاسْتَعِدَّ لَهُ
 بَادِرُ مَتَابِكَ يَا مَسْكِينُ فِي عَجَلِ
 حَافِظِ عَلَى الْخُمْسِ فِي الْأَرْقَاتِ إِنَّ لَهَا
 طُوبَى لِعَبِيدِ تَقِيَّ خَائِفِ وَجِلِ
 وَقَامَ بِاللَّيْلِ لِلرَّحْمَنِ مُبْتَهَلاً
 إِنْ كُنْتَ تَبْغِي جَنَّانَ الْخُلْدِ تُسَكِّنُهَا
 تُسْقِي بِهَا سَلْسِيلاً طَابَ شَارِبُهَا
 فِي قُبَّةٍ مِنْ لُجَيْنِ جَلَّ صَانِعُهَا
 وَالطُّيْرُ فِيهَا عَلَى الْأَعْصَانِ عَاكِفَةٌ
 وَالْحُورُ يَمْشِينَ فِي حُلِيِّ وَفِي حُلَلِ
 وَأَعْكَفَ عَلَى سُنَّةِ الْهَادِي وَتَابِعِهِ
 وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ عَنْ أَهْلِكَ مُرْتَجِلٌ
 لَا تَأْمَنَنَّ مِنَ الدُّنْيَا وَزَهْرَتِهَا
 أَيْنَ الْأَحْبَةِ وَالْجَيْرَانُ مَا صَنَعُوا
 أَيْنَ الْمُلُوكِ الَّذِي عَاشَرْتَهُمْ زَمَاناً
 أَيْنَ الْقُصُورِ الَّتِي كَانَتْ مُعَمَّرَةً
 أَيْنَ الْوُجُوهِ الَّتِي كَانَتْ مُنْعَمَةً
 صَارُوا جَمِيعاً إِلَى ضَيْقِ الْقُبُورِ وَقَدْ
 وَنَحْنُ عَمَّا قَلِيلٍ لِأَحْقُونَ بِهِمْ
 آخِرُ :

يَأْمَجِبُ الدُّنْيَا الْعُرُورِ اغْتِرَارَا
 يَتَغَيَّ وَصَلَهَا فَتَأْبَى عَلَيْهِ
 خَابَ مَنْ يَتَغَيَّ الْوِصَالَ لَدَيْهَا

حَاوَلَ الزَّوْرَ صَيْرْتُهُ اِزْوَارًا
 اِنْ حَلَّتْ مَرَّةً اَمَرْتُ مِرَارًا
 وَاكْتِسَابُ الْحَرَامِ يُصْلِي النَّارَا
 سَوْفَ يَقْضِي وَمَا قَضَى الْاَوْطَارَا
 وَاَرْبَاحُهَا تَعُودُ خَسَارَا
 وَاِلَى السُّرُورِ تَمْضِي قِصَارَا
 بِتَرَرٍ اَفْتَتْ بِهِ الْاَعْمَارَا
 صَبْرَتْ بَعْدَهَا الْمَنَائَا خِمَارَا
 بَعْدَ عِزٍّ فَمَا اَطَاقَ اِنْتِصَارَا
 وَمَعَانٍ قَدْ غَادَرَتْهَا قِفَارَا
 عَنِ قَلِيلٍ تَسْتَرْجِعُ الْمُسْتَعَارَا
 يَفْنَى وَيَبْقَى اِثْمًا وَيَكْسِبُ عَارَا
 هَرٍ وَمَا قُدْرَاتُكَ فَيْكَ اَعْتَبَارَا
 غَدَارَ فِيمَا جَنَاهُ وَالْاَنْدَارَا
 وَالْتَمِسْ غَيْرَ هَذِهِ الدَّارِ دَارَا
 لِحَ مَا دُمْتَ تَسْتَطِيعُ الْبِدَارَا

كَمْ مُحِبِّ اَزْتُهُ اُنْسًا فَلَمَّا
 شَيْبَ حُلُوُ اللَّذَاتِ مِنْهَا بِمُرٍ
 فِي اِكْتِسَابِ الْحَلَالِ مِنْهَا حِسَابُ
 وَلِبَاغِي الْاَوْطَارِ مِنْهَا عَنَاءُ
 كُلِّ لِدَاتِهَا مُنْغَصَّةُ الْعَيْشِ
 وَلِيَالِي الْهُمُومِ فِيهَا طَوَالُ
 وَكَفَى اَنْهَا تَظُنُّ وَاِنْ جَادَتْ
 وَاِذَا مَا سَقَا حُمُورَ الْاَمَانِي
 كَمْ مَلِيكَ مُسَلِّطٍ ذَلَّلْتَهُ
 وَنَعِيمٍ قَدْ اَعْقَبْتَهُ بِئُوسِ
 اِيْهَا الْمُسْتَعِيرُ مِنْهَا مَتَاعًا
 عَدُّ عَنِ وَاَصْلٍ مَنْ يُعْيِرُكَ مَا
 قَدْ اُرْتَكَ الْاَمْثَالَ فِي سَالِفِ الدِّ
 وَجَدِيْرٌ بِالْعُذْرِ مَنْ قَدَّمَ الْاَ
 فَتَعَزَّضَ مِنْهَا بِخُلَّةِ صِدْقِ
 وَالْبِدَارَ الْبِدَارَ بِالْعَمَلِ الصَّ

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْاِيْمَانِ وَثَبِّتْهَا عَلَيَّ قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا وَفِي الْاٰخِرَةِ وَاَجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِيْنَ وَتَوْفِنَا مُسْلِمِيْنَ وَالْحَقْنَا بِعِبَادِكَ
 الصَّالِحِيْنَ يَا اَكْرَمَ الْاَكْرَمِيْنَ وَيَا اَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللّٰهُ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ
 وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

فهرس الجزء السادس من موارد الظمان

| رقم الصفحة | الموضوع |
|---------------|---|
| ٧ | فصل في الجهاد في سبيل الله والحث عليه والأدلة على ذلك |
| ١٣ | قصيدة ترغب في اقامة الدعوة والنصيحة في الدين |
| ١٤ | آيات وأحاديث في الحث على الجهاد والترغيب فيه |
| ٢٢ | موعظة بليغة في توجيه الأولاد توجيهها صالحا |
| ٢٦ | قصة الفر الذين أرسلهم النبي ﷺ الى بحر معونة وقتلهم عامر بن الطفيل ويلها نظم لابن القيم |
| ٣٠ | قصة عبد الله بن عمرو بن حرام وعمرو بن الجموح وانس بن النظر |
| ٣٢ | رثاء للنبي ﷺ |
| ٣٥ | وقعة بلر وذكر سببها وماذا عمل ﷺ فيها |
| ٣٧ | قصيدة في مدح الصحابة رضي الله عنهم |
| ٣٩ | تنظيمه ﷺ أصحابه في تشكيل حربي يلام ظروف السير في أرض العدو وتوجيهه عيونهم تأتية بالخير |
| ٤١ | أبو سفيان يتشتم أخبار المسلمين في طريقه، انقسام الناس الى قسمين |
| ٤٢ | النبي ﷺ يستشير أصحابه عندما بلغه خروج قريش وأجوبة الصحابة على ذلك |
| ٤٤ | موعظة بليغة تتضمن الحث على ايقاض القلوب من رقدتها وآيات زهدية |
| ٤٥ | قصيدة زهدية وعظيمة فيها حكم وعبر |
| ٤٨ | حرص النبي ﷺ على كتمان أمره عن قريش وسؤاله عنهم وبعثه ﷺ علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص الى ماء يلتصمون الخير وبناء الخوض والعرش |
| ٥٠ | ارسال المشركين عمر بن وهب يحجز لهم عدد المسلمين ورجوع عمر ممتلئا من الرعب والذعر والخوف والتعظيم لأصحاب النبي ﷺ بعد ما رجع عمر من المسلمين وأخبر المشركين بما رأى دب الخلاف بهم |
| ٥٢ | موعظة في التزهيد في الدنيا والحث على الرغبة في الآخرة وبعدها قصيدة مثلها يتضمن ما تضمنته تلك |
| ٥٤ | النبي ﷺ يهيئ جيشه أحسن تهيئة |
| ٦٠ | الدعاء الى المبارزة وتقدم الأكفاء لها من الصحابة وتنافسهم فيها وشجاعتهم وتمالكهم على الشهادة وامدادهم بالملائكة لتؤيدهم |
| ٦٢ | ابليس يقود المشركين ويشجعهم ويورطهم ثم يهرب |
| ٦٣ | متابعة النبي ﷺ المعركة واستنهاضه هم أصحابه، وعدد القتل والأسرى |
| ٦٤ | قصة قتل أبي جهل لعنه الله وبيان من قتله وتحديد وقت المعركة ابتداء وانتهاء |
| ٦٦ | من موعظة النبي ﷺ ووصياه |

فهرس الجزء السادس من موارد الظمان

| رقم الصفحة | الموضوع |
|------------|--|
| ٦٩ | مقتل أمية بن خلف وابنه وقسم النفل |
| ٧٠ | مقتل عقبة بن أبي معيط لعنه الله والنظر بن الحارث |
| ٧٣ | موعظة بليغة في الزجر عن التعلق بالدنيا وترك الآخرة |
| ٧٧ | غزوة أحد وذكر سببها واعداد قريش لها |
| ٧٨ | أبو عامر الفاسق وظنه الفاضل لعنه الله |
| ٨٠ | خروج جيش الكفرة والمنافقين يقوده أبو سفيان |
| ٨٢ | استشارة النبي ﷺ أصحابه عندما بات الحظير جاثما على أبواب المدينة |
| ٨٦ | موعظة بليغة مقارنة بيننا معشر العجزة والكسلا وبين السلف المجدون المجتهدون الحافظون لأوقاتهم |
| ٨٨ | قصيدة زهدية وعظمية في غربة الاسلام والولاء والبراء |
| ٩٥ | استعراض النبي ﷺ لجيشه في مكان يقال له الشيخين وانشقاق الجيش بسبب عبد الله ابن أبي رئيس المنافقين |
| ٩٨ | اخفاق خطط الكفرة والمشركين عندما التقا الجمعان |
| ٩٩ | قتل حاملي لواء المشركين وكسر شوكتهم وتوليتهم الأديار |
| ١٠٠ | مخالفة أهل النفر لأمر النبي ﷺ أوقعتهم في مفاجئة الكفار يخاصروهم كارين راجعين |
| ١٠٢ | ابليس لعنه الله يصرخ وسط المعركة بأعلى صوته أن محمدا قد قتل |
| ١٠٢ | ذكر جرح أعداء الاسلام الكفرة وجه النبي ﷺ وقتاله ﷺ لهم قتالا شديدا ودافع عنه عدة من الصحابة منهم أبو دجانة وطلحة وشماس بن عثمان وأبو طلحة وأم عمارة ودعا لهم ولانبيها وزجها |
| ١١٠ | قصيدة زهدية وعظمية تثير عزائم أهل الطاعة |
| ١١٥ | خيوب ظن أبي سفيان وحججه حيث ظهر ﷺ سالما خلافا لأمله الفاسد |
| ١١٦ | دفن الشهداء وجواب المسلمين لأبي سفيان حينما استعز واستنصر بالاصنام |
| ١٢٢ | قصيدة فيها حِكْم وحث على الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر |
| ١٢٤ | موعظة بليغة في الزجر عن المعاصي والملاهي والحث على صيانة الوقت |
| ١٢٦ | ذكر بعض الحكم التي وقعت في أحد ونظم لابن القيم رحمه الله |
| ١٤٤ | موعظة لابن الجوزي |
| ١٤٦ | غزوة حُنين ويليها قصيدة |
| ١٥٠ | صفات المنافقين لابن القيم |
| ١٦٤ | غزوة الأحزاب |
| | منظومة للشيخ عبد الرحمن الناصر السعدي في السير الى الله والدار الآخرة وفائدة جليلة في |

فهرس الجزء السادس من موارد الظمان

| رقم الصفحة | الموضوع |
|------------|--|
| ١٦٨ | المصطفين الذين أورثهم الله الكتاب له أيضا |
| ١٧٣ | قصة لعمر بن سعد الأنصاري |
| ١٧٧ | قصة أخرى له أيضا |
| ١٨١ | قصيدة زهدية وعظيمة |
| ١٨٥ | نبذة عن حياة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه |
| ١٨٩ | قصيدة زهدية وعظيمة ويلها موعظة |
| ١٩٣ | قصة ثابت بن قيس الأنصاري |
| ١٩٩ | قصة للنعمان بن مقرن ويلها قصيدة « وداع راحل » |
| ٢٠٦ | قصة لصهب الرومي |
| ٢١١ | موعظة ويلها قصيدة في التحذير من الدنيا |
| ٢١٦ | نبذة عن ريد بن حارثة وبعدها موعظة |
| ٢٢٦ | قصيدة رثى أهل الذرية بعدما هدمها الظالم الطاغية وجنوده ابراهيم باشا |
| ٢٢٩ | نبذة من حياة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه |
| ٢٣٧ | قصة لأسيد بن الحضير رضي الله عنه |
| | أبيات للشيخ عبدالرحمن الناصري السعدي في الحث على ذكر الله ويلها قصيدة لأبي |
| ٢٤٢ | الدرء |
| ٢٥١ | نظم بعضهم ما ذكره ابن القيم رحمه الله من مفاتيح الخير والشر |
| ٢٥٥ | صور من حياة الرسول ﷺ في مقدمة غزوة الفتح |
| ٢٥٨ | كلام لابن القيم في مقدمة غزوة فتح مكة شرفها الله |
| ٢٧٩ | قصيدة في الحث على تدبر كتاب الله وتفهمه والعمل به |
| ٢٨٤ | قصة لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه |
| ٢٩٠ | قصيدة فيما جرى على الاسلام وأهله من الظلمة والطغاة والمجرمين |
| ٢٩٥ | قصة لعبد الله بن عباس رضي الله عنه |
| ٣٠٣ | قصة لسلمان الفارسي رضي الله عنه |
| ٣١١ | قصة لطااووس |
| ٣١٥ | قصة أخرى لطااووس |
| ٣٢٢ | غزوة تبوك أو العسرة |
| ٣٢٩ | موعظة |
| ٣٣٣ | قصيدة في الحث على الأخذ بالحديث وتقديمه على الآراء |
| ٣٣٥ | فصل |

فهرس الجزء السادس من موارد الظمان

| رقم الصفحة | الموضوع |
|------------|--|
| ٣٤٣ | فصل |
| ٣٤٩ | قصة هرقل ملك الروم |
| ٣٥٣ | قصة أصحاب الأخدود |
| ٣٥٦ | قصة أصحاب الغار |
| ٣٥٧ | قصة الثلاثة الذين ابتلاههم الله |
| ٣٦٢ | قصيدة في التحذير من الدنيا والحث على الاقبال على الآخرة |
| ٣٦٦ | من محاسن الدين الاسلامي |
| ٤٢٤ | من معجزة النبي ﷺ وفي أثنائها قصيدة وعظية |
| ٥٥٠ | كلام شيخ الاسلام حول سيرة الرسول ﷺ |
| ٥٥٥ | قصيدة زهدية |
| ٥٥٨ | ذكر خصائص الرسول ﷺ للماوردي |
| ٥٧١ | قصيدة في غربة الاسلام |
| ٥٨٣ | ما قاله ابن حزم حول سيرة الرسول ﷺ |
| ٥٨٧ | قصائد تتضمن معجزات للرسول ﷺ كلام صاحب البرهان القاطع ويليها ما قاله في |
| ٥٩٦ | كتاب الأربعين في أصول الدين |
| ٦٠٦ | فوائد متنوعة ومواعظ نافعة |
| ٦١١ | قصيدة زهدية |
| ٦١٣ | فصل يحتوي على حكم وفوائد |
| ٦١٥ | موعظة |
| ٦١٧ | قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم |
| ٦١٩ | موعظة |
| ٦٢٢ | موعظة |
| ٦٢٣ | فصل يحتوي على وصايا نافعة |
| ٦٢٧ | موعظة ويليها فصل حث على الاستعداد ليوم المعاد ويليها فصل يحتوي على مواعظ |
| ٦٤٢ | قصيدة زهدية |
| ٦٤٥ | قصائد تحتوي على بعض معجزات الرسول |

فهرس الجزء السادس من موارد الظمان

| رقم الصفحة | الموضوع |
|------------|----------------------------|
| ٦٧٧ | قصيدة وعظية فيها حكم |
| ٦٧٩ | منظومة الآداب |
| ٧٠٢ | قصص رائعة ويلها فصول |